

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
الدراسات العليا
قسم الأدب والنقد

بركة البوصير، وبعارضاها

في العصر الحديث
دراسة وتحليل وموازنة

١٦

بحث يقدمه

جابر عبد الرحمن سالم يحيى
المدرس المساعد بكلية اللغة العربية
نيل شهادة العالمية الدكتوراه
في الأدب العربي والنقد

٨٠٢٦٦٨



إشراف
الدكتور: أحمد الشرباصي
أستاذ الأدب العربي والنقد
بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر

إهداء

والس من أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، وجعل اسمه

خاتم الأنبياء والمرسلين .

والس العبيب محمد (صلى الله عليه وسلم) ، أهدى حمزة
الرسالة ، التي هي نبع من فيض مدائحه ، وعظيم شوائسه ،
عسى أن تكون سنة أنال بها رضا رب (بهائه وتعالى)
وشفاعته نبوي (صلى الله عليه وسلم) .

<p>يا سيد الكونين ، لي أمل فأقبل هدية باحث في مدحك أنا السعيد إذا قبلت هديتي لا تهرمني يا رسول شفاعته يا رب صل على النبي مسلماً واغتم بغير يا كريم - تفضلاً -</p>	<p>ألا يكون لخيرك إلا إهداء هو (جابر) حباً لكم وفداً وأنا ابن (يحيى) جدتي الزهراء يوم الزحام والقضا قضاء ما عورضت (بركة)كم للمسلمين ، فكلنا خطباء</p>
---	---

الراجعي عفو ربه

وشفاعته رسول ربه

صلى الله عليه وسلم

جابر عبد الرحمن سالم يحيى

شكر وتقدير

إن شكر الناس على معروف قد يوه ، أو جهل عنده ، أمر تدعو إليه الطباع السليمة ، وتحت عليه الأخلاق الكريمة ، بل جعله الرسول (صلى الله عليه وسلم) من شكر الله فقال :
" من لم يشكر الناس لم يشكر الله "

ولذا ، فإنني بعد شكرى الله (سبحانه وتعالى) على ما أنعم به عليّ وفقني في تلك الرسالة ، أرى أن من أوجب الواجبات شكر أستاذي الفاضل الدكتور / أحمد الشرباصي ، الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على تلك الرسالة ، وعلى الرغم من ظروفه الصحية القاسية ، فقد علمني بمطافه ، وعيّنني بنصحته ، وفرتني بشاكر فكسره .

كما أشكر من أزرني حتى ظهرت تلك الرسالة في هذه الصورة الطيبة ، وبخاصة أخى الأستاذ / حسنى عبد الرحمن سالم يحيى .

بجزى الله البصيح عنى وعن الملم وأهله خير الجزاء



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين -
سيدنا محمد - وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين .

ويحمد : فإني أقدم هذه الرسالة - " بردة البوصيري وممارستها " في المصير
الحديث ، دراسة وتحليل وموازنة " - أقدمها إلى كلية اللغة العربية
بجامعة الأزهر ، لنيل درجة العالمية " الدكتوراه " في الأدب العربي
والنقش .

ولقد جرى العرف الجامعي على أن يذكر الباحث في مقدمة رسالته ،
سبب اختيارها ، كما يشير إلى أهم المراجع التي رجع إليها ، ويقدم عرضا
موجزا لما اشتملت عليه الرسالة من أبواب وفصول ، وما تضمنه كل باب وفصل
ثم يذكر ما توصل إليه من نتائج ، وما رآه من مقترحات ، وسوف أشير إلى ذلك
فيما يأتي إن شاء الله .

فأما سبب اختياري موضوع هذه الرسالة فيرجع إلى شهر مارس سنة ١٩٦٧هـ إذ
مرض بجاري - في المنزل - بشلل أعجزه عن الحركة ، ولما ذهبت لميادته
وجدت عنده شخصا ، يقرأ - بصوت عال - أبياتا من الشعر في مدح الرسول
(صلى الله عليه وسلم) ، فاستنكرت هذا العمل منه لعدم مناسبته المقام .

وعندما انت من قرائته ، بينت له بعض آداب عيادة المريض ، فأخبرني
أنه كان ينشد بردة الإمام البوصيري ، عسى أن تكون سببا في شفاء جاري ، كما
كانت سببا في شفاء الإمام البوصيري من مرض يشبه ذلك المرض ، وأخذ يقص عليّ
بعض القصص عن الإمام البوصيري وبردته ، فكتبت أستمع له بشغف لأنني لم أكن
أعلم شيئا عن ذلك الموضوع ، وأردت الوقوف على حقيقة ما سمعته ففسرت
عن البردة وصاحبها كثيرا ، إلا أنني وجدت من أعجب بالبردة لأنها في مدح
الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، كما وجدت من لم يحجب بها لما نسج

حولها من بعض الشرافات ، والمهالفات فأعجبت أن أذكر رأيي وأنشئ سره
ولكن أنسى لي ذلك ، وأنا حينئذ - طالب بالسنة الرابعة الثانوية بمعهد
طنطا الديني ، فالتفت بما علمت ، فوضعا الأمر لله ، حتى تنهيا لمسئ
الأسباب .

ومرت المنون ، وواصلت دراستي ، حتى جاء يوم أبحث فيه عن موضوع
لرسالة الدكتوراة ، فتذكرت الأمل الذي راودني من قبل ، واستشرت فيسسه
أستاذي ، فوافق على أن يكون عنوانه ما ذكرته في أول المقدمة ، لكي يناسب
الدراسة الأدبية ، والبحث العلمي .

ولقد قرأت كتباً كثيرة ، ورجعت إلى مصادر عديدة ، ومنها :
المدايح النبوية ، والموازنة بين الشعراء للدكتور زكي مبارك ، والعمدة لابن رشيق
والموازنة للأمدى ، والوساطة للقاضي الجرجاني ، كما قرأت كثيراً من دواوين
الشعراء ، وغير ذلك من الكتب التي أشرت إليها في مراجع البحث ، بالإضافة
إلى بعض شروح البردة - وبخاصة شرح الشيخ الباجوري - ولقد انتفعت
ببعض هذه الشروح في دراسة البردة ، إلا أنني وجدت بها مليحة بكثير ممن
المهالفات التي لا دليل على صحتها ، ولا برهان على صدقها ، ومنها الإشارة إلى
أن هذا البيت لازالة المنكر ، وذلك للجمع بين الأحياء وغير هذا كثير ، ولعل
ذلك كان من الأسباب التي صدت بعض الناس عنها .

ومنها يمكن من شيء ، فلقد كنت أظن أول الأمر سهولة الموضوع ، نظراً
للفترة التي كانت لدي من قبل ، ولكن سرعان ما تبين لي أن الأمر جد جد يسد
ويختلف كل الاختلاف عما قرأت وبخاصة في ناحية تحليل البردة ومعارضاتها ،
كما قابلتني صعوبات في البحث عن معارضات البردة ، وبخاصة أن بعض أصحابها
غير مشهور ، وبعضهم قد توفى إلى رحمة الله ، وغير ذلك من الصعوبات التي
يصرها كل من عمل في مجال البحث العلمي ، إلا أنني استعملت كل صعب
واستعذبت كل عناء ، لخدمة الموضوع بعيد المرسلين ، وخاتم النبيين (صلى
الله عليه وسلم) الذي أشرق شمسه ، فبطلت الظلام نورا ، والجهل علما
والغفلة علما .

والحمد لله ، قد انتهيت من بحثي ، وهذا هو ذا يتكون من مقدمة أبين فيها
خطوات البحث ، وتمهيد ، وستة أبواب ضمت خمسة عشر فصلا ثم الخاتمة ومما
توصلت إليه من النتائج ، وما رأيته من المقترحات .

فأما التمهيد : فقد تحدثت فيه عن (المدائح النبوية قبل بردة البوصيري)
وبينت أهم سماتها من نضاتها حتى ظهرت (بردة البوصيري) التي جعلتها
عنوانا للباب الأول ، وتحدثت في الفصل الأول منه عن (البوصيري من مهده إلى
لحده) ، وفي الفصل الثاني تناولت (البردة بالدراسة والتحليل) ، ثم ذكرت
(أثرها) في الفصل الثالث .

ولقد أشرفت إلى (معارضات البردة في العصر الحديث قبل شوقي) في
الباب الثاني الذي تحدثت في الفصل الأول منه عن (المعارضة ودوافعها) وددى
انتشارها في الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى (العصر الحديث) الذي
جعلته موضوع الفصل الثاني ، وبينت أهم معالمه ، أما الفصل الثالث فقد
تحدثت فيه عن (معارضتي الدرويش والتميمية وأثرهما) .

وفي الباب الثالث : تحدثت عن (كشف الغمة في مدح سيد الأمة) وقسمته
إلى ثلاثة فصول ، ففي الفصل الأول أشرفت إلى (حياة البارودي) كما اشتمل الفصل
الثاني على (دراسة كشف الغمة وتحليلها) ثم بينت (أثرها) في الفصل الثالث .

ثم انتقلت إلى الباب الرابع ، الذي تحدثت فيه عن (معارضة شوقي)
وجعلته ثلاثة فصول أيضا ، أشرفت في الفصل الأول منه إلى (شوقي من مولده إلى
وفاته) وفي الفصل الثاني كانت (دراسة نهج البردة وتحليلها) ، أما الفصل
الثالث فقد أشرفت فيه إلى (قصة معارضة شوقي) .

ثم أفردت الباب الخامس للحديث عن (معارضات البردة بعد شوقي) ،
وجعلته فصلين ، أشرفت في الفصل الأول إلى (عرض موجز لمعارضات البردة بعد
شوقي) وانتهيت بالحديث عن صيغ معارضات ، وصدرت كن معارضة منها بحديث
موجز عن حياة صاحبها ، أما الفصل الثاني فذكرت فيه (أثر هذه المعارضات)

وتحدثت في الباب السادس عن (الموازنة بين بردة البوصيري ومعارضاتها) في
العصر الحديث ، واقتصرت على الموازنة بين البردة ومعارضتي البارودي وشوقي
لمكانتهما بين النقاد ، وأثرهما في نهوض الشعر العربي .

ثم أشرت إلى أهم أفكار الرسالة في (الخاتمة) وما توصلت إليه من نتائج ، وما رأيته من مقترحات .

ويحد : فإن هذه هي الأبواب والفصول التي اشتملت عليها رسالتي ، فبيان أن قد وفقت بفضل من الله ، وإن كانت الأخرى ، فحسبي ما بذلت من جهد رجاء التوفيق - خلال أربع سنوات - تقريبا - كانت كلها عملا متواصلا ، وبحثا مستمرا ، أضف إلى ذلك أنها لم تحصل من أحداث تعكر الصفو ، وتبعث الأذى وأهم ما وقع لي من أحداث وفاة والدي (رحمه الله) (١)

ولا شك في أن مثل هذا الأمر يدعو القارىء أن يخفض الطرف عما يكون قد وقع في رسالتي من تقصير أو نقص ، وأن يتذكر أن الكمال إنما هو لله وحده الذي أحسن كل شيء خلقه .

ولمست أزعج أنني قد بلغت فيها كل مدى ، ووصلت فيها إلى كل غاية ، فهذا ما لم يتفق لأحد ، ولكنني أعتقد أنني مهدت الطريق للمسير في هذا الميدان ،

هذا وبالله التوفيق ، وصلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) توفي والدي (رحمه الله) في يوم السبت ٢٦ من فبراير سنة ١٩٧٧ .

• ((المدائح النبوية قبل بريدة البوصيري)) •

لما كانت بريدة البوصيري في مدح رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - كان من المناسب أن أبدأ هذه الرسالة بتمهيد عن المدائح النبوية ، يوضح معالمها ويصور ملامحها ، من يوم نشأتها إلى يوم أن ظهرت البردة •

جرت عادة الأمم - وخاصة الأدباء من أبنائها - أن تلهج بالثناء على عظمائها وتشير بالفخر إلى كريم خلقهم ، وعظيم عطيمهم ، من علم نافع تشروهم ، أو عمل صالح قدموه ، أو واجب أدوه فائقوه •

ولهذا •• لم يكن بدعا من الأدباء - وغيرهم - أن يمدحوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم يكن عجب في ذلك ، بل المجدب كل المجدب أن لا يمدحوه ، وهو صاحب الفضل الكبير الذي لا ينسى ، والأثر الكريم الذي لا يمحي ، والخلق العظيم السدي مدحه الله تعالى - به في القرآن الكريم بقوله :

((وَلَئِكَ لَخُطِيبَتِي عَظِيمٌ)) (١)

لقد كان الناس داخل شبه الجزيرة العربية - قبيل البعثة المحمدية - في جهالة جهلاء ، وضلالة عمياء ، صور بعضها جعفر بن أبي طالب (٢) وفي الله عنه - بقوله :

” كما قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأمن الفلحس ، ونقطع الأرحام ، ونسى الجوار ، ونأكل القوى منا الضعيف ••• ” (٣)

وأما خارج شبه الجزيرة العربية - فكانت دولتا الفرس والروم قد ترددتا في أعماق الهاوية - على اختلاف في الصور والأشكال - بسبب الحروب التي استمرت بينهما سنين عددا ، والظلم الذي جعل السيادة والسلطان والثراء المرضي وقفا على الحكام ، ومن يماثلونهم من أصحاب الضياع والإقطاع ، ومن ورائهم وتحت أقدامهم الملايين من البشر الذين يعيشون في المذل والحرمان (٤)

(١) سورة القلم ٤ / (٢) هو / جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، أسلم وحسن إسلامه واشترك في كثير من الفترات حتى استشهد سنة ٨ هـ • انظر - ابن الأثير أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ١ ص ٣٤١ طبعة دار الشروق بالقاهرة سنة ١٩٧٠ •

(٣) ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ٣٥٩ بتحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد طبعة دار التحرير للطباعة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٨٣ هـ •

(٤) الدكتور محمد حسين هيكل : حياة محمد ص ٦٨ الطبعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٢ •

وقد أهدت - هنا وهناك - حصون الشرائع ، وممالك السما ، وفي فارس وما وراءها - وجدت الجوسية ، وتعددت الآلهة ، وفي الروم - وما حولها - انتشرت المسيحية التي لم تبرأ من أخلاط الوثنية ، وأتباعها يخبطون خبط عشواء (١) .

ولي هذا ... أول على أسوأ من هذا ، كانت تحيا أم العالم وشموه ، ففى مختلف أقطار الأرض ، إذ شبت الحرب ، وشنت الفارات ، وسلبت الحقوق (٢) .

ومن ثم ... من الله على عباده فبعث فيهم رسولا منهم ... يعرفون نبيه وصدقته ، وحقه وأمانته ، دعاهم إلى الله ليوحده ، ويعبدوه ، ويخلصوا ما كانوا يعبدون - هم - وأبائهم ، من دونه ، من الحجارة والأوثان ، وأمرهم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، صلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهاهم عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ... (٣) .

والحق أن هذه الدعوة كانت بمثابة شمس الهداية التي سطعت على العالم ففسرت الإنسانية بفهي من الجادى السليمة ، وأيقظت دعائم الفضيلة ، وأنارت القلوب بنور الله ، وأصبحت بذلك كله - عظيمة الأثر في القلوب شديدة التأثير - ففى النفوس .

وقد انقسم الناس - كما دتهم - أمام تلك الدعوة إلى فريقين : فريق ... كذب واستكبر ، لا لشيء إلا لأن المناد ملك لبسه ، والحق قد قتل قلبه ، فاستولت الحسبية البغيضة على تفكيره وإحساسه ، واتخذ إلهه دواء ، فطمس الله على قلبه ، وجعل على بصره غشاوة .

وفريق ... فكر وقدر ... ولما وجد فى تلك الدعوة صلاحه ، وفلاحه ، آمن به - مخلصا مخلص القلب ، مفرج الصدر ، بل أشاد بتماليمها ، ومدح من أرسله الله بها : مدح محمدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المثل الكامل للإنسان المظهر قلبا ، العف لسانا ، الفصح بيانا ... الذى استطاع بكل هذه الصفات الحميدة أن يحقق آثارا عظيمة ، دلت على عظمته ، كما شهد بذلك كاتب ليمى على دين محمد ، بقوله : ... ولذا حكمنا على المظنة

(١) المرجع السابق ص ٧ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ص ٦٧ وما بعدها .

(٣) سيرة النبي ج ١ ص ٣٥٩ بتصرف .

ممنينا ولم تلبس ثوبا واحدا ، يتضح ذلك من خلال مدائح بعض الشعراء الذين
سأحدث عنهم فيما يلي (١) :

١- لقد أمنت النظر إلى معظم القصائد التي مدح بها الرسول - صلى الله عليه وسلم
- إن لم تكن كلها - فوجدت أن من أقدمها قصائد كثيرة (٢) عزاهها المؤرخون
وأصحاب السير (٣) إلى أبي طالب بن عبد المطلب (٤) ، ومن تلك القصائد قصيدته
التي أنشأها عند خاتمة تحالفت قريش على النبي وبنى هاشم ، وفيها يعلن ولائه للرسول
- صلى الله عليه وسلم - مؤكدا أنه لن يتركه ولن يسلمه ، ثم يفصح عن حبه للرسول
صلى الله عليه وسلم - فيطرحه بقوله :

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد	وأخوت دأب المحب المواصل (٥)
فبلا زال في الدنيا جمالا لأهلها	وزينا لمن ولاه ذب المشاكيل (٦)
فمن مثله في الناس ، أي مؤمِّل	إذا فسه الحكام عند التفاضل
حليم ، رشيد ، عادل ، غير طائش	يوالى إليها ليرغنه بشافل (٧)

- (١) سأحدث عن هؤلاء الشعراء مرتبين على حسب تاريخ وقاتهم .
- (٢) ذهب إلى ذلك أيضا الدكتور / علي صافي حسين - ولكنه استشهد بقول أبي طالب :
والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى لو أرى في التراب دفيني
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة . وأبشروني بذلك منك عيوننا
والملاحظ أن المديح غير ظاهر فيما ذكره الدكتور مثلاً هو ظاهر في الأبيات الستة
التي ذكرتها ، انظر : الدكتور علي صافي حسين : المديح النبوية في القرن الأول
الهجري ص ١٤ ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية سنة ١٩٦٨ .
- (٣) انظر : الشيخ محمد خليل الخطيب : غاية السالك في شرح ديوان أبي طالب ص : ٢٠ ،
٥٠ ، ٧٠ ، مطبعة الشعراوي بطنطا سنة ١٩٥٠ .
- (٤) هو : عبد مناف بن عبد المطلب عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - كفه وهو صغير
ودافع عنه بعد بحثه ، وكان شاعرا جيد الكلام ، توفي قبل الهجرة النبوية بثلاث سنوات
، وقيل : غير ذلك ، انظر : أمد الخاية ج ١ ص ٣٩ ، ابن سلام : طبقات الشعراء ص ٩
المطبعة السعودية بالظهر (غير مؤرخ) ، الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ٣١٥ المطبعة
الثانية بمطبعة كوستانتنوبل وشركاه سنة ١٩٥٤ .
- (٥) آخرته : أراد بهم - أبو طالب - أبناءه - مثل : علي وجعفر وعقيل - رضي الله عنهم -
فهم إخوة للرسول ، لأن المم والد - عند العرب - وأولاد العم إخوة .
- (٦) ذب المشاكيل : حلها .
- (٧) غير طائش : ثابت رزين .

فأبو طالب يحب الرسول - صلى الله عليه وسلم - حبه لأولاده أو أشد . لأن
الرسول أهل لكل شئ ، جدير بكل حب ، إذ ليس في الناس من يمانسه في حل المشكلات ،
وكثرة الهبات ، كما أنه حليم في فعله ، رشيد في رأيه ، عادل في حكمه ، ثابت
في كل أحواله ، يراقب ربه ولا يشغل عنه .

٢- ونظم الأعشى (١) قصيدة ، قال فيها بعض الكتاب (٢) : إنها أقدم
قصيدة مدح بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - . . . ومطلعها : (٣)

ألم تفتش عيناك ليلة أرسدا وهادك ما عاد السليم المشهدا (٤)
وفي تلك القصيدة يتحدث الشاعر عن ناقة ممرجا على مدح الرسول - صلى
الله عليه وسلم - بقوله :

فأليت لا أرض لها من كلاله ولا من حفي حتى تزرر محسدا (٥)
نبي يرى ما لا ترون وذكره أغار لصوى في البلاد وأنجسدا (٦)
لله صدقات ما تخبونائل وليس عطشا اليوم مانعه غدا

فالأعشى يصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه يرى ما لا يراه غيره ولعلبيبه
يقصد بذلك الوحى مثلا ، كما يشير إلى شيوخ ذكره وانتشار خبره ومدحه بكرمه
الذى يفيض ولا يفيض ، وألاحظ أن هذه صفات مدح بها رؤساء القبائل والملوك أو لى
من أن يمدح بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبدوا أن الشاعر متأثر بطريقة
المدح في الجاهلية ، ما جمع كل بعض الكتاب يذهب إلى القول بأن " هذه

(١) هو : ميمون بن قيس بن جند لينتهى نسبه إلى ربيعة ، من فحول شعراء الجاهلية ،
توفي سنة ٦٢٩ هـ - انظر : جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ١٠١
الطبعة الثالثة ، دار الهلال بالقاهرة سنة ١٩٣٠ .

(٢) انظر محمد حمودة عبد الرحمن : المذائع النهمية في العصر الحاضر وأثرها في الأدب -
ص ١٨ ، وهي رسالة ماجستير في الأدب العربي من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر
ولعل ذكرى مذائع أبي طالب السابقة تصحح ذلك القول .

(٣) الأعشى الكبير : ديوانه يشرح الدكتور محفص ص ١٣٥ وأبعدها الطبع في
النمذجية بالقاهرة سنة ١٩٥٠ - وسيرة النبي ج ١ ص ٤١٣ باختلاف في بعض الألفاظ .

(٤) الأرسد : الذى يشتكى وجعا في عنقه . السليم : الذى لدغته الحية من ذلك تفلأ .

(٥) أليت : حلفت . لا أرض : لا أشفق كلاله : المراد تميب وشقة .

(٦) أغار : سار إلى القوم وهو المنخفض من الأرض . أنجد : سار إلى النجاة وهو المرتفع
من الأرض ، وهذا كتاب عن شيوخ خير الرسول - صلى الله عليه وسلم - في كل مكان ، تنب :
تهبط ، وتنقطع .

القصيد ليست من المداك النبوية في شيء ؛ لأنها ليست أثرا لمأطفيصة دينية قديمة ، وما هي إلا محاولة كسائر محاولات الشعراء الذين يكسبون بالمدح (١) واستشهد على صحة قوله " بأن الأعشى رجع عن قصده عندما أعطته قرش من الإبل ، ولو كان صادقا ما تحول عن قصده " (٢) .

ولكنني لا أرى بأسا من عدم القصيدة ضمن قصائد المديح النبوية ، ولا ينقض من شأنها ، أو يضع من قدرها رجوع ناظميها عن قصده .. فلما أن شاعرا ليس على دين محمد - صلى الله عليه وسلم - قد مدحه بقصيدة ، أفلا تعد تلك القصيدة من المديح النبوية ؟ إنني لا أرى مانعا من ذلك ، أما قول بعض الكتاب " إن القصيدة ليست أثرا لمأطفيصة دينية قديمة " ..

فهذا مردود بما نرى القصيدة من أبيات دينية ، جعلت بعض النقاد يشكون في نسبة القصيدة كلها إلى الأعشى ، يقول الدكتور / شوقي ضيف (٣) :

(١) الدكتور زكي مبارك : المدايح النبوية ص ١٩ وما بعدها طبعة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٧ .

(٢) يشير الكاتب بذلك إلى قصة الأعشى : إذ عندما أراد أن يذهب إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - لينشد قصيدته التي نظمها من أجله ، علمت قرش أمره فرفضتوه على الطريق .. ثم سألوه عن مقصده ، فقال : إنه يريد محمدا ليسلم فأفهموه أنه ينهى عن الزنا والقمار والربا والخمر ، فقال : لقد تركت الزنا وما تركته ، وأبدي زهدك في القمار ، فأفلا : ما دعت ولا أدبت ، وأبدي جرحه عند ذكر الخمر ، فقالوا له : نحن الآن في هذنة .. فخذ مائة من الإبل ، ثم ارجع إلى بلدك سنتك هذه ، وانظر ما يصير إليه أمرنا ، فإن ظهرونا عليه كنت قد أخذت خلفا ، وإن ظهر علينا أنته ، فقال : ما أكره ذلك ، ثم أخذ مائة ناقة من قرش ، ورجع إلى بلده . ولكن بمسيره ربي به فقتله عند بلدة تسمى (طع مشقوخة) وهي قرية من نواحي اليمامة انظر : الأندلسيات : الأغاني ج ١ ص ١٢٥ . يتصرف ، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي مطابع كوستاسوبيا وشركاه بالقاهرة سنة ١٩٦٣ .

(٣) تاريخ الأدب العربي (الجسر الجاهلي) ص : ٣٤١ وما بعدها الطبعة الخامسة دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٧١ .

• ومنجود أن تقرأ القصيدة - قصيدة الأعشى السابقة - بقوله فيها :

- إذا أنت لم ترحل يزاد من التقيس ولا قيت بعد الموت من قد تزودا (١)
ندمت على أن لا تكون كثلثه وأنت لم ترصد لما كان أرصدا (٢)
فإياك والبيات لا تأكلن ولا تأخذن سهما حديدا لتقصدا (٣)
وذا النصب المنصوبا تنسكنه ولا تعبد الأوثان ، والله فاعجدا (٤)

إذا قرأت ذلك . . . تعرفوا أنها موضوعة ، لا لأنه فيها يدعو إلى تعاليم إسلامية فحسب ، بل لأنه ينظم فيها آيات قرآنية من مثل قوله تعالى :

((وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)) (٥)

في البيت الأول ، وقد نظم في البيتين الثالث والرابع قوله تعالى :

((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخنزيرِ وما أَهْلَ لَغيرِ اللَّهِ بِهِ . . .)) (٦)

وواضح من هذا كله أن القصيدة منتحلة ، وهي لا تتفق في شيء ونفسية الأعشى وما كان ليسمع القرآن ، وهو من تعاليمه على هذا النحو ، ثم ينصرف عن الرسول الكريم وهديه . . . (٧)

وعلى أي حال ليس المجال هنا في البحث عن القصيدة ، أم موضوعة أم غير موضوعة ولكن كل ما يهمني ، أنه لا ضير من أن تعد تلك القصيدة - إن صحت نسبتها - إلى الأعشى - من قصائد المديح النبوى ، حتى لو كان الشاعر لم يمدح الرسول .

(١) ديوانه ، ص ١٣٦ وما بعدها .

(٢) أرصد : أعد وهيباً .

(٣) يشير إلى أنه لا بد من الذبح كما تقتض - بذلك - تعاليم الإسلام .

(٤) النصب : (مضمين) قيل : مفرد ، وقيل جمع واحد ، نصاب ، وقيل : واحد ، نصب

(يفتح فسكون) : الأصنام التي كانت تنصب حول الكعبة وتقدس ، وقيل : هيبي

الأوثان وهي ما تتخذ من حجر أو خشب ، والصنم ما يتخذ من معدن ، وقيل : غير

ذلك ، انظر : الفيومي : الصباح الخير - مادة صنم (ج ١ ص ٤٧٧) الطبعة

السابعة - الطبعة الأخيرة بالظاهرة سنة ١٩٢٨ .

(٥) البقرة / ١٩٧ .

(٦) المائدة / ٣ .

(٧) يمكنني أن أقول للدكتور شوقي ضيف : إن سماع الأعشى للقرآن وانصرافه عنه وعن مدعي

الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليس دليلاً قاطعاً على وضع القصيدة ، إذ وجد

من أسلم وقرأ القرآن ، وسمعه ، بل ، كان يكتبه للرسول - صلى الله عليه وسلم -

- ثم ارتد عن الإسلام ، مثل : عبد الله بن سعد بن أبي السرح المتوفى سنة

٧٦ هـ . وقيل غير ذلك ، انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٦٥٩ .

صلى الله عليه وسلم - بصفات تتفق مع شأنه كنى ، لأن الشاعر متأثر بطبيعة المديح
الجاهلي ، وليس من السهل أن تُغَيَّر الطباع بين عشية وضحاها ، كما أنه ليس
يتعمق في الدين الإسلامي حتى يحرف صفات النبي - صلى الله عليه وسلم سفيحاً
بها ، على أنني لا أطلب من الشاعر أن يهتز بهذا اللون من الشعر قزعة واحدة
ترتفع إلى درجة من الكمال تنزع من يأتي بعده من الشعراء أن يهذيهم بها
ونقحهم ، وكفى أن القصيدة - على فرض صحتها - قد قيلت في وقت كانت
شمس الإسلام فيه لم تزل في خدر أمها ، وكفى - أيضاً - أنها كانت لبنة فسسى
هذا الفن .. ثم أتت بعدها لبنات (١) .

٣ - وإذا كان الشك قد حام حول قصيدة الأعشى ، فإن قصيدة كعب بن زهير (٢)
التي مطلعها (٣) :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
مقيم إثرها لم يفد مكبول (٤)
لم يتطرق إليها أدنى شك في نسبتها إلى الشاعر ، ولقد بدأها يفزل تغليسيدي
تشوق فيه إلى محبوبته التي وصف محاسنها ، ثم تخلص إلى وصف ناقه ، مرجعاً
على مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - محذراً إليه عما بدر منه ، ملتصقا المقصود
عما صدر عنه ، إذ قيل (٥) :

إن كعباً قد هجا أخاه بُجيراً عندما علم خبر إسلامه ، كما هجا الرسول - صلى
الله عليه وسلم - والمسلمين ، ولما علم الرسول ذلك أهدر دمه ، فأرسل إليه أخسوه :
أن انت الرسول - صلى الله عليه وسلم - مسلماً تائباً ، حتى لا تثقل كما ثقل فيرك مسن
أهدر الرسول دماً ، ولما بلغ الكتاب كعباً ، ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه
فأتجه إلى المدينة ، حيث نزل على وجل من الصحابة ، فعاد به إلى رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - حين صلى الصبح ، فقال له : هذا رسول الله ، قم إليه ،

-
- (١) المدائح النبوية في العصر الحاضر وأثرها في الأدب ص ١٩ وما بعدها .
(٢) هو : كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني شاعر فحل ، نشأ في بيت من بيوت الشعر
العربية أصلم وحسن إسلامه ، توفي سنة ٢٤ هـ ، انظر : أسد الغابة ج ٤ ص ٤٧٥
(٣) كعب بن زهير : ديوانه يشرح السكري ص ٦ ، مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠ .
(٤) بانت : فارقت . مقبول : سليم أضواء الحب . مقيم : دليل مستحيد . لم يفد : لم
يخلص من الأمر . متبول : مقيد .
(٥) ميرة ابن هشام ج ٤ ص ١١٦ وما بعدها . وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٧٥ باختلاف يسير
في بعض الروايات .

فاستأنفه ، فقام حتى جلس أمامه ، فوضع يده في يده - وكان الرسول لا يحسرفه - فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء يستأنفك ، تأثبا مسلما ، فهل أنت ظهل منه ، إن أنا جئت بك ؟ فقال الرسول : نعم ، فقال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير ، فوثب إليه رجل من الأنصار يريد قتله ، ولكن الرسول قل له : دعاه ، لأنه قد جاء تأثبا ، ثم أنشد كعب قصيدته .. ومنها قوله :

أنشئت أن رسول الله أوعد نفسي والمقوعند رسول الله بأمره (١)
مُهلا هذاك الذي أعطاك ناقة السقيا رآن فيها مواضع وشخصيات (٢)

وقوله :

إن الرسول لنور يحتضاه بسبه مهتد من سيوف الله مسلسل (٣)

ولما انتهى من إنشادها ، خلع عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بردته مكانة له " ومن ثم سميت بالبردة " (٤) ما كانت سببا في انتشارها ، واهتمام العلماء والأدباء بها (٥) كما ترجمت إلى كثير من اللغات وخاصة اللغة الفرنسية (٦) .

وضع كل ما يهتم تلك القصيدة من عناية العلماء وتكريم الشعراء ، يقول عنها بعض الكتاب (٧) : " إنها ليست من المدائح النبوية في شيء ، إنما هي من قصائد المديح ، يقولها الرجل حين يرجو أو يخاف ، وكعب بن زهير لم يدح الرسول إلا لينجس من الموت ، ومن كان في مثل حاله لا ينتظر منه صدق في الثناء ، ولم يلقها وحسب مأخوذ بحاطقة دينية قوية ، تسوبه إلى روح التصوف ... " .

نعم : إن القصيدة جرت على نسق المديح في الجاهلية ، فتعددت أغراضها وتنوعت أفكارها ، ولكن هذا لا يمنعها من أن تعد ضمن قصائد المديح النبوية .

(١) أوعدني : أنذرنى بإهدار دمي .

(٢) الناقة : المراد هنا : العطية . هذاك : زادك الله هدي أو هذاك للصفح عني .

(٣) المهتد : السيف المطبوع من حديد الهند - أو المصنوع فيها - وهو من خير السيوف .

(٤) الدكتور شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ج ٢ (المصر الإسلامية) ص ٨٥ طبعة دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٣ .

(٥) انظر : المدائح النبوية ص ٢٦ وما بعدها ، الدكتور عبد السلام سرحان : قطوف من ثمار الأدب القسم الثاني ص ١٧٩ وما بعدها الطبعة الثانية بمطبعة دار القومية المصرية للطباعة بمصر سنة ١٩٧٢ .

الدكتور : أحمد كحيل : دراسات عربية ص ١٢ وما بعدها مطبعة السمادة بمصر سنة ١٩٦٩ .

(٦) المدائح النبوية ص ٢٨ .

(٧) المرجع السابق ص ٢٣ .

ومن هذا القسم ما أنشده ردا على شاعر وقد بنى تيمم الزهري بن بدر (١) الذي قال مفتخرا (٢) :

نحن الكرام فلاحى يصاد لنا منا الملوك وفيما يقسم الريح (٣)

فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - لحسان : قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال ، فقال حسان : (٤)

إن الذوائب من فهر وإخوتهم
يرضى بها كل من كانت سريره
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم
قد بينوا سنة للناس تتبجح (٥)
تقوى إلهه وبالأمر الذي شرعوا (٦)
أوحا وأزال النفع في أشيائهم نفعا (٧)

فحسان - رضى الله عنه - يمدح - من أسلم من سادة قريش - وإخوتهم - من الأنصار بأنهم بينوا أخلاقا للناس جديدة بالاتباع ، وهذه الأخلاق يرضى عنها ، ويمتنع بها كل تقى القلب ، نقى الإيمان ، كما أن هؤلاء القوم أصحاب بأس شديد ، ينفخ الأتباع ، ويضر الأعداء ، ثم يمدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه نبى السبر والهداية فيقول :

أعطوا نبى الهدى والبر طاعتهم فما ضانصرهم عنه وما نرصوا

ويلاحظ أن مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تلك القصيدة لم يكن ظاهرا كمدح الصحابة الذين انصبت عليهم القصيدة ، ولعل ذلك لقابلية قصيدة الزهري السابقة التي كان يصف فيها قومه بالشجاعة والقوة ، فكان لزاما على حسان أن يقارع الحجة بالحجة ، ولو اقتصر الزهري على مدح رئيس تيمم لم يصعب لاقتصر - أيضا - حسان على مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - مما جعل بعض

(٧) هو : الحصين - وقيل غير ذلك - ابن بدر بن امرئ القيس التميمي السعدي كان سيدا في الجاهلية عظيم القدر في الإسلام ، وتوفي نحو سنة ٤٥ هـ ، أسد الغابة ج ٢ : ص ٢٤ ، الأعلام ج ٣ ص ٧٢ . (٦) حسان بن ثابت : ديوانه يشرح عبد الرحمن البرقوقي ص ٢٤٥ المطبعة الرحمانية بالقاهرة سنة ١٩٢٩ .

(٥) الريح : يريد ربح الفضية ، وهو نصيب الرئيس خالفا دون أصحابه ممن يكسبون الحرب ويسمى أيضا المرباع . (٤) ديوان حسان : ص ٢٤٨ .

(٥) الذوائب : الأعداء والعداء بهم السادة ، ففهر : أصل قريش ، وهو فهر بن غالب وقريش كلها تنسب إليه ، والعداء بإخوتهم : الأنصار .

(٦) السريرة : كالمرا أو عمل السر من خير أو شر .

(٧) حاولوا : راموا وطلبوا الأشياع : جمع شبيعة وهم الأتباع .



النقاد يقول عنها :

"... إنها تمجيد لأتباع الرسول ﷺ والشاعر يمدحها إليها بقوة المصيبة (١) ."

وهذا واضح كل الوضوح في قصيدته التي هجا فيها أبا سفيان (٢) ، لأنه هجا الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفيها يقول له : (٣)

هجوت محمدا فأجبت عنه	وعند الله في ذاك الجراء (٤)
أتهجوه ولست له بكسفة	فشركما لخيركما الفداء (٥)
هجوت بهاركا بسرا حنيفسا	أمين الله شيمته الرفساء (٦) :
فمن يهجو رسول الله منكهم	ويجده وينصره حسسوا
فإن أبى ووالده وعرضى	لعرض محمد منكهم وقساء (٧)

ففي هذه القصيدة تظهر مدائح الرسول - صلى الله عليه وسلم - فهو المبارك والحنيف والأمين والوفى ، ما جعل بعض الكتاب يقول (٨) :

إن في هذه القصيدة " تظهر بوادر التصوف ، لأن الشاعر كان ينتظر الجزاء من الله حين أجاب عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - " . ويمكن عد هذه القصيدة من بذور المدائح النبوية . . .

وأما القسم الثاني : فهو ما كان مديحا مباشرا ، وليس ردا على هجاء المشركين مثل قوله (٩) :

أفر عليه للنسوة خاتمم	من الله مشهود يلوح ويشهد (١٠)
وضم إليه اسم النبی إلى اسمه	إذا قال في الخمس المؤمن أشهد (١١)

(١) المدائح النبوية ص ٣٢ . هو : أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشم ، ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخوه من الرضاعة ، كان يؤذى - الرسول قبل إسلامه ثم أسلم وحسن إسلامه ، وشهد بعض الفترات توفي سنة ٢٠ هـ وقيل : غير ذلك انظر : أسد الغابة ج ٦ ص ١٤٤ وما بعدها . (٢) ديوان حسان ص ١ وما بعدها . (٣) الجزء : الميكافاة . (٤) الكفا : النظر .

(٥) الحنيف : المراد هنا المائل عن الباطل إلى الحق . (٦) العرض : موضع المدح والذم من الإنسان والمراد هنا : النفس ، الوقت : الوقاية .

(٧) المدائح النبوية ص ٣٥ . (٨) ديوان حسان ص ٢٨ .

(٩) أفر : من الغرة وشى بياض في الوجه ، المراد : كريم الأفعال وأصحابها عليه للنسوة خاتم : يجوز أن يكون عليه طابع النبوة من حسن الخلق ، وعظيم السجايا ، ويحتمل أن يكون الخاتم الحقيقي الذي كان في ظهر الرسول ، وكان عبارة عن سلعة مثل بيض الحمامة ، أو كان عبارة عن شهر مجتمع عند كتفه ، انظر : ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٣١ طبعة دار التحرير بالقاهرة سنة ١٩٦٨ . (١١) الخمس : المراد الصلوات الخمس ، وروايتا لـ ديوان (إذا قال) وفي بعض الكتب (إن قال) انظر : الإسلام في شعر شوقي ص ٣٧ .

وشق له من اسمه ليخلصه
 نبى أتانا بسد يأس وقبلة
 فأمدى سراجا مستنيرا وهاديا
 وأذرننا نارا ومشر جنسة
 تزدو المرش محمود وهذا محمد
 من الرسل والأوثان فى الأرض تمهد (١)
 يلوح كما لاح الصقيل المهند (٢)
 ولما الإسلام قاله نعمد (٣)

ففى هذه القصيدة وأمثالها (٤) بلغ حسان ذروة المديح النبوى ، فالرسول
 - صلى الله عليه وسلم - كريم فى أفعاله ، محمود فى خصاله ، وهو خاتم الأنبياء ، كرمه
 الله ، فقرن ذكره بذكره فى الأذان والصلاة إذ يقول المؤذن والمصلى : أشهد أن لا إله
 إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، أرسله الله على حين فترة من الرسل
 فنشر الإسلام ، وكسر الأصنام .

وتجد مثل هذا المديح النبوى فى كثير من قصائد حسان ، حتى التى أنشأها
 بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - مثل قوله (٥)

وهل عدلت يوما رزية هالك
 تقطع فيه منزل الوحي عنهم
 إعلم لهم يهديهم الحق جاهدا
 عقوبت الزلات يقبل عذرهم
 عزيز عليه أن يحيدوا عن الهدى
 رزية يوم مات فيه محمد (٦)
 وقد كان ذا نور يشر ويتجد
 معلم صدق إن يطعموه يمدوا
 وإن يحمنوا فالله بالخير أجود
 هريض على أن يستقيها ويهندوا (٧)

-
- (١) الفترة : المراد : المدة بين كل رسولين .
 (٢) سراجا مستنيرا : لعله اقتباس من قوله تعالى : " وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا
 منيرا " الأعراب / ٤٦ . الصقيل : السيف اللامع .
 (٣) أذرننا : حذرنا .
 (٤) ديوانه : ص ١٠ ، ٨٦ ، ٩٩ .
 (٥) المرجع السابق ص ٩٢ .
 (٦) عدلت : ساءت . هالك : المراد ميت .
 (٧) فى هذا البيت إشارة إلى قوله تعالى :
 " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم "
 التوبة / ١٢٨ ، ومثل هذا يدل على أن المدائح النبوية قد تأثرت - بالقرآن
 الكريم - فى وصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

٥ - ولقد مدح النابغة الجعدي (١) رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيمضي قصيدة طويلة مطلعها (٢) :

خليل عوجا ساعة وتهجرا
ولو ما على ما أحدث الدهر أو ذرا (٣)

ثم عرج على مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - فوصف بأنه جاء بالهدى كما أشار إلى القرآن الكريم . فذكر أنه نور بين طريق الخير والشوء هبجت على التقوى كل ذلك في قوله :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى
أتيم على التقوى وأرضى بفعلها
ويتلو كتابا كالمجرة نسيها
وكت من النار المخوفة أحسذرا

ويقال : إنه عندما أنشد ذلك البيت :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا
وأنا لندرج فوق ذلك مظهرنا

قال له الرسول - صلى الله عليه وسلم : (إذ كان ينشدها أمامه) فأبى المظهر يا أبا ليلى ؟ قال : الجنة فقال الرسول : إن شاء الله ، ولقد أعجب بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - ورأى ذلك أنه عندما انتهى النابغة من إنشادها دعا له الرسول - صلى الله عليه وسلم - قائلا : لا يفض الله ناك (٤) .

ومد : أرايت كيف نشأت المدائح النبوية ، التي ظهرت أول ما ظهرت في شوب المديح التقليدي ، الذي يمدح به رؤساء القبائل والطلوع ، ولا عجب في قلنسك ، لأن

(١) اختلف المؤرخون في اسمه ، فقيل : هو عبد الله بن قيس ، وقيل : قيس بن عبد الله وقيل : حيان بن قيس ، شاعر مخضرم ، قيل : إنه كان من الموحدين في الجاهلية ولما جاء الإسلام ، أسلم وحسن إسلامه ، توفي سنة ٦٥ هـ . انظر : تاريخ الأدب العربي ج ٢ (المصراة الصلحي) ص ١٠٢ .

(٢) الأغاني ج ٥ ص ٩ . ، أسد الغابة ج ٥ ص ٢٩١ .

(٣) عوجا : انزلا وأقيما ، تهجرا : اسكنا وقت الهجرة : وهي شدة الحر في وقت القيولة ، ذرا : اتركا .

(٤) المجرة : مجموعة من النجوم الصغيرة ، ينتشر ضوءها ، فيرى كأنه بقعة بيضاء .

(٥) أسد الغابة ج ٥ ص ٢٩١ ، الأغاني ج ٥ ص ٩ .

هو "الشعراء" الذين اتصفت مدائحهم بذلك . كانت شاعريتهم - قبل الإسلام - مطبوعة بطابع الشعر الجاهلي . . ولم يكن من السهل أن تتحول عن ذلك الاتجاه بين عشية وضحاها . لأن " المذاهب الأدبية لا تتغير في عام أو عامين ، ومسنن الإصراف أن تنتظر ذلك (١) .

لقد كانت مدائح "الشعراء" غير متأثرة - في أفكارها - بروح الإسلام من حيث أسلوب التعبير ، وطرق الأداء ، ونسق القصيدة ، أو منهجها المصنوع ، اللهم إلا في النثر اليسير من حيث المعاني ، فكانت تلك القصائد تستهمل بالفن ، وذكر الديار ، وكما الأطلال ، ووصف الناقة ، ثم مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم يخرج عن ذلك إلا حصان بين ثابت في بعض قصائده (٢) ، وكذلك بعض الصحابة الذين مدحوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وانتم ذلك المستمدح بأنه في أبيات محدودة ، قصيرة النفس ، مثل تلك الأبيات التي نسبت إلى المصالح ابن عبد المطلب (٣) ، ومنها قوله يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم (٤)

وانت لما ولدت أشرق السـ
فنحن في ذلك الضياء وفي المنـ
أرض وضعت بنورك الأنبيـ
نور ، وصل الرشاد نخترق
وكذلك الأبيات التي نسبت إلى عبد الله بن رواحة (٥) ، وفيها - أيضا - يخاطب الرسول (٦) قصائد :

إنى تفرست فيك الخير أعرفه
أنت النبي ومن يحرم شفاعته
والله يعلم أن ما خانني البصر
يوم الحساب فقد أرى به القدر

(١) المدائح النبوية ص ٣٣ . (٢) انظر ص ١٢ من هذه الرسالة .

(٣) هو المصالح بن عبد المطلب بن هاشم مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وولد قبله بسنتين ، أسلم وحسن إسلامه ، ودافع عن الرسول كثيرا ، ولذلك أحبه ، وقيل له : " أنت آخر المهاجرين ، كما أنني آخر الأنبياء " . توفي سنة ٣٢ هـ - (أسد الغابة ج ٣ ص ١٦٤) .

(٤) المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٩ وما بعدها .

(٥) هو : عبد الله بن ثعلبة الأنصاري ، صحابي جليل ، شهد كثيرا من الغزوات واستشهد بعد جهاد كبير سنة ٨ هـ (أسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٤ وما بعدها) .

(٦) المرجع السابق .

وإذا كانت هذه الأبيات قيلت في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فهناك أبيات قيلت بعد موته ^(١) - صلى الله عليه وسلم - وأنت بالسلطة السابقة نفسها ، ومن ذلك ما نسب إلى كعب بن مالك ^(٢) الذي يقول ^(٣) :

يا عبيد فابكي بدمع ذرى	لخير البرية والمصطفى
وبكى الرسول ، وحق الهكسا	عليه لدى الحرب عند اللقا
على خير من حملت ناقصة	وأنتى البرية عند النقصى

وإذا كانت الأبيات السابقة كلها قد نسبت إلى رجال من الصحابة ، فهنا هي لذي بعض الأبيات التي نسبت إلى السيدة صفية بنت عبد المطلب ^(٤) التي تقول فيها ^(٥) :

عس من تذهبين بعد نهي	خصه الله ربنا بالكسباب
فاتح ، خاتم ، رحيم ، روف	صادق القيل ، طيب الأثواب
شفق ، ناصح ، شفيق طينا	رحمة من إلها الوهباب
رحمة الله والصلام عليه	وجزا الطلح حسن الثواب

نعم ، هذا رثاء ، بقرون بالخفاء ، وهو أيضا مديح لخاتم الأنبياء . . . إنسه لفظ رقيق ، ومعنى صحيح ، أثاره الحب ، ونفذه الشوق إلى النبي الكريم ، صاحب الخلق العظيم ، الذي امتدحه كل من رآه ، وإن لم يكن شاعرا ، كالسيددة خديجة ^(٦) - رضى الله عنها - التي تقول للرسول : " والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقوى الضيف ، وتمين على نواب الحق " ^(٧) .

(١) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٩٩ وما بعدها .

(٢) هو : كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري ، صحابي جليل ، أسلم وحسن إسلامه ، ودافع عن الإسلام بشعره ، وشهد كثيرا من النزوات ، وتوفي سنة ٥٠ هـ (أسد الغابة ج ٤ ص ٤٨٢) .

(٣) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٩٢ .

(٤) هي السيدة : صفية بنت عبد المطلب بن هاشم عممة الرسول - صلى الله عليه وسلم - " أسلمت وحسن إسلامها وتوفيت سنة ٢٠ هـ - رضى الله عنها - (أسد الغابة ج ٢ ص ١٧٢ وما بعدها) .

(٥) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٩٦ .

(٦) هي السيدة الجليلة : خديجة بنت خويلد ، أم المؤمنين ، وزوج الرسول - صلى الله عليه وسلم - أول من أسلمت من النساء ، وكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة . . . توفيت قبل الهجرة بخمس سنوات وقيل بأربع ، وقيل بثلاث (أسد الغابة ج ٢ ص ٧٨) .

(٧) المرجع السابق ج ٢ ص ٨٢ .

بل إنها لتصرح لمحمد - صلى الله عليه وسلم - قبل الرسالة - عندما أرادت أن تتزوجه - بقولها : " إني قد رغبت فيك ، لقربتك مني ، وشفرك في قومك ، وأمانتك عندهم وحسن خلقك ، وصدق حديثك ^(١) " وكذلك مدحه على بن أبي طالب ^(٢) { كسر الله وجهه } بقوله : " عترته خير المتر ، وأسرته خير الأسر " ، إمام من اتقى ، وصغيرة من اعتدى .. سراج لمع ضوء ، وشهاب سطع نوره .. كلامه الفصل وحكمه العدل ^(٣) - صلى الله عليه وسلم .

وإذا كان الشعراء - وغيرهم - قد مدحوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما رأينا ، فإنهم قد مدحوا - أيضا - آل بيته الأطهار ^(٤) ، وصرفته الأسرار ، وذريته الأخيار ، وذلك لقربهم من الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولحمته على جبهتهم .

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ٨٠ .

(٢) هو : على بن أبي طالب بن عبد المطلب ، ابن عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصهره ، وأسلم وهو صغير ، وتربى في بيت النبوة ، وجهاده في الإسلام لا ينكسر ورايح الخلفاء الراشدين ، قتل سنة ٤٠ هـ . (المرجع السابق ج ٤ ص ٩١ وما بعدها) .

(٣) الإمام علي بن أبي طالب : نهج البلاغة ص ١١٧ وما بعدها بشرح الإمام محمد عبد الحقيق محمد عاشور وغيره ، طبعة دار الشعب بالقاهرة سنة ١٩٦٨ .

(٤) اختلف في المراد بآل البيت : فقيل : هم زوجات الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقيل : هم الذين حُرِّموا الصدقة أي (آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس) وقيل : هم فاطمة بنت الرسول - صلى الله عليه وسلم - وزوجها - علي بن أبي طالب - وابناهما : الحسن والحسين - رضي الله عنهم جميعا - ويبدو أن هذا الرأي هو الأرجح لقوة دليل أصحابه . انظر في ذلك :

أ - النعماني : فضل آل البيت (بتحقيق محمد عاشور) ص ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥٧٣ ١٥٧٤ ١٥٧٥ ١٥٧٦ ١٥٧٧ ١٥٧٨ ١٥٧٩ ١٥٨٠ ١٥٨١ ١٥٨٢

واللهم (١) .. ما جنى الشرا - وفيرهم - يحرمون على مدعهم والإشادة بحكارتهم .
 وخاصة : بعد تلك الأحداث التي انتهت بحقتل الإمام على - ترم الله وجهه - وابنته
 الإمام الحسين (٢) - رضى الله عنه - نأثرت شعور كثير من المسلمين - إن لم يكن كله -
 وألهمت عاطفتهم : فوقف كثير من الشرا - ونظم أرفع الناس حسا - بمدحون هذه المصلحة
 الطاهرة - ومنهرون مظالمهم فير مبالين بما يلقونه من أذى واستطهاد من بنى أمية : الذين
 كانوا يعدون مدح بنى شاش : غروجا على سياستهم : يستحق صاحبه كل شوا وحذاب .
 ١ - ومن هؤلاء الشرا : الفرزدق (٣) : الذي قيل : إنه مدح زهير العابدين (٤) - رضى
 الله عنه - أمام هشام بن عبد الملك (٥) بعدما أنكر هشام مكرهه : فقال الفرزدق
 قصيدة طويلة .. ومنها (٦) :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم (٧)
 هذا ابن خير عباد الله كله شام هذا التقى النقي المطاهر المصلح (٨)
 هذا ابن فاضلة إن كنت جاعلا لله بجه : أنبيا : الله قد يختصموا (٩)

- (١) المراجع المتابعة .
 (٢) أبو الحسين بن علي : جده المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وأمه فاطمة الزهراء - رضى
 الله عنها - ولد بعد الهجرة النبوية بأربع سنوات : قتل سنة ٦١ هـ (أسد الغابة ج ٢
 ص ١٨ وما بعدها) .
 (٣) أبو : أبو فراس بن غالب التميمي الدارقي : أحد فحول الشرا : في عهد بنى أمية
 مات سنة ١١٠ هـ . (انظر : ابن خلکان : وفيات الأعيان بتحقيق الشيخ محمد باقر الدين
 عبد الحميد ج ٥ ص ١٢٥ مطبعة العمادة بصر سنة ١٦٤٨ .
 (٤) هو : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولد سنة ٢٨ هـ وتوفي سنة ٤٤ هـ .
 وقيل غير ذلك . انظر المرجع السابق ج ٢ ص ٤٢٦ وما بعدها .
 (٥) هو : هشام بن عبد الملك بن مروان أحد خلفاء بنى أمية توفي سنة ١٢٥ هـ (الأعلام ج ٩
 ص ٨٤) .
 (٦) ديوانه : هاشم عبد الله الصاوي ج ٢ ص ٨٤٨ وما بعدها - المطبعة التجارية الكبرى
 بالقاهرة - غير مؤرخ .
 (٧) البطحاء : البهيل الواضح فيه دقان الحص .
 (٨) ابن خير عباد الله : يقصد الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأنه جده : والمرب يطلقون
 على الجد لفظ الأب .
 (٩) ابن فاطمة : يقصد فاطمة بنت الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأنها جدته : والمرب
 يطلقون لفظ الأم على الجدة : والسيدة فاطمة زوج الإمام علي : وأم الحسن والحسين
 رضى الله عنهم - توفيت بعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - بستة أشهر وقيل بثلاث
 (انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٢٢٠) .

فهذه القصيدة * إن صحت نسبتها إلى الفرزدق (١) - تدل على غاية الصدق في حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - وآل بيته * بل هي كما قيل :
 " بداية الصدق في المدائح النبوية * ذلك بأن مدائح حسان وقعت فمسي
 أيام كان مدح النبي فيها ينفع الشاعر ولا يضره * أما مدح النبي وأهله فمسي
 أيام الفرزدق فكان بابا من الشر يفتح للملاحين * لأن تلك المدائح
 ما كانت تروق خلفاء بني أمية " (٢)

ولذلك حرص هشام الفرزدق بمدح إيتادها (٣) * ولما أرسل إليه زين العابدين
 هدية وهو في السجن ردها قائلا : " مدحته لله تعالى لا للمطامير * ولكن
 اضطر إلى قبولها بمدح آل قال زين العابدين : " إنا أهل بيت إذا وهبنا
 شيئا لا نستعيد " (٤)

٢- وموقف الفرزدق هذا - يذكركم بموقف الكميت (٥) الذي مدح آل البيت
 بقصائد كثيرة أطلق عليها (القصائد الهاشمية) (٦) ومنها قصيدته التي
 يقول فيها (٧) :

(١) ذكرها ابن خلدون في كتابه وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٤٥ مبهوطة بقوله : لما حشح
 هشام في أيام أبيه وطاف بالبيت جهداً أن يصل إلى الحجر * تلمه فلم يقدر لكسرة
 الزحام * فنصب له * سببر * وجلس عليه ينظر إلى الناس * ومعه جماعة من أعيان
 الشام * فبينما هو كذلك إذ أقبل (زين العابدين) وكان من أحسن الناس وجهه
 وأطيبهم أرجاء * فطاف بالبيت * فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلمه
 فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيئة ؟ فقال
 هشام : لا أعرفه - مخافة أن يرغب فيه أهل الشام فيملكونه - وكان الفرزدق حاضرا
 فقال : أنا أعرفه فقال الشامي : من هو يا فراس ؟ فقال : قصيدته وهي ثابتة
 في ديوانه كما ذكرت سابقا * إلا أن بعض الكتاب في شك من ذلك - انظر مجلدة
 الأزر - المجلد الثلاثين - أكتوبر سنة ١٩٥٨ - ج ٤ ص ٣٧٣

(٢) تاريخ المدائح النبوية ص ٥٦ (٣) وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٤٦

(٤) المرجع السابق *

(٥) الكميت بن زيد الأسدي الطقبي المستهمل ولد سنة ٦٠ هـ وكان خطيبا وشاعرا
 وتشيع له بني هاشم ومات سنة ١٢٦ هـ (تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٢٦٢)

(٦) انظر : الدكتور شوقي ضيف : التطور والتجديد في الشعر الأموي ص ٢٦٨ وما بعدها
 الطبعة الخامسة طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣

(٧) الكميت : الهاشميات ص ١٥ وما بعدها مطبعة الموسوعات بالقاهرة سنة ١٣٢١

- طربت وما شوقا إلى البيض أطرب
ولا لمبا منى وذو الشوق يلعب (١)
ولم تلهنى دار ولا رسم منزل
ولم يتطرسنى بنان مخضب (٢)
ولكن إلى أهل الفضائل والنهى
وخير بنى حواء والخير يطلب (٣)
إلى الله فيما نالنى أتقرب (٤)
إلى الله فيما نالنى أتقرب (٤)
بنى هاشم رهط النبی فانسنی
بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب (٥)

فالشاعر يستنكر أن يفصل نفسه عن آل البيت بالفزل في النساء ... وأوبالكا
على الأطلال ، وإنما يفصل نفسه ، ويتجه بقلبه إلى آل البيت ، أهل الفضائل
المطهرة ، والمقول الراجعة ، والخلق الحسن ، وحبهم يتقرب إلى الله ، إذ هم
آل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فلا يهمل إلا ما يرضيهم ، ولا يرجع إلا ما
ينضبهم ، وهذا يكفى للدلالة على أن مدح آل البيت عند هذا الشاعر -
وغيره - فرع من المدائح النبوية (٦) ، التي لم تنظم من أجل العطاء ، كما يفصل
كثير من الشعراء ، يشهد لذلك ما روى أن الكهت دخل على جعفر بن محمد (٧)
فأعطاه ألف دينار وكسوة ، فقال له الكهنة والله ما أحببتكم للدنيا ...
ولو أردت الدنيا لأتيت من شى فى يديه ، ولكنى أحببتكم للآخرة ، فأما الثياب التي
أصابت أجسامكم ، فأنا أقبلها لبركتها وأما المال فلا أقبله . (٨) .

- (١) البيض : المراد النساء الحسنات (١) رسم منزل : أثره .
البنان - جمع بنانة - أطراف الأصابع - وبنان مخضب : كناية عن المرأة .
(٢) النهى : جمع نهية (بهم النون فى الجمع والمفرد) وهى العقول .
(٣) النفر البيض : المراد الأشراف الكرام .
(٤) رهط النبي : أهله وقشيرته .
(٥) المدائح النبوية ص : ١٠٧ .
(٦) هو : أبو محمد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي - رضى الله عنهم -
توفى سنة ١١٧ هـ . وقيل : غير ذلك انظر . السمودي : مروج الذهب ج ١
ص ١٧٢ - تحقيق الشيخ محمد مجيب الدين صد الحيد - طبعة دار التحرير
للطبع والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦١ م .
(٧) البغدادي : خزائن الأدب ج ١ ص ٧٠ المطبعة الأميرية
سنة ١٢٩٩ هـ .

٣- ويأتى دهميل (١) فيمدح آل البيت مدحا مشوها بالحزن والحسرة *
- هلن ما أصابهم - وخير دليل على ذلك قصيدته التى مطلعها : (٢)

مدارس آيات خلت من تسللاوة ومنزل وحى مقفر الحرصات (٣)

وهى تلك القصيدة يتحدث عن آل بيت النبى - صلى الله عليه وسلم -
فيقول :

هم أهل ميراث النبى إذا استنوا	وهم خير قادات وخير حماة
ملايك فى أهل النبى فإنهم	أحبساي ما عاشوا وأهل ثقائسى
تخيرتهم رشدا لأمرى فإنهم	على كل حال خيرة الخسيرات
فيسارب زدنسى من يقينى بصيرة	وزد حبهم يارب فى حسنائسى

٤- وتتوالى مدائح آل البيت حتى يأتى أبو فراس الحمدانى (٤) *
فيمدحهم * بأنهم أسباب نجاة يوم القيامة * وحبهم يرتجى تحقيق سبق
آماله .. فيقول (٥) :

لست أرجو النجاة من كل ما أخشاه إلا بأحمد وعلى (٦)
روى عن الرسول فاطمة الطهر وسبطيه والإمام على (٧)

إلى أن يقول :

فيهم أرتجى بلوغ الأمانسى يوم عرض على الإله التلىسى

- (١) هو : أبو جعفر محمد بن على شاعر مطبوع توفى سنة ٢٤٦ هـ (وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٤)
- (٢) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ١١ ص ١٠٣ مطبعة دار المأمون بالقاهرة سنة ١٣٣٧ هـ
- (٣) الحرصات : جمع عرصة : وسط الدار أو كل بقعة بين الدور لا يبنى فيها *
- (٤) هو : أبو فراس الحرث بن مصيد الحمدانى الثقفى كان شاعرا مجيدا وفارسا مشهورا
قتل سنة ٣٥٢ هـ * (١) نظر : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٩ *
- (٥) أبو فراس : ديوانه بشرح نخلة قلناط ص ٤٥ مكتبة الشرق ببيروت سنة ١٩١٠ هـ
- (٦) أحمد وعلى : أى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وابن عمه على بن أبى طالب - كرم الله
وجاهه .. *
- (٧) سبطيه (مثنى سبط) : ولد الولد يرشد الحمن والحمين - رضى الله عنهم *

٥ - وإذا كانت أبيات أبي فراس شبيهة بالنظم الطرخي بسبب

تعدد الأسماء التي اشتملت عليها ، فإن مدائح الشريف الرضي ^(١) قد ظهبت عليها
المصيبة في بعض الأحيان ، فنقلتها من رقة الوفا إلى الفخر والخيلاء ^(٢) . . . ومن ذلك
قوله : ^(٣)

وما المدح إلا في النبي وآله	وسرام ، وعض القول ما يتجنب
وأولى مدحى من أعز بفخره	ولا يشكر النعماء إلا المهذب
أرى الشعر فيهم باقيا كأنما	تخلقوا لا شعاع عنقاء مفسر
وقالوا : عجب عجب مثلي بنفسه	وأين على الأيام مثل أبي أب
لمرك ما أعجبت إلا بمدحهم	وحسباني بالقصائد مجسب
أعد لفخرى في المقام معدا	وأدعو عليا للملاحين أركسب

٦ - لكن مدائح مهباز ^(٤) يظهر فيها الولاء الصادق لآل البيت ، وآية ذلك :
أن الشاعر يستعذب كل ما أصابه من محن واضطهاد بسببهم ، كما
يمان أنه لن يتخلى عن حبهم . . . فيقول ^(٥) :

هل يلفتك يا أبا الحسن السدي	جوت فيك وكان ضد جزاءيا ^(٦)
ومن مضر لما مدحتك غظتهم	فتناوضوا عرض وشانوا شائيا
لما رأوا ما غاظ مني شتموا	حاشاك - أنى قلت فيك مداجيا
لا كان إلا مينا ميثاقه	من مره أن كان بمدك باقيا

ولم يكف مهباز بذلك الحب الصادق السدي كان سببا في تعذيبه ، وسئل
إنه لمكسر من التوجع والتحسر على فقد الحسين ، ويرى أن قتله
قريب من الشرك فيقول ^(٧)

(١) هو : أبو الحسن محمد بن الحسين الرضي العلوي ، نقيب أشراف بغداد ومن أكبر
شمراء بني هاشم ، توفي سنة ٤٠٦ هـ (وفیات الأعيان ج ٤ ص ٤٤)

(٢) المدايح النبوية ص ١٤٢ .

(٣) الشريف الرضي : ديوانه ج ١ ص ٨٩ وما بعدها . مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت
غير مؤرخ .

(٤) هو : أبو الحسن مهباز بن مرزويه الهيلمى ، كان مجوسيا وأسلم - وشيع لآل البيت
توفي سنة ٤٢٨ هـ (وفیات الأعيان ج ٤ ص ٤٤١) .

(٥) ديوانه ج ٤ ص ٢٠٢ وما بعدها . الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٣١ .

(٦) يريد بقوله (يا أبا الحسن) على بن أبي طالب . كرم الله وجهه .

(٧) ديوانه ج ٢ ص ٢٦٥ .

أرى الدين من بعد يوم الحسين
وما الشوك بالله من قبله
وما آل حمر ينجفوا إنما
سيعلم من (فاطم) خصمه
ومن ماء (أحمد) ما سبطه
فداؤك نفسي ومن لي بهذا
عليلاً له الموت بالمرصاد
إذا أنت قست بهمستهم
أعادوا الضلال علي من بسدي
بأي نكال غدا يرتسدي
فهاً يقتلك ماذا يسدي؟
ك لو أن مولى بعبد فدي

لقد أشار مهيأر في تلك الأبيات إلى ما تعرض له آل البيت من قتل وغدر وألقى اللوم على آل حرب - بنى أمية - الذين سيقون جزاء ما فعلوه يوم القيامة .

وهكذا ضرب مهيأر على أوتار ثلاثة اتسمت بها غالبية مدائح آل البيت وهي : (١)

أولاً : مدح رهط النبي - صلى الله عليه وسلم - والإشادة بمكانتهم .
ثانياً : هجاء بنى أمية وغيرهم ممن آذوا آل البيت هجاءً يبرز مساوئهم وينشر مثالبهم .

ثالثاً : التأوه الشديد والحزن العميق على صرع الهاشميين شهيداً خلف شهيد .

٦ - وزعم بعض الكتاب (١) أن مدائح آل البيت استمرت على ذلك الحال إلى أن ظهر الشاعر عبد الرحيم الهرمسي (٢) - الذي اتجه بالمدائح الثورية اتجاهها جديداً - إذ تحدث عن مولد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونشأته وصفاته ومعجزاته . . . (٣)

٧ - ولكن الحقيقة أن الشاعر عبد الرحيم الهرمسي قد سبق في ذلك بالشاعر

(١) انظر : مجلة منبر الإسلام السنة (١٢) العدد (٩) ص ٣٤ باختصار سنة ١٩٥٥ .

(٢) مجلة الأهرام العدد (٣) ص ٣٣٧ - السنة (١٨) سنة ١٩٦١ .

(٣) شعر عبد الرحيم بن علي الهرمسي اليماني - شاعر متصوف توفي سنة ٨٠٣ هـ . انظر : الأعلام ج ٤ ص ١١٨ .

(٤) ديوانه : ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٦٩ - دار الطباعة المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٩٢ .

المصرى (١) وغيره ، ولعل الذى دعى بعض الكتاب إلى هذا الزعم هو عدم تحقيقهم سنة وفاة البرص (٢) .

ومن مداخل المصرى قوله مخاضها الرسول - صلى الله عليه وسلم (٣) - :

ياسيد البشر المقارن ذكره ذكر المهيم ، وهو قتل كافى (٤)
أنت الشقى من المداخل بالذى فى الفتح والأحزاب والأعراف (٥)

وحد هذه الجولة فى حقيقة المداخل النبوية الفناء ، من التيقنات فيها بأكثر من عشرين شاعرا ، مدحوا خاتم الأنبياء - صلى الله عليه وسلم - وآل بيته ، أشير إلى الملاحظات التالية :

أولا : إننى لم أرد الاستقصاء بذكر شعراء المديح النبوية وإنما أردت الإشارة إلى البارزين منهم فى هذا المجال الوجب .

ثانيا : إن تلك المداخل ظهرت أول ما ظهرت فى ثوب المديح التقليدى ، ولكنها ما لبثت أن تأثرت بالدين الجديد فظهرت فيها الصفات الدينية .

ثالثا : إن هذه المداخل كانت محدودة الانتشار قبل الهجرة النبوية ، ولعل ذلك يرجع إلى سرية الدعوة من جهة ، والاعتناء بنشر مبادئ الإسلام ، وحل مسائل القرآن الكريم من جهة ثانية .

رابعا : انتشرت تلك المداخل بعد الهجرة بسبب الرد على شعراء المشركين والدفع عن الإسلام والمسلمين ، وإشادة بسفخ الخلق الرسول - صلى الله عليه وسلم - وسناته .

(١) أبو زكريا يحيى بن يوسف الأنصارى جمال الدين المصرى ، قتل سنة ٦٥٦ هـ . انظر الأقدم ج ٩ ص ٢٢٥ .

(٢) انظر ديوانه ص ١٦٨ والدكتور : محمد عبد العظيم خنجاى : دراسات فى التصوف الإسلامى ج ٢ ص ٥٢ مطبعة دار الطباعة المحمدية بالقاهرة (غير مؤرخ) .

(٣) ديوانه مخطوط بمكتبة الجامع الأزهر - قسم الأدب تحت رقم ٢٤٨١ / المق / ٢٨٧٥٤ ص ١١٢ .

(٤) ولعل الشاعر عينا ناظر إلى قول حسان (ونم الإله اسم النبى إلى اسمه) انظر ص ١٢ من هذه الرسالة .

(٥) يشير إلى ما ورد ذكره من صفات النبى - صلى الله عليه وسلم - فى سورة الفتح وخاصة فى الآيات رقم ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٦ وفى سورة الأحزاب الآيات رقم ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٤ وفى سورة الأعراف الآيات رقم ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٦ .

خامسا : تحول المديح بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى آل البيت ، وظهر بصورة جديدة ، متأثرة بالناحية السياسية أيام الأمويين والمهاسنيين .

سادسا : ظهر بعض الشعراء الذين اتجهوا بالمديح النبوية اتجاهًا جديدًا ، فتسح آفاقها ؛ إذ تحدثوا عن مولد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومعجزاته . . .

سابعا : بالرغم من ذلك كله ذهب بعض النقاد ^(١) إلى أن المديح النبوية فن استحدثه البصريون في القرن السابع الهجري ، وأما ما وجد فيه ذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) من القصائد والأشعار في صدر الإسلام وبخاصة في الفترة التي عاشها الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة . . فإنها لا تعد من الوجهة الفنية في عداد قصائد المديح ، لأن الشعراء الذين أنشدوا تلك القصائد لم يقصدوا بها مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) بل قصدوا الدفاع عن الدين الجديد ، ودفع الأباطيل التي أثارها المشركون وغيرهم - ضد الإسلام - وكذلك ما وجد من قصائد على لسان المتشيعين في العصر الأموي كهاشميات الكيث وغيره ، وفي العصر المهاسني قصائد دجيل وغيره ، فإنها - وإن عدت من الوجهة الفنية ضمن قصائد المديح - لم تكن في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإنما كانت في مدح علي والأئمة من بنيته وما جاء فيها من ذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يكن مقصودا لذاته ، وإنما جاء ذكره عرضا بقصد تفضيل المدوح من الهاشمين - بانتسابه إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - على غيره من الخلفاء أو الأئمة - عباسيين كانوا أو أمويين .

وهذا القول - في الحقيقة - يحتاج إلى مراجعة ؛ لأن المديح النبوية التي ظهرت قبل القرن السابع الهجري ، كانت على الأقل ، من الأسباب التي أدت إلى إنجادة أغلب شعرائها في القرن السابع الهجري وبخاصة من شاعر كالبحيري ، الذي أشار إلى أثره بعض النقاد بقوله " . . . وفي الحقيق لم يحسن مدح السيد الأمين - صلى الله عليه وسلم - غير الإمام البوصيري في برودته وهمزته " ^(٢)

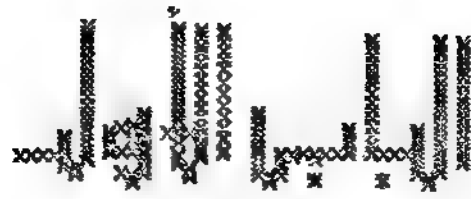
والآن . . أسأل : من هو البوصيري الذي يشهد له بعض النقاد بذلك ؟ وهل هذه الشهادة صادقة ؟

وهذا ما سأحدث عنه في الباب التالي إن شاء الله . .

(١) الدكتور علي صافي هعيم : الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري ص ٢١٦

وما بعدها طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤ .

(٢) انظر مقدمة ديوان حسان بن ثابت ص (و) .

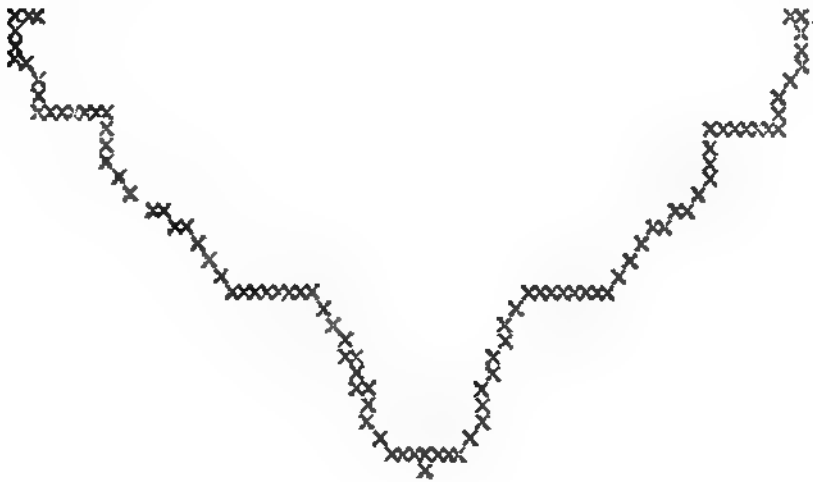


• ((بردة البوصيري)) •

الفصل الأول : البوصيري من مہدہ إلى لحدہ

الفصل الثاني : دراسة البردة وتحليلها

الفصل الثالث : أثر البردة



((الفصل الأول))

((البوصيري من مبيته إلى لحده))

لعل من نافلة القول أن أشير إلى أثر البيئة في الإنسان ، وأن أتحدث
عن تأثير الإنسان في بيئته ، لأن ذلك أصبح أمرا جليا للعيان ، وانحسا
ونج النهار ،

وليس يصح في الأفهام شئ ، إذا احتاج النهار إلى دليل

إن صلة الإنسان ببيئته وثيقة ولذا قيل : " ... الإنسان ابن بيئته -
لا يستطيع أن يفصل منها ولو بعد عنها ، ولا يمكنه التخلص من آثارها - غالبا
- ولو خرج من إطارها ... (١) .

ولقد أدرك معظم الكتاب والنقاد أثر البيئة الكبير في الإنسان وخاصة في
الشعراء ، فأكدوا ضرورة الوقوف عليها ، والإلمام بجوانبها ، يقول بعضهم :
" إن مسرفة البيئة ضرورية في نقد كل شعر ، في كل لغة ، في كل جيل ،
ولكنها ألزم في مصر على التخصيص ... (٢) .

ومن هنا وجدت أن من الحكمة إلقاء الضوء على بيئة البوصيري ، مبتدئيا
بمحصره ، محاولا - قدر الطاقة - الربط بين العصر والشاعر من ناحية تأثيره
به ، وتأثيره فيه ، وخاصة أن ذلك العصر كان مليئا بالأحداث المظلمة ، والحروب
الأليمة التي شنها كل من الصليبيين (٣) والتتار (٤) على المسلمين بشيا وصعدوا

(١) الدكتور أحمد الشرباصي : الدين والمجتمع ص ٣٥ بتصرف المطبعة العربية بالقاهرة
سنة ١٩٧٠ .

(٢) الأستاذ عباس العقاد : شعراء مصر
وبيئاتهم في الجيل الماضي ص ٧ مطبعة دار الهلال بالقاهرة سنة ١٩٧٢ .

(٣) الصليبيون : قوم من الأوروبيين المسيحيين الذين شنوا الحرب على المسلمين ففسد
الشرق لاستغلال صهيوت المقدس من أيديهم ، وسُمو بذلك لأنهم اتخذوا الصليب
شارة لهم ، انظر : الدكتور جمال الدين الشimal : تاريخ مصر الإسلامية ج ٢ ص ١ .
وما بعدها طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٧ . والدكتور : محمد عاشور
الحركة الصليبية ج ١ ص ١٨ وما بعدها ، مطبعة لجنة البان العربي بالقاهرة سنة
١٩٦٣ .

(٤) التتار : أم وثنية جاهلية من الجنس المغولي - صابكهم الأولى الأطراف الشمالية
لهبلاد الصين ، عاشوا في الأرض فسادا . انظر محمد فريد وجدي : دائسرة
معارف القرن العشرين (الرابع عشر) المجلد الثاني ص ٧٧ مطبعة الواعظ بمصر
سنة ١٩١١ .

”يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١)“

فإذا حدثنا معظم المصادر التاريخية أن البوصيري ولد سنة ٦٠٨ هـ ٤
وتوفي سنة ٦٩٥ هـ على الراجح - كما سيأتي - أدركنا أنه لبث في دنيا الناس
ما يقرب من تسعين عاما ٤ قضى شطرها الأول - تقريبا - في آخر حكم الدولة
الأيضية التي استمر حكمها ما يقرب من ثمانين عاما (٥٦٧ - ٦٤٨ هـ) (٢) كما
قضى شطرها الآخر في أول حكم دولة المماليك التي أرسى حكمها على قرنيين
ونصف من الزمان (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ) (٣) .

الحالة السياسية في عصر الشاعر :

يبدو أن أعظم حدث تم قبل مولد الشاعر هو انتصار المسلمين على
الصلبيين في موقعة (حطين) سنة ٥٨٢ هـ (٤) ، بقيادة صلاح الدين (٥) الذي
توج هذا النصر المبين باسترداد بيت المقدس الحبيب إلى كل مسلم ومسلمة -
رده الله إلينا - .

والجدير بالذكر أن صلاح الدين لم يستطع تحقيق ذلك كله إلا بتوحيد
الصفوف بين مصر والشام ٤ ولكن هذه الوحدة لم تلبث أن انقضت عراها ٤
وتفككت وأصرها بموت ذلك القائد ٤ إذ قُسمت الدولة الموحدة إلى دويلات
يحكمها أولاد صلاح الدين وأخوته (٦) ٤ فحكم مصر ابنه المميز (٧) كما حكم حلب

(١) سورة الصف / ٨ . (٢) محمد رفعت ومحمد أحمد حسونة : تاريخ

الإسلام ومصر الإسلامية ص ١٥٠ ، طبعة دار القاهرة للطباعة سنة ١٩٥٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٨٤ .

(٤) (حطين) - بكسر أوله وثانيه المشددة ويا ساكنة - قرية بين أرسوف وقيسارية ٤

وقيل : موقع بينه وبين طبرية نحو فرسخين . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان

ج ٢ ص ٢٩٨ وما بعدها مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٠٦ .

(٥) هو : أبو المنذر يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب بالملك الناصر صلاح الدين توفي

سنة ٥٨٩ هـ (وفیات الأعيان ج ٦ ص ١٣٩) .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٦ وما بعدها ٤ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٣٢ .

(٧) هو : عماد الدين أبو الفتح المميز بن يوسف بن أيوب ٤ توفي سنة ٥٩٥ هـ (وفیات

الأعيان ج ٢ ص ٤١٤) .

ابنه الطاهر (١) ، ودمشق وما حولها ابنه نور الدين (٢) ، كما تسولى حكم بعض بلاد الشام أنه الملك العادل (٣) . وهكذا تفتت الدولة الفتية ، ولو وقف ههنا الخلب عند ذلك الأمر لهان ، ولكن سرعان ما دب الخلاف بين العزيز الذى أراد أن ينشر نفوذه على مصر والشام ، وبين أخويه الطاهر ونور الدين ، اللذين عارضوا فكرة أخيهم ورفضوا هاشدة ، ورغم ذلك حقق العزيز هدفه ، وانتصر على أخويه بمساعدة عمه الملك العادل .

وأغلب الظن أن العزيز لو علم ما يخبئه له القدر ، ما صنع ما صنع ، إذ فاجأه الموت بعد مدة قصيرة من نشر نفوذه على مصر والشام ، فترك كل شئ لشيره ، مؤكدا لنا قول الشاعر :

قد يجمع المال غير آكسه
وساكنى المال غير من جمعه

وكانت وفاة العزيز فرصة لعمه العادل الذى استطاع أن ينشر نفوذه على مصر والشام ، وأنسم عهده بالاستقرار ، ولما توفى خلفه أولاده الذين اتفقت كلمتهم - أول الأمر - فملكوا ، ثم دب الشقاق بينهم فهلكوا : إذ كان اختلافهم سببا فى ضعف قوتهم ، وذهاب سيبتهم ، مما جعل الفرنج يطمعون فى البلاد ، إلا أن الملك الكامل محمدا استطاع أن يكون جيشا قويا كبح جماح الأعداء ودهم على أديبارهم ، ولما توفى سنة ٦٣٥ هـ خلفه ابنه العادل الثانى الذى لم يستمر حكمه طويلا ، إذ خلفه أخوه الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٧ هـ ثم سجنه حتى مات ، وقيل : هو الذى قتله سنة ٦٤٠ هـ (٤) .

ولقد توالى هجمات الصليبيين على البلاد فى عهد الملك الصالح ، وكان

(١) هو : غياث الدين غازى الملقب بالملك الطاهر ، توفى سنة ٦١٢ هـ (المرجع السابق ،

السابق ج ٣ ص ١٢٨) .

(٢) هو : نور الدين ، أبو الحسن على الملقب بالملك الأفضل ، توفى سنة ٦٢٢ هـ

(المرجع السابق ج ٣ ص ٩٥) .

(٣) هو : أبو بكر محمد بن أيوب بن شادى الملقب بالملك العادل

سيف الدين ، توفى سنة ٦١٥ هـ (المرجع السابق ج ٤ ص ١٦٦) .

(٤) ابن إياس : تاريخ مصر المعروف بهدائج الزهور فى وقائع

الدول ج ١ ص ٨٤ المطبعة الأميرية سنة ١٣١١ هـ .

أشدّها تلك الحملة التي قادها لويس التاسع ^(١)، فخرج الجيش المصري لمقابلتها سنة ٦٤٧ هـ إلا أن الملك الصالح توفي في أثناء التحام الجيشين في دمياط ^(٢) وقيل: في المنصورة ^(٣) فأخفت زوجته - شجرة الدر - نبأ وفاته عن الجيش حتى لا يتفسرق شمله ، أو تنصف عزيمته ، ثم أرسلت إلى توران شاه - ابن الملك الصالح - الذي كان يقيم في حصن كيفا - من أعمال الموصل - ليتولى حكم البلاد وهذا التصرف من شجرة الدر - إن صح - يوجب لها كل تقدير .

ومهما يكن من شيء ، فلقد أتى توران شاه على عجل ، واشترك فسي محارسة لويس التاسع ، وعزمه هو وجنوده هزيمة نكرة ، وتوجت بأسر كتسير منهم وعلى رأسهم لويس التاسع نفسه الذي سجن بدار ابن لقمان ^(٤) في المنصورة ولم يطلق سراحه إلا بغدية كبيرة .

والجدير بالذكر أن البوصيري أشار إلى تلك المعركة في قصيدة طويلة ، وصور فيها ما حار بجنود الأعداء من عار وشنار ، وما أحاط بلويس من ذلة وهوان ، ومن ذلك قوله ^(٥) :

وليس لهم إلا إلى الأسر ملجأ وإلا إلى ضرب الرقاب هسير

ثم يستمر في ذلك الوصف المشوب بالتهكم والسخرية من هؤلاء الجنود الذين تركهم لويس مأسورين وفدى نفسه بالمال ورجع إلى فرنسا ، فيقول البوصيري في ذلك :

فدى نفسه بالمال والآل وانثنى نظير به من حيث جاء طيور

(١) هو : ريدا فرنسيس ولد سنة ١٦١٤ ، وتولى حكم فرنسا من سنة ١٢٢٦ إلى أن توفي سنة ١٢٧٠ هـ انظر : محمد شفيق غريال مع غيره : الموسوعة الميسرة ص ١٥٨٥ - مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٥ .

(٢) دمياط (بكسر الدال) مدينة قديمة بين تينس ومصر على زاوية يمين بحر اليوم المطم والميل (مجمع البلدان ج ٤ ص ٨٥) وهي الآن إحدى محافظات جمهورية مصر العربية بالوجه البحري .

(٣) المنصورة : بلدة أنشأها الملك الكامل بين دمياط والقاهرة على إسطاطي الشرقى لفرج دمياط ، تنازلا بانتصاره على الصليبيين (المرجع السابق ج ٨ ص ١٧٨) .

(٤) ابن لقمان : هو القاضي فخر الدين إبراهيم بن لقمان ، كاتب السر في ذلك الوقت توفي سنة ٦٩٣ هـ (الأعلام ج ١ ص ٥٣) .

(٥) ديوانه ص ٩٧ بتحقيق : محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٥٥ م .

والقصيدة مهلهلة النج ، وضميفة التعبير ، إلا أنها تشير إلى حدث
عظيم وقع في عصر الشاعر فسجله في تلك الأبيات التي تدل دلالة صادقة
على تأثير الشاعر بأحداث عصره .

ولقد فسح المصريون بهذا النصر العظيم على الصليبيين ، إلا أن
(نوران شاه) ، قد حدثته نفسه بذلك الانتصار ، فطفق وخصى ، وطمس
ماليك أبيه بشدة ، وقسوة ، كما أساء إلى زوجة أبيه — شجرة الدر — ناسيا
أنها السبب في حكمه البلاد ، ما جعلها ترحل إلى أمراء المماليك قائلين
لهم : " اقتلوا (نوران شاه) ، وعلى رضاكم بكل ما يمكن " . ويدوان ذلك
الأمر صادم هوى في نفوسهم ، وحرك ضغينة في قلوبهم ، فقتلوه سنة ٦٤٨ هـ (١)
ثم أجمعوا أمرهم على أن تتولى شجرة الدر حكم البلاد ، بمساعدتها في ذلك
عز الدين أيك ، ولكن الخليفة الحامى — حينئذ علم ذلك — أرسل إلى أمراء
المماليك قائلا لهم : " إن لم يكن عندكم في مصر رجال يصلحون للسلطنة
فأعلمونا نرسل لكم من يصلح لها " . (٢)

وكان لرأى الخليفة أثره ، إذ اتفق الأمراء والقضاة على أن تنزع
شجرة الدر عن الدين أيك وتتنازل له عن الحكم ، بعد أن تخلع نفسها منه ،
وتم ذلك فعلا — وذلك انتهت دولة الأيوبيين ، وطوت صفحاتها بعد فسيحة
حافلة بالاضطرابات ، مليئة بالحروب — كما رأينا ذلك سابقا عند الحديث عن بعض
أمرائهم ، وأهم الحوادث التي وقعت في عهدهم .

وهما يكن من شئ ، فقد بدأ عصر المماليك سنة ٦٤٨ هـ ، بعدما تولمى
حكم البلاد عز الدين أيك الذى لقب باسم (المعز) . ولكن زوجته — شجرة
الدر — قتله بمساعدة بعض المماليك سنة ٦٥٥ هـ ، عندما رآته قد مال إلى غيرها
من النساء ، فغضب أمراء المماليك ، وخاصة ماليك المعز — على شجرة الدر ،
ودبروا خطة انتهت بتتلها سنة ٦٥٦ هـ (٣) .

وانتقلت السلطة إلى علي بن أيك — بعد مقتل أبيه المعز — ولقب بالملك

(١) تاريخ مصر ج ١ ص ٨٩ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٩١ .

المنصور ، ونظرا لصغر سنه قام بمعارضة سيف الدين قطز ، الذى تمكن بمساعدة قصيرة من الاستيلاء على السلطة سنة ٦٥٨ هـ (١) .

ويبدو أنه لم توجد معارضة أمام هذا التصرف من قطز ، لأن الأحداث مكتوبة من ذلك ، إذ جاءت الأخبار - بعد استيلائه على السلطة مباشرة - تحمل نبأ هجوم التتار على مصر بعدما دخلوا بغداد وغربوها فأسرع الجيش المصرى بقيادة قطز لصد هؤلاء الطفلة .

والتعم الجيشان فى (عين جالوت) سنة ٦٥٨ هـ (٢) ، وصاح قطز " وإسلاماه - اللهم انصر عبدك قطز على التتار " (٣) فكانت صيحة لها أثرها فى القائمين وجنوده ، فقاتلوا قتالا عنيفا ، ولم تلبث الحرب أن وضعت أوزارها معلنة انتصار الجيش المصرى على هذا العدو الأثيم ، وفرح المصريون ، بل فرح المسلمون بذلك النصر المبين ، وإزيت القاهرة وارتفعت أعلامها ، وخرج الناس يستقبلون الجيش المظفر بقيادة قطز ، إلا أنهم فوجئوا بمن يحلن :

" ترحموا على الملك قطز ، وادعوا بالنصر للملك الظاهر بيبرس " (٤) .

فدعشوا من هذا الخبر . ولم يصدقوا ما سمعوا إلا عندما ثبت لهم فعلا أن الظاهر بيبرس قتل الملك قطز ، عندما رفض أن يولى إحدى الإمارات - ما أنشأ مشاعرهم ، وألهب فيضهم على بيبرس ، ولكن ماذا يفعلون ؟ لقد تولى بيبرس حكم البلاد (٥) ، وأراد أن يكسب ثقة الناس وينال رضاهم ، فأعاد الخلافة العباسية مرة ثانية إلى الوجود سنة ٦٥٩ هـ بعدما قضى عليها التتار فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ (٦) وذلك بتعيين أبى القاسم أحمد خليفة (٧) ، مما أدى إلى رضا الناس عنه طول مدة حكمه التى استمرت بضع عشرة سنة (٦٥٩ - ٦٧٦ هـ) كانت كلها نضالا ضد الصليبيين الذين عاودوا هجومهم من حين لآخر ، إلا أن النصر كان حليف بيبرس فسعى

- (١) المرجع السابق .
(٢) (عين جالوت) ويقال لها : (عين الجالوت)
أيضا - بليدة لطيفة بين بيسان و نابلس من أعمال فلسطين : انظر معجم البلدان ج ١ ص ٢٥٤ .
(٣) تاريخ مصر ج ١ ص ٩٧ . بتصرف . (٤) المرجع السابق ج ١ ص ٩٨ ، والمقرئ الخياط ج ٢ ص ٢٣٠ طبعة دار التحرير بالقاهرة سنة ١٩٦٨ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) الخياط ج ٢ ص ٣٧٥ . (٧) هو : المستنصر بالله ، وأحمد بن محمد بن الناصر لدين الله العباسى توفى سنة ٦٦٠ هـ (الأعلام ج ١ ص ٢١١) .

كل ممارسه ، وعندما توفي سنة ١٧٦٦ هـ . خلفه ابنه (بركة خان) ولكنه كان شابا عابثا ، فاضطر الأمراء إلى خلعه - وفي مقدمتهم صهره (قلاوون) وعينوا أخاه الأصغر (سلامش) ملكا ومعاذه في الحكم (قلاوون) نظرا لصغر سنه ، ولكن (قلاوون) لم يلبث أن عزل (سلامش) وتولى حكم البلاد سنة ١٧٧٨ هـ (١) وعنى بالاصلاحات الداخلية ، فأقام عدة منشآت - على الرغم من وقوفه في وجه الهجمات الصليبية وغيرها وانتشاره عليها - ومن أهم هذه المنشآت :
البيمارستان (٢) والمدرسة التي دفن فيها سنة ١٧٨٩ هـ .

ولقد أشاد البوصيري ببعض هذه المنشآت في قصيدة طويلة (٣) ، ومنها
نسى وصف مئذنة القبة يقول :

مئذنة في الجوتشرن في الدجي عليها هدى للعالمين ونور
يمد إليها الحاسد الطرف حمرة فيرجع عنها الطرف وهو حسير (٤)

ويتحدث عن المدرسة ومكانتها ، بقوله :

مدينة علم والمدارس حولها قري ، أو نجوم بدرهن منير
والأبيات سهلة المضمون ، سطحية الفكرة ، إلا أنها تشير إلى تأثر الشاعر بالحياة السياسية والاجتماعية في عصره ، ولعل ما يوهك ذلك أنه عندما خرج (الأشرف خليل) بن (قلاوون) - لفتح عكا سنة ١٧٨٩ هـ (٥) ، رأى البوصيري في ضامه من يقول : " أخذ المسلمون عكا .. " فقام من نومه وأشد :

-
- (١) تاريخ مصر ج ١ ص ١٠١ وما بعدها . (٢) البيمارستان : كلمة فارسية بمعنى (مستشفى) وهي مركبة من (بيمار) بمعنى مريض أو مرضى ، و (ستان) بمعنى مكان . انظر أحمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ص ٨٤ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥١ . وله أيضا القاموس الإسلامي ج ١ ص ٤١٣ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٣ .
(٣) ديوانه ص ١٠٢ وما بعدها .
(٤) يبدو تأثر الشاعر في نظمه بالفاظ القرآن الكريم مثل : ((هدى للعالمين)) سورة آل عمران ٩٦ و ((يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِير)) الملوك ٤ .
(٥) عكا (بالآلف كما تكتب بالتاء - عكة) ، يفتح أوله وتشديد ثانيه المفتوح أيضا - اسم يك على ساحل بحر الشام - البحر الأبيض المتوسط الآن - من أعمال الأردن ، وهي من أحسن بلاد الساحل ، (معجم البلدان ج ٦ ص ٢٠٥) .

قد أخذ المسلمون عكسها
وأشبهوا الكافرين عكسها (١)
وساق سلطانتها اليهم
خيل تلك الجبال دكها

وثان هذا بشابة البشرى ، إذ لم تلبث الأنباء أن وصلت بانتصار الأشرف على
الصلبيين في (عكا) ولكن أمراء المماليك حقدوا على الأشرف ، فدهروا مؤامرة انتهت
بقتله سنة ٦٦٣ هـ (٢) ، فتولى الحكم بعده (بهدرا) لأنه هو الذى نسج خيوط
المؤامرة فتوفى باختباره سلطانا ولقب بالملك الأوحى ، إلا أن عين الله لا تنام ، فكسل
جزاؤه من جنس عمله ، إذ قتل على يد الأمير (كنهيا) ، وأسند الحكم بعده
إلى محمد بن (قلدون) اللقب بالناصر (٣) ، ونالت مدة حكمه سنة واحدة ٦٦٣ -
٦٦٤ هـ استأثر (كنهيا) بعد ما بالحكم بعد أن قتل منافسه (منجر الشجاعى)
الوزير (٤) .

ولكن الأمور لم تسر كما أراد (كنهيا) ، إذ غضب عليه الشعب بسبب الجاععات
التي حدثت ، والأوبئة التي انتشرت (٥) ، فانتقز نائبه (لاجين) تلك الظروف وصمم
على قتله ، إلا أن (كنهيا) استطاع أن يفر إلى دمشق سنة ٦٦٦ هـ عندما علم
بما يحاك عنده ، وبقى بهما إلى أن توفى سنة ٧٠٢ هـ (٦) وحكم الهدد - بمسند
قراره - (لاجين) سنة ٦٦٦ هـ ، ولم يستمر فى الحكم طويلا ، إذ قتله أحد التآمرين
وسويوهدى صلاة النساء سنة ٦٦٨ هـ (٧) ، وسى السنة التي توفى عنها البوصيرى فليس
أرجح الآراء - كاسياتى (٨) .

الحالة الاقتصادية :

أتمت الحالة السياسية فى عصر الشاعر بالقلق وفلاضطراب - كما رأينا - ولمصل
ما ساعد على ذلك تلك الحروب التي سنها الصليبيون والتتار إلى جانب التمسك

- (١) تاريخ مصر ج ١ ص ١٢٤ ، ديوان البوصيرى ص ١٣١ .
- (٢) تاريخ مصر ج ١ ص ١٢٨ .
- (٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٢٧ .
- (٤) المرجع السابق ج ١ ص ١٣١ .
- (٥) تاريخ مصر ج ١ ص ١٣١ ، المقريزى : السلوك لمصرفة دول الملوك ، ج ١ ص ٣ .
- (٦) تحقيق محمد مصطفى زيادة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٠ .
- (٧) تاريخ مصر ج ١ ص ١٣٥ .
- (٨) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٨ .
- (٩) انظر ص ٥٦ من هذه الرسالة .

والمنازعات بين الأمراء الذين فتك أقوامهم بأضعفهم من أجل الاستيلاء على مقاليد الحكم .

ومن البدهى أن مثل هذه الحالة تؤدي - غالبا - إلى حالة اقتصادية سيئة ، نعم كانت هناك فترات انتعاش اقتصادي وخاصة في عهد بعض الأيوبيين وبعض المالكيين ، إلا أن الطابع العام يشير إلى أنها كانت سيئة بل كانت مفضة في السوء ، لأن السلاطين انصرفوا عن الاهتمام بمصالح الشعب إلى مصالحهم ، فلم يوفرُوا له العيش الرغد ، والحياة الطيبة ، بل إنهم ظلموا الناس بفرض الضرائب الباهظة ، واحتكار أموالهم ، وإهمال شؤونهم ^(١) ، فكان ذلك سببا في انتشار الفقر والجوع ، واضطر الناس إلى أكل الميتة ^(٢) ، وزاد الأمر سوءا انخفاض منسوب الماء النيل عدة سنوات ^(٣) ، مما ساعد على ارتفاع الأسعار ، وكثرة اللصوص الذين عظم خطرهم ، ولم يتورعوا عن نهب القبور ، وخاصة مشاهد آل البيت ^(٤) .

وما يندى له الجبين أن بعض المالكيين تخلوا عن صفاتهم الحربية ، وانغمسوا في الفاسد ، واستأروا البطالة ، وعاشوا عالة على غيرهم ، حتى وصلوا بأقبح الصفات ، وأخس السمات ، ولذا قال عنهم بعض المؤرخين : ٠٠ لم يكن لهم صناعة إلا نهب البضاعة ، يتقنون على الضعيف ، ويشرهون حتى في الرفيف ^(٥) ٠٠٠ . و ((٠٠ ليس فيهم إلا من هو أذى من قرد ، وأذى من فأرة ، وأفسد من ذهب ^(٦))) . ولقد كان لذلك كله أثر كبير في حياة الناس ، فانتشرت الرشوة بين الموظفين وكثر السلب والنهب بين المستخدمين ، وتحكوا في أقوات غيرهم ^(٧) ، ولمسل هذا هو الذي دفع البوصيري إلى الحملة عليهم بمثل قوله ^(٨) :

-
- (١) تاريخ مصر ج ١ ص ٩٦ وما بعدها . (٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٣ .
 (٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٠٣ . (٤) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣٠٦ .
 (٥) ابن تينى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٢ ص ٣٢٦ طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٨ .
 (٦) الخطط ج ٣ ص ٣٤٨ .
 (٧) المقرئى : إغاثة الأمة بكشف الفحة (أو تاريخ المجاعات في مصر) ص ٢٨ وما بعدها طبعة دار ابن الوليد بمصر سنة ١٩٥٦ .
 (٨) ديوانه ص ٢١٨ .

فلم أر فيهم جراً أميناً
بهم ، فكانهم سرقوا الميونا

نقدت طوائف المستخدمين
فكسب سرقوا الضلال وما عرفنا

ولم يقف الشاعر عند ذلك الحد ، بل صور أثرهم السيء ، وجشعهم الفظيع بقوله (١) :

أرى المستخدمين مشوا جميعاً
مما شر لو ولّوا جنات عدن
على غير الصراط المستقيم
لصارت منهم نار الجحيم
نما من بلدة إلا ومنهم
عليها كل شيطان رجيم

وهكذا كانت الحالة الاقتصادية في ركود تام ، وأصبح الشعب أضيق من الأيتام على مائدة اللثام ، مما أدى إلى عظم الكرب ، وانتشار البؤس ، وكان نصيب الشاعر ، - من ذلك البؤس - كبيراً ، فالفقر يلزمه ، والمدم لا يكاد ينفك عنه ، مما دفعه إلى كثرة الشكوى في كثير من شعره ، ومن ذلك قوله (٢) :

ما نسي الزمان جواد
ولا لنيسل مسرود
يرجى لدفع العظام
ولا لبذل الكرام

الحالة الاجتماعية :

كان سوء الحالة الاقتصادية سبباً من أهم أسباب سوء الحالة الاجتماعية ، ومما زادنا سوءاً - أيضاً - أن المجتمع في ذلك العصر كان يتألف من عناصر شتى أصنافاً (٣) : العرب ، والقبط ، واليهود ، والأتراك ، وكانت هذه العناصر تنقسم إلى ثلاث طبقات هي :

طبقة الحكام (ومن تابعي في ركبهم) من أصحاب النفوذ والسلطان (وهو لا) على قلوبهم - استحوذوا على أتوات الشعب ، وعاشوا على الثراء الفاحش ، والفنى الممقوت (٤) .

(١) المرجع السابق ص ٢٠٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٨ .

(٣) المخطط ج ١ ص ٣٦٤ .

(٤) المرجع السابق .

وطبقة الرعية : وهى التى تشمل التجار ، والنزاع ، وأرباب الحرف ، وهو لا - على كثرتهم - عانوا شدة الفقر ، وضجوا من البؤس ، ومع ذلك كانوا يكيدحون من أجل لقمة عسيب من تعليم أولادهم ، وطمح يوارى سواتهم على الرغم من الضرائب الباهظة التى كانت تفرض عليهم ظلما وعدوانا (١) .

وأخيرا طبقة أهل الذمة : من اليهود والنصارى - وهو لا كانت حالتهم المالية لا بأس بها ، إذ شغلوا مناصب هامة فى الدولة ، كانت تدر عليهم الأموال ، ولكنهم كانوا ينتهزون الفرض لإثارة الشغب والاضطراب ، مثل الحرائق التى أشعلوها فى القاهرة سنة ٦٦٣ هـ (٢) ، ويبدو أنهم طفوا ونفوا ، مما جعل السلطان (قانزون) يصدر مرسوما بخدم استخدام أحد عن أهل الذمة سنة ٦٨٩ هـ (٣) ، كما يبدو أن مشاحنات نشبت بين الطوائف الثلاث - المسلمين ، والنصارى ، واليهود - فى ذلك العصر يشير إلى ذلك البوصيرى فى بعض قصائده ، مثل قوله (٤) :

يقول المسلمون : لنا حقوق	بها ، ونحن أولى الآخذينا
وتال القبط : نحن ملوك مصر	وأن سواهم هم غاصبوننا
وحالت اليهود : بحفظ سبت	لهم مال الطوائف أجمعينا

وما يؤسف له أن بعض رجال القضاء ، وبعض الفقهاء ، ساروا فى ركاب الأمراء ، ووافقوهم على بعض تصرفاتهم الجائرة تقربا إليهم (٥) ، ولعل هذا هو الذى دفع الشاعر إلى أن يحمل عليهم حملة شعواء ، بعثل قوله (٦) :

-
- (١) تاريخ مصر ج ١ ص ٩٦ وما بعدها . (٢) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٥٢٥ .
 (٣) المرجع السابق ج ١ ص ٣٠٣ . (٤) ديوانه ص ٢١٨ ، والشعر فى قوله : (بها) يعود إلى مصر التى أشار إليها فى أول القصيدة .
 (٥) السبكى : مشيد النعم وجميد النقم ص ١٠١ طبعة دار الكتاب العربى بمصر سنة ١٣٦٧ هـ .
 (٦) ديوانه ص ٢١٨ .

تفقهت القضاة ، فخان كل
وكم جعل الفقيه العدل ظلما
أطاعه ، وسموه الأئمة
وعير باطلا حقا مينا
وما أخشى على أموال مصر
سوى من معشر يتأولونها

والأبيات — وإن كانت ضعيفة النسيج — يصور بعض ما شاع في عصر الشاعر من
مفسد ما جعل بعض الكتاب يجيب بهذه القصيدة (١) . وخاصة قول الشاعر :
(وما أخشى ٠٠ البيت) وعلق عليه قائلا : " فانظر إلى البيت الأخير من تقديمه
مصلحة مصر على كل اعتبار ، فلم يذكر مصلحة تهمة ، وإنما ذكر مصلحة مصر في وقت
لم تعرف فيه سوى المصلحة الذاتية ، وهذه من غير شك شبهة من وثباته ، لا يسعنا
إلا أن ننحنى أمامها إجلالا وإكبارا ٠٠ (٢) .

ولم يكن البوصيري ينقد المستخدمين القريبين منه ، لسوء معاملتهم إياه ،
كما سيأتى (٣) — بدليل أنه نقد مستخدمى (أسوان) (٤) مع بعد المسافة بينه وبينهم
، فما الذى دفعه إلى ذلك ؟ لابد أنه سمح ما وقع على الرعية من أذاهم وظلمهم
، فثارت نفسه ، وجاشت عاطفته ، بقصيدة طويلة ، كشف فيها عن معاشهم ، ولفت
نظر السلطان إليهم ، ومن ذلك قوله : (٥)

انظر بحقك فى أمر الدواوين
فالكمل قد غيروا وضع القوانين
اكشف بنفمك (أسوانا) ومن ممها

من الصميد بلا قسم مأكسين

بل إن الشاعر ليملن فى صراحة وجراحة — فى قصيدة أخرى — استمداده
لجهاد هؤلاء المستخدمين بنفسه ، إذا نصرته الرعية ، وعارضته ، فيقول (٦) :

وإن تنصرونى قمت فيهم مجاهدا
فإنهم لله أعصى وأكسر

(١) المدائح النبوية ص ١٧٣ (٢) مقدمة ديوانه ص ٤١
(٣) انظر ص ٥٢ من هذه الرسالة . (٤) (أسوان) بضم فسكون ، وورد (سوان)
بنير الهمزة وضم السين — مدينة كبيرة فرعونية فى آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل
(معجم البلدان ج ١ ص ٢٤٨) . بينها وبين القاهرة ٨٧٩ كم تقريبا .
(٥) ديوانه ص ٢١٦ و (بلا) أصلها (بلا) حذف الهمزة للوزن .
(٦) المرجع السابق ص ١١٢ .

إن شمر الهوصيرى - فى الحقيقة - يوضح كثيرا من فساد الإدارة فى عصره ، وبين جشع الموظفين ، وسوء معاملتهم للشعب ، وخاصة أنه قد رأى ذلك منهم عن تجربة فاكوى بنارسم ، والطبع ما جرى له جرى لغيره من أفراد الشعب المشلول على أمره فى ذلك العهد الذى تسدت فيه الأخلاق ، وانهار صرحها ، ولعل مما ساعد على ذلك كثرة الحروب والاضطرابات الاقتصادية والسياسية - كما سبق -

ويبدو أن سلاطين الماليك أرادوا صرف الناس عن التفكير فى شئون الدولة ، فعمدوا لهم طريق الفساد ، مما ساعد على انتشار " عدوى الترف والإسراف بين القادرين من الناس ، وصحب ذلك ما هو محتوم من أمراض اجتماعية ، تتمسك فى أحضان الترف والملاذات ، من شرب الخمر ، واعتناق المنكرات ، وفعل الموهقات ، كما شاع الفس ، وانتشر الدجل (١) . " وما يؤكد ذلك قول بعض المؤرخين " .. ثم رحلت سنة ٦٦٥ هـ ، فيها أبطل السلطان - بيبرس - ضمان الخيشية ، وأمسر بإحراقها ، وأخرب بيوت المسكرات ، وكسر ما فيها من الخمر وأراقها ، ومنيع الحانات (٢) . " واستطرد ذلك المؤرخ فى ذكر كثير من الفاسد التى أجل بحشى عن ذكرها ، ومن أراد المزيد فعليه بكتب التاريخ التى أرخت لذلك العصر (٣) .

الحالة الثقافية :

ولعل مما يشير المبدأ أن تكون معظم شئون الحياة فى ذلك العصر لا تفرح صدرا ، ولا تسر خاطرا ، وأن تكون الحالة الثقافية على جانب كبير من النهوض والتقدم ويبدو أن سبب ذلك يرجع إلى عوامل كثيرة .. منها :

١- طغيان جحافل التتار على آفاق الشرق الإسلامى ، ودخولهم بغداد سنة ٦٥٦ هـ هجرية ، ولم يتركوها إلا بعد ما أصبحت قاعا صفصفا ، لا ترى فيها كتابا إلا مزق أو حرق ولا تحت عن عالم إلا تجده إما قتل وإما سرب (٤) ، ومن

(١) جرجى زيدان : تاريخ مصر الحديث ج ١ ص ٣٢٠ مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٨٨٩ .

(٢) تاريخ مصر ج ١ ص ١٠٤ .

(٣) المرجع السابق ، والبداية والنهاية ج ١٣ ص ١٤٣ وما بعدها .

(٤) النجوم الزائرة ج ٧ ص ٥٠ وما بعدها .

استطاع الهروب قصد القاهرة التي أصبحت مركزاً علمياً لنشر الثقافة العربية والإسلامية (١) ومن أشهر هؤلاء العلماء : الصدر البكري (٢) .

٢- عندما هاجر العلماء من بغداد إلى القاهرة وجدوا إخوانهم العلماء من الأندلس (٣) قد سبقوهم فراراً من بطش الفرنجة الذي أتى على الأخضر واليابس في بلادهم ، ومن أشهرهم : ابن مالك النحوي (٤) .

٣- شمر هؤلاء العلماء بأن عليهم واجباً إنسانياً كبيراً يدعوهم إلى إعادة تلك الثروة العلمية التي قضى على معظمها في بغداد ، وبوهدت معالمها نفس الأندلس ، فمكفوا على التأليف والتصنيف في جميع ألوان العلوم والفنون ، مما كان سبباً في ظهور المؤلفات الضخمة التي تعد موسوعات جامعية ، أو دوائر معارف عظيمة القدر ، عالمة الشأن ، كما أنهم لم يتركوا كتباً العلماء السابقين ، بل أولوها عنايتهم إما بالشرح ، وإما بالتلخيص ، وإما بالتنقيح والتهديب (٥) ، وخاصة الكتب القيمة منها .

٤- تشجيع كثير من الأمراء لهؤلاء العلماء ، وتوفير سبل الحياة الكريمة لهم ، بل كان منهم من يجالسهم ، مثل الملك العادل ، وابنه الكامل (٦) .

٥- تنافس الأمراء وتسايقهم إلى إنشاء كثير من المساجد والمدارس ، وذلك ولوجها بتخليد ذكركم ، ونشر الجليل من أعمالهم ، كما أنهم حبسوا عليها الأوقاف ، وأجروا الرواتب والإعانات لمدرسيها وطلابها (٧) .

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥ طبعة دار الشعب بصر سنة ١٩٧١ .

(٢) هو : أبو علي الحسن محمد النيسابوري الطوسي سنة ٦٥٦ هـ .

(٣) انظر : تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ١٢٤ وما بعدها طبعة دار الهلال سنة ١٩٣٦ .

(٤) هو : جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك ، صاحب كتابي التمهيد والكافية في النحو توفي سنة ٦٧٢ هـ . انظر الميوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٣١٥ مطبعة إدارة الوطن بصر سنة ١٢٩٩ هـ .

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ١٢٤ .

(٦) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٣٠ .

(٧) خطط القرطبي ج ٣ ص ٣٣٢ وما بعدها .

والحق أن بعض أمراء المالكية كان لهم ميل إلى العلم والعلماء ، وكانوا يتمسكون بالدين ويحفظون أهله ، لأنهم شعروا بأنهم حماة الإسلام ، وأن من واجبه المحافظة على تراثه ، كما أن بلادهم أصبحت موى الفكر الإسلامي ، والثقافة العربية بمسند فطائح التتار في بغداد - ولعل هذا هو الذي دفعهم إلى جعل اللغة الرسمية الرسمية للبلاد هي : اللغة العربية .

٦ - انتشار حركة التصوف ، وانغماس كثير من المريدین إلى ميدانها الفسيح وخاصة عندما وفد بعض المتصوفين من خاليج مصر إليها ، وذلك بسبب المعاملة الطيبة لأخوانهم ، وكان من أظهر رجال التصوف في ذلك العصر :
ابن الفارض^(١) وأبو الحسن الشاذلي^(٢) ، والعزیز بن عبد السلام^(٣) ، والمسيب الهدوی^(٤) وإبراهيم الدسوقي^(٥) ، وأبو العباس المرسى^(٦) ، وابن عطاء الله السكندري^(٧) وغيرهم كثير .

٧ - كثرة الجدال الديني بين المسلمين والأقباط واليهود في ذلك العصر ، ويبدو أن الحركة الصليبية حركت دفاشهم ، وأظهرت مكنون صدورهم ، فانطلق العلماء والشعراء المسلمون يجادلونهم ، ومن خير ما يصور لنا ذلك الجدال الديني قصيدة البوصيري اللامية ، التي تتنازع بأسلوبها المنطقي ، وجدلها المصنوع بالسخرية اللاذعة ، والتبكيك الشديد ، ومنها قوله^(٨) :

جاء المسيح من إله رسولاً	فأتى أقل المالعين عقولاً
قوما رأوا بشراً فادعوا	من جهلهم الله فيه محلولاً
وصابية ما صدقته فأكسرت	بالأفك والبهتان فيه القبولاً

(١) هو : أبو حفص عمر بن علي بن المرشد ولد سنة ٥٧٦ هـ وتوفي سنة ٦٣٢ هـ (حسن

المحاضرة ج ١ ص ٢٩٦) . (٢) هو : أبو الحسن علي بن عبد اللطيف

عبد الجبار ولد سنة ٥٩٣ هـ وتوفي سنة ٦٥٦ هـ (المرجع السابق ج ١ ص ٢٩٨) .

(٣) هو : عبد العزيز بن عبد السلام ولد سنة ٥٧٧ هـ وتوفي سنة ٦٦٠ هـ (المرجع السابق

ج ١ ص ١٧٢) .

(٤) هو : أبو النتيان أحمد بن علي بن إبراهيم ولد سنة ٥٩٦ هـ وتوفي سنة ٦٧٥ هـ

(المرجع السابق ج ١ ص ٢٩٩) .

(٥) هو : أبو السنين إبراهيم بن أبي المجد ولد سنة ٦٣٣ هـ وتوفي سنة ٦٧٦ هـ (انظر

ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٥ ص ٣٥٠ مكتبة القدسي سنة ١٢٥٠)

(٦) هو : أبو العباس أحمد بن علي المرسى ولد سنة ٦١٦ هـ وتوفي سنة ٦٨٦ هـ (حسن

المحاضرة ج ١ ص ٣٠٠) .

(٧) هو : تاج الدين أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري ولد سنة ٦٥٩ هـ وتوفي سنة

٧٠٩ (المرجع السابق ج ١ ص ٣٠١) . (٨) ديوانه ص ١٢٧ .

وقد سماها الشاعر " المخرج " أو " المردود " في الرد على النصارى واليهود " وقدم لها بقوله : (١) " رأيت كتب النصارى واليهود مشحونة بما ينكرون من بمث النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وفيها القول بخلاف ما يدعونه من ألوهية عيسى - صلى الله عليه وسلم " .

فمرضت في هذه القصيدة إلى ذكر ما سهل نظمها من ذلك ولقيت
أعجب بهذه القصيدة بمن الكتاب فقال عنها : " قد لا نرى في الشعر العربي
- كله - قصيدة جدلية عهد فيها الشاعر إلى القرع بالحجة ، والدفع بالدليل
، وكان نفسه فيها طويلا طول نفس البوصري . . . (٢) " .

وإذا كانت الثقافة قد نهضت في ذلك العصر ، فإن إحياء العلوم كان أكثر
من إحياء الآداب . (٣) - ولعل منشأ ذلك وردة إلى أن حاجة العصر إلى العلم
كانت أكثر من حاجته إلى الأدب ، بالإضافة إلى أن روح الأدب لم تجد مهيئتها
إلى الملوك والأمراء الذين شغلوا بالحروب الخارجية والتفنن الداخلية ، كما كان
منهم أعاجم ، لم يتوافر لهم الحس اللغوي ، ولا التدقيق الجمالي للشعر ، ومن ثم
لم ينصتوا للشعراء ، ولم يحفظوا عليهم ، مما جعلهم يحترفون هذا لحاجتهم ،
وحفظا لرفعتهم (٤) ، فكان منهم الوراق (٥) ، والجزار (٦) ، والكحال (٧) وغير ذلك ،
ومن هنا . . . هانت على كثير من الشعراء صناعة الشعر ، فترك أسلوبه ، وثقه معنياء ،
وكرر فيه السقط والسخف ، وتجد هذا ظاهرا بوضوح في شعر البوصري ، فإذا قرأت
قوله وهو يصف حال أولاده (٨)

(١) المرجع السابق .

(٢) دراسات في النصوص الإسلامية ج ٢ ص ١٩٥ .

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ١٤ .

(٤) المرجع السابق ج ٣ ص ١٧٧ .

(٥) من أطلق عليه هذا اللقب : عمر بن محمد حسن الوراق توفي سنة ٦٩٥ هـ .

(٦) من سبب بهذا اللقب : أبو الحسن الجزار جمال الدين يحيى بن عبد العظيم توفي
سنة ٦٧٩ هـ .

(٧) من عرف بهذا اللقب : شمس الدين محمد بن دانيال توفي سنة ٧١٠ هـ .

(٨) ديوانه ص ١١٨ .

صاموا مع الناس ولكنهم
كانوا لمن أبصرهم عسيرة
وأقبل العيد وما عندهم
قمح ولا خبز ولا فطرة

إذا قرئت ذلك الوصف ثم تأملت قوله وهو يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم (١)

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأحوال متحسم
منا إلى الله فالمستمعون بسبه مستمعون بحبل غير منقصم

يخول إليك أن القولين لشاعرين مختلفين ، ثم يمتلكك العجب ، وما خيذك الدهش ، إذا تبينت أنهما لشاعر واحد ، ولكنه عاش في عصر كله حروب واضطرابات سياسية ، وأزمات اقتصادية وتفاوت بين الطبقات الاجتماعية ، فانتشرت الفاقة ، وهم البؤس بين أفراد الشعب ، وبهم الشاعر الذي اضطرب إلى بث شكواه إلى السبي بعض أمراء عصره ، لعله يجد عندهم ما يؤزل عسرته ، أو يخفف كآلهه .

فكان عليه أن يلجأ إلى مثل هذا اللون من الشعر الذي يقرب إلى أفهام الأمراء الذين لا يطرب أكثرهم للشعر الجزل بسبب ضعف عروقتهم .

أما حينما اتجه إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم - فكان يوتر الشعر الجزل ، والحكمة الصادقة ، والتقول الرصين ، لأنه يمدح الصبح العرب ، وصاحب جوامع الكلم ، صلى الله عليه وسلم .

ومد : •• فلعل هذا التثقل في شعر الشاعر أثر من آثار البيئية ، ولعله دليل على أن الإنسان ابن بيئته ، ودافع قوى إلى الاستمرار في نفس الحديث عن بيئة الشاعر والإمام بمعظم نواحيها .

نعيمة :

اختلف المؤرخون وأصحاب التراجم في سلسلة نسب البوصيري بالتقديم والتأخير والزيادة والنقصان ، إلا أن معظمهم كاد يتفق على أنه : الشاعر الإمام (٧) صدّاح

(١) المرجع السابق ص ١٩٣ وما بعدها .

(٧) خلع عليه ذلك اللقب كبير من الكتاب ، وخاصة المحدثون منهم ، ويبدو أن شهرته بعدائه النبوية كانت السبب في ذلك . انظر : تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ١٣٠ ، دراسات في التصوف الإسلامي ج ٢ ص ١١٢ وما بعدها ، ابن حجر الهيتمي : شرح الهزبة ص : ٢ المطبعة البهية بمصر سنة ١٣٠٩ ، الزبيدي : تاج المروس ج ٣ ص : ٤٩ المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ .

الرسول (عليه الصلاة والسلام) • محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله
ابن صنهاج بن هلال الصنهاجي، المكنى بأبي عبد الله، والملقب بشرف الدين (١).

مولده :

ولم يكن مولد الشاعر أصحح حظاً من سلسلة نعبه، إذ اختلف فيسـه
المؤرخون كذلك، فمنهم من ذهب إلى أنه ولد في يوم الثلاثاء غرة شوال
سنة ٦٠٨ هـ (٢) الموافق ٧ من مارس سنة ١٢١٢ م (٣)، وذلك في قرية : دلاص
(بفتح الدال) (٤)، وقيل : (بكرها) (٥) - وهي قرية بصعيد مصر تقع غربي
النيل، منها : حسان بن غالب (٦) راوى الحديث عن مالك بن أنس (٧)، والليث
ابن سعد (٨) (رضي الله عنهم) •

ونشأ في (بوسير) - بكسر الصاد بعدها ياء ساكنة - ونسبى

- (١) ابن شاکر : فوات الوفيات ج ٢ ص ٤١٢ بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد
مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥١ هـ والدكتور / عبد الحميد يونس بالاشتراك
مع غيره : دائرة المعارف الإسلامية المجلد الرابع ص ٣٢٨ طبعة دار الشعب
بمصر سنة ١٩٧١ •
- (٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٠٤ والدكتور إبراهيم عبده بالاشتراك مع غيره : الموسوعة
الذهبية ج ١ ص ٥٣ مطابع البلاغ بمصر سنة ١٩٦٣ •
- (٣) اللواتي محمد مختار : التوفيقات الإلهامية ص ٣٠٤ المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٣١١ هـ
- (٤) معجم البلدان ج ٤ ص ٦٦ •
- (٥) شرح الهمزية ص ٣ •
- (٦) هو : أبو القاسم حسان بن غالب الدلاص، توفي سنة ٢٢٣ هـ (معجم البلدان
ج ٤ ص ٦٦) •
- (٧) هو : الإمام مالك بن أنس بن مالك، إمام دار الهجرة توفي سنة ١٧٨ هـ على الصحيح
(وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٤) •
- (٨) هو : أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن، إمام أهل مصر
في الفقه والحديث توفي سنة ١٧٥ هـ (المرجع السابق ص ٣ ص ٢٨) •

الآن (بوضير الحلق) (١) ، كما تراءى عليها الهمة ، فيقال لها : (أبووضير) (٢) -
وهى قرية بصعيد مصر ، وتقرب من دلاص . ومنها هبة الله بن على (٣) وخاتمان
القرينان - (دلاص) و (بوضير) تتبعان محافظة بنى سويف ، إحدى محافظات
جمهورية مصر العربية .

وذهب بعض المؤرخين إلى أن الشاعر ولد فى (بهشيم) بوزن - تعلبسم
- قرية من أعمال البهنسا ، ونشأ فى (دلاص) (٤) سنة ٦٠٦ هـ أو سنة ٦٠٨ هـ ،
أو سنة ٦١٠ هـ (٥) . وقد ذهب بعض الكتاب إلى أنه ولد فى سنة ٦١٤ هـ ، وهذا
الرأى أشد الآراء غرابة (٦) . إلا أن الرأى الأول هو أرجح الآراء ، لأخذ كثير
من المؤرخين به . وويل أغلبهم إليه ، ولعل ما يقوى ذلك - أيضا - أن أحد

(١) ونسب أيضا (بوضيرنا) وكانت تسمى قديما (بوضير قوريدس - أو - كوريدس)
وقيل : إنها إحدى قرى أربع فى القطر المصرى تسمى بهذا الاسم وهى : بوضير
السدر بالقرب من الجيزة ، وبوضير دفتو بالقرب من الفيوم ، وبوضير بنا بالقرب من
منفرد التابعة لمحافظة الغربية ، انظر : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٠٦ ، وفيات
الأعيان ج ٥ ص ١١٢ - وقيل : إن البوضيرات سبع : الأربع السابقة ، ونسب
مديرية البحيرة قرية درست وثبت آثارها على سلسلة الجبال المتصلة بالإسكندرية
وفى محلها الآن قلعة بوضير ، وفى الإسكندرية ، وفى الصعيد الأعلى
بلدة بهذا الاسم فى جهة (ققط) ، وفى القليوبية قرية تسمى بوضير شرقى
بركة الحاج ، انظر : محمد أمين : جغرافية مصر ص ٦٢ مطبعة وادى النيل
سنة ١٢٩٦ هـ .

(٢) تاج المروس ج ٣ ص ٤٩ .
(٣) هو : أبو القاسم هبة الله بن على أحد رجال الحديث توفى سنة ٥٩٨ هـ انظر : معجم
البلدان ج ٢ ص ٣٠٦ .
(٤) ابن تفرى بردى : الضهل الصافى ج ٣ ص ١٥٨ بتحقيق أحمد نجاشى ، مطبعة
دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٦ ، الأعلام ج ٧ ص ١١ .
(٥) المقريزى : المقفى ج ١ ص ٢٥٠ مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم
٥٣٧٢ تاريخ .

(٦) لانفراد قائله به ، مع عدم ذكره المصادر التى استقى منها رأيه
كما أنه لم (يعاصر) الشاعر . انظر : جغرافية مصر
ص : ١١٣ .

أبوى الشاعر كان من (دلاص) • وكان الآخر من (بصير) ^(١) • ومنها تمت
الشاعر لنفسه نسبة مركبة فقال : (الدلاصيرى) ^(٢) .

كما قيل له : (الدلاصى) • ولكنه شهر بالبوصيرى والأبوصيرى والأباصيرى ^(٣)
ومن الطريف أن بعض الشعراء أشار إلى ذلك بقوله ^(٤) :

(محمد بن سميد) حار منزلة	فى صادى الشعر أعيت كل نحر
ميلاده (بدلاص) ثم غادرها	بالمين والأمن تنفيذ القصد
وقد ترعرع فى (بصير) بلدته	ومنها جاء تركيب (الدلاصيرى)
هوائف الحق نادتنا مرخة	وحى القبول على لحد (الأباصيرى)

(١) لم تحدد المصادر التى ترجمت للشاعر بلدة أبيه وبلدة أمه • إلا المقرئ الذى قيل
: إن أباه من بصير • وأنه من دلاص • وتبعه فى ذلك محقق ديوان الشاعر انظر :
المحقق ج ١ ص ٢٥ • مقدمة ديوان البوصيرى ص ٤ • وقد ذهب الزركلى فى كتاب
الأعلام ج ٧ ص ١١ إلى عكس ما ذهب إليه المقرئ سابقا •

(٢) الفهمل الصافى ج ٣ ص ١٥٨ حيث قال مؤلفه : " إن البوصيرى كان مفرسًا
بمثل هذه المنحوتات حتى لقد سعى كما له (كساطا) ولما سئل عن سبب ذلك قال
: لا ننى ارتديه كما • وأقره بساطا • وهذا إن صح - يدل على فقر الشاعر
كما يشير إلى أنه سمع عن النحت فى لغة العرب مثل قولهم (حوئل) إذا قال :
لا حول ولا قوة إلا بالله • ومن المعلوم أن النحت سماعى • وليست له قاعدة
مطردة إلا فى النصب إلى المركب الإضافى • فبينى منه على تركيب كلمة واحدة
من اللفظين على وزن (فمئل) - بفتح الفاء - وسكون الميم وفتح اللام - يأخذ
الفاء والميم من كل لفظ ثم ينصب اللفظ الجديد مثل (عشى) فى عهد شمس •
انظر : السيوطى : المزهر ج ١ ص ٢٨٥ وما بعدها مطبعة المحادة بمصر
سنة ١٣٢٥ هـ •

(٣) وشهرته بالأباصيرى مخالفة للنصب القياسى • لأن بلدته تسمى (بصير) لا (أباصير)
وكذلك شهرته بالأبوصيرى مخالفة للنصب القياسى - أيضا - لأن زيادة الهمزة
على (بصير) بناء على أنها مركبة من (أبو) و (صير) كما ذكر ذلك الزبيدى
فى تاج العروس ج ٣ ص ٤٤ • والنصب إلى المركب الإضافى يكون بحذف صدره والنصب
إلى عجزه انظر : ابن جنى : شرحه على ألفية ابن مالك ص ٤٤٦ طبعة الشركة
المصرية للطباعة والنشر سنة ١٩٧٦ •

(٤) محمد كامل عبد العظيم : طراز البردة ج ١ ص ٤٣ مطبعة مصر
سنة ١٩٥٧ •

ومهما يكن من شيء فإن الشاعر مصرى المولد والنشأ ، مغربى الأصل ، إذ أن قبيلة صنهاجة التي ينسب إليها الشاعر توجد ببلاد المغرب ، واختلف النسابون في أمرها أبربرية أم عربية ؟ ولكن ابن خلدون ^(١) رجح أنها عربية ، ولقد أشار الشاعر إلى مغربيته في إحدى قصائده بقوله ^(٢) :

وإن كان مثلى مغربيا فما في صحة الأجناس من بأس

ولم تذكر كتب التاريخ - الممتدة - من الذى قدم من أصول الشاعر من المغرب إلى صعيد مصر إلا أن بعض الكتاب ^(٣) ، وهم أن أبوه مما اللذان قدما ، ولم يشير إلى مصدره في ذلك ، كما أنه لم يكن (معاصرا) للشاعر حتى يكون عجة في كلامه ، مما جعل بعض الكتاب ^(٤) يقول عن صاحب هذا الرأى :
 " .. ولنا منه على ثقة " .

أسرته :

يبدو أن أسرة الشاعر كانت رقيقة الحال ، متواضعة الشأن ، لم تميز بشيء عن غالبية الأسر المصرية - في ذلك الوقت - حتى يتجه المؤرخون بسبب ذلك الأمر - إلى الحديث عن تلك الأسرة ، أو يلفت نظرهم إليها ، ولمل ما يقوى ذلك أنهم اختلفوا في سلسلة نسب الشاعر ومولده - كما سبق - هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية أن الشاعر لم يتفن في شعره بمآثرة من مآثر أبائيه ، ولو كان لهم ما يستحق الإشارة إليه ، أو الفخر به ، لما تردد في ذلك ، وكيف يتردد ، وهو الذى فخر بشعره مرة ، ومرة نفسه وكرامته مرة أخرى ففى بعض قصائده ويشهد بذلك قوله ^(٥) :

وما خلقي مدح اللثيم وإن علت به رتبته لا أننى متكسبر
 ولا أبتغى الدنيا ولا عرضها بمدحى ، فأنى بالقاعة مكر

- (١) شو : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي - مؤرخ عربى * توفى سنة ٨٠٨ هـ .
 (٢) ديوانه ص ١٢٦ ، وقوله من (بأس) أصلها من (بأس) فخففت بتسهيل الهمزة .
 (٣) ابن الكوهن : جامع الكرامات العلية ص ٨١ المطبعة العالجية بمصر سنة ١٣٤٧ هـ .
 (٤) حامد الأشر : شرف الدين الهوصيرى (الشاعر المصرى) ص ٦ مطبعة النيرة بمصر سنة ١٣٢٥ هـ .
 (٥) ديوانه ص ١١

ليعلم أغنى المالين .. أنه
 وأبسط وجهي حين يقطب وجهه
 إلى كل من منه لدنياه أفقر
 فيحباني موسى وهو ممسك
 وأظلمه ؟ إني إذا لمبذر

نشأته وتعليمه :

وليس من المرتقب أن يتحدث المؤرخون عن نشأة البوصري وتعليمه ، ولا عن فترة حياته الأولى ، بعد أن رأينا موقفهم من أسرته واختلافهم في سلسلة نسبه ومولده ، ولحد عذرهم في ذلك أن الشاعر ولد كما يولد العشرات بسبل العشرات من فئات الشعب المختلفة الذين يولدون فلا يحس بمولدهم أحد ، كما أن أباه لم يكن أميراً ولا وزيراً ، أو ذا منصب كبير يجعل المؤرخين يشهدون مولد ابنه ، ويكتبون — عن قريب — كيف قضى فترة حياته الأولى وكيف نشأ .

ولئن يمكن القول : إن الشاعر — الذي ولد كما يولد غيره — نشأ كما ينشأ مثله في ذلك العصر ، نحمد أن شب جسمه ، واشتد عوده ، ذهب إلى كتاب قرينه ، فتعلم مهادى القواة والكتابة ، ثم حفظ القرآن الكريم ، وأحاط ببعض مهادى الحساب ولما أراد الاستزادة من العلم ذهب إلى القاهرة — مركز الإشعاع العلمي في ذلك الوقت ^(١) فتلقى في معاهدها المتعددة ، ومدارسها الفتيحة كتيار من العلوم الدينية والعربية وغيرها ، ومن المصحب أن المصنف التاريخي التي بين يدي — على كثرتها — لم تحدد مسجداً معيناً درس فيه الشاعر ، إلا أن محقق ديوانه ذكر في مقدمة إحدى قصائده أنه درس في مسجد الشيخ عبد الظاهر ^(٢) ، ويبدو أن هذا المسجد كان مشهوراً في ذلك الوقت ، فلم تشر إليه المراجع التاريخية ، وذكر محقق الديوان قصة تؤكد ذلك ، وهي : إن الطلك الصالح نجم الدين أيوب أمر بتوزيع ثلاثة آلاف دينار على طلاب العلم ، إلا أن مسجد الشيخ عبد الظاهر لم يكن لطلابه نصيب في ذلك المال ، مما أثار

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٠٤ (٢) مقدمة الديوان ص ٦ ، وقال محقق الديوان

" إنه لم يشر على أي إشارة إلى هذا المسجد بين الكتب التاريخية ، ولقد رجعت إلى كثير من الكتب التاريخية فلم أجد أي إشارة إلى هذا المسجد — أيضاً — وإنما وجدت إشارة إلى مسجد ابن عبد الظاهر ، وهو مقام بعد عهد الشاعر بمسدة انظر : الحفري : الخطط ج ٣ ص ٣١٤ .

(٣) ديوانه ص ٢١٢ .

حفيفة الشاعر ، فقال على لسان المسجد قصيدة يملن فيها سخطه
وخضبه ومنها قوله (١) :

ليست شعري - ما يقتضى حرمانى	دون غيرى ، والألف للرحمن ؟
أترانى لا أستحق لكونى	جامعا شمل قارئ القرآن ؟
أم لكونى فى إثر كل صلالة	بى يدعى لدولة السلطان ؟
ومأى الأسباب يحطى مكان	صدقات السلطان دون مكان ؟

ومن البدهى أنه لن يثور تلك الثورة الشديدة إلا إذا كان ذا نصيب فى
هذا المال الذى حرم منه ذلك المسجد ، ولن يكون له نصيب فيه إلا إذا كان
من طلبة العلم فيه (٢) .

وقيل : إن الشاعر " دخل الأزهر " وحضر على مشايخ المصر حسنى
كملت معالمة (٣) .

ولكن بعض الكتاب أنكر ذلك قائلا " . . من الخطأ أن يقال : إنه تعلم الأزهر
؛ لأن الأزهر فى هذا الوقت كان مغضى عنه ومكروها من الأيوبيين - حكاه ذلك الوقت (٤) -
وهذا رأى وجهه إلا أنه لا يمنع تعلم الشاعر فى الأزهر الذى فقد مظهره
الرسى فى الدولة الأيوبية ، وعطلت فيه صلاة الجمعة نحو مائة عام تقريبا من سنة
٥٦٢ هـ إلى ٦٦٥ هـ (٥) ولكن الدراسة لم تعطل فيه ، بل ظلت حلقات العلم
متصلة ، وإن كانت مصابة بالركود والضعف ، وما يدل على ذلك ما ذكرته بمسعى
المصادر التاريخية : من أن علماء متازين ، درسوا فى الأزهر فى تلك السنة (٦)
مثل عبد اللطيف البغدادى وغيره .

ويلوح لى من اشتغال البوصيرى بالشعر ، ولوقته فيه مبلغا لا بأس به ، وأنه
كان ذا شغف بالأدب ، وإقبال على كتبه ، كما يبدو أن حظه من العلوم الدينية

-
- (١) ديوانه ص ٢١٦ . (٢) شرف الدين البوصيرى (الشاعر المصرى) ص ١٠ .
(٣) جامع الكرامات العلية ص ٨١ .
(٤) شرف الدين البوصيرى ص ٩ . (٥) المقرئى : الخطط ج ٣ ص ١٦١ .
(٦) دكتور : أحمد عوف : الأزهر فى ألف عام ص ٧٠ مطبعة الأزهر سنة ١٩٢٠ .
(٧) هو : عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادى ولد سنة ٥٥٥ هـ ، وتوفى
سنة ٦٦٩ هـ . انظر تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٩٠ .

كان متوسطا باستثناء الحديث الذي قالت عنه بعض المصادر : إنه اشتبه بـ
 بالتحقق فيه (١) . كما أن نصيبه من المعلوم العربية كان متوسطا كذلك ، ويظهر لي
 أنه لم يصب حظا كبيرا من الدراسة المنظمة بدليل عدم ذكر أحد من المؤرخين
 — الثقات — أنه درس أو أفتى على كثرة المدارس في عهده ، إلا أن بعض
 الكتاب رثم أن الشاعر : " حضر على مشايخ المصر حتى كملت محالته ، فأجازوه ،
 فأفتى ودرى ، وصارت له هيبة عظيمة (٢) . . . " ولما كان صاحب هذا الرسم
 لم (يحاصر) البوصيري حتى يكون تأريخه عن قرب لما يؤرخ له من حوادث
 ، بالإضافة إلى أنه لم يشر إلى مصدره فيما رثمه — كل هذا — جعل بعض
 الكتاب يقول عنه : " إنه ممن يكيلون القول جزافا لأبناء هذه الطائفة — يقصد
 الصوفية — ويضيفون إليهم كل مفعرة متعصبا لهم (٣) ، ومهما يكن من شيء فإن إلمام
 الشاعر بالسيرة النبوية ، وإحاطة بها كان واسعا ، ما ساعده على الإجابة فسي
 مدح الرسول — صلى الله عليه وسلم — ويبدو أنه درس بحناية كبيرة كتب أهل الكتاب
 فمكث ذلك من مجادلتهم ، مجادله قوية ، اتست بالفكر السليم ، والمنطق القويم
 ، المدعم بالنصوص المقدسة ، وقد أشرت — فيما سبق — إلى أن الشاعر قد ظهر
 في عصره الجدل الديني وأصح فيه بنصيب كبير (٤) .

-
- (١) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الرابع ص ٣٢٨ . ويبدو أن هذا القول
 قد جانبه الصواب ؛ لتفرد قائله به ، مع عدم إشارته إلى مصدر ذلك ، ولمل
 الذي تعمق في الحديث عالم آخر اشترك مع الشاعر في اللقب (البوصيري)
 وهو : أبو القاسم هبة الله بن علي البوصيري — سبق التعريف به في هامش ص : ٤٥
 من هذه الرسالة — أمام رقم (٣) ولقد قيل عنه : إنه " تفرد في زمانه — أي
 في الحديث — " وذكره بعض المؤرخين في طبقة المحدثين الذين لم يبلغوا
 درجة الحفظ وللمنفردين بسلو الإسناد ، انظر حمن المحاضرة ج ١ ص ٢١٣ .
- (٢) جامع الكرامات المليية ص ٨١ .
- (٣) شرف الدين البوصيري ص ١١ .
- (٤) انظر ص ٤١ من هذه الرسالة .

ولعل مما يشير الدقة ، أن المصادر التاريخية — على كثرتها — لم تشير إلى شيخ البوصيري الذين نهل من مودعهم ، واغترف من بحر علمهم ، وأشارت إلى بعض تلاميذه ^(١) اللهم إلا إشارة خفيفة إلى شيخه في التصوف فهو الشيخ أبو العباس المرسي تلميذ الشيخ أبي الحسن الشاذلي ^(٢) — رضى الله عن الجميع — ومن تلامذة البوصيري : أبو حيان الأندلسي ^(٣) ، وابن سيد الناس ^(٤) ، والمميز ابن جماعة ^(٥) ، إلا أن تلامذة هؤلاء الأئمة الأعلام على البوصيري يثير تساؤلا نفسى النفس : أمتنى ذلك أن البوصيري قد بلغ في العلم مرتبة جعلته أهلا لجلوس رواية نوادره وشعره ، وخاصة مدائحه النبوية — التى عرف بالإجادة فيها — ومما يؤكد ذلك أن لأبي حيان الأندلسي بعض القصائد فى المدائح النبوية ^(٦) ، أما العلوم الأخرى — دينية وعربية — فكانوا فيها الأئمة الأعلام الذين لا يشفق لهم فيها غمار ، بل يمكن القول : لعل الشاعر أخذ عنهم عطا من تلك العلوم ، أننا اتصالهم به ، إذ كان ديدن السابقين من علمائنا أن يأخذوا ويمطسوا ولا يرون غفاعة فى جلوسهم فى علم إلى من يجلس إليهم فى علم آخر ^(٧) .

عمله :

يبدو أن البوصيري بعد أن تلقى قدرا من العلم ، ونال قسطا من المعرفة ، دفعته قلة ماله ، ورقة حاله إلى العمل ، فاتجه أول الأمر إلى كتابة شواهد القبور ^(٨) ، معتقدا ، فى ذلك على حسن خطه ^(٩) ، إلا أن هذا العمل

- (١) شرح الهمزة ص ٢ وما بعدها ، و طراز البردة ج ١ ص ٢٦ ، و دراسات فى التصوف الإسلامى ج ٢ ص ١٨٥ .
- (٢) سبق التعريف به فى ص ٤١ : من هذه الرسالة ، وانظر الموسوعة الميسرة ص ٤٣٦ .
- (٣) هو : أمير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الفرناطى الأندلسي ، توفى سنة ٧٤٥ هـ (انظر حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٩) .
- (٤) هو : أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس البصري الأندلسي ، توفى سنة ٧٣٤ هـ (المرجع السابق) .
- (٥) هو : عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة ، توفى سنة ٧٧٣ هـ (فوات الوفيات ج ٢ ص ١٧٤) .
- (٦) ابن حجر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ج ٤ ص ٢٣٠ وما بعدها . بتحقيق الشيخ : محمد حيد جاد الحق — مطبعة المدنى بمصر سنة ١٩٦٧ .
- (٧) شرف الدين البوصيري ص ١١ ، ومقدمة ديوان البوصيري ص ٧ .
- (٨) مقدمة الديوان ص ١١ .
- (٩) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الرابع ص ٣٢٨ .

لم يسعد فائقته ، ولم يكف حاجتيه ، وخاصة
بحد أن تزوج ، وأصبح رب أسرة ، فأتجه إلى التكسب بالشعر ، ما دعا الأمراء
والوزراء . وكان ينتهز الفرصة في أثناء مدحهم فيشير في ذلك إلى ضيق حاله ،
وشدة عسره ، مثل قوله :

يا أيها المولى الوزير الذى	أيامه طائفة أموره ^(١)
إليك نشكو حالنا وإننا	حاشالك - من قوم أولى عسرة
فى قلعة نحن ، ولكن لنا	عائلة فى غاية الكسرة

ما حمل الأمراء والوزراء يحفظون عليه ، ويرسلون عطاياهم إليه ، إلا أن هذه
الحطايا - التى لم تدم - ما كانت لتكفى الشاعر وأسرته ، فاضطر إلى البحث
عن عمل حكومى ذى راتب يفي به عن ذل التكسب بالشعر ، ويقوم بحاجته ، ويمد
مدة من البحث عمل الشاعر مباشرا^(٢) فى بلبيس^(٣) ، وكانت فرحته يوم ذهب
إلى عمله ، فرحة من شمر على ضالته بحد طول نشدان ، إلا أن تلك الفرحة
لم تدم ، إذ وجد المستخدمين الذين يحملون معه يسرقون الخلال ، وينهبون
الأموال ، ويرتكبون أفعال التى يابأسا الدين . ولا يرضى عنها رب العالمين ،
فشارت عاطفته ، وانطلق لسانه معبرا عن تلك المفاسد فى قصائد كثيرة^(٤) .

وكما قيل : "لكى فعل رد فعل" - كان لثورة الشاعر أثر كبير فى الموظفين
فكرهوه ، واضطهدوه . وخاصة من كان منهم من النصارى - وانتهزوا فرصة قلّة
معرفة الحساب الذى هو أصل تقوم عليه وظيفته^(٥) فأشاعوا أنه لا يصلح
للعمل ، فلم يزد ذلك إلا استهزاء بهم ، والسخرية من معتقداتهم الفاسدة ،
فأشار إلى ادعائهم التثليث فى قوله :

يقال لطنى بعض النصارى جهالة	إذا أوجب الملقى وألقى الموجبا ^(٦)
وما كان من عد الثلاثة واحدا	بأعلم منى بالحساب وأكثرا

- (١) ديوانه ص ١١٨ . (٢) الموسوعة الميسرة ص ٤٣١ - المباشر هو
الذى يأمر بزرع ما على النيل ، ويصرف ما يحتاج إليه الزراع من البذور فإذا حصد المزرع
أخذ منهم ما عليهم من ديون مقابل ما أخذوه من التقاوى وغير ذلك = انظر النويرى :
نهاية الأرب في فنون الأدب السفر الثامن ص ٢١٧ وما بعدها - مطبعة دار الكتب المصرية
سنة ١٩٣١ . (٣) بلبيس (بكسر الهمزة) بين بينهما لام ساكنة (إحدى مدن مديرية
الشرقية) (معجم البلدان ج ٢ ص ٢٦٦) (٤) انظر ص ٣٨ من هذه الرسالة .
(٥) الملقى ج ١ ص ٢٥٠ . (٦) ديوانه ص ٤٩ .

ولا شك في أن مثل هذا الشعر قد أغضب هؤلاء الموظفين ، فبهتوا النسيئة على التخلع من الشاعر بإيجاده عن العمل أو فصله من وظيفته ، وفعلوا بهم لهم ما أرادوا ، بعد أن وشوا به إلى رؤسائه في العمل^(١)

ماذا يصنع البوصيري بعد فصله من العمل ؟ ولو كان الأمر يتعلق بنفسه لكان الخطاب ، ولكنه مشغول عن أسرة كثيرة العدد ، مما غاعف همومه ، فأصبح كما قال :

أبحت من حطى همومهم على همومي ، كأي حائل الأشرام^(٢)

ثم فكر الشاعر في أمره ، وهداه تفكيره إلى السودة من بلبيس إلى القاهرة ، لينشئ كتاباً يحلم فيه الأطفال^(٣) ، ولم يلق حقيقته بذلك رغبة كانت في نفسه ، وأصبح ضحياً بقوله :

ما زلت أربأ أن أكون محلياً فيكون فضلي مكل الأسياد^(٤)

لقد كانت حياة الشاعر مشقة بالهموم ، وزاده شقا أن دخل الكتاب لم يف بحاجة وحاجة زوجته الولود ، ولذلك تنى أحد أمرين : إما أن تكون زوجته عفيماً ، وإما أن يجد عملاً ذا أجر ثابت ، وراتب معلوم ، ويؤكد ذلك بقوله :

باليتمها كانت عفيماً يائساً أو ليتنى من جملة الخدام^(٥)

ولما ساءت حالة الشاعر المالية ، لم يجد بداً من أن يلجأ إلى الوزير : صاحبها الدين^(٦) ، يستجده ، وشبهه على ذلك صديقه : الشيخ شهاب الدين الحلبي^(٧) ، الذي طلب منه أن ينظم قصيدة يبين فيها حالته ، ثم يرفعهما شوقاً إلى صامع الوزير ، فعلاً ، نظم الشاعر قصيدة طويلة ٠٠ ومنها قوله :

أيها صاحب المؤمل أدعو ك دعا استغاثة واستجارة^(٨)

لا تكلني إلى سواك فأخيلاً ر زمني لا يمنحون (خياراً)

-
- (١) عبد الحليم القبانى : البوصيرى حياته وشعره ص ٢٩ طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩١٨
(٢) ديوانه ص ٢٠٧
(٣) مقدمة الديوان ص ١١ وما بعدها
(٤) ديوانه ص ٢٠٦
(٥) المرجع السابق
(٦) هو : بهاء الدين بن محمد بن سليم الوزير المعروف بابن حنا توفي سنة ٦٧٧ هـ
(٧) هو : شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان الحلبي ، توفي سنة ٧٢٥ هـ
(٨) ديوانه ص ٨٥

ثم وثى الصدين بوجهه ، ورفمها — القصيدة — إلى الوزير الذى رقى لحاله
وعمل على تخفيفها ، ويبدو أنه عرض عليه وظيفة الحصة ^(١) ، إلا أن الشاعر
رفضها ، إما تحريزا من وزرها • وإيا خوفه من عدم القيام بحقوقها ، وبخاصة
أنه قد كبرت سنه ، يدل على ذلك قوله فى إحدى قصائده يعرض فيها بأحد
المحتسين :

لا تظلمونى وظلموا الحسبة فليس بينى وبينها نسبة ^(٢)
غبرى فى البهيم والشراى وليس فى الحالين لى دربة
إنى امرؤ حرفة الحساب فلا يدخل ريب على فى حسبة

ويبدو أنه عرض على البوصيرى وظيفة ماهر بالمحلة الكبرى ^(٣) ، فقبل
ذلك العمل ، إلا أنه لم يتخل عن نقد الموظفين لسوء أخلاقهم • وبخاصة
النصارى منهم • فقطحوا عنه راتبه عدة أشهر ، ذاق خلالها ألم الجوع ، وشدة
الهوس ، ولكنه كان ينتهز الفرصة لمهجوهم ، وكشف عما يدور بخلدهم ، ونحو
غيرهم من المسلمين • ومن ذلك قوله :

إن النصارى بالمحلة ودهم لو كان جامعها يكون كيسا ^(٤)
ولما ضاقوا به ذرعا ، عملوا على نقله إلى بلدة أخرى ، ولكنه شعر بما يدير
له فى الخفاء ، فأرسل إلى بعض أصحابه يستمطعهم قائلا :

إن كان يرضيكم — وحاشا فضلكم — فمصرى ، فحسى زلقة الحمام ^(٥)

إلا أن شوكة الموظفين كانت قوية ، فنقل إلى (سخا) ^(٦) ، وكان العمل
فى تلك القرية أشد من العمل فى المحلة الكبرى إرهاقا ، ما دعا الشاعر إلى
نظم قصيدة يصور فيها مأساته ، ويشير فيها إلى سوء معاملة زوجته له ، بالإضافة

(١) النسبة : وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويقوم من يعند إليه
ذلك العمل بالبحث عن المنكرات وتحذير فاعليها وتأديبهم على قدرها كما يحمل الناس على
المصالح العامة •• انظر : مقدمة ابن خلدون ص ٢٠١ • (٢) ديوانه ص ٥٨ ، ووضح ما فى
عبارة الشاعر من الناظر أشبه بالعامية • (٣) المحلة الكبرى : مدينة مشهورة بالديار
المصرية ، وتسمى محلة شرفيون ، وتتبع الآن محافظة الغربية • (معجم البلدان ج ٧ ص ٣٩٧
بتصرف) (٤) ديوانه ص ٨٣ • (٥) المرجع السابق : ص ٩٧ ويشير الشاعر بقوله :
(زلقة الحمام) إلى أن رجله قد أصيبت وهو فى مدينة المحلة الكبرى •
(٦) سخا : قرية تقع ضمن محافظة كفر الشيخ الآن • انظر (معجم البلدان ج ٥ ص ٤٦ بتصرف)

إلى بعده عن أولاده ، ومن ذلك قوله :

من لشيخ ذى علة وعيال	ثقلت ظهره بخير ظهير ^(١)
هتمت أمهم عليّ ولجّست	فى عتو — من كبرتنى — ونفير
زهنتى عن المير اليهم	شدة الهأس من (سخا) فى حير

ومع هذه الشكوى الصارخة ، لم يجد الشاعر أدنا صاعية ، فسلم أمره إلى الله . وحاد إلى القاهرة — تاركا عمله فى (سخا) — لكى يعيد تعليم الأطفال فى كتابه مرة ثانية^(٢) ، ويبدو أن انصراف الشاعر عن عمله ورجوعه إلى القاهرة كان مقدمة لخير كيرسيّاته ، إذ انصرف عن مدح الأمراء والوزراء ، واتجه إلى مدح خاتم الأنبياء — صلى الله عليه وسلم — ولكن كيف تمّ له ذلك ؟

لقد تهيأت له أسباب الاتصال بالشيخ أبى العباس المرسى — تلميذ الشيخ أبى الحسن الشاذلى — وانتظم فى سلك الصوفية ، هل أصبح يدعو إلى التصوف ويؤكد ذلك قصيدته التى يمدح فيها أبا الحسن الشاذلى ومنها قوله :

إن الإمام الشاذلى طريقه	فى الفضل واضحة لعين المهتدى ^(٣)
فانقل ولو قدما على آثاره	فإذا فعلت فذاك أخذ باليد

وفيهما — أيضا — يقول عن أبى العباس المرسى :

فاصحب أبا العباس أحمد آخذا	يد عارف بهوى النفوس منجد
----------------------------	--------------------------

ويبدو أن الشاعر حقق بانتسابه إلى الصوفية ، أمنية كان يتناهاها ، وأمالا كان يرجوه ، وهو ما يفهم من قوله :

ولو أنى وحدى لكت مريدا	فى رباط أوتابدا فى مفارة ^(٤)
------------------------	---

وربما يسأل القارىء : وكيف عاش الشاعر بعد تصوفه ، مع أن دخل الكتاب ضئيل لا يكفى حاجته ، وحاجة أسرته ؟

(١) ديوانه ص ١٠٧ ، وواضح تأثر الشاعر فى نظمه بقوله تعالى (بَلْ لَّجَوُاْ فى عَتَوٍ وَنُفُورٍ) سورة البلك / ٢١ .

(٢) المزمع الميسرة ص ٤٣٦ .

(٣) ديوانه ص ٧٢ .

(٤) المرجع السابق ص ٨٥ وما بعدها .

والجواب عن ذلك : يسدو أن الشاعر عندما تصوف ، لزم شيخه أبا العباس ، وأصبح - بذلك - من القدر بين إليه ، فجذبت إليه القلوب ، وخاصة عندما ذاعت مدائحه النبوية ، وطار خبرها ، فكان كل ذلك سببا في توالي هدايا أنبساط الطريقة الشاذلية إليه ^(١) ، بالإغافة إلى دخل الكتاب ، ولعل الشاعر قد خفت مسئوليته بغير أولاده - الذين لم تذكر المصادر التاريخية عنهم شيئا - واستقلالهم بطلب الرزق ، فكفوا بذلك والدهم مطالب الحياة ومتاعها التي لازمتهم مدة طويلة ^(٢) .

وفاة البوصيري :

وكما اختلف المؤرخون في عام مولد الشاعر ^(٣) ، اختلفوا كذلك في سنة وفاته ، وهذا أمر غريب حقا ، لأن الاختلاف في سنة المولد له عبرة ، وخاصة إذا كان المولود من أسرة مضمرة ، لا منصب لها ولا سلطة ، وهذه ظاهرة يلحظها المشتغلون بالدراسات التاريخية ، وهذا ما أشار إليه بعض الكتاب بقوله : " ... إن معظم الأبطال والعظماء في التاريخ تتصف الأدوار الأولى من سيرهم بالغموض ، وتضارب الآراء ، وعدم التحديد ، وظلها ما تظل السنة التي يولد فيها البطل أو العظيم موضع حدس وتعيين ، في حين أن المصير عليه - دائما - هو عام وفاة ذلك البطل أو الكبير ، وذلك لأن الفرد لا يولد بطلا ولا عظيما ، وإنما يولد طفلا صغيرا ضعيفا ، شأنه شأن مئات الأطفال الذين يولدون ... " ^(٤) .

أما الاختلاف في عام الوفاة فلا مبرر له إلا إذا كان الشخص خاملا الذكر ، يعيش بضاي عن الناس - ظلها - ومع أن البوصيري لم يكن كذلك - وخاصة في آخر حياته - نجد المؤرخين وأصحاب التراجم قد اختلفوا في عام وفاته ، فمنهم من قال : إنه توفي سنة ٦٩٤ هـ ^(٥) ، ومنهم من ذهب إلى أنه توفي سنة ٦٩٥ هـ ^(٦) .

- (١) البوصيري : حياته وشمرة ص ٣٩ . (٢) دراسات في التصوف الإسلامي ج ٢ ص ١٨٦ .
(٣) انظر ص ٤٤ من هذه الرسالة . (٤) الدكتور : حميد عاشور : السيد البدوي ص ٣٨ وما بعدها . مطبعة دار مصر للطباعة سنة ١٩٦٦ .
(٥) الموسوعة الذهبية ج ١ ص ٥٣ ، شرح الهجوة ص ٤ .
(٦) تاج العروس ج ٣ ص ٤٩ ، المعقبي ج ١ ص ٢٥٠ ، محسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢٨ ، تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ١٣٠ .

ويبدو أن هذا التاريخ هو الراجح ؛ لاتفاق كثير من المؤرخين عليه ^(١) ، وبعضهم تردد فقال : إنه توفي سنة ٦٩٦ هـ ، أو سنة ٦٩٧ هـ ، أو سنة ٦٩٨ هـ ^(٢) ، وإذا كان هذا محتملا ، فقد أغرب من قال : إنه توفي سنة ٧٨١ هـ ^(٣) .

والغريب - أيضا - أن يختلف المؤرخون في المكان الذي توفي فيه الشاعر ! إذ قال بعضهم : توفي البوصيري في البيمارستان المنصوري بالقاهرة - ودفن فيها ^(٤) ولميل ما يؤكد ذلك أن بعض الرحالة ذكر أنه قد زار القاهرة سنة ١٠٧٣ هـ ، وزار قبر البوصيري ^(٥) بقابر الإمام الشافعي ^(٦) - رضي الله عنه - بالقاهرة .

ولاحظ أن المصادر التاريخية القديمة التي أشارت إلى البوصيري ، لم تذكر مكان وفاته ، ما عدا صاحب كتاب العقى ، الذي أشار إلى أنه توفي بالمارستان المنصوري بالقاهرة - كما سبق ^(٧) ، وأخذ عنه كل من مؤلفي دائرة المعارف الإسلامية ^(٨) ، ومؤلفي الموسوعة الميسرة ^(٩) ، ولكن كثيرا من الكتاب المحدثين ^(١٠) ذكروا أن البوصيري دفن في الإسكندرية ^(١١) ، في مسجد يحمل اسمه ^(١٢) ، وهذا هو المشهور بيننا الآن .

ويبدو أن الذي قال : إن البوصيري دفن بالقاهرة هو الأقرب إلى السببي

-
- (١) انظر المراجع المذكورة أمام رقم (٢) في هامش الصفحة العاشقة من هذه الرسالة .
 (٢) النضيل الصافي ج ٣ ص ١٥٨ ، الأعلام ج ٧ ص ١١ .
 (٣) جغرافية مصر ص ١١٣ ، وانظر تحليلا لذلك في هامش ص ٤٥ من هذه الرسالة أمام رقم ٦ / .
 (٤) العقى ج ١ ص ٢٥٠ ، دائرة المعارف الإسلامية المجلد الرابع ص ١٣٢٨ ، الموسوعة الميسرة ص ٤٣٦ .
 (٥) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الرابع ص ٣٢٨ ، مقدمة الديوان ص ١٦ .
 (٦) هو : الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب المشهور توفي سنة ٢٠٤ هـ .
 (٧) انظر : ص ٢٥٠ (العقى ج ١) . (٨) المجلد الرابع ص ٣٢٨ .
 (٩) انظر ص ٤٣٦ من تلك الموسوعة .
 (١٠) انظر المدائح النبوية هامش ص ١٧١ وفتح عثمان : الإمام البوصيري ص ٢٣ مطابع الأعرام التجارية بمصر سنة ١٩٧٠ وأحمد الإسكندرية مع غيره : الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ص ٣١٢ الطبعة السلفية بمصر سنة ١٩٢٤ .
 (١١) الإسكندرية : إحدى مدن جمهورية مصر العربية ، تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط .
 (١٢) انظر : علي مبارك : الخطط التوفيقية ج ٧ ص ٧٠ الطبعة الأميرية بمصر سنة ١٣٠٥ .

الصواب^(١) ، إذ ليس وجود ضريح في الإسكندرية ، يحمل اسمه دليلا قاطعا على أنه دفن فيه ، فهناك بعض الأضرحة القائمة وتحمل أسماء بعض الأعلام ، ومع ذلك لم يدفنوا فيها ، ومن ذلك ضريح ابن عطاء الله السكندري^(٢) المقام بمدينة الإسكندرية مع أنه قد دفن بحق جبل المقطم بالقاهرة ، وهذا ما ذكرته كثير من المصادر التي تحدثت عنه^(٣) والجدير بالذكر أن ابن عطاء الله كان زميلا للبوصيري ، إذ تتلمذ كل منهما في وقت واحد على أبي العباس المرسى^(٤) .

ومهما يكن من شيء فإنني أخشى أن يقام ضريح آخر للبوصيري بقريته (بوصير) ، إذ أعلنت محافظة بنى سويف " أنها أعدت مشروعا لإقامة مسجد جامع ومشهد ديني يضم المراحل الثلاث .. باسم الإمام البوصيرى بقريته (بوصير) تخليدا لذكرى هذا العالم العارف بالله وعلى أن تكون هذه المؤسسة الدينية نواة لتروع جامعة الأزهر بمحافظة بنى سويف^(٥) .. "

صفاته وأخلاقه :

ذهب واصفوه إلى أنه " .. كان ساخرا من حياته الماثلية ، مغرقا في وصف بومها ، سريع الهجا ، مبالغا في هجائه ، مكروها ..^(٦) " ولميل ذلك الوصف يرجع سببه إلى ما أشرت إليه^(٧) من بؤس الشاعر الشديد ، وفقره المدقع الذي دفعه إلى مر الشكوى ، شارحا لذوى العروة ما يقاسيه من آلام ، وما يحيط به وأسرته من جوع وحرمان .

(١) السبب في ترجيح ذلك الرأي أن صاحبه — وهو القريرى — أقرب من غيره — زينا — إلى عصر البوصيرى ، إذ توفي سنة ٨٤٥ هـ . والكتاب المحدثون لم يذكروا مصادرهم فيما ذهبوا إليه ، ولعلهم اعتمدوا في ذلك على وجود الضريح . وهذا ليس بحجج قاطعة على وجود صاحبه فيه . (٢) سبق التصريح به في ص ٤١ من هذه الرسالة . (٣) الخطط التوفيقية ج ٧ ص ٢٠ والموسوعة الميسرة ص ٢٢ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٣٠١ . (٤) الخطط التوفيقية ج ١٠ ص ٨ . (٥) انظر صحيفة الأهرام المصرية ص ٦ العدد رقم (٢٢٨٣١) السنة (١٠٢) المادرة في ٢٠ / ١٠ / ١٩٦٦ .

(٦) الموسوعة الميسرة ص ٤٣٦ .

(٧) انظر ص ٥٢ من هذه الرسالة .

ولقد طالت محنته ، فكثرت شكايته التي أشرت في نفسه الشاعرة ، وحسسه
المرئف ، تأثيرا بليغا ، ويبدو أنه تلمس لبؤسه منفذا ، ولشقاؤه مسجدا ،
فلم يجد إلا القدرة الفائقة على الفكاهة الحلوة ، والنادرة المستحضسة ذات
الطابع المصري ، التي انتشرت في هذا العصر ، وهي " ندلنا على ما كان
بيمانیه الأدباء .. من قاقة وإجمال ، وقلة الكراث ، لأن مواردهم ضيقة .. (١) "

وعلى هذا .. فلم يكن البوصيري بدعا في وصف بؤسه وصفا ساخرا ممزجا
بالعسيرية والتهمك ، ولعله " رأى أن ذلك أجدي - في استرضاء القلوب ،
واستدراار ما في الجيوب ، وإثارة العواطف - من طريق الجد ، لا سبها عنسد
الممالك الذين ثقل عليهم الشمر الجزل ، وأساليب العربية العالية (٢) .. " على
أن هذا الشمر الدعابي - على إسفافه - سيار بين الناس ، يتفهمه المصام
والخاص ، في هذا الوقت - ويظنون له فتطير شهرة صاحبه محلقة في كل
مكان ، ومن أقوى ما يضل ذلك ، قصيدته التي أنشدها على لسان (أثانه) التي
أخذها منه ناظر الشرقية في ذلك الوقت .. ومنها قوله :

ما كان ظني يبعثني أحسد	قط - ولكن صاحبي جاهل (٣)
أقصى مرادى ، ولو كنت في بلدى	أرعى بها في جوانب الماحل
ويحد هذا ، فما يحل لكم أخذى	لأنسى من سبدي (حامل)

فهذه الأبيات - على ما فيها من سخف - قد أشرت .. فعندما وصلت
إلى مسامع ناظر الشرقية ، رد الأتان إلى الشاعر .

ومها يكن من شيء ، فإن البوصيري قد شارك في هذا اللون من التمجيس
شعراء عصره ، ومنهم : البهاء زهير (٤) ، الذي يقول - أيضا - على سبيل

(١) الدكتور : أحمد الحوفي : الفكاهة في الأدب ص ١١٠ ، مكتبة نهضة مصر
سنة ١٩٥٦ .

(٢) ديوانه ص ١٨٩ ، ويلاحظ أن الشاعر وضع لفظ (قط) في غير مكانه ، لأنسبه
ظرف لا متفراق الماضي ، لا المستقبل ، انظر : البوصيري الشاعر المصري ص ٥٨ ، محمد
عبد العزيز النجار : مثار السالك إلى أوضاع المسالك ج ١ ص ٦٢ مطبعة
النجالة الجديدة بمصر غير مؤرخ .

(٤) هو : أبو الفضل زهير بن محمد على المهلبى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

لك يا صديقى بفلسفة ليست تساوى خردلــة
 تمشى فتحببها الميو ن على الطريق مشكــة
 أشبهتها ، بل أشبهتــك كان بينكما صلــة

هذا من ناحية كثرة شكواه ، أما من ناحية هجائه ، فكان أكثره
 فى المستخدمين - كما مر بنا - وأقله فى غيرهم ، ولعل ضماً قوته فيه ، وكثرته
 منه ، بما كان عليه من حدة الطبع ، وجراءة فى قول الحق ، وعدم تهيبه للسواقب
 ، ولا غرو فهو عربى ، مغربى ، مصرى ، صعيدى ، بالإضافة إلى ضيق صدره بسبب
 فقره وكثرة أولاده ، وكبر سنه ، وتعدد فله (٧) ، كل هذا جعله يثور ، ويحتدم
 غوظه لكل منكر يراه ، وغير مثال لذلك موقفه من سلوك الموظفين ، الذى
 كان سبباً فى فصله من عمله الأول ، ونقله من عمله الثانى ، كما جعل الموظفين
 يكرهونه ، وهذا ما يفسر لنا قول شهاب الدين أبى التناجى محمود : " إن البوصيرى
 كان على غزارة فضله مقبوتاً ، لإطلاق لسانه فى الناس بكل قبيح ، وذكرهم
 بالسوء فى مجالس الأمراء والوزراء " (٨) .

وإذا كان الهجاء مكروهاً - غالباً - فإن مثل هذا النوع من الهجاء - هجاء
 الموظفين - قد مدحه بعض الكتاب ، لأنه بمثابة الشاهد على عيوب الإدارة فى
 ذلك العهد ، والموضع حال الأسرة المصرية المتوسطة الدخل ، التى تمثلت
 فى أسرة الشاعر (٩) ، بل لقد ذهب بعضهم إلى أن هذا النوع من الشعر قد
 سلك الشاعر فى زمره شعراء الشعب - فى هذا العهد - الذين عنوا بالآلام
 وآماله ، وجعروا من كل ذلك فى شغرية حيناً ، وفى رمز غريب حيناً آخر ، وتلك
 هى وظيفة الشعر الصادق الذى يمكن التيارات التى يهوج بها المصر - والمصر
 التى تزخر بها الحياة .. كما رأى بعض الكتاب أن هذا الشعر برهان على
 شجاعة البوصيرى ، فى مثل هذا الزمن الذى تدرت فيه شجاعة الشعراء
 فلم يتناولوا الموظفين أو السيطرئين على شؤون الرعية بنقد أو شكوى (١٠) .

(١) ديوانه ص ١٠٥ المطبعة المحمودية بمصر سنة ١٣١٤ هـ .

(٧) شرف الدين البوصيرى الشاعر المصرى ص ٢٣ .

(٨) المققى ج ١ ص ٢٥٠ . (٩) المدائح النبوية ص ١٧٢ .

(١٠) محمود رزق سليم : الأدب العربى من عهد الفاطميين إلى اليوم ص ١٠٦ مطبعة

صالح الدين بالإسكندرية سنة ١٩٣٨ .

وأما هجاءه غير الموظفين فهو - على ندرته - يمتاز بدعابته الخفيفة،
وظرفه المصري، ومن ذلك ما أنشده رداً على أحد الأدباء الذي سخر منه
لقصره ونحافته (١) فقال :

ورب أديب ذي لسان كسير بدا من فم كالكير أو هو كير (٢)
إذا ما رآني عافى واستقلستني كأنني في قمر الزجاجة سر (٣)

ولا شك في أن هذا الهجاء " يختلف في طابعه وخصائصه ومادته عن الهجاء
التقليدي .. (٤) الذي يمتاز بالفاظه المقتوعة، وأفكاره القبيحة .

وسمما يكن من شيء " فإن " الهجاء " من الموضوعات التي كثر فيها القول
في هذا العصر، ولعل اضطراب الحالة الاجتماعية، وسوء أمر الناس وفقدهم
منها دفع إلى ذلك (٥) ..

وهذا يجعلني أقول : إن هجاء الشاعر لم يكن متصلاً عنده، حتى يكون
سبة في خلقه، أو شيئاً في صفاته، يشهد لذلك كرمه الذي أشار إليه المؤرخون (٦)
الذين تحدثوا عنه، وكذلك أيضاً اعتزازه بنفسه (٧)

وسما تجدر الإشارة إليه أن الشاعر عندما تصوف " ليس ثوب التقوى،
فأنحى حسن السيرة، صادق السيرة (٨)، حتى قيل عنه : " كانت تشم
منه الرائحة الطيبة في أثناء سهره في الطريق، كما كان يرتدى الملابس الحسنة،
منور الشيعة، بسام الثغر، طلق الوجه، جميل اللقاء، متواضعا، زاهداً،
ذا عفة ووقار، تتدلق الناس نحوه مسلمين عليه، مقبلين يديه، طالبين منه الدعاء،

-
- (١) المقفى ج ١ ص ٢٥٠ (٢) ديوانه ص ١٠٠
(٣) لفظ (سر) أصله (سرور) فسهلت الهمزة للتخفيف، ومعناه : ما تبقى من
الشراب في آخر الإناء .
(٤) الدكتور : محمود زغلول سالم : الأدب في عصر صلاح الدين ص ٢٧٢ مؤسسة الثقافة
الجامعية بالإسكندرية سنة ١٩٥٩ . (٥) المرجع السابق ص ٢٧٣ .
(٦) الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٣ ص ١١١ - المطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٥٣
(٧) مجلة الرسالة العدد (٧٦٤) ، السنة (١٦) ص ٢٢٧ .
(٨) جامع الكرامات الحلية ص ٨٢ .

وعذا - إن صح - يدل على حمة فضل الله ، الذي يوحى به من يشاء . . .
والله ذو الفضل العظيم .

شاعريته :

كان الهوسيني شاعرا كبيرا في عصره ^(١) ، ولقد فضله ابن سيد الناس على الجزار والوراق ^(٢) ، وشعره في جملة من الشعر المقبول ، الذي يعلم فيه اللفظ - غالبا - من الشريب والناظر ، وأسلوبه سهل - بصفة عامة - ومما يسه جملة ^(٣) واكتسبها لا تبهر باختراع أو ابتكار ، ومعظمها مستقى من البيئة .

ومن يتصفح ديوانه ، يبر أنه طرق كل الأغراض الشعرية تقريبا ، إلا أن المديح هو الغرض المفضل عنده ، والمتحوز على معظم شعره كما صرح هو بذلك في أثناء فخره بنفسه بأنه :

لا ينظم الشعر إلا في المديح وما غير المديح له سؤل ولا وطير ^(٤)

والملاحظ أن مدائحه تنقسم إلى قسمين :

١ - مدائحه في الأمراء والوزراء ، وهي متوسطة الجودة ، يغلب عليها الطابع الصوفي ، وذلك مثل قوله عن صاحب بن محمد بن علي يمدحه في قصيدة طويلة ومنها :

وصل النهار بليله في طاعة	وعالاته موصولة بصيبام ^(٥)
كحلت بتقوى الله قلته التي	لم تكحل أجفانها بنصام

فالشاعر يصف ممدوحه بصفات تنطبق على الزهاد والمتصوفة الذين يصلون نهارهم بليلهم في طاعة ربهم ، وما يؤكد ذلك أنه يقارن بين ذلك الممدوح وأبي يزيد البسطامي ^(٦) بقوله في القصيدة نفسها :

-
- (١) دراسات في التصوف الإسلامي ج ٢ ص ١٨٧ .
(٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢٨ ، وقد سبق التحريف بهؤلاء الأعلام في ص ٤٢ وص ٥١ من هذه الرسالة .
(٣) الأعلام ج ٧ ص ١١ بتصرف .
(٤) ديوانه ص ٩٥ .
(٥) المرجع السابق ص ٢٠٢ .
(٦) هو : طيفور بن عيسى بن آدم البسطامي ، كان من الزهاد المتصوفين توفى سنة ٢٦١ هـ وقيل : غير ذلك (وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢١٣) .

بسم زاد عنك (أبو يزيد) وقد غسدت
 - مصر - مفضلة على بمطام (١)

ومهما يكن من شيء ، فإن الشاعر قد أنشأ هذا النوع من المدائح فى
 بدء حياته ، وكان الدافع الأساسى هو فقره الذى لازمه معظم حياته .

٢- مدائح فى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد بلغ فى هذا النوع
 درجة عالية من الفصاحة والبالغة ، وطارت شهرته - بها - فى كثير من
 البلاد ، حتى لقد غطت - هذه المدائح - على سائر شعره ، وربما
 ظن بعض الناس أنه لم ينظم إلا فى المدائح النبوية ، بينما ديوانه يبدل
 على أنه قال الشعر فى أغراض كثيرة : من مدح وهجاء ، وشكوى واستعطاف
 ودعابة وجدل دينى ، وغير ذلك من الأغراض التقليدية ، ويبدو أن إبداعه
 فى المدائح النبوية هو الذى صرف الناس عن بقية شعره (٢) .

ويرجع تفوقه فى تلك المدائح ، ولوعه فيها بلها حسنا ، إلى عدة عوامل
 منها : قوة استعداده لقرض الشعر ، وسلامة طبعه ، وتوفره على العناية
 بموضوعه (٣) وانتظامه فى سلك الصوفية على يد شيخه أبى العباس الموصى .
 أضف إلى ما سبق أنه مسلم ، يؤمن بالله ، خالق الكون ، عظيم القسدر ،
 وينتجبه إليه بالدعاء :

فيا سامع الشكوى ويا كاشف الهلا
 ويا من يزعج النلك فى البحر لطفه
 إذا نزلت فى العالمين الشدائد (٤)
 وهن جوار ، هل وشن رواكد

كما أنه يؤمن بأن كل شيء خاضع لقدرة الله وإرادته :
 وعلمك ما ضى فى الخلائق نافذ إذا شئت أمرا ليس من كونه بعد (٥)

(١) بمطام : بلدة من أعمال قوس - وقيل : إنها أول بلاد خراسان من جهة العراق .
 المرجع السابق .

(٢) اكتفى بالحديث عن مدائح النبوية ، لصلتها بموضوع الرحالة ، أما بقية شعره
 فانظر : مقدمة ديوانه ، شرف الدين البوصيرى (الشاعر المصرى) ص ٣٧ وما
 بعدها ، البوصيرى : حياته وشعره ص ٦٣ وما بعدها .

(٣) شرف الدين البوصيرى (الشاعر المصرى) ص ١٧ .

(٤) ديوانه ص ٦٣ .

(٥) المرجع السابق .

وهو يمتاز بدينه ، ويشيد بكتاب الله :

الله أكبر إن دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قبيلا (١)
لا تذكروا الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفئوا القنديلا

أضف إلى ذلك كله ، حبه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الذي صرح
به في مثل قوله :

إني أمرؤ قلبي يحب محمدا ولوم فيه لأثما وعدولا (٢)
أوحبه وأمل من ذكرى له ليس المحب لمن يحب بل لا

ولاشك في أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — جدير بكل حب ، وحقيق بكل
ثناء ، فهو الرحمة الهداة ، والنعمة المولدة ، وهو الشفيع يوم القيامة :

وما محمد إلا رحمة بعثت للعالمين ، وفضل الله مبدول (٣)
هو الشفيع إذا كان المماد غدا واشتد للحشر تخوف وتهويل

وإذا كان الشاعر قد أحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فإنه قد أحب
— أيضا — آل بيته الأطهار ، يدل على ذلك قوله :

إن المودة في قرني النبي غني

لا يستحيل فوادي عنه تحويل

وهوكد ذلك الحب مدحه السيدة (نفيسة ^(٤)) — رضي الله عنها — نسي

قصيدة طويلة .. ومنها قوله :

(١) المرجع السابق ص ١٧٥ .

(١) المرجع السابق ص ١٤٥ .

(٢) ديوانه ص ١٦٠ .

(٣) هي السيدة : نفيسة بنت أبي الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي
طالب — رضي الله عنهم جميعا — توفيت بمصر سنة ٢٠٨ هـ ،
(وفيات الأعيان ج ٥ ص ٥٦) .

سلسلة خمر المالمين (نفيسة) سميت بك أعراق وطابت محائد (١)
بما يملك الأطهار زينت المسالا فحيات عقد المجد منهم فرائد

إن شاعرا هذا مسلكه ، وذلك نهجه ، جدير بأن تمدد العناية الإلهية
بتوفيق كبير ، وفيض عظيم ، جعله يصرح ببعض ذلك في قوله - مخاطبا
الرسول - صلى الله عليه وسلم :

ولقد حبانى الله فيك محبة قلبي بها إلا عليك شحيح (٢)

ولاشك أن هذه الموامل قد صقلت تجربة الشاعر القصيرة ، وخاصة
في المدائح النبوية ، فأنشأ فيها قصائد كثيرة ، امتازت بطولها ، وعرفت بفصاحتها
ومن تلك القصائد ، قصيدته التي مطلعها :

أمدائح لى فيك أم تسبيح لولاك ما قر الذنوب يديح (٣)

وقد بلغت تلك القصيدة خمسين بيتا تقريبا .

وكذلك قصيدته المسماة (ذخرا المعاد) وهي التي على نهج قصيدة

كعب بن زهير المسماة (بابت سعاد) ، وقد بلغت أبياتها نحو مائتي بيت مع
العلم بأن قصيدة كعب بلغت ستين بيتا تقريبا (٤) ، ولم يكف البوصري بزيادة
عدد الأبيات ، بل خالف كما في مطلع قصيدته ، إذ بدأها بلمع نفسه
وتقريعها ، لا بالفضل كما فعل كعب ، وأول هذه القصيدة :

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مشغول (٥)

في كل يوم ترجى أن تتوبغدا وعقد عزك بالتوفيق حلوسول

وعندما ظهرت بالمدينة المنورة سنة ٦٥٤ هـ نار إثر هزة أرضية ، وصادى

أن شبت النار في المسجد النبوي بسقوط الممرجة (٦) أنشأ البوصري قصيدة
سمّاها (تقديس الحرم من تدنيس الضرم) ، بلغت أبياتها نيفا وتسعين بيتا ،
وأولها :

إلهي على كل الأمور لك الحمد فليس لما أوليت من نعم حد (٧)

لك الأمر من قبل الزمان ومحمد وما لك قبل كالزمان ، ولا بعد

(١) ديوانه ص ٥٨ - (٢) المرجع السابق ص ٥٥ - (٣) التراجع السابق .

(ج) انظر ص ٨ من هذه الرسالة - وديوان كعب ص ٦ وما بعدها .

(٥) ديوانه ص ١٧٢ - (٦) تاريخ مصر ج ١ ص ١٠٠

(٧) ديوانه ص ٦٣ .

والجدير بالذكر أن تلك المداخل التي ذكرتها قتيلاً شأها الشاعر قبل أن يحج (١) ،
وعندما قدر له حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر الرسول - عليه الصلاة والسلام -
وقف أمام القبر الشريف ، وأنشد قصيدة ، زادت أبياتها على مائة بيت ، وأولها :

وافاك بالذنب المحييم الذنوب خجلاً يعنف نفسه ويؤسب (٢)
ضاقت هذا به عليه ، فما لسه إلا إلى حرم بطيئة مهسب

وعندما بدأ رحلة العودة من الأراضى الحجازية منظم قصيدة زادت أبياتها
على ثمانين بيتاً ، ومطلعها :

أزيموا البسين وشيدوا الركابا فاطلب الصير وخل المتابا (٣)
ولما وصل إلى مصر ، أنشأ قصيدة بلغ عدد أبياتها أكثر من مائة بيت ،
ومطلعها :

بمدح المصطفى تحيا القلوب وتغفر الخطايا والذنوب (٤)
على أن أطول قصائد الشاعر في المدح النبوي قصيدته (أم القرى نسي
مدح خير الهوى) والمشهورة بالهمزية - لأن حرف رويها همزة - ولقصيد
زادت أبياتها على أربع مائة بيت ، وقد اهتم بها العلماء والأدباء ، فشرحوها
وسجوا على موالها (٥) ، وأول تلك القصيدة :

كيف ترقى رفعت الأنبياء يا ساء ما طاولتها ساء (٦)
لم يساووك في مالك وقدحها ل منى منك دوشهم وسنا

وإذا كانت الهمزية أطول مدائح الهوسيري ، فإن أروع وأبدع قصائده ،
تلك القصيدة المسماة (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) والمعروفة بالبردة .

(١) مقدمة الديوان ص ٢٦ .

(٢) ديوانه ص ٤١ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٩ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٥ .

(٥) أنظر حاجي خليفة : كشف الظنون ج ٢ ص ٢٢٥ وما بعدها مطبعة العالم بصر

(٦) ديوانه ص ١

سنة ١٣١١ هـ .

إن هذه القصيدة تعد أعظم قصائد الشاعر وأنفسها ، ولذلك غطت شهرتها
الاتفاق ، وامت الهجاء والأصقاع ، وشغلت كثيرا من العلماء ، والأدباء ، والباحثين
.. إلى يومنا هذا ..

أما لماذا بلغت تلك القصيدة هذه المنزلة الكبيرة في قلوب الناس على اختلاف
مشاربهم ، وتنوع اتجاهاتهم ، ونعقد فنونهم ؟ ولماذا أصبحت أشهر من نثار
على علم ؟ ولماذا إذا تحدث عن المذائع النبوية كانت من أولى القصائد التي
تذكر على اللسان ؟ ولماذا أضحت من معالم التعريف بالهزجيري ، فيقال :
هو صاحب البردة (١) .

إن كل هذه التساؤلات سوف توجد الإجابة عنها في الفصل التالي
إن شاء الله .

(١) الدكتور : أحمد الشرباصي : الشاعر - سليل المجديع ص ٨٨ - لم تدون عليه
اسم الطبيب ، والمجلد ١٩٧٣ - والحيث في الأدب العربي وتاريخه ص ٣١٠ .
(٢) تاج الحروس ج ٣ ص ٤٩ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣١٨ .

الفصل الثاني

دراسة البردة وتحليلها

بعدما تحدثت عن البوصيري من مهده إلى لحدته - في الفصل السابق - سأحدث هنا عن البردة ، وذلك بدراستها وتحليلها ، إلا أنني سأهمس لك بحدث موجد عن أصل كلمة البردة ، وعن أول قصيدة سميت بذلك ، ثم أبين كيف أطلق ذلك الاسم على قصيدة البوصيري .

أصل كلمة البردة :

١- البردة - في الأصل - كماء أصود مربع تلبسه الأعراب ^(١) ، وقيل : قطعة من الصوف تتخذ عباءة بالنهار ، وغطاء بالليل ، وتستعمل هكذا منذ العصر الجاهلي ^(٢) وجمعها : برد (بضم الباء وفتح الراء) .

أول قصيدة أطلق عليها البردة :

٢- ومن المشهور أن أول قصيدة أطلق عليها لفظ البردة ، هي : قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) وهي التي مدح فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعدما علا عنه ^(٣) . وقد أعجب بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) فلقى على كعب بردته ، مكافأة له على تلك القصيدة ، ومن هنا سميت بالبردة .

ويذكر بعض المؤرخين أن كعب بن زهير أخذ البردة وضع عليها بناجديه ،

(١) ابن منظور : لسان العرب ج ٤ ص ٥٤ مادة (برد) المطبعة الأميرية بصر سنة ١٣٠٠ هـ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد السابع ص ٣٠ وما بعدها .

(٣) انظر ص ٨ من هذه الرسالة ، والشيخ إبراهيم الهاجوري : حاشية الهاجوري على البردة ص ٤ - شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي بصر سنة ١٩٥١ .

وحفظها بين عينيه ، وآية ذلك أن معاوية بن أبي سفيان ^(١) أراد أن يشتريها منه فرفض ، ولما عرض عليه مالا كثيرا أبى ، وذلك حبا فيمن أعتادها إليه ، ويقال : إن معاوية استطاع أن يبتاعها من أولاد كعب بعد وفاته ^(٢) ، ونفيل : إن البردة التي حصل عليها معاوية غير البردة التي كانت عند كعب ^(٣) .
إطلاق لفظ البردة على قصيدة البوصيري :

٣- والبردة - كذلك - اسم عرفت به قصيدة البوصيري التي مطلعها : ^(٤)

أمن تذكر جيران بذي سلم
موجت دما جرى من مقله بدم

وإذا كما قد عرفنا كيف سميت قصيدة كعب بالبردة ، فأولى بنا أن نحرف لما إذا أطلق على قصيدة البوصيري لفظ البردة - كذلك - وخاصة أن نأظمها قد خلع عليها اسم " الكواكب الدرية " في مدح خير البرية * عندما نظمها ^(٥) .

٤- يبدو أن سبب تسمية قصيدة البوصيري بالبردة يرجع إلى ما نسبته كثير من المؤرخين والكتاب إلى البوصيري من أنه قال : " كنت قد نظمت قصائد في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم اتفق بعد ذلك أن أصابني فالج ^(٦) أبطل نصفي .. ففكرت في عمل قصيدتي هذه - أي البردة - فمطعتها ، واستشفعت به - أي بالرسول - إلى الله تعالى في أن يحافيني ، وكسرت إنشادها ، ومكيت ، ودعوت ، وتوسلت ، ونمت . فرأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) فسمح على وجهي - وقيل : على وجهي - بيده المباركة ، وألقى علي بردة ، فانتبهت ، ووجدت في نهضة ، فمقت وخرجت من بيتي .

- (١) هم : معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية صحابي جليل ، توفي سنة ٦٠ هـ على الصحيح . انظر : أمد الفأية ج ٥ ص ٢٠٩ . (٢) أحمد نيمور : الآثار النبوية ص ١٦ وما بعدها ، طبعة دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٩٥٥ .
(٣) المرجع السابق ، وجرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ج ١ ص ٩٤ مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٠٢ .
(٤) هذا هو مطلعها الحقيقي ، أما ما شاع بين الناس من أن مطلعها : الحمد لله من خلق من عدم . . . ثم الصلاة على المختار في القدم فهذا غير صحيح ، وليس من نظم البوصيري ، انظر : ديوانه ص ١٩٠ ، وحاشية الهاجوري على البردة ص ٥٥ .
(٥) مقدمة الديوان ص ٢٩ ، دائرة المعارف الإسلامية المجلد السابع ص ٣٠ ، القاموس الإسلامي ص ٢٩٨ .
(٦) الفالج : مرض أشبه بالشلل في هذه الأيام .

ولم أكن أعلمت بذلك أحدا ، فذهبت ببعض الفقراء (١) فقال لي : " أريد أن
تخطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقلت : أي
قصيدة تريد ؟ فإني مدحته بقصائد كثيرة ، فقال : التي أنشأتها في مرضك
وذكر أولها ، وقال مولاه لقد سمعتها البارحة وهي تشد بين يدي رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) رأيت الرسول يتمايل عند سماعها ، وألقى على من أنشدها
بردة " فأعطيته إياها . . . وذكر الفقيه ذلك ، وشاع المنام إلى أن اتصل
بالصاحب بها ، الدين بن حنا ، فانتسخها ، وحلف أن لا يسميها إلا قائما
حافيا مكشوف الرأس ، وكان يحب سماعها هو وأهل بيته ، ثم إنه بعد ذلك
أدرك سعد الدين الفارقي - الموقع - وقد أشرف منه على الحى ، فترأى فسى
المنام قائلا يقول له : اذهب إلى صاحب ، وخذ البردة ، واجعلها على
عينيك ، تعاف بإذن الله - (عز وجل) فأتى إلى صاحب ، وذكر منامه ، فقال
الصاحب : ما أعرف عندي من أثر النبي (صلى الله عليه وسلم) بردة ، ثم فكسر
ساعة ، وقال : لعل المراد قصيدة البردة للبوصيري ، ثم أمر خادمه بأن يفتح
صندوق الآثار ، ويأتى بقصيدة البوصيري ، ثم أخذها سعد الدين ، ووضعها
على عينيه ، فمضى . . . ومن ثم سميت بالبردة ، والله أعلم (٢) .

٥ - هذا ما أشارت إليه بعض كتب التاريخ والأدب ، وتحدثت عنه بعض
كتب التراجم ، مع اختلاف يصير في بعض الألفاظ ، إلا أن مؤلف " كشف
الظنون " نسي أن القصة السابقة كانت في المنام : إذ قال مضيها إلى ما
سبق ذكره : " . . . فلما استيقظ - أي البوصيري - وجد بدنه صحيحا
كله ، ووجد تلك البردة على عاتقه ، ففرج بها ، فخرج (٣) . . . فكيف
تكون القصة منامية ، وكيف يجد الشاعر البردة على عاتقه . . .

(١) الإراد بالفقراء هنا : الصوفية وهم يطلقون على أنفسهم ذلك الوصف ، انظر
دراسات في التصوف الإسلامي ج ١ ص ٣٩ .

(٢) فوات الوفيات ج ٢ ص ٤١٧ ، المقفى ج ١ ص ٢٥٠ ، الوافي بالوفيات ج ٣ ص ١١٢
دراسات في التصوف الإسلامي ج ٢ ص ١٩٢ .

(٣) ج ٢ ص ٢٢٥ وما بعدها .

كما ذكر - أيضا - رواية أخرى تبين سبب تسمية قصيدة البوصيرى بالبردة ،
وهي : " .. أن بعض الكبراء أصابه مرض ، فطلب القصيدة .. نجا بها
صاحبها ، وقرأها فشفاه الله (سبحانه وتعالى) من ساعته ، فأعطاه بردة ، ...
فسميت تلك القصيدة بالبردة ... (١) " ومعنى ذلك أن هذه القصة كانت بقطة ،
وقد انفرد بها صاحب هذا الكتاب .

٦ - موقف بعض الكتاب من تلك القصة التي نسبت إلى البوصيرى :

لقد اختلفت آراء الكتاب حول هذه القصة ، وأستطيع حصرها في ثلاث -
آراء هي :
أ - إنكار ثم إقرار :

أما الرأي الأول فصاحبه الدكتور : زكي مبارك (٢) ، وتلخص في إنكاره هذه
القصة - أولا - لما تلقى عليها بعد ذكرها بقوله : " .. وفي هذه القطعة
- المواد القصة - دلالة على عقلية البوصيرى ، فهو رجل فيه طيبة وسذاجة
كأكثر الصوفية ، فليس من المحقول أن يبرأ مريض من مرضه لآية يتلوها ،
أو قصيدة ينشدتها ، كما برئ البوصيرى بقصيدته ، ولو مرض مفتي الديار
العصرية - لا سمح الله - ما استغنى بالبردة عن الطبيب ... (٣) " ولكنه
رجع - ثانيا - وأجاز وقوعها ، إذ قال في كتاب آخر : " .. ونرى الآن -
أن البوصيرى صادق في ربه ، ولأن قوة الإيمان توهم أبلغ التأثير على الجسم
ولا سيما إذا تذكرنا أنه لم يزد على أن قال : إنه وجد في جسمه نهضة
وذلك أقل ما ينتظر لرجل مؤمن ، يرى الرسول (صلى الله عليه وسلم) نفسى
النام ... (٤) " .

- (١) المرجع السابق . (٢) هو : الدكتور : زكي بن عبد السلام بن مبارك ، من
كبار الكتاب المشتغلين بالأدب ، توفي سنة ١٩٥٢ . (الأعلام ج ٣ ص ٨١) .
(٣) الدكتور زكي مبارك : الموازنة بين الشعراء ص ١٨١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي
بمصر سنة ١٩٣٦ .
(٤) المدائح السنوية هامش ص ١٧٩ .

ب- إنكار وإصرار :

وإذا كان الدكتور زكي مبارك قد أنكر وقوع القصة ثم أقرها ، فإن محقق ديوان البوصيري قد توهم الرأي الثاني الذي ينشئ وفق تلك القصة ، ومصر على ذلك النفي بقوله : " .. والملاحظ أن عصر البوصيري كان يزخر بالخرافات ، وكان الصوفية أجمعون يدعون أنهم يرون النبي (صلى الله عليه وسلم) يقظة وناما ، مخاطبهم ومخاطبونهم (١) " ثم ينفي إصابة الشاعر بالفالج ، ذاكرا أنه - الشاعر - قد أصيب بكسر في ساقه معتدا فسي ذلك على بيت من الشعر يخاطب الشاعر فيه بعض أصحابه ، إثر وقوعه فسي الحمام وكسر ساقه ، وهو في مدينة المحلة ، فيقول :

ما ضركم جبر الكبير وحسبه ما يلتقي في الجبر من آلام (٢)

ويستشهد محقق الديوان بقول ابن حجر (٣) " .. ، عندما ذكر قصة البوصيري السابقة ، وأردفها بقوله : " .. وقيل إنه - البوصيري - اشتد رده بعد نظمها ، فرأى النبي (صلى الله عليه وسلم) في النوم فقرأ عليه شيئا منها ، فثب في عينه ، فبرى لوقته (٤) " .. فقال - محقق الديوان - : " .. وإذا أخذنا بهذه الرواية انتهينا إلى أن البوصيري لم يصب بفالج ، وأن ما يقال من أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ألقى عليه بردة لسم يحدث (٥) " .

الرد على محقق الديوان :

ولعل مما يشير الدهشة أن يزعم محقق الديوان أن الصوفية أجمعين كانوا يدعون رؤيا النبي (صلى الله عليه وسلم) بمقظة وناما .. يشير أن يذكر دليلا على صحة ، أو مسدرا لدعائه ، ولا يخفى ما في زعمه من مهالقة هذا من جهة ، ومن

(٢) ديوانه ص ٢٠١ .

(١) مقدمة الديوان ص ٢٧ .

(٣) هو أحمد بن حجر الهيتمي السعدي المتوفى سنة ٩٧٤ هـ . (الأعلام ج ١ ص ٢٢٣)

(٤) شرح الهمزية ص ٥ ، بتصرف .

(٥) مقدمة الديوان ص ٢٨ .

جبهة ثانية : أنه اعتمد نفسى إصابة الشاعر بالفالج على كسر ساقه - كما صرح بذلك شعره - سابقا - وأسأل محقق الديوان : هل كسر الساق ينفي الإصابة بالفالج ؟

ومخاصة أنك تعترف بأن الشاعر كان مصابا بكثير من الأمراض ، ثم عقيبت على ذلك الاعتراض بقولك : " .. فلو كانت البردة تصلح للعلاج من الأمراض لكان الأولى أن يتعالج بها صاحبها .. (١) .. " .

ولاشك فى أن كسر ساق البوصيرى لا يمنع إصابته بالفالج . هذا من ناحية الشاعر ، وأما من ناحية ما ذكره ابن حجر ، فهو مجرد رواية ليست قاطعة نفسى دلالتها ، إذ تطرق إليها الاحتمال ، ومعلوم أن ما تطرق إليه الاحتمال لا يصح به الاستدلال ، والدليل على تطرق الاحتمال إلى تلك الرواية قول شيخ الإسلام : محمد الحنفى (٢) تحليقا على ما ذكره ابن حجر : " .. إن الذى رأيت نفسى كلام غيره - ابن حجر - أن الذى اشتد رمده غير الناظم - فالذى أصابه الرمد سعد الدين الفاروقى - الموقع - ويمكن تعدد الواقعة ، بأن حصل رمد لناظمها فشفى بما ذكره الشارح ، وقد حصل لسعد الدين ، فشفى بوضعها ، فلا منافاة ولا معارضة .. (٣) .. " .

ولعل الأمر قد وضح أمام القارىء ، وظهر له ما فى كلام محقق الديوان من تناقض تارة ، وإلقاء القول كيفما اتفق تارة أخرى ، وفى الحقيقة ، لقد لمست فى آراء محقق الديوان حملا على البوصيرى لا مبرر له ، ولا دليل عليه (٤) . بل إن ما يؤسف حقا أنه يحمل على غيره من الصوفية ، كما أنه يتهم المسلمين بما هو أبشع وأفظع !! وهل رأيت أبشع من اتهام المسلمين بالهروب من الحرب ضد أعداء الإسلام ؟ وهل سمعت أفظع من هذا الافتراء ؟

(١) المرجع السابق .

(٢) هو : محمد بن سالم الحفناوى المعروف بالحنفى توفى سنة ١١٨١ هـ (الأعلام ج ٧ ص ٤) .

(٣) انظر شرح المهمة هامش ص ٤٠ .

(٤) مقدمة الديوان ص ٢١ .

يقول ذلك المحقق ، وهو يتحدث عن الحروب الصليبية : " .. كان المسلمون يهربون من الحرب ، ويرغبون عنها ، وينفرون من حمل السيف ، ولكنهم لا ينفرون من حمل القلم ، ظانين أن الجهاد بالقلم يقوم مقام الجهاد بالسيف .. ومن المسلمين من كان يستبدل بجهاد الأعداء كثرة الصلاة والصيام ودوام الذكر والتسبيح معتقدين أن هذا يقرهم إلى الله ، زلفى ، ويغنيهم عن متاعب الكفاح ومشاق القتال .. (١) "

واعتقد أن هذا القول غير مطابق للحقيقة ، ويكفى أن يقرأ القارئ عن جهاد المسلمين بحماسة والصوفية بخاسة ضد الصليبيين ، ليتأكد من أن هذا رجم مفترى (٢) ج - تفويض :

أما الرأي الثالث فأصحاب يفوضون الأمر إلى الله .. يقول بعض الكتاب بعيداً ذكر قصة البوصيري : " .. محمد فهل كان البوصيري كاذباً في دعوى الرضا ؟

هذه مسألة يذم من ينصف نفسه أن يجازف بالحكم فيها على غير ظاهرها وخاصة أن البوصيري يعلم " أن من كذب على النبي محمد فليتبوأ مقعده من النار .. "

وليس هناك كذلك ما يمنع من أن يشفى من فالجه بسبب قصده .. وقصيدة البردة .. لا تشفى ولا تبرى من سقم ، فالله (سبحانه وتعالى) هو واهب البر والشفاء ، ولكن إذا أخلص المريض النية ، واتجه إلى الله بقلبه من ، ودعا ، واستشف بالني .. أو بتلاوة القرآن ، أو قراءة البردة ، أو نحوها ، فليس هناك ما يمنع من أن يستجيب الله الدعاء المريض في حاجة ماسة إلى مثل هذه المعنوية ، يمين بها طبيبها على علاجه .. (٣) "

(١) محمد سيد الكيلاني : الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام ص ٢٥ . مكتبة الفجالة بمصر سنة ١٩٤٩ .

(٢) انظر : تاريخ مصر الإسلامية ج ٢ ص ٦٧ ، ١٣٤ ، ٢١٥ ، الدكتور إبراهيم الصدوي : العرب والتتار ص ٧٢ وما بعدها ص ١٠٣ وما بعدها مطابع دار القلم بمصر سنة ١٩٦٣ .

(٣) مجلة الرسالة العدد (٧٩٩) السنة (١٦) - ١٩٤٨ - ص ١٢٠٧ .

رأى الباحث :

إننى أميل إلى هذا الرأى - الأخير - الذى يفوض الأمر فى صحة القصة أو كذبها إلى الله ، وخاصة أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول : " من تحلم بحلم لم يره كلف أن يحقد بين شميرتين ولن يفعل ^(١) " ، ويتسؤل : " إن من أعظم القرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه ، أو يرى عينه ما لم تَرَ ، أو يقول على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما لم يقل ^(٢) " .

وإذا كنت قد اخترت هذا الرأى ، فليس معنى ذلك أن القصة مستحيلة الوقوع ، لا . . . بل هى جائزة . . . والدليل على ذلك يتطلب بيان أمرين :
الأمر الأول : الإجابة عن هذا السؤال : أرويا الرسول جائزة شرعا . . أم لا ؟
الأمر الثانى : الإجابة عن هذا السؤال أيضا : أيجوز التداوى بالماديات والمعنويات أم بالماديات فقط ؟

أما الأمر الأول : وعورويما الرسول (صلى الله عليه وسلم) فهى جائزة شرعا لقوله صلى الله عليه وسلم : " من رأى فى المنام فقد رأى فإن الشيطان لا يتشغل به ^(٣) " ونفس رواية أخرى : " من رأى فى النوم فقد رأى ، فإنه لا ينهض للشیطان أن يتشبه به ^(٤) " . وقد أجمع على جوازها الكثير من العلماء والفقهاء ، ويؤكد ذلك قول الإمام النووى ^(٥) - مملتا على الحديثين السابقين : " . . . إن رؤياه - الرسول - صلى الله عليه وسلم - صحيحة ، ليست بأضماك ولا من تشبهها - الشيطان ^(٦) " ثم يذكر قول بعض العلماء : " إن الله تعالى خص النبى - صلى الله عليه وسلم - بأن رويما الناس إياه صحيحة ، وكلها صدق ، ومنع الشيطان أن يتصور فى خلقه ، لئلا يكذب على لسانه فى النوم ^(٧) " .

-
- (١) صحيح البخارى ج ٩ / ص ٥٥٤ (٢) المرجع السابق ج ٤ ص ٢٢٠
 (٣) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٢٣ .
 (٤) المرجع السابق ج ٥ ص ١٢٤ .
 (٥) هو : أبو زكريا محبى الدين أو يحيى بن شرف الدين الملقب بالنووى ، توفى سنة ٦٧٦ هـ
 (٦) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٢٣ .
 (٧) المرجع السابق .

وإذا كان حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) عاما ، لم يقصر الرؤيا على قوم محصورين أو على جيل بعينه ، فلاحجة لرأى بعض الكتاب الذين ذهبوا إلى جواز أن تكون رؤيا الرسول مقصورة على صحابته الذين رأوه حيا^(١) لأن تخصيص العام بدون تخصيص عت وتكلف ، والواقع يثبت وقوع الرؤيا للصحابة وغيرهم : فمن الصحابة : ابن عباس^(٢) (رضي الله عنهما) ، الذي نقل عنه : أنه قال : رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما يرى النائم ، نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر ، بيده قارورة فيها دم ، فقلت : بأبي أنت وأمي ، يا رسول الله : ما هذا الدم ؟ قال : هذا دم الحسين ، لم أرل ألتقطه منذ اليوم . . فوجدت ابن عباس - أن قد قتل الحسين (رضي الله عنه) في ذلك اليوم^(٣) .

وأينما قيل : إن الإمام الحسين (رضي الله عنه) قال : " رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في المنام ، فأمرني بأمر فأنفذت ما أمر " .

وكذلك قيل : إن أم المؤمنين (السيدة أم سلمة) ^(٤) رضي الله عنها - قالت : " رأيت الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المنام ، وعلى رأسه ولحيته السستراب فقلت : مالك يا رسول الله ؟ قال : شهدت قتل الحسين آنفا " .^(٥)

ولا يحسن القارئ أن تلك الأخبار من وضع الرواة لخدمة الشيعة - الذين يتشيعون للإمام علي ونبيه - لأن هذا مردود بإقرار بعض الملأ الذين رأوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المنام ، وهم من غير الصحابة ، ومنهم الشيخ

(١) البوصيري : حياته وشعره ص ١٢٠ .

(٢) هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، توفي سنة ٦٨ هـ . وقيل : غير ذلك . انظر : أمد القابة ج ٣ ص ٢٩٠ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٤ . الإمام أحمد بن حنبل - مسند - بتحقيق الدكتور

محمد ناظر ج ٢ ص ٤٧ دار الاعتصام بدمشق سنة ١٩٧٧ (٤) أمد القابة ج ٢ ص ٢

(٥) هي السيدة : هند ، وقيل : رمة بنت أبي أمية بن الصفيية - زوج رسول الله ، توفيت سنة ٥٩ هـ جريدة على الراجح : المرجع السابق ج ٧ ص ٢٨٩ .

(٦) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٢ .

أحمد حجاب^(١) ، والشيخ محمد خليل الخطيب^(٢) ، ومن قبلهما الشاعر : محمود سامي البارودي^(٣) الذي أشار إلى أنه رأى الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المنام وأعطاه عصاه ، وغير هؤلاء كثير ، ويكفي من القلادة ما أحاط بالمنق .

ولعل هذا القدر كاف للإجابة عن السؤال الأول ، المتعلق برؤيا الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، أما الأمر الثاني ، وهو العلاج بالماديات والتمنيويات : فهو ظاهر ملموس ، لأن الله تعالى خلق الإنسان - في هذه الحياة - وجعله عرضة للصحة والسقم ، ولكنه أمره بأن يحافظ على صحته قدر وسعه ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى : " وَكُلُوا وَشَرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا " . (٤) بل لقد أمره بالمحافظة على نفسه وهذا ما يدل عليه قوله تعالى : " وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ " . (٥) وكسبل هذا من باب " الوقاية خير من العلاج " ولكن إذا مرض الإنسان فهل يتداوى ؟ نعم : يجب عليه أن يتداوى بأمر الشرع ، ومن ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً " (٦) ويؤكد ذلك في حديث آخر ، بقوله : " لكل داء دواء " ، فإذا أصاب دواء الداء برئ ، بإذن الله (عز وجل) (٧) إلا أن في قول الرسول : " فإذا أصاب دواء الداء " إشارة لطيفة إلى الأخذ بالأسباب ، فإذا أراد الله الشفاء وجدت الأسباب ، وصادفت السببات ، وإذا لم يرد الله الشفاء ، فمهما كان الدواء ، وأيا كان الطبيب ، فلا شفاء ، ولعل في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام :

(١) هو الشيخ : أحمد بن محمد حجاب بن علما الأزهر الشريف ، ولد بإحدى قرى محافظة الشرقية سنة ١٨٩٨م ثم دخل الأزهر ونال شهادة العالمية سنة ١٣٢٧هـ ، ولزم صياغة ربه ولم يلتحق بالوظائف الحكومية ، ذهبت إليه شخصيا للتأكد من رؤياه الرسول ، التي ذكرها في كتابه العظة والاعتبار ص ٧١ ، ص ٢٠٩ مطابع الأهرام التجارية بحرس سنة ١٩٦٩ . فأكد لي وقوع ذلك الأمر له شخصيا أكثر من مرة .

(٢) سيأتي التعريف به في ص ١٢٩ من هذه الرسالة ولقصد أشار إلى رؤياه الرسول في مقدمة قصيدته (بشرى العاشقين) ص ٢ مطبعة الشمراني بطنطا سنة ١٣٧٧هـ .

(٣) سيأتي التعريف به في ص ٣٣٧ من هذه الرسالة ، وانظر ص ٤٦ من هذه الرسالة أيضا حيث توجد إشارته إلى رؤياه الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

(٤) الأعراف / ٣٠ . (٥) البقرة / ١٩٥ .

(٦) صحيح البخاري ج ٧ ص ١٥٨ .

(٧) صحيح مسلم ج ٥ ص ٥١ .

• وَإِذَا مَرِئْتُمْ فَهُوَ يَشْفِين (١) - ما يشير إلى تلك الإشارة اللطيفة والملاحظة الدقيقة ، وفي هذا ما يؤكد أن الأمر كله متعلق بإرادة الله ، فإذا تهيأت الأسباب وأراد الله الشفاء ، تحقق . . . وإذا لم يرد الله لم يتحقق ، تهيأت الأسباب أو لم تتهيأ ، واعتقد أن هذا أمر لا جدال فيه ، فكم من مريض حار الأطباء نفسي أهوه ، وأصبح علاجه مستحيلا عندهم ، وأنحى موته محققا لديهم ، ولكن أتسمي شفاؤه من حيث لا يدري ، ولا عجب لأن من خلق السبب قادر على أن يشفى بغيره وليس بهذا الكلام دعوة إلى نفي الأسباب المادية كأخذ الدواء ، لا ، ولكن دعوة صريحة إلى الأخذ بالأسباب المادية ، والأسباب المعنوية ، ومن هنا كان الدعاء ، ومكان الدعاء من أثر (١) ألم تر إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي كان يمسح الجبين ثم يدعو الله أن يرزقه النصر (٢) .

وانظر إلى هذا الرجل الذي جاء إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) يشكو وجعا في جسده منذ أسلم ، فقال له الرسول (صلى الله عليه وسلم) : ضع يدك على الذي تألم من جسدي ، وقل : باسم الله (ثلاثا) ، وقل سبع مرات : أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر (٣) . واعتقد أن في ذلك الحديث ما يدل دلالة قوية على اتجاه الرسول إلى المعنويات في العلاج . أما اتجاهه إلى الماديات فتسجل عليه قصة ذلك الرجل الذي أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم قال له : إن أخی استطلق بطنه ، فقال رسول الله : اسقه عسلا ، فشقاه ، ثم جاءه ، فقال : إنسى سقيته عسلا ، فلم يزد ، إلا استطلاقا ، فقال له - ثلاث مرات - اسقه عسلا ، ثم جاء الرابعة ، فقال : اسقه عسلا ، فقال : لقد سقيته فلم يزد ، إلا استطلاقا ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : صدق الله ، وكذب بطن أخيك ، فشقاه ، فسيرى الرجل (٤) .

ولعل ما يؤكد أهمية العلاج المعنوي مثلا في الدعاء قول الدكتور الفواهي (٥)

(١) الثمراء / ٨٠ . (٢) حياة محمد ص ٢٦٣ وما بعدها .

(٣) صحيح مسلم ج ٥ ص ٥٠ . (٤) المرجع السابق ج ٥ ص ٦٢ .

(٥) هو الدكتور : حامد عبد الرحمن الفواهي ، ولد في إحدى قرى محافظة الدقهلية سنة ١٩٠٨ ، واشتغل بجهنة الطب حتى توفي سنة ١٩٦٠ . انظر كتابه : بين الطب والإسلام ص ٥ وما بعدها طبعة دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بمصر سنة ١٩٦٢ .

" لو نظرنا إلى الدعاء وأثره في النفس من الوجهة الطبية ، لوجدنا أنه يتوسح للإنسان أن ينفس عن مشاعره في حضرة العلى القدير ، فيشعر أنه إنما يناجى بدعائه من إذا أراد أمراً فأنما يقول له : كن فيكون ، فيحس بالهدوء والطمأنينة ، ويشعر أن هناك ملاذاً يلوذ به إذا انقطع من الدنيا ملاذ ، فيزيد ذلك قوة نفسه المعنوية ، ويقوى عزيمته ، ويجعله بمنجاة من الأمراض النفسية والصببية ، ولقد أصبح من أسس العلاج الحديث تقوية الروح المعنوية ، والدعاء من أهم الوسائل لذلك ، إذ هو إحياء نفسي يجد فيه الداعى لرحمة غداً ، ولنفسه دواء ، يدعم كيانه ، ويقوى بنيانه ، وجعلها تتغلب على كل ما يثير فيها اليأس أو النصف (١) . . . "

وبعد هذه السباحة الطويلة ، أرجو أن يكون قد تأكد أن العلاج يكسبون مادياً يتناول الدواء الذى يصفه الطبيب ، كما يكون معنوياً ، بالالتجاء إلى الله ، وقراءة القرآن والصلاة ، ولعل من ذلك — أيضاً — مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو ما فعله البرصيرى حينما أصيب بالفالج ، وكانت قصيدته — كما قيل — سبباً فى شفائه ، إذ رأى الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى المنام ، ومسح على وجهه ، وألقى عليه بردة ، كانت سبباً فى تسمية تلك القصيدة بالبردة ، إلا أن محقق الديوان ما زال فى شك من ذلك إذ يقول : " ولقد تمحود الشاعر أن يطلق على مدائحه النبوية أسماء معينة ، فقصيدة اسمها (فخر المعاد) ، وثانية اسمها (أم القرى فى مدح خير الورى) ، وثالثة اسمها (تقديم الحرم من تدنيس الحرم) وهكذا . . . وواضح أن هذه الأسماء لا تخفى وراءها أسراراً ، ولم يقصد بها — الشاعر — أكثر من معناها المباشر . . . " ثم يقول : " أترى سميت البردة بمدح الرؤيسا التي رآها الشاعر كما ذكرت ، أم سميت البردة لاعتمالها على مناقب الرسول (صلى الله عليه وسلم) — وليس بهيئد حينئذ أن يكون الشاعر قد قصد المعنى المجازى لا أكثر (٦) "

ولقد شبه البرصيرى مدائحه النبوية بالبردة ، لأنها حوت محاسن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن ذلك قوله :

حاك من صنعة القرينى برودا لك لم تحك وشيها صنعا (٣)

(١) المرجع السابق ص ١٢٧ وظ بعدها يتصرف . (٦) مقدمة الديوان ص ٢٩ .
(٢) ديوانه ص ٢٨ .

بل لقد شبه نفسه بكعب ، ولكعب قصيدة اسمها (البردة) فمن المراجع أن يكون البوصيري أراد أن تكون له قصيدة تحمل اسم قصيدة كعب وذلك من باب التبرك (١) .

وهذا يظهر التناقض في كلام محقق الديوان ، وأما : لو أراد الشاعر أن يسمى قصيدته بالبردة تشبها بكعب وتبركا — كما ترجم — لم لم يطلق عليها ذلك بادی الأمر عندما نظمها ، وأنت تعلم أنه أطلق عليها (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) أولا ، ثم سميت فيما بعد بالبردة ؟ ثم ألم يكن الأولى بهذه التسمية قصيدته التي نهج فيها نهج كعب (٢) ؟

أسماء قصيدة البوصيري :

وهما يكن من شيء فإن قصيدة البوصيري التي مطلعها (أمن تذكر جيران .. البيت) والتي أطلق عليها (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) كما أطلق عليها (البردة) قد أطلق عليها — أيضا — اسم (البراة) إشارة إلى أن الشاعر قد برى من علته بسببها (٣) كما عرفت أيضا باسم (قصيدة الشدايد) ؛ لأنها في زعم بعض الكتاب تقرأ لتفرج الشدايد (٤) .

وزنها ورونها :

ولو اطلعت على قصيدة البردة هذه لوجدتها من بحر البسيط التام الذي تتكون تفعيلاته من (مستعملن فاعلن) وأربع مرات ولكن الخمين (٥) مدخل على (فاعلن) فتصير (مستعملن فاعلن) ، كما أن حرف رونها ميم مكسورة .
عدد أبياتها :

تعددت الآراء حول عدد أبياتها ، فمن الكتاب من ذهب إلى أنها اثنتان وستون ومائة بيت (٦) ، ومنهم من قال : إنها واحد وستون ومائة بيت (٧) ، ومنهم من زعم أنها : اثنتان وثمانون ومائة بيت (٨) ، ومنهم من ذكر أنها ستون ومائة بيت (٩)

- (١) مقدمة الديوان ص ٢٩ . (٢) انظر ص ٦٥ من هذه الرسالة .
- (٣) حاشية الهاجوري على البردة ص ٤ . (٤) مقدمة الديوان ص ٢٩ والإمام البوصيري ص ٥٣ .
- (٥) الخمين : هو حذف الثاني الساكن : انظر : كامل شاهين — الباب في العروض والقافية ص ١١٣ وطاقم سجل العرب بمصر سنة ١٩٧٦ .
- (٦) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ١٣٠ وما بعدها ، كشف اللثون ج ٢ ص ٢٢٥ .
- (٧) طراز البردة ج ١ ص ٤٧ . (٨) المدائح النبوية ص ١٨٣ .
- (٩) البوصيري : حياته وشعره ص ١٣٦ ، الأدب العربي من عهد الفاطميين إلى اليوم ص ١٠٥ .

وهذا هو الصحيح الموافق لما في الديوان المحقق (١) .

ويبدو أن سبب الاختلاف في عدد أبيات البردة هو عدم الرجوع إلى المصادر الأصلية كالديوان المحقق ، وما ساعد على ذلك أننا أن تلك القصيدة طبعت منفردة عن الديوان ، وقد زيدت عليها بعض الأبيات (٢) التي صوّف أنبه عليها في مواضعها - إن شاء الله .

ولعل ما يشير إليه أن يختلف رأى محقق الديوان في عدد أبيات البردة ، فذهب في أحد مؤلفاته إلى أنها اثنان وستون ومائة بيت (٣) ، بينما ذهب نفس الديوان الذي حققه إلى أنها ستون ومائة بيت (٤) ، ولعله ذهب إلى الرأى الأول قبل تحقيقه الديوان ، وإلى الثانى بعد التحقيق (٥) إلا أننى كنت أحب أن يشير إلى ما ذهب إليه أولاً ، مبيناً عدم صحته حتى لا يدع مجالاً للشك في آرائه .

أهم ما اشتملت عليه البردة من أفكار :

والبردة تدور حول عدة أفكار يجمعها غرض واحد هو : مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، والإشادة برسالته ، وقد بدأ الشاعر قصيدته بالفتل على عادة الشعراء القدامى من العرب ، ثم انتقل إلى الحديث عن النفس وهواها ، والطريق إلى هداها ، وحدث بعد ذلك عن بعض صفات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ثم أشار إلى مولده وما صاحبه من أحداث ، كما تكلم على دعوته وأثرها ، ثم ذكر بعض معجزاته (صلى الله عليه وسلم) ومنها : القرآن الكريم ، والإسراء ، والمهاجر ، وانتقل إلى الحديث عن جهاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وأخيراً

(١) ديوان البوصيرى ص ١٩٠ وما بعدها .

(٢) من هذه الطبعات : طبعة شركة الشمرلى بمصر (غير مؤرخة) ، طبعة محمد عاطف وشركاه بمصر (غير مؤرخة) وطبعة المطبعة المحمودية التجارية بمصر سنة ١٣٥٦ هـ .

(٣) الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربى في مصر والشام ص ٢٤٤ .

(٤) ديوانه ص ١٩٠ وما بعدها .

(٥) وهذا هو الحق لأننى وجدت رأسه الأول في كتابه (الحروب الصليبية) ص ٢٤٤ .

وقد طبع الطبعة الأولى سنة ١٩٤٩ (كما سبق) - أما تحقيقه الديوان

فكان في سنة ١٩٥٥ (وهو ما ذكر فيه رأيه الثانى) ص ١٩٠ .

يختم الشاعر قصيدته بطلب المغفرة من الله ، والطمع في شفاعته رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) .

ولقد علق بعض الكتاب على هذه الأفكار بقوله : " .. وإذا كانت معظم
أفكار القصيدة مشورة في كتب السيرة ، فمن الجدير بالذكر أن الشاعر قد
صاغ هذه الأفكار في تركيب جميل ، ومعنى سام ، فأصبحت القصيدة بذلك آية
من آيات الفن ، وكوكبا في سما الإبداع " . (١)

وإذا كان هذا هو رأى بعض الكتاب في القصيدة ، فإن طبيعة البحث
العلمي تتطلب دراسة النص وتحليله ، ثم الحكم له أو عليه ، وهذا ما ساقوم
به على الصفحات التالية (إن شاء الله) .

يتأجج المحبون شوقا ، ولتهب الماشقون حبا ، عند تذكرهم أيام أنسهم
التي مضت ، ورويتهم ديار أحبابهم التي خلت ؛ فيكونون ويستبكون ؛

فما نبك من ذكرى حبيب وعرفان

وصم غفت آياته منذ أزمان (٢)

هل إن منهم من يمتنى أن تعود تلك الأيام بما كان فيها من صباهة وغيام ؟
وحب ووثام ؟

تذكرت أياما لنا ولياليا
ضئت ، فجرت من ذكرين دموع
الأهل لنا يوما من الدهر أوبة
وهل إلى أرض الحبيب رجوع ؟

ويبدو - أول الأمر - أن البوصيري ملك هذا الملك ، ونهج ذلك النهج
في صلب قصيدته - البردة - إلا أنه استلح - ببراعته - أن يخفى حبه ، ويستر
عشقه ، عندما جذب الانتباه ، وعد الأسماع - بتخيله شخصا يقف معه - كمادة

(١) حصين مملوم : رياض البردة ص ١ وما بعدها : المطبعة المحمودية بمصر (غير مؤرخ)

(٢) عرفان : ما عرف من علامات الديار . غفت : تنفرت . آيات : (جمع
آية) وهي العلامة .

الشمر* — ثم سأله : (١)

أمن تذكر جيران بذي سلم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
مزجت دمعاً جرى من مقلّة بدم (٢)
وأومض البرق في الظلماء من إضم (٣)

لله دره مظلما !! حرك الفكر بهذا الاستفهام الذي خرج عن معناه
الأصلي — طلب الفهم — إلى معنى آخر يطلق عليه علماء البلاغة : تجاهل العارف (٤)
لأن الشاعر يعلم سبب بكاء صاحبه ، ولكنه تجاهل ذلك ، مبالغة في إظهار شدة
الحيرة ، ثم سأله : ما سبب بكائك الحار ، ودموعك الفزار ، ما أجبتك ذكرى
الأحبة ، أم هبت نسائم عطرهم ، أم لمحت نوراً — في ظلام الليل — بسـرغ
من ناحيتهم ، أسأل عبرتك ، وأدعى مقلتك ؟

لقد أحسن الشاعر عندما استفهم بالهمزة ، ثم أتى لها بمعادلها أم ، فهى
بمذلك قد خلصت للتصور (٥) ، وهذا ما يتادم مع حالة الشاعر ، الذي أدرك
دمع مخاطبه فلم يشك فيه ، وإنما شك في سببه ، ويؤكد ذلك الإتيان بقوليه :

(١) ديوانه ص ١٤٠ .
(٢) جيران : جمع جار ، بمعنى مجاور ، من الجوار وهو القربى في المنزل وغيره ، ومن
ذلك قول الرسول : (صلى الله عليه وسلم) — " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى
ظننت أنه سيورثه " صحيح البخارى ج ٨ ص ١٢٠ . ذو سلم : واد ينحسدر
على الذنائب يقع على طريق البصرة إلى مكة (معجم البلدان ج ٥ ص ١١٢)
باختصار) . الدمع : اسم جنس واحد دمة ، وهى ما تنظر من العين .
المقلّة : شدة العين التى تجمع السواد والبياض .

(٣) هبت : شاجت . تلقاء : جهة . كاظمة : مكان في طريق البحرين من البصرة
(المرجع السابق ج ٧ ص ٢٠٨) أومض : لمع . إضم (بكسر ففتح) واد بجبال
تهامة تقع فيه المدينة المنورة على الراجع (المرجع السابق ج ١ ص ٢٨١) .
والفصائل (هب وأومض) مؤولان بمصدرين معطوفين على (تذكر) ، وإن لسم
يسبقها بحرف مصدرى ، فذلك جائز في اللغة ، قال صاحب التوضيح : إن ذلك
جاء في باب التسمية شأن في غيرها . (خالده الأزهري في التوضيح على التوضيح
ج ١ ص ١٥٤) وما بعدها طبخة دار إحياء الكتب العربية بمصر (غير مؤرخ) .

(٤) هو : سوق المعلوم مساق غيره لنكتة . انظر : القزويني : التلخيص في علوم
البلاغة ، بشرح عبد الرحمن البرقوقي ، ص ٢٨٥ وما بعدها . المطبعة الرحمانية
بمصر سنة ١٩٣٢ .

(٥) هو : إدراك الفرد ، مع كون النسبة معلومة ، انظر : عبد القاهر الجرجاني :
دلائل الإعجاز بشرح ، الدكتور محمد عبد النعم خفاجي ص ١٤٢ . مكتبة القاهرة
بمصر سنة ١٩٦٩ .

(من تذكر) بعد الهمزة ، وهي لا يليها إلا المشكوك فيه ^(١) هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فتقديم (من تذكر) على (مزجت) يشعر بأن المقدم بهم الشاعر لأن " العرب يقدمون الذي بيانته أهم لهم ، وهم بشأنه أعنى " ^(٢) .

وإذا تأملت هؤلاء الذين بكى الشاعر من أجلهم ، وجدته قد وصفهم بأنهم (جيران) فلماذا وصفهم بذلك ؟ للدلالة على شدة قربهم منه ؟ أم لأنهم أراد بهم (الأحباب) مبرأ بالمعنى المجازي ، فوُطِّق المألوف وأراد به اللارم ، ولا شك أن المعنى المجازي أبلغ من المعنى الحقيقي ، لأن الأول كالمدعى بدليلها ، بخلاف الثاني ولذا قال بعض علماء البلاغة : " وقد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإصاح ، والتعريض أوقع من التصريح " ^(٣) والمجاز أبداً أبلغ من الحقيقة ^(٤) .

وتمت نكتة لطيفة في لفظ (جيران) أيضاً ، فلمل الشاعر رأي حقوق الحب وواجب المحبة ، فأشار إلى محبوبه تلويحاً لا تصريحاً ، ولكن لماذا عبر بالجمع ؟ يبدو أن ذلك كان مظهراً له من جهة ، كقوله تعالى " والأرض فرشناها فنعم المكدون " ^(٥) وللمبالغة في ستر حبه من جهة ثانية .

ولعلك ترى دموع الشاعر وهي تنهمر بشدة ، يدل على ذلك لفظ (جرى) ويؤكدته تنكير لفظ (دمعاً) — لأن من أغراض التنكير البلاغية : التكثير والتعظيم ^(٦) — ويزيده تأكيداً تلك الكناية المفهومة من مزج الدمع بالدم ، وكل هذا يدل على أن هؤلاء الأحباب لهم شأن عظيم عند الشاعر .

ولا يخفى أثر المجاز المرسل لملاقة الجزئية في قصر الشاعر جرى الدمع على المقلّة ، وهو إنما يجري من العين ، ولعله ذكر ذلك لاعتقاده أن المقلّة أعم جزء في العين ، وفي ذلك زيادة تأكيد على شدة البكاء ، كما لا يخفى أثر الإيجاز بالحذف في قول الشاعر : (الظلما) فهو صفة لموصوف محذوف

(١) المرجع السابق شامخ ص ١٤٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٩ .

(٤) الذاریات / ٤٨ .

(٥) دلائل الإعجاز ص ٤٤٧ والتلخيص في علوم البلاغة ص ٦٨ .

والأصل : (الليلة الظلماء) ، وفي منارة الشاعر موسيقى غريبة منشؤها الجنس (١) بين قوله : (دم ودم) والتثمين في قوله : (جيران ودمع) ومقلة (إلا أن لفظ (دم) غير مستحسن وخاصة في مطلع القصيدة (٢) كما قيل : إن لفظ (مقلة) يمدح حشواً ، لأن الدمع لا يحيل إلا من العين (٣) ، ويبدو أن الشاعر عبر بذلك من باب التأكيد كقولك : سمعته بأذنى رأيت بهمينى ، بالإضافة إلى ضرورة الوزن .

ومهما يكن من شيء ، فإن أول القصيدة رائع العبارة ، هارج الإشعار ، مكن الشاعر من مواصلة حوار مع مخاطبه ، واستمرار سؤاله عن سبب بكائه ، وفي غضون ذلك يشير الشاعر إلى بعض دلائل الحب في قوله :

فما لمينيك إن قلت : اكفط همتا وما لقلبك إن قلت : استغروهم (٤)

يدو أن الشاعر حينما سأل مخاطبه عن سبب بكائه ، ولوح له بتذكر أحبابه ، أنكر ذلك المخاطب به ، ولكن هيهات ، لن يجدى الإكثار مع وضوح الآثار ، فللحب أمارات تشير إليه ، وعلامات تدل عليه ، ومن ذلك : الدمع المنهمر مع ظهور آثار القلب المستمر .

(١) هو : تشابه اللفظين في عدد الحروف ونوعها وهيئتها وترتيبها مع اختلافهما في المعنى وهذا هو الجنس التام أما هنا فقد اختلف اللفظان في عدد الحروف أيما فيسمى ذلك جنساً ناقصاً : التلخيص في علوم البلاغة ص ٣٨٨ وما بعدها .

(٢) عباس حسن : المتنبي وشوقي وإمارة الشعر ص ١٥٣ طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣ .

(٣) المزاينة بين الشعراء ص ١٨٩ .

(٤) ديوانه ص ١٩٠ اكفأ : أمسك عن البكاء . همتا : من التهمير : وهو الانحدار والسيلان ، والمراد هنا : زادت في البكاء . استفق : أفاق وأرجع إلى رشدهم : منارح عام علو وجههم بهم ، إذا قام به الهيام وهو من المرائب العالية في الحب ، ويسمى جنون المحقق - فلا يدري أين هو .

والملاحظ أن البوصيرى أشار إلى علامتين من علامات الحب وهما : الدمع
الضهور والقلب المستحضر - كما سبق - ولكنه ليس أول من أشار إلى ذلك ، بل
سبقه غيره من الكتاب والشعراء ، مثل ابن حزم ^(١) الذى يقول : * .. البكاء
من علامات الحب ولكن المحبين يتفاضلون فيه ، فمنهم غزير الدمع ، هامل
الشؤون ... ومنهم جمود الحين ... ^(٢) ، ومثل العباس بن الأحنف ^(٣) الذى
يقول :

لا جزى الله دمع عيني خيرا وجزى الله كل خير لسانى ^(٤)
نمّ دمعى فليس يكم مسرا ووجدت اللسان ذا كتمان

إلا أنك إذا تأملت قول البوصيرى ، وجدته أحسن أيما إحسان ، إذ جمع
دليلين على الحب فى بيت واحد ، بينما لم يشر كل من : ابن حزم والعباس
إلى الأحنف إلا إلى دليل واحد ، وهو الدمع ، أضف إلى ذلك أن قول البوصيرى
قد اشتمل على استقفاهم دال على التعجب من حالة ذلك المخاطب الذى
يضمن فى الإنكار .

وبدو أن الشاعر ضاعى صدرا بهذا الإنكار ، فمير نصيرا موجزا ، تسدل
عليه هذه القاء ، وتسمى (فاء الفصيحة) ؛ لأنها أفصحت عن كلام مقدر ، والأصل
: (إذا كنت تنكر الحب فما لمينيك ..) .

وهما يكن من شئ ، فبيت البوصيرى : الفاظه سهلة ، وموسيقاه عذبة ،
منشؤها الطهاتى ^(٥) بين قوله : (اكفا وثقا) ، وبين قوله : (استفق ومهم)
أنف إلى ذلك ما بين شطرى البيت من تقسيم ، جعل رنينه جذابا ، وتأثيره
خالبا .

(١) هو : أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى ، توفى سنة ٤٥٦ هـ .

(٢) ابن حزم : طوق الحمامة فى الألفة والألف ، بتحقيق : محمد محمد عبد اللطيف -
بالاشتراك مع غيره ، ص ١٩ ، بتصرف . مطبعة المدنى بمصر سنة ١٩٢٥ .

(٣) هو : أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود توفى سنة ١٩٢ هـ . (الأعلام
ج ٤ ص ٣١) .

(٤) الأغاني ج ٨ ص ٣٥٤ ، القالى : الأمالى ج ١ ص ٢٥٤ طبعة الهيئة المصرية العامة
للكتاب سنة ١٩٢٥ ، مع الاختلاف فى بعض الألفاظ .

(٥) هو : الجمع بين معنيين متقابلين (التلخيص فى علوم البلاغة ص ٣٤٨) .

ولا يخفى ما فى عبارة الشاعر من تأكيد • كان طريقه المجاز المرسل •
إذ أسند الهمى إلى العين • وذلك لعلاقة المحلية • فالمراد الدموع والعينين
محلّه • وهو يوحى بفزارة الدمع • وشدة البكاء •

ومع كل هذا وقع الشاعر فى خطأ صرفى فى قوله : (أنشأ) • إذ فك
إدغام المضمف الثلاثى عند إسناده إلى ألف الاثنين • وهذا مخالف للقواعد
الصرفية ^(١) • والصواب (كفا) • ولعل الشاعر فك الإدغام لضرورة الوزن •

من علامات الحب:

ويبدو أن الهوسيرى لم يجد من مخاطبه إلا إيماناً فى الإنكار • فكسّد
المعنى السابق • يمكن فى حكمة بارعة • وعبارة رائعة • بوجهها لكل المحبين
عن طريق مخاطبه • وذلك بقوله ^(٢) :

أحسب الصب أن الحب منكتم ما بين منجم منه مضطرم ^(٣)

لقد صدر الشاعر هذا البيت باستفهام إنكارى مشوب بالتهكم من عند
المخاطب • ومن على شاكلته • الذى يظن أن فى استطاعته كم غراميه •
وسر شيامه • مع وجود الدلائل الناطقة • والبراهين الصادقة على هذا
الحب • ومنها : الدمع المنسكب • والقلب الملتهب •

وهل يستطيع المرء كتمان لوحة ينم عليها مدمع وزفير

ولقد فصل الشاعر هذا البيت عن سابقه لأنه ذكره على سهيل التأكيد لما
سبق • أو للاستئناف ليكون قاعدة عامة فى عالم المحبين •

(١) أحمد الحملاوى : هذا المعرف فى فن الصرف ص ٦٠ طبعة شركة مكتبة ومطبعة
مصطفى البابى الحلبي بمصر الطبعة التاسعة عشرة سنة ١٩٧٢ •
(٢) ديوانه ص ١٩٠ •
(٣) الحب : المراد به المحبة وهى " ميل فى القلب يدفع إلى اتصال بين أجزاء النفوس

المقسومة فى هذه الخليقة فى أصل عنصرها الرفيع " طوق الحمامة ص ٧ • منكتم : مستتر
منجم : سائل من قول العرب : انجم الماء • إذا سال • مضطرم : مشتعل • من
قولهم (أيضا) : انطرمت النار • إذا اشتعلت •

ولا يخفى أن قوله : (يحسب) يدل على الظن . وفى ذلك دلالة على أن المحب فى حقيقة أمره يعلم أن سره معروف ، وخفى أمره مكشوف ، ولكنه يفكر ذلك الحب ، هل يمكن فى النكران ، متوهماً أنه يحتطئ إخفاؤه ، متفاسياً أن الهوى غلاب .

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ويبدو أن الشاعر أراد أن يشير الانتباه فالتفت من الخطاب فى البيت السابق إلى الفخية هنا بقوله : (الصب) . وهذا هو سر الالتفات العام ، ولعل الشاعر أراد — إلى جانب ذلك — أن يشير من طرف خفى إلى أنه لا فائدة فى إنكار الحب الذى لا تحت دلائله ، وظهرت براهينه ، وهذا ما يفهم من مدلول لفظة (الصب) ، إذ هو من (صب الماء) لأن الحب لما كان كبير البكاء فكانت له يصب الدمع ، أو من (الصباغة) وهى رقة المشق وحرارته وهذا أقرب .

وحسب هذا البيت أنك إذا أمنت فى النظر إليه وجدته قولاً صادقاً ، وفى شئون المحبة والهيام ، بعثته التجارب وصدقته الأيام ، مع إيجاز لفظه بالحذف فى قوله : (منجم ومنظم) إذ سما فى الأصل وصفان لموصوفين محذوفين والتقدير : (مع منجم ، وقلب منظم) كما حذف الجار والمجرور من الثانى لدلالة الأول عليه من ناحية ، ولضرورة الوزن من ناحية ثانية ، والأصل (منظم منه) .

وفى البيت تأكيد بأن الجملة الاسمية تتطلب مقام إيمان المخاطب فى الإنكار ومع كل هذا . . لم يعلم الشاعر من الخطأ الصرفى فى قوله : (منكم) ، لأنه كما قال بعض الكتاب ^(١) : لم يوجد فى معاجم اللغة — المتمدة ^(٢) — هذا اللفظ ، إذ لا يصح أن يصاغ من (كنتم) (انكم) على سبيل المطاوعة ، لأنه لا يدل على معنى . كما ذكر ذلك الصرفيون ^(٣) والصواب : كنتم ، وهو ما رواه (لمنكم) فى السوزن إلا أن صاحب كتاب " أقرب الموارد " ذهب إلى أن (انكم) هى مطاوعة كنتم ^(٤)

(١) شرف الدين البوصيرى (الشاعر المصرى) ص ٤٤ .

(٢) انظر لسان العرب ج ١٥ ص ٤٠٩ ، وتاج الصروس ج ٩ ص ٣٨٠ .

(٣) هذا الصرف فى فن الصرف ص ٤٤ . (٤) سعيد الخورى : أقرب الموارد فى فصيح

الحرمية والشوارد ج ٢ ص ١٠٦٦ مطبعة مرسى الموسوية — بيروت سنة ١٨٨٩ .

ولكن لم يذكر دليلا على ذلك من كلام المرب .

ولا عجب إذا رأينا المخاطب ينكر حبه ، ويصر على إنكاره ، فهذا من صفات المحبين . ومن لوازم الحب ، يقول ابن حزم : " إن من صفات الحب الكتمان باللسان ، ووجود المحب إن سئل ، والتصنع بإظهار الصير . . . " بل إن الكتمان أو الإنكار " من دلائل الوفاء وكرم الطبع " يدعوا إليه " تصاون المحب على أن يسم نفسه بهذه السمة عند الناس . أو إبتاء المحب على محبوبته . . . أو توقى المحب على نفسه من إظهار سره لجلالة قدر المحبوب (١) . . .

ومع كل هذا يواصل البوصيري الإتيان بالدليل بعد الدليل على حب مخاطبه ، لكي يعترف بحبه ، ويهوح بصره ، فيقول له (٢) :

لولا الهوى لم ترق دما على ظلل ولا أرقى لذكر البان والعلم (٣)

نعم ، لولا حبك وفراحتك وعشقك وهيامك ، ما سكبت كل هذه الدموع ، وحرمت جسمك لذة الهجوع ، لمجرد رؤيتك هذه الأماكن ، ووقوفك على تلك المنازل . والبيت — كما ترى — مفصول عن سابقه : لأنه تأكيد له ، وقد جذب الشاعر الانتباه بالثلاثة من الشبهة — في البيت السابق — إلى الخطاب — هنا — كأنه أراد أن يواجه مخاطبه بهذا الأمر ، الواضح الأثر ، المؤكد بالدليل ، ولا شك في أن الحديث المباشر ، أشد وقعا من غيره في النفس .

(١) طوق الحمامة ص ٣٩ .

(٢) ديوانه ص ١٩٠ .

(٣) الهوى : (بالقصر) مصدر : هوى (بفتح أوله وآخره مع كسر وسطه) ، إذا أحب . لم ترق : لم تسكب . ظلل : ما بقي من آثار الديار مرتفعات . أرقى : سهرت . البان : شجر ليب الرائحة واحده (بانه) . القلم : يطلق على معان كثيرة منها : الجبل والرمح والمراد بالبان والعلم هنا : موعمان بالحجاز . انظر معجم البلدان : ج ٢ ص ٥٢ ، ج ٦ ص ١١٠ . وقيل : يحتمل أن الشاعر أراد بهما غنا التشبيص أي تشبيه المحبوب بهما في طيب الرائحة وحسن الهيئة وطول القامة — انظر حاشية الباجوري على البردة ص ٩ — ولكن الرأي الأول أرجح ، لمناسبة ذكره .

وإذا كان الشاعر - في الأبيات السابقة - قد ذكر من علامات الحب :
الدمع المنسكب ، والقلب الملتهب ، فإنه أكد ذلك أيضا في هذا البيت : ثم
زاد علامة ثالثة هي : الأرق ، وقد سبقه إلى ذلك شعراء وكثاب كثيرون
فمن الشعراء : عمر بن أبي ربيعة ⁽¹⁾ الذي يقول :

أرقت ولم أملك لهذا الهوى ردا
وأورثني حبي وكمانه جهدا (١٢)

وہزیت قلبہ لا صبرا ولا جلدًا

ومن الكتاب: ابن حزم الذي يقول: "والمهر من أعراض المحبين" (٢)

ولا يخفى ما فى بيت البهيمى من موسيقى هادئة ، كان مصدرها
الجناسى الشبيه بالمشق^(٤) بين قوله : (لم ترقوا رقت) ، بالإضافة إلى
التنوين فى قوله : (دما) ، ويبدو أن الشاعر فكره إشارة إلى غبازته
، بينما نكر^(٥) (طلال) إشارة إلى قلعة شأنه ، ومع هذا الحوار الطريف ، وإقامة
الأدلة على حيل المخاطب ، لم يحترف المخاطب بحبه ، وكيف يحترف ، والمتميم
بالهوى لضنين ، ويبدو أن ذلك الإنكار والتمادى فيه أثر فى نفس الشاعر ،
وتستطيع أن تلمس هذا الأثر فى قوله^(٥) :

- (١) هو : أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة بن المغيرة القرشي شاعر مصنف وفوتوفى سنة ٩٣ هـ
انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ١١١ . (٢) عمر بن أبي ربيعة : ديوانه بشرح محمد
المناني ص ١٥٢ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٠ هـ . (٣) طوق الحمامة ص ١٧ .
(٤) هو أن يجمع بين اللفظين ما يشبه الاشتقاق (التلخيص في علوم البلاغة ص ٣٩٢) .
(٥) ديوانه ص ١٩٠ . ذكر بعض الكتاب بيتا بعد البيت السابق ونسبه إلى الشاعر وهو :
ولا أعارتك لرضي عبدة وصنني . ذكرى الخيام وذكرى ماكن الخيم .
ويبدو أنه ليس من نظم الشاعر ، لأنه : غير مذكور في ديوانه المحقق كما أنه ضعيف
العبارة ، بالإضافة إلى أن فكرته قد أشار إليها البوصيري في قوله : (وأثبت الموجد
٠٠٠ البيت) انظر حاشية الباجوري على البردة ص ٩ . أعارتك : أعطتك على عييل
العارية ، وهي ما يُعطى ثم يُسترد . العبارة : (بفتح العين وسكون الباء) المراد
الدمج . التصني : النصف (المبطل) .

فكيف تنكر حبا بعدما شهدت به عليك عدول الدمع والسقم (١)
وأثبت الوجد خطى عبرة وضنى مثل البهار على خديك وأنعمتم (٢)

إنك إذا أمعنت في النظر إلى عبارة الشاعر وجدت صدره قد ضاق ، وغيطه قد اشتد ، بتكرار إنكار مخاطبه ، بل بإمعانه في هذا الإنكار ، مع وجود الدلائل الظاهرة ، والبراهين الساطعة على حبه ، وما يؤكد حالة الشاعر النفسية هذه (الفاء) التي تسمى " فاء الفصيحة " لأنها تفصح عن كلام مقدر - والأصل : (إذا وجدت الدلائل الواضحة الدالة على حبك فكيف تنكر ...) نفس التعبير إيجاز بالحذف ناسب حالة الشاعر ، ويؤكد ذلك أيضا : هذا الاستفهام التعجبي المشوب بالإنكار (فكيف) .

ولقد اختار الشاعر ألفاظا موحية بالمراد مثل : (تنكر) وفي ذلك إشارة إلى أن المخاطب يعلم الحقيقة ، ولكنه يحاول إخفاءها ، ولعل في تنكير لفظة (حبا) ما يشير إلى أن ذلك الحب قد عظم أمره ، وشاع خبره .

ولا يخفى أثر إسناد الشهادة إلى شهود عدول فذلك أمكن في إثبات المراد لأن الشهود عدول فلا محل للظن في شهادتهم ، وفي هذا الإسناد استمارة تصريحية تسمية ، أكدت المعنى وزادته وضوحا ، أعف إلى ذلك هذا المميز العقلي في إسناد الإثبات إلى الوجد ، وذلك من قبيل الإسناد إلى السبب .

وتتأكد تلك الصورة التي رسمها الشاعر بهذا الوصف الرائع ، والتصوير البديع ، إن شبه خطى العبدة بالحنم في الحرة ، وأثر الصنى بالبهار في الصفرة ، إلا أنه قد سبق في هذا التشبيه ، إذ أشار إلى ذلك ابن حزم

(١) تنكر : عجز ، شهدت : أجبرت . عدول : (جمع عدل بمعنى عادل)
والمراد هنا بالجمع الصنى يدل على ما بعده أو أن الجمع على بابه والمراد بالدمع الدموع ، والسقم : الأسقام .
(٢) الوجد : الحزن مطلقا أو بسبب الحب . خطى : منى خط . البهار : ورد أصفر اللون ، طيب الرائحة . الحنم : شجر له أضراس حمراء . وقيل : ورد أحمر يشبه به البنان المخشوب .

ففى قوله : " . . ولا يسد لكل محب صادق النودة " متنوع الوصول - إياهمين
وإما بهجر وإما بكتمان - من أن يؤول إلى حد السقام والضنى والنحول ، وربما
أضجه ذلك . . (١) " . كما أشار إلى ذلك أيضا عربن أبى ربيعة نفسى
البيتين السابقين (٢) .

كان الشاعر مؤفقا فى ألفاظه ، مشرقا فى عبارته ، ساعده على ذلك تشبيهه
المستوى بالمحسوس - ما وضع المعنى وقرره ، أضاف إلى ذلك هذا اللون الهمدنى
المسمى : اللف والنشر المشوش (٣) فى قوله : (عبرة وصننى) شتر قوله بمسند
ذلك : (الهمار والمعنى) ، إن كل هذا جمل سؤال الشاعر موجها لمخاطبه فى صورة
قوية مفحة : كيف تنكر جها قد شهد به عليك شاهدا عدل هما : دمك المنحدر
وحنفك المتشمر ، أليس كحل ذلك دليلا على حبك وهيامك ، وعشقك وفراغك ؟
وأثبت ما يكون الأمر يوما بلا شك إذا وضع الدليل

ولك لك لم يجد المخاطب أمامه إلا الإقرار . . قائلا (٤) :

نعم سرى طيف من أهوى فأرقنى

والحب يعترض اللذات بالألسم (٥)

لقد غلب المخاطب على أمره ، فاعترف بحبه ، ولكنه يحاول أن لا يعترف بكل
شئ ، ولذلك أخفى اسم محبته ، الذى عبر عنه باسم الوصول (من) وهذا التعبير
يشير إلى تعظيم المحبوب . وإيهامه - كما أن قوله : (فأرقنى) يسدل
على سرعة تأثر المخاطب بخيال ذلك المحبوب ، تلح ذلك فى هذه الألف التى تسدل
على الترتيب والتعقيب .

(١) طريق الحمامة ص ١١١ (٢) انظر ص ٩ من هذه الرسالة .

(٣) هو ذكر متعدد على التفصيل والإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن
السامع يرد إليه . وسمى مشوشا ، لأنه النشر أتى على غير ترتيب باللف . (التلخيص
فى علوم البلاغة ص ٣٦١ وما بعدها) .

(٤) ديوان الهجرى ص ١٩٠ .

(٥) سرى : السير بالليل . الطيف : خيال المحبوب . يعترض : يحول أو يدفع
اللذات : جمع لذة وعلى ما يفصح به ، والمراد هنا : ما كان فيه مسن النسيم
وغيره .

وإذا كان الشاعر قد وفق في اختيار ألفاظ تناسب مقام أسف المخاطب وحزنه وضيق صدره ، فقد كان أكثر توفيقاً في هذه الحكمة الصادقة ، المستي يُصرف قدرها في عالم الحب والمحبين (والحب يمتزج اللذات بالآلم) بالإضافة إلى ما فيها من تشخيص وإيحاء يبعث أثر الحب ونتيجته .

لوم واعتذار :

(١) ولما باح المخاطب بمكون حيره ، واعترف بخفي أمره ، استشعر من يلومه ، فقال :

يا لائئى فى الهوى العذرى مصدرة

(٢) منى اليك ولو أنصفت لم تلتئم

عدتك حالى لا سرى بمستتر

(٣) عن الوثاة ، ولا دائى بمنحسم

يا من تلوننى على هذا الحب الخفيف ، والهوى الشريف ، اعذر نفسى ولا

تعذر لى ، لأنك لم تذوق طعم الهوى ، ولم تحس بألم الجوى ؟

دع عنك تعذيرى وذوق طعم الهوى

وإذا عشقت فبمعد ذلك تعذيرى

وأرجو ألا تُبتلى بما ابتليت به ، من سر قد ظهر وفشا ، وداء قد وصل

إلى الحشا .

لقد صدر الشاعر قوله بهذا ، يشمر بالاستمطاف وقبول العذر (يا لائئى) كما يدل على

(١) ديوان البوحيرى ص ١٩٠ .

(٢) اللائم : العاقل . الهوى العذرى : الحب الشديد المفرط المقيم ، نسبة إلى

بنى عذرة - بنم العين - وهى قبيلة مرفقة باليمن ، نزحت إلى بلاد الشام ، شمال شبه الجزيرة العربية ، عرف رجالها برقة القلب ، ونسائهما بفسوس

المفاد ، ويؤدى بهم العشق إلى الموت ، لصدقهم فى حبهم الخفيف ،

وأصبح الغزل العذرى - اصطلاحاً - يطلق على كل شمر يصف عاطفة الحب

الصادق ، وإن لم يكن أصحاب هذه العاطفة من (بنى عذرة) . انظر : الدكتور

محمد غمبى هلال : الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ص ١٢ وما بعدها

مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٠ . معذرة : مصدر عذرت إذا صفت عنه ومحوت

إسمه ، وتطلق أيتها على ما يدفع به الإنسان عن نفسه مما عيب عليه فعله .

(٣) عدتك حالى : جاوزتك حالى فلم تُبتل بمثلها ، كما تقول لخيرك " لا أراك الله

حالى " وعلى هذا فالجملة دعائية ، ويحتمل أن تكون الجملة خبرية ، والمراد

: الإخبار بأن حالته قد جاوزته ولم يصب بمثلها ، كما يجوز أن يكون معنى =

بعد ما بين الشاعر والمخاطب الأول يلوم والثاني يمتذر ، ويرر حبه بأنسه حسب عذرى ، أى حب عفيف ، أوجب قد استولى على القلب ، ومن شأنه أن يقبل عذر صاحبه لإحاطته به إحاطة الظرف بالمظروف - وهذا ما يشير إليه لفظ (في) - كما أن دخولها على (الهوى العذرى) يجعل الوقوع فى الهوى ظرفاً لللامة لأنه سببها ، فكانه صحتها ، كما فى قوله تعالى :
ولكم فى القصص حياة .. (١) .

إن المخاطب حزين ، وماله لا يحزن ، وقد حاول كتمان حبه ففشل ، ولما اعترف به ، تعرض للوم ، فضاقت عليه نفسه ، بذلك على هذا بحسب ما لزمه بأن لا يرى ما هو فيه من أسى ولوعة ، وداً عنال لا يبرأ (عذرك حالى ..) ، فالبيت الثانى مسبب عن البيت الأول ، ولذلك فصل عنه .

ولا يخفى ما فى تكرار حرف النفى (لا) من تأكيد ، بالإضافة إلى زيادة (الباء) أينما فى قوله : (بمستتر - بنحزم) ، وموسيقى البيتين موحية بحالة المخاطب وسامعاً على ذلك اختيار لفظى (يالائى ، ولم تلم) إنصيفاً لـ (ون يدعى) بمعنى رد العجز على الصدر (٢) ، كما أن فى قوله : (العذرى ومعدرة) جناساً شبيهاً بالمشتق ونشأ عن تكرار حروفهما وقع موسيقى أنفى على التعبير لون الحزن ، وأكدته مفهوم قوله : (لا سرى بمستتر ، ولا دأى بنحزم) إذا تألفت الكلمات وتماثلت فأخرجت لنا صورة شعورية مؤثرة ، تدركها القلوب ، وتتأثر بها المشاعر .

= (عذرك حالى) تعدت إليك أى وصلت إليك ، والمراد بالحال : ما عليه الإنسان من خير أو شر ، انظر حاشية الباجورى على البردة ص ١٦٠ - السر : ما يكتنه الشخص عن غيره ، الوشاة : (جمع واشى) وهو الذى يشى الحديث أى يزينه ويخرفه للإفساد بين المحبين ، وهو من آفات الحب كما ذكر ابن حزم فى كتابه طون الحماة ص ٥٨ . الداء : المرض . منحزم : منقطع (البقرة ١٢٩) (٢) أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما فى آخر البيت والآخر فى صدر الصراع الأولى أو آخره أو صدر الثانى (التلخيص فى علوم البلاغة ص ٣٩٣) .

إرشاد وإعراض :

ولما كان اللوم في الحب معدودا من الحسد ، قال الشاعر لمخاطبه :
أنا لا ألومك ، ولكنى أهدى إليك نصحي ، وقد عليه المخاطب قائلا : (١)

محضتى النصح لكن لست أسمع

إن المحب عن المذال في صمم (٢)
إني اتهمت نصيح الشيت في عذل

والشيت أبعد في نصح عن التهم (٣)

نعم : أخلصت لي نصحك . وأهديت إلي إرشادك ، ولكن - من عظم محبتى ، وشدة صبايتى - لن أسمع نصح ناصح (لكن لست أسمع) .
ولقد فصل بين الشطر الأول والشطر الثاني من البيت الأول لأن الشطر الثاني إجابة عن سؤال مقدر ، أثاره الشطر الأول والأصل : إذا كنت قد اعترفت بخالف نصحي لك ، فلماذا لم تسمعه وتعمل به ؟ فكان الجواب : (إن المحب عن المذال في صمم) . وفي هذا الجواب تلميح إلى قول الرسول - صلى الله عليه عليه وسلم - " حبك الشيء يعمى ويصم " (٤) كما أن فيه اعترافا صريحا بالحب ، ولا يخفى ما في قوله : (في صمم) من مخالفة ، لأنه لم يرد منه المحضنى اللغوى وهو عدم السمع ، وإنما أراد أنه لا يميز عذله أدنى اهتمام ، أضف إلى ذلك أن التفسير (يعمى) يدل على أن الصمم محيط بالمخاطب إحاطة الظرف بظروفه ، وفي ذلك زيادة تأكيد للمعنى المراد ، ولفظ (محضتى) يشير إلى نزاعة الشاعر عن الإفساد ، كما أن لفظ (النصح) يدل على أنه أراد بالمخاطب شيئا ، لأن النصح لا يكون ظاهرا إلا نعيما يفيد ، فالألفاظ مناسبة للمعنى ، ملائمة للفكرة .

- (١) ديوانه ص ١٩٠ . (٢) محضتى النصح : أخلصته لي . المذال : (جمع غائل) وهو اللأثم في الحب . الصمم : ضعف في قوة السمع .
(٣) اتهمت : من التهمة وهي الحمل على غير المقصود ، وإنيافة (نصيح) إلى (الشيب) للبيان ، أى نصيحا هو الشيب ، أو من إضافة الصفة للموصوف ، أى شيئا صبا ، ونصحه يكون بلسان حاله القائل لصاحبه : استعد فقد أرتز الرحيل ، لعاقلة الملك الجليل .

- (٤) عبد الرحمن الشيباني : تمييز الطيبين الخبيثين يدور على السنة الناس من الحديث ص ٦٥ مطبعة محمد علي صبيح بمصر سنة ١٩٦٣ .

ولقد أراد المخاطب أن يذكر دليلاً آخر يبرر به عدم ساعه نصح الناصح
 مهما كان خالفاً وفاتى بالبيت الثانى مؤكداً وبينما البيت الأول ولذلك فصله
 عنه ، كما صوره . (بيان) زيادة فى التأكيد قائلاً : إني اتهمت كل ناصح حتى
 الشيب الذر ، هو أبعد النصحاء عن الشك والريبة ، لأنه كجزء متصل بجسم
 الإنسان ، ويندرج غالباً - بقربه الأجل - ويحذر من طول الأمل ، ومع ذلك
 تصاديت فى اتهامه ، إذ الحب سلطان جبار ، وسيف بتار .

وفى البيت أكثر من مؤكد ، فبالإضافة إلى ما سبق ذكره ، تجد لفظ
 (نصح) صيغة مخالفة ، لا يخفى ما فيها من زيادة تأكيد ، كما أن إضافتها
 إلى الشيب زاد الأمر بياناً ووضوحاً - كما كرر لفظ الشيب واضحاً المظهر موضع
 الضمير إشارة إلى بيان خطره ، وعظم قدره .

ولقد ختم الشاعر هذا البيت بقوله صادق حكيم : " والشيب أبعد فى نصح
 عن التهم " - اتسم بوضوح معناه مع إيجاز لفظه ، إذ حذف منه الفضل عليه
 والأصل (.. أبعد فى نصح عن التهم منك أو من أى ناصح آخر مهما كان شأنه)
 وفى البيت من المحسنات البدئية رد المجز على الصدر فى قوله : (اتهمت -
 التهم) ولا يخفى أثره فى تأكيد المراد .

وهكذا استطاع البوصيرى أن يصور لنا صورة حية لما يجرى فى عالم
 المحبين من ظهور علامات حبهم ، ودلائل غرامهم ، ولكنهم مع ذلك يحاولون
 الإنكار ، ثم يعترفون - ببعض أمرهم - إذا انقطعت حيلتهم ، وهنت قوتهم
 ، فيتعبرشون للوم والمتاب ، والنصح والإرشاد ، ولكنهم يشكون فى صدق ناصحهم
 لأن الحب سلطانه عظيم ، وأثره كبير .

النفى الأسطورة :

بعد أن بدأ البوصيرى قصيدته بالفنل ، انتقل انتقالاً جميلاً
 من نفى سهولة ويسر ، وخفة وطف - إلى الحديث عن النفس^(١) ، ولعل القارئ

(١) النفس : لفظ يطلق على معان كثيرة ، ولعل المراد به هنا : المعنى الجامع
 للصفات المذمومة وهى القوى الحيوانية والميلادة للقوى العقلية : (أبو حامد الغزالي
 : معارج القدس ، فى مدارج معرفة النفس ص ١٠) وما بعدها ، مطبوعة
 الاستقامة بمصر - غير مؤرخ .

يتصل : وما العلاقة بين الفكرة الأولى - الغزل وشكوى الغرام ، ودلائل الحسب والهيام - وبين الفكرة الثانية - النفس وما يتصل بها - ؟ ولكن الأمر سهيل ، والغلب يسير ~~جدا~~ ، إذ بين الفكرتين ارتباط وثيق ، واتصال عيسق ، فهل الحب والهيام إلا خاطر من خواطر النفس ، وأثر من آثار الحس ، وهل الإنسان إلا بفكره وحسه ونفسه ، فإن ما بالجميع عن كل ما يشين ، ارتقى وارتفع ، وكرمت نفسه ، ونالأت شمس ، وإلا اضطرب أمره وانخفض شأنه ، ولذا قال الشاعر (١)

فإن أمارتي بالموء ما انمظت	من جهلها ينذير الشيب والهزم (٢)
ولا أعدت من الفعل الجميل قري	ضيف ألم برأسي غير محتشم (٣)
لو كنت أعلم أني ما أوقره	كمت سرا بدالي منه بالكتم (٤)

يرسم لنا البوصيري - في هذه الأبيات - صورة ناطقة بالندم ، مليشية بالأسى ، بسبب نفسه الأمارة بالموء التي لم تنمظ - من جهلها - بنذير الشيب والهزم ، اللذين يندران بقرب انتهاء الأجل - غالبا - ومطالبان بإحسان العمل .

(١) ديوانه ص ١٩٠ .

- (٢) أمارة : صفة لموصوف محذوف أي نفسي ، وهي التي تزين لصاحبها المواقف ، الموء : اسم جامع للمفاسد . انمظ : مطاوع وعظ ، يقال : وعظته فانمظ أي قبل النصيحة . نذير : إما بمعنى الإنذار ، فتكون الإضافة في (نذير الشيب) من إضافة المصدر لفاعله ، وإما بمعنى النذر فتكون الإضافة من إضافة الصفة للموصوف ، أو من قبيل الإضافة الهيانية ، إلا إذا نظرنا إلى التشابهة بين النذير والشيب ، فتكون الإضافة من قبيل إضافة المشبه به للمشبه . الهزم : (بفتح الهاء والراء ، ويجوز كسر الأول وفتح الثاني) : تناهى الشيب وما يصحبه من ضعف القوة وذهاب الفتوة .
- (٣) أعدت : بنيات . الفعل الجميل : المراد العمل الصالح ، وهو بيان لقري ، وقدم عليه للوزن . قري : (بكسر التاء مع القصر) صدر قرئت الضيف أي أحسنتا إليه ، وطلن على الصدر وهو الإطعام ، كما يطلق أيضا على الحاصل به وهو الطعام . ألم : (بفتح الهمزة واللام وتشديد الميم مع فتحها) حلى ونزل . وخصص الشيب بالراء مع أنه يظهر في غيرها - كاللحمة مثلا - لأنها أول ما يظهر فيها الشيب غالبا . غير محتشم : غير معنع .
- (٤) أوقره : أحترمه وأعظمه ، والمراد بقوله : سرا : الشيب ، وماء سرا : لأنسه قبل ظهوره يكون خفيا : الكتم : (بفتح الكاف والتاء) نبت يخلط بالحناء ، ويخضب به الشعر ، وقيل : نبت يخضب به الشعر كالحناء .

كما أن هذه النفس لم تراجع حق هذا الشيب وما يتطلبه من بحد عن الدنيا يساء وإقبال على الطاعات ، وصح الشاعر بأنه لو علم - قبل حلول الشيب أن نفسه لن ترعى له حرمة ، ولن تحفك له عهداً ، لستر ما ظهر منه ، يخضب بخفيه ، وللا يستره ، حتى يكون بمنجاة من اللوم ، ويعد عن السباب .

ولعلك تلاحظ أن الشاعر أراد أن يربط بين البيت السابق - الذى اتهم فيه نصيح الشيب - وبين هذا البيت - الذى يتحدث فيه عن نفسه الأمانة - فأتى بالقاء الدالة على السببية ، فكأنه أراد أن يقول : اتهمت نصيح الشيب لا لشيء إلا بسبب هذه النفس الأمانة .

ولما كان الحديث عن النفس الأمانة يتطلب التأكيد لشدة خطرهما أكد الشاعر (بيان) وزاده تأكيداً بوصف هذه النفس بصفة الصهاغة (أمانة) إشارة إلى كسرة نزعاتها ، وتمدد حماقاتها ، وعجالة الشاعر فيها إيجاز بالحذف ؟ إذ حذف الموصوف وهو : (النفس) وذكر الصفة وهي : (الأمانة) ولعل ذلك يبين أن الشاعر أراد أن يحقر نفسه ، ويضع قدرها ، فشرط صفحا عن ذكرها .

وإذا تأملت لفظ (أمانة) وجدت أنه يقتضى آمراً وأموراً ، فمن الأمر ومن المأمور ؟ قيل : الأمر النفس باعتبار تعلقها بالمخالفة ، واعتبار تعلقها بالصواب تكون هي المأمور ، فهما مختلفان على هذا التفسير ، وربما كان الأمر : النفس ، باعتبار أنها منبع الأهواء ، والمأمور : العقل (١) ، والشاعر يلجأ إلى قوله تعالى : " إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ... " (٢) .

ولعل فى تمبير الشاعر بلفظ (اتعظت) ما يشير إلى أنه حاول تهذيب نفسه وزجرها ، إلا أنها زادت فى غيها ، وتطادت فى عصيانها ، وقد أحسن الشاعر عندما وضع علة هذا العصيان ، وسبب ذلك التمرد ، فقال : (من جهلها) وكأنه أراد أن يوضح أن هذه النفس لم ترفض الوعظ كثيراً وضاداً ، فيكون علاجها عميراً ، وإنما رفضته جهلاً وحققاً ، وربما قبلته بالتعليم مثلاً .

(١) حاشية الهاجورى على البردة ص ١٣ بتصرف .

(٢) يوسف / ٥٣ .

والملاحظ أن الشاعر لم يقل : (بنذير الشيب والهزم) ، وإنما قال :
 (بنذير) ولعله عبر بذلك لأن الإضافة للجنس فيصدق النذير على التمسدد ،
 أو لأنه حذف من الثاني لدلالة الأول عليه ، فيكون في الكلام إيجاز بالحذف
 ، والأصل : (بنذير الشيب ونذير الهزم) ، وقد يكون الحذف لضرورة الوزن .
 وفي عبارة الشاعر نكت لطيفة .. منها : اختياره (الشيب والهزم) إشارة
 إلى أنهما من أبلغ المواضع وأقوى النصائح المحسوسة الملموسة ، فلا شيب
 في عظمها ، ولا ارتياب في إرشادهما ، كما أن في عطف الهزم على الشيب
 دفعا لما يتوهم أن الشيب قد حل به وهو في كامل قوته ، ونضارة فتوته ، وربما
 قيل : قدم الشيب على الهزم من أجل القافية .

ولا يخفى تأثر الشاعر بالصوفية وصادتها ، ولقد أشرت إلى أنه قد لازمهم
 مدة من عمره ^(١) ، والصوفية يحذرون - دائما - من النفس وهواها ، كما أنهم
 يقسمونها إلى : أمار ، ولوامة ، وطمعة ، وطمثنة ، وغير ذلك من الأقسام ^(٢)
 ولعل في حديث الشاعر عن النفس ردا قويا على من زعم أن الشاعر قد أخفق
 في أن يكون متصوفا ^(٣) ، وعلى من زعم - أيضا - أن البردة خالية من التصوف ^(٤) .

ولقد رحل البوصيري البيت الثاني بالبيت الأول ، لأنه استمر في الحديث
 عن نفسه بكشف صاوتها ، وبيان عيوبها ، وإن كان البيت الأول قد اشتمل
 على تلك الفكرة ، فيكون البيت الثاني من قبيل عطف الخاص على العام للتأكيد .

ويبدو أن الشاعر أحسن عندما أطلق على (الشيب) لفظ (ضيف) وذلك
 على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، وقد رشح الشاعر تلك الاستعارة بقوله :
 (قرى) كما ذكر قربيتها في لفظ : (ألم) ، ولعل الشاعر وصف الضيف بأنه
 (غدير محتشم) لأنه حل بدون استئذان ، وهذا مخالف لما تعارف عليه الناس ،
 أولا^١ نه قد يستمر مدة طويلة مع صاحبه ، وثان الضيف أن لا يقيم طويلا

(١) انظر ص ٥٥ - هذه الرسالة .

(٢) معارج القدم ص ١٠ وما بعدها .

(٣) مقدمة الديوان ص ٢١ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية المجلد السابع ص ٣٠ .

أولاً لأنه ينفصل على صاحبه حياته ، إذ هو كالنذير بقرب انتهائها .
ومهما يكن من شيء ، فإن في هذه الاستعارة وفي ذلك الوصف ، تشخيصاً
موجهاً بأثر الشيب ، وما يدعو إليه ، ويبدو أن الشاعر نظر إلى قول المتنبي (١) :

سيف ألم برأسي غير محتشم

والسيف أحسن فعلاً منه باللم

إذ شطر المتنبي الأول هو نفس شطر البوصيري الثاني ، ولكن البوصيري
ذكر ما ناسب المقام من مثل قوله : (قرى) كما سبق .

وأخيراً - في البيت الثالث - برسم الشاعر صورة لما يجهش في صدره
من حزن ، وما يحس به من ندم ، كان سببه هذا التفريط ، ولعل ما يشير
إلى ذلك هذا اللون الوديح المسمى " رد السجز على الصدر " في قوله :
(كمت - والكم) ففي حروف ذلك المحسن ما يشمر بالكآبة والحزن .

البحث عن صلح :

ولما أرجع الشاعر عصيان نفسه وحقاقتها إلى جهلها وطيشها ، لم يساس
من إصلاحها ، ولم يخطط من علاجها ، فطلب من يهذب تلك النفس بقوله : (٢)

من لى برد جماح من غوايتها كما يرد جماح الخيل باللجم (٣)

يتمنى الشاعر - في هذا البيت - أن يجد من يتكفل له بإرجاع نفسه
إلى رشدها ، وإخراجها من ضلالها ، وكبح جماحها ، كما يكبح جماح الفرس
باللجام .

(١) هو : أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الكوفي الكندي - توفي سنة

٣٥٤ هـ . انظر : الأعلام ج ١ ص ١١٠ .

(٢) ديوان المتنبي بشرح الدكتور عبد الوهاب عزام ص ٢٨ . مطبعة لجنة التأليف
والترجمة بصر سنة ١٩٤٤ .

(٣) ديوانه ص ١٩ . (٤) من لى : من يتكفل لى . برد : بصرف

جماح : جمع جموح وهو من الخيل الشديدة التي لاتضبط لشدتها وقوتها ، وعلى
هذا ففي عبارة الشاعر استعارة ويجوز أن يكون (جماح) مصدر جمع ، بمعنى
الشدة والقوة ، والتكوين عوض عن المضاف إليه والأصل : جماح نفسي ، وعلى هذا
فتكون عبارة الشاعر حقيقة لا مجاز فيها . غوايتها : (بفتح الغين) ضلالتها
والنعير راجع إلى النفس . اللجم : جمع لجام (مفرط الكلام) وقيل : عربي (انظر
المزهر ج ١ ص ١٦٨ وما بعدها) وهو ما يوضع في فم الفرس ليكون قائده قادراً - به
- على توجيهه .

وإذا تأملت هذا الاستفهام - الذى بدأ به الشاعر - وجدته يشير إلى الاستعطاف والتمنى ، وهذا يوحى بأن الشاعر صادق فى إصلاح نفسه ، ولكن من ذا الذى يقوم بهذه المهمة الشاقة ، التى لا قبل لأحد بها إلا لما قبل حكيم ، وهذا هو سر استفهامه (بمن) الدالة على العاقل .

ويبدو أن الشاعر يشير من طرف خفى وهو الذى تلقن تعالىيسم الصوفية إلى أن الملوك المستقيم لا يتم إلا على يد مجرب حكيم ، له خمسية يشئون النفس وطرق علاجها . إذ تزكية النفس كعلاج البدن ، فكما لا يجوز للمريض استعمال الدواء إلا بإرشاد الطبيب الحاذق ، كذلك النفس لا تتم تزكيتها إلا على يد شيخ راض نفسه - ولا شك فى أن رد النفس عن هواها أساس الإصلاح وعماد النجاح فى الدنيا والآخرة ، قال تعالى " وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَيَآئِلُ الْجَنَّةِ هُوَ النَّارَىٰ " (١) ، وقال جلست قدرته : " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا " (٢) .

إن النفس تحتاج إلى جهاد كبير ، ولذلك أحسن الشاعر حينما وصفها بأنها جماع ، فهذا يدل على شدة بطشها ، ووعوتها التى تشبه جماع الفرس ، ويؤكد ذلك لفظ (اللجم) الذى يحمل معنى القسوة والشدة .

ولا يخفى أن فى العبارة تشبيها أكد الفكرة ووضحها ، أشرف إلى ذلك تلك المحسنات البديعية التى أضفت عليها حسنا ، مثل التناصب (٣) بين (الخيل واللجم) ، والجناس بين (يرد ويرد) وتكرار لفظ (جماع)

(١) النازعات ٤٠ / ٤١ .

(٢) الشمس : ١٠ ، ٩ .

(٣) هو : جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد ، (التلخيص فى علوم البلاغة ص ٣٥٤) .

داء النفس ودواؤها :

يبدو أن الشاعر كان صادقا عندما طلب من يصلح نفسه ويهذبها ، إذ لم يلبث إلا مدة قصيرة حتى سمح - على سبيل التجريد (١) - من يقول له نفس عبارة رائحة ، وحكمة بارعة (٧) :

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها إن الطعام يقوى شهوة النهم (٣)
والنفس كاللؤلؤ إن نهمله شبعلى حب الرضاع وإن تنظمه ينظم (٤)
فأصرف هواها وحاذر أن تولي به إن الهوى ما تولي يصم أو يصم

تضمنت هذه الأبيات بعض ما تعالج به النفس الأمارة بالسوء ، ومن ذلك :

أ - الهمد عن المعاصي •

ب - ومخالفة الهوى - إلا أنك إذا قرأت تلك الأبيات تملك المعجب ، وأخسذك الدهش ، لما اشتعلت عليه من علاج حاسم لداء النفس المضال ، وما يزيدك دهشا صياغتها في هذا الأسلوب السهل ، والحكمة الرائعة •

تأمل هذه الفاء (فلا) التي تشير إلى كلام مقدر ، لم يؤد الناصح ذكره ، إشارة إلى نكتة لطيفة ، وهي الإسراع إلى تقديم الدواء قبل أن يستشري الداء ، والأصل : (إذا كنت تريد كبح جماح نفسك ، والحمد عن غيك فلا ترم ...) •

أرأيت كيف تماثقت الأبيات السابقة بالأبيات اللاحقة ، وأخذ بعضها بزمام بعض مع إيجاز في اللفظ كل ذلك عن طريق الفاء التي تضمنها الفصيحة •
وكان من الطبيعي أن يأتي الناصح بأسلوب النهي ، لأنه وجد نفسه في موقع الطبيب الذي يعالج مرضا ، ومن حقه عليهم أن يأمرهم بكذا ، وينهاهم عن كذا ، عرصا على ما ينفعهم •

(١) هو : أنواع والمراد هنا : أن ينتزع الشاعر من نفسه شخصا آخر يخاطبه (التلخيص ص ٣٦٨ بتصرف) • (٧) ديوانوص ١٩١ •

(٣) لا ترم : لا تقصد ولا تطلب ، كثر : المراد صرّف • والنهم في (شهوتها) عائد على النفس في الأبيات السابقة • النهم : (بفتح النون وتشديدها مع كسر الهاء) الحريص على الأكل والشربا وعلى كثرتهما •

(٤) اعرف هواها : رده • توليه : تحليه الولاية والسلطان عليك • تولي : ملك وحكم • يصم (بنم اليا) بعدها صاد ساكنة) ، مضارع أصم بمعنى : قتل وهلك • يصم (بفتح اليا) بعدها صاد مكسورة) مضارع وصم بمعنى : غابوشان •

وما زاد التمييز روعة تقديم (بالمعاصي) ولعل في ذلك ما يشير إلى التحذير من خطرها ، والتنبية على عظيم ضررها ، والإشارة إلى الأخذ بغيرها وهو الطاعة .

وليتك تتأمل العنف والقوة في قوله : (كسر شهوتها) أفلا يدل ذلك على ما يجب أن يكابده الإنسان من مصاعب تجاه أهوا ، النفس وشهواتها ، والوقوف أمام نزواتها ، وأرى أن هذه المباشرة تهدم ما شاع وذاع من أن الغاية تبيح الوسيلة ، إذ هي تنبه على أن الوسيلة يجب أن تكون مشروعة .

ولم يقف الناصح عند ذلك الأمر ، بل لقد لفت النظر إلى فكرة خاطئة ربما مال إليها بعض الناس وهي : التماهى في الشهوات ، والغلب من الملذات يجعل النفس تبعده عنها رويدا رويدا ، وتأنف من فعلها شيئا فشيئا ، ولكن هيهات هيهات ، إن من شب على شيء شاب عليه ، ومن ألف أمرا مال إليه ، وأصبح من المسير الإقلاص عنه ، وارتكاب المعاصي ، والإقبال على المفاسد كالما ، الملح ، كلما شربت منه ازدادت عطشا ، ولما كانت هذه الفكرة تبدو غريبة عند بعض الناس ، وضعها الناصح بحكمة صادقة ، وقول حكيم ، وتجربة محسوسة (إن الطعام يقوى شهوة النهم) وهذا حق ، لأن حرص النهم على الأكمل يزيده نهما على نهم ، وحرصا على حرص ، فكذلك من يقبل على المعاصي ، كلما فعل محصية فكر في أخرى من دون وازع أو رقيب ، فما أروع تلك الحكمة ، ومسا صدق ذلك القول ، وحق على الناصح أن يؤكد بأكبر منؤكد ، ولذلك أكدده بأن أولا ، وبتكرار الإسناد الناشء عن تعبيره بالجملة الاسمية ثانيا ، ولا يخفى أن الشاعر قد فصل الشطر الثاني عن الشطر الأول لاختلاف جملتيها خبرا وإنشاء .

ولما كان أمر النفس عظيما ، وخطرها جسيما ، لم يكف الشاعر بهسدا الإيضاح ، بل أردفه ببيان أوضح ، وتشبيه أظهر ، فشبه المعنوى (النفس) بالمحسوس (الطفل) حتى تكون الصورة واضحة محسوسة ، وواقعة ملموسة ، فتأكد في النفس وترسخ في الذهن كما يقول عبد القاهر : " . . . إن أنسى النفوس موقوف على أن تخرجها من خفى إلى جلى ، وتأتيتها بصرح بعد مكتى ، وأن تردعها فسى الشيء ، تحملها إياه إلى شئ ، آخر هو بشأنه أعلم ، وثقتها به فسى المعرفة أحكم ، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس ، وما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالإضطرار والطبع ، لأن المعلم المستفاد من طرق الحواس ، أو المراكز

فيهما من جهة البيع ، وعلى حد الضرورة ، يفضل الاستفادة من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام ، ولعل الثقة فيه غاية التمام . . . (١) .

وإذا قيل (٢) : إن البوصيري ناظر في ذلك البيت إلى قول أبي ذؤيب الهذلي (٣)

والنفس راضية إنا رغبتنا

وإذا ترد إلى قليل تقبض (٤)

فلا غشاعة على البوصيري ، إذ تصرف في الفكرة تصرفاً حسناً ، وأنسى في بيته بما لم يأت به سابقه ، ويظهر ذلك في هذا التشبيه (المحسوس) الذي زاد الأسر وضوحاً ، والتجربة بياناً ، وهذا التأثير - إن صح - لا عيب فيه عند النقاد ، يقول ابن رشيق (٥) . . . إن المتبسم إذا تناول معنى فأجسده ، بأن يختصره إن كان طويلاً ، أو يبسطه إن كان كزاً ، أو يبينه إن كان غامضاً ، أو يختار له حسن الكلام إن كان سفاسفاً ، أو رشيق الوزن إن كان جافياً ، فهو أولى به من مبتدعه . . . (٦) .

ولعل بيت البوصيري زاد على بيت سابقه وضوح الفكرة ، وبيانها ، وخاصة أنه قيل في مقام الإرشاد والتوجيه ، وهذا المقام يحتاج إلى الإيضاح والبيان أكثر من غيره .

ولقد قال بعض الكتاب : " إن في هذا البيت خطأ لفظياً ، في قول الشاعر : (ينظّم) إذ لم يرد هذا اللفظ في معاجم اللفظة (٧) . ولكن هذا القول مردود على صاحبه إذ وجدت هذا اللفظ في بعض معاجم اللفظة الموثوق بها . (٨) .

(١) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة بشرح الدكتور محمد عبد المنعم خلفا ج ١ ص ٢٣٤ دار الطباعة المحمدية بحمص سنة ١٩٧٢ .

(٢) قطوف من ثمار الأدب في الجاهلية والإسلام ج ٢ ص ١٣٩ .

(٣) هو : خويلد بن خالد بن محرث الهذلي ، شاعر فحل مخضرم ، توفي نحو سنة ٢٧ هـ (الأعلام ج ٢ ص ٣٧٣) .

(٤) ديوان الهذليين - ص ٣ الدار القومية للطباعة والنشر بمصر سنة ١٩٦٥ ، ويلاحظ أن قول الشاعر (وإذا) يروى بالفاء في بعض الروايات .

(٥) هو : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، توفي سنة ٤٦٣ هـ (الأعلام ج ٢ ص ٢٠٤) .

(٦) البصيرة ج ٢ ص ٢٩٠ .

(٧) شرف الدين البوصيري (الشاعر المصري) ص ٤٤ ، ص ٥٣ .

(٨) انظر تاج الصروس : ج ٩ ص ١٣ ، الفيروز آبادي : القاموس المحيط ج ٤ ص ١٦١ المطبعة اليمنية بمصر سنة ١٣١٩ هـ .

ولما كان اتباع هوى النفس يؤدي إلى الضلال ، نبه الشاعر إلى عيانه
ولملمه تأثر في ذلك بالقرآن الكريم ، إذ نهى الله (سبحانه وتعالى) نبيه بلود
(عليه السلام) عن أن يتبع الهوى بقوله : " وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ " (١) . وبين عاقبة من يتبع هواه بقوله : " وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ
هَوَاهُ " (٢) .

ومن هنا حمن إرشاد الشاعر إلى هذا الأمر ، في إيجاز وصر ، مبسـل
أكد ذلك بقوله : (وحاذر) وهذا القول يتطلب من الإنسان الحذر الدائم
من هذا الأمر الخطير .

ولم يكتف ، الشاعر بالتحذير من هوى النفس ، بل زاد الأمر تأكيداً ، فذمـل
البيت بحكمة صادقة ، تبين عاقبة اتباع الهوى التي لا تخرج عن أحد أمرين :
إما الفتك والهلاك ، وإما المصيب والنقصان ، وأحلاهما مر ، وصدق الشاعر نـسى
قوله : (إن الهوى ما تولى يصم أو يصم) ، فما أحسن من يصم نفسه فـسن
هذين الأمرين ، وذلك بالبعد عن هواها .

ملاحظة النفس عند العمل الصالح :

وإذا كان الشاعر قد حذر من هوى النفس ، ونبه على البعد عن الماـصـى
، كمـلـجـين حاسمين لبعض عللها ، فإنه أشار إلى دواء ثالث ، وهو ملاحظة
النفس عند فعلها العمل الصالح ، مخشبة أن يشوه ربا^(٣) يطل ثوابه . . فيقول^(٤) :

(١) ص ٢٦ /

(٢) القصص / ٥٠

(٣) هو : إظهار العمل للناس ليبروه ويظنوا بفعله خيرا .

(٤) ديوانه ص ١٩٢ .

وراعها وهى فى الأعمال سائمة

(١) وإن هسى امتحلت المرعى فلا تسم

كم حسنت لذة للمرعى قاتل سائمة

(٢) من حيث لم يدرك أن السم فى الدسم

إن العمل الصالح إذا لم يكن خالصا لوجه الله فلا فائدة فيه ، ولا ثواب لصاحبه على فعله ، لأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال الصالحة إلا ما كان خالصا لوجهه يقول تعالى " فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيُصْلِحْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " (٣) ويؤكد ذلك الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله : " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر ، قالوا : وما الشرك الأصفر يا رسول الله ؟ قال : الرياء . يقول الله يوم القيامة - إذا جزي الناس بأعمالهم - اذهبوا إلى الذين كنتم ترأون فى الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء (٤) . "

ومن هنا أمر الشاعر بملاحظة النفس عند فعلها العمل الصالح ، فبان خالصه رياء فلا تركها فى هذا العمل ولمدم الفائدة من فعله .

ولقد أحسن الشاعر فى قوله : (راعها وهى فى الأعمال سائمة .. البيت) ، إذلقى الضوء على حقيقة النفس بهذه الاستحارة التى تدل على أن النفس كالحيوان الذى يرمى ، فإذا لم يكن له راع يرشده ويذره ، فلا بد من وقوع ما يمكن الصفو ، ولعل الشاعر تأثر فى ذلك بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .. (٥) .

إن فكرة الشاعر واضحة ، ولقد ساعد على ذلك بعض المحسنات البديعية التى أكتسبت اللفظ وقعا موسيقيا منشؤه : رد المجر على الصدر فى قول سائمه : (سائمة وعسى) ، والتناسب بين (راعها ، وسائمة ، والمرعى) .

-
- (١) راعها : أمر من راعى يراعى أى لاحظها . الأعمال : المراد بها الأعمال الصالحة السائمة : الحيوان الذى يرمى فى كلأهاج . امتحلت المرعى : وجدته حلوا . لا تسم : من أسام الطائفة أى تركها ترعى : لا تمكنها من الرعى .
- (٢) كم : خبرية بمعنى كثيرا . السم (بتثنية السين) : الشيء القاتل . الدسم : (بفتح الدال والسين) : البودك من لحم وشحم .
- (٣) الكهف / ١١٠ وانظر تفسير القرآن العظيم ج ٥ ص ٢٠٠ .
- (٤) مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٤٢٨ .
- (٥) صحيح البخارى ج ٢ ص ١٠٠ .

ولقد أراد الشاعر أن يؤكد نصيحته السابقة ويقويها ، فقال : (كم حسنت
 .. القلبيت) . وإذا تأملت ذلك القول وجدته سهل العبارة ، واضح الفكرة ، فهو
 يبين أن النفس كثيرا ما جلبت لصاحبها الهلاك ، وذلك عن طريق الإقبال
 على اللذات القاتلة ، والشهوات المهلكة ، التي لم يشعر الإنسان بأثرها إلا قبالة
 عليها ، إقبال النهم على طعام دسم ، قد دس فيه السم وهو لا يشعر ، فتكون
 نهايته في ذلك الطعام .

وكذلك شأن من يقبل على الطاعات - التي هي بمثابة الطعام الدسم - ثم
 لا يريد بها وجه الله ، وإنما يفعلها رياء ، ويحسب بمثابة السم - فيفسدها
 ذلك الرياء ويحبط ثوابها ، ويصح صاحبها كثير السيئات - وهو يظن عكس
 ذلك - فينتج به في النار .

وإذا تأملت لفظ (كم) وجدته يدل على الكثرة ، وفي ذلك إشارة إلى
 أن النفس تفصل ذلك الأمر الخبيث كثيرا ، لأن هذا من طبيعتها ، إذا لزم
 يهذبها صاحبها .

ولعل ما يؤكد ذلك لفظ (حسنت) فإنه فعل مضف يدل على التكرار (١)
 ، وفي إسناد التحسين إلى ضمير النفس ما يشعر بدورها الكبير في ذلك العمل .
 وبدو أن الشاعر فكر لفظ (لذة) إشارة أن اللذات لا تنهى ، وكلما
 ظن الإنسان إشباع نفسه من لذة ، فإذا هو أمام لذة أخرى وهكذا كما يدل
 تنكير ذلك اللفظ أيضا على حقارة تلك اللذات وخسستها ، ومع ذلك وصفها الشاعر
 بأنها : (قاتلة) وهذا يشير إلى نتائجها المهلكة ، وعاقبتها الوخيمة ،
 والإنسان في غفلة عنها (حيث لا يدري) أن حثفه فيما يجري وراءه ، محسولا
 الحصول عليه .

ولا يخفى أنسر المجاز في قول الشاعر : (.. أن السم في الدسم) إذ
 في لفظ (السم) استعارة تصريحية ، وفي لفظ (الدسم) استعارة تصريحية
 أيضا ، لأنه شبه الرياء بالسم ، وشبه الطاعة بالطعام الدسم ، وهاتان الاستعارتان
 قد وضحتا الممنوع بالمحسوس ، وجعلناه ملموسا أمام الإنسان ، فكان أوقع في النفس
 ، وأشد تأثيرا في القلب .

التحذير من الجوع والشبع المفرطين :

ويستمر الشاعر في إهداء نصائحه التي تصلح النفس وتهذبها فيقول (١) :

واخش الدسائس من جوع ومن شبع

قرب مخصصة شر من التخمس (٢)

إنه يحذر من الجوع والشبع المفرطين ، لما لهما من أثر سيء في النفس ، وعلى الماقل أن يكون وسطا في ذلك ، وصدق الله العظيم إذ يقول : **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** (٣) .

ولعلك تأخذ لفظ (اخش) وما يدل عليه من إثارة الانتباه ، واليقظة التامة ، لأن الحذر لا يكون إلا من أمر خطير ، فهيا الشاعر العقل لتقبل ما يحذر منه وهو لفظ (الدسائس) الذي يشير إلى أن أثر الجوع والشبع المفرطين يكون شديدا ، يدل على ذلك صيغة الجمع من جهة ، وقوة اللفظ من جهة ثانية .

ويبدو أن الشاعر قدّم الجوع على الشبع ، لأن أثر الجوع يكون شديدا ، وربما أدى الجوع الشديد إلى ما لا تحمد عقباه . . . وليس معنى ذلك أنك أنه لا تحذر من الشبع ، لا . . . إن الشبع - وخاصة المفرط - ينشأ عنه الكسل من العبادة والميل إلى الشهوات ، مما يؤدي إلى قسوة القلب ، ولذا عبر الشاعر بلفظ (رَبِّ) الدال على التقليل .

(١) ديوانه ص ١٩٢ .

(٢) اخش : من الخشية بمعنى الخوف والحذر أي احذر الدسائس : (جمع دسيعة) وهي الفتنة الخفية من الدساسة وهي الكيد والمكر الخفي المخصصة : شديدة الجوع . التخم : جمع تخمة (بضم التاء وفتح الخاء والميم) : فساد الطعام في المعدة من شدة الامتلاء ، أو فساد المعدة بالطعام الكثير . وذهب بعض الكتاب إلى جواز أن يكون لفظ (مخصصة) كناية عن قلة العبادة ، ولفظ (التخم) كناية عن كثرتها ، ولعل ذلك بعيد ، والرأي الأول أقرب ، لذا كرر لفظي (الجوع والشبع) قبل ذكر لفظي (مخصصة والتخم) . انظر : حاشية الباجوري على البردة ص ١٨ .

(٣) الأعراف / ٣١ .

وإذا تأملت قول الشاعر : (رب مخصصة شر من النخم) ، أدركت أنه يؤكد أن كلا من شدة الجوع وشدة الشبع شر ، إلا أن شدة الجوع تكون أشد من شدة الشبع أثراً ، وهذا ما يدل عليه أفضل التفضيل وهو (شر) الذي يدل - بأصل وضعه - على اشتراك أمرين في صفة ، وزيادة أحدهما على الآخر في تلك الصفة (١) .

ولا يخفى ما في البيت من محسنات بديعية زادت المعنى قوة ووضوحاً ، مثل الطباق بين (جوع وشبع) ، وبين (مخصصة ونخم) .

التوبيخ :

بعدما حذر الشاعر من الجوع والشبع المفرطين - في البيت السابق - ذكر هنا علاجاً آخر للنفس ، وهو : التوبة ، إذ يقول (٢) :

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم والزم حمية الندم (٣)

يا من كثرت ذنوبك ، وعظمت خطاياك ، تب إلى ربك ، وارجع إلى مولاك .

يطلب الشاعر من مخاطبه أن يقلع عن المعاصي بالتوبة الصادقة التي من أهم أركانها الندم ، " والندم " كما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) : توبة (٤) . ولمل لفظ (استفرغ) يدل على ذلك إذ هو فعل أمر ، والأمر يدل على الطلب ، بل إنه قد صدر ببعض الحروف الدالة على الطلب أيضاً ، وفي ذلك تأكيد ظاهر ، وحث كبير على الأخذ بأسباب النجاة . والشاعر يلجأ باستفراغ الدمع إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) حينما سئل عن : النجاة ، فقال : " أمسك عليك لسانك ، ولمسمعك بيتك ، وأبك على خطيئتك . " (٥) .

(١) منار السالك إلى أوضح المسالك ج ٢ هامش ص ٥٩ .

(٢) ديوانه ص ١٩٢ .

(٣) المحارم : (جمع محرم) بمعنى حرام وهو ما لا يحل فعله ومنه قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) " اتق المحارم تكن أعبد الناس " انظر سنن الترمذي المعروف بالجامع الصحيح بشرح عبد الرحمن عثمان - ج ٣ ص ٣٧٧ ، مطبعة الفجالة الجديدة بمصر سنة ١٩٦٧ . الحمية : (بكسر الحاء وسكون الميم) ما يحصى مما يضر .

(٤) مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٣٧٦ .

(٥) سنن الترمذي ج ٤ ص ٣١ .

ويبدو أن الشاعر نكر لفظ (عين) تحقيراً لها ، لعدم مراعاتها أمر ربها ،
 مؤكداً ذلك أنه وصفها بأنها (قد امتلأت من المحارم) وفي إسناد الامتلاء
 إليها مجاز مرسل عرفته الجزئية ، إذ المقصود الإنسان ، ولكنه خص المصين
 بالذكر لأنها مفتاح الخير إذا وجهت إليه ، يدل على ذلك قول الرسول (صلى
 الله عليه وسلم) : عيان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت
 تحوس في سبيل الله ^(١) كما أنها - المين - باب الشر إذا تطلعت إليه ،
 ولذلك أمر الله بفضها في قوله تعالى : " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ مَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ..
 الآية " ^(٢) . . .

وأراد الشاعر أن يؤكد قيمة التوبة فقال : (والزم حمية الندم) . أي السزم
 التوبة التي تحميك من عذاب الله ، بل إنها تقرئك من الله ، وتجعلك أهلاً
 لرحمة الله ، يقول تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ " ^(٣) وقبول
 الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " لله أنرح بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته
 إذا وجدنا " ^(٤) .

عصيان النفس والشيطان :

بعدما حث الشاعر على التوبة و ملازمتها ، لأنها تقرب الإنسان من ربه ،
 أكد الحذر من النفس والشيطان ، مبينا بعض طرق خداعهما فقال ^(٥) :
 وخالف النفس والشيطان وأعصهما وإن هما محضاك النص فاتبهم ^(٦)
 ولا تطع منهما خصما ولا حكما فأنت تعرف كيد الخصم والحكم
 ولا تطع هوى نفسك ، ولا تتبع خطوات الشيطان ، لأنها - مهما أظهرت
 لك النصيح - لا يريدان بك إلا شراً ، ولا يرجوان لك إلا هلاكاً .

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ٩٦ .

(٢) النور : ٣٠ .

(٣) البقرة : ٢٢٢ .

(٤) سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٠٢ مع ملاحظة أن الحديث عدة روايات . (٥) ديوانه ص ١٩٢ .

(٦) الشيطان : كل عات متعبد من الجن والإنس والدواب ولعل المراد هنا (إبليس
 لعنه الله) - وهو من (شطن) إذا بعد ، لبعده عن الخير والرحمة فوزن
 (نيكال) : أو من (شاط) إذا بطل أو احترق ، فوزنه (فعلان) . انظر
 المصباح المنير ج ١ ص ٤٢٦ مادة (شطن) .

تأمل كيف بدأ الشاعر نصحه بقوله : (وخالف) إنه فعل أمر يحمل دلائل كثيرة منها : الإكثار من مخالفة النفس والشيطان بل المداومة على تلك المخالفة ، لأنك إن عصيتهما في جولة ، تربصا بك في جولات ..

ولقد بدأ الشاعر أمره بالحث على مخالفة النفس ، ولعل في ذلك إشارة إلى شدة مكرها ، وعظيم خطرهما ، يؤكد ذلك قوله تعالى : " إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ .. (١) " ، كما أن الشيطان يستعين بهما في نصح خيوطه ، ونصب شباكه ، لأنها عدو داخلي ، وتظهر أحيانا في صورة صديقه والإنسان - ظاهرا - لا يتوقع الأذى من الصديق ، ولكن عندما يأتي الأذى من جهته ، يكون أثره كبيرا ، وخطره عظيما ، وليس معنى ذلك قلة ضرر الشيطان ، لا ، لأنه كما قال تعالى : " إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢) " بل إنه أقسم على الفساد والإفساد ، ألم يقل لربك جل جلاله : " لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (٣) .. " .

ولم يكف الشاعر بالحث على مخالفة النفس والشيطان بل أمر بعصيانهما أيضا ، ولعل ذلك من قبيل عطف الخاص على العام ، أو من قبيل العطف بالمرادف للتأكيد على مخالفة هذين المدوين ، هل إن الشاعر لبأمر بما هو أكر من المخالفة والعصيان ، تأمل قوله : (فاتتهم) ألا تجده عصيانا وزيادة ؟

لقد أمر الشاعر بمخالفة النفس والشيطان وعصيانهما ، هل اتهامهما - في البيت الأول - ثم أكد ذلك كله - في البيت الثاني - ولكن بطريق آخر غير الأمر ، إنه طريق النهي ولا شك في أن النهي يحظى - دائما - باهتمام الإنسان ، ويجمله - ظاهرا - في حذر من النهي عنه ، وخاصة إذا كان من ناصح أمين .

(١) يوسف / ٥٢

(٢) المرجع السابق / ٥

(٣) الأعراف / ١٦ ، ١٧ .

وإذا تأملت قول الشاعر : (ولا تطع منهما خصما ولا حكما) وجدته ينهى
عن طاعتيهما في كل أحوالهما ، ولا يفرونك ارتداً أحدهما ثوب المدل ، ووقف
الأخر منك موقف الخصم ، فلا يغيب عن ذهن الأريب (كيد الخصم والحكم)
إذا كان منهما .

إن هذين البيتين قول حكيم مجرب ، عنده خبرة بحيل النفس ، ولديسه
دراية بدروب الشيطان ، أعف إلى ذلك أنه قد وفق في صياغتهما فيس أسلوب
سهل ، والفاظ تناسب المقام مثل : (خالف ، اعصهما ، اتهم ، ولا تطبع ،
كيد الخصم والحكم) .

ومع ما انتهى الشاعر من نصائحه التي أهداها إلى مخاطبه لكي يصلح بها
نفسه ، وجد نفسه هو لم يعمل بها ، فخاف أن يدخل مع الذين خاطبهم
الله تعالى بقوله (..كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (١)) فوجع عن
التجريد - وقال (٢) :

أستغفر الله من قول بلا عمل	لقد نسبت به نصلاً لذي عقم (٣)
أمرت الخير لكن ما ائتمرت به	وما استقمت لما قولى لك استقم
ولا تزودت قبل الموت نافلة	ولم أصل سوى فرض ولم أصم

لقد اعترف الشاعر بذنبه ، وطلب العفو من ربه ، إذ كيف يأمر غيره بأمر
لم تأت به نفسه ، وكيف يحظر سواه بموعظة لم يتحظ هو بها ، إن فاقده الشيء
لا يملكه .

ولا شك في أن عبارة الشاعر ملائمة للفكرة التي يتحدث عنها ، فبدأ بالاستغفار
(أستغفر الله) لأن الرجوع إلى الحق خير من التماهى في الباطل ، ورحم
الله أمراً عرف قدر نفسه ، ولملك تتأمل نكتة الرجوع عن التجريد ، فلمل الشاعر
رأى أن في الحديث بضمير المتكلم أشد اعترافاً ، وأعظم بياناً لخطأ نفسه ، حتى
لا يدخلها الفرور .

(٢) ديوانه ص ١٩٢ .

(١) الصف / ٣ .

(٣) نسبت : عزوت . نصلاً : ذرية . عقم : (بضم العين والقاف) : أى العقيم
: وهو الذى لا يولد له .

وأحسن الشاعر عندما ذكر أن من لم يعمل بقوله، لن يعبيره أحد أذنا واعية،
مثل من ينسب الولد إلى عقيم، أترى أحدا يصدق أو يهتم بكلامه .

ويبدو أن الشاعر أحب أن يفصل ما أجمله في البيت الأول، فقال في البيت الثاني : (أمرتك الخير) - ويلاحظ أن الشاعر حذف حرف الجر والأصل (أمرتك بالخير) - وأتى به مفصلاً عن سابقه لأنه بيان وتأكيد له، وكان من الطبيعي أن من يأمر بالخير يكون قد اعتزم به أولاً، وهذا ما يسبق إلى الذهن، ولما كان الأمر بخلافه، استدرك الشاعر بقوله : (لكن ما اعتزمت به) ولعل الشاعر يلح بذلك إلى قوله تعالى : " أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ (١) . . الآية " .

ولقد زاد الأمر تأكيداً بقوله : (وما استقيمت فما قولي لك استقم) ولعله خص الاستقامة بالذكر، لأنها أمر جامع لكل أبواب الفلاح والنجاح، ويؤكد ذلك أن الله قد أمر نبيه محمداً (صلى الله عليه وسلم) بها في قوله تعالى : " فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ . . (٢) . . الآية " .

وواضح أن هذا الاستفهام الذي اشتملت عليه العبارة يفيد التوبيخ والإنكار، ولعل الشاعر قد نظر إلى قول أبي الأسود الدؤلي : (٣)

يأيها الرجل المعلم غسيره	هلاً لنفمك كان ذا التلميذ
تصف الدواء لدى السقام وذى الضنى	كما يصح به وأنت سقيم
أبدأ بنفسك فأنهها عن غيرها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم (٤)

-
- (١) البقرة : ٤٤ (٢) هود / ١١٢
(٣) حر : ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي توفي سنة ٦٩ هـ . (الأعلام ج ٣ ص ٣٤)
(٤) ديوانه : بتحقيق وشرح عبد الكريم الدجيلي ص ٢٣٣ . مطبعة شركة النشر والطباعة العراقية ببغداد سنة ١٩٥٤ .

ويبدو أسف الشاعر وحزنه في البيت الثالث ، لأنه لم يتزود قبل موته
بالنوافل التي تقرسه من ربه ، وتجعله أهلاً لحبه ورضاه ، وإنما اكتفى بأداء
الفرض من الصلاة والصيام ، ولعله اقتصر عليهما دون الزكاة لأنه كان فقيراً ، مع
العلم بأنه أدى فريضة الحج ، ويبدو أنه صكت عن ذكره لعدم استطاعته الحج
مرة ثانية ولعله يلح بذلك إلى الحديث القدسي : " وما يزال عهدي يتقرب إليّ
بالنوافل حتى أحبه ... (١) " .

ولا يخفى أن الأبيات قد اشتملت على بعض المحسنات البديعية التي
ساعدت على زيادة موسيقاها روعة وجمالاً ، مثل : المناسبة بين (نسبست ،
نسلاً - عقم) وبين (نافلة ، لم أصل ، لم أصم) ، والطباق بين (نافلة ،
وفرض) .

مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

ويجد ما أعلن الشاعر أسفه وأظهر ندمه ، لاقتصاره على أداء الفرائض ، وتركه
النوافل ، عرج على مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) قائلاً (٢) :

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى	أن اشتكت قدماه الضرمين ورم (٣)
وشد من سنباحشاه وطوى	تحت الحجارة كشحا مترى الأدم (٤)
وراودته الجبال الشم من ذهب	عن نفسه فأراها أيما شمس (٥)

يمدح الشاعر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذه الأبيات بقيامه الليل ، وصيامه
النهار وزهده في هذه الحياة ، إشاراً لما يبقى على ما يقنى .

(١) صحيح البخارى ج ٨ ص ١٣١ .

(٢) ديوانه ص ١٩٢ .

(٣) ظلمت : من الظلم وهو وضع الشئ في غير

موضعه . السنة : (بتشديد السين مع ضمها) في اللغة الطريقة والبراد هنا

ما نسب إلى الرسول قولاً أو فعلاً أو تقريراً دين وجوب

(٤) شد : عصبى . سنب : الجوع أو شدته : وهو الراجح . الأحشاء : (جمع

حشا) وهو : ما انضمت عليه النطوع ، وقيل : الأمعاء . طوى : ثنى . الكشح : ما

- بين الغاصرة إلى النطع . مترى : من الترف وهو النحوة المفرطة والمراد

اللين . الأدم : (جمع أديم) وهو الجلد .

(٥) راودته : من الراودة وهي المطالبة ، والمراد دعوته إلى نفسها بإغراء . الشمس :
المراد : السزة .

ولعل الصلة وثيقة بين الأبيات السابقة وتلك الأبيات فإن في الأبيات السابقة ندم الشاعر على تركه النوافل ، وهنا يبين أنه ظلم نفسه لتفريطه في تلك النوافل فحرم ثوابها الكبير ، وأجرها العظيم .

وإذا تأملت قوله : (ظلمت سنة ٠٠٠) وجدته نسب الظلم إلى نفسه وأوقعه على السنة ، وفي هذا التعبير مجاز ، إذ عبر الشاعر بالمازوم وأراد اللازم وهو الترك ، ولا يخفى ما في ذلك الإسناد من نكت لطيفة منها : اعتراف الشاعر بجرمه الذي ارتكبه ، وتقريع نفسه وتوبيخها ، لعدم اقتدائها بالرسول (صلى الله عليه وسلم) في الإكثار من النوافل التي واظب عليها مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

والملاحظ أن الشاعر لم يصرح باسم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بل عبر باسم الموصول (من) ولعل في ذلك إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ في تلك الصفة - إحياء الظلام - حدا لا يشاركه فيه أحد ، فلا لیس ولا إيهام ، بالإضافة إلى ما في ذلك التعبير من إثارة للحس ، وتشويق للنفس .

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (أحيأ الظلام) تمهيرا مجازيا - استعمارة تصريحية تمهية في (أحيأ) أو مكية في (الظلام) - عن قيام الليل ، وهذا التعبير يشير إلى أثر الصلاة بحامة ، وقيام الليل بخاصة ، إذ المراد (أنوار الليل) ، وهذا ما يؤكد قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - " .. والصلاة نور .. " (١) .

وهو أن الشاعر أراد بقوله : (الظلم) الليل المظلم ، وفي ذلك إشارة إلى ما يكابده الإنسان من مشقة وجهاد عند قيامه الليل ، كما أن الشاية نفسى قوله (إلي أن ٠٠٠) ليست على بابها ، أضف إلى ذلك أن في قوله : (اشتكت قدماه النحر من روم) كناية لطيفة تشير إلى طول قيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعرضه على فعل ما يزيد قربا من الله وحبا لله ، كما أشار إلى ذلك الحديث القدسي : " وما يزال عهدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه " (٢) . ولا شك نفسى أن قيام الليل من أفضل القربات ، ولذلك أمر الله به رسوله (صلى الله عليه وسلم)

(١) سنن الترمذى ج ٥ ص ١٩٢ .

(٢) صحيح البخارى ج ٨ ص ١٣١ .

في قوله تعالى : " وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا " (١) كما حث عليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في كثير من الأحاديث (٢) .

وهذا البيت يلح إلى ما روى من أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قسب الليل حتى تورمت قدماه ، فقبل له : " لم تصنع هذا ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ " قال : أفلا أكون عبدا شكورا (٣) .

هذا عن قيامه (صلى الله عليه وسلم) - أما عن صيامه (صلى الله عليه وسلم) وعمله الجوع ، فقد أشار إليه الشاعر إشارة لطيفة ، بكناية ظريفة ، في البيت الثاني وهو في هذا البيت يرسم لنا صورة دقيقة لأشرف إنسان ، وأكرم مخلوق ، إنه يشد على بطنه حجرا من شدة الجوع ، ولكن الشاعر اختار ألفاظا ناصية الفكرة ووضحتها ، فهو مثلا قال : (من سغب) ولم يقل من جوع ، إذ السغب أشد من الجوع ، أضف إلى ذلك أنه عبر بالجمع فقال : (تحت الحجارة) ولم يعبر بالمفرد وذلك لتأكيد شدة الجوع .

ولو تأملت ذلك كله لظننت أن صاحب هذا الجهاد بلغ جلداه مهلا كثيرا في السوء ، ولكن الشاعر اللبيب يحترس عن ذلك بقوله : (مترف الأدم) فيؤمل كل ما علق بالأنفهام ، ويؤكد حفظ الله رسوله (صلى الله عليه وسلم) من كل سوء .

ولعل الشاعر يلح في ذلك البيت إلى الحديث الشريف : " عن جابر (رضي الله عنه) قال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدبة (٤) كديدة ، نجأوا النسي (صلى الله عليه وسلم) فقالوا : هذه كدبة عرضت في الخندق ، فقال : أنا نازل ثم قام بطنه معصوب بحجر ... فأخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) المعول فشرب فمسأه كثيرا أعيل ... (٥) .

(١) الإسراء : ٢٩ .

(٢) انظر : سنن الترمذي ج ٥ ص ٢١٢ وما بعدها - صحيح البخاري ج ٢ ص ٦٠ وما بعدها .

(٣) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٦٩ .

(٤) الكدبة : هي الصخرة الشديدة .

(٥) صحيح البخاري ج ٥ ص ٣٨ .

وأحسن الشاعر حينما أشار إلى أن هذا الصيام أو هذا الجوع كان الدافع إليه زهده (صلى الله عليه وسلم) في متاع هذه الحياة الدنيا ، وليكون قدوة طيبة لأُمَّته تنهج نهجه ، وتتقوا أثره ، ولعل ما يلاكم ذلك قول البوصيري : (رواَدته الجبال الشم من ذهب) . أرايت عظيما تراوده الجبال أن تكون له ذهبيا فيايى زهدا مثل الرسول (صلى الله عليه وسلم) ؟

تأمل لفظ (رواَدته) تجده يوحى بالإغراء الشديد ، ويؤكد ذلك لفظ (الجبال) بصفة الجمع ، وليست جبلا واحدا ، وزاد التأكيد أنها (شم) فهي ضخمة فخمة وليست من رمال بل (من ذهب) ومع كل هذه الأمور التي تجعل الإنسان لا يرد لها عرضا ، ولا يرفض لها طلبا ، أباها الرسول - صلى الله عليه وسلم - إياها صريحا دون تردد ، يدل على ذلك هذه الفاء التي تبديل على الترتيب والتعقيب ، (فأراها أيما شميم) وكيف لا يأبساها وهو الذي علمنا أن " الفنى ليس عن كثرة المرض ولكن الفنى غنى النفس " . (١)

ولم يزل أن الشاعر يشير بحديثه عن رواودة الجبال . . إلى أحد عاملين من أهم عوامل الإغراء في هذه الحياة ، وهو المال ، أما العامل الثاني فهو النساء ، وقد أشار إليه القرآن الكريم مثلا في قصة امرأة العزيز مع نبي الله يوسف (عليه السلام) حيث قال الله تعالى : " رواَدته التي هو نبي بيتها عن نفسه وخلق الأبواب وقالت : هيت لك قال : معاذ الله . . الآية " . (٢)

ولعلك تمجّب من أن الراودة في الأمرين (المال والنساء) قد انتبهت بالرفض القاطع ، ما يشير إلى عظمة رسل الله الذين اصطفاهم الله واجتباهم .

وإن تمجّب فمجبب أمر هذا الكاتب الذي قال : " أما حديثه - البوصيري - عن الجبال التي عرضت على رسول الله أن تكون له ذهبيا ، فإنه ممن مهالقات المتصوفة ، وليس له سند من التاريخ الصحيح ، ولا ذكر لهذا نسي سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري ، على أن زهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ١١٨ يتصرف .

(٢) يتصرف : ٢٣ .

أجل من أن يؤكده بهذا الإغراق (١) مع أن القصة قد وردت في حديث
تهوى شريف ولفظه : .. أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " عرض
على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا ، قلت : لا يارب ، ولكن أشبع يومئذ
و أجمع يوما . أو قال ثلاثا - أو نحو هذا - فإذا جمعت تضرعت إليك وذكرتك ،
وإذا شبعت شكرتك وحمدتك (٢) .

وأراد الشاعر أن يؤكده زهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال (٣) :

وأكدت زنده فيها ضرورتها إن الضرورة لا تعدو على العزم (٤)
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

إن ما يؤكده زهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) رفضه أن تكون جبال مكة
له - ذهبا مع أن قلعة ماله ، كانت مبررا لقبول ذلك العرض ، وهذا ما تشهير
إليه كلمة (ضرورته) إذ من المعلوم أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يكن
يملك من حطام الدنيا إلا اليسير ، فقد روى أن السيدة عائشة (رضى الله عنها)
قلبت : " كان فراش رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من آدم وعصوه من ليف (٥) " ،
وقالت : ما أكل آل محمد (صلى الله عليه وسلم) أكلتين في يوم إلا إحداها تمر (٦)
" ومع كل هذا رفض ما عرض عليه من جعل الجبال له ذهبا !!

لقد أحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عيشة الزهد والكفاف ليقترن به
بم أصحابه ، ولتتخذ أمته ذلك نهجا لها ، فملك الدنيا في أيديها لا نسي
قلوبها ، حتى لا تفتنهم كما فتنت من قبلهم ، يؤكده ذلك الرسول (صلى الله عليه وسلم)
عليه وسلم) بقوله : " والله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط

(١) الإسلام في شعر شوقي ص ٦٥ .

(٢) سنن الترمذي ج ٤ ص ٦ " وقال عنه الشيخ : حديث حسن .

(٣) ديوانه ص ١٩٢ .

(٤) الضرورة : المراد : الحاجة . المصم : (جمع عصمة) وهي في الأصل : ملكة تمنح
صاحبها من فعل ما يلام عليه ، والمراد هنا حفظ الله رسوله من فعل ذلك .

(٥) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٢١ .

(٦) المرجع السابق .

عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنا فسوها كما تنافسوها ،
وطلبكم كما ألهتهم (١) .

أما قوله تعالى : " وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٢) " فقول : إن الممْنَى " كست
ذا عيال فأغناك الله عن سواه ، فجعل لك بين مقامى الفقير الصابر ، والفنى
الشاكر (٣) .

ولما كان فى عبارة الشاعر ما يثير العجب ، إذ من المعلوم أن الضرورات تبيح
المحظورات ، أما هنا فإن الضرورة أكدت زهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)
لما كان ذلك مثار عجب أكده الشاعر بقوله : (إن الضرورة لا تمدو على المصم)
، أى إذا دفعت الضرورة الإنسان المادى إلى فعل محظور ، فليس لها أن
تستولى على أصحاب العصمة (عليهم الصلاة والسلام) وتدفعهم إلى مثل ذلك
، لأن الله اصطفاهم واجتباهم .

وإذا كان هذا التحليل - (إن الضرورة) - قد شمل جميع الأنبياء ، فلقد
أراد الشاعر أن يخص الرسول (صلى الله عليه وسلم) بشئ آخر ، فأشار إلى أن
الضرورة لا تستطيع أن تدفع الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى حب الدنيا
والانخداع بمشاعرها وماهجها ، وكيف يتأتى لها ذلك وهو (الدنيا) مدبنة
فى خلقها للرسول (صلى الله عليه وسلم) إذ كان سببا فى خلقها وفى خلق غيرها .

ويبدو أن الشاعر يلج بذلك إلى بعض الأحاديث التى لا يعلم مدى
صحتها إلا الله - إذ اختلف فيها العلماء (٤) - ومن هذه الأحاديث :
" أوحى الله إلى عيسى (عليه السلام) : آمن بمحمد ومرض أمك
بأن يؤمنوا به ، فلو لا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار . (٥) " .

(١) المرجع السابق ج ٨ ص ١١٢ .

(٢) النسخ / ٨ . (٣) تفسير القرآن العظيم ج ٨ ص ٤٤٨ .

(٤) انظر : أمين محمود خطاب ، الاتحافات الإلهية ببيان المقامات المليحة هامش
ص ٢٥٥ طبع سنة ١٢٧٣ هـ (لم يدون عليه اسم المطبعة) .

(٥) شرح الزرقانى المالكى على المواهب اللدنية ج ١ ص ٤٤ وما بعده
المطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٢٢٥ هـ .

ولقد رفض بعض الكتاب تلك الفكرة من البوصيري قائلا : " لا نوافق البوصيري على أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو المقصود من هذا الوجود ، ولولاه لم يخلق الله العالم ، لأن هذا - على ما فيه من بطلان - تحليس لخلق العالم لم يذكره الخالق نفسه ، ولم يذكره محمد - عليه الصلاة والسلام ، وليس من الدين الخالص ، ولا من التفكير السديد أن يدين أحد بمثل هذا الرأي (١)

ولقد واصل الشاعر مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) : قائلا : (٢)

محمد سيد الكونين والثقل - - - - - بين والفريقين من عرب ومن عجم (٣)
نبينا الأمر الناهي نادر أحد أبهر في قول لا منه ولا نصيب (٤)

إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أفضل المخلوقات ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا أحد أصدق منه في أمره ونهيه .

وإذا تأملت قول الشاعر : (محمد سيد الكونين) وجدت قد صرح بالاسم الشريف ، وفي ذلك : تلذذ بذكره ، وكيف لا وهو أشرف أهل السماء وأهل الأرض من إنس وجن ، وعرب وعجم .

ولعل الشاعر يلجأ إلى الحديث الشريف : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، ومبدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يوشد : آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر " . (٥)

(١) الإسنم : في شعر شوقي ص ٦٥ .

(٢) ديوانه ص ١٩٢ .

(٣) سيد / المراد أشرف وأفضل . الكونين : السماء والأرض والمراد : سيد أهل الكونين . المتلين : الإنس والجن ومن ذلك قوله تعالى : " سَتَجِدُنَا أَهْلَ الثَّقَلَانِ " الرحمن ٢١٧

(٤) نبأ : من النبوة - بلا همز - وهي الارتفاع - والهمز - من النبأ وهو الخبر فهو على الأول : المرتفع عند الله والإناس ، وعلى الثاني : المخبر عن الله هذا في اللغة ، أما في الشعر فهو : إنسان حر ذكر من بنى آدم أوحى الله إليه بشعر سواء أمر النبي أم لم يؤمر : (شرح البيهقي على الجوهرة ج ١ ص ١١) (دار الشريعة ١٩٦٥) . (٥) سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٤٢ .

ولا يخفى ما فى قول الشاعر من إطناب مناسب مقام المدح ، إذ أتى بذكر الخاص - (الثقليين) - بعد العام - (الكونين) - ، كما أتى بتوسيع ^(١) فى قوله : (من عرب ومن عجم) بعد قوله : (والفريقين) وكل هذا يؤكد المعنى ويقرره فى النفس . ثم يؤكد الشاعر فضل الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعلو منزلته فيقول ^(٢) :

هو الحبيب الذى تُرجى شفاعته

لكل هوى من الأحوال مفتاحه ^(٣)

دعا إلى الله فالمستمسكون به

مستمسكون بحبل غير منقوص ^(٤)

إنه الحبيب الذى تقبل شفاعته يوم الدين ، " يَوْمَ يَقْبِضُ النَّاسُ لِسَرِّبَ الْخَالِئِينَ " ^(٥) . ولقد دعا إلى الإيمان بالله والحمل بما فى كتاب الله ، والاستمسك به ، فمن استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى التى لا تنقص عراها .

وإذا تأملت قول الشاعر : (هو الحبيب) وجدته أسلوب قصر وطريقه تعريف الطرفين ، فعلا م يدل ذلك التعبير ؟ إنه يدل على أنه هو الحبيب الذى لا حبيب سواه ، فهو أولى بالحب دون غيره ، أليس هو القائل : " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين " ^(٦) .

وكيف لا يكون كذلك وهو صاحب الشفاعة يوم القيامة يوم يقول كل نبي " نفسى " ويقول عو : " يارب أمتى ، يارب أمتى " ^(٧)

ولا يخفى أن فى قول الشاعر : (دعا إلى الله) إيجازا بال حذف ، إذ حذف المفعول به ، لتذهب النفس فيه كل مذهب أى دعا القريب والبعيد ، والصاحب والمدود . وهكذا ، وفى ذلك عموم وشمول ، كما حذف المضاف والأصل : (دعا

(١) هو : أن يمتدح فى عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين ، ثانيهما معطوف على الأول : التلخيص فى علوم البلاغة ص ٢٢٣ . (٢) ديوانه ص ١٩٣ .

(٣) الحبيب : إما بمعنى (محب) فيكون اسم فاعل ، وإما بمعنى (محبوب) فيكون اسم مفعول . الهول : الشدة والبلاء . مفتاح : من الاقتحام وهو الوقوع فى شدة . (٤) المنقوص : المنتطح .

(٥) الطوفان ص ٦٠ .

(٦) صحيح البخارى - ج ١ ص ١٠ .

(٧) المرجع السابق ج ٩ ص ١٨٠ ، صحيح مسلم ج ١ ص ١٢٢ وما بعدها طبعة دار التحرير بدمشق سنة ١٣٨٣ هـ .

إلى دين الله مثلا) وفي ذلك دليل على نزاهة دعوته ، ووضوح طريقها ، وصدق الله العظيم إذ يقول : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ۝٠ الآية) (١)

ولعل في التمييز بلفظ الاستعصاء ما يشير إلى أنه لا يكفي مجرد قبول الدعوة بل لابد من المعص عليها بالنواجذ ، وتحمل مشاق تكاليفها .

ولا يخفى ما تشير إليه الكناية اللطيفة التي في قول الشاعر : (بحبل غير منقسم) ففيها معنى القوة المستمدة من هذا الدين الحق .

ولعل الشاعر تأثر في عبارته بالقرآن الكريم من مثل قوله تعالى : (وَلَعَتِصُمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (٢) ، وقوله تعالى : (قَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ۝٠) (٣) .

ثم اتجه الشاعر إلى بيان منزلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بين بقية الرسل فقال (٤) :
 فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم (٥)
 وكلهم من رسول الله ملتصس غرنا من البحر أورشافين الديم (٦)
 وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم أو من شكلنا لحكم (٧)

يبين البوصيري أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد حظى من الله بفضل كبير ومقام عظيم ، ففاق النبيين في كل أموره ، وسما عليهم في كل أحواله . يؤكد ذلك لفظ (فاق) وما يحمل من معنى الملو والرفعة ، كما أن التصكير في قوله : (في خلق) وفي قوله : (في خلق) وكذلك في قوله : (في علم ولا كرم) يدل على الحماس والشمول والجلال والكمال .

(١) يوسف / ١٠٨

(٢) آل عمران / ١٠٣

(٣) البقرة / ٢٥٦

(٤) خلق : (بفتح الخاء وسكون اللام) أى الخِلقة - خلق : (بضم الخاء واللام) .

الطبيعة والسجية .

(٥) ملتصس : من الالتصاس : وهو في الأصل : الطلب من مائل والمراد هنا : الأخذ (فملتصس أى أخذ) ، غرنا : (بفتح الغين وسكون الراء) صدر : غرنا أى أخذنا رشنا : مصدر رشف بمعنى معى . الديم : (بوزن الحويل) جمع ديمة : وهى المطر الدائم الذى ليس منه رعد ولا برق .

(٦) الحد : المراد النفاية - الشكلة : العلامة يشكل بها الكتابيد الحكم : (جمع حكمة) وهى ونح الشئ في موضعه .

وأراه الشاعر أن يؤكد تلك المنزلة الكبيرة فقال : (ولم يدانوه في علم ولا كرم)
ولعله خص (العلم والكرم) بالذكر ، لأنهما أساس كل خير ، وأصل كل صفات
الجلال والكمال ، والشرف والرفعة .

ويبقى دليلا على حسن أخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) قوله تعالى : " وَإِنَّكَ
لَمَلَكٌ خَلَقَ عَظِيمٌ " (١) كما يدل على حسن خلقه (صلى الله عليه وسلم) ما ذكرته
بعض كتب السيرة والتاريخ مثل : " كان (صلى الله عليه وسلم) ظاهرا للوضاعة ، ...
وسيطا قسيما .. كما كان فخما مفخما ، يتلألأ وجهه تالؤلؤ القمر ليلة البدر " (٢) .

وإذا تأملت قول الشاعر : (وكلهم من رسول الله ملتمس .. البيت) . وجدتموه
يؤكد فضل رسول الله ، وعظيم منزلته ، كما يبين غزارة علمه ، وسعة كرمه ، وحتى
لقد ذهب الشاعر إلى أن الأنبياء (عليهم السلام) قد أخذوا من فضائله بقدره
فضمهم من أخذ كثيرا (غرنا من البحر) ، وضمهم من اقتبس قليلا (رشنا من الديم)
وعرفوا منزلتهم بالنسبة إلى منزلته (ووافقون لديه عند حدهم) وأدركوا ضالة علمهم
بالنظر إلى علمه (من نقطة العلم أو من شكلة الحكم) . فعلمهم كالنقطة إلى سى
جوار بحر علمه الفزير ، أو كالشكلة إلى جانب جوامع كلمه (صلى الله عليه وسلم) .

ولا يخفى أن الشاعر ذكر لفظ (النقطة) ولفظ (الشكلة) كناية عن الضالة
وهو في هذا قد تأثر ببعض ما كان يستعمله في علمه الأول عندما عمل خطاطا
يكتب شواهد القبور - كما سبق (٣) .

ولعل سائلا يسأل : كيف يضمن الشاعر أن الأنبياء قد اقتبسوا من رسول
الله (صلى الله عليه وسلم) مع أنه خاتمهم ؟

والجواب عن ذلك : يبدو أن الشاعر تأثر في ذلك القول ببعض الأحاديث
التي يروى فيها ظاهرها سبق الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثل قوله : (صلى الله
عليه وسلم) " إنسى عند الله لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته " (٤) .

(١) القلم : ٤ (٢) أسد الغاب : ج ١ ص ٤٥٢ بتصرف .

(٣) انظر ص ٥١ من هذه الرسالة .

(٤) روى أحمد وأحمد والبيهقي والحاكم وقال عنه الحاكم " صحيح الإسناد " انظر : شرح
الزرقاني على المواهب اللدنية ج ١ ص ٣١ ، طبقات ابن سعد ج ١ القسم الأول ص ٩٥ وما
يتمدها ، ومعنى (منجدل) مضمم الميم وسكون النون - أى ملقى على الجباله وهسى
الأرض الصلبة .

وقوله (عليه الصلاة والسلام) في حديث آخر عندما قيل له : يا رسول الله متى وجهت لك النبوة ؟ قال : وأدم بين الروح والجسد (١) .

ويبدو أن مثل هذه الأحاديث مؤولة على أن نبوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) كانت مقدرة قبل خلق آدم (عليه السلام) وغيره ، إذ من الثابت أن الله (عز وجل) قد قدر المقادير قبل خلق العالم كله على حسب علمه الأزلي ، وهذا ما يؤكد الحديث الشريف ، فمن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال : وكان عرشه على الماء (٢) " وفي حديث آخر قال (صلى الله عليه وسلم) : " إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : رَّبِّ وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء وحتى تقوم الساعة (٣) " .
بالإضافة إلى ذلك يبدو أن الشاعر سلك مسلك كثير من الصوفية الذين يذهبون إلى القول بسبق النور المحمدي ، وأنه قد خلق منه ما عداه (٤) ، مستدين نسي ذلك إلى حديث ضعيف الإسناد وهو : عن جابر بن عبد الله قال : قلت يا رسول الله - بأبي أنت وأمي - أخبرني عن أول شيء خلق الله قبل الأشياء ، قال : " يا جابر ، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ... (٥) " والصوفية الذين يتعمقون بهذا الحديث يقولون : " وهذا ثبت تقدمه (صلى الله عليه وسلم) على الأنبياء جميعا في النشأة الروحية وأنهم منه أخذوا وارشفوا ... (٦) " .
ومع كل هذا كت أحب أن يمدح الشاعر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بصفات لا تثير جدلا أو اعتراض بعض الكتاب ، الذين عقبوا على قول البوصيري

(١) سنن الترمذي ج ٥ ص ٤٥٠ قال عنه الترمذي " حسن صحيح " ، شرح الزرقاني

(٢) أخرجه صحيح البخاري

(٣) لسان بن الأشعث (أبو داود) المسجستاني : منه ج ٢ ص ٢٨٨ بتحقيق الشيخ أحمد سعد مطبعة البابي الحلبي بصر سنة ١٩٥٢

(٤) الأدب النبوي في مصر في القرن السابع الهجري ص ١٢٥ وما بعدها ، محمد ناصر الأندلسي : النور المحمدي ص ٤ وما بعدها (لم يدون عليه اسم المطبعة) وطبع سنة ١٩٧٦ .

(٥) شرح الزرقاني على المواهب ج ١ ص ٢٧ ص ٤٦ .

(٦) مغازي عامر : الترياق الصمدى حول النور المحمدي ص ١٥ بتحقيق محمد النجاشي - (لم يدون عليه اسم المطبعة) وطبع سنة ١٩٧٦ .

(وكلهم من رسول الله ملتصقون) : * ولما نشك في أن النبي أفضل الأنبياء ، لأنه خاتمهم ، وناسخ شرائعهم ، ولكنا لا ندري كيف اقتبسوا منه ، أو من شريعته ، وهم متقدمون عليه في الزمن ؟ ولو أن البوصيري قال : إن شريعته جاءت مكملّة لشرائعهم ، وأنه بحث ليتم ما كان ينقصهم لكان هذا هو المتفق مع الحقيقة ، ومع ما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي ، وإذا كان قد أراد أن شرائعهم وأخلاقهم بالنسبة إلى شريعته وأخلاقه ، كأنها قبض منها ، فبيان التصير لم يصحفه ليدل على ما أراده (١) . *

إن الشاعر قد بين فضل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على سائر الرسل (عليهم السلام) وليس معنى هذا أنه يضع قدرهم أو يقلل شأنهم - حاشا لله - إن الرسل جميعا (عليهم الصلاة والسلام) أطهر عباد الله قلبا ، وأزكا هم نفسا ، وأوفرهم علما ، وأرجحهم عقلا ، وأجلهم خلقا ، وأكملهم خلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأهداهم سبيلا ، إلا أن حكمة الله قد اقتضت أن يجعل هؤلاء الصفوة درجات في الفضل ، ألم يقل (جلت قدرته) في القرآن الكريم : " وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ " (٢) . ألم يشر إلى ذلك أيضا في قوله تعالى : " مِثْلَ الرُّسُلِ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ " (٣) . ولعل ذلك التفضيل يكون - والله أعلم - في المواهب السنية ، والخصائص الملمية ، والفضائل الكريمة ، والمناقب العظيمة ، ألما في أصل النبوة فكلهم أنبياء الله (٤) ، ولعل هذا هو ما ينصب عليه قوله : (صلى الله عليه وسلم) : " لا تخيروا بيني وبين الأنبياء " (٥) . وفي رواية أخرى : " لا تفضلوا بين أنبياء الله " (٦) . *

-
- (١) الإسلام في شعر شوقي ص ٦٥ ، الإمام البوصيري ص ٦٣ .
 (٢) الإسراء / ٥٥ ، وانظر تفسير القرآن العظيم المجلد الخامس ص ٨٧٥ .
 (٣) البقرة : ٢٥٣ ، وانظر تفسير القرآن العظيم المجلد الأول ص ٤٤٨ .
 (٤) الشيخ حسين محمد مخلوف : شذرات من معجزات وخصائص الرسول ، ص ٢٨ وما بعدها .
 (٥) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٥٨ وما بعدها .
 (٦) صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٢٥ .

ومهما يكن من شيء فإن البصيرى ما زال يمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) قائلا (١) :

فهو الذى تمّ معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا بارى النسم (٢)
منزه عن شريك فى محاسنه فجوهه الحسن فيه غير منقسم (٣)
دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم (٤)
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف

وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له حد فيمر بعبه ناطق بفسم

يشير الشاعر فى هذه الأبيات إلى أن الله تعالى قد اصطفى الرسول - محمدا (صلى الله عليه وسلم) بعد أن كمل باطنه وظاهره بالسمت الحسن، والخلق الكريم، وأصبح جامعا لصفات الجلال والكمال، التى لم يشاركه فيها أحد، فاستحق أن يمدح بما يناسب شرفه العظيم، ومقامه الجليل الذى لا يستطيع إنسان مهما أوتى من الفصاحة أن يحيط به.

وإذا تأملت قوله : (فهو الذى تم معناه وصورته) وجدته يدل على الإحاطة والشمول، كما أنه يؤكد قوله سابقا : (فإن النبيين فى خليفونى خلق) بل إن فيه محسنا بدعيا يفسى ألف والنشر المشوش، إذ المعنى يرجع للخلق (بضم الشاء) والصورة ترجع للخلق (بفتح الخاء) .

ولعل فى قوله : (ثم اصطفاه حبيبا . .) ما يدل على أن الله يصنع رسله على عينه، قبل الاصطفاء، إلا أن قوله : (حبيبا) يشمر بزيادة القرب.

(١) ديوانه ص ١٩٣ .

(٢) معناه : المراد باطنه أى سجنه . صورته : المراد ظاهره أى هيئته بارى : خالق . النسم : (بجمع نسم) وهى الإنسان أو كل ذى روح .

(٣) منزه : من التنزيه وهو التقديس والمراد هنا البعد .

(٤) النصارى : أتباع السيد المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) . ولقد ادعى بعضهم أنه إله يقول تعالى : " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ " (المائدة ٧٢) . كما ادعى بعضهم أنه ابن الله - حاشا لله - يقول تعالى : " وَقَالَتِ الْنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ " . التوبة / ٣٠ .

وأراد الشاعر أن يؤكد كمال الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال : (منزّه عن شريك في محاسنه) ولكن لفظ (منزّه عن شريك) شاع استعماله بالنسبة لله سبحانه وتعالى - ولذا لم يحسن من الشاعر استعماله هنا ، وإن كان قوله : (في محاسنه) قد خفف من مؤاخذة الشاعر على ذلك الاستعمال بعض الشيء ، ويلاحظ أن محاسن جمع (حسن) على غير القياس .

ويبدو أن الشاعر كان يتوقع أن قوله : (منزّه عن شريك) سيعرضه للنقد فسارع قائلا : (دع ما ادعته النصارى في نبينهم) فهو بذلك يقول صصف الرسول بما شئت وامدحه بما شئت ، ولكن احذر أن تغلو في ذلك المديح ، فتصفه بصفات الله أو أن تدعى كما ادعى النصارى أن المسيح ابن الله ، أو هو إله ، ولعل في ذلك القول تلميحاً إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله " (١) وأكد الشاعر تلك الفكرة بقوله : (وانسبالي ذاته) البيت (ولا يخفى ما نسي البيت من وقع موسيقى جذاب منشؤه تقسيم عباراته .

أضف إلى ما سبق أن الشاعر قد عبر بالظاهر موضع الضمير في قوله : (فإن فضل رسوله الله) ولعل في ذلك استئذاناً وتبركاً بهذا الاسم الشريف ، كما أن في قوله : (ناطقهم) مجازاً مرسل ، إذ أطلق المحل وأراد الحال فيه وهو اللسان ، وفي ذلك تأكيد لا يخفى أثره في توضيح الفكرة ، ومواصلة الشاعر مدحه الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيقول (٢) :

لونا سبت قدره آياته عظيماً	أحيا اسمه حين يدعى دارس الرسم (٣)
لم يمتحننا بما تسمي العقول به	حرصاً علينا ، فلم نرتب ولم نهيم (٤)
إن آياته (صلى الله عليه وسلم) - مع عظمتها - لم تناسب قدره ، إذ لو سبته	

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٠٤ .

(٢) ديوانه ص ١٩٣ .

(٣) الرمم : جمع رمة (بكسر الراء وتشديد الميم) المظم البالي أو أجساد الموتى .

(٤) ولم نهيم : من نلّم الرجل في أمره إذا لم يدر له مخرجاً .

لكان الميت يحيى عندما ينادى عليه باسم الرسول (صلى الله عليه وسلم) • ولمسل ذلك لم يكن من معجزاته • حرصا علينا • وشفقة بنا • حتى لا نحميا عقولنا • ولا نتحير ألبابنا في أمر نبوته • أو الشك في بشرته •

وإذا تأملت قول الشاعر : (لونا سميت • البيت) لوجدت فيه مبالغة ولمسنا لفظ (لو) خفف منها كما يقول علماء البلاغة (١) :

ولا يخفى أن البيت الثاني تحليل للبيت الأول • ولذا أتى به مفصلا عنه • إن مقام الرسول كبير • وشأنه عظيم • يقول الهزيمي • مؤكدا ذلك (٢) :

أعيا الهوى فهم معناه فليس يرى
(٣) في القرب والحمد منه غير منقهم
كالشمس تظهر للمبين من حمس
(٤) صغيرة • وتكل الطرف من أمم

نعم • عجز الخلاق عن الإحاطة بقدره الشريف • وكل من حاول ذلك عن قرب أو بعد • ظهر عجزه • وغلبت حجته • وهذا مثل الشمس التي تظهر للإنسان صغيرة من بعد • وإذا حاول أن يدهق فيها النظر • كلت عينه •

ولا يخفى أن في إسناد : (أعيا) إلى (فهم معناه) مجازا فقلنا دل على عظمة مقام الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ويؤكد ذلك المصوم والشول الذي أشار إليه الطباقي في قوله : (في القرب والحمد) • وإن كان لفظ (منقهم) لم يرد استعماله في معاجم اللغة الموثوقة (٥) فلمل عذر الشاعر في ذلك شيوع الألفاظ المأموية في عصره • وسها يكن من شيء • فإن فكرة الشاعر في البيت الأول واضحة • وزادها وضوحا تشبيه المعنوى بالمحسوس في البيت الثاني •

(١) التلخيص في علوم البلاغة ص ٣٢٠ • (٢) ديوانه ص ١٩٣ •

(٣) منقهم : صحيحة (منقهم) من فحم الرجل إذا سكت عن المجادلة ولم يجيب ، مفلوب الحجة •

(٤) ككل الطرف : تنميا للبصر • أم : (بفتح الأول والثاني) قرب •

(٥) انظر لسان العرب مادة (فحم) ج ١٥ ص ٣٤٤ وما بعدها •

تاج المروس مادة (فحم) ج ١ ص ٩ وما بعدها •

ويبدو أن الشاعر أراد أن يؤكد عظم مقام الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال (١) :

وكيف يدرك في الدنيا حقيقة
فصلح العلم فيه أنه بشر
قوم نيام تسلوا عنه بالحلم (٢)
وأنه خير خلق الله كلهم

يتوجب الشاعر منكراً أن يدرك حقيقة الرسول (صلى الله عليه وسلم) قوم نيام وكل ما علموه عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه بشر وأنه خير خلق الله جميعاً .

إن الاستفهام في قول الشاعر : (وكيف يدرك ...) يشعر بالإنكار كما أن قوله : (قوم نيام) يشعر بالاحتقار لهؤلاء القوم ولعل هذا هو ما دفعه إلى تنكير (قوم) ووصفهم بهذا الوصف المشعر بالأسى والحسرة (نيام) ويؤكد ذلك قوله : (تسلوا عنه بالحلم) .

ولا ينبغي أن قول الشاعر : (فصلح العلم ...) يدل على المجزؤ والجهل كما أنه قوله : (أنه بشر ...) يلجإ إلى قوله تعالى : ﴿لَقُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (٣) . وقوله : (وأنه خير خلق الله كلهم) ج - أيضاً - إلى قول الرسول : (صلى الله عليه وسلم) "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر" (٤) .

ولقد رجم بعض الكتاب أن هذا البيت : (فصلح العلم فيه ...) البيت (هو الذي أكله الرسول (صلى الله عليه وسلم) للشاعر عندما كان يقرأ القصيدة أمامه فسى الرثاء فقرأ الشطر الأول وعجز عن الشطر الثاني فقال له الرسول : قس يا إمام فقال : عجزت عن المصراع الثاني يا رسول الله فقال له قل : "وأنه خير خلق الله كلهم" فحرض الإمام على ذلك المصراع ووضعه في بيت آخر زيد على القصيدة تبركاً بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو :

مولاى صل وسلم دائماً أبداً
على حببك خير الخلق الله كلهم (٥)

(١) ديوانه ص ١٩٤ .

(٢) تسلوا : قصوا وضوا - الحلم (بضم الحاء واللام) : ما يراه الإنسان فسى النجم .

(٣) الكهف / ١١٠ .

(٤) سنن الترمذى ج ٥ ص ٢٤٧ .

(٥) المذاهب النبوية ص ١٨١ ، متن بردة المديح القاهرة ص ١ : المطبعة المحمدية بمصر سنة ١٣٥٦ هـ .

ولكن هذا الزعم مرفوض لحدّة أمره فهذا :

أولا : إن الله تعالى عصم رسوله من قول الشعر ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : " وما علناه الشعر وما ينبغي له " الآية (١) .

ثانيا : إن البوصيري قد نظم قصيدته كاملة قبل قصة الرّيا ، فإذا كان قد عجز عن تكملة البيت ، وأكمل الرسول - كما ترجم القصص فلماذا لم يذكر البوصيري فيما بعد الشطر الأصلي الذي كان قد نظم ؟

ثالثا : إن هذا الشطر قد ورد كله تقريبا في قول الصرصري :
(محمد خير خلق الله كلهم) . وهو الذي لفخار المجد ينتسب (٢)
ومعلوم أن الصرصري توفي قبل البوصيري بما يقرب من خمسين عاما (٣)

رابعا : إن هذا الشطر نفسه قد قاله البوصيري في بعض قصائده التي نظمها قبل الهجرة مثل قوله (٤) :

والصطفى خير خلق الله كلهم

لله على الرسل ترجيح وتفضيل

خامسا : إن خلوا الديوان المحقق من هذا البيت :

مولاي صل وسلم دائما أبدا

على حبيبك خير خلق الله كلهم

يرجع أن القصة مؤنّمة ومنسوبة إلى البوصيري زورا ومهتانا .

ومهما يكن من شيء فإن البوصيري يوالى مدحه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٥) :

(١) يس / ٦٩ ، وتفسير القرآن العظيم ج ٦ ص ٥٢٤ وما بعدها .

(٢) ديوانه (مخطوط) ص ١٩ وما بعدها .

(٣) انظر هامش ص ٢٤ من هذه الرسالة .

(٤) ديوانه ص ١٢٢ وما بعدها .

(٥) المرجع السابق ص ١٩٤ .

وكل آى أتسى الرسل الكرام بهـ

فإنما اتصلت من نوره بهـ

فإنه شمس فضل سم دوائهم بهـ

يظنون أنوارها للناس فى الظلم

يشير الشاعر إلى أن كل معجزة تحققت على يد رسول من الرسل (عليهم السلام) • فإنما كان الرسول - محمد - (صلى الله عليه وسلم) سببا لوقوعها • فضله عليهم مثل فضل الشمس على سائر الكواكب التى تستمد نورها من الشمس وتظهر ذلك النور فى الظلم - إذا غابت الشمس - للناس • فالفضل راجع إلى الشمس • إن شمس المهب فى ذلك النور •

ويحظ أن الشاعر هنا - يؤكد ما سبقته الإشارة إليه من سبق النبوة المحمدى (١) وإذا تسألنا قوله : (وكل آى ••) وجدته يدل على العموم • إن أشاف لفظ (كل) إلى جمع مذكر (آى) • كما أن وصفه (الرسل) بالكرام يشير بأدبه واحترامه لرسول الله أجمعين (عليهم الصلاة والسلام) •

ولا يخفى أن البيت الثانى توضيح وبيان للفكرة التى اشتمل عليها البيت الأول • وفيه دلالة على ثقافة الشاعر ومعرفة بعض العلوم الثوبية • إن يشير كذبه بأن الشمس منبهة بذاتها • أما الكواكب فهى لا تنشئ بذاتها • وإنما تنعكس نور الشمس فكانها استمدت ذلك النور منها •

وقد اشتمل ذلك البيت على بعض المحسنات البديعية التى ساعدت على إظهار الفكرة ووضوحها مثل : التناسب بين (شمس وكواكب) والتهاق بين (أنور وظلم) • وأراد الشاعر أن يشير إلى بعض صفات الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال (٢) :

(١) انظر ص ١٢٤ من هذه الرسالة •

(٢) ديوانه ص ١٦٤ • وقد ورد فى بعض الكتب بيت قبل تلك الأبيات وهو :

حتى إذا طلعت فى الأفق عم ندا • بنا للمالين وأحبت سائر الأم
وبدوا أنوليس من نظم البوصيرى • لمخفف من جهة الأداء • ولهم ورود فى الديوان
المحقق • أشاف إلى ذلك قلة المراجع التى أشارت إليه • انظر حاشية الهاجورى
على البردة ص ٢٦ •

أكرم بخلق نبي زانه خلُق
بالحسن مشتمل بالبشر متمم
كالزهر في ترف ، والبدر في شرف

والبحر في كرم ، والدهر في هم
كأنه وهو فرد من جلالته
في عسكر حين تلقاء وفي حشم (١)

ما أعظم هذا النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي جمع بين حسن الخلق وعظيم
الخلق كما جمع بين لطافة الزهر وضارته . وبين البدر في علوه ورفعته وهدايته
أضف إلى ذلك أنه أشبه البحر في كرمه ، ومثل الدهر في همه ، وله مهابة
وجلاله ، فإذا لقينه مفردا هبت كأنه محاط بالمسكو والحشم .

والملحوظ أن هذه التشبيهات كثيرة الدوران على الألسنة ، بل إن بعض
الكتاب لم يقبل بعضها ، إذ قال " لا نستجد قوله : (كالزهر في ترف) لأن مقام
الرسول والرسالة أجل من هذا التشبيه ، وأغلب الظن أن حرص البوصيري على
الجناس بين (ترف وشرف) هو الذي زين له هذا التشبيه . . (٢) "

ولا يخفى أن الشاعر قد وفق في بعض عباراته مثل (بالحسن مشتمل) فهذا
يدل على إحاطة الحسن به من كل جانب كما أن قوله : (بالبشر متمم) يلح إلى
ما ذكرته بعض كتب السيرة والتاريخ من أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان طلق
الوجه (٣) .

وأخيرا يختم الشاعر مدحه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٤) :

كأنما الرسول المكنون في صدف

من معدن منطوقه وبهتسم

لا طيب يعدل ترابا ضم أعظمه

طوى لمنتشقه ولتشم

(١) حشم : خدم .

(٢) الإسلام في شعر شوقي ص ٦٥ .

(٣) الطبقات الكبرى : ج ١ ق ٢ ص ١٣٠ .

(٤) ديوانه ص ١٦٤ .

نعم : ما أعذب كلماتك وما أفصحها يا رسول الله ، إنها حين تخرج من فمك
الظاهر كأنها اللؤلؤ في صفائه ونقاؤه ، بل إنها تخرج - أيضا - من بين ثناياها
كاللؤلؤ ، وما أحسن طيبك الذي لا يدانيه أي طيبه وليس ذلك في حياتك
فحسب ، بل بعد موتك أيضا إذا التزاي الذي تجسدك الشريف له غير لا يماثل له
عبير ، فطوبى لمن شبه وقبله ، والشاعر في البيت الأول يشبه كلمات الرسول
وأسنانه باللؤلؤ ، وهذا مقبول بالنسبة لكلماته ، إذ ورد ما يؤكد جوازه ، ومن
ذلك ما ذكرته بعض كتب السيرة في وصف كلمات الرسول : " كان منطقه
خرزات نظم يتحدون " (١) ، أما بالنسبة لوصف أسنان الرسول ، فرفضه
بعض الكتاب بقوله : " لا نستجيد تشبيه أسنان رسول الله باللؤلؤ ، لأن هذا
وصف جسد لا يلقى بالرجال فما بالنا بمسند الأبطال ؟ " (٢)

وأرى أن الوصف الجسدي لا عيب فيه ما دام لم يتعرض لذكر ما لا يجوز ذكره
كالمرورة مثلا ، ولقد ذكرت كثير من كتب السيرة والتاريخ وصفا جسديا للرسول (صلى الله
عليه وسلم) ، ومن ذلك : كان (صلى الله عليه وسلم) : أزهر اللون ، واسع الجبين
: كطالمحية ، ضاحك الفم ، فلق الأسنان : عريض الصدر (٣) .

ويبدو أن الشاعر يلجأ في البيت الثاني إلى ما ذكره أنس بن مالك (رضي
الله عنه) إذ قال : (ولقد شمت المطر فما شمت ريح شئ أطيب ريحا
من رسول الله) (٤) .

ولا تخفى قيمة التشبيه في البيت الأول ، إذ وضع الفكرة وأظهرها ، كما أن
فهم قول الشاعر : (لا طيب) عموما اكتسبه من دخول النفي على النكرة وهذا
يؤكد الفكرة أيضا ، وفي قول الشاعر : (ضم أعظمه) مجاز مرسل علاقته الجزئية
إذ المراد ضم جسده كله ، وكنت أود أن لا يصير الشاعر بالمجاز هنا حسنة
لا يؤمن أن الأرض أكلت اللحم ولم يبق إلا العظم وهذا يخالف ما ورد من أن
الله حرم على الأرض (أن تأكل) أجساد الأنبياء (٥) .

(١) أسد الغابة ج ١ ص ٤٥٢ .

(٢) الإسلام في شعر شوقي ص ٦٥ .

(٣) الملبقات الكبرى ج ١ ق ٢ ص ١٢٩ .

(٤) المرجع السابق ج ١ ق ٢ ص ١٠٢ .

(٥) سنن أبي داود ج ٣ ص ٢٤٤ .

كما أن نفس قول الشاعر : (ملتئم) خطأ ؛ لأن معناه الذى يضع اللثام على فيه (١) ، ولا شك فى أن الشاعر لم يرد ذلك المعنى وإنما أراد (اللثام) أى - المقبل .

مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

بعدما ذكر الشاعر عدم وجود رائحة طيبة تمدل رائحة ذلك السراب الذى ضم جسد الرسول (صلى الله عليه وسلم) - انتقل إلى الحديث عن مولده (صلى الله عليه وسلم) وهذا يدل على أن الشاعر لم يراع الترتيب الزمني فى نظمه ، وصحفاً يكن من شئ ، فلقد بدأ حديثه عن المولد النبوى بقوله (٢) :

أبان مولده عن طيب عنصره	يا طيب مبتداً منه ومختتم (٣)
يوم تفرس فيه الفرس أنهم	قد أئذروا بحلول اليوم والنقم (٤)
وبات إيوان كسرى وهو منصدع	كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم (٥)

- (١) المصباح المنير ج ٢ ص ٧٥٣ مادة (لثم) (٢) ديوانه ص ١٩٤ .
- (٣) أبان : أظهر وكشف مولده : يصح أن يكون مكان ولادته أو زمانه ولعل المراد هنا زمانه بدليل قوله فى البيت الثانى : (يوم ٠٠) ولقد اختلف المأرخون فى يوم ولادة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فمنهم من ذهب إلى أنه ولد فى يوم الاثنين ١٢ - ربيع الأول الموافق ٢٠ أغسطس سنة ٥٧٠ م . ويسمى ذلك العام عام الفيل - وهذا هو الأرجح ، ومنهم من قال : إنه ولد فى ١٠ من ربيع الأول وقيل : ٢ من ربيع الأول ، إلا أن العالم المصرى الفلكى محمود حمدي الصبوحى سنة ١٨٨٥ م ذهب إلى أن مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان فى صباح يوم الاثنين ٩ من ربيع الأول - الموافق ٢٠ من إبريل سنة ٥٧١ - وذلك بعد تحقيق فلكى - انظر فى ذلك : طبقات ابن سعد ج ١ القسم الأول ص ٦٢ وما بعدها - حياة محمد ص ١٠٨ وما بعدها ، محمد الخضرى : نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ص ٦ . مطبعة الاستقامة بصر سنة ١٩٣٥ . محمود حمدي : المولد النبوى ص ٨٥ مطبعة الأزهر بمصر سنة ١٩٦٩ .
- عنصره : أصله والمراد أباه الذين تناسل منهم . وطيب عنصره : طهارته بما يشين مبتداً انتهى : أوله ، مستقته : آخره والمراد أنه (صلى الله عليه وسلم) طاهر من جميع نواحيه من لدن آدم (عليه السلام) وقيل : من هاشم - جد الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى والده عبد الله .
- (٤) تفرس : تفتن وتثبت من القراسة : وهى قوة تمكن الإنسان من إدراك الأمور الخفية بالقرائن ، الرؤس : الشدة والعذاب . النقم (جمع نقة) وهى العقوبة والهلا .
- (٥) إيوان : مضرب يطلن على البيت المستطيل غير مسدود الوجه (كسرى) لقب لكل ملك من ملوك الفرس وهو مغرب (خسرو) والمراد بإيوان كسرى / قصره الذى كان بالمدائن ببلاد العراق .

والنار خامدة الأنفاس من أصف عليه • والنهر ساهى العين من سدم (١)

لقد كشف مولد محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) - وما صاحبه من حوادث لفتت الأنظار • وشدت الأفكار - كشف كل ذلك عن رفعة هذا المولود • وعلو شأنه في ذلك الوجود • كما دل على كريم عصره • وطهارة محتده •

أراد الشاعر أن يؤكد أثر هذا المولد فأسند الفعل (أبان) إليه • ونسى هذا الاستناد مجاز عقل • لا يخفى أثره في توضيح الفكرة وتأكيد لها • بالإغانة إلى ما فيه من تشخيص وإيحاء •

وجرى البوصيرى على عادة العرب عندما يحجبون من شيء ينادونه • وينزلونه منزلة من يحقل وينادى فقال : (يا طيب) ولا شك في أن هذا النداء المشوب بالتمجيب يشير الحسن • ويحرك النفس •

ولعل الشاعر يلح بقوله : (طيب عصره) إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " إن الله - عز وجل - اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل • واصطفى من بنى إسماعيل كنانة • واصطفى من بنى كنانة قريشا • واصطفى من قريش بنى هاشم • واصطفاني من بنى هاشم (٢) " بقوله (صلى الله عليه وسلم) : " خرجت من نكاح • ولم أخرج من سفاح • من لدن آدم • حتى انتهيت إلى أبي وأمي • فأنسا خيركم • وخيركم أبا (٣) " •

والبيت الأول واضح الصبغة • سهل اللفاظ • محلى ببعض المحسنات اللمعية مثل التكرار في (طيب • يا طيب) وهذا يدل على التمجيد من أصله الشاعر • ومعدنه الكريم • مثل الطباق بين : (مبتداً ومختتم) وفيه دلالة على العموم والشمول •

وأحسن الشاعر عندما أجعل الحديث عن المولد النبوي في بيت واحد • فأثار الشوق إلى توضيح وبيان • ولذا أتى بالبيت الثاني مفصلاً عن الأول • ولا يخفى

(١) ساهى : غاف • والسراد هنا ساكن غير جار لتضويعه • السدم : الحزن المصحوب بنحيب وثيل • الندم •

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٣٤ •

(٣) لجنة من العلماء : المفتشين السنة (من مؤلفات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر) ج ١ ص ٦٧ مطابع الأهرام التجارية سنة ١٩٧٠ •

ما في تكبير (يوم) من تعظيم وتكريمه ، وكيف لا يكون كذلك ، وقد أيقن
الفرس - فيه - أنه قد حل بهم الهلاك ، وكب على دولتهم الفناء ، ولقد
أحسن الشاعر عندما أكد ذلك الأمر بمؤكدتين - (أنهم) - (وقد) - زادا المعنى بياناً
وتأكيداً .

ولقد وقعت في هذا اليوم حوادث هزت كيانهم ، وأنزلت الرعب في قلوبهم
ومن ذلك : تصدع إيوان ملكهم كسرى ، وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته ، ومقتل
بعضها لاهيرة والمظلة (١) .

وأما تأملت قول الشاعر : (بات إيوان كسرى . . البيت) وجده يشير إلى
سرفة أثر هذا المولد ، وعظم ذلك المولود ، إذ كان المولد صباحاً - على
الراجح - ولم يأت المساء - يشير إليه لفظ (بات) - إلا تصدع إيوان ، ولعل
ضمير الفصل (هو) يؤكد ذلك ، بالإضافة إلى ما في العبارة من تهكم واستهزاء
بهذا القصر المنهك وما طرأ عليه من تصدع وخلل ، لا يقل عن تفرق شمل أصحاب
كسرى الذين تفرق شملهم ، وتفكك جمعهم .

ولعل في هذا التشبيه : (كمثل أصحاب كسرى غير ملتئم) ما يشير إلى أن
هذه الأحداث كانت عظيمة الأثر ، فتأثر بها الجناد - (الإيوان) - كما تأثر بهما
الإنسان - (أصحاب كسرى) .

ولم يقف الأمر عند ذلك الحد ، بل إن النار التي كان أهل فارس يحمونها
- من دون الله - قد خمدت أنفاسها - حزناً على تصدع إيوان - وشاركها في
ذلك نهر الفرات ، الذي أخرجه الفيض والحزن عن طريقة الطمى - فصب
ما في بادية السماوة (٢) .

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (والنار خامدة الأنفاس . .) وقوله (والنهر
ساحى الميول . .) استعارتين مكنتين ، قد أكدتا عظم هذه الحوادث التي أثرت
نيماً لا يحقل ، فما بالك بمن يحقل (١) .

(١) علي بن برهان الحلبي : إنسان الميول في سيرة الأمين المأمون (السيرة

الحلبية) ج ١ ص ٨٦ المكتبة التجارية الكبرى بمصر (غير مطبوع) .

(٢) بادية العراق قريبة من نهر الفرات .

ولقد تمكن البوصيري من اختيار الفاظ ترمز تلك الصورة المفجعة والشاعر
الحزينة . مثل : (أنذروا ، الهوس ، النقم ، متصدع ، غير ملتئم ، خامسة
الأنفاس ، أسف ، ما هي العين ، جدم) .

وكل هذا أخرج صورة كاملة لتلك الأحداث التي واصل الشاعر الحديث عن
بقيتها بقوله (١) :

وساء ساوة أن غاضت بحيرتها

ورد وأردها بالفيظ حين ظمى (٢)

كان بالنار ما بالماء من بسائل

حزنا ، والماء ما بالنار من حرم (٣)

والجن تهتف والأنوار ساطعة

والحق يظهر من معنى ومن كلم (٤)

ومن الحوادث التي صاحبت المولد النبوي الكريم أن بحيرة ساوة قد غاض ماؤها
وجفت معينها . (٥) ، وعندما ذهب أهلها يستسقون ، رأوا ما أغضبهم ، وأشعل
نار الفيظ في قلوبهم ، فأصبحوا بين ظمأ قاتل ، وأسف مهلك .

ولعل مما يشير العجب أن الأمور قد انقلبت ، والأحوال قد تبدلت ، ومن
ذلك أن النار من شدة حزنها سالت دموعها ، وانهمرت عيونها ، فابتلست
بها ثم انطفأت ، كما أن الماء من شدة حزنه قد اشمط فتبخر (٦) .

لم تقتصر أحداث ذلك المولد النبوي الشريف على الإيوان فتصدعت بعض
شرفاته ، ولا على أصحاب كسرى فتفرق شطهم ، ولا على النار فخدمت أنفاسها ،

(١) ديوانه ص : ١٩٤

(٢) (ساوة) مدينة بين الرى وحمدان ، ويقربها تقع بحيرة ساوة ، وأردها : الذي
ذهب يظلم الماء للسقيا . ظمى : أصلها (ظمى) فحذفت الهمزة للقافية .

(٣) الحزم : الاشتغال .

(٤) الجن : ضد الإنس الواحد (جنى) سموا بذلك لأنهم يتقون ولا يرون . تهتف :
المراد بصرخ . الأنوار : المراد بها الأنوار التي ظهرت يوم ولادته (صلى الله
عليه وسلم) حتى أضاءت فيها قصور الشام (طبقات ابن سعد ج ١ القسم الأول ص ٢٠)

(٥) إنسان العين ج ٢ ص ٧٨ وقيل : إن البحيرة التي غاص ماؤها بحيرة طبرية (انظر
المرجع السابق) .

(٦) الإسلام في شعر شوقي . ص ٤٩ .

ولا على نهر الفرات فضل طريقه ، بل تعدى ذلك كله إلى الجن أيضا ففزعوا
عندما رأوا الأنوار الساطعة ، والأضواء اللامعة ^(١) ، فأيقنوا أن حدثا جلالا قد وقع
فصرخوا ، وهربوا في بطن الأودية وشعاب الجبال . ^(٢)

ولعل في إسناد الشاعر الفحل (ساء) إلى (ساوة) ما يشير إلى بيان شدة
الحزن التي أثرت في الجماد - (ساوة) - فما بالك بأهله ، فلا شك في أن الحزن قد
عمهم ، وأن الأسى قد ملك مشاعرهم ، وهذا الإسناد مجاز مرسل علاقته المحلية والأصل
(ساء أهل ساوة) .

ولا يخفى أن في البيت الثاني مهالفة أكدت المعنى ، ووضحت الفكرة (كأن بالنسار
ما بالما من بلل . . البيت) وإن كان التشبيه قد خفف من وقعها بعض الشيء فلا بأس .
ولقد بُدئ البيت الثالث بجملة اسمية (والجن تهتف . . البيت) أكدت المعنى
ومما زاده تأكيداً تكرار الإسناد ، ويبدو أن الشاعر ألحق بالفعل تأنيثاً في قوله :
(تهتف) على تقدير (جماعة الجن) مثلاً .

ومما هو جدير بالذكر أن البوصيري ليس أول من أشار إلى بعض الحوادث التي صاحبت
المولد النبوي نظماً - إن سبقه الشاعر المرصري بقوله ^(٣) :

وكسرى أنوشروان زلزل قصره
وشق وتاج الملك فك نظامه
ونار مجوس الفرس أطفئ وقد هـا
ولم يك في الأعصار تخو شرامه
ولا يخفى أن المرصيري أجود منه نظماً وأسلم منه عبارة .

(١) إنسان العميون ج ١ ص ٨٨ ، ص ٨٩ ، السهيلي : الروض الأنف ج ١ ص ١٠٥

، ص ١١١ مطبعة الجمالية بعصر سنة ١٩١٤ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) ديوانه المخطوط . ص ١٩١ .

بحثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

ولقد انتقل الشاعر من الحديث عن مولد الرسول الكريم وعن ذكر بعض
الحوادث التي صاحبت مولده إلى الحديث عن بحثه (صلى الله عليه وسلم) فقال (١)

- عموا وصموا فإعلان البشائر لهم
(١) تسمع • وارقة الإنذار لم تسمع
من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم
(٢) بأن دينهم المموج لم يقسم
ومع ما عاينوا في الأفق من شهب
(٣) منقضة وثق ما في الأرض من صنم
حتى غدا من طريق الرعي منهزم
(٤) من الشياطين يفتوا إثر منهزم
(٥)

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى هؤلاء الكفار الذين سمعوا أخبار
تلك الأحداث التي صاحبت المولد النبوي - ومنهم من رآها - وأثارت في نفوسهم
الأفكار حول شأن ذلك المولود • ولما بحث الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنكروا
عليه ذلك •

(١) ديوانه ص ١٩٥ •

(٢) الضمير في (غدا وصموا) يعود على الكفار من الفرس وغيرهم • البشائر : جمع بشارة
أو بشرى • وفي الخبر السار • البارقة : اللامعة • وهي في الأصل اسم للسيف
يقال بيده بارقة أي سيف لامع • والقاء : زائدة للمبالغة • لم تسمع : لم تخطر • يقال
شام البرق إذا نظر إلى السحابة ليعلم مقصدها •

(٣) الأقوام : (جمع قوم) خاص بالرجال على الصحيح • والمراد بهم هنا : الكفار •
الكاهن : الذي يخبر عن المصائب الماضية • أو من كان له تابع من الجن يخبره
بخبير السماء لاستراق السمع فيحدث الناس بذلك ولكنه يزيد على كلمة الصدق مائة كذبة
انظر صحيح البخاري ج ٦ ص ١٥٢ •

(٤) عاينوا : شاهدوا • الأفق : (يسكون الفاء) لفظة في (الأفق) - بمعناها - والمراد نواحي
السحاب • الشهب : جمع شهاب • والمراد به هنا : الشعلة من نار ساطعة تقذف بها
الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع ويلقونه إلى الكهان • فلما قرب صحتا الرسول حول
بينهم • من ذلك انظر : سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٧ • تفسير القرآن العظيم ج ٥ ص
٢٦٧ • منقضة : من انقضت السهم إذا أسرع بشدة • وثق : بمعنى الموافقة والمثالة •

(٥) غدا : أصبح • الوحي : يطلق على الكلام الخفي والإشارة والإلهام • وجبريل (عليه السلام)
والمراد بطريقه : السماء • منهزم : المراد هارب •

وإذا تأملت قول الشاعر : (عموا وحموا ٠٠٠) وجدته كلاماً مستأنفاً بمثابة الإجابة عن سؤال مقدر أثاره قول الشاعر في البيت السابق : (والحق يظهر من معنى ومن كلم) فكان السؤال :

إذا كان الأمر كذلك فما بال هؤلاء الكفار قد جحدوا نبوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ؟

فأتى جواب الشاعر نمزجاً بالاستهزاء بهم ، والسخرية منهم ، فإنه قال : (عموا وحموا ٠٠٠) ومن المعلوم أنهم لم يكونوا عمياً ولا صماً حقيقة ، ولكن لما لم ينتقموا بما شاهدوا ، ولم يتمطوا بها سمعوا ، كانوا كالعميان الذين لم يروا هذه البشائر ، وكألصم الذين لم يسمموا هذه النذور .

وقد أحسن الشاعر عندما قال : (فإعلان البشائر ٠٠٠) وكيف لا تكون بشائر وهي تبشر بمولد النبي ، وبمبعث الرخصة ، كما أحسن عندما كدل على عناد هؤلاء الكفار واستكبارهم بأكبر من دليل : فكأنهم اعترف لهم بالحقيقة ، وهو بهذا يلجأ إلى هؤلاء الكهnan الذين كان عندهم علم - عن طريق الكتب السابقة - بقرب مبعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) (١) .

وتبدو السخرية من هؤلاء القوم عندما وصف الشاعر دينهم بالاعوجاج ، كما أن في قوله : (لم يتم) نكتة لطيفة هي الإشارة إلى أن هذا الدين لم تقم له قائمة صحيحة في الماضي ففي المستقبل من باب أولى .

ولجأ الشاعر بقوله : (وعندما عابوا في الأفق من شهب ٠٠٠ البيت) إلى قصة الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع منهموا من ذلك بدليل قوله تعالى : **وَأَنَّا كُنَّا نَقْصُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا** (٢) ، وقوله تعالى : **... إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخَلْفَةَ فَأَتَمَّعَهُ شِهَابًا غَاقِبًا** (٣) .

(١) إنسان القيون ج ١ ص ٩٠ وما بعدها .

(٢) الجن / ٨ ٩ ١٠ .

(٣) الصفات / ١٠ .

وتفسير القرآن العظيم المجلد السابع ص ٤ وما بعدها ،
صحيح البخاري ج ٦ ص ١٥٢ .

ولقد أشار الشاعر إلى أن الأصنام قد نكست (١) عندما انقضت الشهب على الشياطين (٢) ، وأصل في لفظ (منقضة) ما يشير إلى القوة ، وفي ذلك دلالة على أن دولة الحق - متصلة في الدين الذي بعث به الرسول (صلى الله عليه وسلم) - ستبقى على الباطل وأهله ، والكفر وأتباعه .

إن هروب الشياطين أمر معنوي يحتاج إلى ما يوضحه مؤكداً ، ولذلك أحسن الشاعر عندما قال : (٣)

كانهم هرباً أبطل أبرهة
نهدا به بعد تمسح بطنهم
أو عسكر بالحصى من راحته رمى (٤)
تبدد المسيح من أحشاء ملقهم

لقد هربت الشياطين خوفاً من الشهب المحرقة ، وكان هروبهم شبيهاً بهروب أبرهة حينما سطط الله عليه : طيراً أبابيل : ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كغصن مأكول (٥) ، أو كان هروبهم وفرارهم مثل فرار الكفار في غزوة (حنين) (٦) تلك الغزوة التي رمى النبي فيها الكفار بالحصى الذي كان في يديه (٧) .

وإذا تأملت قول الشاعر : (كأنهم هرباً .. البيت) وجدت فيه شبه الأمر المعنوي - هروب الشياطين وفرارهم - بالأمر المحموس - هروب جيش أبرهة أو هروب الكفار وفرارهم - فإني في ذلك توضيحاً وبياناً ، وخاصة أن هذين الأمرين قد شاهدهما كثير من الناس .

(١) أبو نعيم : دلائل النبوة ص ١٨٠ وما بعدها - من مطبوعات وزارة المعارف المشأنة -
حيدر آباد الدكن سنة ١٩٥٠ .

(٢) إنسان الصين ج ١ ص ٧٨ .

(٣) ديوانه ص ١٩٥ .

(٤) كأنهم : الضمير يعود على الشياطين ، وقد أخطأ من قال إنه يعود على المشركين (انظر الإسلام في شجر شوق ص ٥) لأن الضمير يعود على أقرب ذكر ، والشياطين هم آخر من أشار إليهم الشاعر في البيت السابق - كما أن المقنى يؤكد ذلك - الأبطال جمع بطل والمراد به الشجاع القوي أبرهة : كان ملكاً على اليمن من قبيل نجاشي الحبشة قبل مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) أراد أن يصرف الناس عن حج الكعبة فبنى بيتاً ليحج الناس إليه ، فدنسه أعرابي ، فغضب أبرهة على هدم الكعبة انتقاماً ، فجهز جيشاً قوياً تتقدمه الفيلة ، ولكن الله سطط عليه الظير ترميه بالحجارة فشرده - وأهلكه (انظر : حياة محمد ص ١٠١ وما بعدها) .

(٥) القيل : ٣ - ٥ . (٦) بضم الحاء وقع النون واسكان الهاء - زاد بينه وبين مكة ثلاث ليال .

(٧) الطبقات الكبرى ج ٢ في ١ ص ١٠٦ .

والشاعر قد ألح إلى ثلاث قصص :

الأولى : قصة جيش أبرهة الذى أراد هدم الكعبة • فكان جزاءه الهلاك • ولعل
فى تلك القصة - التى ولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى العام الذى
وقعت فيه - ما يشير إلى أن الله حافظ بيته • وناصر نبيه •

ولعل فى قول الشاعر : (أبطال أبرهة) ما يشعر بالاستهزاء والسخرية من
هؤلاء الأبطال الذين مرقوا كل مرقى • على الرغم من كونهم أبطالاً •

الثانية : قصة الحصى الذى رماه الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الكفار
فى غزوة حنين • فانكسرت فيها جحافل الشرك • وانهمم فيها أعوان
الباطل •

ولقد أشار الشاعر - فى البيت الثانى - إلى أن الحصى الذى نذره الرسول
(صلى الله عليه وسلم) - عندما كان يحارب الكفار - قد سبغ فى يديه قبل نيله •
ولكن يبدو أن تسبغ الحصى كان فى مناسبة أخرى غير الحرب (١) • ويؤكد
ذلك : أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) - فى غزوة حنين - قال للعباس ابن
عبد المطلب : ناولنى حصيات فنأوله حصيات من الأرض • ثم قال الرسول (صلى الله
عليه وسلم) : شاهد الوجوه • ورمى بها وجوه المشركين • وقال : انهزموا • وب
الكعبة • • • • • (٢) • نهد الرواية لم تذكر أن الحصى سبغ فى يد الرسول (صلى
الله عليه وسلم) •

ومما يكن من شىء • فإن البهيمى قد أشار إلى القصة الثالثة بقوله :
(نهد المسيح من أحشا • ملثم) والمسيح هنا هو : نبي الله يؤنس (عليه السلام)
الذى كان يسبح الله فى بطن الحوت قبل نيله (٣) • ولعل الشاعر يلح بتلك
الإشارة إلى قوله تعالى : • فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِمٌ • فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ
لَلِابْتِغَاءِ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ يَوْمَ تَبْحَثُونَ • فَبَدَّلْنَا بِالْعُرَى وَهُوَ سَقِيمٌ (٤) •

(١) انظر : شرح الزرقانى على المواهب ج ٥ ص ١٢٠ وما بعدها •

(٢) الطبقات الكبرى ج ٢ ق ١ ص ١٠٦ وما بعدها •

(٣) ابن كثير : تصدير الأنبياء ج ١ ص ٢٨٦ وما بعدها بتحقيق مصطفى عبد الواحد -
مطبعة دار التاليف بدمشق سنة ١٩٦٨ •

(٤) الصافات (١٤٥-١٤٦) • وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٢ وما بعدها •

ويبدو أن الشاعر قصد تشبيه نهذ الحصى بنهذ نبي الله يونس (عليه السلام) أي مجرد تشبيه النهذ لا الضيوف . لأن هذا لا يليق بنبي من أنبياء الله تعالى .
بعض معجزات (١) الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

وبعد ما ذكر الشاعر بعض الحوادث التي صاحبت مولد الرسول الكريم . وبعدها تحدث عن بعض الأمور الخارقة للمادة مثل : (تسبيح الحصى في يد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ذكر معجزات أخرى للنبي (عليه الصلاة والسلام) فسيأتي قوله (٢) :

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة	تحش إلى على ساق ولا قدم (٣)
كأنما سطرت مطراً لما كتبت	فروعها من بديع الخط في اللقم (٤)
مثل الغمامة أنى سار سائسرة	تقيه حر وطيس بالهجير حصى (٥)

إن من معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) تلك الشجرة التي دعاها فأنبتت مثقلة أمره . ومن قبل ذلك قد ظلكته الغمامة (٦) .

وإذا تأملت قول الشاعر : (جاءت لدعوته . . البيت) وجدت يتحدث فسين أمر حقيقى وغوا المجدى . ولكنه استلح أن يصوره بصورة ملفقة للأذنان . تأمله مسرة ثانية تجد الامثال المطلق والخضوع التام في (ساجدة) وإذا تأملت غطة المجدى . وجدت فيها دعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) . ومن ذا الذى يناديه الرسول فهناى . ودهوه فلا يستجيب . ولعل في تقديم لفظ (لدعوته) ما يدل

(١) المعجزة : على الأمر الخارق للمادة يظهره الله على يد مدهى النبوة - انظر شرح البيجورى على الجوسرة ج ٢ ص ٤٥ .

(٢) ديوانه ص ١٦٥ .

(٣) لدعوته : لندائه . ساجدة : السراد خاضعة .

(٤) سطرت : غطيت فروعها (جمع فرع) المراد أغصانها . في اللقم (بفتح اللام والقاف)

في وسط الطريق . وهذه رواية الديوان المحقق . بينما كتب (بالقم) في بعض

طبعات البردة : انظر من البردة ص ١٢ مطبعة الشولى بمصر سنة ١٩٢٣ .

(٥) الغمامة : واحدة الغمام : أى السحاب . الوطيس : القنور . والمراد شدة الحر .

الهجير : نصف النهار . إذا كان حاراً . حصى الوطيس : كثافة عن شدة الحر - ورواية

الديوان (بالهجير) ولقد ورد ذلك اللفظ في بعض طبعات البردة (الهجير)

انظر من البردة ص ١٨ مطبعة الشولى بمصر سنة ١٩٢٣ .

(٦) وتظليل الغمامة لم يصحبه تحد ويبدو أن الشاعر سيذكر من المعجزات ما صاحبه

تحد . وما لا يصحبه تحد . فيكون من استسأل اللفظ في حقيقته ومجازه أو من عموم

المجاز (انظر تحفة السهد على جوسرة التوحيد ج ١ ص ٣٢ .

(٧) شرح الزرقانى على المواهب ص ١٣٠ وعناك روايات أخرى توضح الفكرة (انظر

صحن مسلم ج ٥ ص ٨٥٦ - شرح الزرقانى على المواهب ج ٥ ص ١٢٣ .

على الاهتمام بها ، وتمظيم شأنها .

والمجيب أن هذا المجىء لم يكن مجيئاً عادياً ، بل إنه (على سابق بساط قدم) ولملك تدرك ما فى هذا التعبير من روعة ، إنه يثير الدهشة ، إذ كيف يتأتى مجىء على سابق بلا قدم ، ولكنها قدرة الخالق العظيم ، الذى يقول للشئ : كن فيكون .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يزيد الأمر وضوحاً ، والمعجزة بياناً ، فذكر أن هذه الأشجار لم تمتثل الأمر بالمجىء فقط بل إن فروعها خبطت خطوطاً جميلة على الأرض وكأن هذه الخطوط تسجيلاً واعترافاً برسالة النبى (صلى الله عليه وسلم) ولا شك فى أن ذلك الخيال قد أكد المعنى ووضحه .

والشاعر يلخص تلك المعجزة إلى الأحاديث التى وردت فى شأنها وشئ كثيرة ، ولعل الشاعر عبر بلفظ (الأشجار) جمعاً ، إشارة إلى تعدد تلك الأحاديث .

وضمها ما روى أن رجلاً جاء إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) فقال له : أرنى آية ، فقال له النبى : أذهب إلى تلك العجوة ، فقل لها : رسول الله يدعوك ، فذهب إليها ، فقال : إن رسول الله يدعوك ، فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها ، وبين يديها وغلائها ، فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد (تشق) الأرض حتى وقفت بين يديه ، فأمرها الرسول بأن ترجع ، فقام الرجل فقبل رأسه ويديه ورجليه (١) .

ولعل فى وقوع مثل تلك المعجزة ما يحث على الإيمان بالدين الإسلامى ، كما أن فيه تهكيتاً للذين دعاهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) فأعرضوا عنه ، فى حين أن الشجرة استجابت لندائهم (صلى الله عليه وسلم) .

وفى البيت الثالث أشار الشاعر إلى أمر خارق للمادة - أيضاً - وقصص للرسول (صلى الله عليه وسلم) إلا أن ذلك كان قبل البعثة (٢) ، وهو : تظليل الفطامة ، ولأنه ظللته الفطامة أكثر من مرة يؤكد ذلك ما فكرته بعض كتب

(١) شرح الزرقانى على المواهب ج ٥ ص ١٣٠ ، وهناك روايات أخرى توضح الفكرة (انظر صحيح مسلم ج ٥ ص ٨٥٦ - شرح الزرقانى على المواهب ج ٥ ص ١٢٣ .
(٢) ومعنى الأمر الخارق للمادة إذا وقع قبل البعثة . إرشاداً .

السيرة والتاريخ ، ومن ذلك ما ذكرته الشيماء — أخت الرسول من الرضاعة — أنها
رأت غمامة تظلل الرسول (صلى الله عليه وسلم) فإذا وقف وقفت وإذا سار سارت^(١)
وكان ذلك في أثناء رضاعه من السيدة حليلة السحدية^(٢) ، كما ظلت الغمامة
أيضا عندما كان مسافرا مع عمه أبي طالب إلى الشام^(٣) .

وإذا كان الشاعر قد أشار إلى حدث قد أشارت إليه بعض كتب السيرة
والتاريخ فإنه استدلال أن يصوغه في أسلوب شائق خبير ، تأمل قوله (أنى سار
سائرة) تجده يوحى بحماية الله تعالى بنيه قبل البعثة ، كما يوحى أيضا بأن
هذا الشخص سيكون له شأن كبير ، بالإضافة إلى ما في المباشرة من معنى
التمجيد الذي يشير الانتباه ، وساعد على ذلك أيضا ما في الأبيات من موسيقى
رائعة كان سببها تكرار حرف السين (وهو من حروف الصغير) .

ويستمر البوصيري في ذكر بعض مجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيقول^(٤)
أقسم بالقمر المشفق أن له من قلبه نسبة بهرورة القسم^(٥)
وما حوى الفار من خير ومن كرم وكل طرف من الكفار عنه عسى^(٦)
فالصدى في الفار والمد يملأ برما
يؤهم يقولونها بالفار مسن أرم^(٧)
ظنوا الحمام وظنوا المنكبوت على

خير البرية لم تنسج ولم تحسم
وقاية الله أننت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم^(٨)

(١) شرح الزرقاني على المواهب ج ١ ص ١٤٨ .

(٢) هي حليلة بنت أبي ذؤيب بن سعد بن بكر أم الرسول من الرضاعة ، عسرت ولم تعرف .

سنة وفاتها : أسد الغابة ج ٢ ص ٦٧ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٩١ . (٤) ديوانه ص ١٩٥ .

(٥) نسبة : المراد شبهة بهرورة : صادقة من برمينه إذا أعضا على الصدق .

(٦) الفار : المراد به غار ثور — وثور جبل بمكة — وهو الذي اختبأ فيه الرسول وهمسوا
مهاجر إلى المدينة . لم يرما : لم يبرحوا . نعم : المراد بهم الكفار . أرم : المراد أحد

(٧) وقاية الله : حفظه ورعايته .

(٨) الدروع المضاعفة : هي التي نسجت حلقتين لكي تكون قوية . الأطم : (بضم الهمزة —
والطاء) الحصون .

إني الشاعر يشير - هنا - إلى معجزة انشقاق القمر ، وهي ثابتة بالقرآن الكريم في قوله تعالى : " اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ " (١) ، ومؤكدة بالسنة الشريفة ومن ذلك ما روى : أن أهل مكة سألوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يريهم آية ، فانشق القمر فرقتين ... (٢) .

وإذا تأملت قول الشاعر : (أقسمت بالقمر) وجدته يؤكد وقوع هذا الأمر بالقسم ، ولكن في قسمه هذا خالف قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت " (٣) ويمكن أن يقدر مضافا والأصل : أقسمت برب القمر ، فلا تكون هناك مخالفة .

ولقد تحدث الشاعر عن شق صدر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد حديثه عن انشقاق القمر ، وبدوا أنه وجد بينهما صلة كبيرة - فكل منهما شق ، وكل منهما منح للهداية والإرشاد - فجمع بينهما في سهولة وسرعة وانتقل من الأول إلى الثاني انتقالا لينا جميلا ، لا يجعلك تحس بتفسير مفاجئ .

ولا يخفى أن شق صدر الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد وقع أكثر من مرة وهو ثابت بالأحاديث الصحيحة ، ومن ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : بينما أنا في الحطيم - حجر الكعبة - إذ أتاني آت فقد - وفي رواية - فشق ما بين هذه إلى هذه (مشير إلى صدره) ... (٤)

هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

وفي البيت الثاني وما بعده يتحدثنا الشاعر عن هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من مكة إلى المدينة ، إلا أنه في هذا الحديث يقف بنا مع المحسوسات

(١) القمر / ١ وتفسير القرآن العظيم ص ٨ ص ١٢٩ .

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٢٨ .

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٦٤ .

(٤) المرجع السابق ج ٥ ص ٦٦ وج ٩ ص ١٩٨ . وصحيح مسلم ج ١ ص ١٠٢ ، وتفسير

القرآن العظيم ج ٥ ص ١٣ وما بعده .

المظيمة التي وقعت في تلك الهجرة ، والتي تحمل في ثناياها ظهور أمر خارق للمادة أكرم الله به نبيه (صلى الله عليه وسلم) .

لقد خرج الرسول سرا من مكة واختبأ في غار ثور حتى يباس الكفاسار من اللحاق به ، وكان معه في الغار صاحبه أبو بكر (رضى الله عنه) ، الذي أحس بأقدام الكفار وحديثهم بالقرب من الغار فكمى ولما سأله الرسول عن سر بكائهم قال لهم : لو نظر أحدهم إلى موضع قدمي لرأى ، فيقول له الرسول : (في ثقة واطمئنان) ما ظنك باثنين الله ثالثهما (١) . . . وفي ذلك يقول جل جلاله : **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا . . . (٧) .**

وكان ما قاله الرسول لصاحبه حقا ، إذ لم يلبث الكفار أن رجسوا ودون أن يروا الرسول وصاحبه مع أنهما بالقرب منهما في الغار ، ولكن الله أعصى أبصارهم عن رؤيتهما ، ولقد ذكرت بعض كتب السيرة أن الله أكرم نبيه وحفظه قائلهم حماة فموتت على باب الغار بالإضافة إلى أن العنكبوت قد نسج خيطه (٢) ، كل ذلك جمل الكفار يستمدون وجود الرسول داخل الغار .

إن الشاعر لم يذكر أكرم ما ذكرته بعض كتب السيرة والتاريخ ، ولكنه كان موفقا في صوغ عباراته ، واختيار ألفاظه ، تأمل مثلا قوله : (وما حوى الغار من خير ومن كرم) تجد الغار قد أحاط بالرسول وصاحبه إحاطة الطرف بالمظروف وهذا بعض ما يفهم من قوله : (وما حوى) كما أن فيه تشبها وإيحاء بمدى اهتمام الغار بالرسول وصاحبه وعنايته بهما ، ولعل أسناد الفمل (حوى) إلى (الغار) كان سببا في ذلك المفهوم ، ونزله منزلة من يحمل ، ثم تأمل كيف وصف الشاعر

(١) حياة محمد ص ٢١٢ بتصرف .

(٢) التوبة / ٤٠ .

(٣) الروض الأنف ج ٢ ص ٤ .

والطبقات الكبرى ج ١ القسم الأول ص ١٥٤ .

الرسول بقوله : (من غير ومن كرم) فاستعمل ذلك الوصف للدلالة على عظم من دخل النار ، وربما كان الموصوف بالخير هو الرسول والموصوف بالكفر هو أبو بكر ، ففيه إشارة إلى أن الكرم جزء من الخير ، إذ الخير أعم وأشمل وكون الرسول خيرا لا يحتاج إلى بيان ، أما كون المصطفى ذا كرم ، فلا يخفى أنه انتدى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بنفسه ، ولذا قيل : إن دخل النار قبله ليكشف عما فيه من حشرات (١) ، بالإضافة إلى موافقه الجليله نسي الإسلام ، مؤكداً ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " إِنْ آمَنَ النَّاسُ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَرَحْبِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْأَسْلَامُ " (٢) .

ولعل قول الشاعر : (وكل طرف من الكفار عنه عصى) يوحي بالاشتقاق والسخرية من هؤلاء الكفار الذين أحاطوا بالنار إحاطة السوار بالمحصن ، وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) أمامهم ، ولكن عناية الله ورعايته - صرفت أبصارهم عنه ، فرجعوا مغائبين ، يقولون : (ما بالفار من أرم) مع أن (الصدق) - وهو الرسول - (والصدیق) داخل النار .

لقد أحسن الشاعر عندما أشار إلى سقافة عقول هؤلاء الكفار وسفاهة أحلامهم بقوله : (ظنوا الحمام وظنوا المنكبوت) فكرر لفظ (ظنوا) مرتين إشارة وتأكيذاً إلى أن الأمر عندهم مجرد ظن .

ولما كان المقام مقام إشادة بقدرة الله ، حسن قول الشاعر : (وقاية الله أغنت ... البيت) ، ولعل في إضافة (وقاية) إلى لفظ الجلالة (الله) ما يشير إلى عظمة تلك الوقاية التي أغنت عن كثير من الحراس المسلحين بأسلحتهم المختلفة ، وهذه هي الكبرياء حصونهم القوية ، إذ هي وقاية خالق القوى والقدور .

إن هذا البيت - الأخير - من الجوامع التي تلهي بالمزائم ، وتشحن البهم وتقوى اليقين ، ولعل الشاعر حذف المفعول به للمصوم والشمول ، فيفيد أن الوقاية كانت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وستكون لكل من سلك طريقه

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٩٩ . (٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٤٤ .

واتبع شريعة الله الذي أخذ على نفسه عهدا مؤكدا بقوله : " إِنَّا لَنَنْصُرَنَّ رَسُولَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ " (١)

إلا أن خيال الشاعر في هذا البيت كان بدويا ، أو قريبا منه ، إذ اختار
: " الدروع المضطحة " والحصون المالية " ولعل عذره في ذلك الاختيار أنه
عاش في عصر لم تكن الأسلحة الحديثة قد ظهرت فيه ، أو انتشرت فيه بشكل كبير
ويمكن القول بأن الشاعر أراد أن يصور الأحداث وقت وقوعها ، ولا شك فمضى أن
وقت هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم تكن الأسلحة تتجاوز فيه - ظاهريا
الدروع والسهام ونحو ذلك .

ولا يخفى أن تلك الأبيات قد زينت ببعض المحسنات البديعية التي زادت
العبارة جمالا وجلالا ، ومن ذلك : (الجناس الشبيه بالمشتق بين (الصدق
والصديق) اللف والنشر المشوش في (ظنوا الحمام : لم تحم) و (ظنوا
المنكوت : لم تنسج) ، ويبدو أن الشاعر أخطأ في قوله : (لم يرما) ولعل
المصواب : (يريما) إذ ليس هناك ما يدعو إلى حذف الياء عند إسناده إلى السف
الاثنين . وأصل الفعل (رام يريم)

ولقد أراد الشاعر أن يبين مقام الرسول الكبير عند ربه ، وشأنه العظيم
عند خالقه فقال : (٢)

ما سألني الدهر ضيما واستجرت به
إلا فلت جوارا منه لم يضم (٣)

(١) غافر / ٥١ .

(٢) ديوانه ص ١٩٥ .

(٣) سامي : من السوم بمعنى أذاقني ، ومنه قوله تعالى : " يَسْؤِمُكُمْ سُوءُ الْمَذَابِ " البقرة : ٤٩ - الدهر / المراد به الزمن . ضيما : ظلما . استجرت به : من قولهم
استجار فلان بفلان ، أي اطلب منه النجاة والخلاص ومنه قوله تعالى : " وَإِنْ أَحْسَدَ
مِنَ الشَّيْكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ " . التوبة / ٦ . وقيل : بمعنى الاستئمان ، والضمير في
(به) عائد على الرسول (صلى الله عليه وسلم) . جوارا : (بكسر الجيم وضمها)
بمعنى القربى للقاء والمراد به هنا لازمة من الحماية والرعاية . لم يضم : المراد لم
يحتقر .

ولا التمس غنى الدارين من يسده

(١) إلا استلمت الندى من خير مستلم

يعين الشاعر أنه لم يقع عليه ظلم ، ولم تحل به ضائقة ، وتوصل بالرسول (صلى الله عليه وسلم) إلا أتى الفرج ، وأصبح في عز ومنعة ، وفنى ويغار .

وإذا تأملت قبسوله : (ما سامني الدهر ضيما ٠٠) وجدته يدل على كثرة الظلم الذي وقع عليه ، إلا أن إسناده (المسموع إلى الدهر) ضعیف عنه شرعا لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الحديث القدسي عن الله عز وجل : " لا تسبوا الدهر ، فأنا الدهر ٠٠٠ (٢) " .

فإذا كان الشاعر قد أتمد الظلم إلى الدهر فإنه قد أسنده إلى الله (لأن الله هو الدهر كما في الحديث القدسي أي خلقه) والله لا يظلم أحدا ، يقول تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا ذَرَّةً ٠٠ (٣) " . كما أنه تعالى لا يحب الظلم ، ولذا حرّمه على نفسه وعلى عباده أيضا - ويؤكد ذلك الحديث القدسي : " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ٠ (٤) " .

والشاعر قد توصل (٥) إلى الله تعالى بالنبي (صلى الله عليه وسلم) يشير إلى ذلك قوله : (واستجرت به ٠٠) ونحو في هذا يسير على رأى بعض العلماء الذين أجازوا التوصل بالإغانة إلى الصوفية أيضا (٦) ، ولكن ابن تيمية (٧) قد مضى (٨)

(١) التمس : طأمت ، وأصله الطلب من المساوى ، ولكنه هنا الطلب مطلقا . استلمت :

البراد به هنا : أخذت المصلا . بمعنى تسلمت على حسب ما أراد الشاعر . الندى : المصلا الجزيل . مستلم : (بصيغة اسم المفعول) وحذف متعلقه للقافية والأصل (مستلم منه) .

(٢) صحيح مسلم : ج ٥ ص ١٠٢ وما بعدها .

(٣) النساء / ٤٠ .

(٤) صحيح مسلم ج ٥ ص ٤٣٩ .

(٥) المراد بالتوصل : أن يقول الشخص : اللهم حقق لي كذا بجاه النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فهو يدل على التقرب إلى الله بالنبي مثلا .

(٦) الصفة والاعتبار ص ٣ ، ص ٢٢٩ ، دراسات في التصوف الإسلامي ج ٢ ص ٤٥ .

(٧) هو : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحارثي - أحد علماء السلف مات سنة ٢٨٨ هـ (الأعلام ج ١ ص ١٤٠) .

(٨) ابن تيمية : عقيدة أهل السنة بتعليق عبد الرزاق عفيفي ص ٣٦ دار الطباعة المحمدية بمصر (غير مؤرخ) .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يؤكد حصوله على مطلبه ببركة النبي (صلى الله عليه وسلم) فأعاد النقي في البيت الثاني بعد ما ذكره في البيت الأول ، وربما سأل سائل : كيف يصح للشاعر أن يقول : (. . غنى الدارين) مع أن الآخرة غيب لا يعلمه إلا الله ؟ . والجواب عن ذلك : إن الشاعر قد أخبر عن نيته (غنى الدارين) على سبيل التخليب والتعظيم ، فإذا كان الله قد أكرمه في الدنيا بفضل مديحه الرسول (صلى الله عليه وسلم) فأمله كبير في الله - أيضا - أن يكرمه في الآخرة ، بفضل شفاعته النبي (عليه الصلاة والسلام) ، ولعل ما يؤكد ذلك قوله : (من يده) إذ في هذا التعبير مجاز مرسل من قبيل إطلاق السبب وإرادة السبب .

ولا يخفى أن البيتين قد اشتغلا على بعض المحسنات الهمدية المستقاة كان لها أثر كبير في وجود تلك الموسيقى الرائعة ، ومن ذلك : الجناس الشبيه بالمشق في (استجرت وجوارا) ، ورد العجز على الصدر في قوله : (التمت وستلم) .

والشاعر قد خالف جمهور النحاة عندما أدخل الواو على الفعل الماضي الواقع حالا بعد إلا ، في قوله : (إلا ونلت . .) والراجح (إلا نلت) (١) .

كما أن قوله : (استلمت) لم يرد في معاجم اللغة الفريية على المعنى الذي أراد به الشاعر ، لأنه أراد به (أخذت) وهذا خطأ شائع في كلام الناس ، إذ يقولون (استلمت الثياب) مثلا ، والصواب (تسلمت) ، أما (استلم) فهو بمعنى (لمس) تقول : (استلمت الحجر الأسود) أي لمسته بالقبلة أو باليد (٢) .

مقدمات الوحى :

انتقل الشاعر إلى ذكر بعض مقدمات الوحى بقوله (٣) :

لا تنكر الوحى من رؤياه ، إن لم
قلبا ، إذا نامت الحنان لم يتم

(١) المصباح الضير مادة (سلم) ج ١ ص ٣٦ .

(٢) مزار السالك ج ١ ص ٣٧١ .

(٣) ديوانه ص ١٩٥ وما بعدها .

وذاك حين يلوغ من نهوته
قلبي ينكر فيه حال محتلم (١)
تبارك الله ما وحى بحسب
ولا نبى على غيب بفتح سم

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن أولى مقدمات الوحي وهي الرؤيا الصادقة ، فكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح (٢) ، ولقد كانت هذه الرؤيا تمهيدا وإعدادا لرحلة ثانية هي استقبال الملك ، وهذا الإعداد من قبل الله سبحانه وتعالى (٣) .

والفكرة هنا غير قوية الارتباط بالفكرة السابقة ، كما أن الحديث عنها لم يأت في وقت الطبعي مما يدل على أن أفكار الشاعر لم تكن مرتبة .

وهما يكن من شيء ، فالشاعر تصور أمامه شخصا فنصحه بعدم جحود رؤيا الرسول (صلى الله عليه وسلم) وما يوحى إليه فيها ؛ لأن رؤيا الأنبياء حق ، ومما يؤكد ذلك ما رآه نبي الله إبراهيم (عليه السلام) في المنام ، إذ رأى أنه يذبح ابنه إسماعيل ، فلم يملك إلا التسليم لأمر الله ، والرضا بقضاء الله ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : * قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي آرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى * . (الآيات ١٠٠-١٠١) (٤) وفي ذلك تلميح إلى قول السيدة عائشة (رضي الله عنها) * أول ما بدى به الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم * . (٥) .

ولما كان الأمر غريبا في ظاهره ، وضحه الشاعر وأكد بقوله : (إن له قلبا إذا نامت فلمينان له يتم) فإذا تأملت تلك العبارة وجدت أنها قد اشتملت على معنى أكثر من مؤكد ، ولعل الشاعر تصور مخاطبه جاحدا منكرا ، فأكد قوله : (إن) ،

(١) يلوغ : الدراد وصول - من : بمعنى إلى والمراد بقوله (من نهوته) الوقت الذي كلفه الله فيه بالرسالة .

(٢) الطبقات الكبرى ج ١ القسم الأول ص ١٢٦ .

(٣) حاشية الباجوري على البردة ص ٥٣ بصرف .

(٤) الصافات (١٠٢ - ١٠٥)

(٥) صحيح البخاري ج ٦ ص ٣ .

وتقديم الخبر (له) ولعل في ذلك التقديم إشارة إلى أن ذلك القلب بملك
الخصوصية لفئة معينة من الناس بهم الرسل (عليهم السلام) كما أن تنكير
(قلبا) يدل على عظم شأن هذا القلب.

ولقد أسند الشاعر النوم إلى الميتين ، وفي هذا الإسناد مجاز مرسل
علاقته الجزئية - غير بالجزء - وأراد الكل - ولعل في ذلك دلالة على أن الميتين
هما أول ما يتأثران من الحواس وتظهر عليهما دلائل النوم ، وفي ذلك تلويح
إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " تنام عيني ولا ينام قلبي (١) " .

ثم بين الشاعر زمن تلك الرؤيا فقال : (وذاك حين بلوغ من نبوته) أي
حين وصل عليه الصلاة والسلام إلى سن الأربعين ، وهو سن بدء النبوة .

ولعل الشاعر أراد أن يؤكد ثبوت بدء الوحي بالرؤيا الصادقة فقال :
(وليس ينكر فيه حال محتلم) . وإذا تأملت الفعل (ينكر) وجدت مبنيا
للمجهول ، كأن الشاعر حذف فاعله ليبين أن من ينكر بدء الوحي بالرؤيا
الصادقة ، لا عبرة لأنكاره ، ولا قيمة لجحوده ، بل لا وزن لوجوده ،
ومستحق إغفال ذكره ، وإخفاء أثره .

ثم ينتقل الشاعر إلى تأكيد شأن النبوة ، ويبان أن الله سبحانه وتعالى
هو الذي " يَصْطَفِي بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ " (٢) . فقال : (تبارك
الله بما وحى بكتائب) ولعلك تدرك تعظيم الله وتقديمه في قول الشاعر : (تبارك
الله) . وكأنه أراد أن يمهّد بذلك لتلك القضية الكبيرة التي يؤمها بعض
الفلاسفة وهي : أن النبوة تنال بالاكتماب ، وأن في إمكان المبد أن ينالها
بمباشرة أسباب معينة ويفسرونها بأنساب : صفاً وتجل للنفس يحدث لها من -
(الرياضيات) بالتخلي عن الأمور الدنيوية ، والتخلي بالأخلاق الحميدة . (٣)

(١) المرجع السابق ج ٤ ص ٢٢٢ .

(٢) الحج / ٢٥٠ .

(٣) شرح البيهقي على الجوهرية ج ٢ ص ٣٩ .

والشاعر قد أحسن في قوله : (ما وحى بمكسب) فأتى بحرف النقي (ما)
 وأدخله على الفكرة (وحى) ليفيد المصوم والشمول ثم أكد ذلك المصوم بزيادة
 الباء على خبر (ما) كل ذلك ليؤكد نفي اكتساب النبوة بحال من الأحوال ،
 ويصون أن الإنسان مهما علا شأنه لا يستطيع أن يكون نبيا ، وكيف يكون كذلك
 والله جل جلاله : * * * أَلَمْ نَكُنْ نَبِيًّا تَبَعًا لِمَنْ كَفَرَ * (١) فيختار الأنبياء ، بعد
 أن يصنعهم على عينه ، متصفين بصفات الكمال ، منزّهين عن صفات النقص
 وهذا ما أشار إليه الشاعر بقوله : (ولا نبى على غيب بينهم) فأكد أن كسل
 الأنبياء ، مزهون عن أن يكونوا خاشعين ، ولم يلمح بذلك إلى قول الله
 تعالى : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٌ) (٢) إذ قرئ (بظنين) أى بينهم (٣) .

ويبدو أن الشاعر تذكر بعض معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) التي
 لم يشر إليها فيما سبق فقال (٤) :

كم أبرأت وصبا باللمس راحتهم	وأطلقت أريا من رقة اللحم (٥)
وأحييت السنة الشهباء دعوتهم	حتى حكت غرة في الأعصر الدهم (٦)
بما رضى جاد أوخلت البطاح بها	صوبهن اليم أو سيل من الحرم (٧)

(١) الأنعام / ١٢٤

(٢) التكاثر / ٢٤

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٨ ص ٣٦٢

(٤) ديوانه ص ١٩٦

(٥) أبرأت : المراد : شفت ، وصبا (بفتح الصاد) : المرض (وكمرها) : المريض

أطلقت : حلت . أريا : (بفتح الهمزة وكسر الراء) : صاحب الحاجة

أى المحتاج إلى الشئ . رقة : (بكسر الراء) : حبل له عقدة

اللحم : (بفتح الجيم) : الجنون ، وصغار الذنوب ، والمراد هنا الأول .

(٦) أحييت : المراد : أحييت الشهباء : مومنا شهب وهو الفرس الذى يغلب بياضه

على سواده . غرة : بضم الغين وفتح الراء : مشددة) : البياض في الجبهة .

الأعصر : جمع عصر أى الزمان . الدهم : (بضم الدال) : جمع آدم

وهو الأسود الشديد السواد .

(٧) عارض : المراد : حجاب . جاد : كثر مطره . السيب : الجرى

اليم : البحر . الحرم : اسم لوادى ، وقيل : هو السيل الذى لا يطلق

دفعه . وقيل : هو جمع مرة بمعنى السد .

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى أمن خارقين للمادة قد تبعنا للرسول
(صلى الله عليه وسلم) : أما الأمر الأول : فهو شفاؤه بعض المرضى بوضع
يده الشريفة على مكان الألم ، وأما الأمر الثاني : فهو حلول الخصب بمحسنة
الجد ببهرة دعوته (صلى الله عليه وسلم) .

وإذا تأملت قول الشاعر : (كم أبرأت وصبا بالسرراحتة) وجدته ملائما
للفكرة ، ويؤكد ذلك لفظ (كم) فهو يشير إلى كثرة من تم لهم الشفاء على
يد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهذا مطابق ما ذكرته بعض كتب السير^(١)
ومن شفاهم الله ببركة الرسول (عليه الصلاة والسلام) قتادة بن النعمان^(٢) الذي
أصيبت عينه في إحدى الفزوات ، فتم الرسول (صلى الله عليه وسلم) حده تقسيمه
براحته ، فكان لا يدرى أى عينه أصيبت^(٣) .

ولا يخفى أن في إسناد (أبرأت) إلى (راحته) مجازا عقليا ، لأن الثاني
في الحقيقة هو الله ، والرسول (صلى الله عليه وسلم) كان مجازا ، كما عبر الشاعر
بالمجاز (راحته) وأراد الكل وهو (يده) وفي ذلك مجاز مرسل علاقته الجزئية
، ولعل في ذلك التعبير دلالة على سرعة الشفاء بمجرد وضع هذا الجسر
من اليد .

ولقد أخرج الشعر الفاعل وقدم الضموم زيادة في التشويق إلى المؤخره
وزيادة في الاهتمام بالمقدم ، ولعل في لفظ (باللمس) ما يوحي بقلعة
الزمن الذي يستغرق حتى يأتي الشفاء بعده ، وفي ذلك إشارة إلى عظم
فضل الله على رسوله (صلى الله عليه وسلم) .

ولمخ الشاعر بقوله : (وأطلقت أربا من ريقه للسم) إلى ما روى عن ابن عباس
(رضي الله عنهما) : أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وسلم) فقالت : يا رسول الله ، إن به لعا ، وإنه يأخذه عند طماننا ، فيفسد

(١) أسد الغابة ج ٢ ص ٥١٢ ، ج ٤ ص ١٠٤ وما بعدها .

(٢) نحو : قتادة بن النعمان زيد الأنصاري صاحب جليل توفي سنة ٢٣ هـ (المرجع
المباين ج ٤ ص ٣٨٩) .

(٣) المرجع السابق ج ٤ ص ٣٩٠ .

طينا طمأنا ، قال : نصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صدره ، وندنا له ،
فتح تحفة ، فشرح من فيه مثل الجرو الأسود ، فشفى (١) .

ولعل في لفظ (أطلقت) إشارة إلى عظم أثر هذه الهدى المباركة ، ونفى
إلصاقها إلى ضميرها مجاز عقلي ، وهو يفيد التشخيص الموحى إلى منزلة الهدى ،
وصاحبها عند الله تعالى مثل (أبرأت) ،

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (من رقة اللم) استمارة تصريحية ،
لا يخفى أثرها في بيان حالة من يصيبه اللم .

ولقد أشار الشاعر بقوله : (وأحيت السنة الشهباء دعوته .. البيت) إلى
ما رواه أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال : أصابت الناس سنة على عهد
النبي (صلى الله عليه وسلم) فبينما النبي يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي ، فقال
: يا رسول الله : هلك المال ، وجاع الحيال ، فادع الله لنا ، نرفع يديه ،
وما نرى في السماء قسوة ، والذى نفس بيده ما وضعبها حتى ثار الحساب
أشال الجبال . ثم لم يزل من ضربه حتى رأيت المطر يتحد وعلى لحيته (صلى
الله عليه وسلم) فطرنا يومنا ذلك ، ومن الفد ، ومعد الفد ، والذي يليه
حتى الجمعة الأخرى ، وقام ذلك الأعرابي - أو قال غيره - فقال : يا رسول الله
: تهدم البناء ، وفرق المال ، فادع الله لنا نرفع يديه ، فقال : اللهم حوالينا
ولا علينا ، فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينسة
مثل الجومة ، وسال الوادى قناة شهرا ، ولم يجز أحد من ناحية إلا حمه ث
بالجود (٢) .

ولا يخفى أن الشاعر قد عبر عن الفكرة بأسلوب رائع ، أكد المراد ووضحه ،
ومن ذلك تلك الاستمارة التي في قوله : (وأحيت ..) فهي تدل على مسسى أن
الأرض كانت هامدة جامدة ، مقفرة مجدبة ، وصيب تلك الدعوة المباركة فهبت
فيها الحياة ، وأنبثت من كل فجج بهيج .

وما يؤكد أن الأرض كانت مجدبة قول الشاعر : (.. السنة الشهباء ..)
فهذا كناية ، مستمدة من البيئة البدوية ، لأن الأرض إذا كانت خالية مسمن
(١) معتمد الإمام أحمد ج ٢ ص ٢١ وما بعدها ، وصنى قح : قام ، والجرو : الصغير من ولد
الكلب ، ويطلق أيضا على ما استدار من الثمار كالحنظل ونحوه . (٢) صحيح البخارى ج ٢
ص ١٥ . وصنى (قسوة) بثلاث فتحات : سحابة .

النبات قلب بياضها على سوادها، إذ شدة خضرة النبات تجعل لونه يحيل إلى اللون الأسود ، يدل على ذلك قوله تعالى : " مَذْهَبَانِ " (١) .

ولقد أحسن الشاعر عندما أسند (الإحياء) إلى (الدعوة) ، إذ في هذا الإسناد مجاز عقل - من إسناد الشئ إلى سببه ، لأن الفاعل في الحقيقة هو الله - لا يخفى أثره في تشخيص الدعوة ، والتوجيه بحظم شأنها ، إذ كانت سببا في نزول المطر ، الذي جعل تلك السنة كالشوة في جبين غيرها مسنن سنى الرخاء .

وأراد الشاعر أن يبين غزارة المطر الذي نزل ، فأشار إلى أنه كان (كسب من المم ، أو سيل من المرم) .

ولقد اشتملت تلك الأبيات على بعض المصنعات اللمعية ، التي ساعدت على إبراز المعنى ، ووضوح الفكرة ، ومن ذلك : الطباق بين (أبرأ ووصها) ، والجناس الناقص في قوله : (سبب ، سيل) .

القرآن الكريم :

وإذا كان الشاعر قد ذكر بعض معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فإنه هنا يخص القرآن الكريم - تلك المعجزة الخالدة - بحديث رائع ، إلا أنه مهد لذلك الحديث بقوله (٢) :

دعنى ووصفى آيات له ظهرت

ظهر نار القمري ليللا على علم (٣)

فالدريزداد حسنا وهو منتظم

وليس ينقص قدرا غير منتظم

(١) الرحمن / ٦٤ ، تفسير القرآن العظيم ج ٧ ص ٤٨٢ .

(٢) ديوانه ص ١٩٦ .

(٣) وصفى : الدراد نظمى .

فما تطاول آمال المديح إلى ما فيه من كرم الأخلاق والشيم (١)

يبدو أن الشاعر تغول شخصيا يقول له : ما فائدة نظمك تلك المعجزات التي نسج عنها ولم نرها ، وبعضها ثبت بطريق ضئيف ، بل إن بعضنا رأى بعضها أيام الرسول - أنكرها ، وسجل القرآن الكريم عليهم ذلك في أكثر من موضع ، ومن ذلك قوله تعالى : " وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتِرٌ " (٢)

فكان حسنا من الشاعر أن يقول له : دعني ونظم تلك المعجزات الواضحة والآيات البينة ، التي انتشر أمرها ، وثبت وقربها ، ونظمها يزيدها انتشارا ، ومع ذلك فعدم نظمها لا ينقص قدرها ، ولا قدر صاحبها ، الذي وصف بصفات لا يدرك لها غاية ، وصفا حاول المادحون ، وصفه (صلى الله عليه وسلم) فلن يستطيعوا الإحاطة بما فيه من كرم الأخلاق وعظيم المسجيات .

ويبدو أن البوصيري قد نهج نهج بعض الشعراء العرب القدامى الذين كانوا يتحدثون عن فكرة فإذا أرادوا الانتقال إلى فكرة ثانية قالوا : (دعني - دع ذا) وأقرب مثال على ذلك قول زهير : (٣)

(١) تطاول : (فتح التاء ، ونم الواو) في الأصل : هذا المنقول لرواية شىء بعيد ، والمراد هنا طلب الوصول إلى الهوى ، وإدراكه والإحاطة به - المديح : مجزوء بإضافة (آمال) إليه - وهذا هو الصحيح الموافق لديوان المحقق - إلا أن بعض الكتاب يقول : إنها في بعض النسخ (آمالي) مضافة إلى ياء المتكلم ، ونسب المديح إما بآمال أو بنزع الخافض ، وكل منهما غير مقبوض ، لأن المصدر لا يعمل إذا كان جعسا كما في الأول : آمال) ، وأما في الثاني (آمالي) فذل أن النصيب نزع الخافض موقوف على المسامحة مع غير (أن - وأن - وكى) ، انظر حاشية الهاجوري على السيرة ص ٨٥ ، التصريح على التوضيح ج ١ ص ٣١٦ .

(٢) القمر : ٢٠

(٣) المصداة ج ١ ص ٢٣٩ .

(٤) هو : زهير بن أبي سلمى ، أحد فحول شعراء الجاهلية توفي سنة ٦٣١ م (تاريخ) آداب اللغة العربية ج ١ ص ٩٦ .

دع ذا وهذا القول في هـ م ر م خير الهداة وسيد الحضرة (١)

وهل هذا الانتقال الفجائي يمس اقتضابا (٢) وهو يجذب الانتباه إلى الفكرة الثانية ولكن يجعل الشاعر يترك الفكرة الأولى وينتقل إلى الثانية بتفسير تمهيد :

وإذا تأملت قول الشاعر : (دعنى ووصفى آيات له ظهرت) وجدته يشير إلى عظمة تلك الآيات ، ويؤكد ذلك تنكير لفظ (آيات) والإتيان به جمعا ، كما أن فى لفظ (له) إشارة إلى اختصاص الرسول (صلى الله عليه وسلم) بهـ هذه المعجزات ، وأنه لم تأت معجزة منها لغيره (عليه الصلاة والسلام) .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يؤكد شمول تلك المعجزات فوصفها بقوله (ظهرت) ولا يفتنى ما فى اللفظ من إيجاز ، بوضوحها ، ويؤكد ذلك أنه أسند ذلك الفعل إلى ضمير الآيات ، وهذا الإسناد مجاز عقلى فيه تشخيص يؤكد وضوح هذه الآيات ، التى أشبهت فى ظهورها (ظهور نار القرى ليل على علم) وهذا التشبيه يدل على فائدة تلك الآيات الكثيرة ومنها : الهداية ، والدلالة على صدق الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما أن النار التى يوقدها الرجل العربى بالليل على الجبال المأوى يهتدى بها السائقون فى الظلام الحالك .

إن تلك المعجزات لها قيمة عظيمة تشبه قيمة الدر الذى إذا جمع فسمى سلك واحد ازداد جمالا وروعة ، وإذا لم يجمع لم يفقد من قيمته شيئا ، لأن حتمه طبعى فى أصله ، وكذلك المعجزات يزداد قدرها إذا نظمت ، وينتشر خبرها إذا جمعت ولا ينقص قدرها ، أو يقلل قيمتها عدم نظمها ، وهذا ما أشار إليه الشاعر بقوله : (فالدر يزداد حسنا وهو بمنظم) .

(١) ديوان زهير بشرح الشيبانى ص ٨٨ مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤ هـ وهرم

هو نهر بن سنان أحد أجواد العرب كان زهير يمدحه فيجزل له العطا .

(٢) الموازنة بين الشعراء ص ٢٠٧

وإذا كان هذا شأن الآيات ، فما بالك بشأن صاحبها ، الذى تمت على يديه ، إنه (صلى الله عليه وسلم) منح الأخلاق الكريمة ، والصفات الحميدة التى يحجز عن الإحاطة بها الواصفون .

وهذا ما أشار إليه البوصيرى بقوله : (فما تناول آمال المديح . . البيت) ولمل فى قوله : (. . إلى ما فيه من كرم الأخلاق والشيم) ما يوحى بأن هذه الصفات الكريمة متكفئة فى الرسول (صلى الله عليه وسلم) تمكن النظر بالمطروف ، كما أن فى ذكر لفظ (الشيم) بعد لفظ (كرم الأخلاق) ما يقوى المعنى ، ويؤكد الفكرة .

ثم انتقل الشاعر إلى الحديث عن القرآن الكريم بقوله (١)

آيات حق من الرحمن محدثة	قديمة صفة الموصوف بالقديم (٢)
لم تقترن بزمان وهى تخبرنسا	عن المعاد وهن عاد وهن إرم (٣)
دامت لدينا فقلت كل محجزة	من النبين ، إذ جاءت ولم تدم

يصف الشاعر آيات القرآن الكريم فى تلك الأبيات - بعدة صفات :
فهي آيات حق من عند الله أنزلها الله على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) ،
وهي محدثة بالنظر إلى نزولها ، ولكنها قديمة بالنظر إلى أنها كلام الله ، كما
أنها ليست مقيدة بزمان ولا مكان ، وتحدثنا عن المستقبل وعن الماضى ، تحدثنا عن
المستقبل مثلاً فى ذكر يوم القيامة وما فيه من أهوال لكى يستمد الإنسان ، ويتزود
لذلك اليوم بالأعمال الصالحة ، وتحدثنا عن الماضى - مثلاً - فى قصص الأمم
السابقة ، وما نزل بهم من بلاء ، لياخذ الإنسان الصبرة والمظة ، كما أن هذه

(١) ديوانه ص ١٦٦ .

(٢) آيات : (جمع آية) والمراد بها هنا القرآن الكريم ، محدثة : من الحدث وهو ضد القديم .

(٣) لم تقترن : من الاقتران وهو المصاحبة والمراد : لم تقيد المعاد : المراد يوم القيامة عاد : اسم قبيلة - سميت باسم جدها عاد بن إرم بن سام بن نوح (عليهما السلام) وهنهم الذين بعث الله إليهم نبيه هودا (عليهما السلام) : انظر تفسير القرآن المظهر ج ٧ ص ٢٣٦ ، ٤١٦ . إرم : مدينة بناها شداد بن عاد وزخرفها ، وإليها أشار القرآن الكريم فى قوله تعالى : " إرم ذات الجمل التى لم يخلق مثلها " فى البلاد التجر ٧ / ٨ .

المعجزة قد فاقت كل معجزات الأنبياء السابقين ، قبل فاقت معجزات النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الأخرى لأنها باقية خالدة ، وكل المعجزات الأخرى انتهت بوقتها ومضت نبيها .

والشاعر قد وفق في اختيار ألفاظ دلت على المعنى المراد ، فمثلا : أتى بلفظ (آيات) جمعا متكررا لمشير إلى عظيم شأنها ، ورفع قدرها ، وأكد ذلك بإضافته إلى لفظ (حق) كأنه بذلك أراد أن يرد على المشركين الذين زعموا أن هذه الآيات من أمهات الأولين ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : " وَقَالُوا سَاطِرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (١) " .

ولعل في اختيار لفظ (الرحمن) ما يشير إلى أنها من عند من اتصف بالرحمة ومقتضى ذلك أنه يشرع لمبادئ ما يسمدهم في الدنيا والآخرة ، وهذا يتطلب الإيمان بالله والامتثال لأمره والعمل بكتابه .

وإذا تأملت لفظي (محدثة ، وقديمة) - اللذين وصف الشاعر بهما - آيات القرآن الكريم - تلك المجببة ، إذ كيف يوصف شيء واحد بهفتين - متضادتين ! ولكن سرعان ما يظهر الأمر ، وينزل المجبب ، لأن الشاعر وصف آيات القرآن بأنها محدثة أي في نزولها منسجمة على حسب الوقائع والحوادث ، ولعله نظر في ذلك إلى قوله تعالى : " وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَدَّعًا إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُمْرِضِينَ (٧) " ووصفها بأنها قديمة أي في مدلولها ، أو على أنها كلام الله ، فهو صفة من صفاته ، وصفات الله كلها قديمة (٣) . ويبدو أن الشاعر يلجأ بذلك إلى تلك الممارك التي قامت حول القرآن الكريم - أمخلق أم غير مخلوق ؟ (٤) وكانت تلك الممارك فتنة ابتلى بها كثير من علماء الأمة .

(١) الفرقان / ٥٥ (٧) الشعراء / ٥٥ .

(٢) شرح الميجوري على الجوهرة ج١ ص ٦٦ .

(٣) موج الذهب ج ٢ ص ٢٤٨ وص ٢٦٦ ، الدكتور : شوقي ضيف : المصراع النبأسي الأول ص ٢٩ وما بعدها طبعة دار المعارف بمصر (غير مؤرخ) ، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢١٦ ، ص ٢١٨ .

ولعل الشاعر أرد أن يؤكد منزلة هذه الآيات فأسند إلى ضميرها الفعلية من
(تقترن وتخبرنا) وفي هذا الإسناد مجاز عقلى ، يوحى بأثرها العظيم ، ومكانتها
الرفيعة ، ويؤكد ذلك إلتيان بضمير المتصل (وهى) . كما أن الشاعر كرر لفظ
(عن) ثلاث مرات وفي التكرار إطناب وهو محبوب في مقام المدح والثناء .

وفي البيت الثالث يبين الشاعر علة تفضيل هذه المعجزة على ما عداها -
بقوله : (دامت لدينا - البيت) ولا يخفى أن في لفظ (دام) ما يوحى
بالاستمرار ، إشارة إلى أن هذه الآيات لن تأتي بعدها آيات أخرى ، كما أنها
محفوظة بلا تغيير ولا تحريف ، كما قال الله تعالى : **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ
وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** . (١) ولعل لفظ (فافت) يوحى برفعتها وعلو شأنها ، على
غيرها من المعجزات مهما كان شأنها ، والعللة في ذلك أنها (جاءت ولم تدم) .

ولم يقف فضل آيات القرآن الكريم على دوامها فحسب بل إنها (٢) :

محكمات فما تبقيين من شبه	لدى شقاق وما تبقيين من حكم (٣)
ما حوت قط إلا عاد من حرب	أعدى الأعادى إليها ملقى السلم (٤)

(١) الحجر / ٩ .

(٢) ديوانه ص ١٦٦ .

(٣) محكمات : (بسكون الحاء وفتح الكاف) متكلمات وفي بعض النسخ (محكمات) بفتح الحاء
وفتح الكاف مشددة (ولكن الأول أرجح لاتفاقه مع الوزن) انظر حاشية الباجوري على
البردة ص ٦١ . شبه (بضم الشين وفتح الباء) جمع شبهة : (بضم لسكون) والمراد
الالتباس . شقاق : خلاف . ورواية الديوان (تبقيين - تبقيين) والفاء وفي بعض النسخ
بالياء : انظر متن البردة ص ١٥ مكتبة تاج بطنطا غير مؤرخ .

(٤) الحرب : (بفتح الحاء والراء) السليبين قولك حرمت الرجل حربا إذا سلته والمراد
هنا : الشدة فكأن من يمارسها يرجع مملوفا فكرة معارضة إياها من شدة بلاغتها .
الأعدى : (جمع أعداء ، وهو جمع عدو) ومعنى (أعدى الأعادى) : أشد الفلبي
عداوة . السلم : (بفتح السين واللام) الاستسلام - ومنه قوله تعالى : **وَالْقَوَا إِلَيْكُمُ
السَّلَامُ** . . . النساء / ٩٠ .

ردت بالاعضا دعوى ممارضها رد الضمير يد الجاني عن الحرم (١)

يذكر الشاعر أن تلك الآيات قد بلغت النهاية في الفصاحة والبلاغة ، وليس فيها مطعن لطعن ، أو مغمز لكافر ، ولا تحتاج إلى حكم ينصفها ، أو إلى ذي لسان يدافع عنها ، فهي قوية بنفسها ، وآية ذلك أنها ردت كل ممن حاربها أو عارضها ، وجملة يعترف بفضلها ، ويشهد بأحكامها .

كان الشاعر موفقا في اختياره ألفاظا مناسبة للمعنى ، تأمل قوله : (محكمات) توجهه يشير إلى أن هذه الآيات لا ليس فيها ولا غموض ولا تناقض ، وكيف يوجد فيها مثل ذلك وهي منزلة (مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (٢) . ويبدو أن الشاعر لمصح بذ لك اللفظ إلى قوله تعالى : " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْ آيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ ... الآية (٣) " .

ولقد دل على هذا الأحكام أن هذه الآيات لم تنق شبهة لكافر أو منافق - (لذي شقاق) - إلا فندتها ، وكشفت عن زيفها ، ولعل في قول الشاعر : (ذي شقاق) إشارة إلى أن من يدعي أن في تلك الآيات شبهات ، ما هو إلا مشاقت الله ورسوله ، أو أنه في شق والإسلام في شق آخر .

وإذا تأملت قول الشاعر : (ما يتبين من شبه ... وما يتبين من حكم) رأيته يؤكد قوة هذه الآيات ، وآية ذلك أن البوصيري صدر الجملتين بالنفي ، وهو

(١) ردت : دفعت والمراد أبطلت . بالاعضا : الضمير يعود على الآهنيسات

ومعنى البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته . انظر : التلخيص في علوم البلاغة ص ٣٣ . المعارضة : المراد الإتيان بمثلهما ، انظر ص ٢٤ من هذه الرسالة . الضمير : الشديد الفيرة - وهي صفة تجعل صاحبها شديد المحافظة على ما تحت يده وخاصة النساء . الجاني : المعتدي بالحرم (بضم الحاء والراء) جمع (حرمة) - بضم فسكون - وهي ما لا يحل انتهاكه والمراد به هنا : أهل الرجل .

(٢) فصلت : ٤٢ .

(٣) آل عمران / ٤ .

بالفصل المخرج إشارة إلى أن هذا الأمر منفي في الحال والاستقبال ، كما أن نفي إسناد كلا الفعلين إلى ضمير الآيات مجازاً عقلياً ، فيه تشخيص وإيجاز .
يزيد أن من عظم الآيات ، وما يقوى ذلك أن الشاعر نزلها منزلة من يعقل فأتى بضمير نون النسوة ، كما أتى بلفظ (شبه) جمعاً منكراً ، وهذا يشير إلى كثرة الشبه التي يؤتمها أعداء الإسلام ، ومع ذلك تطلبها هذه الآيات .

ولعل في قول الشاعر : (ما حوريت ..) ما يدل على أن من حاربها بلغ من الحقارة والبهانة حدا لا يصح معه أن يذكر اسمه ، أو يصح بصفته ، ولذا كان الفصل منبها للمجهول ، وكنت أود أن لا يحبر الشاعر هنا بلفظ الماضي ويؤكد بلفظ (قط) وكان الأولى به أن يعبر بلفظ المضارع ليشمل الحال والاستقبال أيضاً ، ولكن يبدو أنه أراد الإشارة إلى حادثه معينة ، أو وقت معين ، أو أراد أن تلك الآيات لم يستطع حاربها المرب الفصحاء - وقت نزولها - فهبهات أن يستطع حاربها من يأتي بعدهم - وهم أقل منهم فصاحة - وقد أحسن البصيرى عندما قال : (أعدى الأعادي) إذ في هذا القول : بيان كثرة أعداء تلك الآيات - ولذا عبر الشاعر بجمع الجمع - وبيان أن هؤلاء الأعداء ليسوا في درجة واحدة من المداوة ، وأخيراً بيّسان فضل هذه الآيات التي جعلت (أعدى الأعادي) يحترقون بمطمتها ولو وجدوا فيها مطعناً (وحاشا لله) ما سكتوا وما القوا سلاحهم - رآية ذلك أنهم اتسوا (ملقوا السلم) ولا يخفى ما في هذه المباراة من استعلاء تام ، وانقياد بمقد ثمر وعصيان .

ولعل في بيتي الشاعر ما يلح إلى قوله تعالى : " قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِثَلْ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِثَلِّهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (١) " ، ولعل فيها أيضاً ما يشير إلى بعض هؤلاء الكفار الذين حاربوا

القرآن ، ولما سمعوا بعض آياته ، قالوا : " إن له لحلاوة ، وإن عليـه
لطلاوة " (١)

ولقد أتى الشاعر بالبيت الثالث مفصلاً عن سابقه ، لأنه تأكيد لما اشتمل
عليه من الإشارة إلى عظمة آيات القرآن الكريم وقوتها ، وما يقوى ذلك قوله
: (ردت بالاعتها ٠٠) ففي إسناد الفصل (رد) إلى (هلاقتها) مجاز عقلي
يوحى بمحظية شأن تلك الآيات وقوتها التي ردت (دعوى مجارضا) ولمصل
الشاعر يلج بذلك إلى الرد على هؤلاء الذين يقولون : إن القرآن مصجزة بالصرفه (٢)
، أي أن الله تعالى هو الذي صرف العرب عن الإتيان بمثله ، ولولا ذلك
لتمكنوا من تحقيق هدفهم ، وهذا قول خاطئ لقوله تعالى : " قُلْ لِّئَلَّا
اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ
بِحُضْرِهِمْ لَبَدِّلْنَاهُ بِخَيْرٍ " (٣)

ولما كان الرد أمراً معنوياً شجسه الشعراء (رد الخيبر يد الجاني عن الحرم)
وهذا التشبيه - وإن كان ضميماً - يوضح فكرة الشاعر ويؤكد ما يوحى بقوة
الرد وسرعته ، كما يشير إلى أن من يحاول معارضة القرآن الكريم فلن يستطيع
ذلك ، وما هو إلا معتد أثيم .

إن تلك الأبيات تمتاز بسهولة ألفاظها ، ووضوح معانيها ، وتأثير موسيقاها ،
ولعل ما ساعد على ذلك هذه الحسنات اللميمية التي اشتملت عليها ، ومنها
: جناس الاشتقاق في قول الشاعر : (هوريت ، وحرب) وقوله : (أعدى الأعادي)
ورد المجر على الصدر في قوله : (محكمات وحكم) ، إلا أن الشاعر قد عدى
الفعلين (تهقين ، تهنين) بحر في جر في قوله : (من شبه ، من حكم) وهما
يتحديان بنفسيهما ، ولعله قد زاد حرفي الجر للتوكيد .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٣ و ٢٨٤ ، تفسير القرآن العظيم ج ٧ ص ١٥٠ ج ٨
ص ٢٩٢ .
(٢) الباقلائي : إعجاز القرآن ص ١٠ وما بعدها
المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٩ هـ ، ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل
ج ١ ص ٦٤ ج ٣ ص ١٥ وما بعدها المطبعة الأدبية بمصر سنة ١٣٢٠ هـ .
(٣) الإسراء / ٨٨ .

وصحفاً يكن من شيء * فلقد واصل الشاعر الحديث عن آيات القرآن الكريم فقال (١) :

لها ممان كموج البحر في صدد
وفوق جوهرة في الحسن والقيم (٢)
فما تمد ولا تحصى عجائبها
ولا تمام على الإكثار بالتمام (٣)
قرت بها عين تاليتها فقلت لسه
لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم (٤)

إن عجائب تلك الآيات لا تمد ، وسدائنها لا تحدد ، فمعانيها كثيرة ، ودلائلها عظيمة ، وقارئها لا يمل تردددها ، ولا يسأم من كثرة تلاوتها ، وثوابها عظيم يقر المومنين ، وشرح الصدر ، نجدد بهذا القارئ أن يتمسك بها ، ففيها نجاحه وفلاحه .

وإذا تأملت قول الشاعر : (لها ممان ٠٠) وجدت فيه اختصاصاً - مشهوداً - بتقديم الخبر - يشير إلى أن تلك الآيات لها ممان ليست لغيرها من الكلام ، وبذلك ذلك تنكير لفظ (ممان) وجمعه ، ومزيدة تأكيداً أنها : (كموج البحر ٠٠) وحطيم أن موج البحر لا يمكن أن يحيط بصدده إنسان ، ولا يخفى أن الشاعر ذكر وجه الشبه (في صدد) حتى لا يظن ظان ، أو يتوهم متوهم أن الشاعر شبه معاني الآيات بموج البحر في الاضطراب مثلاً . فكان هذا احتراضاً قطع به الشاعر السنة المفرضين .

(١) ديوانه ص ١٦٦ وما بعدها .

(٢) العدد : الزيادة - القيم : (جمع قيمة) وهي ما يرغب بها من ثمن الثمن والمعاد هنا : ماله من القدر والشرف .

(٣) المجائب : (جمع عجيبة) وهي ما يتمجب منها : تمام : توصف . على : بمعنى (مع) التمام : المثل .

(٤) قرئت : المراد سرت .

إن هذا التشبيه (كوج البحر ٠٠) قد زاد المعنى وضوحا - وهذا شأن تشبيه المعنوى بالمحسوس غالبا - ولعل الهوصيرى رأى أن فيه غنا لتلك الآيات ، فقال : (وفوق جوهرة فى الحسن والقيم) مؤكدا صفاء هذه الآيات ، ومشييرا إلى رفعتها وعلو شأنها ، ولكى كت أود أن لا يشبه الشاعر كلام الله باللولؤ أو ما يماثله ، لأن كلام الله أرفع من ذلك وأعظم ، ويبدو أنه أتى بهذا التشبيه على وجه التقريب .

ولما كان الهوصيرى فى معرض الإشادة بحظمة هذه الآيات كان قوله : (فمتمد ولا تحصى عجائنها) مناسبا لتلك الفكرة ، لأن هذا القول يؤكد أن عظمة تلك الآيات لم تقف عند غزارة معانيها ، وسلامة معانيها فحسب ، بل جمعت فوق ذلك بدائع وروائع ، تميزت بها عما عداها ، فكلما تأملت نفسك ، أتاك معنى جديد ، لم يخطر - من قبل - على بالك ، ولم يتطرق إلى جنانك ، وهذه سمة من سمات تلك الآيات الكريمة .

ولعل فى قول الشاعر : (فتمد ولا تحصى ٠٠) ما يؤكد مكانة هذه الآيات ، إذ فى تكرار النفى ، والأتیان بالفلمين - بعد النفى - مهيئين للمجهول ما يشير إلى أن عجائب هذه الآيات لا يستلج أن يحيط بها إنسان مهما كان قدره ، أضف إلى ذلك أنها (لا تسام على الإكثار بالسأم) فكلما قرأتها ، بل كلما أكثر من تلاوتها ، شمرت بجلالها وعظمتها ، وقوت بها عينك ، وانشرح بسببها صدرك من دون أن تشعر بسأم أو ملل .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يحث القارىء على ملازمة هذه الآيات فقال : (لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم) إن من يوفقه الله لتلاوة هذه الآيات فقد نال خيرا كثيرا يجب أن يحرص عليه ، ولا يخفى أن فى تأكيد الشاعر عبارته بسلام القسم وقد واختيار الفعل (ظفر) ما يوحي بحظمة هذه الآيات ، وأكد ذلك هذه الاستمارة اللطيفة فى قوله : (بحبل الله) ، كما أن المضاف (حبل) اكتسب جاذبة وعظمة من المضاف إليه (الله) ، فكان الشاعر موفقا فى عبارته التى ختمها بهذه النصيحة القيمة (فاعتصم) ولا يخفى أن الاعتصام بحبل الله ، هو الطريق الوحيد للنجاة ، ولذا أمر الله بالاعتصام به فقال

جلت قدرته : " وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ ۝١٠٠ الآية (١) .

ويبدو أن البوصيري تأثر في وصفه آيات القرآن الكريم ، بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن القرآن : " فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ۚ ۝١٠٠ (٢) .

ولما أمر الشاعر قارى تلك الآيات بأن يحتصم بها ، أراد أن يبين لسه بعض فوائدها ، فقال (٣) :

إن تلتها خيفة من حر نار لظى	أطفا نار لظى من وردها الشيم (٤)
كانها الحوض تبيض الوجه بسو	من العصاة وقد جاء به كالحميم (٥)
وكالصراط وكالميزان معدلة	فالقسط من غيرها في الناس لم يقم (٦)

نجم : : إن تتصل هذه الآيات - عاملا بأحكامها - خوفا من النار ، كانت تلوثها سببا في إطفاء هذه النار ، فلا تمسك بسوء ، ولا ينالك منها أذى ، أضف إلى ذلك أنها تبيض وجه تالبيها ، وتوضح له طريق الاستقامة ، وتبين له أسس العدل .

(١) آبل عمران / ١٠٣ (٢) سنن الترمذي ج ٤ ص ٣٤٥ (٣) ديوانه ص ١٩٢

(٤) إن تلتها : إن تقرأها . خيفة : خوفا وخشية . لظى : اسم من أسماء النار ورواية الديوان (أطفا نار) ورواية بعض النسخ (أطفا نار) ولا يخفى أن رواية الديوان أبلغ لأنها تشير إلى أن تلك الآيات تطفى النار نفسها ، لا حرها . انظر متن البردة ص ٢٣ طبعة الشمري - الشيم : المذهب .

(٥) الحوض المراد به هنا : جسم مخصوص كبير متسع الجوانب يكون على الأرض المعدلة وهي الأرض البيضاء كالفضة . من شرب منه لا يظلم أبدا ترد هذه الأمة : شرح البيهقي على الجوهرة ج ٢ ص ١٠٩ ، صحيح البخاري ج ٨ ص ١٤٨ . التخم : (جمع حمة) جمة انطفا نارها وقيت فحمة مسودة . (٦) الصراط : الطريق والمراد به هنا جسر معدود على متن جهنم يرد الأولون والآخر . شرح البيهقي على الجوهرة ج ٢ ص ١٠٣ ، صحيح البخاري ج ٨ ص ١٤٦ ، والميزان : ما يؤخذ به الشيء ، معدلة : عدلا .

تلك من الصفات التي خلصها الشاعر على تلك الآيات ، لكن تأمل كيف صاغها في قالب شمرى وضحاها وأكدها ، ولقد أتى في البيت الأول بأسلوب شرط (إن تتلها .. البيت) ليدل على تحقق الجزاء في الآخرة لقارئ القرآن العامل بأحكامه ، كما يتحقق جواب الشرط إذا تحقق فعله ، وفي قوله : (أطفأت نيران لظى ..) استعارة لطيفة وضحت أثر الآيات في حفظ تاليفها ، إنها تبطئ نيران النار كاللآء الذي يطفئها ، وهذا مشاهد في دنيا الناس ولذلك كان هذا التعبير رائعا ، إذ وضع أثر المعنوي أو الفني بأمر محسوس مشاهد ، ولعل في هذا حصلا على ثلاثة تلك الآيات ، والعمل بها فيها من أحكام ، ويبدو أن الشاعر يلح - بذلك الأثر - إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه " (١) .

ويبدو أن الشاعر لم يحالفه التوفيق عندما ذكر أن آيات القرآن الكريم تبعث وجه تاليفها كما تبعث ماء الحوض وجه بعض عصاة المسلمين يوم القيامة ، إن الذي تبعث وجوه بعض العصاة المسلمين هو نهر الحياة كما ورد في الحديث الشريف ، يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " يدخل الله أهل الجنة الجنة - يدخل من يشاء برحمته - ويدخل أهل النار النار ، ثم يقول : انظروا من وجدتم في قلبه شقال حبة من غرادل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون منها حملا قد امتحشوا " (٢) ، فيلقون في نهر الحياة - أو الحيا - فينبشون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية .. " (٣) .

وفي البيت الثالث شبه الشاعر هذه الآيات بالصراط في الاستقامة كما شبهها بالميزان في بيان العدل وإظهار الحق :

ولعل الشاعر أراد أن يؤكد أن دوام الحق ، واستمرار العدل ، لا يفارق هذه الآيات فقال : (فالتصطف من غيرها في المناجى لم يفتن) نعم ، العدل من غير هذه الآيات لا يدوم لاختلاف الناس في تفكيرهم ، وتنوع مشاربهم ، أما الآيات

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٩٧ .

(٢) امتحشوا : المراد : اشتد سواد وجوههم .

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٤٤ .

فالحق لازم لها لقوله تعالى : **وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۝ ١٠٠** الآية (١) .

ولما ذكر الشاعر بعض صفات آيات القرآن الكريم ، أراد أن يوضح موقف بعض مفكريها ، وسبب ذلك الإنكار ، فجر من نفهم شخصاً يقول له : (٢)

لا تمجن لحسود راج ينكرها تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم (٣)
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

إن شأن هذه الآيات عظيم كما رأيت ، ومقامها رفيع كما شاهدت ، فلا يملكك المجيب من إنكار من جحد أثرها ، فما هو إلا حسود جحود ، إنه يجحد حقيقتها ، ويتجاهل قيمتها ، مع أنه أشد الناس فهما لمعانها ، ولكنه الحسد . حفظك الله منه . هو الذي دفعه إلى هذا الإنكار ، كما تنكسر العين ضوء الشمس بسبب الرمد الذي أصابها ، وينكر الفم طعم الماء بسبب المرض الذي ألم به .

إنك إذا تأملت قول الشاعر : (لا تمجن لحسود ٠٠) وجدته قد أدخل حرف النهي (لا) على الفعل المضارع المؤكد بالنون الضعيفة ، ولعل في ذلك إشارة إلى تعدد هذا الأمر ففي كل زمان ستجد من يحاول إنكار أثر هذه الآيات ، بل ستجد من يحاول إنكارها ، والمراد هنا من هذا النهي تحقير شأن هذا الجاحد الموصوف بأنه (حسود) ولقد أحسن الشاعر حينما أتى بهذا اللفظ ، إذ هو صيغة بالغة تدل على مدى ما تغفل في قلب هذا الحسود من غل شديد ، وعقد مرير ، ويؤكد ذلك تنكير هذا الوصف وتوينه ، كما أن لفظ (تجاهلا) يكشف عن حقيقة هذا الحسود الذي يظهر جهله بقيمة هذه الآيات ، مع أنه يعرف فضلها ؟ لأنه : (عين الحاذق الفهم) .

(١) الإسراء / ١٠٥

(٢) ديوانه ص ١٩٢

(٣) الحسود : الذي يتنى زوال النعمة عن غيره . والمراد هنا الذي ينكر فضل آيات القرآن الكريم . تجاهلا : من يظهر الجهل مع أنه ليس بجاهل ، الحاذق : الدائر .

وأراد الشاعر أن يبين إمكان وقوع إنكار هذه الآيات من عالم بقيمتها ،
مدرك عظم فصاحتها بسبب داء الحسد الذي سيطر عليه ، وتمكن منه ، فأتى
بمثالين من واقع الحياة يحس بهما كل إنسان ،

الأول : (قد تنكر المين ضوء الشمس من رمد) فالمين المريضة قد لا تحس
بضوء الشمس ، مع أن هذا الضوء يملأ الآفاق ، ولكن المرض كان
سبباً في عدم الإحساس بوجوده ، وقد أحسن الشاعر عندما قال (ضوء
الشمس) ولم يقل : (حرارة الشمس) مثلاً ، إذ الحرارة تحسس
وإن لم تُر الشمس ، كما أن في ذكر (المين) مجازاً مرسلًا علاقته
الجزئية ، وهذا المجاز يدل على أثر العين في الرؤية .

الثاني : (وينكر الفم طعم الماء من سقم) نعم إذا كان الإنسان مريضاً - وخاصة
لسانه - لم يستطع تذوق الأشياء ، وبيان مذاقتها ، ربما شرب ماء
عذبا ، فشعر به - بسبب المرض - مرا علقماً ، ولا يخفى أن نفسى
قول الشاعر : (الفم . .) مجازاً مرسلًا علاقته المحلية ، لأنه أراد
بالفم اللسان - إذ هو أداة الذوق .

إن هذا البيت قد أكد المعنى المراد في البيت الأول ، كما أن موسيقاه
جذابة بسبب التقسيم بين شطريه ، والتكرار في قوله : (تنكر) والمناسبة بين
(المين والرمد) ، وبين (الفم وطعم) .

ولقد زعم بعض الكتاب أن هذا البيت قد أخذ الشاعر من قول المتنبي :
ومن يك ذا فم مرمم

يجدد مرا به الماء الزلالاً (١)

ثم علق على ذلك بقوله : " . . وقد زاد البوصيري معنى آخر أتى به نسي
الشاعر الأول من بيته فزاده قوة وإيضاحاً ، والمتنبي يفوق البوصيري بوصفه الماء
بالحدوة ، وشعر الشارب بحرارة هذا الماء الزلال ، وقد خلا كلام البوصيري

(١) ديوانه ج ٢ ص ١٨٣ بشعر العكيري - طبعة دار الطباعة
بمصر سنة ١٢٨٧ هـ .

من هذين القيدين (١) .

ومهما يكن من شيء فإن بيت البوصيري قد أكد المعنى المراد بتشبيهيين من الواقع يدركهما الحس ، أضف إلى ذلك عباراته الموحية التي لا مست الفكرة مثل لفظ (تنكر) ، أما خلوه من وصف الماء بالمذوبة ، فإن - وإن خلا من الوصف لفظاً - فإن المقام يشير إليه ويتطلبه .

الإسراء والمصراع :

ومعنا تحدث البوصيري عن القرآن الكريم - المعجزة الخالدة - انتقل إلى الحديث عن معجزة أخرى - هي معجزة الإسراء والمصراع (٢) فقال (٣) :

ياخير من يدم العافون ساحته

سميا وفوق متونا لا يتق الرسم (٤)

ومن هو الآية الكبرى لمتنبر

ومن هو النعمة العظمى لمفتنم

(١) الشاعر المصري (شرف الدين البوصيري) ص ٥٤ .

(٢) الإسراء : هو انتقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليلاً من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بفلسطين بواسطة البراق - فهو رحلة أرضية .
والمصراع : هو صعود الرسول (صلى الله عليه وسلم) من المسجد الأقصى إلى السموات ثم إلى مدرة المنتهى إلى مكان لا يعلمه إلا الله - فهو رحلة سماوية .
وكان ذلك قبل الهجرة النبوية على الصحيح انظر : الطبقات الكبرى ج ١ القسم الأول ص ١٤٣ .

(٣) ديوانه ص ١١٧ .

(٤) يدم : قصد . العافون : جمع عاف وهو طالب المعروف ، ساحته : ناحيته - والمراد حريم داره الواسع . سميا : المراد سيرا على القدم . متون : جمع متن وهو الظهور . الأينس : جمع ناقة وأصله (أنوق) استقلت النعمة على الواو فقد تمت فصارت (أئنيق) ثم قلبت الواو ياء فصارت (أئنيق) . الرسم : (يهضم الراء المشددة وضم الميم) جمع رسوم (بفتح الراء) هي الناقة التي تؤثر في الأرض من شدة الوطء .

يضمير الشاعر في هذين البيتين إلى كرم الرسول (صلى الله عليه وسلم) وجوده الكبير ، وكيف لا ، وقد أسرع إليه السائلون - رجالا وركبانا - يطلبون رفسيده ، ويؤملون عنده الهداية ، إذ هو منبع الخير ، وموئل الرشد ، كما أنه الرحمة المرسلية والنعمة الممهداة .

وإذا تأملت عبارة الشاعر (ياخير من ..) وجدته ينادى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، نداء يشعر بحظم المكانة وعلو القدر ، وهذا ما يوحى به حمصرف النداء (يا) إذ هو لنداء الحميد ، إلا أن الشاعر هنا لم يرد البحد الحسى بل أراد البحد الممنوى - بحد المنزلة - وما يؤكد ذلك قوله : (خير ..) فهو اسم تفضيل ، ولأن الشاعر لاحظ أن هناك من يحظى - أيضا - ولكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أكثرهم عطاء ، وأعظمهم رفدا ، وما يقوى ذلك تلك الكناية اللطيفة التي توحى بكثرة الطالبين في قوله : (سحيا وفوقعتون الأيتق الرسم) .

والملاحظ أن الشاعر لم يصرح باسم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بـسـل عبر باسم الموصول (من) وكرره أكثر من مرة ، ولعل ذلك للتشويق ولزيادة الاهتمام - ويؤكد ذلك ، الإتيان بضمير الفصل (هو) - ولإشارة إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد عرف بهذه الصفات .

ثم خاطب الشاعر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائملا (١) :

سريت من حرم ليلا إلى حمصرم

كما سرى البدر في داج من الظلم (٢)

ومت ترقى إلى أن نلت منزلة من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم (٣)

(١) ديوانه ص ١٩٢ .

(٢) سريت : سرت ليلا . وحرم : المراد به المسجد الحرام . إلى حمصرم : المراد بحمصرم المسجد الأقصى . داج : من دجا الليل إذا أظلم .

(٣) بت : المراد - (صرت) ويؤكد ذلك رواية الديوان الثانية (فظلت) - قاب قوسين : القاب : القدر ، والمراد : مقدار المسافة بين طرفي القوس (وهذا : كناية عن القرب) .

لقد أسرى بك الله يا نبي الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وفي ذلك تكريم وتشريف، ثم عرج بك إلى السموات وما فوقها، حتى وصلت إلى مكان لسم يصل إليه نبي مرسل ولا ملك مقرب.

يشير الشاعر في البيت الأول إلى أسراء الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلا أنك إذا تأملت قوله : (سریت من حرم) وجدت أنه قد التفت من الفبيسة في البيت السابق إلى الخطاب هنا وفي ذلك تنبيه للذهن وإثارة للحنن، ولعل الشاعر أسند الفصل (سرى) إلى ضمير الخطاب وكذلك الأفعال (بت - ترقى - نلت) ليرجع أن الإسراء والمصراع كانا بروج الرسول (صلى الله عليه وسلم) وجسده بقطة لأمانا، كما يتم ذلك بعض العلماء (١).

ولا يخفى أن هدف الشاعر من هذا التشبيه (كما سرى البدر) هو توضيح الفكرة والإشارة إلى رفعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعلو مقامه، ولكنه نسى أن النبي (عليه الصلاة والسلام) أفضل من البدر، ويبدو أنه فطن إلى ذلك ولكنه أتى بهذا التشبيه على سبيل التقريب على حد قوله تعالى : " اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرٍ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ " (٢).

ولقد أشار الشاعر في البيت الثاني إلى مصراع الرسول (صلى الله عليه وسلم) وإذا تأملت قوله : (وت ترقى) وجدت لفظ (بت) يدل على أن المصراع كان ليلاً أيضاً، ولا يخفى أن في قوله : (ترقى) إشارة إلى علو الرسول ورفعة شأنه، كما يدل على أن الله قد أكرم نبيه (صلى الله عليه وسلم) وأنا له (منزلة) عالية، ويؤكد ذلك تلك الكناية اللطيفة : (من قاب قوسين) (٣).

وبدو أن الشاعر أراد أن يشير إلى أن تلك المنزلة التي نالها الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهذا الإكرام الذي أنعم الله به عليه في تلك الليلة لم يحظ به أي مخلوق غيره، فقال : (لم تدرك ولم ترم) ولعل في بناء الفملين للمجهول ما يجعل النفس تذهب في تقدير الفاعل أي مذهب.

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٥ ص ٤٠ وما بعدها.

(٢) النور / ٣٥.

وإذا كان الشاعر قد وفق في اختيار الألفاظ التي ناسبته الفكرة ، فلا يخفى أنه تد نظر في البيت للأول إلى قوله تعالى : " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِحَبْلِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى " الآية (١) ، كما يلح بقوله : (وت ترقى) إلى الأحاديث التي وردت في شأن المعراج وفيها أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد صعد إلى السماء الأولى ثم الثانية وهكذا حتى السابعة (٢) أضف إلى ذلك أن قوله : (من قاب قوسين) مقتبس من قوله تعالى : " فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى " (٣) ، ويبدو أن الشاعر ذكر لفظ (الظلم) بعد لفظ (داج) إما للتأكيد بالمرادف وإما للتأنيص .

ومهما يكن من شيء ، فإن الشاعر ما زال يتحدث عن المعراج بقوله (٤) :
وقد منك جميع الأنبياء بهـ

والرسل تقديم مخدوم على خدام (٥)

وأنت تخرق السبع الطباقي بهـ

في موكبكت فيه صاحب العلم (٦)

حتى إذا لم تدع شأواً لمستحق من الدنيا ولا مرقى لمستنم (٧)

خففت كل مقام بالإضافة إذ في نوديت ، بالرفع مثل المفرد العلم (٨)

وسبب إكرام الله لك - الذي تجل في ليلة الإسراء - والمعراج - قدمتك جماعة من الأنبياء والرسل - تقديم تشريف وتكريم - عندما كنت تخرق السموات السبع ماراً بهم ، في موكب كله جلال وجمال ، حتى بلغت مكاناً علياً ، لم يلح أحد في أن يبلغ منزلة ، بل لم يتناه أحد لرفعة .

(١) الإسراء ١ / .

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٣٣ وما بعدها .

(٣) النجم ١ / .

(٤) ديوانه ص ١٧٧ .

(٥) المخدوم : العبد - خدام : (بفتحين) جمع خادهم .

(٦) تخرق : البراد تقطع . السبع : الطباق : السموات السبع ، وسيت طباقاً ، لأنها طبقة فوق طبقة . موكب : المراد جمع عظيم .

(٧) شأواً : غاية . مرقى : موضع الرقى - المستنم : المراد طالب الرقعة والمطلو .

(٨) الظلم : المراد بلنا : المعروف بين قومه لمطلو قدره .

ولو تأملت قوله : (قدمتك .. البيت) لوجدته يدل على مدى الحفاوة الستى
استقبل بها بعض الأنبياء والرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند هروجه إلى
السماوات ، إلا أن فى قوله : (جميع الأنبياء والرسل ..) مخالفة إذ الثابت
بالأحاديث الصحيحة أن الذين استقبلوا رسول الله فى السماوات الصبح ببعض
الأنبياء والرسل ، لا كلهم ، ومنهم : آدم ، ويحيى ، وعيسى ، وإدريس ، ويوسف
وموسى ، وإبراهيم (عليهم السلام)^(١) ، ولا يخفى أن ذكره (الرسل بعد الأنبياء)
من قبيل ذكرهم الخاسر بعد العام لإفادة التوكيد .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يوضح تقديم الأنبياء والرسل رسول الله (صلى الله
عليه وسلم) فقال : (.. تقديم مخدم على خدم) ولكن هذا التشبيه - وإن وضع
فكرة الشاعر - لا يليق بمكانة رسل الله (عليهم السلام) ويؤكد ذلك أحد النقاد
بقوله : " وإذا كان الهوصيرى قد وفق فى تشبيه السرى وتصوير الرقى - فى
الآيات السابقة - فإن اللباقة جانبته فى تمثيل تقديم الرسل للنبي بتقديم
المخدوم على مخدمه ، لأن هذا التمثيل يوحى بالسيادة والمهودية ، ولا يتفق
مع توقير الأنبياء وإجلالهم .. " (٢)

ولعل قوله : (وأنت تخترق ..) يشير إلى سرعة صعود الرسول (صلى
الله عليه وسلم) السماوات ومروره بالرسل (عليهم السلام) ولكن قوله : (نفسى
موكب كنت فيه صاحب العلم) يوحى بأن الرسول كان فى جمع عظيم من الملائكة
عندما عرج به إلى السماوات ، وهذا ما لم تصرح به الأحاديث الصحيحة الستى
أشارت إلى مصراع الرسول (صلى الله عليه وسلم) بل صرحت بأن جبريل (عليه
السلام) - فحسبه - هو الذى كان يرافق الرسول (صلى الله عليه وسلم)
ففى معراج^(٣) .

(١) صحيح البخارى ج ٤ ص ١٢٢ .

(٢) الإسلام فى شعر شوقي ص ٥٦ .

(٣) صحيح البخارى ج ٤ ص ١٢٢ .

ولا يخفى أن قول البوصيري : (حتى إذا لم تدع شأوا .. البيت) يسدل على أن الله قد أكرم نبيه إكراما كبيرا ، وأنزله منزلا عاليا ، ويؤكد ذلك قوله : (خففت كل مقام بإضافة .. البيت) .

وملاحظ أن الشاعر قد ضمن أبياته بعض المحسنات البديعية التي ساعدت على ظهور المعنى وتأكيده مثل : الطباق بين قوله : (مخدوم ومخدم) والتورية (١) في قوله : (خففت كل مقام ، بإضافة إذ .. نوديت بالرفع مثل المفرد العلم) إلا أن الشاعر قد أثقل ذلك البيت بذكره كثيرا من المصطلحات النحوية مثل (خففت ، بإضافة ، نوديت بالرفع ، المفرد العلم) بإضافة إلى أن لفظ (مستتم) لم يرد في محاجم اللفظة (٢) .

وأشار الشاعر إلى سبب من أسباب عروج الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى السماء وما فوقها - فقال (٣) :

كما تفوز بوصول أي مستتر عن الحيون ، وسر أي مكتم
فحزت كل فخار غير مشترك وجزت كل مقام غير مزدحم
وجل مقدار ما وليت من رتب

هز إدراك ما أوليت من نعم (٤)

يارسول الله ، لقد رفعك ربك إلى السماء وما فوقها ، لتحظى بوصول لا تراك فيه عين إنسان ، ولا يحس به أي مخلوق ، فكرمك ربك تكريما لم يملكه أحد غيرك ، ومنحك منزلة عالية عز قدرها ، ووهبك نعمة عز إدراكها .

(١) التورية : هي أن يذكر لفظ له معنيان : قريب ومعيد ، ويراد البعيد منهما ، أنظر : التلخيص في علوم البلاغة ص ٣٥٩ .

(٢) انظر لسان العرب ج ١٥ ص ١٩٨ مادة (متم) .

تاج المروس ج ٨ ص ٣٤٨ المادة السابقة .

(٣) أنظر ديوانه ص ١٩٧ وما بعدها .

(٤) معني رتب : (بضم ففتح) جمع رتبة : أي المنزلة .

وإذا تأملت قول الشاعر : (فحزت كل فخار ..) وجدته يشير إلى حصول الرسول (صلى الله عليه وسلم) على شيء عظيم ويؤكد ذلك لفظ (كل) وما يتضمنه من معنى ، ثم إضافته إلى فكرة (فخار) ، ومثله في تلك الدلالة (رجزت كل مقام غير مزدحم) وإذا أوحى ذلك التعبير بتكريم الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فإنه يدل - أيضا - على فضل الله (سبحانه وتعالى) على نبيه (عليه الصلاة والسلام) .

ولا يخفى أن قول الهويصيري : (وجل مقدار ما وليت من رتب) يؤكد الفكرة السابقة ، وخاصة لفظ (جل) الذى يوحى بالتمظيم ، وكذلك التعبير باسم الموصول (ما) يوحى بالتفخيم لتلك المنزلة التى منحها الله رسوله (صلى الله عليه وسلم) ويبدو أن الشاعر أتى بالفعل صينا للمجهول فى قوله (وليت ..) إشارة إلى أن الذى يعطى معلوم غير مجهول ، إذ لا يعطى غيره ولا يخلع سواه .

ولعل الشاعر أراد أن يؤكد فضل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : (وعز إدراك ما أوليت من نعم) .

ولقد وفق الشاعر فى اختيار ألفاظ لامت الفكرة ووضحت المسمى مثل (تفوز - حزت - كل فخار - كل مقام - جل - رتب - عز - نعم) فكلها ألفاظ تشير إلى التكريم والتشريف ، أضف إلى ذلك بعض المحسنات البديعية التى لا يخفى أثرها فى زيادة الوقع الموسيقى للأبيات مثل الجناس الناقص بسين (حزت وجزت) والتقسيم بين شطرى البيت الثانى ، وبين شطرى البيت الثالث أيضا .

ولقد رأى الشاعر أن فى تكريم الله نبيه محمدا (صلى الله عليه وسلم) تكريما لأُمَّته (عليه الصلاة والسلام) ، فقال : (١)

(١) ديوانه ص ١٩٨ .

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا
لما دعا الله داعيننا لطاعته
من العناية وكما غير منهدم
بأكرم الرسل كما أكرم الأمم

يُشير الهمزى المملين بأن الله سيكرمهم كما أكرم الرسول (عليه
الصلاة والسلام) ويشملهم برعايته ويحيطهم بعنايته ولأنهم أمّة أكرم
الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

وإذا تأملت قول الشاعر : (بشرى لنا معشر الإسلام) وجدت ما يدل
على الفرح والسرور والأمل الكبير في جانب الله (سبحانه وتعالى) وخاصة
في لفظ (بشرى) إلا أن هذا الأمل موقوف على (معشر الإسلام) وفي
ذلك بيان فضل الإسلام .

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (إن لنا من العناية ركنًا غير منهدم) ما
يؤكد الأمل في كرم الله ويشير إلى ذلك التأكيد بـ (إن) وتقديم الخبر
(لنا) كما أن في قوله : (من العناية ركنًا غير منهدم) ما يقوى
ثقة الشاعر في تحقيق أملة الكبير وخاصة في قوله : (ركنًا) بالتكسير .
ووصفه بقوله : (غير منهدم) وكيف ينهدم وهو ركن الله تعالى السند
(دعا ٠٠ داعيننا لطاعته) ولعل المراد بقوله : (داعيننا لطاعته) الرسول
(صلى الله عليه وسلم) .

أما قول الشاعر : (بأكرم الرسل كما أكرم الأمم) ففيه إشارة إلى
قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " أنا سيد ولد آدم ، وأنا أكرم الخلق على
الله " وفي رواية ثانية : " وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر " وإلى قوله
تعالى : " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتُقِيمُونَ بِاللَّهِ ٠٠٠ الآية (٢) " .

إلا أن الشاعر قد أضاف كلمة (معشر) إلى (الإسلام) وكلمة معشر تختص
بالدخول على الذات لا على المصنوعات ويمكن أن أقول : إن في الكلام حذف مضاف
والأصل : (معشر أهل الإسلام) .

(١) سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٤٧ .

(٢) آل عمران / ١١٠ .

جهاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه :

بعدما تحدث الشاعر عن معجزة الإسراء والميراج ، انتقل إلى الحديث عن جهاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه في سبيل نشر كلمة التوحيد والدفاع عن العقيدة ، فقال (١) :

راعت قلوب المدا أنبا بمحتسبه

- كباة أجفلت عقلا من الفهم (٢)
ما زال يلقاهم في كمل مشترك
حتى حكا بالقنا لحما على وضم (٣)
ودوا الفرار فكادوا يغبطون به
أشلاء شالت مع العقبان والرخم (٤)
تمضى الليالي ولا يدرون عدتهم
ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم (٥)
كانما الدين ضيف حل ساحتهم
بكل قرم إلى لحم الصدا قرم (٦)

وفي هذه الأبيات يتناول الشاعر فكرتين :

الأولى : بيان أثر بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الكفار ، ومدى قبولهم لها.

(١) ديوانه ص ١٩٨ .

(٢) راعت : أفزعت - نباة : صرخة الأسد أي زئيره - أجفلت : أفزعت - عقلا : بضم
الفين وسكون الفاء) جمع غافل : أي لاه .

(٣) مشترك (بضم الميم وسكون الميم وفتح التاء والراء) : محل الاعتراك والمراد : ميدان
القتال - القنا : جمع قناة وهي الرمح - وضم : (بفتح الواو والضاد) ما يوضع عليه اللحم
من خشب وغيره .

(٤) يغبطون : من الغبطة وهي أن تمنى مثل ما لغيرك . أشلاء : جمع شلو ، وشلو العضو من اللحم .
شالت : ارتفعت . العقبان (بكسر العين) جمع عقاب : نوع من الطيور . الرخم : (بفتح
الراء والتاء) جمع رخمة وهي طائر يشبه النسر يقع على الميتة .

(٥) الأشهر الحرم : هي المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة .

(٦) قرم : (الأولى) - بفتح فسكون - السيد الشجاع . قرم (الثانية) - فتح فكسر
- شديد الشهوة إلى اللحم ، والمراد شديد حرصه على قتل أعداء الدين .

الثانية : الحرب بين الرسول والكفار .

أما الفكرة الأولى :

فتحدث عنها البوصيرى فى بيت واحد ، وأشار فيه إلى أن الكفار حينما بلغتهم أخبار بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) تطلقهم الرعب ، وحل بهم الفزع ، فتفرق شملهم ، وهو فى سبيل بيان تلك الفكرة ، رسم صورة توضح مدى هذا الفزع ، وتجسم ذلك الرعب ، فكان - بحق - بارعا فى رسمه ، رائعا فى وصفه .

ولو تأملت الفصل : (راعت . .) لأدرت من أول وهلة مقدار ما حصل بالكفار من فزع ، وفى إسناده الفصل إلى (أنباء بعثته) مجاز عقلى - من إسناد الفصل إلى سببه - لأن الله تعالى هو الذى أنزل الرعب فى قلوب هؤلاء الكفار ، ولا شك فى أن مثل هذا الإسناد يؤكد أثر بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقوتها ، ولا يخفى أن فى قصر الرعب على القلوب مجازا مرسل - عدلت الجزئية - لأن الشاعر ذكر الجزء - القلب - وأراد الكل - الذات - وفى هذا المجاز ما يشير إلى أن القلب هو محل الاطمئنان والفزع عند الإنسان ، ولعل فى تقديم المفعول به (قلوب) على الفاعل (أنباء) ما يوهن بسرعة حلول الرعب فى هذه القلوب .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يبين مقدار هذا الرعب ، وأن يوضح حال هؤلاء الكفار ، وقت سماعهم أنباء بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فرسم صورة حسية مستقاة من البيئة البدوية - وهى بيئة الكفار فى ذلك الوقت - إذ صور قطعهم من الفم يسرح فى مرعاه ، فإذا هو يسمع صوت أسد (يزار) وكان من البدوى أن يتصور القارىء : ماذا يحدث لهذا القطيع ، إنه سيهيم على وجهه ، صابا بفزع وقلق - ملتصا النجاة .

ولقد اشتمل هذا التشبيه على بعض اللطائف ، منها : أن الشاعر قد شبه أنباء بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بصوت الأسد فى قوته ونجاته ، كما شبه الكفار بالشتم الراضة فى مسرحها ، ولعل فى ذلك ما يشير إلى أن من لم يحكم عقله فيما يتغمه يشبه الأنعام ، كما أن فى ذكر لفظ (عقلا . .) مزيد

بيان لحالة هذه الأغنام ، وبيان وقع المفاجأة وشدتها ، ويلاحظ أن الشاعر قد سبق - في تشبيه الكفار بالفنم - بقوله تعالى : " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَسُتُ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ كُنتُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١) " ومعلوم أن الأنعام تشمل الإبل والبقر والفنم .

وإذا كان الشاعر قد أحسن في تشبيه الكفار بالفنم - فإنه - في رأيي - لم يكن محسنًا في تشبيه أنبياء بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بزئير الأسد ، لأن هذا مخالف لما أشرع الرسول ، من لين في تبليغ دعوته ، وصبر على أذى أعدائه ، مبتدلاً أمر به : " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. الآية (٢) " .

إنا نزع الفنم من زئير الأسد شيء مترقب وقوعه ، وأمر منتظر حصوله ، لماذا ؟ لأن الأغنام بطبيعتها تخشى الأسد ، وتتوقى بطشه ، فإذا سمعت صوته ، هلمست وفترت ، وفرت ملتزمة النجاة من شيء متيقن ضرره ، وما هكذا كانت أنبياء بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لقد وصلت إلى معامع الإنس والجن برفق ولين واستمرت على ذلك ثلاث عشرة سنة قضاها الرسول في مكة بخير سلاح أو قوة (٣) ، ولو أشار الشاعر إلى ذلك لكان أعظم .

ولعل الشاعر قصد أنهم فزعوا ما سترتب على أنبياء البعثة لا من البعثة نفسها ، إذ كان هؤلاء الكفار أصحاب نفوذ وسلطان - فخافوا على نفوذهم أن يضيع ، وعلى سلطانهم أن يزول ، وهذه هي الفكرة الأولى التي تحدث عنها الشاعر في بيت واحد .

أما الفكرة الثانية : فقد تحدث فيها الشاعر عن جهاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) عليه وسلم) الحربى وهي التي بدأها الشاعر بقوله : (ما زال يلقائهم في كل معترك ..)

(١) الأعراف / ١٢٩ .

(٢) النحل : ١٢٥ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٣٥ .

وفي هذا إشارة إلى شجاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحسن بلائه ، إذ كان يلقي الكفار في كل معركة — أشعلوا نارها ، وشبوا أوارها — بشجاعة الأبطال ، ومقابلتهم ببسالة الرجال ، حتى انكسرت شوكتهم ، وأصبحوا بسبب كثرة السهام التي طعنوا بها ، والرماح التي سلطت عليهم ، (لحما على وضم) مصدا لأكل السباع ، والتهام الجياع ، من الطيور والجوارح ، وهذا شأن من مات منهم ، أما من عاش منهم فقد (ودور الفرار) ، ياللهول !! المربي صاحب الأنفـسة الذي كان شعاره دائما (المار ولا الفرار) والضمية ولا الدنية) أصبح يتمتع الفرار !! ولكن أنى له ذلك ؟ لقد رأى من أهوال الحرب ما رأى .

فماذا صنع ؟

لقد غطت الأجساد التي قطمت وارتفعت بها الطيور ، ولمسك أن تتأمل : إنسان حي يفقد جسدا مرقى قطعا صغيرة مكنت الطيور من حملها والارتفاع بها ، ثم يميدا لالتهامها . . . كيف يكون حال هذا الإنسان ؟ لا بد أنه في بلاء عظيم ، وكرب شديد ، وإذا كانت الصورة التي رسمها الشاعر فيها شيء من المبالغة ، فقد خففها بقوله : (كادوا) .

وإذا كان الشاعر قد أشار إلى أن الكفار الذين لم يموتوا في الممارك الحربية ودوا الفرار من شدة ما رأوا من أهوال الحرب وعوان الهزيمة ، فإنه قد كشف عن سوء حالهم ، واضطراب نفوسهم ، بقوله : (تضي الليالي ولا يدرون عدتها . . . البيت) مولاك أن تتأمل أيضا هؤلاء الذين تمر عليهم الأيام ولا يعرفون عددها . . . كيف حالهم ؟ لا بد أنهم مشغولون بشيء ملك جسمهم ، وتملك عقولهم ، وهو هنسا الحرب وأهوالها ، التي استمرت ولم تنقطع إلا في الأشهر الحرم .

ولعل الشاعر قد عبر بالليالي زيادة في بيان حال الكفار ، وإشارة إلى ما كانوا يقاسرونه في الليل ، الذي هو محل الهدوء والاستقرار — غالبا — حتى في حروب مصر الحديث ، مقاساة الهموم في الليل أشد ، فما بالك بالنهار ، لا شك في أنه يكون أدهى وأمر ، وهو كذلك أن الشاعر عبر بلفظ الجمع (الليالي) ، ويحتمل أنه سلك مسلك التخليب لكنه غلب الأنثى (الليالي) على الذكور (النهار) خذنا للأصل (١) .

ولولا أن الشاعر يصف تلك الممارك في عصرها - الذي لم تستخدم فيه الأسلحة الحديثة - لقلت : عبر بالليالي لأن كثرة النيران التي يصيها المسلمون على الكفار ، جعلت الليل كالنهار فلم يعرفوا أحدهما من الآخر .

ولا يخفى أن قول البوصيري : (ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم) يتطلب ثقافة دينية ، لأن القارئ المادي لا يفهم المراد إلا إذا علم أن الشريعة الإسلامية قد حرمت القتال في الأشهر الحرم ^(١) ، بل إن الحرب في الجاهلية كانت كما يحترمونها ويوقفون فيها الحروب . واستمر الحال كذلك في بدء الدعوة الإسلامية إلى أن نسخ ذلك بقوله تعالى : " وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً " الآية (٧) .

ولقد شبه الشاعر الدين الإسلامي بالضيف الذي نزل ساحة الكفار - رجال مسلحين أشداء ، شجمان ، يصرفون كيف يجعلون أجسام أعدائهم طعاما سائعا للطيور أو للضيف ، وهذا ما أشار إليه بقوله : (كأنما الدين ضيف حل ساحتهم) ، ثم أكد شجاعة الجنود المسلمين بقوله : (بكل قزم إلى لحم المدا قزم) .

إن البوصيري قد وفق في رسم صورة واضحة لشجاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه وساعده على ذلك تلك الألفاظ المناسبة للفكرة مثل : (راعت أجفلت ، محترق ، بالقنا ، الفرار ، أشلاء) ، بالإضافة إلى تلك المحسنات البديعية مثل : الجناس المحرف بين قوله : قزم (بفتح فسكون) وقزم (بفتح فكسر) .

ويواصل الشاعر حديثه عن جيش المسلمين بقوله : (٢)

يجر بحر خميس فوق مابحسة

يرس بموج من الأبطال ملتطم ^(٣)

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٦٩ .

(٢) التوبة : ٣٦ ، تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٩٠ وما بعدها .

(٣) ديوانه ص ١٩٨ .

(٤) بحر خميس : من إضافة المشبه به للمشبه والأصل (خميس كالبحر) والخميس : هو الجيش ، وسن بذلك لأنه مكون من خمس فرق : مقدمة ومؤخرة والقلب ثم الميمنة والميسرة . مابحة : المراد مزرعة موج ملتطم : يضرب بعضها بعضها .

من كل منتدب لله محتسب يسطو بمتأصل للكفر مضطلم (١)
حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم

من بعد غرقها موصولة الرحم (٢)
مكفولة أبدا منهم بخير آب وخير بعل فلم تيثم ولم تثم (٣)

يشير الشاعر في تلك الأبيات إلى قوة جيش المسلمين ، وشجاعة جنوده ، وسالة قائده ، وهو الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

ولو أنك تأملت ألفاظه ، لوجدت أنه قد وفق في اختيارها ، إذ ناسبت الفكرة وأظهرت المعنى ، فمثلا كلمة (بحر) توحى بكثرة جيش المسلمين ، وإذا كان البحر تتلاطم أمواج مياهه ، وتتدافع موجة بعد أخرى ، فإنك لتعجب أن ذلك البحر هدنا - (يرمى بوجه من الأبطال ملططم) ، إن أمواج البحر الذي أشار إليه الشاعر جماعات من الجنود الشجعان تتوالى بعد جماعات ، ما يدل على الكثرة والقوة التي تحدث جلبة لا يخفى أثرها في المعارك الحربية .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يشير إلى بعض معدات ذلك الجيش فقال : (فوق سباحة) فالجنود يركبون خيلا نشيطة سريعة لاتعرف الكلل أو الطل ، يسدل على ذلك عرقها الخيزر الذي يؤكد شدتها وقوة بأسها ، وكان الأولى بالشاعر - كما ذكر بعض النقاد - أن يجمع هذا اللفظ (سباحة) لأن الجيش الكشيف الدائح لا يكون على سباحة ، وإنما يكون على سراج (٤) .

(١) منتدب : مجيب عن ندبه لكذا فانتدب لهاى دعاه فأجابه . لله محتسب : مدخر أجمر عطده عند الله . يسطو / يصول . متأصل : مفيد من استأصل الشئ ، إذا قلته من أصله والمراد به هنا سيفيقضى على الكفر وأهله . مضطلم : من الاضطالم وهو الاستئصال وقيل : معناه الهلاك من اضطلمه إذا أهلكه فمضطلم : بمعنى مهلك .

(٢) غدت : أصبحت . ملة الإسلام : شريعته غرستها ، المراد قلة معتنقيها . موصولة الرحم : المراد كثرة معتنقيها .

(٣) مكفولة : من كفله . إذا قام بحقه . البعل : الزوج . تيثم : من يتم المصبي إذا مات أبوه ، تثم : من آمت المرأة إذا خلعت من الزوج .

(٤) الإسانم في شعر شوقي ص ٦٩ .

وإذا كانت الخيل سابعة فإن الذي يحارب عليها ليس جباناً ولا خواراً ، وإنما
هو (من كل منتدب لله محتسب) ولعل لفظ (من) وما يدل عليه من التمسك
، ثم إننا نقول إلى لفظ نكرة (منتدب) يدل على شجاعة ذلك المحارب ، كما
أن نكرة غايته ، وهو نفسه يتجلبان في (لله محتسب) .

ولقد أشار الشاعر إلى مدح ذلك المحارب فقال : (يستوي مستأصل ...)
فإذا كان المحارب شجاعاً ، وخيله قوية ، وسيفه بتاراً ، فقد شك في أنه سيقهر
على عدوه ، بل سيقضي عليه ، وهذا ما أشار إليه الهوسيري بقوله : (للقسر
صعيل) .

إن رجلاً عذا شأنهم ، وأبطلاً ذلك ديدنهم ، لا بد أن يظهر أثرهم
وتعلو كلمتهم ، وهذا ما ذكره الشاعر في قوله : (حتى غدت ملة الإسلام .. الهبت)
لقد كان الإسلام في أول أمره غريباً ، ولم يلبث أن أصبح بين أسلحه ورحمه الذين
دافعوا عنه ورفضوا رأيته ، ونشروا كلمته ، حتى أصبحت (من بعد غريبتهم
موسولة الرحم) .

ولعل الشاعر يلح بقوله : (من بعد غريبتهم) إلى قول الرسول (صلى
الله عليه وسلم) : " بدأ الإسلام غريباً .. " (١)

ويبدو أن الشاعر أراد أن يبين أثر عولاء الجنود المسلمين في دفاعهم
عن الشريعة الإسلامية ، فأشار إلى أنها أصبحت (مكفولة أبداً منهم بخسير أب
وخير بصل) .

فإذا تأملت لفظ (مكفولة) وما يحمله من رعاية تامة ، وضاية شاملة مستمرة (أبداً)
من غير (أب) لا يترن أبنته و (خير بصل) لا يهمل زوجته ، وإذا تأملت كل ذلك
أدركت إلى أن مدى حافظ عولاء المسلمون على شريعة الله ، وأحاطوا بمنايتهم
ودافعوا عنها بأرواحهم .

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٦٠ ، طبعة دار التحرير .

ولا شك في أن في تشبيه الشريعة الإسلامية بالابنة التي (لم تبتسم)
والزوجة التي (لم تتم) بيانا وإيضاحا أكد قربة المسلم الأواثيم
بشريعة الله ، ولكن يندو - لي - أن خيوط هذا التشبيه غير محكمة ، وإن
أخذها الشاعر من الهيئة العربية التي كانت شديدة الحفاظ على نسايبها
كما كان رجالها يحوتون دفاعا عن حرمانهم .

ومهما يكن من شيء فلقد صور لنا الشاعر صورة جيدة لجيش المسلمين
وساعده على ذلك حسن اختياره الألفاظ المناسبة للفكرة مثل : (بحر - خميس
- موج - الأبطال - ملتطم - يسطو - مستأصل - مصظم) بالإضافة إلى
بعض الحسنات الهمدية مثل : (للف والنشر المرتب في قوله : (خير أب وخير
بعل ، فلم تبتسم ، ولم تتم) .

ولكنني أرى أن لفظ (يجر) غير مناسب للمقام ، وهو يحس بأن المشدود
- وهم أبطال المسلمين - آت إلى الحرب كرها ، وهذا المعنى ليس
يروه الشاعر ، ولو قال : (يفود) لكان أفضل ، أو لو سطر الفمل (يجر)
على الآلات مثلا لكان أحسن أيضا ، وهذا ما فعله المتنبي عندما استعمل الفمل ،
(يجر) فقال (١) :

أتوك يجررون الحديد كأنهم

سروا بجياد ما لهم قوائم

فمعلوم أن الحديد ثقيل من جهة ، وكثرت قد زادت ثقلا من جهة
ثانية ، لهم يجررونه ، ولا بأس في ذلك ، ولو سلك البوصيري ذلك السلك
لكان أفضل .

(١) ديوانه ج ٢ ص ٢٦٧ بشرح العكبري .

ويستمر الشاعر في مدح صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذين دافعوا عن الإسلام فيقول : (١)

- هم الجبال فصل عنهم مصادمهم
 ماذا رأى منهم في كل مصطدم (٢)
 وسل حنيئا وسل بدرا وسل أحدا
 فصل حثف لهم أدهى من الوخم (٣)
 المصدري البهيم حرا بعدما وردت
 من المدد كل مسود من اللطم (٤)
 والكاتبين بسم الخدا تركت
 أقلامهم حرف جسم غير منجسم (٥)

- (١) ديوانه ص ١٩٨ .
 (٢) هم : المراد الصحابة الذين دافعوا عن الإسلام أول ظهوره . مصادمهم : من اصطدم معهم في الحرب ، من تصادم الفارسان إذا التقيا بأجسادهما مصطدم : مكان الاصطدام ، والمراد : أماكن القتال .
 (٣) سبق التمر يف بحنين في ص ١٤١ من هذه الرسالة والمواد بها هنا تلك الغزوة التي التقى فيها المسلمون والكفار ، وانتهت المعركة بين الطرفين بانتصار المسلمين وكان ذلك سنة ٨ هـ . بدر : اسم لماء على طريق مكة بينة وبين المدينة ما يقرب من ثمانية وعشرين فرسخا وقعت عنده غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة وانتصر فيها المسلمون على الكفار انتصارا كبيرا . أحد : اسم لجبل بالهند ينسب كانت عنده غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة وفيها انتصر المسلمون في بادئ الأمر ، ثم تنزحوا عندما خالف الرماة أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) .
 فصول : جمع فصل والمراد : زمان هلاكهم . أدهى : اسم تفضيل من الداهية وهو المصيبة . الوخم : الوباء .
 (٤) المصدري : جمع مصدر (بضم الميم في الجمع والمفرد) من قول المربصدري عسن الماء إذا رجع عنه . البهيم : جمع أبيض والمراد السيوف المصقولة . وردت : ذهبت إلى الماء . اللطم : (بكسر اللام) جمع لمة : الشمر الذي يجاوز شحمة الأذن .
 (٥) السمر : (بضم السين) جمع أسمر والمراد به الريح . الخط : شجر يؤخذ منه خشباً ليرماح . أو اسم موضع باليمامة تجلب إليه تلك الرماح من الهند ، واليسببه تنسب الرماح الخطية الحرف : الطرف الضخم : صحيحه (المعجم) من أعجمت الكتاب إذا نقطته .

نعم : هؤلاء الصحابة أبطال صناديد ، وفرسان شجمان ، لا يخافون بأس الحرب ، ولا رعب الغزال ، وكيف يخافون ذلك (هم الجبال) صلابة وثباتاً وشدة وقبة ، ولا يخفى أن في قول الشاعر (هم الجبال) قصراً - بتعريف الطرفين - أكد المعنى وأظهره ، وحرك في النفس عجباً من قوة هؤلاء الصحابة ، وإذا أردت دليلاً على قوتهم (فعل عنهم مصادمهم) سل هؤلاء الذين صادموهم في الممارك ، ووقفوا أمامهم في الحروب ، ولعل في لفظ (مصادم) ما يرسم صورة حية للممركة ، وفي جمعه وتنكيره ما يشير إلى كثرة الممارك وكثرة المشتركين فيها ، بل إنه ليشير إلى الميوق وهي تتقاسم ، والصقوف وهي تتداخل .

وفي قول الشاعر : (ماذا رأى منهم في كل مصطدم) استفهام مشوب بالتمجيب من كثرة الاصطدام ، واستهزاء وسخرية من هذا الذي ستعالمه ليعبرك عما رآه من شدة الممارك وهولها .

لقد أبلى هؤلاء الأبطال سبل بلاء حسنا في كل معاركهم ، وخاصة (حيناً وندراً وأحداً) تلك الفزوات التي لقي فيها كثير من الأعداء حتفهم وزهقت فيها أرواحهم أكرما تزهق بالباء .

ولا يخفى أن في سؤال تلك الممارك (حين - وندر - واحد) مجازاً مرسله عاقلة محلية - ويجوز أن يكون فيه إيجاز بالحذف ، ولكن الأول أفضل ؛ لأن فيه تشخيصاً وإيحاءً بصلحة هؤلاء الأبطال ، بالإضافة إلى أن الشاعر - فيه - قد أنزل هذه الأماكن منزلة من يعقل ويحسن ، ويمال ويجيب ، ولعل في هذا إشارة إلى أن هذه الأماكن قد شهدت انتصار المسلمين ، ورأت هزيمة المشركين ، إلا أن البوصيري لم يذكر الفزوات مرتبة حسب ترتيبها التاريخي والأصل (بدر واحد وحين) كما أن غزوة أحد لم تنته بانتصار المسلمين حتى يذكرها ويخاخر بها ، ولعله أراد الإشارة إلى انتصار المسلمين في أولى جولاتها ، إذ الثابت أن المسلمين قد أبلاوا بلاء حسنا في أولها ، ولكنهم هزموا في نهايتها .

بسبب ترك الرماة أما كتبهم - كما سبق (١).

ولا يخفى ما فى تكرار لفظ (سل) من تأكيد ونحوه لئلا يظن المقام ، أضف إلى ذلك أن لفظ (حنف) وتنوينه وتذكيره كل هذا يدل على العموم ، وذلك يشير إلى أن القتل قد أفتى هؤلاء الأعداء ، ويؤكد ذلك قوله : (أدهى من الوخم) .

وفى البيت الثالث يذكر الشاعر دليلاً آخر على شجاعة هؤلاء الأبطال وهو تلك السيوف التى يذهبون بها إلى الممارك بيضاً ثم يعودون بها حمراء ، وفى هذا دلالة على أنه قد قُتل بها كثير من الأعداء ، ولكن الشاعر أكد ذلك الممتنى باستحارة مكينة لطيفة فى قوله : (المصدري البيض حمرا ٠٠) ألا ترى أن هذا كله يؤكد شجاعة هؤلاء الرجال وخاصة أنهم قاتلوا أعداء أولى قسوة وأولى بأس شديد ، يدل على ذلك قول الشاعر : (٠٠ كل مسود من اللحم) .

ويبدو أن البوصيرى اعتقد أن الشمر الأسود دليل على أن صاحبه شاب ذو قوة وفتوة ، ولكنى أرى أن فى اختيار هذا الوصف ما يوهم أن جنود الهداء كانوا شباباً ، وليت لديهم حكمة الحروب ولا تجربة النزال ، كما أنسبه مخالف للحقيقة والواقع ، لأن المسلمين حاربوا أعداء شباباً وشيوخاً .

ولقد ذهب بعض الكتاب إلى أن الشاعر قد تأثر فى ذلك البيت بمقبول بعض الشعراء السابقين (٢) ، وخاصة : عمرو بن كلثوم (٣) الذى يقول فى معلقته :
بأنا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد رونا (٤)

(١) حياة محمد ص ٢٩٧ .

(٢) الإسلام فى شعر شوقي ص ٦٩ .

(٣) هو : عمرو بن كلثوم النخلى - شاعر جاهلى توفى سنة ٦٠٠ م (انظر تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ١٠٤) .

(٤) السقرشى : جمهرة أشعار العرب ص ١٦١ المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٣٠ هـ .

ولا يخفى أن بيت البوصيرى قد اشتمل على روائح منها : أنه ذكر أن الذى يُؤرد : السيوف وليست الرليات ، ولا شك فى أن السيوف البيض إذا رجعت حمرا دلت دلالة كبيرة على كثرة القتلى ، أما الرميات البيض فقتيل واحد يكفى لرجوعها حمرا ، لأنها من قماش ، أما السيوف فهى من حديد وليس من السهل أن يظهر الدم عليها إلا إذا كثر القتلى .

وإذا كان الشاعر قد وصف هؤلاء الجنود بالشجاعة - فى الأبيات السابقة - فإضاه فى البيت الرابع يصفهم بإجادة الطعن بالسهم ، والضرب بالسيوف ، من غير عناء أو مشقة ، تأمل قوله : (والكاتبين بسمر الخط) تجد أن فى لفظة (الكاتبين) استعارة تصريحية تبحية وضعت المبنى المراد ، إذ شبه الشاعر الصحابة وهم يسكنون سيوفهم بالكاتبين وهم يحملون أقلامهم ، وكما أن الكاتب لا يترك الحرف إلا إذا أجاد كتابته ثم شكله يمينا وإحكام ، فكذلك الجندى من جنود الصحابة لم يترك جسم عدوه إلا إذا أصابه بضربة سيف ، أو طمئنة ربح .

ولا يخفى أن فى قوله : (أقلامهم) استعارة تصريحية أصلية أكسدت الفكرة السابقة إذ شبه أسنة الرماح بالأقلام ، وفى ذلك مزيد بيان لمدى تحكم الجندى فى ربحه .

ولقد أجاد الشاعر فى اختياره ألفاظا ناسبته الفكرة ، مثل قوله : (مصادمهم ، مصطدم ، فضول حثف ، أدهى ، المضردى البيض حمرا ، والكاتبين بسمر الخط) ، وإنك إذا تأملت تلك الألفاظ وجدت جو الحرب قائما ، ونهار المعارك ماثرا .

ولم ينس الشاعر أن يضمن أبياته بعض المحسنات البديعية ، التى ساعدت على توضيح الصورة ، وجمال العبارة مثل : الجناس المشتق بين قوله : (مصصادم ومصطدم) وفيه رك المجز على المصدر أيضا ، والطنابق بين (الصنير والسرود) وبين (البيض والسود) ، إلا أن البيت الرابع قد أثقله الشاعر بمحسن بديعى وهو المناسبة بين (الكاتب والخط ، والأقدام والحرف . ومنصميم) (١) ويبدو

(١) الإسلام فى شعر شوقي ص ٦٩ .

أنه تذكر وظيفته يوم كان كاتباً ، فأتى بكل أدوات الكتابة ولوازمها ، كما أن لفظ (منجم) لم يرد في معاجم اللغة المعتمدة (١) .

ويبدو أن الشاعر ظن أنه مطاوع (أعجم) وهذا غير صحيح ، والصحيح أن تقول : أعجمت الحرف فهو (منجم) (٢) .

ولم يكتب الشاعر - في مدح الصحابة - بما ذكره من شجاعتهم ومهارتهم ، بل قال عنهم أيضاً (٣) :

شاكى السلاج لهم ميماً تميزهم
والورد يمتاز بالسيما عن السلم (٤)

تهدى إليك رياح النصر نشرهم
فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي (٥)
كأنهم في ظهور الخيل نبت ربي

من شدة الحزم لا من شدة الحزم (٦)

-
- (١) ذكرت لفظ (المعتمدة) إشارة إلى أن بعض الكتب ذكرت هذا اللفظ على أنه صحيح ، ولكنها ليست كتبا معتمدة في لغة العرب مثل (أقرب الموارد) الذي يقول صاحبه : (انجم عليه الكلام) أي خفي ج ٢ ص ٧٥ .
- (٢) لسان المربع ج ١٥ ص ٣٧٩ ، تاج المروس ج ٨ ص ٣٨٩ .
- (٣) ديوانه ص ١٩٩ ، ولقد ذكر بعض الكتابيين قبل هذه الأبيات وهو :
- إن قام في جامع الهيجا ، خاطبهم . . تصامت عنه أذننا صممه الصمم
ولكنه ليس في ديوان الشاعر ، ولذلك ذهب كثير من الكتاب إلى أنه ليس من نظم البوصيري . . انظر المرجع السابق ، وحاشية الهاجوري على البردة ص ٧٩ .
- (٤) شاكى السلاج : من الشوكة وهي الحدة والشدة . سيما : علامة . السلم : شجر له شوك يشبه الورد ولكن ليست له رائحة مثله .
- (٥) النشر : الرائحة الطيبة - الأكمام : جمع كم بكسر الكاف - وهو الخلاف الذي يكون على الزهر ، الكمي : الرجل الشجاع .
- (٦) في : بمعنى (على) . الربا : (بتثنية الراء) ما ارتفع من الأرض ونبتها يكون أثبت - فأحسن من غيره . الشدة : (بكسر الشين وفتح الدال مشددة) القوة . الحزم : (بفتح نسين) ضبط الأمر وقوة الثبات - الشدة (بفتح الشين وفتح الدال مشددة) الرمي . الحزم : (بضمين) جمع حزام ، ما يشد به السرج وغيره على ظهر
- الدابة .

طارت قلوب المدا من بأسهم فرقسا
(١) فما تفرق بين البهم والبهم

يمدح البوصيرى هؤلاء الأبطال بحدة سلاحهم ، وقوته ، وأن لبهم
علامات تميزهم من غيرهم ، كما أن لنصرهم أخبارا سارة طيبة ، تحملهم
الرياح فينتشر عبرها في كل مكان ، أضف إلى ذلك أنهم ما عروا في ركوب
الخيول ، مما جعل الأعداء يخافونهم ، وخشون بأسهم .

ولقد أشار الشاعر إلى كثرة سلاح المسلمين وقوته في قوله : (شاكى
السلاح) ثم ذكر أن لبهم صفات تميزهم من غيرهم ، إلا أنه لم يحدد تلك
السمات (لبهم سينا ٠٠) ولملح يلح إلى قوله تعالى : " سِيَاهُمْ فِي سِي
وَجْهِهِمْ مِنْ أَثَرِ الْجَوْدِ ٠٠ الآية (٧) : أو لملح يشير إلى أن هؤلاء الأبطال
يُعرفون بخدمتهم في الحروب ، لأنهم واثقون من أحد أمرين : إما النصر
وإما الشهادة وفي كل خير ، ولا يخفى أن في تقديم الجار والمجرور (لبهم)
ما يدل على أن هذه الصفات لا تنمداهم إلى غيرهم ، وإنما هي خاصة بهم .

ولعل في التعبير بالمضارع (تميزهم) ما يدل على استحضار المعاصرة
ودوامها ، وفي هذا دليل على أنها صورة عظيمة تستحق الفخر بها ، والإشارة
إليها .

ولقد أتى الشاعر بتشبيه ملموس محسوس لك يوضح به صورة هؤلاء الأبطال
ويؤكد بها وذلك في قوله : (والورد يمتاز بالسيما عن السلم) فهو يشبه الصحابة
وهم يحملون سلاحهم ، وفي الوقت نفسه يمتازون بالهدوء ، ويتحلون بجمال
الخلق وسها المنظر ، شبيههم ونم في تلك الهيئة ، بالورد ، ومعلوم أن الورد

(١) فرقا (بفتحين) : خروفا وفرعا . البهم (فتح فسكون) جمع (بهمه) بفتح فسكون
أيضا - وهي السخلة أي ولد الضأن . البهم : (بضم ففتح) جمع (بهم) -
بضم فسكون - وهو الشجاع الذي لا يدرى من أين يؤتى في الحرب لشدة بأسه
، وقيل : الذي تخفى مقاتله .

(٢) الفتح / ٢٩٠

يعتاز برائحته الطيبة * وفضله الجميل * ومع ذلك يوجد بجانب الورد شوك
فكل من المشبه والمشبه به * يجمع بين شيئين مختلفين مثل : القوة والرقعة
والشدة واللين * ولعل الشاعر متأثر في ذلك بقوله تعالى في وصف أصحاب
الرسول (صلى الله عليه وسلم) : **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى
الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ... الآية (١) .

وإذا كان الشاعر قد شبه أبطال الصحابة بالورد - كما سبق - فإنَّه
شبه الكافر بالسلم * وهو - كما سبق - شجر له شوك ، ولكنه ليس كالورد . ففى
جمالهما وجهات ، وطيب رائحته * ولكن أرى أن فى تشبيه سلاح المسلمين بشوك
الورد ما يؤم بالضعف ؛ لأن شوك الورد صلب كثر فهو ضئيف * ولعل الشاعر
أراد مجرد الجمع بين أمرين يدلان على شيئين مختلفين * ومع ذلك فإن بعض
الكتاب علق على هذا التشبيه قائلا : **... إن وصف الصحابة بأنهم أصحاب
سوط مميزة لهم * لا يناسبه تأكيد هذا المعنى بأن الورد له سيات تميزه عن
السلم * لأن الورد فى مقام الوصف بالبطولة لا يصح أن يذكر * إذ الورد يُذكر
بالجمال والرقعة والدعة * وإنما الذى يذكر فى مقام البطولة ما يلائمها من جمال
راسخة * أو براكين ثائرة * أو عواصف مدمرة * أو أسود ضاربة * على أن السوط
لا يعتاز من السلم وحده * وإنما يعتاز على غيره من أنواع الشجر * وكذلك السلم
يتميز على الورد بخصائص ليست فى الورد * فالتذييل غير موفق (٢) ...** وأرى
أن هذا الرأى يحتاج إلى مراجعة * لأن صاحبه نسى أن الشاعر قد ذكر
ما يلائم البطولة فى الأبيات السابقة قبل هذا البيت * ألم يقل : (هم الجمال)
و (الصدرى البيض) و (الكاتين بصر الخط) و (عاكى الصلاح ...) .

وأراد الشاعر أن يشير إلى انتصار هؤلاء الصحابة فقال : (تهدى إليك
رياح النصر نثرهم) ولا يخفى أن فى إسناد (تهدى) إلى (رياح) مجسما
عقليا فيه تشخيص للرياح * وتنزيلها منزلة من يعقل ويهدى * كما أن فى جمعها
إشارة إلى كثرتها * والتالى فهى تحمل أخبارا عظيمة * بالإضافة إلى تلك الرائحة
الطيبة التى أشار إليها لفظ (نثرهم) .

(١) الموجع السابق .

(٢) الإسلام فى شعر شوقي ص ٧٠ .

إن هذه الرياح الطيبة ذات الأنباء السارة إذا هبت عليك ، جعلتك
(تحسب الزهر في الأكمام كل كى) وفي هذه العبارة تشبيه مقلوب ، وأصله
(تحسب أن كل كى الزهر في الأكمام) ولعل الشاعر قلبه للمبالغة أو للقافية
، وهو يشبه لنا صورة ذلك البطل الذى يجمع بين القوة المعنوية والقوة المادية
بالزهرة التى تنبعث منها رائحة طيبة ، مع كونها محاطة بأكمامها .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يبين صورة هؤلاء الجنود وهم على ظهور
الخيول فقال : (كأنهم في ظهور الخيل نبت ريا) فهو يشبههم بنبات الرما
في استقرار جفوعهم وحركة أعضائهم ، فهم كذلك مستقرون على ظهور الخيل مع
أنهم يتحركون بحركة تدل على فروسيتهم ، وتفصح عن قوتهم ، ويصدر ذلك
الثبات وتلك الحركة (من شدة الحزم لا من شدة الحزم) فهم متحكمون نسي
أنفسهم ، ضابطون أمرهم ، يتصرفون بحكمة وأناة .

ومع أن هذا التشبيه ظاهر المراد منه ، فقد قال عنه بعض الكتاب : . . . ولقد
يبدو أن تشبيه الصحابة في ثباتهم على صهوات الخيل بنبات الرما فيه الدلالة
على فروسيتهم ، وبرانتهم ، وأنهم أحلاس خيل ، وما من شك في أن البوصيرى
قصد ذلك ، لكن نبت الرما يكون نجما^(١) ويكون شجرا ، ومن الشجر ضعيف -
الساق ، وقوى الساق ، ولا يصح تشبيه الثبات والرسوخ بالنجم ، ولا بالضعيف من
الشجر ، ولهذا جاء التشبيه غير مكتمل ولا دقيق . . . (٧) .

وأرى أن التشبيه لا غضاضة فيه ، ولا عبرة بأن في النبات ما هو ضعيف
وما هو قوى ، أو بأن فيه النجم وفيه الشجر ، لأن المقام مقام مدح ، وهذا كاف
في صوف الذهن إلى النبات القوى . ولعل ما يؤكد ذلك قوله تعالى عن أصحاب
الرسول (صلى الله عليه وسلم) : . . . وَثَلَبَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَنْزَ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَكَأَزَّهُ
فَاسْتَفْظَلَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ . . . الآية^(٢) ، وقد يقول صاحب الرأى السابق : إن الله
وصف النزع بما يزيل عنه الضعف ، فأقول ، وكذلك البوصيرى ، يتضمن وصفه مثل
ذلك . لأن المقام مقام مدح .

(١) النجم : النبات الذى ليس له ساق ، أما الشجر : فهو ما له ساق .

(٢) الإسلام في شعر شوقي ص ٢٠ .

(٣) الفتح ٢٦١ .

وسهما يكن من شئ . فإن هؤلاء الصحابة يجيدون فن الحرب ، مما جمعل
الأعداء . يتطلمهم الرعب ، ويحل بهم الفزع : (طارت قلوب المداء من بأسهم فرقا)
تأمل لفظ (طارت) وما يشير إليه من صورة رائمة مصدرها ما فيه من استعارة
تصريحية تهمية توحى بالاضطراب والفرار ، وذكر القلوب فيه مجاز مرسل علاقته
الجزئية ، وكل هذا يؤكد ما حل بهؤلاء الأعداء من فزع واضطراب عندما رأوا
شجاعة المسلمين ومراعاتهم في الحرب فتملكهم الدهشة التي جعلتهم لا يفرقون بين
الإنسان والحيوان (لما تفرق بين البهم والبهم) .

لقد أحسن الشاعر في اختياره الفاظاً لامت الفكرة ، ووضحت المعنى مثل
قوله : (شاكى السلاح - رباح النصر - كل كى - ظهور الخيل - شدة
الحزم - طارت قلوب المداء) .

كما ضمن أبياته بعض المحسنات البديعية التي زادت جرسها ، وقوت موسيقاها مثل :
تكرار لفظ (سيماء) والجناس المشتق بين (تميزتم ومتاز) ، وبين (الأكمام
وكى) والجناس المحرف بين (شدة الحزم وشدة الحزم) وبين (البهم والبهم) .

وحد أن أشار الشاعر إلى بعض الأسباب المادية التي أدت إلى نصر
هؤلاء الأبطال - مثل وفرة السلاح وحدته ، وقوة الخيل ونشاطها - أشار إلى
بعض عوامل النصر المعنوية بقوله : (١)

ومن تكن برسول الله نصير	إن تلقه الأسد في آجامها تجم
ولن ترى من ولى غير منتصر	به ولا من عدو غير منقصر
أحل أمته في حرز ملتص	كالليث حل مع الأشبال في أججم

(١) ديوانه ص ١٩٩ .

(٢) الآجام : (جمع أجمة) وهى القابة . تجم : (مضارع وجم) إذا أمسك
عن الكلام وغيره لخوف أو عيبة .

(٣) الولى : المراد به هنا : المسلم . العدو : المراد به هنا الكافر . منقصر
ملكسر والمراد هنا منهزم .

(٤) أحل : أنزل - حرز : حصن . الأشبال : (جمع شبل) وهو ولد الأسد . أججم :
(بفتح الجيم) جمع أجمة ، وقد سبق بيان معناها .

إن من ينصر رسول الله ۞ ينصره الله على عدوه ۞ ولو كان ذلك العدو الأسد في عرينه ۞ وهكذا لن ترى مؤمناً إلا انتصر بسبب طاعته الرسول (صلى الله عليه وسلم) ۞ ولن تجد كفراً إلا انهزم بسبب عداوته للرسول ۞ وحده عن الدين الذي هو حصن حصين لمن دخله ۞

ولا يخفى أن قول الشاعر : (ومن تكن برسول الله نصرت ۞) يبين أن نصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) - بالدفاع عن دينه - يكون سبباً من أسباب النصر ۞ لقول الله تعالى : " إِنْ تَصَرَّوْا لِلَّهِ يُفْضَرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (١) " ۞ ولا شك في أن نصر رسول الله هو نصر لله (سبحانه وتعالى) ۞

وإذا تأملت قول البوصيري : (إن تلقى الأسد في آجامها تجم) وجدته يؤكد نصر المسلم مهما كانت قوة عدوه ۞ ولو كان أسداً في عرينه لخاف ۞ إذ القلوب بيد الله يثبتها ۞ أو يلقي الرعب فيها ۞

ويبدو أن الشاعر أراد أن يوضح الفكرة السابقة فقال : (ولن ترى من ولي غير منتصر) لإيمانه بالله واتباعه رسول الله ۞ (ولا من عدو غير مضم) لكفره بالله ورسوله ۞ وحده عن الدين الحنيف ۞

وأراد الشاعر أن يبين أن هذا الدين ما هو إلا حرز مكن ۞ وحصن حصين لمن دخله ۞ فقال : (أحل أمته في حرز ملته) فأنزل (صلى الله عليه وسلم) بحجته بهذا الدين ودعوة الناس إليه ۞ ودخلهم فيه أصبحوا مطمئنين ۞

ولعل الشاعر أراد أن يوضح اطمئنان الرسول وأمه بعد دخولهم في هذا الدين ۞ فأتى بتشبيه حسن وضح الفكرة في قوله : (كالليث حل مع الأشبال في أجم) فالشاعر يشبه الرسول بالأسد ۞ كما يشبه الأمة بالأشبال ۞ والدين بالأشجار الكثيفة ۞ ولا يخفى أن هذا التشبيه - على ما فيه من ضعف - قد أتى به الشاعر للتقريب والتوضيح ۞

ولقد اشتغلت الأبيات على بعض المحسنات البديعية التي لم يخف أثرها في الوقع الموسيقي ۞ مثل : الجناس الشبيه بالمشق في (آجام - تجم) والطباق

بين (ولى وعدو) وبين (منتصر ومنتقم) • والتقسيم بين شطرى البيت
الثانى •

ويلاحظ أن الشاعر قد زاد حرف الجر (من) فى قوله : (من ولى • من
عدو) مع أن الفعل (ترى) يحدى بنفسه • ولملك زاد ذلك للتأكيد •

ويبدو أن الشاعر أراد أن يبين بعض نعم الله على رسوله (صلى الله عليه
وسلم) فقال (١) :

كم جدلت كلمات الله من جدل

فيه • وكم خصم البرهان من خصم (٢)

كذاك بالعلم فى الأمى معجزة

فى الجاهلية • والتأديب فى اليتيم (٣)

من فضل الله على رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) أن جعل آيات القرآن
الكريم تهزم كل من جدل فى رسالته • وتدمغ أباطيل كل عدو وحاول التشكيك فى
نبوته • ويكفى أن الله قد أغاض عليه من كرمه • فعلم المتملمين مع أنه أمى • ومع
أنه نشأ بل ولد يتيما إلا أن الله من عنده فأنجاه • فكان مثلاً عالياً للخلق
العظيم • (صلى الله عليه وسلم) •

ولقد وقف كثير من الكفار وغيرهم أمام دعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) • بل
كانوا يريدون إنحلامه • فى مجادلته • إياه • ولكن الله (سبحانه وتعالى) كان يؤيد

(١) ديوانه ص ١٩٩ •

(٢) جدلت : • من الجدالة وهى وجه الأرض • والمراد : أزالت جداله بجدل : (بفتح
فكسر) كثير الجدال أى الخصومة • خصم (الأولى) : فصل على رثة فعمل أى غلب •
وخصم (الثانية) : (بفتح فكسر) الشديد الخصومة •

رسوله (صلى الله عليه وسلم) وينصرون عليهم ، ومن ذلك ما روى أن أحبار اليهود قالوا لبعض كفار مكة : اسألوا محمداً (صلى الله عليه وسلم) عن ثلاث ... فإن أغبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل مقتول ... سلوه عن فتية ذهبوا في الدعر الأول ، ما كان من أمرهم ... وسلوه عن رجل نواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ... وسلوه عن الروح ما هو ؟ فلمّا ذهبوا إلى النبي الرسول (صلى الله عليه وسلم) وسألوه عن ذلك ... نزل الوحي بعد فترة بمسورة الذهب ، وفيها الإجابة عن السؤالين الأولين (١) ، كما نزل قوله تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ؟ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (٢) .

وإذا تأملت قول الشاعر : (كم جدلت ... البيت) وجدته يشير إلى أن هذا الجدل قد تكرر كثيراً ، وفي كل مرة يُفهم هؤلاء المجادلون ، ويؤكد ذلك لفظ (كم) فيانها خبرية للتكثير ، ولعل في إسناد الفعل (جدل) إلى (كلمات الله) ما يشير إلى قوة هذه الآيات وخاصة أنها أضيفت إلى لفظ الجلالة (الله) .

ولقد زاد الشاعر حرف الجر (من) في قوله : (من جدل) ، و (من خصم) للتأكيد وبدوا أن البصير جره من نفسه شخصاً يقول له : (كفاك بالعلم فسي الأمم محجزة ...) أي ألا يكفي هذا العلم الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) مع كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، كما أنه ولد في زمن قوم لا علم عندهم حتى يكون قد اكتسبه منهم ، ألا يكفي ذلك ليكون دليلاً على أنه نبي ، وأن الله هو الذي آتاه ذلك العلم .

وألا يكفي ما كان عليه من أدب جم ، وخلق عظيم ، مع أنه ولد بعد وفاة أبيه وجرت المادة بأن الأب هو الذي يقوم بتربية ابنه ، وتشهده الخلة المالحة فمن ذا الذي أدب محمداً (صلى الله عليه وسلم) وعواليتهم ؟ ... إن الذي أدبه هو الله ، وصدق الله العظيم في قوله : " وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا " (٣) ، وفي قوله : " أَلَمْ يَجْعَلْ يَتِيمًا فَآوَى " (٤) .

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٥ ص ١٣٣ .

(٢) المرجع السابق ، الإسراء / ٥٨ .

(٣) النساء / ١١٣ .

(٤) الشرح : ٦ .

ندم وأمل :

يظهر الشاعر ندمه على ما فرط منه من ذنوب ، وأمل في عفو الله وشهاعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيقول (١) :

خدمته بمدح أستقبل به ذنوب عمر مضى في الشمر والخدم (٢)
إذ قلدتني ما تخشى عواقبه كأنني بهما هدى من النعم (٣)
أطمت فشي الصبا في الحائتين وما

حصلت إلا على الآثام والنسب (٤)

ويذكر الشاعر - هنا - أنه مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليكون ذلك المدح سببا في عفو الله عن ذنوبه التي اقترنها في زمن شبابه ، وبخاصة عندما كان يعمل ملتزما ، إذ كان يتصل بالأمراء ومدحهم ، طالبا رفقهم ، ولا شك في أن من يحرص لمدح الأمراء لا يكون متحررا الصدق - غالبا - في كل ما يمدحهم به ، ولذلك ذكر الشاعر أن هذا المدح قد أثقله بالذنوب والآثام .

وإذا تأملت قوله : (خدمته .. البيت) وجدت أنه لم يمدح الرسول لذاته ، بل مدحه مقابل غفران ذنوبه ، ولعل هذا يشير إلى مدى احتياج الشاعر إلى غفران ذنوبه ، إلا أنني كنت أحب أن يمدح البوصيري الرسول (صلى الله عليه وسلم) لذاته ، والله (سبحانه وتعالى) لن يرحمه سفر اليمين ، كما أن لفظ (خدمته) غير مناسب للمقام ، لأن الشاعر - في الحقيقة - لم يخدم إلا نفسه ، ولو قال : (مدحته) مثلا لكان أفضل .

(١) ديوانه ص ١٦٦ .

(٢) خدمته : الضمير عائد على الرسول (صلى الله عليه وسلم) المدح : اسم لما يمدح به الشخص من الثناء الحسن والذكر الجميل ، أستقبل : أطلب الإقالة والمراد : أطلب العفو . (العمر) مدة حياة الإنسان والمراد به - هنا - تلك الأيام المسمى قضاءها الشاعر فسي مدح الطوبى وغيرهم .

(٣) قلدتني : من قلدتني الأمر أي جعلته كالتقدمة في عنقه ، وصير الضنى عائد على الشمر والخدم : الحواقب : جمع عاقبة وهي ما يسبق إلى امرأ آخر . الهدى : ما يهدي إلى الحرم من النعم وهي الإبل والبقر والغنم .

(٤) غي الصبا : طين الشباب الحائتين : المراد بهما حالة مدح الملوك وحالة الاشتغال بالخدم - الآثام : (جمع إثم) ما يأتى صاحبه بفعله .

ولقد وضع الشاعر أثر الذنوب فشبها بالقلادة التي توضع في المنسق
(إذ قلداني ما تخشى عواقبه) ثم شبه حاله والأمر كذلك بأنه (كالهمسدى
من النعم) التي يخلق في عنقها شيء من جلد ونحوه ليعلم أنها همسدى
فيكشف عنها الناس ، ولعل الشاعر يلح بذلك إلى أن من يخالف أمر ربه ،
ولا يخشى عاقبة ذنوبه ، ما هو إلا كالأنعام التي لا تعقل ، إلا أن استعمال
(همسدى من النعم) يتطلب ثقافة فقهية حتى يعلم القارئ معناه .

ولا يخفى أن عبارة الشاعر : (ما تخشى عواقبه) تشير إلى تجسيم تلك
الآثام وبيان هولها ، ويؤكد ذلك اسم الموصول (ما) وما فيه من إيهام يوحي
بالتهويل والتفخيم ، ويبدو أن البوصيري احتقر نفسه فأهملها وألقى عليها
ثوب النسيان ، ولذلك أتى بالفعل منياً للجهول (تخشى) ثم أسنده
إلى : (عواقبه) .

والبيت الثالث يوحي بأن الشاعر يلتمس المذر لنفسه ، على ما فعلته مسن
آثام ، لأن ما فعلته كان في زمن الصبا ، وغتوة الشباب ، والشباب جنون كما
يقال ، ولعل ما يؤكد ذلك إضافة لفظ (غى) إلى (الصبا) إذ في ذلك
ما يشعر بأن الشى والطيش يلازمان الشباب غالباً .

قد يرتكب الإنسان ذنباً في غفلة من ضميره ، أو نزوة من هواه ، ولكنه
بعد أن يثوب إلى رشده ، ويستيقظ من غفلته ، يتقدم على ما فرط منه ، ولعل
هذا ما نفهمه من قول الشاعر : (وما حصلت إلا على الآثام والندم) ، إنسه
يحترف بما اقترف ، ولعل في ذلك الاعتراف توجيهها أراد الشاعر أن يقدمه
لكل من تسول له نفسه الميل إلى الفساد ، أو يدفعه طيش الشباب إلى
اللذات وراء الشهوات ، فما عاقبة ذلك إلا الندم .

ولا يخفى أن عاطفة الشاعر مشحونة بالحسرة والألم ، والفاظه قد ناسبت
فكرته ، فجاء اسمى واضحاً ، تأمناً لتلك الألفاظ : (أستقيل ، ذنوب ، عمر
منى ، ما تخشى عواقبه ، غى الصبا ، الآثام والندم) لتجد الشاعر قد وفق
في عبارته التي وضعت فكرته ، وزادها وضوحاً بمضى المحسنات البديمية التي

اشتملت عليها مثل : رد المجز على الصدر في قوله : (خدمته والخدم) وكأنه
يشعر بأن الشاعر بدأ حياته بخدمة الملوك والأمراء ، وها هو ذا يختتمها بمسح
خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وسلم) والمبرة بالخواتيم ، والأمل في عفو الله
كبير .

ولقد أدرك الشاعر عظم تفريطه فيما ينغمه في آخرته فقال (١) :
فيا خسارة نفس في تجارتها

لم تشتري الدين بالدنيا ولم تسم (٢)

ومن بيع آجاله بما جله بين له الخين في بيع وفي سلم (٣)

نعم : : يالها من خسارة لتلك النفس التي دلت عن الطريق المستقيم
إلى الطريق المموج ، وحدثت عن أسباب النعيم الهالك إلى عرض زائل .

إن الشاعر يكت نفسه ، ويظهر أسفه ، ولذلك أخذ يتمجب من أمر هذه
الخسارة التي تلحق كل من يعرض عن طريق النجاة ، ولعل في قوله : (يا خسارة)
ما يشير إلى التهويل والتشخيص لمعظم تلك الخسارة ، والشاعر هنا متأثر في عبارته
بعادة العرب الذين كانوا إذا استمظموا شيئا وتمجبوا منه نادوه .

ولا يخفى ما في تنكير (نفسي) من تحقير شأنها ، وهدم الاهتمام بأمرها ،
كما في التنكير أيضا إشارة إلى المصوم ، الذي تدخل تحته كل نفس على شاكلة
نفس الشاعر ، وفي ذلك إيحاء للهم ، وشحن للنفس أن ترتدع وتثوب إلى
رشدها .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يقرب المحنوى ، فأتى بمثل محسوس ، قريب إلى
النفس ، في قوله : (لم تشتري الدين بالدنيا ولم تسم) ولا يخفى أن في ذلك استمارة

- (١) ديوانه ص ١٦٩ وما بعدها . (٢) الخسارة : ضد الربح . لم تسم : من سامة
السلعة أي شرع في شرائها منه من الموم وهو العرض للشراء والمراد هنا : لم يحاول الشراء .
(٣) الآجل : المؤخر ، والمراد به هنا ثواب الآخرة . الحاجل : المقدم والمراد به هنا
ما يحصل عليه الإنسان في دنياه من متاع زائل . الخبن : النقص . والمراد هنا الخداع في
البيع والشراء . السلم : (بفتح السين مشددة وفتح اللام) : بيع شـيـئـى .
آجل بمن عاجل .

تصريحية تهمية في لفظ (لم تشتري) أكدت الفكرة ووضحتها ، وزادها تأكيداً قول البوصيري : (ومن يبع آجلاً منه بما جلسه) إذ في لفظ (ومن يبع) استعارة تصريحية تهمية أيضاً ، وفي كل ذلك إشارة إلى أن النفس التي لم تشتري الدين بالدنيا ولم تحاول شراؤه ، تكون خسارتها عظيمة ، وعاقبتها وخيمة ، وكذلك من يبع الآجل العظيم بالماجل الحقير يظهر غنمه ، وتمظم خسارته .

ولعل في تكثير لفظ (آجلاً) إشارة إلى عظم تدمره ، وكبير مقداره ، ويقوى ذلك قوله تعالى : " بَلْ يُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١) " .

ولا يخفى أن البيت الثاني موضح ومؤكد للفكرة في البيت الأول ، وبمسندو أن الشاعر قد تأثر في ذلك البيت بقوله تعالى : " فَلْيَقَانِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ " الآية (٧) . إلا أن الشاعر قد أسرف في ذكر كثير من ألفاظ البيع والشراء وما يدور في مجا لها مثل : (خسارة ، تجارة ، لم تشتري ، ومن يبع ، آجلاً ، بعاجلاً ، الفهم ، السلم) .

ولقد ساعدت هذه الألفاظ على وجود بعض المحسنات البديعية التي ونعت فكرة الشاعر مثل : (الطهات) بين قوله : (تشتري وتبيع) وبين قوله (آجلاً وعاجلاً) .

وإذا كان الشاعر قد عنف نفسه على ما اقترفته من ذنوب وآثام ، فإنه لم يفقد الأمل في مغفرة الله الواسعة ، وفي شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) ولذلك يقول (٢) :

إِنْ آتَ ذُنُوبًا فَطَاعْهُدَى بِمُنْتَقِصِضٍ مِنْ النَّبِيِّ ، وَلَا حِلَّيْ بِمَنْصَرَمٍ (٤)

(١) الأعلى / ١٦ ، ١٧ .

(٢) النساء : ٧٤ ومعنى (يشرون) يبيعون .

(٣) ديوانه ص ٢٠٠ .

(٤) آت : أرتكب . عهدى : ذمتي . والمراد به هنا إيماني . منتقص : من نقص . العهد إذا لم يف به . الحبل : معروف والمراد به هنا لازمه وهو الوصل . منصرم : منقطع .

فإن لى ذمة منه يتسمى **محمدا** ، وهو أوفى الخلق بالذمة
 إن لم يكن فى معادى أخذ ابعدى
 حاشاء أن يحرم الراجى مكارمه
 فضلا وإلا فقل يا زلة القسودم (١)
 أو يرجع الجار منه غير محترم (٢)

يقول البوصيرى : إن ارتكبت ذنبا فلن يأمن من رحمة الله ، وشفاعته رسول
 الله (صلى الله عليه وسلم) كما أن إيمانى بالنبى لا يتزعزع بسبب ذنب اقترفته ، وحبى
 له لا ينفصم بسبب إثم فعلته ، وكيف يكون ذلك ، وقد تسميت باسمه الشريف
 ، بها فيه ، وطمعا فى شفاعته ، التى لولاها لحطم ندى ، واشتد ألمى ،
 وإننى أنزه الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن أن يرد طالبا ، أو يخيب متشفعا .

إن الشاعر يأمل فى نيل شفاعته رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولـسـنـذا
 فهو لن يعتمد اقتراف الذنب ، بل إنه سيجاهد نفسه ، وإذا غلب على أمره
 فالأمل فى عفو الله كبير ، يدل على ذلك قوله : (إن آت ذنبا) ولعل التعبير
 بـ (إن) الداخلة على الفصل المضارع : آت) يؤكد ذلك ، ويزيد ذلك
 تأكيدا تكثير لفظ (ذنبا) ، كما أن إضافة لفظ (عهد) إلى (يا المتكلم)
 يوحى بأمل الشاعر الكبير ورجائه العظيم فى شفاعته الرسول (صلى الله عليه وسلم)
 وكأنه أخذ على الرسول عهدا بذلك ، أضف إلى ذلك أن فى قوله : (ولا حبلى
 بمصرم) استشارة تصريحية أصلية ، إذ استحار الحبل للوصل وذلك يوحى
 بالقوة والمتانة .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يؤكد الفكرة السابقة فأتى بأكثر من مؤكد فى البيت
 الثانى ، مثل (إن) وتقديم الخبر (لى) وتكثير (ذمة) موصوفة بأنـهـا
 من الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم مدح الرسول بأنه (أوفى الخلق بالذمة)

-
- (١) معادى : المراد به يوم بمعنى للحساب
 (٢) حاشاء : تنزيها له : والضمير يعود على الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحرم :
 يمنع . الراجى : المراد به هنا الذى يطلب الشفاعة . مكارمه : جمع مكرمة .
 (يفتح فسكون فضم) والمراد بها هنا الشفاعة . (أو) بمعنى (الواو) الجار :
 معروف والمراد به هنا المستجير . (منه) : بمعنى به .

ولا يخفى أثر التمييز بالضمير المنفصل (فهو) ، واختيار صيغة التفضيل (أو نسى) ، كما لا يخفى أثر كل ذلك في تأكيد الفكرة ووضوحها .

ولعل في تسمية الشاعر باسم (محمد) ما يشتمل بمحبته الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولكن ذلك يرجع إلى من سمى الشاعر بهذا الاسم لا إلى الشاعر ، ويبدو أن في إشارة الشاعر إلى تلك الفكرة ما يرغب الناس في التسمية بهذا الاسم الكريم ، كما أن في قوله : (آخذاً بيدي) كناية عن النجاة ، وفي لفظة (بيدي) مجاز مرسل عنقته الجزئية ، أما قوله : (يازلة القدم) فهو كناية عن الحسرة والندم .

ولقد التفت الشاعر في البيت الرابع من التكلم إلى الضميمة في قوله : (الرابعي) - إذا كان الشاعر أراد بهذا اللفظ نفسه - ولا يخفى أثر الالتفات في تنبيه السامع ، بالإضافة إلى ما فيه هنا من تأكيد طلب الشهادة .

ولقد وفق الشاعر في اختيار الفاظ تأسبت فكرته ، إلا أن بعض الكتاب قال : إن في قول الشاعر :

إن لم يكن في معادى آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يازلة القدم
خطأً أفسد المعنى : لأن (لم) للنفي و (إلا) أعطيها (إن) المدغممة في (لا) النافية ، التي نفت النفي السابق عليها بـ (لم) وفي النفي إثباتات ، فمضير المعنى (إن كان آخذاً بيدي ييازلة القدم) وهذا فاسد ، وإنما يصح المعنى إذا حذفت (لم) (١)

وهذا الرأي صحيح ، إلا أنني وجدت أن لفظ (إلا) قد شكل هكذا (إلّا) - أي بالتثنية - في بعض النسخ (٢) ، فيكون معناه على ذلك : ذممة وجهداً ، كقوله تعالى (لا يَرْتَابُونَ فِي صُوفٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ) (٣) وعلى هذا فذاً خطأ في البيت لأن المعنى يكون صحيحاً على هذا الضبط .

(١) الشاعر المصري (عمر الدين البوصيري) ص ٥٥ .

(٢) عبد العزيز محمد : تشليخ البردة ص ٥٤ مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٤ .

(٣) التوبة / ١٠

ويبدو أن الشاعر أراد أن يؤكد أمله الكبير في شفاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال (١) :

ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه • • • • •
ولن يفوت الفنى منه بدءاً تربت • • • • •
ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت • • • • •
يداز هيرجا أثنى على هـرم (٢)

من يوم وقفت مدائحي على الرسول (صلى الله عليه وسلم) جاءني في الخير من كل مكان ، ولم أجسد شدة إلا زالت ، أو غمة إلا كشفت ، ببركة الرسول (عليه الصلاة والسلام) ، وإذا كان هذا قد وقع في الدنيا ، فأرجو مثله في الآخرة ، لأنني لم أرد بمدحي شيئاً من حطام الدنيا - كما يفصل السعراء بمدحهم الملوك - فإنه عرض زائل ، ومتاع قليل .

يبين الشاعر - في هذه الأبيات - مدى ما دخل نفسه من الاطمان وحل في قلبه من السكينة ، بسبب مدحه الرسول (صلى الله عليه وسلم) وزاده ذلك أملاً في شفاعته (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة ، ولعل في قوله : (ومنذ ألزمت ...) ما يشير إلى جهاده نفسه بإبعاده عن مدح ملوك الدنيا ، وقصر مدحيه على الرسول (صلى الله عليه وسلم) بحيث يكون المدح صادقاً ، لا نفاقاً ولا مداهنة ، ويكون الأجر عظيماً ، ولقد أكد الشاعر حصول

(١) ديوانه ص ٢

(٢) ألزمت أفكاري : المراد جعلتها ملازمة له ، لا تنفك عنه ، الملتمزم : المتكفّل .
(٣) يفوت : مضارع فات إذا سبق ولم يدرك . الفنى : (بكسر الفين وفتح النون) النيسار : والمراد هنا : الشفاعة . يدا تربت : كناية عن الفقر .
الحيا : الصلح . الأكم : (بفتح الهمزة والكاف) جمع (أكمة) (بفتح الكاف) : الرسوة وهي الأرض المرتفعة التي لا يستقر عليها الماء . وثيل : ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد .

(٤) زهرة الدنيا : المراد بهجتها . اقتطفت : قلمت وأخذت .

الغنى لمن يمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (ولن يفوت الغنى
منه يدا ثربت) ، فالغنى (بلن) ثم إسناد عدم القوت إلى (الغنى)
كل ذلك يشير إلى أن الغنى محقق الوقوع ، ولا يخفى أن فى قوله : (يدا
ثربت) كناية توحى بشدة الفقر .

ولما كان (غنى الممدح) تستعده بعض المقول ، أكد الشاعر إمكانه
بقوله : (إن الحمى ينبت الأزهار فى الأكمل) ففى هذا القول تشبيه مستقى
من بيئة الشاعر ولا يخفى أثره فى بيان وتوضيح المجنوى (فى الشطر الأول)
بالمحسوس (فى هذا الشطر) ، فكما أن المطر إذا نزل عم الأرض ، ونبتت به
الأزهار فى الأماكن العالية التى لا يظن إمكان حدوث ذلك فيها ، لمظلم
ارتفاعها ، فكذلك غنى من يمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ممكن مهما
بلغ فقر المادح .

ويبدو أن الشاعر خشى أن يفهم من قوله : (ولن يفوت الغنى) أنه
يخوض بطلب شيء من حطام الدنيا ، فقال دائما ذلك الغنى : (ولم أرد
زينة الدنيا) ، ولا يخفى أن فى قوله : (زينة الدنيا) استعارة تصريحية
أصلية ، أشارت إشارة لطيفة إلى أن الدنيا بما فيها من متاع ، مثل
الزهرة التى يقطفها الإنسان ، فتكون عند قطفها زينة ، ثم لا تلبث أن يتغير
شكلها ، وتذبل نضرتها ، فكذلك الدنيا لا تستقر على حال ، ودوامها من
المحال ، ثم أكد الشاعر ذلك بما حصل عليه (زهير بن أبى سلمى) من (هرم ابن
سنان) من عطايا كثيرة مقابل مدائح التى مدحه بها ، حتى حلف هرم أن لا
يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يعلم عليه إلا أعطاه . . .
فاستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه ، فأصبح إذا رآه فى ملا من الناس
قال : (عموا صاحباً غير هرم ، وغيركم استثيت (١)) .

فالشاعر أراد بذكره (زهير) الإشارة إلى أنه أخذ مالا كثيرا على مدحه
(ربما) ولكن أين ذلك المال الكثير ؟ لقد ذهب كما ذهب المادح والممدح
فما أقل متاع الدنيا ، وما أسرع زواله .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ١٧٠

رجاء ودعاء :

ومحمد صرح الشاعر بأنه لم يمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) لصرض من أعراض الدنيا الزائلة وإنما ليحظى بالشفاعة يوم القيامة : خاطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (١) :

يا أكرم الرسل طلى من ألونك به

سواك عند حلول الحادث المم (٢)

ولن يضيق رسول الله جاهك بسمى

إذا الكريم تحلى باسم منتقم (٣)

فإن من جودك الدنيا خير تهـ

ومن علومك علم اللوح والقلم (٤)

في هذه الأبيات يبين الشاعر أنه لن يجد شفيها له يوم القيامة إلا الرسول (صلى الله عليه وسلم) لما له من مقام كبير عند ربه .

وإذا تأملت قوله : (يا أكرم الرسل . . .) وجدته قد اشتغل على بعض اللطائف ، ومن ذلك : هذا النداء الموجه إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بلفظ (يا) ومعلوم أنه ينادى به الوحيد أصلاً فكان الشاعر هنا استعمله للدلالة على مكانة واحوال الشأن ، وكذلك لفظ (أكرم) الذي يدل

- (١) ديوانه ص ٢٠٠ . (٢) في بعض النسخ (يا أكرم الخلق) إلا أن رواية الديوان أبلغ ، لأن الرسول إذا كان أكرم الرسل — وهم أكرم الخلق — فهو بالطبع أكرم الخلق — انظر متن البردة طبعة الشمرلي ص ٢٤ . ألونك به : أنحصن به والمراد : أرجو شفاعته . حلول : نزول . المم : الحام شامل والمراد (بالحادث المم) يوم القيامة وحلوله أى وقوعه وحوله شامل جميع الخلق .
- (٣) جاهك : منزلتك وقدرتك . (أبى) : بمعنى (عني) الكريم : اسم من أسماء الله تعالى . تحلى : اتصف . المنتقم : اسم من أسماء الله تعالى . وتحلى باسم منتقم : أى غضب . وليس المراد حدوث الصفة ؛ لاستحالة ذلك في حق الله تعالى .
- (٤) ضربتها : عدوتها والمراد بها الآخرة : اللوح : جسم توارى كتبه القلم بإذن الله — ما كان وما يكون إلى يوم القيامة (انظر شرح البيجورى على الجوهرة ج ٢ ص ١٠٥) القلم : جسم عظيم نورانى خلقه الله وأمره بكتابة ما كان وما يكون إلى يوم القيامة . المرجع السابق .

علمى أن البصيرى أراد أن يصف الرسول بالكريم ، ولما كان صفنا ، خشى أن يتوهم أحد أن ذلك الوصف منى عن بقية الرسل (عليهم السلام) ولذلك أتى بـ (أكرم) ليدل على أن كل الرسل مشتركون فى تلك الصفة ، ولكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أكثر كرما ، بدليل قوله : (صلى الله عليه وسلم) (وأنا أكرم الأولين والآخرين) (١) .

ولمك تتساءل كيف يقول الشاعر : (مالى من ألون به سواك) ، فهمل يصح أن يلون بشير الله ؟ . . . ولكنك إذا تأملت قوله : (. . . عند حلول الحادث الحمى) علمت أن الشاعر يلمح بهذا البيت إلى الموقف العظيم يوم القيامة ، وما فيه من أهوال تجعل الناس يذهبون إلى كل نبي كى يشفع لهم ، فيقول كل منهم نفسى نفسى ، ثم يأتون النبی محمدا (صلى الله عليه وسلم) ، فيسجد تحت العرش ، فيقال له : (يا محمد ارفع رأسك ، واشفع تشفع ، وسل تعطه) (٢) .

ولقد أكد الشاعر أمله فى شفاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (ولن يضيق رسول الله جاهك بى) يشير إلى ذلك لفظ (لن) الذى ينفى الضيق مستقبلا ، ولا يخفى ما فى التعبير عن المشعر بالظاهر فى قوله : (رسول الله) من لذة بذكر هذا اللفظ الكريم من جهة ، وتأکید الاعتراف بالرسالة والرسول من جهة ثانية ، فيكون ذلك سببا فى الحصول على المأمول .

ولعله يلمح بقوله : (إذا الكريم تحلى باسم منتقم) إلى قول بعض الرسل عندما يذهب الناس إليهم ليشفعوا لهم : ((إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله) (٣) . وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : يمجده الرب نفسه ، يوم القيامة - فيقول : "أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ أنا الملك ، أنا العزيز ، أنا الكريم" (٤) ، أين ملوك الأرض (٥) ؟

(١) سنن الترمذى ج ٤ ص ٤٣ .

(٢) صحيح البخارى ج ٤ ص ١٦٣ ، ج ٦ ص ١٠٥ .

(٣) الدرر السائق .

(٤) مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٢٢ ، ٨٢ .

(٥) صحيح البخارى ج ٦ ص ١٥٨ .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يبين فضل رسول الله فقال : (فإن من جودك الدنيا وضرتها .. البيت) إلا أن عبارة هذا البيت مشوبة بالقلق والتموض وخاصة الشطر الثاني : (ومن علومك علم اللوح والقلم) إذ كيف يكون علم اللوح والقلم بحض علم رسول الله ، ألا يناقض ذلك قوله تعالى : " وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَشَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ .. الآية (١) " وقوله تعالى : " وَنُفِثَ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ .. الآية (٢) " ولعل الشاعر أراد أن يقول : (إن علومك يا رسول الله من جنس علم اللوح والقلم) أى أن مصدرهما واحد وهو الله سبحانه وتعالى ، فخانتته العبارة .

أما الشطر الأول وهو : (فإن من جودك الدنيا وضرتها ..) فقد قدر بعض الكتاب مضافا محدوفا والأصل : (فإن من جودك خيرى الدنيا والآخرة (٣)) ومع ذلك أرى أن العبارة غير واضحة المراد ، ولعل الشاعر يشير بذلك إلى أولية (النور المهدى) كما سبق (٤) أو لعله تأثر فى ذلك ببعض الأحاديث التى قيل : إنها موضوعة مثل : " لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك (٥) " .

ولا يخفى أن لفظ (وضرتها) غير شمرى وإن كان عربيا ، ويبدو أن الشاعر استمده من البيئة المصرية ، إذ ينتشر فى كثير من بلدانها ، ولعله عبر به للتشبيه ، فكما أن الزوجة لا تستقيم حياتها - غالبا - مع ضرتها ، كذلك الدنيا - غالبا - بالنسبة للآخرة .

ومهما يكن من شئ ، فإن الشاعر أراد أن يحمده اليأس من رحمة الله عن نفسه ، فنهاها عنه ، وحذرهما منه ، لأن رحمة الله واسمة ، وفضله كبير ، فيقول (٦) :

(١) الأعراف / ١٨٨ .

(٢) الأنعام : ٥٩ .

(٣) حاشية الباجورى على البقرة ص ٩١ .

(٤) انظر ص ١٢٤ من هذه الرسالة .

(٥) محمد إسماعيل إبراهيم : الأحاديث النبوية والمحدثون ص ٥٥ . دار الفكر

الشرقية بصرى سنة ١٩٧٣ .

(٦) ديوانه ص ٢٠٠ .

يا نفس لا تقتطعي من زلّة عظمت

إن الكبائر في الغفران كاللحم (١)

لحم رحمة ربّ حين يقسمها

تأتي على حسب المصيان في القسم (٢)

إن وقوع المصيبة من المسلم جائز ، لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون " (٣) ، ولكن اليأس من رحمة الله لا يليق به ، لقوله تعالى : " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ ۞ الْآيَةُ (٤) " ، ولذلك خفف البرصصيري عن نفسه ما أصابها من هم وغم بسبب الذنوب التي اقترنها ، وحسبنا أن يحطّ بها الأمل في سمة رحمة الله وتغرّائه ، إذا تابت وأُنبِت .

وإذا تأملت عبارة الشاعر وجدتها تتدل على أن عمره قد ضاع بسبب ما ارتكب من آثام ، ولعلك تلاحظ ذلك في قوله : (يا نفس) إذا ، حذف ياء المتكلم وكان الأصل : (يا نفسي) كما أنه نادى نفسه بحرف النداء الخاص بنداء البعيد وهو (يا) ولعل ذلك ليمد نفسه عن طاعة الله ، وإما لتزليها منزلة البعيد زيادة في زجرنا ، ويجوز أنه لم يحذف شيئا ونكر لفظ (نفسي) ونشأه على الضم على أنه نكرة مقصودة .

ومهما يكن من شيء فإن في قول الشاعر : (إن الكبائر في الغفران كاللحم) حكمة صادقة ، تنشر الأمل ، وتوسع باب الرجاء ، ويقوى ذلك تصغيره بحرف التوكيد (إن) كما أن تقديم الجار والمجرور (في الغفران) يشير إلى

(١) لا تقتطعي : لا تيأسي . زلّة : الذنب صغيرا أم كبيرا ، والشاعر هنا قيده بالمصنوع . الكبائر : جمع كبيرة وهي ما ورد في شأنها حد على الصحيح . الغفران : السخفرة .

(٢) القسم : (بكسر ففتح) جمع قسمة (بكسر فسكون) والمراد ما يقسمه الله تعالى لخلقه .

(٣) سنن الترمذي ج ٤ ص ٢٠ .

(٤) الزمر / ٥٣ .

أهميته والمناية به ، ويجعل الإنسان لا يفتأ يرجوه ويتناه ، ولا يخفى أشعر التشبيه في توضيح الصورة وإبرازها ، ولعل في تلك الحكمة ما يشير إلى قوله تعالى : **الَّذِينَ يَجْتَبُونَ كِبَاثَ الْأَثَمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّحَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ** . . الآية (١) .

ولقد أحسن الشاعر في قوله : (لعل رحمة رب) لأن لفظ (لعل) يدل على الرجاء الكبير ، والأمل العظيم في جانب الله سبحانه وتعالى ، كما أن إضافة لفظ (رحمة) إلى لفظ (رب) تدل على أن هذه الرحمة واسعة لأنها تخص الله الذي ربنا ، وعطف علينا ، وأحسن إلينا .

أضف إلى ذلك أن إضافة لفظ (رب) إلى يا المتكلم تشير إلى اعتراف الشاعر بمهوديته لله (سبحانه وتعالى) ، وفي الوقت نفسه تشير إلى مقام الربوبية العظيم ، وفي هذا تلميح إلى أن المبدء من شأنه التقصير ، والرب من شأنه الغفران .

ويبدو أن الشاعر هنا قد سلك مسلك القائلين بانقسام الذنوب إلى صفائس وكبائر ، والله يغفرنا لمن يشاء إلا الكفر . خلافا لمن يحرم غير ذلك (٢) .

وجدما رغب الشاعر نفسه في التوبة ، وفتح أمامها باب الرجاء الكبير فحسى فهو الله ، تنسج إلى الله قائلا (٣) :

يارب واجمل رجائي غير منكس

لديك واجمل حسابي غير منخزم (٤)

(١) النجم / ٣٢٢ .

(٢) شرح البيجوري على الجوهرة ج ٢ ص ١٢٢ وما بعدها .

(٣) ديوانه ص ٢٠٠ .

(٤) غير منكس / غير منقلب ، والمراد / اجمل رجائي محققا مقبولا لا مردودا ، لديك : عندك . حسابي : المراد هنا : غني من الحسابان وهو الظن . غير منخزم : المراد : غير منقطع .

وإنطسف، بحببك في الدارين، إن له

صبرا • متى تدعه الأحوال ينهزم (١)

يؤكد الشاعر انتقاره إلى رحمة الله وحقه • ولذلك تضرع إليه راجيا ألا يخيب
رجاه • وألا يحكم غنه • وأن يلفظ به في الدنيا والآخرة • لأنه ضعيف
لا يتحمل هول الشدائد •

وإذا تأملت قولنسه : (يارب واجمل رجائي ٠٠٠) وجدته قد رفع
صوته متضرعا إلى الله مستعملا حرف النداء (يا) وهو لنداء الحميد مسجعا
الله تعالى قريبا • بدليل قوله جل جلاله : " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ٠٠٠ الآية (٧) " فلعل الشاعر أراد الإشارة
إلى عظمة الله • وعلو شأنه • أو لعله علم أنه بحصانه الله قد أصبح بميسدا
عنه • كما يفهم من الحديث القدسي " ٠٠ من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا " (٢)
والمفهوم الضمني لهذا الحديث : (ومن بعد عن الله شبرا بعد عنه ذراعا) • ولا
يخفى أن في لفظ (رَبِّ) ما يوحي بإظهار الخضوع والخشوع والإقرار بالمبودية
لله - كما سبق •

ويبدو أن الشاعر لم ينس وظيفته كمباشر (٣) فلذلك آثر أن يذكر بعض مصطلحاتها
مثل : (واجمل حسابي غير مخزوم) •

ويؤكد الشاعر تضرعه إلى الله بقوله : (والطف بحببك في الدارين ٠٠٠٠)

(١) الطسف : ارفق - الدارين : الدنيا والآخرة • الأحوال : جمع حول وهو
الأمر العظيم •

(٢) البقرة : ١٨٦ •

(٣) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٤٨ •

(٤) انظر ص ٥٢ من هذه الرسالة •

ولا يخفى أنه قد التفت من المتكلم في البيت السابق إلى النية هنا في قوله :
(بعبدك) ، ومع أن نكتة الالتفات الشائعة هي إثارة الحس ، وشد الانتباه
بتغيير مجرى الكلام ، إلا أن هنا نكتة أخرى هي الاعتراف باليهودية للمسيح
تصريحا بحد الاعتراف بها تلويحا ، والإقرار بها عبارة ، بحد الإقرار بها
إشارة .

وأراد الشاعر أن يبين ضعفه ، فقال : ١ إن له صبيرا متى تدعه الأحوال
ينهمز) فهو لم ينف وجود الصبر عنده ، بل اعترف بوجوده لديه ، ولكنه
صبر ضئيل ، وبذلك ضالته تتكرر لفظ (صبيرا) ووصفه بالجملة الشرطية بحد ،
وكل هذا يبين مدى احتياجه إلى اللطف به ، والمغفرة عنه ، والإحسان إليه .

ولعل من لم ينس أنه قد نظم قصيدته - البردة - في مدح الرسول (صلى
الله عليه وسلم) ولذلك ختمها بقوله (١) :

وأذن لمحيصاة منك دائمة

على النبي بمنهل ومنسجم (٢)

ما رنحت عذبات البان ريح صبا

وأطرب الحيس حادي العيس بالنغم (٣)

(١) ديوانه ص ٢٠٠ وما بعده .

(٢) اغثن : أسمع . السحب : (بضم فسكون) لفة في (السحب) بينهما : جمع

سحابة أي الغمامة صلاة الله على النبي (صلى الله عليه وسلم) معناها شأؤه

(جل جلاله) على الرسول (تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٤٧) منهل :

من أنهل المطر أي سال بشدة .

وذكر بعض الكتابيين بحد هذا البيت وهو :

وآله الفر والصحاب الذين علوا أهل الصفا والوفاء والجود والكرم

ولكنه لم يرد بالديوان المحقق ، ولم يشر إليه إلا ذلك الكاتب فقط . انظر الحمزاوي

: النتحات الشاذلية بشرح البردة البوصيرية ج ٣ ص ٢٠٧ سنة ١٢٩٧ هـ (لم

يدون على الكتاب باسم الطبعة)

(٣) رنحت : أملت . العذبات : جمع عذبة : غصن الشجرة أو طرفه . ريح الصبا : ريح

شرقية ، وتسمى القبول أيضا . الطربة خفة تعصل من شدة السرور تقتضي الهز والحركة .

الميس (جمع الأيس) وهي الإبل التي يغالط بياضها شقرة - حمرة شديده - وخصها =

لقد دعا الشاعر ربه جل جلاله - في ختام قصيدته - بأن تدوم صلاته على الحبيب محمد (صلى الله عليه وسلم) دوما لا ينقطع على مر الليالي والأيام.

ويبدو أن الشاعر أراد أن يكون في آخر القصيدة ما يشير إلى غرضها - الأصلي وهو مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) فختمها بالصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم). ويمكن أن يمد ذلك الختام لونا بديعيا هو : حسن الختام (١).

وإذا تأملت قوله : (وأذن لسحب صلاة ..) وجدته قد اقتصر على ذكر الصلاة فقط ، مع أن بعض الكتاب يقول : " إذا صلى على النبي (صلى الله عليه وسلم) فليجمع الصلاة والتسليم مراعاة للآية الكريمة : " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " (٧) ولا يقتصر علي أحدهما (٨) ولعل الوزن الشعري لم يكن الشاعر من ذكر السلام مع الصلاة :

وصحبا يكن من شيء فإن الشاعر قد طلب صلاة عظيمة ، يدل على ذلك إضافة التشبه به (لحبيب) أو التشبه وهو (علاء) والأصل (صلاة كالسحب) ولا يخفى أن في ذلك التشبيه دلالة على كثرتها ، أضف إلى ذلك تكرير لفظة (صلاة) وصفها بأنها من الله تعالى ، وأنها (دائمة .. بمنهل ومنهج) .

= بذلك أنه لن يهزل كراثم الإبل ، حاديتها : الذي يسوقها ، النخم : الصوت الحسن .

النخمة : مدة في الصوت يقصد بها الإطراب والإبل خاصة عظيمة في حصول الطرب لها عند سماع صوت الحادي ، فكلما كان صوته حسنا كان طربها أكثر فيحصل لها نشاط ، فتقطع المسافة الطويلة في زمن قليل .

(١) هو : أن يشير المتكلم في كلامه إلى ما يشمر بانتها ، الفرض المقصود ، الخلاوى : زهر الربيع في المعاني والبيان والهدى ص ٢٧٣ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر

سنة ١٩٢١ .

(٢) الأحزاب / ٦٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٥ ص ٤٦٩ .

ولو تأملت قول الشاعر : (ما رنحت . . . البيت) لوجدته قد أتى بتشبيهين
مفترعين من البيئة البدوية ، ليؤكد بهما دوام هذه الصلاة .

أول بتدين التشبيهين :

(ما رنحت عذبات البان رنج صبا) أى ما أمالت هذه الريح الطيبة أغصان
تلك الأشجار ذات الرائحة الزكية ، وأرى أن لفظ (رنحت) غير مناسب للمقام
لأنه يستعمل كثيرا فى الخمر ومجالسها .

ثانيهما :

(وما أطرب العيس حادى العيس بالنخم) أى ما غنى لإيهل الجيسسدة
سائقها ، ولعل الشاعر وضع الظاهر موضع المضمرة ، فكرر لفظ (العيس)
لحسن جرسه من ناحية ، وللوزن الشعرى من ناحية ثانية ، كما أن لفظ
(بالنخم) يمدح حشوا ، لأن إطراب الإيهل مفهوم به يكون ، ولعل الشاعر
أتى به للتأكيد على حسن الصوت .

ويبدو أن بعض الشعراء لم يحجبه أن يختم المسحورى برده بالصلاة
على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من غير أن يشير إلى التناقض
الراشدين ، ولذلك زاد على البردة تلك الأبيات (١) :

ثم الرضا عن أبى بكر وعن عمر (٢)	وعن على وعن عثمان (٣) أذى الكرم
والآل والصحاب ثم التابعين فهم	أهل التقى والنقا والطم والكرم
ياربها المصطفى بلغ مقاصدنا	واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

(١) متن البردة ص ٣٦ طبعة الشولسى . .

(٢) عمر : بنو عمر بن الخطاب بن نفيل ، يلتقى مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى
البعد المابع ، تولى الخلافة بعد أبى بكر ، ومناقبه كثيرة ، طعن فى آخر سنة ٢٣
هجريه وتولى فى المحرم سنة ٢٤ هـ على الصحيح (أسد الغابة ج ٤ ص ١٤٠) .
(٣) عثمان : بنو عثمان بن عفان بن أبى العاص . تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب
(رضى الله عنهما) ومناقبه لا تحصى ، قتل سنة ٣٥ هـ (انظر المرجع السابق ج ٣
ص : ٥٨٤)

واقتر إلى لكل المسلمين بما

يتلوه في المسجد الأقصى وفي الحرم

بجاء من بيته في طيبة ع

واسمه قسم من أعظم القسم

وله بردة المختار قد ختمت

والحد لله غنى بد وفي ختم

أبياتها قد أتت متين مع مائة فرج بها كربنا يا واسع الكرم

ولا يخفى أن هذه الأبيات ليست من نظم البوصيري بدليل أنها ليست في الديوان التحقق^(١) ، كما شئت منها كثير من الشرح^(٢) ، بل نبه على زيادتها بعضها^(٣) ، أضف إلى ذلك ضعف نظمها ، ويكفي دليلاً على ذلك تكرار القافية أربع مرات بلفظ واحد هو (الكرم) وأخيراً ذكر عدد أبياتها . وهذا لم يكن مألوفاً في عصر البوصيري .

إن أثر البردة الكبير ، وشهرتها الواسعة ، هي التي دفعت أحد الشعراء لنظم تلك الأبيات من غير أن يذكر اسمها ، لتكون تلك الزيادة تقرباً إلى الله ، ولم يقف أمراً عند ذلك الحد ، بل لقد علم أثرها ، وامتد إلى كثير من النواحي ، التي سوف أتحدث عنها في الفصل الآتي إن شاء الله .

(١) انظر ديوانه ص ٢٠١ .

(٢) يوسف النبهاني : المجموعة النبهانية ج ٤ ص ١٥ المطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٣٢٠ هـ .

(٣) حاشية الهاجوري على البردة ص ٩٥ .

الفصل الثالث

أثر البردة

بالحداثة وقتت مع بردة البوصيري وقفة طويلة ، وتناولتها بالدراسة والتحليل ، يمكنني - الآن - أن أقول : إن هذه القصيدة تمتد من أغصان قصائد المدائح النبوية ، وذلك قول بعض الكتاب : " إن هناك شبهة إجماع على أن بردة البوصيري أغزل المدائح النبوية بمد قصيدة كعب (بانت سعاد) (١) .

ولم يلى لا أكون جانب الصواب إذا قلت : إن البردة قد فاقت (بانت سعاد) في كثير من النواحي بصرف النظر عن ناظم القصيدتين ، فيكفى أن تعلم أن البردة قد اشتملت على أفكار وأغراض خلت منها (بانت سعاد) ، كما إن البردة زادت عليها نبي عدد أبياتها ، إذ بلغت مائة وستين بيتاً ، أما (بانت سعاد) فهي ستون بيتاً تقريباً (٢) ، أضف إلى ذلك أنها لم تشر إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلا في ستة أبيات تقريباً ، أما البردة فيمكنك أن تحيد قراحتها في الفصل السابق لتعلم في كم بيت تحدث البوصيري عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

وهما يمكن من شيء ، فلمست - الآن - في مقام الموازنة بين قصيدة كعب وقصيدة البردة على المقام مقام بيان أثر بردة البوصيري التي قيل عنها : " إنها من أجود الشعر " (٣) ، وهذا حق ، لأنها قصيدة قد طال نفسها ، ومع ذلك رقت

(١) الوسيط في الأدب العربي وتاريخه - ص ٣١١ ، الشاعر خليل المحمد بن ص ٨٨ .

(٢) ديوان كعب بن زهير وما بعدها . قلقوف من ثمار الأدب في الجاهلية وصدر الإسلام ج ٢ ص ١٢٩ وما بعدها .

(٣) الأديب العربي من عهد الفاطميين إلى اليوم ص ١٠٥ .

عبارتها ، وسهلت ألفاظها ، وأحكم نسيجها ، واشتملت على كثير من الحكم الصادقة والتجارب الصحيحة التي تصدقها الأيام مثل : (إن الهوى ما تولى يصم أو يصم)
و : (إن الطعام يقوى شهوة النهم) : (والنفس كالطفل ٠٠٠ البيت)

و : (إن الكباثر في الفئران كالنجم) أضف إلى ذلك ما حوته من أبواب السيرة النبوية نظماً يؤثر في النفس ، وأسرى الحس بموسيقاه الخلابة .

ولا شك في أن كل هذا قد ساعد على ذيوع تلك القصيدة وشيوعها ، وبدل على ذلك أنك لا تجد كاتباً يتحدث عن المدائح النبوية ، أو باحثاً يفحص نسي غمارنا ، أو مؤلفاً يحاول الوقوف معها ، والإحاطة بها إلا تحدث كل هؤلاء - ممن قريب أو بعيد - عن البردة ، سواء في مصر أم في غيرها من البلاد العربية - والإسلامية ، ولعل ذلك يرجع إلى أن هذه القصيدة أصبحت مصدر إلهام ، ومنبع إلهام لكثير من الشعراء الذين يحاولون مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) من عصر البرصيري إلى الآن ،

ويمكنني أن أقول إن أثر تلك القصيدة ، متعدد الجوانب ، مختلف النواحي ويظهر ذلك فيما يأتي :

١- أثر البردة في الجماعير الشعبية :

لقد أثرت البردة في الجماعير الشعبية تأثيراً كبيراً ويشهد لذلك ما قاله الدكتور زكي مبارك : " نستطيع الجزم بأن الجماعير - في مختلف الأقطار الإسلامية لم تحفظ قصيدة مطولة ، كما حفظت البردة ، فقد كانت ولا تزال من الأواد ، تقرأ في الصباح وتقرأ في المساء ، وكنت أرى لها مجلداً يحقد في عريح الإصمام الحسين - رضى الله عنه - بالقاهرة ، بعد صلاة الفجر من كل يوم جمعة ، وكان لذلك المجلس رهبة تأخذ بمجامع القلوب ، والذي ينزه ساعة المولد النبوي بالقاهرة يرى المقات ينشدونها في هيبة وخشوع ، وكثير من الناس كانوا يجمعون الأطفال لقراءتها في الجنازات (١) . . .

(١) المدائح النبوية ص ١٩ ، ولا يخفى أن في هذه الرواية ما يدل على بعد الناس عن تعاليم الدين الحنيف ، وكذا الرسول (صلى الله عليه وسلم) في صمته وخشوعه عند تشييع الموتى (انظر الشيخ محمود شلتوت : الفتاوى ص ٢١٥ طبعة دار الشروق بمصر سنة ١٩٧٤ م والشيخ سيد سابق : فقه السنة ج ٤ ص ١١٧ المطبعة النموذجية بمصر (غير مؤرخ) .

وإذا كان هذا الكاتب قد ذكر ما شاهده في القاهرة ، فهذا كاتب آخر يذكر ما شاهده في الإسكندرية ، إذ يقول : " ولعل من أظم ما يلفت النظر : هو هذه المواكب المتوالية التي تصحب الموتى إلى قبورها " وكان يتقدم هذه المواكب - في العادة - طائفة من المنشدين الذين يرددون في نغم رتيب : " مقطوعات من البردة للبوصيري " ولم يقف شغف أهل الإسكندرية بالبردة عند ذلك الحد ، بل لقد شغفوا بها أيضا " في المساجد " وخاصة في يوم الجمعة " إذ ما تكاد تنقضى شمائر صلاة الجمعة حتى يبادر فريق من المصلين للانتظام جلوسا في صفين متقابلين ، ثم تفرق عليهم " نسخ من البردة " مطبوعة بخط نسخ ، وشكولة بشكل واضح ، ثم يأخذ الجميع نفسى تلاوتها بصوت يهدأ خفيا ، لا يلبث أن يملؤ رويدا رويدا ، حتى يتجلى عن طريقة نغمية سهلة تلك " على " سامعي " .

وأكد - الباحث - مثل هذه المجالس في مدينة طنطا ، وخاصة في
المولد النبوي ، والمولد الأعدي (٦) بالإغادة إلى شهر رمضان الذي شاعت
فيه بعض الصوفية المتسبين إلى العادة الشاذلة ، وهم ينشدونها بعد صلاة المشاء
ويتخذونها وردا لهم منذ هذه الشهر المبارك بعد القرآن الكريم ، وما هو
جدير بالذكر أن إذاعة جمهورية مصر العربية قد أتحفتنا في شهر رمضان من
السنين الماضية ، بإنشاد هذه القصيدة على مدى الشهر المعظم ، وبالنسبة
تتجه - دائما - إلى مثل هذا الأدب الديني الطيب ، وبهذا الأغاني الخليعة التي
تعلم الشباب كل شيء وتبعده عن كل خير .

(١) البوصيري حياته وشعره ص ٤ ، دائرة المعارف الإسلامية المجلد السابع
ص ٣٠ بتصرف .

(٧) نسبة إلى صاحبه الصارف بالله السيد / أحمد البدوي الذي يوجد ضريحه بمدينة طنطا عاصمة محافظة الغربية . ويقام ذلك المولد في شهر أكتوبر من كل عام .

ولم يقتصر الاحتفاء بالبردة على المدن فحسب بل تمداه إلى كثير من القرى أيضا (١) ، إلا أن بعض محبي البوصيرى أرادوا أن يرفعوا قدر البردة أكثر ، ويحتفوا بها أشد ، فنسبوا إليها أشياء ، وقالوا فيما نسبوه إلى البوصيرى من كرامات في البردة : (٢) كما وجدت طائفة من المقاربة تكسبوا بالبردة ، بل بالغوا في التكسب بها مبالغه غير كريمة ، إذ أنشدوها على الأبواب ، يتخذونها وسيلة للشحاذة وولوج الأرب ، كما احتكر غريق منهم نسخها وتأجيرها (٣) .

ولقد غلا بعض الناس في الحفاوة بالبردة أكثر مما سبق ، فوضعوا لأبياتها خصائص ومناقب ، وجعلوا منها توائم وأحجية ، وادعوا لمن هذا البيت يشفى من الصدع ، وذلك يفتح نسي حفظ المزارع والمنازل من التلف والحريق ، وذلك يفيد نسي الجمع بين النافعين من الأحباب (٤) ، وكذلك ما ذكره بعض الشراح من أن فائدة الأبيات الخمسة التي أولها (فما لمينيك) .

"أن الرجل إذا اتهم زوجته أو ابنته . . . كتب هذه الأبيات في ورقة من ورق الأترج ووضعها على يد المتهم اليسرى وتونائم ، ويجعل أذنه على فمه فإنسه ينطق بجمع ما فعله في غيبته ، غيرا أو شرا ، وكذلك إذا سرق له شيء واتهم أحدا أو شك نسي أحد ، فليكتب هذه الأبيات في جلد سفدع مدبوغ ويأخذ لسان السفدع ويشمه في الجلد المذكور ، ويعلق ذلك الجلد في عنق المتهم فإنه يقر في ساعتسسه لدعشته (٥) ."

ولا شك في أن كل ذلك وهم باطل ، دعا بعض المصنفين إلى رفع صوته قائلا : "إنهم كدروا بذلك صفاتها ، وصيروها ضرا من ضروب التوائم والطلاسم ، وهذه غربة ليس فيها حكمة (٦) ."

-
- | | |
|-----|-------------------------------|
| (١) | طراز البردة ج ١ ص ٥١ |
| (٢) | الإمام البوصيرى ص ٢٠ |
| (٣) | المرجع السابق ص ٤٤ . |
| (٤) | المدايح النبوية ص ١٩٦ . |
| (٥) | حاشية الهاجرى على البردة ص ١٠ |
| (٦) | طراز البردة ج ١ ص ٥١ . |

٢- أثر البردة في الدرس :

ويظهر أثر البردة في الدرس مثلاً في تلك العناية التي كان يوجهها المعلمون^(١) الأزهريون إلى عقد الدروس في يوم الخميس والجمعة لدراسة " حاشية الباجوري على البردة " وعلى دروس كانت تتلقاها جماهير من الطلاب وإنما كانوا يختارون يوم الخميس والجمعة لأن مثل هذا الدرس لم يكن من المقررات فكانوا يختارون له أوقات الفراغ.

ولنذكر أنه صحت سنون لم يكن يعرف فيها الأزهر كيف تكسبون دروس التاريخ الإسلامي فكانت البردة وشروحها مما يمد النفس الفاحش في معهد ديني يجهل أسلمه غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(٢)

هذا ما ذكره بعض الكتاب وإن صح ، فإنه يدل على الأثر الكبير الذي قامت به البردة في مجال دراسة السيرة النبوية.

٣- أثر البردة في التأليف :

وأما بأثر البردة في التأليف فيتجلى - بوضوح - في تلك الشروح الستة قيل : إنها بلغت أكثر من تحمين شرحاً ، باللغات العربية والفارسية والتركية وغيرها من اللغات فزادت البردة بذلك شهرة وديعاً لم تبلغه قصيدة عربية أخرى^(٣).

ولعل من أسمى هذه الشروح : شرح ابن الصائغ المتوفى سنة ٧٢٦ هـ وشرح ابن الصناد المتوفى سنة : ٨٠٨ هـ ، وشرح ابن مرزوق التلمساني المتوفى سنة ٨٤٢ هـ ، وشرح جلال الدين المحلي المتوفى سنة ٨٦٤ هـ ، وشرح الشيخ خالد الأنصاري المتوفى سنة ٩٠٥ هـ ، وشرح الشيخ زكريا الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٦ هـ ، وشرح الشيخ عبد الرحمن المقدسي المعروف بأبي شامة المتوفى سنة ٩٦٥ هـ ، والجدير بالذكر

(١) المدائح النبوية ص ١٦٩ وما بعدها .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية المسجلد السابع ص ٣٠ .

أنه قد ذكرت بعض المصادر أنه توجد مخطوطات من هذا الشرح محفوظة في المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٩٢٠ ، وميونخ تحت رقم ٥٤٧ (١) .

ولعل من أحدث الشروح شرح الشيخ الباجوري المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ ، وشرح الشيخ حسن المدودي الحمزاوي المتوفى سنة ١٣٠٣ هـ ، وغير ذلك من الشروح التي منها ما هو مطبوع ، ومنها ما هو مخطوط ، ويوجد بعضها في مكتبة مصر ، ومكتبة الجامع الأزهر ، ومكتبة محافظة الإسكندرية (٢) ، كما أن بعض هذه الشروح لم يعرف أصحابها ، ويبدو أنهم لم يذكروا أسماءهم تواضعا منهم أو سترا لما قاموا به من عمل يحسبون أجره عند الله .

ولا شك في أنك إذا نظرت في تلك الشروح وجدت بها قد زحرت بالألفاظ اللغوية ، والمعارف الأدبية ، والحوادث التاريخية ، وكان مجرد شغل هــولاء الشراح بالأدب واللغة والتاريخ إلى قصيدة البردة ، وتصف ناظمها الإمام البوصيري (٣) .

والجدير بالذكر أن شراح البردة لم يكونوا كلهم من العرب ، بل كان بعضهم تركيا وشرعها بالتركية (٤) ، كما كان بعضهم فارسيا وشرحها بالفارسية (٥) ، وهذا يدلنا على مدى ما وصلت إليه تلك القصيدة من عناية عند العرب وغير العرب ، بل لقد نشرها كثير من المستشرقين ، وخاصة المستشرق د. ساسي (٦) الذي ترجمها إلى الفرنسية ، كما ترجمت إلى الإنجليزية والإيطالية ، وغيرها من اللغات (٧) ، وهكذا تعددت طبعاتها ، وكثرت ترجماتها ، وتفنن الخطاطون في كتابتها (٨) .

(١) المرجع السابق - المذائق النبوية ص ١٩٨ .

(٢) البوصيري : حياته وشعره ص ١٢٤ وما بعدها .

(٣) المذائق النبوية ص ١٩٩ .

(٤) القاموس الإسلامي ص ٢٩٨ .

(٥) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٦) د. ساسي مستشرق فرنسي توفي سنة ١٨٢٨ م - انظر نجيب الحقيقي : المستشرقون ص ٣٧ وما بعدها طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٧ .

(٧) انظر دائرة المعارف الإسلامية المجلد السابع ص ٣٠ وما بعدها .

(٨) القاموس الإسلامي ص ٢٩٨ . والمذائق النبوية ص ١٩٦ وما بعدها ، والبوصيري حياته وشعره ص ٥١ .

ولعل مما يلحق بأثر البردة في التأليف: الرد على تلك المزاعم التي أثيرت حولها ، وأنها ، ما ذهب إليه بعض الكتاب من أنه " لا أثر للصوفية في البردة " (١) .

ويبدو أن الذي دفع بعض الكتاب إلى هذا القول هو ما شاع عن الشمر الصوفي من أنه يدور في فلك الحب الإلهي ، ويتسم بالرمز والإلفاز ، أضف إلى ذلك وصف الخمر والوقوف معها ، وبيان أثرها ، والنشوة بها ، وهذا ما واجه عند سلطان العاشقين : ابن الفارض (٢) ، الذي يقول (٣) :

شرنا على ذكر الحبيب مدامة سكنا بها من قبل أن يخلق الكرم
لها البدر كأم وهي شمس يدورها
هلال وكم يبدو إذا مزجت نجم

ولكن الحقيقة توضح أن الشمر الصوفي مجاله أرحب من ذلك ، ويمدانه أوسع ، وأغراضه متعددة ، وأفكاره متنوعة ، إلا أن أساسه حبان : حب إلهي ، وحب نبوي ، وهذا ما يؤكد بعض الكتاب بقوله : " حبان تمكنا من نفوس أصحاب النفوس الزكية ، وتقسم قلوب أرباب القلوب النقية ، وأنطقا ألسنة أهل الأذواق الزكية من الصوفية ، بروائع من النظم ، وبدائع من النثر ، وأحد هذين الحبين هو : الحب الإلهي " . الذي يتخذ فيه المحب موضوع حبه من الذات الإلهية ، أو الحقيقة العلية ، ويتحدث فيها عن الحب المتبادل بين الله والإنسان ، أو بين الخالق والمخلوق على حد تعبير الصوفية أنفسهم .

وثانيهما : هو الحب النبوي . . الذي يتخذ فيه المحب موضوع حبه من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) . أو من النور الحمدي ، أو الحقيقة المحمدية ، التي هي عند الصوفية أسبق في الوجود على كل موجود بصفة عامة ،

(١) دائرة المعارف الإسلامية المجلد السابع ص ٣ .

(٢) سبق للتصريف به في هامش ص ٤١ من هذه الرسالة .

(٣) ديوانه ص ٤٢ مطبعة الحلبي بمصر سنة ١٩٥٣ .

وعلى وجود محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بصفة خاصة ، ومن الصوفية من جمع بين هذين الحيين في نظمة ونثره . . . ومنهم من تخصص نظمته ونثره بأحد هذين الحيين من دون الآخر (١) . .

أما عن طريقة التعبير عن هذين الحيين فيشير إليها هذا الكاتب أيضا بقوله : والصوفية الذين ملك عليهم قلوبهم الحب الإلهي أو الحب النبوي أو كلا الحيين . . . قد اصطنعوا - فيما صدر عنهم من آثار - لا سيما ما كان من هذه الآثار نظما - أسلوبين مختلفين في التعبير عما يجدونه في أنفسهم من فعل الحب ، ووصف ما يختلف على قلوبهم ، من انفعالات وعواطف ، وما ينكشف لسرائرهم من لطائف ومعارف . .

فهم يصطنعون تارة أسلوب المباشرة والتصریح الذي يوصلونه بإرسالا مطلقا من كل قيد من قيود الرمز والإلفاظ ، بحيث يتهيأ للقارئ أو السامع أن يتبين في سهولة ويسر أن الحب ما هنا : إنما هو حب إلهي ، وأن المحبوب السدي يتغنون بحبه ، ويغتنون في وصف جماله ، وكماله ، وجلاله ، إنما هو الذات الإلهية ، والحقيقة العلية ، أو يتبين لهذا السامع وذلك القارئ أن الحب ما هنا : إنما هو حب نبوي ، وأن المحبوب الذي يرنلون أناشيد حبه ، ويمددون أوصاف ذاته ، ويغضون في ذكر مناقبه وآثاره إنما هو النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أو هو النور المحمدي ، أو الحقيقة المحمدية .

وسم يصطنعون تارة أخرى أسلوب الإشارة والتلويح الذي يعتمدون فيه إلى الإغراب والغموض ، ويحولون فيه على المجازات والاستعارات والكنايات ، وما إلى هذا كله من ألوان الرمز الطفر الذي من شأنه أن يزيد الأمر خفاء ، فلا يكاد القارئ أو السامع يدري ماذا وراء هذه الألفاظ التي صيغت على هذا الوجه من أوجه الصياغة ، في هذا الضرب من الأسلوب .

وهل يعني الناظم أو الشاعر أن يقدم إلينا وصفا لحاله في طريق المحبة

(١) الدكتور : محمد مصطفى حلمي : الحب الإلهي في التصوف الإسلامي ص ٥ وما بعدها
بشركة دار القلم بمرسنة سنة ١٩٦٠ .

الإلهية ، وعرضا لمذهبهم في هذه المحبة الإلهية ، وما يتفرع عليها من مسائل لها خطرهما من التواحي النفسية والخلقية ، أو هو يرمز إلى مدح الحضرة النبوية والذات المحمدية على وجه يظهرنا - من خلاله - على منزلة محمد (صلى الله عليه وسلم) بين الرسل والأنبياء ، وعلى القيمة الروحية لحقيقته الوجودية بين حقائق الموجودات ، وعلى غير هذه وتلك من المسائل التصوفية ، أو الفلسفية التي تتصل - من قريب أو من بعيد - بحقيقة محمد ونبوته (عليه الصلاة والسلام) (١).

أسم أغراض الأدب الصوفي ومسامته :

ولعل ما يشير إلى سمة مجال الأدب الصوفي ، وتعدد أغراضه ، قسول بعض الكتاب : (٢) " إني نظرت في شجر الصوفية ... فوجدته بعد الاستقصاء ينحصر في :

الزهد والحكمة ، أو الوض والإرشاد ، ومدح الرسول (عليه الصلاة والسلام) وذكر الأئمة من الصحابة والتابعين وصالح المؤمنين ، والحنين إلى أرض نجد والعجاز بحامه ، والأماكن المقدسة بوجه خاص ... بالإضافة إلى " شجر الفل الإلهي ، وشجر الحقيقة المحمدية أو تنقل النور المحمدي (٣) ... "

ولمقابل أن يقول : إن كثيرا من هذه الأغراض قد وجد قبل وجـ... شجر الصوفي ، وهذا حق ، إلا أن الملاحظ على هذه الأغراض أنها لم تكمل صورتها ، ولم تمتو معانيها ، ولم تتم خصائصها الفنية إلا على أيدي الصوفية وخاصة في القرن السابع الهجري (٤) :

- (١) المرجع السابق يتصرف .
- (٢) الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري ص ٢١ باختصار .
- (٣) المرجع السابق ص ٢٢١ .
- (٤) المرجع السابق وهذا الحكيم من التصوف في الشعر الإسلامي ص ١ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٤ .

ولعل ما يوضح ذلك ، مدائح الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا
المصر - السابع الهجرى - إذ انقسمت فيه إلى قسمين من حيث المعنى والفرض :
الأول : تناول فيه الشعراء صفات النبي (صلى الله عليه وسلم) وأخلاقه ، وما تحلى
به من كرم الطبع ، ولطف الشائسل ، كما تحدثوا عن مهابة
الوحي ومنازل القرآن .

الثانى : تحدث فيه الشعراء عن حسب النبي ونسبه ، وروا طرفا من أخباره
وسيرته ، وقد غلب على القسمين توسلهم به (عليه الصلاة والسلام)^(١)

ولا شك في أن هذا كله يدل على أن المدائح النبوية لون من ألوان
الشعر الصوفى ، وغرض من أغراضه ، ولعل ما يؤكد ذلك قول بعض الباحثين -
وهو يتكلم عن المدائح النبوية - : " إنها باب كبير من أبواب الشعر الصوفى
، وقد قال فيه الشعراء على مختلف الصور الكثيرة ، وأجادوا إجادة بارعة
وإمامهم في ذلك هو البوصيرى صاحب البردة والهدوء " .^(٢) ولم يكف هذا
الباحث بتلك الإشارة ، بل قسم الشعر الصوفى ومراحل الزمنية إلى خمس مراحل
، وذكر أهم شعراء كل مرحلة ، كما ذكر أن المرحلة الرابعة تشمل القسرين
السابع الهجرى ، وفي ذلك القرن بلغ الشعر الصوفى قمة نهضته ، وظهر من
أعلامه ابن الفارض ، والبوصيرى . . .^(٣)

ومحد أن رئيسنا أهم أفكار الشعر الصوفى وأغراضه وسماته ، أحاول الوقوف
على مدى وجود هذه الأفكار وتلك السمات في بردة البوصيرى .

(١) الأدب الصوفى في مصر في القرن السابع الهجرى ص ٢١٢ .

(٢) دراسات في التصوف الإسلامى ج ٢ ص ١٠٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٩ وما بعدها باختصار .

١- رأينا أن المديح النبوى لون من ألوان الشعر الصوفى ، ولا خلاف فى أن البردة قد اشتملت على كثير من هذا المديح ، وخاصة تلك الأبيات التى أشارت إلى أن النبى (صلى الله عليه وسلم) سيد المخلوقات وأفضلها ، وأنه أبسر من وفى ، وأصدق من قال ، وهو الحبيب الذى فاق النبیین فى الخلق والخلق ، وأعلم والكرم ، وفى كثير من الصفات التى لم يشاركه فيها أحد ، وغتمها البوصيرى بقوله (١) :

أكرم بخلق نبى زانه خلُق
بالحسن مشتمل بالبشر متم

٢- رأينا أيضا أن الزهد فرض من أغراض الشعر الصوفى ، وقد أشارت البردة إلى هذا الفرض عندما ذكر البوصيرى قصة الجبال التى عرضت على النبى (صلى الله عليه وسلم) أن تكون له ذهباً فأبى ، وفضل أن يجوع يوماً فنعصر على قضاء الله ، وشبع يوماً فيشكر نعمة الله ، بدلاً من أن يصوم ويصوم الحرفين ، أليس فى تلك الإشارة دعوة إلى الزهد وخاصة إذا كان هذا الموقف موقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذى هو قدوتنا وأستسما ، بصرح القرآن الكريم : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ " الآية (٢) . وهنا هو ذاك قول البوصيرى (٣) :

وشد من شعباً حشاه وطوى
تحت الحجارة كشاً متراف الأدم

ورادته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فأراها أيما شمم

وإذا كان هذا شأن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) فأولى بمن آذوا به وأنهموه أن ينهجوا نهجه ، ويسلكوا طريقه ، فيزهدوا كما زهد ، وصبروا كما صبر .

٣- ولقد ذهب كثير من الباحثين إلى أن الصناجعة من الأغراض التى كساد الصوفية يكونون فرسان حلبتها ، وآباء عذرتها ، وأبناء بجدتها ، لأنهم

(١) انظر ص ١٣٢ من هذه الرسالة .

(٢) الأحزاب / ٢١ .

(٣) انظر ص ١١٤ من هذه الرسالة .

نمير عن إحسانهم الرقيقة ومشاعرهم السامية ، وحواسنهم الراقية ، وأرواحهم الصائبة ، وتلوهم المتصلة بنور الله (١) وإذا صح هذا القول فقد أخضاف دليلاً قوياً على أن البردة من الشعر الصوفي ، إذ وردت فيها المناجاة عندما قال البوصيري : (٢)

ياربوا جمل رجائي غير منعكس ••• لديك • واجمل حسابي غير مخزن
والطفه بمبدك في الدارين إن له ••• صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم

٤- ومن سمات الأدب الصوفي - كما ذكر بعض الكتاب - أنه يؤدي وظيفة حيوية في الحياة حيث يقوم بحمليةصالحة بين الناس وبين ما يلقاهم في حياتهم من مآس وفواجع ، وما يهجم عليهم من تصورات مهولة مفزعة لهذا المصير المجهول الذي سيصيرون إليه (٣) ••• فهو لذلك من الأدب المتفائل (٤) ••• الذي يبعد اليأس والقنوط من رحمة الله - عن الإنسان مهما أذنب ، وليس معنى ذلك أنه يدعو إلى الإكثار من الذنوب ، بل إنه يؤكد أن باب التوبة مفتوح لمن عصى ، وأسرف على نفسه ، ثم تاب وأناب ، وهذه دعوة من الله قبل أن تكون من الصوفية ، يقول الله تعالى : " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْنَ أَشْرَقُوا قَلِي أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " (٥) ولكن ألا ترى مدى تلك الدعوة في قول البوصيري (٦) :

يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت

إن الكبائر في التفسران كاللحم

لعمل رحمة ربى حين يقسمها

تأني على حساب المصيان في القسم

(١) مجلة الأزهر السنة ٣٦ (١٣٨٤ هـ) الجزء الثالث ص ٢٣٦ .

(٢) الظو ص ٢١٦ وما بعدها من هذه الرسالة .

(٣) عبد الكريم الخطيب : الجانب الإنساني في الأدب الصوفي ص ١٥ طبعة دار الثقافة العربية بدمشق سنة ١٩٦٦ .

(٤) مجلة الرسالة السنة ١١ (١٩٦٤) العدد ١٠٥٠ ص ١٤ .

(٥) الزمر / ٥٣ .

(٦) انظر ص ٢١١ من هذه الرسالة .

وإذا كان الشاعر قد بين سعة رحمة الله ، وكبير عقوه ، فإنه لم ينس
أن يحذر من التصادى فى المعصية ، أو الركون إلى الخطيئة ، فقال (١) :

فيا خسارة نفس فى تجارتها
لم تشتتر الدين بالدنيا ولم تسم
ومن يبع أجلا منه بحاجله
يعين له الفهن فى بيع وفى سلم

٥ - ولا يخفى " أن الأدب الصوفى قد عنى عناية كبيرة بالنفس والحديث عنها ، ولجأ
إلى أسلوب التحليل النفس الدقيق ، من حيث كان أعلام الأدب العربى يلجأون
إلى أسلوب الشرح العقلى وحده " (٢) - غالبا - ويكفى فى إثبات ذلك كثرة
الصوفية الذين تحدثوا كثيرا عن النفس وطباعها ، وأقسامها ، بل إن منهم
من ألف الكتب الخاصة بها ومنهم الإمام الفزالى (٣) ، الذى لم يقتصر
بالحديث عنها فى بعض كتبه (٤) فألف كتابه : " مدارج القدس نفسى
مدارج معرفة النفس " (٥) وكله يدور حول تعريف النفس وأنواعها ، وبيان
سلوكها ودورها ، وكان لا يفتأ يتحدث عنها ، واصفا دواها ، ومن ذلك
قوله (٦) : " ثم عليك يا طالب المبادئ - صمك الله وإيانا - بالحذر
من هذه النفس الأمارة بالسوء ، فإنها أضرا الأعداء ، وبللها أصعب
البلاء ، وعلاجها أفسر الأشياء ودواها أغضل الداء " . . . فإن قلت : فما
الحيلة . . . فى هذا المدو ، وما التدبير فى أمره ؟ . . . فالعلم . . . أن عليك
أن تلجمها بلجام التقوى واللوم . . . فإن قلت : إن هذه دابة جسم
وسهية صعبة شكة ، لا تقاد للجام . . . فالعلم أنك فيها صادق ، والحيلة
تذليلها حتى تقاد للجام ، قال علماؤها - رضى الله عنهم - إنما يذل
النفس ويكسر هواها ثلاثة أشياء :

- (١) المرجع السابق ص ٢٠٢
- (٢) دراسات فى التصوف الإسلامى ج ٢ ص ١٢٩ بتصرف .
- (٣) هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الفزالى المتوفى سنة ٥٥٥ هـ .
- (٤) انظر كتابه : إحياء علوم الدين ج ١ ص ٢١٣ إلى ص ١٤٣ طبعة دار الشعب
بمصر سنة ١٩٦٨ .
- (٥) سبقت الإشارة إلى هذا الكتاب فى هامش ص ٩٦ من هذه الرسالة .
- (٦) كتابه : منهاج العابدين ص ١٨ وما بعدها باختصار مطبعة عطايا بمصر سنة
سنة ١٩٥٤ .

أحدها : منح الشهوات - يقصد التقليل من الغذاء - فإن الدابة الحسنة
تلين إذا نقص من علفها .

ثانيها : حمل أثقال العبادات عليها ، فإن الحمار إذا زيد في حمله
مع النقصان من علفه تذلل وانقاد .

ثالثها : الاستمانة بالله عز وجل ، والتضرع إليه بأن يمينك وإلا فلا مخلص .
أما تسمع قول يوسف (عليه السلام) : " إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ
بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي " الآية (١) . فإذا وازنت على هذه
الأمور الثلاثة انقادت لك النفس الجعجعة بإذن الله (عز وجل)
، فتحبذ تبادر إلى أن تملكها وتلججها وتأمين شرها . . .

ويبدو أن البوصيري قد نظر إلى نواحي الإمام الفزالي عن النفس
وخاصة إلى قوله عنها " أعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك " وقد
خلقت أمارة بالسوء ، مائلة إلى الشر ، فرارة من الخير ، وأمرت بتزكيتها
وتقويمها ، وقودها بملاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ، ومنعها عن شهواتها
وفطامها عن لذاتها ، فإن أعطتها جمحت وشدت . . . (٢)
ألا ترى مدى هذه النصائح في قول البوصيري (٣) :

من لى برد جراح من غوايتها . . . كما يبرود جراح الخمل باللجم
فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها . . . إن الطعام يقوى شهوة النهم
والنفس كالطفل إن تهمله شب على

حب الرغاع وإن تطفمه ينفط . . .

ولا يخفى ما في النظم من نعت جميل ، وتمبير رائع ، بالإضافة إلى حكمته
الصادقة في قوله :

فأعترف هواها وحاذ أن تولم . . . إن الهوى ما تولى يصم أو يصم
وراعها وهي في الأعمال سائمة . . . وإن هي استعطت المرعى فلا تغم

(١) يوسف / ٥٣ .

(٢) إحياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٧٧٩

(٣) انظر ص ١٠٠ وما بعدها من هذه الرسالة .

ولقد تحدث البوصيري عن النفس ، وأشار إلى بعض غرائزها ، وكان راعيا في تلك الإشارة ، وذلك قول بعض الكتاب عنه : " إنه تناول الحديث عن النفس في عدة أبيات تصلح للدراسات النفسية ، يتناول فيها السدار من مسألة الفرائض وتربيتها ، والمعادات وتكوينها ، بما لا يقل في جملة عسـن الدراسات النفسية الحديثة .. (١) " .

١ - وإذا كانت سمات الأدب الصوفي السابقة تدور حول أغراضه وأفكاره ، فإنه يمتاز - أيضا - بقوة مغبوسة في الفاظه ومعاراته ، إذ تحتشد فيه كلمات الحب والهيام ، والهوى ولذاته ، والجحود والتكران .. (٢) " . ولا شك في أن البردة قد اشتملت على طرف من ذلك ، ويكفي دليلا على ذلك قول البوصيري (٣) :

لولا الهوى لم ترقد ممّا على ظلل

ولا أرت لذكر البان والمسلم

فكيف تنكر حبا بعدما شهدت

به عليك عدول الدمع والسقم

وأنت الوجد خطي عبرة وحسن

مثل البهار على خديك والمعتم

ومحمد .. فلم يكن من المستطاع أن أقول : إن في البردة أثرا للصوفية أم لا إلا بمحمد إلقاء الضوء على أهم سمات الأدب الصوفي كما ذكرها كثير من الكتاب والباحثين ، ثم بيان مدى وجود هذه السمات في البردة ومحمد هذا المرض الطويل يمكن أن أقول : إن في البردة أثرا للصوفية لا ينكر .

-
- (١) مجلة الرسالة : السنة ١٦ (١٩٤٨) العدد ٢٩٩ ص ١٢٠٨ .
 (٢) عبد الكريم الخطيب : الأدب الصوفي في مفهوم جديد ص ٢٩ بتصرف طبعة دار الثقافة العربية بـصر سنة ١٩٦٥ .
 (٣) انظر ص ٨٩ وما بعدها من هذه الرسالة .

٤ — أثر البردة في البديعيات :

ولقد كان للبردة أثر كبير في نشأة البديعيات^(١) ، أو على الأقل نسي كثرتها وانتشارها ، وتضح ذلك الأثر بعد جولة قصيرة معها ، تتضمن تعريفها والإشارة إلى بعض شعرائها ، والبديعيات (جمع بديعية) : وهي قصيدة من بحر البسيط ، تنتهي قافيتها بميم مكسورة الروي ، يشير فيها ناظمها إلى مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) — غالبا —^(٢) كما يضمن كل بيت من أبياتها لونا أو أكثر من ألوان البديع .

وهو أن أول بديعية — تحقق فيها الضابط السابق — هي بديعية صفى الدين الحلبي^(٣) ، ولذا حقه أن يقول عن نفسه : " إنه مخترع هذا الفن الشعري ... " ، وعلى هذا يرى كثير من الكتاب وأهمهم^(٤) ، ولكن بعض الباحثين ذهب إلى أن هذا القول خطأ ، لأن صفى الدين الحلبي قد سبق من نظم في البديعيات مثل السليمانى^(٥) ، إلا أنه يمكن أن أقول : إن صفى الدين الحلبي أول من نظم بديعية من بحر البسيط وتنتهى قافيتها بميم مكسورة الروي ، وأشار فيها إلى مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وضمن كل بيت من أبياتها لونا بديعيا أو أكثر ، بخلاف من سبقه ، فلم تكن بديعية من بحر البسيط ، ولا في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

(١) نسبة إلى علم البديع الذى هو أحد علوم البلاغة الثلاثة — البيان ، المعانى ،

البديع — وهو علم يعرف به وجوئتحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ، ووضوح الدلالة — انظر : التلخيص فى علوم البلاغة ص ٣٤٧ .

(٢) قلت : (غالبا) إشارة إلى ما نظم من قصائد في علم البديع يخالف هذا الضابط ، ومن ذلك قصيدة على بن عثمان السليمانى المتوفى سنة ٦٧٠ هـ — وهى من بحر الخفيف ، وتنتهى قافيتها بلام مكسورة الروي ، ونظمها في مدح بعض أصحابه . ومثلها :

بعض هذا الدلال والإدلال ... حالى الهجر والتجنيع عالى

انظر : فوات الوفيات ج ٢ ص ٤٦ ، الذكوة : أحمد موسى : الصبح البديعى ص ٣٧٧ . طبعة (دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بمصر سنة ١٩٦٩)

(٣) هو : عبد المنزى بن سرايا الملقب بصفى الدين الحلبي ، توفى سنة ٧٥٠ هـ — انظر الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٦٩ . (٤) كشف الظنون ج ١ ص ١٩٠ .

(٥) الوسيط في الأدب العربى وتاريخه ص ٣١٢ — الشاعر سليل المحدثين ص ١٠٥ .

(٦) سبقت الإشارة إلى بديعية هذا الشاعر أمام رقم : ٢ من هامش هذه الصفحة

ولعلها يشير الدهشة أن ظروف نظم هذه البديمية - بديمية الحل -
تشبه إلى حد كبير ظروف نظم برودة البوصيري ، بالإضافة إلى وحدة البحر
والقافية والفرص وإن زادت البديمية الاعتماد بالبديع ، يقول صفى الدين مينا
سبب نظم تلك البديمية : إنه أراد أن يؤلف كتابا يحيط بكل أنواع البديع
، فمرت له علة طالت مدتها ، واشتدت شدتها ، فاتفق أنه رأى في منامه
رسالة من النبي (صلى الله عليه وسلم) يتقاضاه المدح ، ويعدّه البرّ من
سقمه ، فعدل عن تأليف ذلك الكتاب إلى نظم قصيدة تجمع أشقات البديع ،
وتتطور بمدح مجده الرفيع ، فبلغت أبياتها خمسة وأربعين ومائة بيت ،
ومثلها (١) :

إن جئت سلما فعل عن جيرة الطم : وافر السلام على عربيدى سلم
ولقد سمعنا صفى الدين " الكافية البديمية في المدائح النبوية (٧) " ،
وقيل : سماها (الكافية البديمية) ، بل ولم يرض الكتاب أنه لم يسمها ، إلا أن
الشاعر قد شرح أبياتها ، ووضح غامضها في كتاب سماه (النتائج الإلهية لفسر
شرح الكافية البديمية) ، ولعل هذا يؤكد أن الشاعر قد سى القصيدة (الكافية
البديمية) كما شرحها بعض العلماء شرحا آخر سماه (الجوهر السنى لفسر
شرح بديمية الصفى) (٢) .

ولقد فتح صفى الدين الحلّى الباب لمن جاء بعده من الشعراء ، فسلخوا مسلكه
ونظموا قصائد كثيرة ، لم يمكن الوقوف على عددها ، والإحاطة بها ، وقد ذكر
بعض الباحثين أنه قد وقف على أربع وأربعين بديمية ، منها المشرح وغير المشرح
، ومنها المطبوع ، والمخطوط ، ومنها ما هو معروف ، وما هو غير المعروف (٣) .

-
- (١) كشف الظنون ج ١ ص ١٩٠ وما بعدها (و سلح) : جبل في المدينة .
(٢) المرجع السابق الدكتور شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٥٩ وما بعدها
دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ .
(٣) الصيغ البديمية ص ٣٨٠ ، المدائح النبوية ص : ١٠٦ وما
بعدها .
(٤) الصيغ البديمية ص ٣٨٥ .

ومن هذه البديعيات بديعية ابن جابر الأندلسي^(١) التي بلغ عدد أبياتها
سبعة وخشرين ومائة بيت ، واسمها : (الحلة السيرا في مدح خير البري^(٢)) وهرفت
ببديعية الصبان ، لأن ابن جابر كان أعشى ، ومطلعها^(٣) .

بطيبة انزل ويمم سيد الأمام وانثر له الدج وانشر طيبا للكم

ولقد شرحها صاحبه : أبو جعفر الأندلسي^(٤) ، وسبى ذلك الشرح (طراز
الحلة وشفاء الحلة^(٥)) .

ثم جاء بعد ابن جابر الأندلسي عز الدين الموصلي^(٦) ، الذي نظم
بديعية ، بلغ عدد أبياتها خمسة وأربعين ومائة بيت ، ومطلعها^(٧) :

براعة تستهل الدج في الملسم عبارة عن نداء المفرد العلم

ويبدو أنه متأثر في نظم بديعيته ببديعية صفى الدين الحلبي ، وما يؤكد
ذلك أنه سمى بديعيته (الفتح الألى ، في مطارحة الحلبي) ووضع لها شرحا
سماه (التوصل بالبديع إلى التوصل بالشفيع^(٨)) - صلى الله عليه وسلم .

ولعله أراد أن يثبت تفوقه على صفى الدين الحلبي ، فحمد إلى تصنيف البيت
لفظا ، يدل على المصطلح البديعي الذي اشتغل به . وكان صفى الدين
قد اكتفى بذكر المحسن البديعي أمام البيت أو بحذائه ، فأتى عز الدين ، وأدخل نسي
نسيج البيت ما يدل عليه ، وبذلك أودعها ثقلا شديدا على نحو ما ترى في هذا المطلع ،
فقله : (براعة تستهل الدج في العلم) يشير إلى براعة الاستهلال بقوله (براعة
تستهل . . .^(٩)) .

-
- (١) هو : أبو عبد الله محمد بن جابر الأندلسي توفي سنة ٧٨٠ هـ . (انظر الدرر الكامنة
ج ٣ ص ٣٣٩) . (٢) السيرا أصلها السيراء : أي المخططة أو التي خالطها خير .
(٣) المدائح النبوية ص ٢٠٥ . (٤) هو : أحمد بن يوسف بن مالك الرعيشي
الخرناطي الأندلسي توفي سنة ٧٧٩ هـ (كشف الظنون ج ١ ص ١٩٠) .
(٥) المرجع السابق . (٦) هو : عز الدين الموصلي المتوفى سنة ٧٨٩ هـ (انظر
الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٢) . (٧) الصبغ البديعي ص ٣٨٩ .
(٨) المرجع السابق ، الهلافة تطور وتاريخ ص ٣٦١ .
(٩) الهلافة تطور وتاريخ ص ٣٦٢ . براعة الاستهلال : أن يشتمل أول الكلام على سبيل
لإيقاف إلى المقصود . (زهر الريح ص ١٥٩) .

ثم أتى ابن حجة الحموى (١) - بعد عز الدين الموصلى - ونظم بديعية بلغ عدد أبياتها اثنين وأربعين ومائة بيت (٢) ، وظلمها :
لن فى ابتداءه حكم ياعربيدى سلم : براعة تستهل الدمع فى العلم (٣)

ولقد سمعنا (تقديم أبوبكر) وشرحها فى كتاب سماه (خزانة الأدب وغاية الأرب (٤) ويظهر أن ابن حجة قد تأثر فى بديعيته بمن سبقه ، يدل على ذلك أنه يتحدث عن بديعية صفى الدين الحللى ، وهز الدين الموصلى ، فيقول : ... وبديعية صفى الدين غزلها لا ينكر ، غير أنه لم يلتزم فيها تسمية النوع البديعى موى به من جنس الغزل ، ولو التزمه لتجافى عنه تلك الرقة ... ولما الشيخ عز الدين الموصلى ، فإنه لما التزم ذلك تحت من الجبال بيوتا ... (٥)

وعلى الرغم من وصفه بديعية عز الدين الموصلى بالثقل والتكلف ، فإنه قد تأثر بها إلى حد كبير ، ويدل على ذلك أن الشطر الثانى من مطلع بديعيته هو الشطر الأول من مطلع بديعية عز الدين وهو : (براعة تستهل الدمع فى العلم) أضف إلى ذلك أنه قد نظر إلى بديعية ابن جابر بعدل على هذا قوله : "إنى وقفت على بديعية الشيخ صفى الدين أبى عبد الله محمد بن جابر الأندلسى ، فوجدته قد صرح فى براعتها بمدح النبى (على الله عليه وسلم) وعلى :

بطلية انزل وسم سيد الأسمم : وانثر له الدوح وانشر طيب الكلام

فهذه البراعة ليس فيها إشارة تشمر بفرض الناظم وقصده ، بل أطلق التصريح ، ونشر المدح ، ونشر طيب الكلام ... وقُل من يملك هذا الطريق من أهل الأدب (٦) ...

ثم يذكر ما يدل على أنه قد نظر إلى بردة الهوصيرى فيقول (٧) :

-
- (١) هو : أبو المحاسن فى الدين أبوبكر بن حجة الحموى توفى سنة ٨٣٢ هـ (عذرات الذهب ج ٢ ص ٢١٩) .
(٢) كشف الثلثون ج ١ ص ١٩٠ .
(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها .
(٤) طبع هذا الكتاب مطبعة بولاق مصر سنة ١٢٩١ هـ .
(٥) خزانة الأدب ص ١٦ .
(٦) المرجع السابق ص ١٤ .
(٧) المرجع السابق الصفحة نفسها .

” ومطلع البودة - أيها - في هذا الباب من أحسن البراعات ، وهو :
 أمن تذكر جيران بندي سلم : مزجت دما جرى من مقله بدم
 فخرج دمه بدمه عند تذكر جيران بندي سلم - من أطف الإشارات
 إلى أن القصيدة نبوية ، وما أحلى ما قال بدمه .
 أم هبت الريح من تلقاء لاظمة : وأوض البرق في الظلام من إضام
 بل إنه ليؤكد أنه قد تأثر في نظم بديهيته بالبودة فيقول (١) :
 ” محمد : فهذه البديهة التي نسجت بها بدمه (صلى الله عليه وسلم)
 على خوال (طور البودة) .

ولم ينس ابن حجة أن يشير إلى بديهيته متبعا عليها بقوله :
 ” وأما براعة بديهيته ، فإنها ببركة مدوحها (صلى الله عليه وسلم) فوق
 هذه الصالح ، وقبلة هذا الكلام الجامع ، فإنني جمعت فيها بين براعة
 الاستهلال وعن الابتداء ، بالشروط المقرر لكل منهما ، وأبرزت تسمية نوعها
 البديهي في أحسن قوالب التورية ، وشتفت بأقراط غزلها الأسجاع ، مع حشمة الألفاظ
 وندوتها ، وعدم تجلج جنوبها عن مضاجع الرقة . . (٢) .

وإذا كان ابن حجة قد أشق على قصيدته ، فإن شرحها لم يقل شائعا عنها
 ولذلك قال عنه بعض الكتاب : ” والطريف أن ابن حجة قد حول شرحه لبديهيته
 إلى خزائنة أدب بكل ما تتضمنه هذه الكلمة من معنى ، إذ توسع في شرح الأمثلة
 والشواهد ، وخاصة لشعراء عصره ، والقرييين منهم في المصرا الأبي (٣) . . .
 و ” إن هذه الخزائنة أصدق مثل للأدب العربي في المصرا الملوكة ، فقد ضمت
 بين جوانحها جطة عظيمة من منظوم الكلام ومشوره ، يستطيع الباحث على ضوءها
 أن يحكم على هذا الأدب حكما صادقا ، فينظم نواحي القوة والضعف فيه (٤) .
 بذلك ” مجموع أدب قل أن يوجد في غيره ، ولعل مقتنه يستغنى عن غيره من الكتب
 الأدبية (٥) . . .

(١) المرجع السابق . الصفحة نفسها (٦) الدرج السابق ٩ ص ١٦ .

(٢) الهاتفة لظهور تاريخ ص ٣٦٣ .

(٣) الصبح البديهي ص ٣٩٦ .

(٤) كشف الظنون ج ١ ص ١٩٠ .

ولقد شغل الشمره بالبديعيات، يدل على ذلك أن بعضهم قد نظم
أكثر من بديعية ه مثل : عائشة الباعونية ^(١) التي نظمت بديعيتين ه وكذلك
عبد الفتى النابلسي ^(٢) ه له بديعيتان ه إحداهما تسمى : (ملهى البديع نسي
مدح الفصح) ^(٣) والثانية تسمى : (نسمات الأسفار في مدح النبي المختار)
— صلى الله عليه وسلم — ولقد شرحها في كتاب سماه (نفحات الأزهار على نسمات
الأسفار في مدح النبي المختار) ^(٤) — صلى الله عليه وسلم — .

وصا هو جدير بالذكر أن كل ما ذكرته من بديعيات قد ألف قبل المصـ
الحديث أما في العصر الحديث ^(٥) فلمل أهم بديعية هي قصيدة الشاعر
محمود صفوت الساعاتي ^(٦) التي بلغ عدد أبياتها اثنين وأربعين ومائة بيت على
غرار بديعية ابن حجة النعمان ^(٧) ومنظمها :

سبح الدمع لذكر الفصح والمسلم ... أبهى البراعة في استهلاله بدم

والملاحظ على هذه البديعية سهولة ألفاظها إلى حد ما ه كما تنطبق
في كثير من أبياتها بحدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثل قول الشاعر ^(٨)
أرجو تحفظه يوم المعاد كما ... ترجوه كل البرايا يوم حشرهم
وقوله ^(٩) :

- (١) هي : عائشة بنت يوسف بن أحمد الباعوني توفيت سنة ٩٢٥ هـ وقيل ٩٢٢ هـ .
انظر الأعلام ج ٤ ص ٦٠ .
- (٢) هو : عبد الفتى بن إسماعيل النابلسي . توفي سنة ١١٤٣ هـ .
- (٣) السبق البديعي ص ٤٥٥ .
- (٤) المرجع السابق ص ٤٥٦ .
- (٥) انظر ص ٦٦١ من هذه الرسالة حيث يوجد تاريخ بدء العصر الحديث .
- (٦) هو : محمود صفوت بن مصطفى أغا الممر وشب الساعاتي ه ولقد نظمها بالقاهرة وتقلب
في كثير من الوظائف إلى أن توفي سنة ١٨٨٠ انظر مقدمة ديوانه ص ٤٠ ، ملبحة
المعارف بمصر سنة ١٩١١ .
- (٧) ديوان الساعاتي ص : ٩٦ .
- (٨) المرجع السابق ص ١٠١ .
- (٩) المرجع السابق ص ١٠٨ .

لا مكتفى الممانى من شواردها
 إن لم أبر بمدح الصديق قسى
 من لم يكن بمدح خير الخلق عتسه
 فجمعة القول لم ينسب إلى الهيسم

وكذلك يصح بإضرابه عن مدح غير الرسول (على الله عليه وسلم) فيقول (١) :

أضربت عن كل مدح بمسند
 أرجو بحسن بياني في مدائحه
 حتى خير الرسل بل خير خلق الله كلهم
 تخلصا من عذاب دائم الأليم

قيمة الهدىميات :

ولقد اختلف الكتاب في قيمة هذه الهدىميات ، فمنهم من حمل عليها
 بقوله : " . . . " والذي نستطيع قوله مطمئنين إليه ، أن الحافظ الأول على هذه
 الهدىميات إنما عو الصفة الهدىمية ، أما المدح النبوي فقد دعت إليه معارضة
 البردة في غرضها ، ولذلك نراه مدحا صاعيا لا ربح فيه ولا قوة . . . (٢) .

ثم يؤكد ذلك بقوله : " . . . " وفي الحفان هذه الهدىميات منذ ولدت إلى
 أن قضت صناعة من الميث ، أضفت القمر ، وحدث قوته . . . وأوردت
 موارد للتكلف ، والتحمل الثقيل . . . (٣) الذي (أحال الكلام في الهدى
 ومحسناته إلى صورة غنة ضررها أكثر من نفعها . . . (٤)) .

ومن الكتاب من نظر إلى الهدىميات نظرة أخرى تظهر في قوله :
 " وهما قيل في هذه الهدىميات ، من أنها مكلفة ، وأنها ساقطة النظم
 عمرة الأسلوب ، رككة التركيب ، فهي على كل حال فن شعري جديد ، ولد وشب
 وترعرع في العصر السلوكي ، وغفل أذهان أدباء العربية حقبة من الزمان طويلة ،
 وأثرى العلم والأدب من ورائه ثروة لا يستهان بها ، وخاصة من شرح الهدى . . .
 وكانت هذه الشرح مظهر قدرة خاصة من علماء لهم قدم في علوم العربية وآدابها ،
 وفي شأيا الشرح ما يحمل من منافع طيبة في النحو والصرف واللغة والأدب والتاريخ (٥) .

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها (٢) الصبح الهدى ص ١٨٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٧٨ . (٤) البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٦٦ .

(٥) الدكتور محمد كامل النقي : دراسات في الأدب العربي ص ١٤٢ مطبعة عندي بمصر
 سنة ١٩٧٣ .

ومن ذلك يظهر لنا أن المدائح النبوية - وخاصة البردة - قد خدمت علوم الهدفة ، وكانت حائزا قويا على ناثيها ، ولقد كانت هذه البردة مصدر وحى .. لشعراء الهديميات الذين أرادوا أن يحاكيوا البوصيرى .. بقصائد على نمطه ، فاستحدثوا بذلك فى الأدب العربى هذا الفن الجديد المسمى (الهديميات) (١) أو على الأقل شاع هذا الفن وذاع ، وضا وترعرع ، وهم - أصحاب الهديميات - وإن لم يلحقوه - البوصيرى - فى جرالة اللفظ ، وجودة المعنى - لأنه كان مخلصا لمذمحه ، أما هم فقد استلهم الهديمى ، واستهوتهم الحلية - فقد أضافوا إلى الأدب العربى بحامة وإلى علم الهديمى بخاصة ثروة قيمة .. وحسبك أن تعلم أن شعراء الهديميات كثيرين ، وأن تعلم أنه ما من هديمية إلا تناولها النقاد والشرح بالشرح والبيان .

٥ - أثر البردة فى الشعر والشعراء :

وإذا كنا قد رأينا أثر البردة فى مجالات مختلفة ، فسيها نحن أولاء أمام أثر آخر ، وهو أثر البردة فى الشعر والشعراء .

والحق أن للبردة أثرا كبيرا فى الشعر والشعراء ، ويتضح ذلك من تصريح بعض الكتاب - الذين نظموا الشعر - بأن البردة كانت سببا من الأسباب التى دفعتهم إلى قرض الشعر ، بل كانت البردة أحد أسانذتهم فى نظم الشعر ، ومن هؤلاء الشعراء ، الشاعر عبد العلم القباني (٧) الذى يقول فى معرض حديثه عن البردة ، عندما سمعها تنشد فى مسجد البوصيرى بالإسكندرية بنجمة موسيقية جميلة : " .. وبما كان غذا الدرس الأول الذى تلقته نفسى طريقة نظم الشعر ، إذ تمودت بعد ذلك أن أنظم على نسق هذه النجمة أبياتا توشك أن تكون بلا معنى ، وإن كنت لا أخطئ فى وزنها ، الذى عرفت - فيما بعد - أنهم - المشتغلون بالشعر - يسمونه " البحر السمر " .

(١) المدائح النبوية من ٢٠٥ وما بعدها بتصرف . (٧) هو : عبد العلم محمد القباني المولود فى سنة ١٩١٨ بأحدى قرى محافظة كفر الشيخ ، حصل على الجائزة الأولى فى الشعر من وزارة المعارف سنة ١٩٤٨ ، وجازة الشعر الفنائى من الإذاعة المصرية سنة ١٩٤٩ ، ثم جائزة شوقى من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب سنة ١٩٦٥ على ديوانه المسمى (أشعار قومية) ، وله ديوان آخر بعنوان (بقايا سراب) طبعة دار المعارف بصر سنة ١٩٧٠ - كما نظم ملحمة الثورة العربية فى ثلاثة ألقبيت من الشعر الموزون =

البحر (١) ثم يقول في صراحة تامة لقد : كانت هذه القصيدة ... أحد
أساتذتي في نظم الشعر : (٢)

وانك لتعجب إذا رأيت كثرة هؤلاء الشعراء الذين أثرت فيهم السيرة
فقام بعضهم بتضمينها (٣) وأقرب مثال على ذلك تضمين لم يعرف قائله إلا
أن صاحب المدائح النبوية (٤) قال باسمه (الشيخ قاسم) وأوله :

(أمن تذكر) أو طان على علم أم من تغد جيران بذي سلم
(مزجت دما جرى) كالقطر منهمرا

يجرى على وجنة (من مقلدة بسدم)

كما قام بعضهم بتشطيرها (٥) ومن هؤلاء الذين شطروها الشيخ عبد القادر
الرافعي (٦) وأول تشطيره :

أمن تذكر جيران بذي سلم هجرت طيب الكرم ليلاً فلم تتم
أم من نيام ووجد في محبتهم مزجت دما جرى من مقلدة بسدم (٧)
ومن الشعراء من قام بتضمينها (٨) ومنهم الشاعر صبراً صرافعي

الحقى : وله عدة مؤلفات أدبية أخرى ، وآخرها (طه حسين في الشح من شهابه)
نشرته الهيئة المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٢٦ .

(١) البوصيري حياته وشعره ص ٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٥ .

(٣) التضمين : أن يأخذ الشاعر شيئاً من شعر غيره ، ويخلطه في شعره للتعبير عليه
إن لم يكن مسريفاً فقد أبلغناه (التلخيص في علوم البلاغة ص ٤٢٤ وما بعدها) .

(٤) ص ٢٠٠ .

(٥) التشطير : هو أن يزيد الشاعر على كل بيت من الأبيات المراد تشطيرها بيتاً من عنده
بحيث يأتي بشطرن من البيت الأصلي ثم يشطره هو . وهكذا مراعي اتحاد الوزن والقافية
والفرض .

(٦) هو : عبد القادر سعيد الرافعي الطرابلسي المتوفى سنة ١٨١٥ (الأعلام ج ٤
ص ١٦٥) .

(٧) عبد القادر الرافعي : نزل المراد في تشطير الحمزة والمجودة وانت سعاد ص ٧٩
ص ١٣٤٤ هـ .

(٨) التخميس : هو أن يزيد الشاعر على كل بيت من الأبيات المراد تخميسها ثلاثة أشطر
مراعي اتحاد الوزن والقافية والفرض .

السيد إبراهيم الموصلي (١) الذي سعى تخفيفه (تخفيف الشدة في تخفيف البرودة)
وأوله (٢) :

مالي أراك شجى القلب إذا ألم تنو إلى بارق من جانب الملمس
غريق فكلو ودمج مزجه بسدم أمن تذكر جيران بذي سلمس
مزجت دما جوى من قلة بسدم

ومن الشعراء من سبها (٣) وأقرب مثال لذلك ، هذا التسبيح الضعيف
إلى القاضي البيضاوى (٤) ، وقيل : لغيره (٥) ، وأوله (٦) :

الله يعلم ما في القلب من ألم ومن غرام بأعشائي ومن سقمس
على نراق فريق عن في الحرم فقلت لما هو دمي بمنسجمس
على المقيق عتيقا غير منسجمس أمن تذكر جيران بذي سلمس
مزجت دما جوى من قلة بسدم

كما قام بعض الشعراء بتفسيرها (٧) ، ويوجد لهذا النوع مثال واحد
مخطوط بدار الكتب المصرية (٨) ونظمه مجهول ، وإن كان بعض الكتاب يسميه إلى
شخص يدعى (محمد الخلوتى) ولم أشر له على ترجمة (٩) ونظمه :

(١) هو : السيد إبراهيم الحسينى الموصلى المتوفى سنة ١٩٦١ هـ ، انظر حياته فى
مقدمة (تخفيف الشدة فى تخفيف البرودة) ص ٥ مطبعة الحرية ببغداد سنة
١٩٦٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩ وما بعدها .

(٣) التسبيح : هو أن يزيد الشاعر على كل بيت من الأبيات المراد تسبيحها خمسة
أشطر ، مراعى اتحاد الوزن والقافية والخرص .

(٤) هو : عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى المعروف بالقاضى البيضاوى توفى سنة
٦٩٦ هـ .

(٥) المدائح النبوية ص ٢٠٢ .

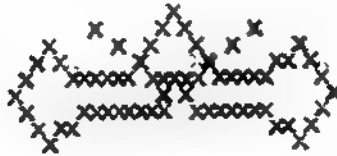
(٦) المرجع السابق . (٧) التفسير هو : أن يزيد الشاعر على كل بيت
من الأبيات المراد تفسيرها ثمانية أشطر مراعى الوزن والقافية والخرص .

(٨) انظر فهرست دار الكتب المصرية قسم الأدب ج ٣ ص ٤٩ وما بعدها تحت رقم ١٠٤
مجاميع (م) . (٩) المرجع السابق والمدائح النبوية ص ٢٠٢ .

الله يعلم ما فى القلب من ألم ومن غرام بأحشائي ومن قسم
على فراق فراق حل فى الحرم فقلت لما هوى دمى بمنسجس
على الحقيق عتيقا غير منسجس ما بال قلبك لا يتفك ذا السهم
مذ بان أهل الحمى والهان والحلم وانهل مدمعك القانسي بمنسجس
أمن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعا جرى من مقله بسدم

ولا يخفى أن صاحب هذا التعشير قد شأثر فى نظمه بالتخميس السابق ،
بل لقد أخذ التخميس كله وأضاف إليه ثلاثة أشعار من عنده بالإضافة إلى
بيت البردة .

إن غاية الشعراء بالبردة قد اتخذت صورا متعددة ، والوانا مختلفة ،
والأكثر قد أشرت إلى بعضها التمثل فى التضمين والتشطير والتخميس والتسبيح
والتعشير ، فسوف أتحدث عن لون آخر ، قد اتجه إليه شعراء كثيرين ،
مصريون وغير مصريين ، وهذا اللون هو معارضة البردة ، والحديث عن هؤلاء
الذين عارضوا البردة حديث جدد طويل ، ولذلك آثرت أن أفرد له الباب
التالى ، بل الأبواب التالية ، إن شاء الله .



المجلد الثاني

== ((ممارسات البردة في العصر الحديث)) ==

=====

((قبل فوقي))

((الفصل الأول :))

• الممارضة ودوائها =====

((الفصل الثاني :))

• العصر الحديث وأعم معالمه : =====

((الفصل الثالث :))

• ممارضا الدرويش والتمورية وأثرهما : =====



الفصل الأول

المحارضة ودوافعها

١- معنى المحارضة :

رأيت أن الحديث عن محارضات البردة يتطلب وقفة - ولو قصيرة - مع معنى المحارضة ، ونشأتها ، ومدى انتشارها في الشعر العربي ، والدوافع التي تجعل الشاعر أو الأديب يتجه إليها ، وقبل عليها .

ولقد نظرت في بعض كتب اللغة فوجدت أن المحارضة مصدر للفعل (عارض) وهذا الفعل في مدلوله اللغوي يشير إلى ممان كثيرة يظهر بعضها في قولك : عارض فلان الشيء بالشئ . محارضة أي قابله ، ومحارضة كتابي بكتابك أي قابلته ^(١) ، ومن ذلك ما روى عن السيدة فاطمة بنت الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، و (رضي الله عنها) أنها قالت : " أسرَّ إليَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) أن جبريل يحارضي القرآن كل سنة - مرة - وأنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلي " ^(٢) . وهذا يدل على أن جبريل (عليه السلام) كان يحارضي الرسول (صلى الله عليه وسلم) جميع ما نزل من القرآن من المحارضة بمعنى القابلة ، وتقول : عارض فلان فلانا في السير إذا سار حياله ، وعارض فلانا إذا جابه وهدل عنه ، وعارض الرجل الآخر بمثل صنعه ، إذا فعل مثل فعله ، وأتى إليه مثل ما أتى ، كما تقول : عارضة فمررت به ، أي قابلته في المحارضة فقابلته ، وتعارض الشاعران إذا فعلا مثل ذلك ، وشبه لفظ عارضه : باراه ، وساجله ، وفاخره ، ونحو ذلك ما يدل على المحارضة مطلقا ^(٣) ولملح قد وضع من ذلك كله أن المحارضة لفوا تدل على معان كثيرة ومنها مقابلة شئ بشئ ، ولإتيان بعمل يشابه عمل الآخر .

- (١) لسان العرب ج ٩ ص ٢٦ مادة (عرض) ، وشاح الصروس ج ٥ ص ٥١ المادة نفسها .
(٢) صحيح البخاري ج ٩ ص ٣٥ .
(٣) عيسى إسكندر المملوك : معارضات (ياليل الصب) ص ٢ وما بعدها - مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٢١ ، على النجدي : الدين والأخلاق في شعر شوقي ص ٢٤ مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٦٤ .

أما في اصطلاح الشعراء فهم : أن ينظم الشاعر قصيدة على مثال ما نظم
الآخر متنبها بالموضوع والبحر والقافية ، سواء وافقه في المعنى أم خالته (١) .

وعلى هذا ، لم تخرج المعارضة في معناها الاصطلاحي عن بعض معناها
اللفوي ، لأن في النظم على مثال ما نظم الآخر مقابلة عمل بحمل ، وفيه كذلك
مداورة ومتابعة ومباراة ، كما أن فيه اتجاهها إلى المحاكاة والمحاذاة (٢) .

٢- نشأة المعارضة وانتشارها في الشعر العربي :

ليس هناك تاريخ محدد لنشأة المعارضة في الشعر العربي وسندو
أنها ولدت مع الشعر العربي نفسه ، ولا أدل على ذلك من أنها وجدت في
العصر الجاهلي - حدد النقاد هذا العصر بخمسين ومائة سنة قبل الإسلام (٣) -
وأقرب مثال يؤكد ذلك ما ذكرته بعض كتب الأدب من أن علقمة الفحل (٤) وأمرؤ
القيس (٥) ، تذكرا الشعر يوما ، وأدعى كلاهما الفضل فيه ، فاتفقا على المعارضة
والاحتكام فيما يقولان إلى أم جندب - فج امرؤ القيس - واقترح علقمة أن يكون
وصف الفرس هو موضوع المعارضة ، فنظم امرؤ القيس قصيدة مظلما (٦) :
خليلي مرا بن علي أم جندب : لتقضى لبانات القواد المعذب

(١) معارضات (ياليل الصب) ص ٣ .

(٢) إبراهيم عواضين : المعارضة في شعر شوقي (رسالة ماجستير) ص ٢ وما
بعدها .

(٣) انظر : الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ص ١٠ .

(٤) هو : علقمة بن عدي بن النعمان بن قيس بن ربيعة بن مالك توفي سنة ٦٠٣ م (الأعلام
ج ٥ ص ٤٨) .

(٥) هو : جندب بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر توفي سنة ٦٠ م (تاريخ آداب
اللغة العربية ج ١ ص ٩٢) .

(٦) امرؤ القيس ديوانه ص ٢١ شرح السندوني . مطبعة الاستقامة بصر سنة ١٩٣٠ م
اللبنات : (جمع لبانة) وهي حاجة النفس ومطالبها ، ويرى (لنقصي
حاجات) بالنون بدل التاء .

وقال علقمة قصيدة مظلما : (١)

فلم تست من الهجران في غير مذهب

ولم يك حقا كل هذا التجنسب

فحكمت أم جندب لملقمة على زوجها ، فطلقها امرؤ القيس ، وتزوجها
علقمة ، ومن لهذا (علقمة الفحل) (٢) .

ويبدو أن هذه القصة قد زيد عليها ، إذ أشار إلى ذلك بعض النقاد
وضمهم الدكتور : السعدى فرهود (٣) بقوله بعد ما ذكر القصة السابقة : " . . . وإلى
هنا يمكن أن تكون الرواية مقبولة ، لأن المرأة العربية لها من سلفيتها
وفطرتها ما يهديها إلى الاستجادة والاحتشام ، بيد أن بعض الروايات يتزعم
على هذا القدر ، فيذكر أن أم جندب سألتها أن يتشداها شعرا على قافية
واحدة وروى واحد ، فلما أشداها وحكمت لملقمة ، راجعها امرؤ القيس
فقال له : إنك قلت في نفسك :

لللسوط ألهبوب وللماق درة . . . وللزجر منه وقع أخرج مذهب (٤)

فجهدت نفسك بسوطك في زجرك ، وريته فأتيت به ساقله ، وقال علقمة :
فأدركهن ثانيا من عنانسه . . . ثم كثر الراجح المتحسب (٥)

(١) المرجع السابق ص ٤٢ . وروى : (في كل مذهب) بدل (في غير مذهب) .

(٢) المصدا ج ١ ص ١٠٣ .

(٣) هو الدكتور : محمد السعدى عوض فرهود ، ولد في أول يناير سنة ١٩٢٣ ،
والتحق بالأزهر سنة ١٩٢٥ وظل به إلى أن تخرج من كلية اللغة العربية سنة
١٩٤٨ وكان أول دفعته ، حصل على درجة الماجستير سنة ١٩٥٨ ثم
الدكتوراه في الأدب العربي الحديث سنة ١٩٦٧ . وهو الآن أستاذ الأدب
العربي والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر .

(٤) ديوانه ص ٣٨ ، ألهبوب : الزجر بالسوط ، الدرة : الدفعة . الأخرج : ذكر
النعام مذهب : مصرع ، وروى (لللساق ألهبوب ولللسوط درة ، وللزجر منه وقع
أخرج) متحسب المرجع السابق : (٥) المرجع السابق ص ٤٧ .

فأدرك فرسه ثانيا من غنامه ، ولم يضربه بسوط ولم يتمبه ، فقال امرؤ القيس : ما هو بأشمر مني ، ولكك له عاشقة .

والرواية بهذه الصورة تحمل على الشك فيها ؛ لأن المصنف الجاهلي ما كان يصرف اصطلاح القافية والروى ، ومن هنا نرتاب في أمرنا . . . ولكن ما المانع من أن نفترض أن هذه الرواية — بهذه الصورة — تمثل المنطوق النقدي في عصر نال ، ولعله عصر أبي عبيدة (المتوفى سنة ٢٠٩ هـ) أول من روى القصة في هذا العصر . ولعل من روى القصة في هذا العصر تمسكوا بالنظر في القصيدة ، واجتهدوا في استنباط معبرات الحكم وأسبابه ، فوقفوا على البيتين في وصف الفرس ، وصوروا أم جندب وقفت قبلهم على البيتين ، وانصرفت عن سائر الأبيات ، فانصرفوا هم — أيضا — عن سائر الأبيات . . . إذ وجدوا الشاعرين اتفاقا في ألفاظها ، وعباراتهما ومعانيهما .

ومع هذا الافتراض نحس بأن التوفيق جانبهم جميعا — أم جندب ومن قصصا شخصيتها الناقدة — لأنهم فصلوا بيت امرؤ القيس عن البيت بعده :

فلسوط الهوب وللمساق درة وللزجر منه ربح أخرج مهذب
فأدرك لم يجهد ولم يشن شأوه يمر كخزوف الوليد المثقب (١)

فهذا البيت الثاني يدل على أن فرس امرؤ القيس أدرك القطيع . . لم يتمبه . . ولم يكرر شوطه ، وإنما أدرك القطيع من أول مرة ، وهو لا يبلغ ذاك إلا إذا كان نشيطا ذا سيج فهو بهذا لا يقل عن فرس علقمة إن لم يفقه والقصيدتان — بعد هذا — ألحق بما يسمى (المعارضة) وناط المعارضة هو حسن الأداء ، والمناسبة في الشلب (٢) .
وهما يكن من شيء ، فإن الشك في صحة هذه المعارضة لا يقلل

(١) الشار : الشوط الحميد . الخزوف : (بضم الخاء والراء) بينهما نال ما كنتم كعبة للصبيان يديرونها بسرعة حتى لا تكاد ترى لمعة دورانها .

(٢) الدكتور محمد السعدى فرهود : اتجاهات النقد الأدبي المصنف ص ١٢١ وما بعدهما — بتصرف — دار الطباعة المحمدية بمصر سنة ١٩٢٠ .

من قيمتها ، ولا يرد الاستشهاد بها ، فإن لم تكن حقا ، فقد صنمت على
نحو المعارضة كما كان يفهمها القدماء (١) .

وإذا كان الشك قد حام حول هذه المعارضة ، فيمكن تأكيد وجود
المعارضة في العصر الجاهلي إذا نظرنا إلى قصيدة أمية بن أبي الصلت (٢)
التي مطلعها :

عرفت الدار قد أقوت منينا . . . لزنب إذ يحل بها قطينا (٣)
وقصيدة عمرو بن كلثوم (٤) التي أولها :

ألا هي بصحنك فأصبحنا . . . ولا تبقى خمرا الأندرينا (٥)

إذا انتفتت القصيدتان في البحر - هما من بحر الوافر - والروى ، والفرض
، وعلى هذا فضايط المعارضة ينطبق عليهما ، بل إن فيهما آياتا اتحدت
ومانيهما ، وكانت تتحد ألفاظها مثل قول عمرو :

وقد علم القبائل غير فخر	إذا قيب بأبطحها بنينا
بأنا الماصون إذا أطمنا	وأنا المارمون إذا عصنا
وأنا النعمون إذا قدرنا	وأنا المهلكون إذا أتينا
وأنا الحاكمون بما أردنا	وأنا النازلون بحيث شينا

إلى أن يقول :

وأنا النازلون بكل فخر	يخاف النازلون به النوننا
-----------------------	--------------------------

وقول أمية :

وتخبرك القبائل من معبد	إذا عدوا صلبة أولينا
بأنا النازلون بكل فخر	وأنا الضاربون إذا التينا

-
- (١) الدين والأخلاق في شعر شوقي ص ٣٥ .
(٢) هو : أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي توفي سنة ٦٢٤ م (تاريخ
أدب الأئمة العرب ج ١ ص ١٢٦) .
(٣) حمزة أشعار العرب ص ٢١١ وما بعدها ، ويرى (تحل) بالناء .
(٤) سفيان الثوري في هامش ص ١٩٠ من هذه الرسالة .
(٥) حمزة أشعار العرب ص ١٥٧ ، ومحمد سيد كيلاني : مختار الشعر الجاهلي ج ٢
ص ٣٦٠ وما بعدها مطبعة الخليل بمصر سنة ١٩٢٠ .

وأنا المائمون إذا أردنا	وأنا العاطفون إذا دهمنا
وأنا الحاملون إذا آتخت	خطوب في المشيرة تهليلنا
وأنا الرافعون على مصد	أكفا في المكارم ما بقينا

ولقد انتشرت المعارضة في الأدب العربي على مدى عصوره المختلفة من
المصر الجاهلي - كما سبق - إلى العصر الحديث، والآن مثله الآتية تؤكد
ذلك :

ففي عصر صدر الإسلام - يبدأ هذا العصر بظهور الإسلام - وينتهي
سنة ٤٠ هـ (١) - ظهرت المعارضة، وخاصة عندما ظهر الصراع بين المسلمين
والمشركين، ومن ذلك ما روي أن وقد تعيم قدم على الرسول (صلى الله عليه
وسلم) - بعد فتح مكة - وقالوا يا محمد : جئتاك لتفاخر بك، فأذن لشاعرنا
وخطيبنا فقال لهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) : قد أذنت نقام الزبرقان
ابن بدر، وقال : قصيدة مظلما :

نحن الكرام فدحى يحادلنا : : : : : لنا الملوك وفيما يقسم الربع
فأرسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) رسولا إلى حسان بن ثابت - وكان
غائبا - فلما أتى قال حسان :
فلما انتهت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - قام شاعر القيسوم
فقال ما قال : عرضت في قوله : وقلت على نحو ما قال : وكان ما قاله حسان
قصيدته التي مظلما :

إن الذوائب من فخر وإخوانهم : : : : : قد بينوا سنة للناس تنبع (٢)

ولعل اتحاد القصيدتين في الوزن والقافية والغرض يدل على وجود المعارضة
في هذا العصر، وقد يقال : إن هذا المثال يدل على وجود المناقضة
لا المعارضة، فأجيب بأن المناقضة معارضة وزائدة إذ هي في الأصل : أن يتجه
شاعر إلى آخر بقصيدة هاجيا أو مفتخرا، فيعمد الآخر إلى الرد عليه - هاجيا

(١) الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ص ١٠.

(٢) انظر ص ١١ من هذه الرسالة.

أو مفتخرا - بقصيدة ملتزما فيها البحر والقافية التي اختارها الأول (١) ،
فالمناقضة - إذن - تشترك مع المعارضة في الاعتماد - غالبا - على وحيدة
البحر والقافية والموضوع ، ثم تتميز المناقضة بأن صاحبها ينقض ما قاله صاحبه
- أى يطله - ورد عليه ما ادعاه ، بل ذهب بعض الكتاب إلى أنها نوع
من المعارضة (٢)

وهما يكن من شيء فإن المعارضة قد وجدت في هذا العصر ، ويؤكد
ذلك قول ابن رشيقي (٣) : (ولما أرادت قريش معارضة القرآن الكريم ، عكس
فصاحتهم - الذين تماطوا ذلك - على لباب البر ، وسلاف الخمر ، ولحسوم
الضأن والخلوة .. إلى أن بلغوا مجهودهم ، فلما سمعوا قول الله عز وجل :
" وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَالَكِ وَيَا سَاءَ أَقْلِمٌ وَغِيصَ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَامْتَوَتْ عَلَى
الْجُودَى وَقِيلَ بُعْثَا لِقَوْمٍ الظَّالِمِينَ (٤) " يثمروا ما طعموا فيه وعلما أنه ليس
بكلام مخلوق (٥) .

وفي العصر الأموي - يبدأ هذا العصر من سنة ٤١ هـ إلى سنة ١٣٢ هـ (٦)
دامت المناقضة وشاعت - بسبب سياسة الدولة الأموية التي لعبت دورا كبيرا
في انتشار هذا اللون من الشعر (٧) وخاصة مناقضة جرير والفرزدق (٨) وكانت
شهرة مناقضتهما سببا في اعتقاد بعض الناس أن المناقضة قد نشأت على
يديهما في هذا العصر - وهذا يخالف الحقيقة إذ سبق أن أشرت إلى وجود
مثل هذا اللون في عصر صدر الإسلام ، وإن لم يكن متفصلا كما في هذا العصر .

-
- (١) أحمد الشايب : تاريخ النقائض في الشعر العربي ص ٢ وما بعدها ، مكتبة النهضة
المصرية (غير مؤرخ)
(٢) الدين والأخلاق في شعر شوقي ص ٣٦ .
(٣) الممددة ج ١ ص ٢١١ .
(٤) هود / ٤٤ .
(٥) الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ص ١٠ .
(٦) تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٢٢٩ وما بعدها ، والتطور والتجديد في
الشعر الأموي ص ١٢٠ وما بعدها .
(٧) سبق التفريد بالفرزدق في هامش ص ١٨ من هذه الرسالة ، وجرير هو : جرير بن
عطية بن الخطف من كلبين يربيع ، شاعر معروف توفي سنة ١١٠ هـ (تاريخ آداب اللغة
العربية ج ١ ص ٢٤٢) .

وسهما يكن من شيء . فليس معنى شهرة المناقضة — التي هي معارضة وزيادة
كساً منيراً — في هذا المقصر ، أنه قد خلى من الممارسة المستقلة ، لا ،
لقد وجدت المعارضة بجانب المناقضة ، وأقرب دليل على ذلك ، ما روى أن عمر
ابن أبي ربيعة (١) ، وجميل بن عبد الله المذرى (٢) اجتمعا باليمن بطرس ،
فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها (٣) :

لقد فرح الواثون أن صرمت جملتي
بثينة أو أبدت لنا جانب الخسل
يقولون : مهلاً يا جميل ، وإنسني
لأنهم مالى عن بثينة عن مهمل

حتى أتى على آخرها ، ثم قال لعمري : يا أبا الخطاب ، هل قلت في هذا
الروي شيئاً ؟

قال : نعم ، ثم أنشده قوله (٤) :

جری ناصح بالود بيني وبينها	فقرني يوم الحصاب إلى قلبى
فلارت بحد من فؤادي ونازعت	قربت بها حبل الصفا إلى حبلى
فما أنسى ملائمتها إلا أنسى موافقى	وموقفها يوماً بقارة النخسل
فلما تواقفنا عرفت الذى يهبها	كمثل الذى هو حدوك النحل بالنحل

وعندما انتهى من إنشاده ، قال له جميل : شبيهات يا أبا الخطاب ، لا
أقول والله مثل هذا سجين الليل ، والله ما خاطب النساء ، مخاطبتك أحد
وقام مشيراً (٥) .

وبما أن هذه الرواية اتحاد النظمين في الوزن — بحر الطويل — والسروى
والفرض ، وهذا يؤكد وجود المعارضة بجانب المناقضة في المصراع الأسمى .

- (١) سبق التعريف به في تلميح ص ٩٠ من هذه الرسالة .
(٢) هو : جميل بن عبد الله بن مضر المذرى عرف بحبه (بثينة) ابنة عمه ، وقال
فيها شعراً كثيراً ، توفي سنة ٨٢ هـ . (٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤٠٢ .
(٤) للمرجع السابق ص ٤٠٤ . (٥) المرجع السابق ص ٤٠٧ .

وجدت الممارسة أيضا في مصر المباشي (يبدأ هذا المصن من سنة ١٢٢ هـ إلى سنة ٦٥ هـ) (١) وما يدل على ذلك ما روي أن محمد بن عبد الملك (٢) استخفا من حساب أبيه تمام (٣) واحتج عليه بأنه قد مدح غيره ، فقال له (٤) :

رأيتك مع الهج سهلا ، وإنما
يخالي إذا ما ضنّ بالشء باسمه
فأما الذي هانت بضائع بهيمته
فروشك أن تنق عليه بضائمه
فكتب إليه أبو تمام قصيدة ٠٠ ومنها (٥) :

أبا جعفر إن كنت أصبحت شاعرا
أماهل في بهي له من أبيهم
نقد كنت قبلي شاعرا ذا روية
تاهل من هانت عليه بضائمه

فواضح ما في النظمين من اتحاد الوزن والقافية والفرص مط يسدل
على وجود الممارسة في ذلك المصن .

أما في المصن المملوكي (يبدأ من سنة ٦٥٦ هـ إلى سنة ٩٢٣ هـ) (٦) فقد
كثرت فيه الممارسة ، وإن انست بالضعف نظرا لتضويع القرائح ، وهدم القدرة
على الابتكار (٧) . ولعل خير دليل على ذلك ، تلك القصائد التي تسمى

-
- (١) الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ص ١٠ .
 - (٢) هو / أبو جعفر محمد بن عبد الملك المعروف بابن الزيات توفي سنة ٢٣٢ هـ .
(وفیات الأعيان ج ٤ ص ١٨٢) .
 - (٣) هو : حبيب بن أوس الطائي شاعر معروف توفي سنة ٢٣١ هـ . الأعلام ج ٢ ص ١٧٠ .
 - (٤) يوسف الهمداني : نبهة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام ص ٧٦ - نشر وتحقيق محمود مصطفى مطبعة القاخرة سنة ١٩٣٤ .
 - (٥) المرجع السابق الصفحة نفسها .
 - (٦) الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ص ١٠ .
 - (٧) انظر ص ٤٢ من هذه الرسالة .

(الهديميات) (١) ولكن هذا لا يمنع من وجود معارضات لا بأس بها مشتمل
معارضة الهوصيرى قصيدة (بانت سعاد) بقصيدته التي أطلق عليها اسم
(نذر المعاد في وزن بانت سعاد) ومظلمها (٢) :

إلى متى أنت بالذات مشغول ••• وأنت عن كل ما قدمت مشغول
ولقد أكد الهوصيرى تلك المعارضة بقوله عن تلك القصيدة :

لم أنتحلها ولم أقصبعمانيتها ••• وغير مدحك مقصوب ومضجول
وما على قول (كعباً أن توارتبه) ••• فهما وازن الدر الماثقل

وكذلك لم يخل المصر المثنائي (يبدأ من سنة ١٢٢٣ هـ إلى سنة ١٢١٣ هـ) (٣)
من المعارضة ، وأقرب مثال لذلك ، معارضة السيدة عائشة الهاشمية (٤) بمرودة
الهوصيرى ، وضماً قولها تتحدث عن الرسول (على الله عليه وسلم) (٥) :

أعظم به من نبي مرسل نزلت

في مدحه محكم الآيات من حكم
أعظم به من نبي سيد سجد ••• هاد سراج خير صفوة القدم
بالحق مشغول ، في الخلق مكتمل

بالبر محتشم ، بالبر ملتزم
جمال صورته عنوان سيرته ••• هذا بديع وهدي آية الأسم
ثم تختم قصيدتها بقولها :

يا أكرم الرسل سألني فيك غير خف ••• وأنت أكرم من يدعو إلى الكرم
حسبي بحبك أن المراء يحشر مع ••• أحبائه فهنأني غير منحشم
مدحت مجدك والإخلاص ملتزمي ••• فبه وخمن اقتداحي فبك مختص

-
- (١) انظر ص ٢٢٢ من هذه الرسالة .
(٢) المرجع السابق ص ٦٥ .
(٣) الوسيط في الأدب بالعصرين وتاريخه ص ١٠ .
(٤) سبق التعريف بها في هامش ص ٢٣٨ من هذه الرسالة .
(٥) عائشة الهاشمية : مولد النبي - ص ٤٧ وما بعدها ، المطبعة الحنفية بدمشق
سنة ١٢٠١ هـ .

أما في العصر الحديث فقد وجدت فيه معارضات كثيرة ، وسوف أتحدث
عن بعضها إن شاء الله في الفصل الثالث من هذا الباب وما يليه من أبواب .

٣ - دوافع الممارسة :

للممارسة دوافع كثيرة ، أشار بعض الكتاب إلى أن أهمها :
" الإعجاب والغربة ، والاستمالة ، والتحدى ، والاستجابة ،
والتعلمية " (١) .

أ - الإعجاب :

ولكني أرى أن الإعجاب والغربة والاستجابة ما هي إلا خطوات لمعامل
واحد هو الإعجاب ، لأنك إذا رأيت شخصا قد بلغ مرتبة عالية بين أقرانه ،
وحاز قصب السبق بين ذوي ، (أعجبت به) ، والذي حرك فيك هذا
الإحساس كونه (غريبا) وسط أئله ، وتبزه منهم بهذا العمل الذي بلغ
فيه مهلتا لم يبلغه سواه ، وتكون النتيجة الطبيعية لهذا الإعجاب أنك
تحاول أن تتروى خطاه وتتهج نهجه ، لملك تصل إلى ما وصل إليه (وهذه
هي الاستجابة) .

وبالمثل إذا نظم الشاعر قصيدة جيدة ، ولاقت ذيوها وانتشارا ، أعجب
بها شاعر آخر - لكونها غريدة في نوعها ، غريبة بين أمثالها - وهذا الإعجاب
يولد في نفسه محاولة الإتيان بشئها ، والنظم على منوالها .

ومن البدهي أنه ليس يلزم أن تتحقق تلك الخطوات - الغربة والإعجاب
والاستجابة - عند جميع الناس ، فقد يقف بعضهم عند مرحلة الإعجاب فقط ،
لكنه ليس بشاعر ، وشئ هذا يكفي بحفظها أو الإعادة بها ، وهذا ما أشار
إليه بعض الشاب بقوله : (٢) " وأنتم تعلمون أن من أهم الأسباب للإنتاج

(١) الممارسة في شعر شوقي ص ٢ بتصرف .

(٢) الدكتور طه حسين : من حديث الشعر والنثر ص ٢١ وما بعدها مطبوعة الصاوي
بمصر سنة ١٩٢٦ م ، ولاحظ أن لفظ (الإنتاج) لم يرد في معاجم اللغة
والصواب (نتاج) .

الأدبى على المحاكاة ، فإذا قال الشاعر الطبع قصيدة وأعجب الناس بها ، فضعف من بروجها ، وضعف من لا يكتفى بهذه اللغة ، بل يحاول أن يحاكيها ، وإنى بأمثالها ، وعلى هذا النحو ينتج الشعر ، ويكون للشعراء تلاميذ ، ويقلدون . . . ويؤكد ذلك كاتب آخر بقوله : " والفراية فى حد ذاتها . . . تعد من أهم عوامل الإعجاب بالفن الأدبى ، وجذب الانتباه إليه . . . وقد تكون غرابة الفكرة أو المبالغة من أسباب تقليدها . . . " (١) .

وقد يكون الإعجاب بالمعمل الأدبى نصيب ، وقد يكون الإعجاب بالشاعر ذاته ، وقد يكون بهما معا ، ويلاحظ أن الإعجاب - غالبا - يكون من الأدنى للأعلى ، ومن الناس ، للذائع الصيت ، ولعل ما يؤكد ذلك قول بعض النقاد : " . . . إن شخصية المقلد - ينفع اللام مشددة - أو شخصية الأصيل ، ذات أثر كبير فى تتبع الأدباء آثاره ، واحتذائهم عمله ، وشيوع مذهبهم ، فقد يجيد الأدبى فى ناحية من النواحي ، أو ينجح فى موقف من المواقف ، فتكون تلك الإجابة وذلك النجاح سببا من أسباب الإعجاب بشخصه وفنه ، فيحشد كثير من التبعين إلى تقليده ، حتى يظفروا بالنجاح الذى ظفر به ، وأنت تشاهد هذا فيما تراه من بعض الشعراء أو الخطباء أو الكتاب ، بما يصدقون إليه من تقليد ذلك الأدبى فى موقفه وفى حركاته وإشارات - بل فى نبرات صوته ومخارج حروفه ، وضعف من يحفظ نقفا من جملة وتراكيبه ، ويتألمه فى لوائمه ، ويتأثر بأسلوبه ومذهبه . . . وليس هذا إلا أثرا من آثار الإعجاب بالشاعر أو الخطيب أو الكاتب . . . " (٢) .

ولعل من خير الأمثلة على ذلك قصيدة كمب بن زهير التى مدح بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) (٣) ، إذ أعجب بها كثير من الشعراء ، لفرايضها فى عهدهما من جهة ، ولما حازته من قبول عند الرسول (صلى الله عليه وسلم) من جهة ثانية ، يدل على ذلك - قبول الرسول - أمران : الأول : أنسبه

(١) الدكتور بدى طبانة : السرقات الأدبية ص ١٠٩ بتصرف ، مكتبة نهضة مصر نسخة ١٩٥٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٢ وما بعدها باختصار .

(٣) انظر ص ٨ من هذه الرسالة .

(صلى الله عليه وسلم) قد أشار إلى الحاضرين من أصحابه : " أن اسموا ... " .
 الثانى : أنه قد أهدى إليه برده (١) .

وكل ذلك قد دفع كثيراً من الشمراء لمارضتها ، والنظم على خوالها (٢)
 ومن تلك الممارضات معارضة البوصيرى ، التى سبقت الإشارة إليها (٣) .

ب - التحدى :

وإذا كان الدافع الأول للمعارضة هو الإعجاب كما سبق - فإن التحدى هو الدافع الثانى الذى لا يقل شأنًا عن سابقه ؛ لأن التحدى أو المفاهسة من المعانى التى تبدل عليها المعارضة ، كما أنها من سمات الكائن الحى ، إذ الحياة تمنى الحركة ، والحركة - فى ذاتها - تحد ومفالبة فى مواجهة السكون ، ومن ثم كان التحدى والمفالبة فى الشعر أمراً طبيعياً (٤) لأن الإنسان بطبعه وما فطر عليه ميل إلى السباق ، نزاع إلى الجارة والمباراة وما دامت له آمال تحسب ، وألحاح تتحفز ، وأمانى تمتد هنا وهناك ، فلا يهد من صراع ونزاع ومواربة ، وتلك فطرة لا يشف عنها إلا خامد الطبع ، جامد الإحساس ، بل إن الشذوذ عن تلك الفطرة يكاد يكون انسلخاً عن أقصى مميزات الإنسانية (٥) .

ويتأكد التحدى إذا اختلف الشاعران على سبق فى الصياغة ، وتنازعا فيه ، وأدعى كلاهما الاستثثار بيمينه ومن الآخر ، فتكون الممارسة - حينئذ - بمثابة امتحان الصابئة ، وميزان المفاضلة ، والفصل فى النزاع (٦) ، ولعل أقرب

-
- (١) المرجع السابق ص ٩٠ .
 - (٢) المجموعة النبهانية ج ٣ ص ٨ وما بعدها .
 - (٣) انظر ص ٢٥٤ من هذه الرسالة .
 - (٤) المعارضة فى شعر شوقي ص ١٣ .
 - (٥) الدكتور ، صادق خطاب : الشعر فى العصر الحاضر وأثر البارودى فيه (رسالة دكتوراه) ص ٢٨ وما بعدها .
 - (٦) الدين والأخلاق فى شعر شوقي ص ٣٤ .

مثال لذلك ما سبقت الإشارة إليه من قصة علقمة الفحل وامرئ القيس (١).

جـ - الاستعانة :

أما الممارسة بدافع الاستعانة فهي عمل " يخرج على النظرة البشرية ؛ لأن الإنسان يمتاز عن الكائنات الأخرى بأنه يبدأ من حيث انتهت سابقوه ، ومن ثم فاللاحق لابد من أن يستعين بالسابق في عمله ، وهذا هو التقليد في الأدب ، وللشعراء في جميع عصور الأدب تلاميذ يتابعون أسانديهم بالرواية أو بالناسخ أو بهما معا (٢) .

ولعل منهج العرب في نشر الشعر وإذاعته ومدارسته ، ساعد على ذلك ، إن لم يدفع إليه محض به ، فقد كان لكل شاعر رواية يذيع شعره ، أو يذيعه " ويستعين به في شعره متى قال شعرا ، وأقرب مثال لذلك ما فعله زهير بن أبي سلمى مع أوس بن حجر (٣) أستاذة ، فقد تابع زهير أستاذة ، واحتذاه في كثير من أشعاره وأقرأ إن شئت قصيدة أوس التي مطلعها (٤) :

تكونت مني بعد معرفة لمي ... وحد القصاب والشباب المكرم

فهم أقرأ معلقة زهير التي مطلعها (٥) :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم ... بحومنة للدراج فالمتكلم

لتصرف إلى أي مدى تأثر زهير في معلقته بأستاذة أوس (٦) ، ويؤكد ذلك بعض الكتاب يقولون : " فكان الناصبي ، الموصوف بتسلق الأديب أشد تعلق ، حتى إنسه لا يكاد يفارق منه ، ليتلقى منه كل ما ينتج ، وهذا الناصبي ، بعمله ذلك ، إنما

(١) انظر ص ٢٤٦ من هذه الرسالة .

(٢) الدكتور : طه حسين : في الأدب الجاسلي ص ٣١٤ طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٧ م .

(٣) أبو : أوس بن حجر بن مالك التميمي من فحول الشعراء الجاسليين توفي نحو ٦٢٠ م (الأعلام ج ١ ص ١٣٣) .

(٤) أوس بن حجر : ديوانه ص ١١٢ تحقيق الدكتور / محمد نجم طبعة دار صادر بيروت سنة ١٩٦٠ م .

(٥) ديوان زهير : ص ٤١ والدراج والمتكلم : هو عثمان بهلاد الحجاز .

(٦) المعارف في شعر شوقي ص ١٠ وما بعد .

يخذى موهبته الأدبية ، ونفى مقدرتها ، حتى يتكامل نوعها ، ويتم نضجها ، وجانب هذه الفائدة الشخصية التى يحققها لنفسه ، كان يحفظ هذه الآثار ويصونها من الضياع ، ويحمل على نشرها ، وإذاعتها بمداومة مدارستها وتكرارها ومن ثم نشأت السلاسل الشعرية فى كثير من القبائل مثل : سلسلة أوس بن حجر الذى كان زوجاً لأم زهير بن أبى سلمى ، فنشأ هذا راجعاً لأوس ، وعن زهير أخذ ابنه كعب (١)

وقد تأنى الاستمانة - أيضاً - إذا مرت بالشاعر تجربة جديدة ، وأراد - التعبير عنها - فيلجأ إلى شاعر سابق ، مرت به التجربة نفسها ، فيستعين به فى نظم قصيدة يشبه تجربته ، ولكنه يستعير من سابقه ما يحتاج إليه فى الصريح ، أو فى الأفكار والأخيلة ولعل أقرب مثال يوضح ذلك سينية شرقى (٢) التى مظلّمها :

اختلاف النهار والليل يُنسى
أذكرا لى الصبا وأيام أنسى (٣)

إذ عارض بها سينية البحتري (٤) التى مظلّمها :

صُت نفسى عما يُدنس نفسى
وترقمت عن جِدا كل جِسى (٥)

فإذا قرأت القصيدتين ، رأيت استمانة شرقى واضحة لائحة ، على الرغم من أن بعض الكتاب يزعم أن الذى دفع شرقى إلى تلك المعارضة هو الإعجاب ، فيقول : ولم تقتصر (الممارضات) أو التقليد الذى كان مهمته الإعجاب على الشعراء الضعفاء أو الشعراء المتوسطين ، بل تجاوزهم إلى المشهورين بين الناس بالقوة والفحولة والقدرة على الإبداع ، وشمل القديم كما شمل الحديث ،

(١) الدكتور على الجندى : تاريخ الأدب بالجاملى ج ١ ص ١٦٨ الطبعة الثالثة ، مكتبة

الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٩ م .

(٢) سمانى التصريف به فى الفصل الأول من الباب الخامس من هذه الرسالة .

(٣) أحمد شرقى ديوانه الشوقيات ج ٢ ص ٥٥٤ المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٩٤٨ .

(٤) هو : أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى شاعر عباسى معروف توفى سنة ٢٨٤ هـ

(الأعلام ج ٩ ص ١٤١) .

(٥) ديوانه ج ١ ص ١٠٨ مطبعة الجواثى بالقسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ - جدا : (بفتح

أوله) : عطا . جِسى : (بكسر فسكون) لثيم . (٦) السرقات الأدبية ص ١٠٣

فشوقى ومزلاته بهن (المعاصرين) من الشعراء معروفه ، يرجع إلى العصر المباسى
نيقراً سنية البحترى المشهورة . . . فيصوغ على وزنها ورونها أندلسيته . . .

ومهما يكن من شئ ، فإننى أرجح أن الباعث على تلك المعارضة عند
شوقى هو : الاستماتة ، وليس الإعجاب ، ولعل ما يؤكد ذلك قول شوقسى
يصف حاله عند نظمه سنيته ، وهو فى بلاد الأندلس :

” فهلفت النفس بمرآة الأرب ، واكتلت العين فى شراء بآثار العرب . .
وكان البحترى - رحمة الله - رقيق فى هذا الترحال ، وسيرى فى الرجال ،
والأحوال تصلح على الرجال ، كل رجل لحال ، فإنه أبلغ من حلى الأثبر ،
وحيا الحجر ، ونشر الخير ، وحشر الجبر ، ومن قام فى ماتم على الدول الكبير ،
والملوك البهاليسل القُرر . . وكنت كلما رقت بحجر ، أو أظفت باثر ، تخلصت
بأبياتهما ، - يقصد سنية البحترى - واسترحت من موائل الجبر إلى أبياتهما ،
وأنشدت فيما بينى وبين نفسى :

وخط البحترى إياوان كسرى . . . وشغنى القصور من عند شمس

ثم جعلت أروض القول على هذا الروى ، وأعالجه على هذا الوزن حتى نظمت
هذه القافية المهلهلة ، وأصبحت هذه الكلمة الرقيقة ، وأنا أعرضها على القراء ، راجيا
أن سيلحظونها بعين الرضا ، ويسحبون على عيوبها ذيل الأغصان . . . (١) . . . ولمل
فى هذا التصريح ما يفنى عن أى توضيح .

د - التسليسة :

أما التعليق فهى دافع من دوافع المعارضة أيضا ، ويوجد - غالبا - فى مساجلات
شعرية تتخلل فى خطابات منظومة والرد عليها - أو فى الغارز عليها بالنظم كذلك ، ولعل
أقرب مثال لذلك ما أشرت إليه سابقا من عتاب محمد بن عبد الملك لأبى تمام (٢) .

ومحمد : لهذه على أهم دوافع المعارضة ، ذكرتها بعد أن تحدثت عن معنى
المعارضة وشأنها وانتشارها فى الأدب العربى ، وسوف أتحدث عن العصر الحديث وأهم
معالمه فى الفصل الثانى إن شاء الله .

(١) الشوقيات ج ٢ ص ٥٣ وما بعدها .

(٢) انظر ص ٢٥٣ من هذه الرسالة .

الفصل الثاني

العصر الحديث وأهم معالمه

١ - بدء العصر الحديث :

اختلفت الآراء في بدء العصر الحديث ، ف قيل : يبدأ العصر الحديث بدخول الحملة الفرنسية مصر سنة ١٧٩٨ (١) ، وقيل : بحكم محمد علي - مصر سنة ١٨٠٥ (٢) ، إن في ذلك الحدث دلالة قوية على إرادة الشعب القومية السعي اختارت حاكمها بنفسها ، وقيل : بالثورة المراهبة سنة ١٨٨٢ (٣) ، لأن تلك الثورة تدل على نمو الشعور القومي عند المصريين ما أدى إلى ترددهم على حكامهم المستبدين ولى النفوذ الأجنبي .

ويبدو أن الرأي الأول هو الراجح ، لأن الحملة الفرنسية كانت سبباً - ولو غير مباشر - في تولية محمد علي حكم مصر - لأنه جاء إلى مصر مع فرقة من الجيش العثماني للوقوف نسي وجه الحملة الفرنسية (٤) - وبالتالي كانت سبباً في حكم أولاده مصر من بعده ، ولما استبدوا في حكمهم ، ولما لوا إلى الأجانب الذين تغفل نفوذهم في البلاد كانت الثورة المراهبة .

وإذا كان هذا الرأي له ما يبرر قبوله ، فإن بعض الكتاب يرونه قاصداً : كيف نخرج بدء العصر الحديث لبلادنا بحادث احتلال مها كانت نتاجه ؟ (٥)

- (١) الدكتور / شوقي ضيف : الأدب بالعصر المعاصر في مصر ص ١ طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦١ ، والدكتور / حامد حفي داود : تاريخ الأدب الحديث ص ٦ وما بعده ، دار الطباعة المحمدية بمصر سنة ١٩٦٧ ، محمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر الحديث ص ٧٢ وما بعدها المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٩٤٦ م .
- (٢) الدكتور سليمان الأغني : الأدب بالمعاصر في العالم العربي ص ١٩ ، مطبعة الكتاب الحديث (غير مؤرخ) ، ومحمد علي : كان ضابطاً ألبانيا توفي سنة ١٨٤٩ (تاريخ مصر الحديث ص ١٢٥) .
- (٣) الدكتور محمد خفاجي / محاضرة في الأهرام الحديث والأدب بالمعاصر (١٩٧٤) لطلاب الدراسات العليا بكلية اللغة العربية .
- (٤) تاريخ مصر الحديث ص ١١١ .
- (٥) الدكتور محمد خفاجي محاضرة في الأدب الحديث والأدب بالمعاصر (١٩٧٤) .

وهذا القول وجيه ولكنه يحتاج إلى مراجعة من صاحبه ، إذ لا شك فى أن الحملة الفرنسية كانت حملة استعمارية ، إلا أنها كانت سببا فى اتصال المصريين بالحضارة الغربية الحديثة ، لأنها حطمت أسوار العزلة التى فرضها المماليك على مصر ، كما أنها كانت سببا فى إذكاء الشعور القومى لدى المصريين ، وإحساسهم الحقيقى بحقوقهم المشروعة فى حكم بلادهم بالإضافة إلى أنها لفتت الأنظار إلى أهمية موقع مصر الجغرافى بين القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا (١) .

ولعل هذه الأسباب هى التى جعلت كثيرا من الكتاب يميلون إلى ذلك الرأى ، ومن بينهم الدكتور الشرباصى (٢) ، الذى يقول : " إذا كانت الحكمة الشائعة تقول : " رَبِّ ضَارَةَ نَائِمَةٍ " وكانت الحملة الفرنسية فى مظهرها وجانبها السياسى والعسكرى عملا عدوانيا لا يليق بكرامة مصر ولا حرمتها ، فقد كان بجوار الحملة العسكرية حملة علمية ، عادها مجموعة من العلماء الفرنسيين البارزين والمختصين فى العلوم الحديثة ، وعاونت هذه الحملة على إمداد النهضة القائمة فى مصر بجديد من النود تزيد به طريقها تألقا ووضوحا .. (٣) " .

(١) الدكتور شوقى ضيف : البارودى رائد الشعر الحديث ص ١١ ، ص ١٥ طبعته دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤ .

(٢) هو الدكتور أحمد الشرباصى ، ولد بالبحر الجبلات - إحدى قرى محافظة الدقهلية - فى سنة ١٩١٨ ، ودخل الأزهر الشريف وظل به حتى نال شهادة العالمية من كلية اللغة العربية سنة ١٩٤٣ ، وكان ترتيبه الأول ، ثم نال شهادة الماجستير سنة ١٩٦٣ ، ثم الدكتوراه سنة ١٩٦٧ ، وشيخه الآن أستاذ الأدب العربى والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، ولقد شرفت هذه الرسالة بإشراف سيادته عليها ، كما شرف الباحث بالتلمذة على سيادته قبل الرسالة ، وانتفع بكثير من آرائه ، جزاء الله عن الملسم وأئله خسير الجزاء .

(٣) الدكتور الشرباصى : رشيد رضا صاحب الضار ص ١٧ - مطالبه الأشراق التجارية بمصر سنة ١٩٧٠ .

٢ - أهم معالم العصر الحديث :

١ - أهم المعالم السياسية :

منذ أن استولى المثلثيون على مصر سنة ١٥١٧ تقريباً وحتى مملكة فوسى
أغلال الجهل ، وفى عزلة - شبه تامة - عن العالم ، مما أدى إلى الجمود
والتأخر فى جميع نواحي الحياة ، التى أضحت خامدة جامدة بغير تقدم ينشر،
أو نهوض يذكر ، وما بعد على ذلك تنازع المماليك على الحكم ومحاولة بعضهم
الاستقلال بالبلاد ، فاستحالت مصر كرة فى أيديهم (١) .

وعندما تطلع الفرنسيون إلى توسيع إمبراطوريتهم وامتدادها إلى الشرق كانت
حلتهم على مصر سنة ١٧٩٨ ، وعلى الرغم من مدنها الاستعماري إلا أنها
كانت سببا فى تمزيق قناع الجمود الذى غزل مصر عن الحياة الأوربية الحديثة
- كما سبق -

ولقد دخل الفرنسيون مصر - بعد كجاج مرير - وحاولوا كسب مودة
المصريين ، الذين نهضوا أساليبهم الاستعمارية ، فقاوموهم مقاومة شديدة زلزلت
أقدامهم وخاصة عندما ظهرت شراسة بعض رجال الحملة ، واستهانتهم بالشعب
المصرى ، واستهانهم تقاليدهم ، وانسياقهم غرمانه وقدمساته ، ولما لم يفلح
للفرنسيين مقام فى مصر عادوا إلى بلادهم سنة ١٨٠١ ، بعد ثلاث سنوات
كلفتهم الكثير (٢) .

ولقد عادت مصر - بعد خروج الحملة الفرنسية - إلى نفوذ المثلثيين ،
فتصارح الإنجليز - الذين نطقوا لأهميتها - والمماليك على حكمها ، وشخصى
بهما الشعب عاتبة لهذا الصراع نسارعوا بزعماء السيد عمر مكرم (٣) إلى مباحنة

(١) تاريخ مصر الحديث ص ٢٩ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ص ١٠١ .

(٣) هو : عمر مكرم بن حسين السيوطى - زعيم شيعى مصرى توفى سنة ١٨٢٢ (الأعلام
ج ٥ ص ٢٢٩) .

محمد على واليا على مصر سنة ١٨٠٥ هـ بعدما وعدهم أن لا يقضى أمرا بغير مشورتهم (١) ، ولعل ذلك كان أول مرة هـ في تاريخ المصريين - يحكم بلادهم حاكم باختيارهم هـ ويبدو أنهم أخطأوا في اختيار أجنبي عن البلاد هـ وكان الأولى بهم أن يختاروا مصريا منهم هـ ولعل الذي دفعهم إلى ذلك الاختيار خشيتهم الانقسام نوصا بينهم هـ بالإضافة إلى أنهم أحسنوا الظن بمحمد على بعدما تودد إليهم هـ وأظهر حرصه على مصلحة المصريين هـ ولذلك وقفوا إلى جانبه حتى ثبتت قدمه في الحكم، وخاصة عندما جاءت حملة إنجليزية لاحتلال البلاد سنة ١٨٠٧ هـ فوقفوا جميعا أمام هذا المحتل الهيفض صفا واحدا هـ واستطاعوا هزيمته هزيمة منكزة (٢) .

ولم يقدر محمد على تلك الوقفة التي رفعت رأسه هـ وثبتت قدمه هـ بل قلَّم أظفار تلك اليد التي أحسنت إليه هـ وذلك بنفى السيد عمر مكرم إلى دمهياط سنة ١٨٠٩ (٣) ثم تخلص من الماليك في مذبحه القلعة سنة ١٨١١ (٤) .

ولقد كان ما فعله محمد على تمهيدا لتحقيق أحلامه هـ وتوسيع نفوذه فاستبد بالحكم هـ وأنشأ جيشا قويا هـ كما أنشأ بعض المدارس التي تخدم الجيش (٥) وأرسل البعثات إلى فرنسا (٦) هـ كل ذلك من أجل الجيش الذي وجَّهه سنة ١٨١١ إلى شبه الجزيرة العربية (٧) هـ ثم إلى السودان سنة ١٨٢٠ (٨) وأخيرا إلى الشام سنة ١٨٣١ (٩) هـ في حروب تخدم أطماعه .

وعندما رأت الدول الأوروبية انتصارات محمد على هـ وفطنت لأطماعه هـ عملت على الحد من نفوذه فكانت معاهدة سنة ١٨٤٠ (١٠) التي وضمت حدا لأطماعه

(١) تاريخ مصر الحديث ص ١١٥ هـ عبد الرحمن الراقص : عصر محمد على ص ٣٥ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥١ .

(٢) مصر محمد على ص ٥٤ وما بعدها . (٣) المرجع السابق ص ١١٨ .
(٤) المرجع السابق ص ١١١ وما بعدها . (٥) المرجع السابق ص ٤٦٥ وما بعدها .
(٦) المرجع السابق ص ٤٢٦ . (٧) المرجع السابق ص ١٢٣ وما بعدها .
(٨) المرجع السابق ص ١٦٢ وما بعدها .
(٩) المرجع السابق ص ١٤٤ وما بعدها .
(١٠) المرجع السابق ص ٣٣٤ وما بعدها .

وأضمت قوته ، ولم يمكث بعد ذلك طويلا حتى توفي ، فتولى الحكم بعده عباس الأول سنة ١٨٤٨ (١) .

كان عباس الأول يحب الأتراك ، ولذلك أحاط نفسه بأنظمة تركية ، وأكثر من الخدم والحشم ، كما كان يكره الأجانب لأنه رأى موقفهم من جده - محمد علي - ووقوفهم أمام تحقيق مآربه ، بخلاف (سعيد) (٢) - الذى تولى الحكم بعده سنة ١٨٥٤ - إذ كان يعيل إلى الأجانب ، ولعل ذلك يرجع إلى رغبته فى إصلاح حال البلاد على أيديهم ، ولذلك منحهم كثيرا من الامتيازات مثل امتياز شق قناة السويس ، ولكنهم تدخلوا فى شئون البلاد بطرق مختلفة ، وخاصة بعد أن استدان منهم (٣) ، ولقد زاد تدخلهم عندما تولى (إسماعيل) (٤) زمام الحكم بعده (سعيد) سنة ١٨٦٣ ، إذ كان عاقد المزم على رفع شأن مصر وجعلها قطعة من أوربا ، فأنفق الكثير من المال فى بعض المشروعات ، أضف إلى ذلك ما دفعه إلى السلطان العثماني مقابل الحصول على لقب (العزيز) الذى صن به السلطان عليه ، ولقبه بلقب الخديوى كما أصدر له فرمانا يجعل الوراثة فى أكبر أبناء الوالى (٥) ، ولا شك فى أن هذه الأمور شخصية ولكن الشعب هو الذى تحمل عبأها ، فزادت الديون زيادة كبيرة ، وارتفعت نواذها ، وقد دخل أصحاب الديون فى سياسة الدولة ، وزاد الطين بلة أن إسماعيل طلب من الإنجليز تخيرا فى الشئون المالية ، فكان ذلك إذنا صريحا بالتدخل فى شئون مصر سنة ١٨٧٦ .

ولم تلبث فرنسا أن اشتركت فى التدخل بحجة حماية ديون الفرنسيين ، وانتهى الأمر باشتراك وزيرين : أحدهما فرنسي ، والآخر إنجليزى فى الوزارة المصرية (٦) ، مما

(١) هو : عباس بن طوسون بن محمد علي ، حكم مصر بعده وفاة جده إلى أن توفي سنة ١٨٥٤ . (تاريخ مصر الحديث ص ١٧٦ وما بعدها) .

(٢) هو : محمد سعيد بن محمد علي ، ولد بالإسكندرية سنة ١٨٢٢ وتوفي سنة ١٨٦٣ . (الأعلام ج ٢ ص ٤) .

(٣) تاريخ مصر الحديث ص ١٨٩ . هو : إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي

ولد سنة ١٨٣٠ ، حكم مصر سنة ١٨٦٣ وتوفي سنة ١٨٧٩ ، وتوفي سنة : ١٨٩٥

(٤) (الأعلام ج ١ ص ٣٠٦) . (٥) تاريخ مصر الحديث ص ١٩٧ وما بعدها .

(٦) المرجع السابق ص ٢٤٣ .

دفع الشعب المصري إلى الاستياء من هذه التصرفات ، وخاصة أن جمال الدين الأفغانى (١) قد أتى إلى مصر فى تلك الآونة ، وقام بتوضيح مساوىء الاستعمار وكشف أساليبه ، مما جعل الشعب يطالب بمزل إسماعيل ، وتحقيق ذلك فمباشرة سنة ١٨٧٩ (٢) ، وتولى الحكم بعده ابنه (توفيق) (٣) .

ولقد كان الشعب يؤمل الخير فى توفيق ، لأنه كان يميل - ولو وليسى المهد - إلى الأخذ بنظام الثورى ، كما كان ناعما على سياسة أبيه وإسرافه ولكنه بعدما تولى الحكم - تنكر لعهده ، وأساء إلى أصحاب الرأى الذين كان يجلس معهم ، ومن بينهم جمال الدين الأفغانى ، بل لقد عامله معاملة سيئة انتهت بخروجه من مصر (٤) ، كما خاض الحكم النيابى ، وحكم البلاد حكما مطلقا (٥) .

وأثناء كبار رجال مصر من هذه التصرفات ، وخاصة من كان منهم نسى الجيش ، إذ كان ظلمه على الجيش أشد ، وإجحافه بحقوقه أكبر ، فكانت ثورة الجيش سنة ١٨٨١ بقيادة عرابى (٦) ، ولما بلغت الثورة أشدها تظاهروا توفيق بتلبية بعض مطالبها ، ومنها تغيير الوزارة ، وعندما فشلت الوزارة الجديدة فى إصلاح حال البلاد ، طالب الجيش بمزل توفيق ، غنضت دول الاستعمار - التى كانت تترصد بمصر الدوائر - لحماية توفيق - كما زعمت - وأرسلت جيوشها سنة ١٨٨٢ ، فقابلها الجيش المصرى بقيادة عرابى ، ولكنه هزم فأخفقت الثورة ، وقبض على زعمائها ، ونفوا خارج البلاد (٧) .

(١) هو : جمال الدين الأفغانى فيلسوف ملحد .. ركز حياته لإصلاح حال المسلمين فى الشرق .. وتوفى سنة ١٨٦٧ (الأعلام ج ٢ ص ٢٧) .

(٢) تاريخ مصر الحديث ص ٢٤٧ .

(٣) هو : محمد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم ولد سنة ١٨٥٢ وتوفى سنة ١٨٩٢ ، (الأعلام ج ٦ ص ٢٩٠) .

(٤) تاريخ مصر الحديث ص ٢٥٤ . (٥) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٦) هو : أحمد عرابى بن محمد عرابى فاضل مصرى ولد سنة ١٨٤١ وتوفى سنة ١٩١١ (الأعلام ج ١ ص ١٦١) .

(٧) تاريخ مصر الحديث ص ٢٧٥ .

علت إنجلترا - منذ دخولها مصر - على إحباط كل ثورة ، فألغت الدستور
وجلس النواب ، وأنشأت جيشا هزليا يرأسه بعض الضباط الإنجليز ، وأجندت
الضارب الحالية - في الدولة - إلى البريطانيين (١) .

ولم يمكث المصريون على هذا الظلم ، بل ظلوا يقاومون الاحتلال بشتى
الطرق ، إلى أن حكم البلاد - بعد موت توفيق - عباس حلى الثانى منسنة
١٨٩٢ (٢) .

وفي هذا الوقت ظهر مصطفى كامل (٣) الذى أنشأ الحزب الوطنى ، وأخذ
يندد بسياسة الاستعمار فى كل مكان ، كما طالب بحقوق مصر فى الحرية
والاستقلال ، وظل يكافح من أجل بلاده ، حتى وافته منيته فحمل راية الجهاد
من بعده محمد فريد (٤) ، الذى طالب بالدستور وندد بالاحتلال حتى اضطس
إلى الخروج من مصر سنة ١٩١٢ ، فواصل كفاحه خارج مصر حتى صمدت روحه
إلى بارشها ، بعيدا عن أهله ووطنه .

أما عباس حلمى الثانى ، فقد وقف أول الأمر مع المناضلين الأحرار يشجعهم
على نضالهم ضد الاحتلال ، ولكنه خشى بطش الإنجليز ، فتقرب إليهم ، وأكسد
ولاء لهم (٥) ، ولم تلبث الحرب العالمية الأولى أن قامت سنة ١٩١٤ فمزلت إنجلترا
الخدوى عباسا ، وعينت بدله (السلطان حسين كامل (٦)) وأعطت إنجلترا وعدا
للمصريين بإعطائهم الاستقلال مقابل مساعدتها فى تلك الحرب ، ولكن ظهر كذبتها
عندما انتهت الحرب ولم تصف بوعدها ، فثار الشعب المصرى ثورة عارمة بقيادة
سمد زغلول (٧) سنة ١٩١٩ ، إلا أن قوات الاحتلال قبضت عليه ، ثم نفته ، ثم
اضطرت إلى الإفراج عنه بسبب المظاهرات الشعبية (٨)

-
- (١) المرجع السابق ص ٢٨٩ . (٢) هو عباس حلمى بن توفيق بن إسماعيل ولد
سنة ١٨٧٤ ، وتوفى سنة ١٩٤٤ (الأعلام ج ٤ ص ٣٣) .
- (٣) هو : مصطفى كامل - مناضل مصرى ولد سنة ١٨٧٤ وتوفى سنة ١٩٠٨ (تاريخ مصر
الحديث ص ٢٩٥) . (٤) هو محمد فريد بن أحمد فريد ، مناضل مصرى ولد سنة
١٨٦٨ وتوفى سنة ١٩١٩ (الأعلام ج ٢ ص ٢٢٠) .
- (٥) تاريخ مصر الحديث ص ٢٩١ . (٦) هو حسين كامل بن إسماعيل توفى سنة ١٩١٢
(المرجع السابق ص ٣٢٤) . (٧) هو سمد بن إبراهيم زغلول مناضل مصرى توفى
سنة ١٩٢٢ (الأعلام ج ٣ ص ١٣١) . (٨) تاريخ مصر الحديث ص ٣٣٤ وما بعدها .

وفي سنة ١٩٢٢ أعلن تصريح ٢٨ فبراير ، الذي أعلنت فيه إنجلترا إلقاء حمايتها على مصر ، ولكنها احتفظت بحقوقها في الدفاع عنها ومراعاة رعاياها الأجانب ، وفي تلك الآونة أصبح السلطان أحمد فؤاد (١) ملكا على مصر ، وفي سنة ١٩٢٣ صدر الدستور ، وتمددت الأحزاب ولكنها اختلفت فيما بينها وخاصة سنة ١٩٢٤ ، والجدير بالذكر أن عتقى ندد بهذا الخلاف بقوله (٢) :

إلام الخلف بينكم إلاما وهذا الضجة الكبرى علما
وفيم يكيد بمنكم لبعض وتبدون العداوة والخصاما

ولقد ساءت أحوال البلاد وخاصة بعد وفاة الملك فؤاد ، وبعد إعلان الأحكام العرفية عندما قامت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ ، ونجح المصريون في إنشاء الجامعة العربية سنة ١٩٤٥ وأصبحت مصر عضوا فيها ، ولكن المحتلين قد ساءم اتحاد العرب فعملوا على التآيد لهم ، فقامت حرب بين العرب واليهود سنة ١٩٤٨ وانتهز فيها الجيش المصري لعدة أسباب من بينها نفاذ الأسلحة (٣) ، ثم تكونت الكتائب الفدائية لتخليص البلاد من قوات الاحتلال الإنجليزي ، وفي سنة ١٩٥٢ قامت الثورة المصرية فقصت على الملكية وأعلنت الجمهورية سنة ١٩٥٤ ، وتم جلاء الإنجليز سنة ١٩٥٦ (٤) ، ولم تتم فرجة الاحتفال بعيد الجلاء حتى شنت كل من فرنسا وإنجلترا وإسرائيل عدوانا غادرا على مصر ، فوقف الشعب وقفة واحدة مع الجيش ، كما وقفت معها بمسبب الدول الكبرى ، فانهزم الأعداء ورجعوا مدحورين إلى بلادهم (٥) .

وفي سنة ١٩٥٨ قامت الوحدة بين مصر وسوريا ، إلا أن الدول الاستعمارية لم يهدأ بالها حتى نجح الانفصال سنة ١٩٦١ (٦) ، ولم تنفك مؤامراتها عند ذلك الحد ، بل ساندت إسرائيل في عدوانها الفادر على مصر سنة ١٩٦٧

-
- (١) هو أحمد فؤاد بن إسماعيل توفي سنة ١٩٣٦ (المرجع السابق ص ٣٤٠) .
(٢) السوقيات ج ١ ص ١٢٨ . (٣) الدكتور : سميد عاشور : ثورة شعب ص ١٢٣ وما بعدها . دأر النهضة العربية بمصر سنة ١٩٦٤ .
(٤) المرجع السابق ص ١٦٥ . (٥) المرجع السابق ص ٢٢٥ وما بعدها .
(٦) المرجع السابق ص ٢٢٨ وما بعدها .

واستولت على بعض أجزاء من الأرض العربية ، فقررت مصر إعادة بناء جيشها لتحرير الأرض ، ثم حقق الله النصر للجيش المصري عندما عبرت قواته قناة السويس في العاشر من رمضان سنة ١٢٩٢ (١٩٧٢) وألحقت بالإسرائيليين هزيمة لن يُحصى أثرنا ، ووقت الحرب بجانب إخوانهم المصريين وشقة رائحة بفضل الله ثم بفضل الرئيس / محمد أنور السادات ، الذي أرجو من الله أن يوفقه نسي مواصلة جهوده حتى تتحرر بقية الأرض العربية ، ويموء بيت المقدس الطاهر إلى الصليبين حرماً أعنا - إن شاء الله .

ب - أهم المعاليم الاقتصادية :

عندما تولى محمد علي حكم مصر اهتم بالزراعة ، فأنشأ القناطر والجسور وشق الترع ^(١) ، كما اهتم بالصناعة فأقام بعض المصانع ^(٢) ، وبدو أن هذا الاهتمام لم يكن من أجل مصر والمصريين ، بل من أجل نفسه ، إذ حسب أن مصر ضيقة كبيرة آلت إليه ، وأن من حقها أن يحتص كل قطرة من خيراتها لتحقيق مآربه ، ولعل هذا يؤكد ذلك أنه بعد مساعدة لندن - السابقة الذكر ^(٣) - أطلق محمد علي أبواب كثير من المصانع التي كانت تعد الجيش بمصنوعاتها ^(٤) ، فإذ عندما نقص عدد الجيش بموجب تلك المساعدة نقصت حاجاته الصناعية - فبدلاً من أن يفكر في توجيه الصناعة توجيهها جديداً أنزل بها هذه الضربة القاصمة ، فقتسى على ما كان يُنتظر لمصر من نهضة صناعية ، وأعادها بلداً زراعياً يعتمد على الزراعة في حياته الاقتصادية ، ولم تكن الزراعة أحسن حالا من الصناعة إذ احتكر الأرض الزراعية ، والمحصولات الزراعية أيضاً ^(٥) .

ولم تكن صلاحية محمد علي خيراً منه ، إذ نظروا إلى مصر على أنها بكرة حلوب ، ورثوها عن أبيهم وجديهم ، فأسرفوا نسي استغلالها ، وتخصير أهلها ، بالإضاعة إلى الضرائب الباهظة التي فرضوها عليهم ، وزاد الطين بلة

(١) عصر محمد علي ص ٥٧٢ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ص ٥٨٦ وما بعدها .

(٣) انظر ص ٢٦٤ من هذه الرسالة .

(٤) تاريخ مصر الحديث ص ١٧٤ .

(٥) عصر محمد علي ص ٦٢٠ وما بعدها .

فتشجيعهم الأجانب على الهجرة إلى مصر واستثمار أموالهم فيها ، واستغلال المصريين استغلالا كبيرا (١) .

ولا يفرنك أن سميداً أباح تملك الأرض الزراعية - على عكس أبيه - لأن هذا التملك لا يماوى شيئاً بالنسبة إلى ما ضحى به وإسماعيل - من بعده - للأجانب والمصريين إليهما من إقطاعات كبيرة ، كانت أساس الإقطاع في ديارنا ، وكانت السبب في المساوى الاقتصادية الكبيرة التي نزلت بالبلاد (٢) .

وكان ذلك كله سبباً في نكسة الزراعة والصناعة في مصر ، كما كانت نكسة التجارة أدهى وأمر ، لأن قيود الاحتكار التي طوقها بها محمد علي أخذت تنفك عنها قيوداً قيوداً ، حتى إذا كان عصر عباس الأول انفكت جميعها انفكاكاً تاماً تحولت على أثره مصر إلى كلاً مباح لا للتاجر الأجنبية فحسب ، بسبل للأجانب أنفسهم ولشراة بهمسم الذين قذف بهم الغرب إلى بلادنا ، فملأوها بالمشارب والملاهي ، وأخذوا ينشرون حوانيت التجارة جالين إليها هتوعسات بلادهم ، وسرعان ما أمسكت رؤوس أموالهم بخناق الاقتصاد المصري ، مما افتتحوه من مصارف ومن بيوت الاستيراد والتصدير والشركات المختلفة (٣) .

ولقد تضخم عدد الأجانب بمرور الزمن - حتى غدا كأنيهم جيش أجنبي يحتل البلاد ، وهو جيش مدني ، ومن ثم كانت خطورتهم أشد ، إذ أحسن يتغلغل في البلاد متحكماً في مراقبها المختلفة ، محيطاً على ثروتها القومية ، وزاد الأمر سوءاً عندما أعطتهم الأسرة العلوية حق امتلاك الأرض الزراعية ، فتوطدت أقدامهم في هذا الوطن المصري ، وأخذوا يحملون - بكل ما يملكون - على نهب ثرواته واستغلال أسفه ، حتى انتشر الربا وارتفعت غائده ، أعف إلى ذلك أن الحكام أنفسهم كانوا قد استدانوا الكثير ، فأصبح الاقتصاد المصري اقتصاداً شيئاً (٤) .

(١) ثورة شب ٢٩ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٠ .

(٣) ثورة شب ٢٧ وما بعدها .

(٤) المرجع السابق ص ٢٩ وما بعدها .

وعندما ظهر بعض الوطنيين الذين استنكروا هذه الفاسد ، قاموا ببعض الثروات للوقوف أمامها ، وأخذوا محاربتها ، بإنشاء بعض المصانع الوطنية والمشروعات التي تعود نائدتها على الشعب المصري ، ومن ذلك إنشاء بنك مصر (١) وتأسيس شركة مصر للطيران ، وشركة الملاحة النيلية ، وشركة مصر للملاحة البحرية (٢) كما فرضت الضرائب الجمركية على المصنوعات الواردة من الخارج التي ترجع مثلها صناعة مصرية ، وذلك بهدف تشجيع الصناعة المصرية ، وأنشئت لذلك مصلحة التجارة والصناعة ، كما أدخلت التحسينات على السكك الحديدية ، وسهدت بعض الدلوق (٣) .

وفي سنة ١٩٣٠ وقعت أزمة اقتصادية طاحنة إذ هبطت أسعار القطن هبوطا كبيرا (٤) ، ما أدى إلى هبوط أسعار بقية المحاصيل الزراعية ، فاشتدت الضائقة المالية بالمزارعين ، ولم يستلجيموا الوفاء بما عليهم من التزامات وخاصة إيجارات الأرض ، ما أوقفهم في الديون ، وهدد ثروة البلاد تهديسا خطيرا ، فكان ذلك سببا في إنشاء (بنك التسليف الزراعي المصري) سنة ١٩٣١ لمماونة الفلاح بمده بالسلف القصيرة الأجل بأرباح قليلة وتقديم ما يحتاج إليه من بذور وساد وغير ذلك من ضروب المساعدة ، كما أنشئ (بنك التسليف المقاري) سنة ١٩٣٢ للسلف الطويلة الأجل (٥) .

وبفضل مجهود الشباب الناضج ، وجدت بعض الصناعات ، وأنشئت بعض المصانع بمقروض جمعت من أفراد الأمة في الحركة الممروغة (بمشروع القرش) (٦) وكان كل ذلك سببا في إنعاش الحالة الاقتصادية في البلاد بعض الشيء .

وعندما قامت ثورة سنة ١٩٥٢ عملت على النهوض بالصناعة ، فأنشأت الكثير من المصانع المختلفة في أنحاء البلاد (٧) ، كما أصدرت قوانين كثيرة للنهوض

-
- | | |
|------------------------------|----------------------------------|
| (١) تاريخ مصر الحديث ص ٢٥٢ . | (٦) المرجع السابق الصفحة نفسها . |
| (٢) المرجع السابق ص ٢٥١ . | (٧) المرجع السابق ص ٣٥٠ . |
| (٣) المرجع السابق ص ٣٥٠ . | (٨) المرجع السابق ص ٣٥١ . |
| (٤) ثورة شعب ص ٢٥٣ و ص ٢٥٢ . | |

بالزراعة ، ومنها قانون إصلاح الزراعى ، وأصلحت كثيرا من الأرض وقضت على
القطاع ، كما قامت ببعض المشروعات التى تفيد الزراعة والصناعة وتزيد الدخل
القومى مثل مشروع السد العالى ، بالإضافة إلى تأميم قناة السويس ، (وتمهين)
البنوك والشركات الأجنبية ، ولا شك فى أن كل هذا قد ساعد على النهوض
بالاقتصاد المصرى (١) .

ولقد منيت مصر بعدة حروب كلفتها الكثير ، ما كان سببا فى وجود
بعض الأزمات الاقتصادية ، والأمل مفعود على النهوض بالاقتصاد المصرى نفسى
أقرب وقت إن شاء الله .

جـ - أهم المعالم الاجتماعية :

كان المجتمع المصرى يتكون - غالبا - من طبقتين (٢) :

الطبقة الأولى :

وتتكون من : الحكام وأبنائهم ومعظمهم من الشراكة والأثرياء - بالإضافة
إلى حاشيتهم من أصحاب الجاه والنفوذ والثراء المريعين هؤلاء على الرغم
من قلة عددهم ملكوا كل شيء ، وكانوا يعيشون عيشة تسرف وإسراف .

والطبقة الثانية :

وتتكون من : العلماء والفلاحين والتجار وسواد الشعب ، فأما العلماء
فكان لهم مقام كبير ، ونفوذ عظيم ، وكان الشعب يلجأ إليهم إذا وقع
عليه ظلم من الحكام ، فكانوا يحملون على تخفيفه ، إن لم يستطيعوا منحه ،
إلا أن هذا النفوذ قد ضعف وخاصة بعد نفى السيد عمر مكرم - كما سبق (٣) .
وأما التجار : فقد ساءت أحوالهم بسبب احتكار الحكومة التجارة ، وأصبحت
فائدتها تعود على الحكومة وعلى الوسطاء من الإفرنج (٤) .

(١) المرجع السابق ص ٢٩٧ وما بعدها .

(٢) عصر محمد على ص ٦٣٩ .

(٣) انظر ص ٢٦ من هذه الرسالة . وعصر محمد على ص ٦٤٥ .

(٤) عصر محمد على ص ٦٤٧ .

وأما الفلاحون : فكانت حياتهم تدعو إلى الألم والإشفاق ؛ إذ حرموا حق تلك الأرض كما فرضت عليهم الضرائب الباهظة ^(١) ، ولعل غير ما يشير إلى حالهم . . قول الشيخ محمد عبده ^(٢) :

" كان أمالي بلادنا - الفلاحون - محملين من الأثقال النقدية ما لا يطيقون من ضرائب على الأرض متجهة متكررة ، تتجدد على السدوام بتجدد الأشهر والأعوام ، وغرائب تفرض على الأنفس وتوابسها من غير نظام ، لا تنتهي عند غاية ، ولا تقف عند حد ، حتى بلغت نهايتها لا يستطيعون معها الأداء ، شيء ما فرض عليهم ، ثم لم يكن لاقتضاء هذه الفرائض الثقيلة منهم وقت ممين ، ولا قاعدة معروفة ، بل كان ذلك على حسب اشتها ، الحاكم وإرادته غير المرتبة ، فتارة يجبرون على أداء جميع أموال السنة بأنواعها في أول شهر منها ، وتارة يطالبون بأموال السنة القابلة في منتصف السنة الحاضرة ولا محيص لهم من الأداء ،

فإن من تأخر عنه عوبل بالضرب المهلك ، والحبس المؤبد ، أو انتزع منه جميع ما بيده قهرا ، وما شاكس ذلك من المعاملات الخسفة ^(٣) .

فكان الفلاح من جراء هذه القسوة ، إما أن يلجأ إلى من يقرضه بالربا الفاحش ، وذلك إذا آثر أن يحتفظ بأرضه - وكان يصجر غالبا عن سداد ذلك القرض فتتزع منه أرضه - وإما أن يتركها ونجوه يده .

إن شعبا هذه حال جمهرة بنيهم ، لا ينتظر له إلا الفقر والجهل والعرض والانحلال .

وما يشير الأسى أن تجد غالب أبناء مصر يمانون في سبيل لقمة همهم ما يمانون من ظلم فادح ، وضرائب باهظة ، وتجد الأجانب يعيشون - نسي مصر - في رغد من العيش ، وترف من الحياة ، بل لقد حصلوا على نسي امتيازات فرضها لهم العشانيون ، وذلك أصبحوا يتمتعون بما لم يتمتع به

(١) المرجع السابق ص ٦٤٨ وما بعدها .

(٢) هو الشيخ / محمد عبده بن حسن خير الله ، تعلم بالأزهر ، ووجد راعدا الإصلاح الديني والاجتماعي في مصر الحديث ، توفي سنة ١٩٠٥ (الأعلام ج ٧ ص ١٣)

(٣) محمد رفيع رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام ج ٢ ص ٧٧ - مطبوعة المنار بمصر سنة ١٣٤٤ هـ .

أصحاب البلاد أنفسهم بل فاقوهم في أشياء كثيرة ، واكتسبوا مميزات جديدة ، فهم مثلاً لا يخضعون لنظام القضاء المصري ، وإنما تنظر قضاياهم في محاكم قنصلية ، حتى لو كانت تلك القضايا ضدّهم (١) .

ولقد ترتب على ذلك ضياع حقوق المصريين ، بغير مبالاة ، واستشرى الفساد ، وانتشر الاتحلال في البلاد ، فألقت بعض الجمعيات — مثل الجمعية الخيرية الإسلامية — التي وضعت نصب عينيها الاهتمام بتنظيم الإحسان ، والثروة الشديدة على نفوذ الأجانب والامتيازات التي حصلوا عليها (٢) .

وقام بعض المصلحين بمعالجة بعض المشاكل — مثل تخلف المرأة — ومنهم رفاعة الطهطاوى (٣) ، الذي دعا إلى نهضة المرأة ، وإلى تعليم البنات وتثقيفهن أسوة بالبنين ، وألف كتاباً في ذلك سماه (المرشد الأمين للبنات والبنين) ثم جاء — بعده — قاسم أمين (٤) ، فأكد حقهن في التعليم ، ولكنه شجعهن على التحرر من الحجاب ودعا إلى تمكينهن من المشاركة في الوظائف والأعمال العامة ، وألف من أجل ذلك كتابه : (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) ، ولقد أثار ظهور هذين الكتابين ضجة شديدة في ذلك الوقت ، وظل موضوع أخذ ورد في الصحف مدة نصف قرن (٥) ، كما قام بعض الكتاب بالرد على قاسم أمين (٦) ، وقام بعض الثمراء بنظم قصائد يملنون فيها أنفسهم وسخطهم على تلك الفكرة ، ومنهم الشيخ محمد عبدالمطلب (٧) الذي يقول ناعياً على النساء : تقصير الثياب والتبرج (٨) :

(١) تاريخ مصر الحديث ص ٢٠٣ وما بعدها .

(٢) في الأدب الحديث ج ١ ص ٥٨ .

(٣) هو رفاعة بن بدوى بن على الطهطاوى ، أحد رواد النهضة الفكرية في العصر الحديث توفي سنة ١٨٧٣ (الأعلام ج ٢ ص ٥٥) .

(٤) قاسم أمين ، كاتب وأحد عرفاء بحور المرأة توفي سنة ١٩٠٨ (المرجع السابق ج ٦ ص ١٩) .

(٥) الدكتور / محمد حمين : الاتجاهات

الوطنية في الأدب المعاصر ج ١ ص ٢٧٢ وما بعدها ، مطبعة الآداب بمصر سنة ١٩٦٦ .

(٦) محمد طلعت حرب : تربية المرأة والحجاب ص ٨٢ وما بعدها ، مطبعة الترقى بمصر سنة ١٨٩٩ .

(٧) انظر سبيل ص ٥٧٧ من هذه الرسالة .

(٨) محمد عبدالمطلب : ديوانه ص ١٨٤ مطبعة الاعتماد بمصر (غير مؤرخ) .

ما فى بنات النيل من .. أرب لذى غرض نبيل
أصبحن عابا فى الزمنا .. ن وسواة فى شرجيل
نكر العفاف ذيلها .. ومن الشفا قصر الذيل

إلا أن بعض الشعراء كان مترددا ، فأحيانا يؤيد الحجاب وأحيانا
يحارضه ، ومنهم شوقى الذى أعجب بفكرة قاسم أمين ، فقال قصيدة طويلة
ومنها (١) :

مصر تجدد مجدها .. بنائها المتجددات
النافرات من الجصو .. د كأنه شبح المسكات
ثم رجع فأيد الحجاب بقوله (٢) :

صداح يا ملك الكنا .. ر ويا أمير البلبل
... بالرغم منى ما تمنا .. لج فى النحاس المقل
حرص عليك شوى ومن .. بحرر ثينا يخلص

وهنا يكن من شيء فلفد كان الصجتم يشكو عسلا كثيرة - بالإضافة
إلى ما سبق - أهمها الجحود الدينى والتمصب الطائفى ، والضغط المادى ،
والانحراف الخلقى .. وشيوخ البدع والخرافات واستغلال الدين ضد أعدائه (٣) ،
فقام كثير من الصالحين بتشخيص هذه الملل ، ووصف الملاج لها ، ومنهم
الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد رشيد رضا (٤) وغيرهما .

كما أنشأت الحكومة بعض المستشفيات ، ودور رعاية الأطفال والملاجى (٥)
وعندما قامت ثورة سنة ١٩٥٢ عملت على النهوض بالمجتمع المصرى ، وأنشأت
كثيرا من المشروعات الصناعية التى قللت عدد الماطلين ، وأنشأت كثيرا من المستشفيات

(١) الشوقيات ج ١ ص ١٠٤ . (٢) المرجع السابق ج ١ ص ٢١٩ والكهارة
طائر حسن الصوت . (٣) رشيد رضا صاحب المنار ص ١٤ بنصرت .
(٤) هو : الشيخ محمد رشيد رضا من أكبر تلاميذ الشيخ : محمد عبده
توفى سنة ١٩٣٥ (المرجع السابق ص ٢١٢) .
(٥) تاريخ مصر الحديث ص ٢٤٨ .

وصرا كزعاية الطفولة ، بالإضافة إلى وزارة الشؤون الاجتماعية التي تعد بمد
المنون والمساعدة للفقراء الذين عجزوا عن العمل ، كما أكرت من إنشاء
الملاجئ ودور الحضانة والجمعيات الخيرية ، ووضعت قانون المعاشيات
والتأمينات الاجتماعية ، وغير ذلك من القوانين الاجتماعية التي لا يخفى أثرها
المعظم في المجتمع المصري (١) .

د - أهم المعالم الثقافية :

لم يكن في مصر قبيل الحملة الفرنسية غير بعض الكتابات التي تملسم
هادى القراءة والكتابة وتحفظ القرآن الكريم ، بالإضافة إلى الأزهر الشريف (٢)
الذى ظل على الرغم مما أحاط به من جمود وظلام - وخاصة في العصر
المملوكي - منارة العلم ، ومنبع الفكر ، وبلجاً الشعب من ظلم حكامه .

ولما أتت الحملة الفرنسية ووجهت الأنظار إلى الثقافة الأوروبية ، وذلك عن
طريق بعض العلماء الذين كانوا في ركاب الحملة ، كما أنشئت مدرستان
وجريدتان فرنسيتان وأخرى عربية وأقيمت بعض المكتبات التي جمعت كتبها
من المساجد .

ولما تولى محمد على حكم مصر رأى أنه في أشد الحاجة إلى جيش قوى
يوطد به حكمه ، فأنشأ - من أجل ذلك - مدرسة حربية ومدرسة للطب ،
وأخرى للصيدلة (٣) واستعان ببعض الأساتذة الأجانب للتدريس في هذه المدارس ،
ولما كان هؤلاء الأساتذة لا يعرفون اللغة العربية والطلاب يعرفون اللغة
الإنجليزية استعان ببعض المترجمين ، ثم أرسل عدداً من البعثات إلى أوروبا
لكن يقوم أبنائها فيما بعد بمطالب الجيش ، ولحلوا مكان الأساتذة الأجانب
في التدريس بالمدارس المصرية (٤) .

(١) ثورة شمس ٢٨٢ وما بعدها .

(٢) تاريخ العرب الحديث ص ٥٤ .

(٣) مصر محمد على ص ٤٦٨ وما بعدها .

(٤) المرجع السابق ص ٤٧٦ .

وعندما عاد هؤلاء المبعوثون - إلى مصر - كانوا أول صلة حقيقية بين مصر والثقافة الأوربية في العصر الحديث ؛ إذ ترجموا وألفوا التفسير من الكتب ، وعربوا كثيرا من المصطلحات الأجنبية ، وكان من أنشط المبعوثين رفاعة الطهطاوي ، الذي اقترح على محمد علي أن ينشئ مدرسة الألسن^(١) ، فوافق محمد علي ، وأنشأها ، وهدد إليه بإدارتها ، وكانت هذه المدرسة تمنى بدراسة كثير من اللغات الأوربية وغيرها إلى جانب آداب اللغة العربية ، وبفضل تلامذتها ترجمت كثير من الكتب القيمة التي كانت سببا في اتساع دائرة الثقافة المصرية ، كما ساعد على ذلك أيضا تلك المطابع التي ظهرت بمصر المطبعة التي أنشأها محمد علي سنة ١٨٢٢ ، ووجدت بعض الصحف وأعمالها ، الوثائق المصرية سنة ١٨٢٨ .

وإذا كانت الناحية الثقافية - وخاصة العلمية - قد نهضت في عهد محمد علي ، فإنها لم تلبث أن توقفت في عهد عباس الأول وسعيد ؛ إذ أغلق عباس المدارس بها في ذلك مدرسة الألسن^(٢) ، كما استدعى أعضاء البعثات من الخارج ونفى رفاعة الطهطاوي إلى السودان ، وألغى الترجمة^(٣) ، ثم تلامه سعيد فألغى ديوان المدارس وأوقف مطبعة بولاق^(٤) .

ولما أتى إسماعيل ازدهرت الحياة الثقافية في عهده ازدهارا كبيرا ؛ إذ أعاد البعثات ، وفتح المدارس التي أغلقها عباس وسعيد ، بل أنشأ الكثير من المدارس الابتدائية وغيرها ، كما أنشأ مدرسة دار العلوم ، ومدرسة للبنات سنة ١٨٢٣^(٥) ، وكان كل ذلك سببا في انتشار الثقافة واتساع دائرتها ، وخاصة بعد إنشاء دار الكتب المصرية ، وزيادة المطابع ، التي كانت سببا في كثرة الصحف الرسمية وغيرها مثل الجريدة العسكرية وأركان حرب الجيش وروضة المدارس ووادي النيل ونبذة الأتكار ، وأبو نظارة وغير ذلك من الصحف المصرية بالإضافة إلى بعض الصحف الشرقية التي كانت ترد إلى مصر كالجوائب^(٦) .

(١) المرجع السابق ص ١٤٠ . (٢) تاريخ مصر الحديث ص ١٢٩ .

(٣) مصر محمد علي ص ١٦٠ . (٤) تاريخ مصر الحديث ص ١٨٨ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٠٢ وما بعدها .

(٦) الأدب المعاصر في العالم العربي ص ٣٨ .

ولعل ما ساعد على ازدهار الصحافة في ذلك العهد ، عجسرة
عدد كبير من أهل الشام إلى مصر ، وكان من بينهم طائفة من الأدباء والصحفيين
الذين ضموا جهودهم إلى جهود زملائهم المصريين ، فسي نشر الوحي القومي
بما كتبه ، ونشروه ، وما أصدروا من صحف مثل الكواكب والأهرام ومصر
وغيرها (١) .

ولقد نتج كثرة المطابع ازدياد الرخصة الأكيدة في طلب المعرفة ، فظهرت
حركة إحياء القديم مثل الأغاني ، وتاريخ ابن خلدون ومقدمته ، والمقصد
الفريد ، وفوات الوفيات ، والبيان والتبيين وغيرها من أمهات الكتب العربية ،
بالإضافة إلى ظهور كثير من المخطوطات التي قام بنشرها وتحقيقها بمسعى
المستشرقين مثل مقامات الحريري المتوفى سنة ٥١٠ هـ ، والمعلقات السبع
وكلمة ودانة ، وغيرها (٢) .

أضف إلى ذلك تلك الجمعيات العلمية التي ألفت في ذلك العهد
وكان لها أثر كبير في زيادة الثقافة واتساعها مثل جمعية المعارف ، وجمعية
اتحاد الشبيبة العربية ، وكذلك الجمعية الجغرافية والجمعية الإسلامية .

ولا يخفى أن لجمال الفدين الأفغانسي أثرا كبيرا في تحوير بعض
المقول وتثقيفها ، إذ عندما وصل إلى مصر سنة ١٨٢١ ألف حوله عدد كبير
من المثقلين مثل محمد عبده وسعد زغلول وغيرها من نهل من روده ،
واغترف من بحر علمه ، وواسع فكره (٣) .

ولما دخل الإنجليز مصر سنة ١٨٨٢ ، علموا على إضعاف الثقافة فعمدوا
البحاث ، وأسلموا المعاهد والمدارس ، واقتصر التعليم على تخريج طائفة من
الموظفين ، وفرضوا اللغة الإنجليزية على المتعلمين المصريين (٤) ، بل حاربوا
اللغة العربية هم بعض المصريين الذين انسلخوا من عروبتهم ، كما ظهرت

(١) المرجع السابق ص ٣٩ .

(٢) الباربيزي رآك الشعر الحديث ص ٤٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٤١ وما بعدها .

(٤) ثورة شعب ص ٨١ .

بعض الدعوات الخبيثة التي وعارِب الفصحى ، وتنادى باتخاذ المامية لفظة للتأليف الملقى والأدبى ^(١) ، ولعل هذا هو الذى دافع بعض الشمره للدفاع عن اللغة العربية ، ومنهم الشاعر حافظ إبراهيم ^(٢) ، الذى نظم قصيدة طويلة فى ذلك الشأن ومنها قوله : ^(٣)

رجعت لنفسى فأنهت حماتى

وناديت قوى فاحتسبت حياتى

رمضى بحق فى الشباب وليتسى

عنت فلم أجزع لقول عدائى

ولقد حوت بعض الصحف مثل : الحرة الوثقى التى كان يصدرها محمد هبة ، وجمال الدين الأنفانى فى باريس ، ومنعت من دخول مصر ، كما ألغيت صحف أخرى كالوطن ، والزمان ، ورسالة الشرق ، وظل الحال هكذا حتى ظهر بعض الوطنيين مثل : مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، ومحمد زغلول ، وقامت الأحزاب وأصبح لكل حزب صحف تعبر عن آرائه مثل : المؤيد واللواء ، والأستاذ والعربية ^(٤) ، بالإضافة إلى صحف ومجلات أخرى مثل : السياسة والسياسة الأسبوعية والبهلال والقطف والرسالة ، ودعت الجامعة الأهلية بعد ضمها إلى الحكومة سنة ١٩٢٥ ^(٥) ، وأسهم بمجهودها - بقسط كبير - فى انتشار الثقافة ، لما ظهر جيل قد تأثر فى ثقافته بالثقافة الأوروبية مثل : طه حسين ^(٦) والمقاد ^(٧) وعيكل وغيرهم .

-
- (١) الاتجاهات الوطنية فى الأدب بالمعاصر ج ٢ ص ٣٣٤ وما بعدها .
 (٢) هو : محمد حافظ إبراهيم ، شاعر مصرى ، لقب بشاعر النيل توفى سنة ١٩٣٢ (الأعلام ج ٦ ص ٣٠٤)
 (٣) حافظ إبراهيم : ديوانه ج ١ ص ٢٥٢ ضبط وتحقيق : أحمد أمين بالاشتراك مع غيره - مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٧ .
 (٤) الأدب العربى المقاصرى مصرى ٣٥٠ (٥) المرجع السابق ص ٢٧ .
 (٦) هو الدكتور : طه حسين ، عرف بعميد الأدب العربى توفى سنة ١٩٧٣ (المرجع السابق ص ٢٧٧) .
 (٧) هو : عباس محمود العقاد ، كاتب وشاعر مصرى توفى سنة ١٩٦٤ (المرجع السابق ص ١٣٦) .
 (٨) هو : الدكتور : محمد حسين عيكل أديب مصرى توفى سنة ١٩٥٦ (المرجع السابق ص ٢٧٠) .

ولقد وجدت بعض المدارس الأدبية مثل: مدرسة الديوان ^(١) وكان على رأسها العقاد والمازني ^(٢) وشكري ^(٣) ، وكذلك مدرسة أبولو ^(٤) وكان منسجها أحمد زكي ^(٥) .

ولا شك في أن مثل هذه المدارس قد ساعد على ازدهار الثقافة واتساعها وخاصة لتأثير أصحابها في آرائهم وأفكارهم بالثقافة الغربية .

ولما قامت ثورة سنة ١٩٥٢ عملت على إتاحة فرص التعليم لكل المسترشد الشعب بعمد أن كان مقصودا على القادرين فقط ، فأنشأت الكثير من المدارس — بأنواعها المختلفة — والمعاهد والكليات ، كما أنشأت وزارة التعليم العالي ، ووزارة البحث العلمي ومن قبلها وزارة الثقافة والإرشاد القومي * وتسمى الآن وزارة الثقافة والإرشاد القومي . فالتوسعت في البعثات الخارجية إلى كثير من جهات العالم ، كما أنشأت المجلس الأعلى للشئون الإسلامية * وجمع البحوث الإسلامية ^(٦) .

ومعد : .. فهذه هي أهم معالم العصر الحديث من الناحية السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، جمعت الحديث منها تهيدا للحديث عن معارضا البردة في العصر الحديث ، التي سوف أشير إلى بعضها في الفصل التالي إن شاء الله .

(١) انظر المرجع السابق ص ٥٨ وما بعدها حيث يوجد بعض آرائها الأدبية .

(٢) هو : إبراهيم عبد القادر المازني * أديب مصري توفي سنة ١٩٤٩ (المرجع السابق ص ٢٦١) .

(٣) هو : عبد الرحمن محمد شكري : شاعر مصري توفي سنة ١٩٤٨ (المرجع السابق ص ١٢٨) .

(٤) انظر بعض اتجاهاتها الأدبية في المرجع السابق ص ٢٠ وما بعدها .

(٥) هو : الدكتور أحمد زكي أبو شادي — شاعر مصري توفي سنة ١٩٥٥ (المرجع السابق ص ٢٤٥) .

(٦) انظر ثورة شعب ص ٢٢٨ وما بعدها .

الفصل الثالث

معارضة الدرويش والتميمية وأثرهما

١ - معارضة الدرويش :

بدا لي - بعد بحث طويل - أن أولى معارضات بردة الهيصري نفي
المصر الحديث - قبل شوقي^(١) - على معارضة الدرويش .

والدرويش : هو السيد علي بن حسن بن إبراهيم المصري^(٢) . ولد
في القاهرة سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م)^(٣) ، ولم تذكر المصادر عن نشأته
شيئا سوى أنه نشأ في القاهرة ، ونال قسطا من التعليم ، وكان مولعا
بالأدب العربي ، فأقبل على ما تهيا له من كتب مطالعة وحفظا مكثفا من قرض
الشعر ، كما استطاع أن يضرب ببراعة في فنون النثر .

ولقد أغرم بنظم كثير من الأصوات - أدوار الفناء - وله عدد كبير
من القطوعات الفنائية .

وذكر بعض الكتاب أن الدرويش بلغ بأدبه المنزلة في أمراء عصره . . .
وعرف بشاعر عباس الأول ، ولكنه لم يكن مثل الشعراء الذين يتكلمون بشعرهم
وإنما كان " عفيف اليد ، قنوع القلب . . . مكفيا بآله وعقاره^(٤) " .

(١) قهدت المصر الحديث بلفظ (قبل شوقي) لكثير من الأمور أهمها : أنه - كما سيأتي
في أثناء الحديث عن معارضته - أول من سعى معارضته أصا بشعر صراحة إلى نفي
معارضة البردة بإذ سماها (نهج البردة) ، كما أنه أمير الشعراء بإجماع
شعراء كثيرين بامتصاص أميراعليهم في الشعر . (انظر القفل الأول من الحساب
الرابع من هذه الرسالة) .

(٢) كل المصادر التي ذكرت نسبه أشارت إلى أن اسمه (السيد علي) لا صاحب
الأعلام ، فذكر أن اسمه (علي بن حسن - الخ) ج ٥ ص ٨٥ . وتاريخ آداب اللغة
الحريرية ج ٤ ص ٢١٢ وما بعدها ، عمر الدسوقي : في الأدب الحديث ج ١ ص ٣٩
وما بعدها مطبعة الرسالة بصر سنة ١٩٤٨ .

(٣) الأعلام ج ٥ ص ٨٥ . (٤) في الأدب الحديث ج ١ ص ٤٠ .

وشعره يمثل لنا في الفالبا شاع في عصره من ولوع بالحسنات البدئية،
حتى قال عنه بعض الكتاب: " كان يحشرها حشرا ، وتكلفها تكلفا ، ومنايهه
وأخيلته لا تدل على شاعرية متازة إذا قيمت بشعر عصرنا ، ولكم بالنسبة
إلى عصره كان في ظلمة الشعراء (١) .

ولقد قال الشعر في كل أغراض التقليدية - تقريبا (٢) - ولكن شعره
الديني (٣) ، قليل بالنسبة إلى بقية الأغراض الأخرى ، وهو عبارة عن قصائد
نظمها الشاعر في مناسبة مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) غالبا ، ومن ذلك
قوله يخاطب المسلمين : (٤)

أضأكم مولد الرسول	••	بالنور من يومه الفضيل
يا أمة المصطفى تهنيوا	••	من نعم الله بالجزيل
... نيا له مولدا كريما	••	يحسم عن وجهه الجميل
أتى بيوم الرضا علينا	••	أتى على الشرك بالسهول
أتى بدين هدى ونورا	••	لتمقى الله والجهنم

ولاحظ على مديحه أنه مهمل النج • ضيف المبالغة •

آثاره :

ولقد مات الدرويش سنة ١٨٥٣ (٥) • وترك بعض آثاره مثل (٦) :

١- ديوانه (الأشعار بحمد الأسماء) •

٢- الدرج والدرك (في مدح خواص عصره وندم شرارهم) •

٣- رحلة •

٤- كتاب في الخيل •

هـ (سفينة) في الأدب •

(١) المرجع السابق ، وأحمد الإسكندري (بالاشتراك مع غيره) الفصل في تاريخ

الأدب العربي ج ٢ ص ٣٣٦ المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٩٣٦ •

(٢) محقق عبد الغنى حسن : أعلام من الشرق والغرب • وطابمدها • دار الفكر

المرعي بمصر سنة ١٩٤٩ • (٣) أشرت إليه دون غيره لاتصاله بموضوع الرسالة •

(٤) علي الدرويش : ديوانه ص ٢٣١ طبع بمصر سنة ١٩٨٤ هـ (لم يدون عليه اسم المطبعة)

(٥) الأعلام ج ٥ ص ٨٥ •

(٦) المرجع السابق الصفحة نفسها •

ويبدو أن الشاعر على الدرويش أعجب بالبردة ، فدأب على النظر فيها ،
وعاود الاطلاع عليها ، ويؤكد ذلك أنه قد أنشد على بحرهما ورويا ثلاث
قصائد ، اثنتان منها تمدان من الهديميات — سبق الحديث عنها ^(١) — وبلغ
عدد أبيات القصيدة الأولى : ثلاثين بيتا ، ومطلعها ^(٢) :

للطرف مطلع بدر الحسن قال : رم

حتى استهل وقلبي بالفراغ رم

كما يبلغ عدد أبيات القصيدة الثانية واحدا وعشرين بيتا ، وأولها ^(٣) :

بديع مطلع حسن الفرد الملم

براعة تستهل الدمع في الملم

ويبدو — أيضا — أن الدرويش تأثر في مطلع هذا ، بهديمية ابن
حجة الحموي ^(٤) الذي يقول في مطلعها ^(٥) :

لي في ابتداء مدحك يا عربذي سلم

براعة تستهل الدمع في الملم

فواضح أن الشطر الثاني من الملمين واحد ، مما يقوى فكرة تأثر
الدرويش بابن حجة في مطلع قصيدته ، كما أن في هذه الهديمية دليلا
على أن الشاعر قد نظر إلى البردة عند نظمها ، ومن ذلك تأثره في
قوله ^(٦) :

يا عاذلي قسا فيما تضمنه : : (إن المحب من المذال في صم)
بقول البوصيري ^(٧) :

محضتى النصح لكن لست أسحم

إن المحب من المذال في صم

- | | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| (١) انظر ص ٢٣٣ من هذه الرسالة . | (٢) ديوانه ص ٤٠ وما بعدها |
| (٣) المرجع السابق ص ٥٠ وما بعدها | (٤) سبق التصريح به في هامش ص ٢٢٦ |
| (٥) من هذه الرسالة . | (٥) المرجع السابق الصفحة نفسها . |
| (٦) ديوانه ص ٥٠ وما بعدها | (٦) انظر ص ٩٥ من هذه الرسالة . |

نواضح — أيضا — أن الشطر الثاني من البيتين واحد ، ما يؤكد
نظر الدرويش إلى بردة البوصيري .

أما القصيدة الثالثة ، فهي التي تمتد من معارضات البردة ، وتبلغ
أبياتها : خمسة وخمسين بيتا ، ولقد نظمها الشاعر بمناسبة المولد النبوي
الشريف — على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى السلام — وذلك في عام : ١٢٦٢ هـ
الموافق عام ١٨٥١ م .

ولقد نهج الشاعر في قصيدته نهج البوصيري في بردته ، وبدأها
بالنزل وهو غزل تقليدي ، تبدو عليه آثار الصنعة ، وعلامات المحاكاة — ثم
انتقل إلى مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ببعض الصفات التي مدحها
بها سابقوه ، ورجع إلى الحديث عن بعض معجزات النبي (عليه الصلاة والسلام)
كما أشار إلى بعض الحوادث التي وقعت إبان مولده الشريف ، ثم انتقل
إلى الحديث عن هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحبة أبي بكر (رضي
الله عنه) للرسول في تلك الهجرة ، واستطرد إلى الحديث عن بعض الصحابة
الكوام (رضي الله عنهم) مبينا بعض مآثرهم .

ولم ينسى الشاعر أن يشير إلى حاكم البلاد في ذلك الوقت وهو (عباس)
— الذي عرف الشاعر بأنه شاعر — فدعاه بالنصر جزاء حفاوته بولد الرسول
(صلى الله عليه وسلم) ثم يعود الشاعر إلى بيان فضل الرسول (صلى الله عليه
وسلم) على كل خلق الله .

وأخيرا يتصنى قبول قصيدته ، مشيرا إلى ما نالت قصيدة البوصيري من رفعة
شأن ، وعلو قدر ، وهي أثناء ذلك يحترف بأنه قد محاكاه ، ونظم على منوالها .
تلك هي أهم الأفكار التي تضمنتها قصيدة الدرويش ، وسوق أقف ممها
بالدراسة والتحليل ، لأبين إلى أي حد يصور الشاعر عصره الجديد نسي
تلك القصيدة ، وإلى أي مدى تأثر في نظمها بالبردة .

ولقد بدأ الشاعر قصيدته بالنزل — كما بدأ البوصيري — بردته

نقال (١) :

يا مولدا هل بالأنوار في الحصر
منى سلاما على أقطار (ذى سلم)
سليت في أرضها على ساكنيها
وهل يضام نزيل في حق (إضم) (٢)
قد هوى بي الهوى بالحمد بمدحهم
من بمدحهم ومع أجداني ومدحهم (٣)

يشير الشاعر إلى مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وما صاحبه من أنوار
ساطعة ، في تلك الأماكن الطاهرة التي يحبها ، وحب ساكنيها ، ولذلك فهو
يرسل سلامه إلى أقطار (ذى سلم) الذين أغرم بحبهم غراما شديدا ، سلب
عقلهم ، وشئت فكرة ، وأسكب دمه ، وخاصة بمدح مدحهم الحميد ، الذي جعل
شوقه إليهم يكثر ويزداد .

ولقد بدأ الشاعر عبارته في البيت الأول بهذا النداء (يا مولدا) ولكنه
لم يقصد النداء حقيقة ، وإنما جرى على عادة العرب الذين كانوا إذا أرادوا
التعجب من أمر عظيم نادوه ، وضرلوه منزلة من يحفل وناقى ، وفي ذلك تشخيص
وإيحاء بحظمة الطائفة التي اكتسب هذا الفخر ، وتلك المكانة من مكانة
من ولد فيه ، ويؤكد ذلك أن الشاعر أتى به منكرا ومتونا ، أضف إلى ذلك
أن لفظ (الأنوار) زاد المعنى وضوحا وضياء ، وألقى على المطلع بها ، وخاصة
أنه جمع ، فهو نور على نور .

إن الشاعر قد تأثر في مطلع قصيدته ببردة البوصيري ، وآية ناسكك أن
البوصيري قال : (.. جيران بنى سلم) (٤) ، فتابعه الدرويش قائلا : (أقطار ذى
سلم) ، ولكنه أرسل إليهم سلامه ، وليس سلام الأحاب كسلام غيرهم ، وإنما هو

(١) ديوانه ص ٢٥٧ .

(٢) نزيل : المراد ضيف .

(٣) ومع : كلمة تدل على الرحمة بخلاف (ويل) فهي كلمة تدل على المصداق ، وقيل
: معنا بمعنى واحد .

(٤) انظر ص ٨٢ من هذه الرسالة .

سلام حار • ولعل ما يشير إلى ذلك تقديم الجار والمجرور (نن) وتكسیر لفظ (سلاما) •

وإذا تأملت قوله: (وعل يضام نزيل فنحن إضم) وجدت السؤال يدل على الاستعظام والاسترحام • كما أنه بنى الفعل (يضام) للمجهول حتى لا يذكر اسم أحبابه • بل حتره وكثفه • وأطلق على نفسه لفظ (نزيل) وفي ذلك إشارة إلى فقره • وحاجته إلى ذلك الحمى (نن إضم) • وهو يتبع الوجودى فى ذكره لفظ (إضم) (١) •

ولما كان حب الشاعر عندما لأماكن الطاهرة • وساكنتها الكرام حبا جمعا • قد أثر فيه تأثيرا كبيرا • فاشتد إليه • وفقر دمه عندما يحد منهم • ولعل فى الفصل (هوى) ما يدل على قوة ذلك الحب • وشدة ذلك الوجد • الذى أثر فى الشاعر وأضعفه • ويؤكد ذلك قوله: (ويح أجفانى ••) ففيه إشارة إلى غزارة دمه • وكثرة بكائه •

ويبدو أن الشاعر أغرم بالحسنات البديعة غراما قارب غرامه بأحبابه • فأكثر منها كثرة أثقلت أحمى • وأذهب رواء اللفظ • ومن ذلك: التناهي بين قوله: (هل • والأنوار • وأقمار) والجناس فى قوله: (يضام وإضم) وقوله: (هوى •• والهوى) وقوله: (بالهد • ومهدم) •

ثم ينتقل الشاعر فجأة إلى الغرض الأساسى من القصيدة وهو مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيقول (٢) :

لمهجتى ذمة فى طيبة شفت • • • فهل تطيب بأوفى الخلق للذم (٣)
إطام كل رسول عند بارئهم • • • مبرا لا تباريه ذور العصم (٤)

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها •

(٢) ديوانه ص ٢٥٧ •

(٣) مهجتى : المراد روحى . (فى) بمعنى (مع) ، وطيبة : اسم من أسماء المدينة المنورة •

(٤) لا تباريه : المراد لا تتأمله . ذور العصم : أى أصحاب العصمة ، والمراد بهم الرسل (عليهم الصلاة والسلام) •

نعم: إن لي عهداً مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وهو أفضل من
يُقى بعهدته ، إذ هو أفضل رسل الله ، خلقه الله طاهراً من كل
عيب ، وبراء من كل شين .

ويدو أن الشاعر تأثر في البيت الأول بقول الهوسيري (١) :
فإن لي ذمّة منه بتسميتي محمداً

وعنو أوفى الخلق بالذم

ولكن لما كان اسم : (السيد علي الدوريش) ولم تنفعه الذمة - أي العهد -
من جهة التسمية ، ألح الشاعر إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) :
" المرء مع من أحب " (٢) وعدّ ذلك ذمة وعهداً مع الرسول (صلى الله عليه
وسلم) ، فمدح الرسول ليدل على حبه وإياه ، وحقق له أن يهنا بهذا العهد
، لأنه عهد مع (أوفى الخلق بالذم) - صلى الله عليه وسلم - ومع إمام
الرسول (عليهم السلام) الذين لا يهرون في حسن خلقه ، وعظيم شأنهم .

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (لم يهتني) مجازاً مرسل - علاقتهم
الجزئية - وهو يوحى بأهمية ذلك الجزء في جسم الإنسان - كما أن في تكير
(ذمة) ما يوحى بمغبتها من جهة ، وشدة أمل الشاعر ، وحسن ظنه من جهة
ثانية ، أضف إلى ذلك أن في قوله : (في طيبة) إيجازاً بالحذف ، والأصل
: (في ساكن طيبة) مثلاً ، كأن البلدة نفسها قد اكتسبت عظمة وفضلاً
من عظمة وفضل ساكنها (عليه الصلاة والسلام) ، وصح أن يكون في العبارة
- أيضاً - مجاز مرسل ، علاقته المحلية .

وفي سؤاله : (هل تطيب بأوفى الخلق للذم) اطمئنان لنفسه ، وتمكين
لقلبه ، إلا أن الشاعر - كمعهده - لم يفس الإكثار من المحسنات البديعية
ش : الجناس الشبيه المشتق في قوله : (طيبة وتطيب) وقوله : (باري وبراً) ،
والتكرار في قوله : (ذمة والذم) .

(١) انظر ص ٢٠٤ ون هذه الرسالة .

(٢) صحيح مسلم ص ٤٩٤ .

ويواصل الشاعر مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (١) :

سر الحدوث ، ومولى من له قدم

صدق ، ومادحه الموصوف بالقدم (٢)

فترك مدحى له مدح ، وهل قلنى

زوتى فى الوصف تحكى (ن والقلم) (٣)

فلم يبالغ بما أثنى إلهه —

عليه ، كيف توفيه بمنظـم

يمدح الدرويش رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأنه سر حدوث هذا العالم ، وهو السبب فى خلق الدنيا ، وسيد المؤمنين ، وصاحب الفضل عليهم ، مدحه ربه جل وعلا ، فما قيمة مدحى إياه ولذلك فإن ترك مدحى إياه (صلى الله عليه وسلم) هو فى الحقيقة مدح له ، لأنه لا يمدح العظيم ويوفيه حقه إلا من عرف قدره ، ولا يعرف قدر النبى (صلى الله عليه وسلم) إلا خالقه ، وإذا كان الشائق العظيم قد مدحه (صلى الله عليه وسلم) ، فكيف لمخلوق مثلى أن يوفيه حقه من المدح والثناء ؟

ولقد تأثر الشاعر فى هذه الأوصاف بالبوصيرى ، لأنه فى قوله : (سر الحدوث) إشارة إلى قول البوصيرى : (لولاه لم تخرج الدنيا من المدم) (٤) كما أن قوله : (ومادحه الموصوف بالقدم) ، وهو الله سبحانه وتعالى ، مأخوذ من قول البوصيرى عند حديثه عن آيات القرآن : (قديمة صفة الموصوف بالقدم) (٥) أضف إلى ذلك أن قوله : (مولى من له قدم صدق) — أى سيد المؤمنين ، وصاحب الفضل العظيم عليهم ، لأنه كان سببا فى هدايتهم — فيه تلخيص إلى قوله تعالى :

(١) ديوانه ص ٢٥٧ .

(٢) قدم صدق : المراد سابقة فضل ، ومنزلة رفيعة ، وسميت (قدما) لأن السمع إلى الفضائل يكون غالبا بالقدم ، كما سميت النعمة يدا ، وإضافتها إلى الصدق لتحقيقها .

(٣) نوى : المراد محبرى .

(٤) انظر ص ١١٨ من هذه الرسالة . (٥) المرجع السابق ص ١٦٠ .

... وَشِيرَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ . الآية (١) وهذا وصف جديد لم يذهب إليه البوصيري ، وإن كان قد ذهب إلى مثله بقوله : (محمد سيد الكواين : : البيت) .

وإذا تأملت قول الشاعر : (فترك مدحى له مدح) وجدته يشير إلى عجزه عن مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) مدحا يليق بمكانته ، ولا يخفى أن في تنكير لفظ (مدح) ما يدل على التعظيم ، كما أن الاستشهاد بقسوة : (وهن قلبي ونوني) يؤكد عجزه ويقرر اعترافه بفشل الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي أشير إليه القرآن الكريم في سورة (القلم) والشاعر يلجأ بذلك إلى قوله تعالى : " وَأَنَّكَ لَمَلَكٌ خَلَقَ عَظِيمٌ " (٢) . ولقد أكد الشاعر فضل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في البيت الثالث ذاكرا أن الله تعالى لم يبالغ فيما أثنى به على نبيه (عليه الصلاة والسلام) وفي الاستشهاد : (كيف نوفيهِ منتظم) إقرار بحظوة مكانة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وعلو شأنه ، وارتفاع قدره ، واعتراف بحجز الشعراء عن المدح اللائق بالرسول (صلى الله عليه وسلم) وهذه شهادة شاعر مثلهم ، ولذلك عبر بقوله : (نوفيهِ) أي بصيغة المتكلمين ، ولم يقل : (أوفيه) حتى لا يوهم أن غيره في إمكانه ذلك ، ولكنه رفع ذلك الإيهام ، بمجوزهم جميعا عن بلوغ ذلك الأمر .

ولم ينس الشاعر أن يضمن عبارته بعض المحسنات البديعية مثل : :
الطباق بين (الحدث والقدم) ، والتكرار في (مدحى ومدح) ، والجناس في قوله : (قلبي ونوني) و (ن والقلم) .

ومهما يكن من شيء فإن الشاعر يؤكد فضل الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (٣)

وأن لولاه لم تخلق ملائكة .. ولا الحجاب الذي عند المروج رمي
بكنى السموات تشريفا بوطنته .. والأيش جبريل فيها جطة الخدم

(١) يونيو / ٢٠

(٢) القلم : ٤٠

(٣) ديوانه ص ٢٥٧

يشير الشاعر إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان سبها في خلق
الملائكة ، ولم أقف على نص يؤيد ذلك ، ويمكن أن يكون من قبيل ذكر الخاص
بعد العام ، بالنسبة إلى قوله سابقا : (سرّ الحدوث) .

ولا يخفى أن في بناء الفصل (تخلق) للمجهول إشارة إلى أن الفاعل
هو الله (سبحانه وتعالى) معلوم غير مجهول ، كما أن في تكهّر (ملائكة)
ما يدل على المصوم .

وإذا تأملت قول الشاعر : (ولا الحجاب المذى عند المزعج رُمى)
وجدته يشير إلى معراج الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ولكنه في تلك الإشارة
كان موجزا بدرجة كبيرة لم تتناسب مع مقام المدح ، إذ كل ما ذكره هو
أن من فضل الله على رسوله ليلة المعراج أن رفع الحجاب بينه وبينه ^(١) ،
ولعله يلح بذلك إلى قوله تعالى : " مَا كَذَّبَ الْفَوَادُ مَا رَأَى " ^(٢) .

وأيضا هذه الإشارة من إشارة البوصيري إلى تلك المعجزة العظيمة ^(٣) ،
وإذا قارنت بين الشاعرين وجدت الفرق كبيرا ، واليون شاسعا ، كما أن في
قول الدرويش : (رمى) ما يوحي باللفظة التي لا تناسب المقام ، ولو تسال
(رفع) مثلا لكان أنضل ، ويبدو أنه أتى بذلك اللفظ لضرورة القافية .

ولقد ذكر الشاعر - في البيت الثاني - أن السموات قد شرفت بالرسول
(صلى الله عليه وسلم) في ليلة المعراج ، وشاركها الأرض في ذلك الشرف العظيم ،
ويبدو أنه يشير إلى الإسراء من محمد ، بذكره لفظ (الأرض) ، كما ذكره
الشاعر أن جبريل (عليهما السلام) كان صاحبا الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، بل
كان من جملة خدمه في تلك الليلة ، ولعله يلح بذلك إلى ما أشارت إليه بعض
الأحاديث من أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يحال جبريل (عليه السلام)
عن بعض المشاعدين ، وجهه جبريل عنها ^(٤) .

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٥ ص ٩٠ .

(٢) النجم : ١١ .

(٣) انظر ص ١٧٢ وما بعدها من هذه الرسالة .

(٤) تفسير القرآن العظيم ج ٥ ص ٢١ .

ويبدو أن الشاعر قد تأثر في عبارته بما شاهده في قصر هساس غسى
ههده، من خدام وحشم، فأتى بلفظي (تشریف) والخدم).

ولا يخفى أن في قوله: (السماوات والأرض) طبائفاً أفاد الشمول والعموم، إلا
أن كلمة (جملة) غير محبوبة في الشعر.

ولقد انتقل الشاعر بحد ذلك إلى الحديث عن مولد الرسول (صلى الله
عليه وسلم) وما صاحبه من حوادث، إلا أن هذا الحديث يدل على أن الشاعر
لم يرتب أفكاره على حسب وقوع الحوادث تاريخياً، إذ تكلم سابقاً على الإسراء
والمهاجر، وهنا يتكلم على المولد النبوي بقوله (١):

تكون الكون نوراً عند مولده

كأنه - الآن - موجود من العدم

وكان يوم استضاء الكون وهو دجى

بدرا بدا، أو ربما دبت في النسم

كيف استتارت قصر الشام إذ خمدت

نار المجوس، والنار الفلجظى

فلينفخ النار ذوا إيوان إذ طفئت

بما، ساوة إن ينفع على فسر

فكسر إيوان كسرى مقصر أمـــــــ

من قيصر في بني التليث والصنم (٢)

فلا سرير وما احتزت قوائمـــــــ

ولا أمير وما تلقاه ذا وجـــــــ

وفي هذه الأبيات يشير الشاعر إلى أن الكون - عندما ولد الرسول
(صلى الله عليه وسلم) - قد شغ فيه التور، وتلا الأضياء، فأصبح كأنه مخلوق
الآن من العدم، ولم يدنس بالضلالات، أو يكتثر بالظلمات والجهالات، ولقد
كان في هذا اليوم كأنه بدر كمل ضوءه، وعظم ضياؤه، أو كأنه نسيم عليل
أعاد الحياة إلى النفوس.

(١) ديوانه ص ٢٥٢.

(٢) قيصر: لفظ يطلق على كل ملك من ملوك الروم. بني التليث: الذين يقولون إن
الله ثالث ثلاثة (١١١) - وقد كذبوا - (انظر هامش ص ١٢٦ من هذه
الرسالة)

ولا يخفى أن البيت الأول قد أثقله الشاعر بتكرار حرف الكاف ثلاث مرات في ثلاث كلمات متقاربة: (تَكُونُ ، الكون .. كأنه) ، إلا أنه أتى بطباق في قوله : (موجود - و المدم) وضح أثر هذا المولود (صلى الله عليه وسلم) وما صاحبه من نور انتشر ، وضياء عم وكثر :

وفي البيت الثاني أراد الشاعر أن يبين حالة الكون عندما استضاء بهذا النور الساطع الذي يشبه نور البدر ، كما أكد أثر ذلك النور في الكون بقوله : (وهو دجى) - فكان الكسوف مظلماً - وإذا نور البدر يتلألأ ، أو كأنه كان نسima - هواء أو روحاً - حلّ في الجسم ، فرد عليه عانيته أو حياته ، ويبدو أن الشاعر يقصد (بالبدر والنسيم) الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا يخفى ما في التشبيه من بيان أثر الرسول وفضله ، كما لا يخفى أثر تكرار حرف السين في قوله : (نسima - النسيم) من وقع موسيقى ، بالإضافة إلى أن في اللفظين جناساً شبيهاً بالمشتق ، وإن كانت كلمة (دجى) غير شاعرية :

وتعامل الشاعر - في البيت الثالث - متعباً : كيف أضأت قصور الشام ، وخذت نار المجوس ، فهما أمران متضادان ، وهذا صدر التعجب - وإذا كان البوصيري قد سبق الدرويش في الإشارة إلى نار المجوس التي خدعت وإلى النهر الذي غاض ساومه ^(١) ، فإن الدرويش قد زاد عليه الإشارة إلى قصر الشام التي أنيرت ، ولمعله يلح بذلك إلى ما روى أن أم الرسول (صلى الله عليه وسلم) - السيدة آمنة ^(٢) قالت : " لما ولدته - الرسول (صلى الله عليه وسلم) - خرج معه نور أضأت له قصر الشام .. " ^(٣) :

وإذا تأملت قول الشاعر : (تليقح النار ذوا إيوان ..) وجدته يشمر بالاستهزاء والصخرية من المجوس ، ولكنه يقول لهم : إن كنتم أولى قوة ، وأولى بأس شديد

(١) انظر ص ١٣٥ من هذه الرسالة .
(٢) هي السيدة : آمنة بنت وهب بن عبد مناف توفيت سنة ٥٧٥ م وقيل غير ذلك (الأعلام

ج ١ ص ١٩) .

(٣) طبقات ابن سعد ج ١ ق ١ ص ٦٣ .

فانفخوا ناركم التي أطفئت • وأوقدوا عملتها التي أخذت • ولكن هميات أن ينفع
نفخكم • لأنكم لا تنفخون على صرم • بل تنفخون على نعم شرب من ماء ساوة •
ثم يشير إلى نكتة لطيفة • لم يشير إليها الجعيري • وهي : إن كسر إيهان
كسرى وتصنع بعض شرفاته قد قصر أمل قصير في أن يظل بنو الشام واليمن
له • هم والذين يعبدون الأصنام •

ويبدو أن الشاعر أراد أن يشير إلى أن أثر المولد كان عظيما فسمى
الجهادات فقال • (فلا سحر وما احتزت قوائمه) ، والمراد هنا بالسحر سحر
الملك • وكذلك كان أثر المولد عظيما في الإنسان فقال • (ولا أمير وما تلقاه
ذا وجه) • ولعل الشاعر يلح بذلك إلى ما روى عن ابن عباس أنه قال : " كان
من دلالة حمل آمنة برسول الله (صلى الله عليه وسلم) • أنه لم يبق سحر
لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا " (١) •

ولقد اشتغل البيت الأخير على بعض المحسنات البديعية التي زادت الوقع
الموسيقى للأبيات • ومن ذلك التكرار في (نار والنار) والجناس الشبيه بالمشق
بين (كسر وكسرى) ، وبين (قصر وقصر) • كما لا يخفى أثر تكرار النفي الداخل
على النكرة في قوله : (فلا سحر • ولا أمير) • ففيه دلالة على الموم والمشمول
وذلك يقوى الفكرة ويؤكدها •

ومواصل الشاعر حديثه عن أثر مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٢) •
والكربات على حال • بما • به • • • • •
إذ كل عجا • يوم الوضع ناطقة • • • • • وكل ناطقة بالكفر في بكس
قل للمهود • يهودوا • والنصارى • • • • •
نصرتنا • لو دعاينا إلى • • • • •
ولك • • • • • يخوضوا في بحيرتهم • • • • •
لا في بحر لها بر • • • • •

(١) شرح الزرقاني على المواهب ١ ص ١٠٨

(٢) ديوانه ص ٢٥٧

يذكر الشاعر أن من آثار مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) : أن الكفر قد ساءت حالته ، وأن الحق قد شاع خبره ، ولا أدل على ذلك من تطسّق المجامع ، وسكوت أهل الضلال وانصرافهم عنه ، ههنا وههنا .

ولقد جرد الشاعر من نفسه شخصا يأمره بأن ينصح اليهود والنصارى بأن يرجعوا عن عنادهم ، وأن يتركوا الخوض في أمر هذا النبي الكريم ، فهو بر الأمان لمن اتبعه .

وإذا تأملت قول الشاعر : (والكليات) . وجدت أنه قد أسند الفمـسـل (بات) إلى ضمير الكفر ، وفي هذا الإسناد مجاز عقلي أفاد التشخيص ، وإذا كان هذا وأن الأمر الممنوع - الكفر - فما بالك بأهله ، لا شك في أنهم سيكونون أشد سوءا منه ، ولعل في تنكير لفظ (حال) ما يوحي إلى قبضه . ويرى ذلك وصفه بقوله : (يساء به) كما أن في قول الدرويش : (والمسلم بالحق) ما يدل على أن الحق قد ذاع وشاع ، لأن ما يكون على العلم - الجبل - يراه كل إنسان - ظاهرا - .

وفي البيت الثاني توضيح وتأكيد لما أجمله في البيت الأول ، لأن تطسّق الحيوانات يدل على ابتهاجها وسرورها بمولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، بخلاف أصحاب الكفر فقد خرسوا من شدة حزنهم . ولعل الشاعر يلح إلى ما روى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) " أن كل دابة - بقريش - نطقت وقالت : حيل برسول الله ورب الكعبة ، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها . . . (١) " إلا أن هذا الخبر - على ما فيه من ضعف - يشير إلى الحمل لا إلى المولـد ، ويحتمل أن في عبارة الشاعر : (إذ كل عجايب يوم الوضع ناطقة) إشارة إلى أن هذا المولد كان عظيم الأثر ، ولو فرض أن طلب من المجامع أن تشهد بذلك لمشهدت .

وكان قول الشاعر : (وكل ناطقة بالكفر في بكم) تهيدا للانتقال إلى نصت اليهود والنصارى حتى يرجعوا إلى الحق الذي ظهر ، ويتركوا الجدل الذي

(١) شرح الزرقاني على المواهب ج ١ ص ١٠٨ .

لا طائل تحته ، ولا فائدة منه ، ويبدو أنه أراد بقوله : (يَهْدِي سُلُوكَ)
الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، إنه لا شك في أن الرسول بَرَّ الأمان لمن
آمن به ، واتبع النور الذي أنزل معه ، ولا يخفى أن ألفاظ الشاعر سهلة
واضحة ، وإن أثقلها بالمحسنات البديعية مثل : الجناس المحرف بين :
(العلم - بكسر العين وسكون اللام - والعلم - بفتح العين واللام) والتكرار
في قوله : (ناطقة) ، والطياف في قوله : (ناطقة بكم) ، والجناس المشفق
في قوله : (يهود - ويهودوا) ، وقوله : (نصارى - نصر) ، وقوله : (بحسيرة
وحور) ، والمناسبة بين قوله : (بحر هور) :

ويواصل الشاعر حديثه عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (١) :

محمد ربح عيسى وهو جنته تكلمت عن كلهم فيه بالعظم
أحبها النفوس ، وحبوا الجسم بشرنا
بأن ذا رغبة خير من الكلهم
إن ينكروا وصفه شالت نعماتهم

فإنها نَحَمٌ تخفى على النحسهم (٢)
أنار ظلمة دنيانا بضرتها وجاز فيها جواز البر في المقم

أشار الدرويش في تلك الأبيات إلى أنه لا يجوز الإيمان برسول ، والتكفر
بآخر ، لأنهم كلهم رسل الله ، اصطفاهم لتبليغ شرائعه إلى الناس ، ثم تحدث
عن هؤلاء النصارى الذين ينكرون رسالة رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم)
مبيناً أنهم لم يتدبروا أمرها بحقولهم ، بل جانبوا الصواب ، إذ كيف تجد
رسالة نبي كان صحت صاحبها رحمة مهداة ونعمة مرسلة ، فأنا الدنيا - بالإيمان
- بعد طول ظلم - بالكفر - ونشر الإسلام ، إذ ظهر الدنيا من أناسهم
، كما يظهر الشفاء الأجسام المقيمة من عليها .

(١) ديوانه ص ٢٥٨ . (٢) شالت نعماتهم : طاشت عقولهم
فهمسروا . (نعم) - بكسر نفتح - جمع نعمة - بكسر فسكون -
معروفة المعنى (النعم) بفتح النون والميم - واحد الأنعام :

وإذا تأملت قول الشاعر : (محمد روح عيسى وهو جنته ٠٠) وجدته يشير إلى مدى الصلة القوية بين رسول الله عيسى (عليه السلام) ورسوله الله محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ولعله يلج إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : * أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد (١) .

وفي قوله : (أحيا النفوس) كناية لطيفة تشير إلى إخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان كما أن قوله : (شالت نعماتهم) يدل على أن هؤلاء المنكرين لم يتدبروا عظمة رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) التي اشتملت على فضائل عظيمة تخفى قيمتها (على الأنعام) إذ لا عقل لها ، وفي ذلك تعريض بهؤلاء المنكرين ، ولا يخفى أن الشاعر قد تأثر في وصف الآخرة بأنبياء (عرة الدنيا) . بأقوال من سبقته ~~بين الشمس~~ وبخاصة قول البصري : (فإن من جودك الدنيا وضرتها ٠٠) (٢) ، كما أن في قوله : (وجاز فيها جواز البر في السم) تشبيها لطيفا بين أثر الإسلام وبركته .

ولقد أنقل الشاعر عبارته بالإكثار من المحسنات البديعية مثل : الطباق في قوله : (روح وجنة) و (البر والمقم) و (أنار وظلمة) والجناس المشتق في قوله : (تكلمت وكلم) و (أحيا وحي) والجناس المحرف في قوله : (نعم ونعم) .

وانتقل الشاعر إلى الحديث عن عجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٣) :

سلوا الحمام على ما قال صاحبه

صاحب الثار والأعداء كالرخم

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٠٣ .

(٢) انظر ص ٢٠٨ من هذه الرسالة .

(٣) ديوانه ص ٢٥٨ .

أهمهم من حديثه لو نظسروا .

برق وحققه فأعنى القلب نفس صم

فالجار والشار والمطلوب عنه غمدوا

كالنمر لم يدرك المعنى من الكلم

يكاد يخبره من إضاحته وعمل أنجم تهدي الطريق

في هذه الأبيات يشير الشاعر إلى مشاهد من مشاهد هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو : ثلاث اللحظة التي قال فيها أبو بكر (رضي الله عنه) للرسول (صلى الله عليه وسلم) - وهما في الشار - : " لو نظسروا أحدهم - الكفار - إلى موضع قدمه لرأنا " فقال له الرسول : - بتقسيسة وأطمئنان - " ما ظنك باتيين الله ثالثهما " لا تحزن إن الله معنا " (١) .
ونملا أعصى الله أبصار هؤلاء الكفار ، فرجعوا إلى ديارهم يحزون ثوب الخزي والمار .

وإذا تأطت قول الشاعر : (سلوا الحمام) وجدته يشبهكم بهؤلاء الكفار ، لأنه يعلم أنهم لن يسألوه ، وإذا سألوه - فرضا - فلن يرد عليهم ، ولكنهم نزل منزلة من يحفل ومحال ، ومعلوم أن حامتين قد وقفتا على باب الشار بعد دخول الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما ذكرت ذلك بعض كتب السيرة (٢) .

ولا يخفى ما في اختيار الشاعر اسم الموصول (ما) من تفخيم وتعظيم ، ولم يذكر الشاعر اسم أبي بكر صريحا ، بل قال : (صاحبه) ليحيل له شرف الصفة كما سجلها القرآن الكريم من قبل في قوله تعالى : " إِنْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا " الآية (٣) .

ولقد شبه الشاعر الكفار بالطيور التي تنقض على قريشها - (. . . والأعداء كالبرخ) - إشارة إلى فظاظتهم وظلظتهم ، كما عبر عنهم بالأعداء تشبيها عليهم .

(١) انظر ص ١٤٢ من هذه الرسالة .

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٣) النجدة ٤٩ .

والمجيب أن هؤلاء الكفار - على الرغم من قربهم من باب الفار - لم يسموا
بسموا حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع أبي بكر ، ولقد بين الشاعر
علة عدم سماعهم هذا الحديث بقوله : (برق وحق) ، وأراد بالبرق نور الرسول
(صلى الله عليه وسلم) والحق ، حقق هؤلاء الكفار ، ثم أكد ذلك بهذه الكلمة
الصادقة : (أعنى القلب فى صم) ، ولا يخفى أن الشاعر قد أكد ما ذكره
فى البيت التالى بقوله : (فالجار والفار) ، إذ أشار إلى جهل مشغول
الأعداء ، وأكد بهذا التشبيه (كالفر) .

وأراد الشاعر أن يشير إلى شدة نور الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو فى
الفار فذكر أن الفار كاد يخبر عن وجود الرسول بداخله : (يكاد يخبره) .
ويدو أن الشاعر أراد أن يؤكد نور الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهدايته
للناس بقوله : (وهل أتجم تهنى الطريق عى) ، كما أراد المخبر من هؤلاء
الكفار الذين عموا عن ذلك النور .

إن الشاعر قد اكتفى بالحديث عن الفار والحمام ، وهو متأثر فى ذلك
بالموصى (١) .

ويدو أن الشاعر بعدما ذكر صحة أبي بكر للرسول (صلى الله عليه وسلم)
رجع إلى الحديث عن بعض الصحابة فقال (٢) :

والفاتح الدين والدنيا الفتى عمر ... أعر بحبك فيه القلب ، تستقم (٣)
حيا الحيا ، مصرع الحى الشهيد نصدى

مجهز الجيش ذى النورين والكرم (٤)
وأعل بيت عن الدنيا قد ارتقموا

(تحت الميامة) نوح الناس كلهم)

(١) انظر ص ١٤٥ من هذه الرسالة .

(٢) ديوانه ص ٢٥٨ .

(٣) المراد بصمر : أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وقد سبق التصحيح
فيه فى هامش ص ١١٦ من هذه الرسالة .

(٤) المراد بذى النورين : أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضى الله عنه) انظر
المرجع السابق هامش ص ٢١ .

لهت إلهه وعلی الجاه والشيم

في هذه الأبيات يمدح الشاعر بعض أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) في البيت الأول مدح أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بأن الله قد فتح على يديه كثيراً من البلاد ، فاتسعت في عهده رقعة الدولة الإسلامية ، ولا شك في أن هذا فتح للدين ، كما تم الرخاء في عهده بحسن سياسته وعدله ، وهذا فتح للدنيا ^(١) ، كما أشار الشاعر إلى شجاعته بقوله : (الفتي عمر) ، ولم يله تأثر في ذلك بقوله تعالى عن أهل الكهف : (إِنهَـمْ فِتْنَةٌ أَنصَبُوا بَـرِيهَـمُ وَزَدْنَاهُمْ هُدًى ^(٢)) ، ولا شك في أن من يجسبذلك الصحابي الجليل فليقتف أثره وليدفعه ذلك إلى الامتقاة وحسن العمل .

وفي البيت الثاني مدح الشاعر أمير المؤمنين : عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بما كان فيه من خصال حميدة مثل شدة الحياء ، وفي ذلك إلحاح إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) عنه : " إن عثمان رجل حي " ^(٣) . و " تمنحني فيه الملائكة " ^(٤) ، كما أشار إلى أنه قد مات شهيداً إذ قتل ظلماً ^(٥) ، ولعل قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " عندما كان واقفاً مع أبي بكر وهو عثمان على جمل أحد فاهتز الجمل ، فقال له : اثبت أحد ، فإننا عليك نبى وصديق وشهيدان " ^(٦) ، لعل ذلك يؤكد ما ذهب إليه الشاعر من أنه صريح شهيداً ، ثم أشار إلى حسن جهاده في جهل الله بحاله عندما جهل جيش العسرة وتبرع بكثير من ماله ^(٧) ، كما أنه لقب بهدى النورين لأنه تزوج بنتي الرسول (صلى الله عليه وسلم) العبدة رقية ومحمد وفاهما سنة ٢ هـ ^(٨) ، تزوج السيدة أم كلثوم (رضي الله عنهما) ولما توفيت سنة ١ هـ ^(٩) قال له الرسول (صلى الله عليه وسلم) : لو كانت لنا ثلاثة لزوجناك ^(١٠) .

- (١) أسد الغابة ج ٤ ص ١٢٠ وما بعدها . (٢) الكهف / ١٣ .
 (٣) صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٦٢ . (٤) المرجع السابق . (٥) أسد الغابة ج ٢ ص ٥٩٢ . (٦) المرجع السابق ج ٢ ص ٥٨٨ . (٧) صحيح البخاري ج ٥ ص ١٢ .
 (٨) الأعلام ج ٦ ص ٨٩ . (٩) المرجع السابق .
 (١٠) أسد الغابة ج ٢ ص ٥٨٦ .

وفي البيت الثالث أشار الشاعر إلى أهل بيت النبي (صلى الله عليه وسلم) (١)
وصفهم بطهارتهم من الدنيا ، وبعدهم عن النقائص ، وأكد ذلك قوله : (وأهل
بيت عن الدنيا قد ارتفعوا) ، ولمح إليه بقوله : (تحت العباءة) التي هي
العباءة عائشة (رضي الله عنها) قالت : خرج النبي (صلى الله عليه وسلم)
غداة ، وعليه مرط مرحل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ،
ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فدخله ،
ثم قال : " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا " (٢)

وفي البيت الرابع انتقل الشاعر إلى مدح أمير المؤمنين : علي بن أبي طالب
(كرم الله وجهه) بسعة علمه ، وذلك في قوله : (باب المدينة) وهو
في هذا يلح على قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) " أنا مدينة العلم وعلي
بابها " (٣) ، كما أشار إلى شجاعته بقوله : (حامي البيت) البيت (٤) لبيت الإله
- وإن كان قوله : (لبيت الإله) قد عرّف به حمزة بن عبد المطلب (٥)
(رضي الله عنه) ولكن لا مانع من أن يسمي به غيره من شاركه في شجاعته
وكفاحه في سبيل الله - وجاء وأشار إلى رفعة شأن الإمام علي بقوله : (علي
الجاه والشيم) .

ثم انتقل الشاعر إلى مدح السيدة فاطمة وبكيتها : (٥) الإمام الحسن والإمام
الحسين (رضي الله عنهما) بقوله (٦)
والهضمة الدرة الزهراء فاطمة

وصفوة الصفوة الفراء في المصم (٧)

والنيرين الشهيدين : ابنها حسن

إذ قال للمطك إن السم في الدم

(١) انظر هامش ص ١٢ من هذه الرسالة .

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٨٧ ومرط : (وكسر فسكون) كساء من صوف - ومرحل : منقوش .

(٣) أسد الغابة ج ٤ ص ٩١ وما بعدها . (٤) هو حمزة بن عبد المطلب - عم الرسول (صلى

الله عليه وسلم) المعروف بسيد الشهداء - استشهد في غزوة أحد سنة ٣ هـ (المرجع السابق

ج ٢ ص ٥١) (٥) سبق التعريف بالسيدة فاطمة والإمام الحسين في هامش ص ١٨ من هذه

الرسالة ، أما الإمام الحسن فهو الحسن بن علي بن عبد المطلب جد الرسول (صلى الله

عليه وسلم) مات سنة ٤٩ (٦) ديوانه ص ٢٥٨ . (٧) الهضمة : القطعة . الزهراء : المشرقة .

ريحانة ظمئت نيس كربلا فجسرت

على الحسين عيون المين بالديم^(١)

يزيد نار الأسى و دمع عليه جرى

في يوم أن خضب الريحان بالحنم

وصف الشاعر السيدة فاطمة (رضى الله عنها) بأنها درة لامة و شمس
ماطمة و حتى صفوة الصفوة من خلق الله و طهارة و عفة و وجلالا و كمالا و ولعله
يلمح بقوله : (البضعة) إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " فاطمة
بضعة مني فمن أغضبها أغضبني^(٢) " .

ثم أشار إلى الإمام الحسن والإمام الحسين ووصفها بأنها (نيرة مسلمين)
وشهيدتين و فاما الإمام الحسن فقد مات مسموما^(٣) و ولعله يشير إلى ذلك
بقوله : (إذ قال للملك إن السم في الدسم) ، أو لعله أشار بذلك إلى
تنازله عن الملك حقنا لدماء المسلمين^(٤) .

وأما الإمام الحسين فقد مات مقتولا في مؤقمة (كربلاء) وبدوا أن الشاعر يلح
بقوله : (ريحانة) إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن الحسن والحسين
: " هما ريحانتاي من الدنيا " ^(٥) كما يشير بقوله : (ظمئت) إلى
ما روى أن الإمام الحسين قتل وهو ظآن يطلب الماء و لكنه منع عنه^(٦) ولا شك

الوجه و وقيل : سميت بذلك لأنها لم تحض و إذا ولدت طهمت سرت بعد ساعة
فلم تغتسل صلاة و انظر يوسف التهباني : الشرف المؤبد لآل محمد ص ١٠٩ مطبعة
الخلي بصر سنة ١٩٦١ .

(١) كربلاء : أصلها كربلاء : موضع قريب من الكوفة قتل فيه الإمام الحسين (عج) بم
البلدان ج ٢ ص ٢٢٩ .

(٢) صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ٢٣٢ المطبعة الأزهرية بصر سنة ١٣٠١ هـ .

(٤) المرجع السابق ج ٣ ص ٢٠٥ وما بعدها .

(٥) صحيح البخاري ج ٥ ص ٣٣ .

(٦) الكامل ج ٤ ص ٣٩ .

فى أن قتل الإمام الحسين (رضى الله عنه) قد لحزن كبيرا من المسلمين - إن لم يكن كلهم - فسالت دموعهم ، بل كما قال الشاعر : (فجزت على الحسين ميمون الصين بالديم) وفى ذلك تأكيد على شدة الحزن ، وعظيم الأسى .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يؤكد مما سبق - من شدة الحزن - فقال : (يزيد نار الأسى ، دمع عليه جرى) إلا أن فى ذكره لفظ (يزيد) ما يوحي بالتورية ، إذ فيه إشارة إلى يزيد بن معاوية ^(١) وهو الذى جرت فى أيامه تلك الحوادث الأليمة .

ولقد اشتملت العبارة على ما يلهب المشاعر ، ويحرك الإحساس ، شمل قوله : (نار الأسى) ، كما أن تنكير لفظ (دمع) يوحي بغزارته ، ويؤكد ذلك لفظ (جرى) أضف إلى ذلك أن فى قوله : (فى يوم أن خضب الريحان بالعمم) ما يؤكد عمدة الأسى والأصفاء على هذا الدم الذى أصبى وهذا الجسد الشريف الذى أظهن .

ثم طلب الشاعر أن يرضى الله عن المعباس بن عبد المطلب ^(٢) وآله بقوله :
هم عمه عباسا بكل رضى . . . وصفه وجميع آل والحشم ^(٣)

ومع ظهور ما أراده الشاعر تبعا لسهولة ألفاظه ، فلم يأتى بلفظ (الحشم) للوزن ، وقد تأثر فى ذكره ببيئة القصر الذى كان يمدح صاحبه وهو (عباس الأول) ، إذ كان الدرويش شاعره ^(٤) ، ولذا لم ينس الشاعر أن يشير إليه ويصفوه بقوله : ^(٥)

من عهدده الخامس المعباس ما ابتست

إلا له الواحد المعباس فى الهم

(١) هو يزيد بن معاوية بن أبى سفيان - ثانى ملوك بنى أمية توفى سنة ٦٤ هـ .

(٢) سبق التعريف به فى هامش ص ١٥ من هذه الرسالة .

(٣) ديوانه ص ٢٥٨ ، ورواية الديوان (عميه) بالتحنية ، والمعلوم أن الرسول لم يكن له إلا عم واحد مسمى بهذا الاسم ، ولعله خطأ مطبعى ، والأصل (وعمه) ويؤكد ذلك أن الوزن لن يتغير .

(٤) انظر ص ٢٨١ من هذه الرسالة .

(٥) ديوانه ص ٢٥٠ .

إذ زين الدين بالدنيا بدولته

دامت ، وقالت له : هفت فاحتكم

يارب تكسبه خيرا وتنصحه

بمولد زانه في ذلك الحرم

يحدح الشاعر عباسا الأول بالشجاعة ، وشدة المنيمة ، وقوة الهمة ،
وأشار إلى أنه زين الدين والدنيا بدولته التي مضى في حكمه إياها خمس
سنوات ، ثم دعا له بدوام ملكه ، وسأل الله تعالى بأن يرزقه الحسين وأن
ينصره ، جزاء احتفاله بمولد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) .

والجدير بالذكر أن الإمام البوصري في برده قد تحدث عن الصحابة
بمادة ، ولم يشير إلى حاكم عصره ، أما الدرويش فقد ذكر بعض الصحابة
بأسمائهم ، كما أشار إلى حاكم عصره .

ثم يخاطب الشاعر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله (١) :

يا سيد الرسل لي فكر يضئ به

لفظ المحب ضياء البدر في الظلم

يا أكرم الخلق لا مستنيا ملكا -

ومشرق الفرقتين : المربوا والمجم

هذي قصيدتي ، فإن أقبل فمن كرم

فمن عم غيري ، وإن أردد فواندسي

يخاطب الشاعر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مناديا إياه نداء يسدل
على رغبة شانه ، وعلو قدره (يا سيد الرسل) ، ولا عجب في ذلك فهو سيد
الرسل (عليهم الصلاة والسلام) وهو أكرم الخلق .

ولقد بين الشاعر أن حبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو الذي ساعده
على نظم تلك الأتكار التي اشتملت عليها تلك القصيدة ، كما أن هذا الحساب

(١) المرجع السابق ص ٢٥٨

هو الذى هداه إلى الخير ، وأكد به هذا التشبيه (٠٠٠ ضياء البسدر
فى الظلم) ، ولا يخفى أن الشاعر قد شبه المهنى بالمحموس ، وفى ذلك
تأكيد وبيان لأثر هذا الحب .

وانتقل الشاعر إلى الإشارة إلى كرم الرسول (صلى الله عليه وسلم) ففى
البيت الثانى ، ثم أكد بقوله : (لا مستنيا ملكا) ولملح ذكر هذه المصارة
دعما لمن يتوهم أنه أراد بقوله : (يا أكرم الخلق) الإنسان فقط ، بل شمس
أكرم المخلوقات كلها إنسا وجنا وملكاً ، ثم أشار الشاعر إلى أن الرسول (صلى
الله عليه وسلم) خير العرب والمجم بقوله : (مفوق الفرقين : العرب والمجم) ،
ولملح تأثر فى ذلك بقول البوصيرى (١) :

محمد سيد الكونين والثقلين والفرقتين من عرب ومن هجم

ولا شك فى أن قول الشاعر : (مفوق الفرقين) بعد قوله : (أكرم
الخلق) إطناب ، من قبيل ذكر الخاص بعد العام ، وهو محمود فى معرض
المدح ، كما أنه نسر الفرقتين بقوله : (العرب والمجم) ومثل هذا يحى
عند علماء البلاغة (توشهما) وهو محسن بدعى - كما سبقت الإشارة إليه (٢) -
يشير الانتباه ، وذلك الفكرة .

وفى البيت الأخير يقدم الشاعر قصيدته إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)
بتواضع يشير إليه بقوله : (هذى قصيدى ٠٠) ثم يوضح أنه إن قبل فمن كرم
الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذى (قد عم غيره) ، وإن لم يقبل فما أعظم
ندمه ، وما أشد حزنه .

فضل البوصيرى وبردته :

ويبدو أن الشاعر أراد أن يوضح المقصود بقوله (فمن كرم قد عم غيره)
وأن يشير إلى فضل البوصيرى وبردته فقال (٣) :

(١) انظر ص ١٢٠ من هذه الرسالة .

(٢) المرجع السابق هامش ص ١٢١ .

(٣) ديوانه ص ٢٥٨ .

يَكْهَى الْأَبَاصِيرُ مَا نَالَتْ قَصِيدَتَهُ

من المقاصد في حكم وفي حكم

ببراة أبراته ثم تسقمسني

برئت من ألى إن قلت : وا ألى

لها السباق إلى المليا سمدة

تلك القصيدة بالإقبال والنم

كلانها حين تجلى في بدائنها

هيفاً تهكى أمانينا بهتسم

يا عالم السر من مكنون مسمها

وميل الستر من شمر على القسدم

في هذه الأبيات يذكر الشاعر أن الذي قد عمه كرم الرسول (صلى

الله عليه وسلم) هو البوصيرى بسبب قصيدته البردة التي ذاع خبرها وانتشر

أمرها ، والتي اشتملت على حكم صادقة ، وأفكار طيبة ، كما أنها كانت مبهما

في شفاة من مرضه الذي ألم به .

ثم بين الشاعر أن هذه القصيدة - البردة - لها فضل السبق إلى

المكانة المالية ، والمنزلة الرفيعة ، ببدائعها وروائعها التي تشبه الهيفاً

صاحبة الشفر الجميل ، وحين تهكى يزداد جمالها .

إن الذي يعلم سر مسمها ، ومكنون أمرها ، هو الله سبحانه وتعالى ، الذي

أسبل الستر على عباده ، ولم يكشفه عنهم ، فهذا يدل على قدرته .

ثم يتجلى غرام الشاعر بالمحسنات الهمدية ، غيأتى بجناس محرف في قوله

: (حكم - بضم فسكون - وحكم - بكسر ففتح) ، وجناس شهيه بالمشتق نفسى

قوله : (برأة ، وأبرأت ، وبرئت) ، أضف إلى ذلك الطباق بين قوله : (أبرأت)

وقوله : (تسقم) ، والتكرار في لفظ (ألى) .

وننتقل الشاعر إلى الاعتراف الصريح بأنه نظر إلى قصيدة البوصيرى

وحاكاها ، فقال (١) :

(١) المرجع السابق ص ٢٥٨ وابعدها .

جرت فؤادي بالحاظ لها قسم
على الحشا عديها من أحرف القسم
يزينها بالديا الإخلاص عاشقها
قد حاز معرفة من صاحب الملسم
ليست مثل قصيد من أمير حموي

إلى فضول بدعوى الفضل متهم
لكن عنسى المذنب الدرويش يلحظ من
(أمن تذكر جيران بذي ملسم)

فاليها تبايل من فضل سيده
حاكيا ، وأنا حاكيتهم بنمسي

يقول الشاعر : إن هذه القصيدة الجميلة قد هدت نظري إليها
بالحاظها ، ووقع قلبي أسير حبها ، ولعل السر فيما نبهتني من مكانة عالمة ،
هو أن صاحبها تد زينها بالإخلاص حبها ، والصدق فيه ، فتفتح الله عليه
ببركة الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

أما قصيدتي فليست مثلاً ، ونسيات أن تبلغ مكانتها ، إذ هناك
فرو كبير بين البوصيري وبينى ، ففضله معروف ، أما أنا فتطفل على مؤائده
تؤلاء الكرام - مادمي الرسول بما فيهم البوصيري - فإذا حرمت التسلوب
بمذهب ذنوبي - نفس أن ينالني بعضه ببركة البوصيري وردته التي حاكيتها
وكان مثلي كمثل البهائم الذي يحاكي سيده .

ولعل في أبيات الشاعر ما يشير إشارة واضحة إلى معارضة برودة البوصيري ،
ويبدو أن سبب تلك المعارضة هو إعجابه بها ، ومحاولة النج على مؤائدها ،
قربة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ثم ختم الشاعر قصيدته بما شاع
في عهده من تاريخ (١) زمن نظم القصيدة ، فقال (٢) :

ختم مولده مسك - مؤرخه
خير النعمين عزما سيد الأمم
عليه صل وسلم ربنا ، وعلى
أصحابه ، وابتداء الحمد مختتم

(١) التاريخ : سده بعض الكتاب من المحسنات البديعية - عوان يأتي الشاعر بكلمة
أو بكلمات إذا حسمت حروفها بحساب الجمل بلغت رقم السنة التي قصدها من تاريخ
هجرة النبي أو التاريخ المولدي ويصيح ذلك لفظ أرخ أو مؤرخا أو غير ذلك من
الكلمات المشتقة من (التاريخ) انظر : زهر الربيع ص ٢٦٨ ، تاريخ الأدب الحديث
ص ١٥٠ (٢) ديوانه ص ٢٥٩ .

إن ختام مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) منك - ويبدو أن الشاعر نظر في ذلك إلى قوله تعالى : " خَتَامُ مِصْكٍ " (١) - وكيف لا يكون كذلك وهو خير النبين عزما ، وهو سيد الأمم - معلوم أن الشاعر قد أتى بهذا البيت لئلا يناسب تاريخ نظم القصيدة - الذي أشار إليه بقوله : (مؤرخه) .

وأخيرا يطلب الشاعر - من الله تعالى - أن يعلى وسلم على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعلى أصحابه ، وهو في هذا قد زاد على البوصيري الذي اكتفى بالصلاة فقط في قوله : (وأذن لصحب صلاة منك دائمة البيت (٢)) .

ثم يشير الدرويش إلى حسن الختام بقوله : (وابتداء الحمد مختص) .

٢ - معارضة التيمورية :

ولم تقتصر معارضات البردة في العصر الحديث قبل قرون - على معارضة الدرويش ، بل هناك - أيضا - معارضة التيمورية .

والتيمورية هي السيدة : عائشة عصمت بنت إسماعيل تيمور ، ولدت في القاهرة سنة ١٨٤٠م وعاشت في دنيا الناس ما يقرب من أربع وستين عاما ، إذ توفيت سنة ١٩٠٢ .

وحتى هذا فالشاعرة مصرية الولد والنشأ والإقامة والوفاء ، وإن كانت تستند أصلها من ثلاثة عناصر : الكردي والتركي والجركسي .

فأما أصلها الكردي فيرجع إلى جدها لأبيها " محمد تيمور كاشف " الذي كان ضابطا في الجيش وتدرج في كثير من المناصب إلى أن توفى سنة ١٢٦٢هـ . وأما أصلها التركي فيرجع إلى جدها لأمها " عبد الرحمن الإسلامبولي " الذي كان من أصحاب الجاه في عهده ، كما يرجع أصلها الجركسي إلى أصل والدتها .

(١) المطففين : ٢٦ .

(٢) انظر ص ٢١٤ من هذه الرسالة .

نشأتها :

ولقد نشأت السيدة : عائشة التيمورية في قصر والدها . . الذي تقلب في مناصب عالية زينا طويلا . وكان يجيد التحدث والكتابة . بست لغات : وهي : التركية والعربية والفارسية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية . ولعل هذا هو السر في بقائه مدة طويلة رجلا للقلم الإفرنجي للديوان الخديوي . وهذا المنصب يحادل الآن منصب (وزير الخارجية) - ولم يقف عند ذلك المنصب ، بل ترقى إلى منصب الرئيس العام للديوان الخديوي (١) .

وصحبا يكن من شيء فإن ابنته عائشة قد درجت في عهد الرنمسة والعز ، تكتنفها فخامة القصور ، ومحيط بها زهو الألقاب ، ولكنها أبست أن تحيا حياة فتيات عصرها بنأى من تثقيف العقل ، وتهذيب النفس ، فشبّت نزاعة إلى العلم ، مطلقة على كتب الأدب (٢) ، ولعل ذلك مرجعه إلى ما شاهدته في قصر والدها ، من شعراء وأدباء ، يترنون ويحاسبون ، إلا أن والدتها كانت تمنعها على تركها التطريز وما شاكله من دروس الترميز النسوية ، وإقبالها على كتب الأدب ودواوين الشعر ، ولكن والدها وخمسيف بجانبها يشجعها قائلا لوالدتها : . . . دعي هذه الطفلة للقرطاس والقلم ودونك شقيقتها ، فأدبها بما شئت . . . (٣) كما أخصر لها أستاذين : أحدهما : يحفظها القرآن الكريم ويحللها النسخ والنظم ، والثاني يعلمها النحو والصرف واللغة الفارسية ، ما ساعدها على إتقان ثلاث لغات : العربية والفارسية والتركية .

تأجيلها :

ولقد أقبلت على كتب الأدب بشغف وحاس ، لكن تحقق حلمها الذي

(١) عائشة التيمورية : حلية الطراز ص ١٥ وما بعدها - من المقدمة ، مطبعة دار الكتاب العربي سنة ١٩٥٢ .

(٢) زينب فواز : الدر المنثور في طبقات ربات الخدم ص ٢٠٨ وما بعدها ، المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٣١٣ هـ . ومقدمة ديوانها ص ١٦ ، بتصرف .

(٣) شعراء مصر وبناتهم في الجيل الماضي ص ١١٥ .

راودها في فجر حياتها • إذ كانت تتمنى أن تنضم إلى موكب الشعراء •
وتفقد ندا لهؤلاء الأعلام • الذين لطفوا إليهم • وأعجبت بهم • ولكنها
فوجئت بأحد أشراف الترك يدعى : " محمد توفيق زاده " يطلب يدها من
أبيها • ووافق والدها فعلا مع أنها لم تتجاوز الخامسة عشر عاما (١) •

وكان من الطبيعي أن تشغلها الحياة الزوجية من متابعة نشاطها
الثقافي وبخاصة عندما أصبحت أما • ولكنها لم تلبث أن رجعت إلى الاشتغال
بالأدب عندما مات زوجها سنة ١٢٩٢ هـ بعد وفاة والدها سنة ١٢٨٩ هـ •
فلم تجد عزاء إلا في الانصراف إلى الكتب • تاركة أمر البيت لبناتها " توحيد (٢)
هدا لها أن تتقن علم المروءات الذي لم تكن على علم كاف به • وشعرا •
الله أن تموت ابنتها توحيد • وهي مقدمة على زفافها • فحزنت عليها أمها
حزنا كبيرا • ونكحها بكاء حارا • حتى ضعف بصرها • وأصبحت بمرض استمر
أربع سنوات • ثم صعدت روحها إلى بارئها •
آثارها :

تركزت التصويرية بعض المؤلفات • وأهمها (٣) :

- ١- ديوانها المروءات (حلية الطراز) •
- ٢- ديوانها الفارسي •
- ٣- نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال (وهي رسالة في الأدب) •
- ٤- مرآة التأمل في الأمور (وهي رسالة في الأدب أيضا) •
- ٥- اللقا بعد الشتات (رواية تشيلية) •

شعرها :

من يقرأ ديوانها المروءات (حلية الطراز) يجد أنها قد نظمت الشعر
في كل أغراضه التقليدية تقريبا • وهي إن ذكرت • أنها نظمت الشعر محاكاة
لن سبقتها من النساء • في قصيدتها التي منها قولها :

(١) مقدمة ديوانها ص ١٨ •

(٢) المرجع السابق ص ٢٨ وضا بعدها •

(٣) المرجع السابق ص ١٨ • ص ٤١ •

ولقد نظمت الشعر شبيمة مفسر
قلمى ذوات الخضر والأحساب (١)

إن ذكرت ذلك فقد بلغت فى نظمها مبلغا حسنا، ويؤكد بعض الكتاب بقوله : " .. إن من يوازن بين شعر هذا الديوان وما كان يجرى عليه الشعر العربى فى ذلك الحين الذى عاشت فيه الشاعرة فإنه سيجد فى شعر (التميمية) مثلا قويا رائعا من بلاغة الشعراء فى ذلك العصر الذى بعد هجره للنهضة الأدبية بمصر ركونه طال مداه ... (٢) " ولقد ساعدنا على ذلك " أنها درست خير ما كان يدرسه أبناء ذلك الجيل ، فزارت فسى النظم أحسن من نظم غيره ، فإذا استثنينا البارودى أولاء والساعاتى ثانيهما ، فشعر السيدة عائشة يملو إلى أربع طبقة من الشعر ارتفع إليها أدبها بمصر فى أواسط القرن التاسع عشر إلى عهد الثورة المصرية (٣) ...

ولعل السبب فى نبوغها يرجع إلى ما كان عندها من اعتماد لقصر الشعر ، ويؤكد ذلك المقاد بقوله : " .. قد وجدت عائشة لها معلومات وزميلات يقرأن الأدب ، ويحرفن الشعر والمريض ، ولكن المسألة فى نبوغها ليست مسألة تعلم المرأة ، وما وصل إليه من الذوق والاستحسان ، نسيان هذا التعليم قد شاع فى عصرنا ، حتى أصبح عندنا ألف من البنات يقرأن كما كانت تقرأ السيدة عائشة تميم ، ويملأن على أكثر ما اطلعت عليه ... فلو كانت المسألة فى هذا الصدد مسألة (تعلم البنات) لوجب أن يكون لدينا عشرون أو ثلاثون شاعرة فى طبقة التميمية ، أو فى أعلى من طبقتها ، وهو غير الواقع فيما نراه وراء غيبتنا ، بل الواقع أننا لم نقرأ لن نسيان بعد السيدة عائشة التميمية نظما يضارع نظمها ، ولا شاعرة تقارب شاعريتها ، وإن كان التعليم فى عصرنا أو فى ، وداد الملوم والثقافة ... أكثر وأغنى ، .. إنما المسألة هنا أن الاستعداد للشعر نادر ، وأنه بين النساء أندلس ... (٤) " .

(١) ديوانها ص ٢٦٥ (٢) على الجبلاطى : من أدباء الإسلام المعاصرين ص ٧٥ وما بعدها - مذكرات الأهرام التجارية بمصر سنة ١٩٢٠
(٣) شعراء مصر وميقاتهم فى الجيل الماضى ص ١١٥
(٤) المرجع السابق ص ١١٦

ويمكن أن أقول - إن شعر التيمورية - بحانة - جميل النظم - جيد
المهك - ينساب بلا تكلف للفظ - ولا تصنع للمبارة - وإن كان خالياً من
الحق - ولقد ورد في ديوانها مقاساً إلى خمسة أقسام (١) :
شعر المجاملة - والشعر العائلي - والشعر الفزلي - والشعر
(الأخلاقي) (٢) ، والشعر الديني ، والابتهالي ، وسأكتفي بالحديث عن شعرها
الديني ، لأنه شديد الصلة بقصيدتها التي عارضت بها بردة الهوسيري ،
وهو شعرها الديني - لم يستغرق في ديوانها أكثر من خمس صفحات (٣)
ناجحت به ربها - وتوسلت إليه بنبيها (صلى الله عليه وسلم) لكن يشغرنهها ،
ويستر عيها - ومن ذلك قولها (٤)

إلهي مهدي أنت الجليل	بها برجاك العهد الدليل
ضعف الحال منكرف تفسير	كثير المنفى ناصرة قلبه
فأنت لذنبه ربّ عسير	كريم صفحة الماسي جليل
قصدت حملته يامولى الموالى	أروم المنور لي أمل جميل
قصدت حاك ، تسترقح عيسى	

بسم الله المصطفى إني دعوته

ومن هذا القسم قصيدتها التي عارضت بها بردة الهوسيري ، وقد بلغ
عدد أبياتها أربعين بيتاً ونهجت فيها نهج البردة في أنكارها وروثها
وودها (٥) ، على الرغم من أنها لم تنسج إلى ذلك صراحة ، كما أشار الدكتور
- سابقاً (٦) - إلا أن ما يؤكد أنها قرأت بردة الهوسيري ، وتأسست
في نظمها بأفكارها ، بل بالفاظها ، أنها أخذت منها بعض أبياتها ، وحفظها
بعض قصائدها ، ومن ذلك قولها :

فما لمي إن قلت أكفأ منها . وما لقلبي إن قلت استغفرهم (٧)

(١) ديوانها ص ١٠١ . (٢) في لفظ (الأخلاقي) خطأ لنوى وصوابه :
(الخلق) ، إذ لا يصح النسب إلى الجمع بل ينسب إلى مفرد ، وانظر (ضار المسالك
إلى أوضح المسالك ج ٢ ص ٢٤٦) (٣) ديوانه ص ٢٦٩ وما بعدها .
(٤) المرجع السابق ص ٢٧٢ (٥) ديوانها ص ٢٦٩ وما بعدها .
(٦) انظر ص ٣٥ من هذه الرسالة . (٧) ديوانها ص ٢٢٧ .

فهو من قول البوصيري :

فما لعينيك إن قلت اكفاهما : وما لقلبك إن قلت استفق بهم

ولعل القارئ يدرك الصلة الشديدة بين القولين ، ولولا التخيير الهين
في الضائر لقلت : إنهما بيت واحد :

كما أنها أخذت الشطر الثاني من قول البوصيري :

وكلهم من رسول الله ملتمس : غرنا من البحر أو رشفنا من الدم

ووضعت في أحد أبيات قصائدها قائلا :

فحبها بقول فهي راجية : (غرنا من البحر أو رشفنا من الدم)^(١)

وهي يمكن من شيء ، ففي معارضة التسمية ما يدل على أنها نظرت إلى
بردة البوصيري ، وشجيت نهجها في كثير من أفكارها ، وموافا أبده على مثل
ذلك في أثناء تحليل تلك المعارضة التي بدأتها بقولها^(٢) :

أفنى وبقى سرى في حند من الظلم

أم نسمة حاجت الأنواق فن (إضم)^(٣)

فجددت لي عهدا بالفرام خمس

وفاقت نحو أحماس (بذي طلس)

دعا فؤادي من عهد السلو إلى

ما كنت أعهد في قلبي من القسود

وفاقت لحبيب عشق خطيبه

بحر وفت ما بهواء من عسود

بحر سلوى : كما بحر إمامه

حيي له : فعداين فيه كالنعم

تتأمل الشاعرة ما جدد غرامها ، وألحبت شوقها ، أنور محبوبها الذي

سرى في الظلام الشديد ، أم الريح الطيبة التي هبت من ناحيته ؟ ما جعل

قلوبها يتذكره بعد طول نسيان ، بل جعله يستعذب منه كل إساءة وهوان !

(١) المرجع السابق ص ٢٢٨ . (٢) المرجع السابق ص ٢٦٩ .

(٣) حند من (بكسر الحاء) والدال بينهما نون ساكنة : الليل الشديد الظلمة .

لقد بدأت التعمية قصيدتها باستفهام يشير الحس، هلكت الذهن،
وهي متأثرة في ذلك بمطلع برقة البوصيري، وما يراك ذلك: استفهامها
بالهمزة، مع ذكر معادلتها (أم) ، بالإضافة إلى أن محبوبها مشـسـل
محبوب البوصيري: " فقد سرى نير من جبهة، وهبت ربح طيبة من ناحية
دياره في إضم وذى سلم."

ولا شك في أن قلبها تقليدي، إلا أن اعترافها صراحة بفراقها،
وهشها لمنظر حبسها، لم يحسن منها، وخاصة أنها هي التي رفضت
صوتها المخترة بأدبها وفناتها حين قالت: (١)

بهدي العنان أصون عز حجابي

محضتى أسو طرا أترابى

فكرة وقادة وقريحة: نقادة قد كلت آدابى

نعم: إن الحب من ساء الإنسان وطبيعته، ولكن ليس من القبول
إعلاء هذه الطريقة، وخاصة إذا كان من أنتى تمثى في مجمع شرقى،
له عاداته وتقاليده وآدابه، ولقد كان من الممكن أن تملك البوصيري
الذى جرد من نفسه شخصا يخاطبه بماله عن حبه، وما زال يملك حتى
اعترف به بعد نكران، وأقر بعد جحود وكتمان، وهذا - في رأيي - أفضل
من التصريح الذى وقع من التعمية، التى أكدت حبها، وبينت مدى امتلاء
محبوبها على إحساسها، فوصفته بأنه: (محو شئت)، وما كان لها أن تعرفه
بذلك، وهى التى كانت تقرأ القرآن الكريم، وحفظت منه الكثير، وعلم أن هذا
الوصف مقصور على الله (سبحانه وتعالى)، إنه يقول جل جلاله: " يَحْشُرُ اللَّهُ
مَا يَشَاءُ وَيُشِيتُ " الآية (٢). ولكنه الحب الذى ملك عليها أمرها، فحسب
سلوها لحبسها، كما حاسبها إسماعيل، وجعلها تتحمل في حبسها كل عذاب، بل
إن كل عذاب منه نعمة لها: (نعمذاي نيه كالتحم) فما أعجب حال المحبين! هذا
هذا كل ما تضمنته هذه الأبيات، وهى سهلة الألفاظ، ولكنها غسيرة
جديدة الأفكار، ولقد زينتها الشعرة ببعض المحسنات البديعية مشـسـل:

(١) الرعدى ٣٩.

(٢) ديوانها ٢٦٥.

الطباقي في قولها : (يحوثيث) ولا يخفى أن هذا المحمن يشير إلى مدى استيلاء المحب على إحساس محبوبته - كما سبق - كما أن في إسناد الفعل (يحو) إلى الحب مجازاً عقلياً ولاقته السببية ، ولا شك في أن معنى هذا الإسناد تشخيصاً لذلك الحب ، وإيما * إلى بيان مقداره وشدته •

ولعل في تكرار هذا الفعل ما يوكد شدة هذا الحب الذي ظهرت آثاره ، وانتشرت أخباره ، فكان المشهد الثاني من مشاهد المحبين ، وهو ما أشارت إليه الشاعرة في قولها : (١)

رام الوشاة ملوى عن محبته
ولم أوف لهم هذا ولم أرم
كوف استار الجوى يا من تملكى
وشاهد المشق في المفاق كالملم
نياه معرضاً عنى ومعرضاً
بين الفراغ وقلبي وهو مشغول
حسى من الحبا أفضى إلى تلقى
وما لقيت من الآلام والسقم

في هذه الأبيات انتقلت الشاعرة إلى بيان ما يتخيله كل محب ، إذا تصور أن الوشاة يراقبن نظراته ، وحمدين خطواته ، ويحاولون أن يفسدوا بينه وبين محبوبه ، وهذا ما سلكته التيمورية ، إذا بينت أن الوشاة يحبون أن تهمد عن حبيبها ، وتنسى محبته ، وتقطع مودته ، ولكنها لم تحقق لهم أملاً ، ولم تهتم بهذا لهم إياها •

ولقد تساءلت في عجب : كيف تستر آثار هذا الحب الذي تملكها ، مع أن شواهد ظاهرة كالملم ، ولكنها - مع كل هذا - تشير إلى قسوة ذلك المحب الذي تعاني من أجله الكثير ، وهو معرض عنها ، بل إنه ليتهمها بنسيانته •

والشاعرة بحاطفتها الحزينة - قد صورت ما يمانيه المحبون من الوشاة الممدين من ناحية ، وما يقاسونه من آلام الصد ، وآمال الوصل من ناحية ثانية ،

وإن كانت قد تأثرت في ذلك بقول البصيري : (١)

فكيف تذكر حبا بعد ما شـ

به عليك عدول الدمع والمقسم

إلا أنها تصرفت في عبارتها بعض التصرف ، كإشارتها إلى إعراض --

الحب مثلا .

ولا يخفى ما في عبارتها من التناظر موحية ، وتراكيب مؤجرة ، مثل استنباطها :
(كيف استنار الجوى . .) الذي يدل على قوة الحب الذي تملكها ، كما
يشير إلى عدم استطاعتها إخفاء آثاره ، ولعلها حدثت الفاعل لأنه مضموم
من سياق الكلام -- أو شجعتها على ذلك قهلا من الحياء -- في قولها :
(بما من تملكى) وكان الأصل (بما من تملكى حبه) مثلا ، أضف إلى ذلك
أن في قولها : (نباله ممرضا عنى ومعتضا . .) تمجيدا مليئا بالأس مسن
صد حبها فيها مع عدم استطاعتها الإعراض عنه ، ويدوانها فسبرت
بالموصول في قولها : (ما أفضى ، وما لقيت) إشارة إلى عظم ما عانت منه من هذا
الحب ، ووضحت ذلك بقولها : (من الآلام والسقم) .

ولقد زينت عبارتها ببعض الحسنات الالهامية مثل : رد المجز على
الصدر في قولها : (رام - أرم) وإن كانت قد أثقلت هذا الشطر : (وشاهد
المشق في المشاق كالعلم) بتكرار حرف الشين .

ولعلك تلحظ أن عاطفة الشاعرة في هذه الأبيات مليئة بالحسرة
والندم ، ما جعلها تكتفى من الحب -- بهذا القدر ، وقررت وضع
نهاية لهذا الأمر ، فقالت في شجاعة وصراحة (٢) :

إنى رددت عنانى عن غوايتسه

وقلت : يا نفس خلى باعث الندم

ولذت بالصطفى رب الشفاعة إذ

يدعو المنادى ، فتحيا الناس من رجم

(١) انظر ص ٩١ من هذه الرحالة .

(٢) ديوانها ص ٢٦٩ .

طه الذى قد كما إشراق بعثته
وجهه الوجود منا الرشيد والكريم
طه الذى كللت أنوار منتبضة
توجان أمته فضلا على الأمس

وفى هذه الأبيات تملن الشاعرة أنها حزمت أمرها ، وتحكمت نفسها
عواها ، فردت عن غوايته - لأنشط يجلب الحصرة ويهت الندم - ثم وجهته
الوجهة الصليمة ، ولادت بالمصطفى (صلى الله عليه وسلم) الذى هو جدهم
بالحبيب وأهل الإعزاز والتقدير ، إذ هو صاحب الشفاعة المظنى ، يوم يقسم
الناس لرب العالمين ، كما أن بعثته كانت مصدر خير ، وينبوع هداه على العالم
ومحببه (صلى الله عليه وسلم) فضلت أدته على سائر الأمم .

يبدو أن الشاعرة عندما بنيت من وصل محورها ، انجذبت إلى حبيب
ينضم القلب بحبه ، وتقر العين بانعائه ، وهو الرسول (صلى الله عليه وسلم)
إلا أن الطريق إلى هذا المحبوب الكريم ، يبدأ بالبعد عن الدنيا ، ولذلك
أكدت الشاعرة هذا الأمر بقولها : (إن تردت ٠٠) فصدرته بأن المؤكدة
وقبرت بالفصل الماضى مسندة هذا الرد إلى ضميرها لمباشرتها إياه بنفسها ،
كما أظهرت ندمها على ما فرط منها بقولها : (يا نفس غلبت الندم) وكسل
هذا بمثابة النخلة قبل التحلية التى أشتارت إليها بقولها : (ولست أدت
بالمصطفى ٠٠) .

والتيمورية بقولها : (إن تردت ٠٠) قد خالفت البوصيرى الذى لم
يستطع كبح جماح نفسه ، وطلب من يمازحه عليها بقوله : (من لى بمسرد
جماح من غوايته ٠٠)^(١) ولكنها مع ذلك قد تأثرت في عبارتها به ، ومؤكدة
ذلك قولها : (بالعنان ٠٠) وهو خاص بالفرس ، وأتى البوصيرى بقوله :
(باللجم) وصرح بذكر الخيل ، ولا يخفى أن فى عبارة التيمورية استمارة
مكتبة دلت على حزم أمرها ، ولكن البوصيرى كان صادقا فى طلبه من يساعده
على كبح هوى نفسه - وهذا يطابق الواقع - لأن النفس أماره بانسره ، فهى

(١) انظر ص ١٠٠ من هذه الرسالة .

تحتاج إلى غير بأحوالها ، علم بدساترها ، ولعله تأثر في ذلك بعبادى الصوفية الذين يجمعون للمريد شيخا، يرشده ويوجهه ، أما التيمورية فقد أظهرت قدرتها على تحكمها في نفسها ، وإن كان ذلك أمرا طارئا إثر فشلها في حياها ، ويؤكد ذلك أنها ستطلب من يمينها على نفسها - فيما موافق مسن الأبيات - .

ولا يخفى أن قول الشعرة : (ولدت بالمصطفى) مأخوذ من قول البوصيرى (١) :

يا أكرم الرسل ما لي من ألود نفسه
سواك عند حلول الحادث الممسم

إن تأثر الشعرة واضح ، ولكنها حاولت التصرف في بيتها تصرفا حسنًا ومن ذلك إشارتها إلى أول مشهد من مشاهد يوم القيامة ، يوم ينفخ نسي الصور ، فيخرج الناس من قبورهم أنواجا ، وهو مشهد صعب حقا ، ويبدو أن التيمورية تلجأ بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ يَوْمَ يُنَادِي الضَّالُّونَ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ : يَوْمَ يَنْصُفُونَ الصِّبْغَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ (٢) ، وذلك لأنهم كانوا كانت تقرأ القرآن الكريم ، وحفظت نصه ، وعندما رمدت عنانها ، حزنت لأنها لم تستطع القراءة في المصحف ، وهذا ما أشارت إليه بقولها (٣) :

فدوت بفرقة (الفرقان) صبا

أسائل في التلاوة كل نال
ولولا أن حفظ النصف منه شفى قلبي لذبت من اشتعال

ويبدو ذلك تأكيدًا أنها عندما شغيت قالت لابنها : " سأصرف إلسى الانكباب على تفسير القرآن ومطالعة الحديث النبوى " (٤) .

-
- (١) انظر ص ٢٠٨ من هذه الرسالة .
(٢) ق / ٤١ و ٤٢ ، مع مراعاة أن الرسم العثمانى في المصحف قد حذف الياثين في قوله تعالى : (يناد الضاد) .
(٣) دبراتها ص ١١٤ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٥ .

وإذا كان البوصيرى قد أشار إلى يوم القيامة بقوله : (.. عند حلول الحادث العم) فهذه الإشارة موجزة بالنسبة إلى إشارة التيمورية إليه ، في قولها : (إذ يدعو المنادى فتحيا الناس من رجم) .

ولعل ما يؤكده تأثرها في بعض الفاظها بالقرآن الكريم أنها ذكرت كلمة (طه) على أنها اسم من أسماء الرسول (صلى الله عليه وسلم) و معلوم أن في القرآن الكريم سورة تسمى بهذا الاسم - طه - إلا أن كثير من العلماء قالوا : إن معناها (يارجل ^(١)) - وهي مأخوذة في الأصل من اللغة النبطية أو السريانية أو الحبشية - وقيل معناها : يا إنسان ، وقيل معناها في الأصل : (طأها) أي ضغ قدميك على الأرض بقوة وثبات ، وقيل : غير ذلك ، ويبدو أن من استعملها على أنها اسم من أسماء الرسول (صلى الله عليه وسلم) رأى أن الخطاب بمحمد موجه إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى : (كما أنزلنا عليك القرآن لتشقى .. ^(٢)) .. إلا أن هؤلاء لا حاجة قصة لهم ، إذ روى عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : ^(٣) لي خمسة أسماء : أنا محمد وأحمد وأنا الماحي - الذي يمحوا الله يسي الكفر - وأنا الحاسر - الذي يحشر الناس على قدمي - وأنا الماقب .. ^(٤) فلم يذكر أن من أسماء (طه) .

ولوح لي أن الشاعرة تأثرت في ذلك ببعض المتصوفة الذين ذكروا أن للرسول (صلى الله عليه وسلم) أسماء كثيرة يمين بينهم صاحب دلائل الخيرات ^(٥) ، وأن بعض الكتاب أشار إلى أن أسماء الرسول (صلى الله عليه وسلم) كثيرة ، ولكن من فيها ما هو علم ، ومنها ما هو صفة من صفاته .. وكثرة الأسماء تدل على شمسرف الصبي ^(٥) .

- (١) صحيح البخارى ج ٦ ص ١١٦ ، تفسير القرآن العظيم ج ٥ ص ٢٦٦ .
 (٢) طه : ٢٠ .
 (٣) صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٢٥ .
 (٤) هو محمد بن سليمان بن عبد الرحمن الجزولى الشاذلى توفى سنة ٨٧٠ هـ -
 الأعلام ج ٧ ص ٢١٠) الجزولى : دلائل الخيرات ص ٢٠ مكتبة القاهرة
 سنة ١٣٦٩ هـ .
 (٥) الدكتور : شهبان إسماعيل : من خصائص الرسول وشأنه ج ١ ص ٢٥ مطبعة
 الحسين بمصر سنة ١٩٧٧ .

وبها يكن من شئ ، فلم تخل عبارة الشاعرة من نكتة لطيفة ، تأمل قولها : (كما : إشراق بحسنة وجه الوجود ..) تجده يشير إلى عظيمة بحسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأثرها في الوجود ، وهذا التعبير تعبير مجازي - احتملة مكتملة - فيه تشخيص وإيحاء ، كأنها تقول : كان العالم في ظلام دامس ، فإذا الشمس أشرقت ، وأرسلت شعاعها على الوجود ، فانفتح الظلام وهم النور ، ولو قالت : (كما : إشراق بحسنة الوجود ..) لكان أهم ولأفضل ، وأتم وأكمل ، ويبدو أنها آثرت التعبير الأول إشارة إلى يد البهنة إذ كانت صرية ، ثم تدرجت حتى صارت البقاع والأصقاع ، أو أتت به على سبيل المجاز المرسل وهلاسته الجزئية ، واختارته لبيان أن أول ما يتأثر ظاهراً بالنسبة للإنسان هو الوجه ، إذ هو المرأة التي تمكن ما في القلب من حسن ومن :

ولعل في قولها : (كما) ما يدل على الإحاطة والتمكن ، وإيئاده إلى (إشراق) مجاز عقل ، يوحي بعظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعظمة بحسنة ، ولذلك ذلك قولها : (سناء الرشد والكرم) ، فهو كما عظيم بمسبوت المجد والبرقة ، يهدي إلى الطريق المستقيم .

ولقد أشارت الشاعرة إلى أن فضل هذه الأمة المحمدية مكتسب من أنوار الشريعة الإسلامية التي بعث الله بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولعل في ذلك إلماح إلى قوله تعالى : **كُنْمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْعَدْلِ** ... الآية (١) .

ويبدو أن التمجيد لم تستطع التخلص من بعض الألفاظ التي سمعتها في القصر التي كانت تمشي فيها : ولذلك ذكرت هنا : (كللت ونهجان) . ولعلك تلحظ أن الشاعرة لم ترتب أفكارها : إذ مدحت الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه صاحب الصفات يوم القيامة ، ثم مدحته بإشراق بحسنة ، وأثرها العظيم ، ثم أشارت إلى فضل الشريعة السمحة .

ومهما يكن من شيء فإنها واصلت مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)
بقولها (١) :

نعم الحبيب الذى من الرقيب به
(٢) وهو القريب لراجى المجد والنعم
روحى الفداء ، ومن لى أن أكون له
(٣) هذا الفداء وموجودى كنعم
ربا من الروح حتى أعتديه بها
(٤) وهى البهات بخار الظلم والظلم
والمرأنت ثقال الوزر لمحتبه
وسدته ضروف الدهر بالتهم

يبدو أن التيموية أحست بما فى محبة الرسول (صلى الله عليه وسلم)
من خير، فمدحته بأنه (نعم الحبيب) الذى من الله به على المسلمين ،
وجعله رحمة للمالين ، ثم جعلت نفسها فداء له (صلى الله عليه وسلم)
وهذا شرف عظيم لها ، ولكن من يمكنها من ذلك وبخاصة أن نفسها حقيرة
لاتساوى شيئا، فوجدها كمدتها بالإضائة إلى أنها قد لظخت بالآثام
التي أنفت أيام عمرها ، وددتها حوادث الدهر .

ولعل قولها : (نعم الحبيب) مأخوذ من قول البوصيرى : (هو الحبيب) (٥)
إلا أن بينهما فرقا كبيرا ، إذ عبارتها تفيد أنه حبيب عالى القدر ، عظيم
المنزلة ، أما عبارة البوصيرى فزادت على ما سبق أنه هو الحبيب لا غيره ، إذ أن
تعريف الطرفين (المبتدأ والخبر) يفيد القصر ، وقولها : (من الرقيب به)

-
- (١) ديوانىامى ٢٦٩ .
(٢) القريب : اسم من أسماء الله تعالى .
(٣) المراد بالروح هنا : النفس .
(٤) البهات : (بضم الباء) طائر شرير ، والظلم - الأولى - بضم (الظاء) وسكون
اللام ، وأما الثانية (فهضم يليه فتح) جمع ظلمة (بضم فسكون) -
ومنهاها وأضح .
(٥) انظر ص ١٢١ من هذه الرسالة .

يلج إلى قوله تعالى : " لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ الآية (١) " وفي ذلك تأكيد لمعظم منزلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، كما أن قولها : (وهو القريب) يجوز أن يكون وصفا لله تعالى فيكون تلميحاً إلى قوله تعالى : " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ .. الآية (٢) " . وجوز أن يكون وصفا للرسول (صلى الله عليه وسلم) فيكون إشارة إلى جوده وكرمه .

وإذا تأملت قولها : (ومن لي أن أكون له ..) وجدتة يشير إلى أن الشاعرة تحقر نفسها ، وتنزل قدرها ، بسبب ما ارتكبتها من الذنوب ، ثم بينت ذلك بتشبيهها بالطائر الشرير الذي يسكن غارا مظلماً ، ولعلها أرادت بالشار جسدها الذي تسكن فيه هذه النفس الظالمة الآثمة .

ولقد أشارت التيمورية إلى أن عمرها مرّ كلمة ، ولكنه مقل بالذنب وفي هذا ندم وحسرة ، ويؤكد المجاز العقلي في إسناد (أفنى) إلى (نقال الوزير) . كما أشارت إلى المصائب التي نزلت بها في قولها : (وددت أنه صوف الدهر) وفي ذلك القول مجاز عقلي - أيضاً - لأن الفاعل في الحقيقة هو الله ، إلا أن في هذا المجاز دلالة على شدة تلك المصائب .

ولما أحست الشاعرة بفداحة ذنوبها ، وسرعة مرور أيام عمرها وذهابها في اللهو ، واصلت ندمها بقولها : (٣)

أين الرشاد الذي أعدته لفسد

غويت عنه فزلت باللهوى قدمى

من لو يستوي رحل لو أغوز بهما

كحلت عينا أفاضت دمعها بسدم

من لي بأطلال بان عز منظرها

تسقى بطل من الآماق ضعجيم (٤)

(١) آل عمران ١٦٤ .

(٢) البقرة : ١٨٦ .

(٣) ديوانها ص ٢٧٠ .

(٤) الطل : (بفتح الطاء) المطر الضعيف .

الآماق : جمع (مؤق) بضم فسكون : طرف العين مما يلي الأنف .

تحط أُنْقال وزر لا تقوم بهما

شم الرواسى من رَأْس ومنهم سدم

لقد أخذت التبدورية تسأل نفسها : سؤال توبيخ وسدم : أين العمل الصالح الذى أعدته ليوم القيامة ؟ كما أظهرت عزتها ولأنها ضلت عن هذا العمل ، أضف إلى ذلك أنها تمنّت أن تحج بيت الله الحرام ، وأن تنور تلك الرحاب الطاهرة ، طمعا فى غفران ذنوبها ، التى لا تستطيع الجبال الرواسى حطها .

وإذا تأملت قولها : (٠٠ أعدته لفسد) وجدتها تلح إلى قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ٠٠ الآية)^(١) أما قولها : (إلت بالمجرى قدسى) فهو كناية تشمر بالندم وتكشف عن عاطفة حزينة ، وذلك هذا الدمع الفزير فى قولها : (أفاضت دمعها بدسى) ، وإذا كان الاستفهام فى قولها : (أين الرشاد ٠٠) يشمر بالندم وينيد التوبخ ، فإنه فى قولها : (من لى يترب رحاب ٠٠) و (من لى بأطلال ٠٠) ينيد التمنى والاستمطاف .

وبدو أن المراد بقول الشاعرة : (من لى يترب رحاب لو أنوز بهما ٠٠) أنها تريد حج بيت الله الحرام ، لأنه هو الذى يكون سببا فى غفران الذنوب ، وهو ما أشارت إليه الشاعرة بقولها : (تحط أُنْقال وزر) ويؤكد ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه " ^(٢) ، ولذلك تمنّت الشاعرة أن تحقق ذلك الأثر ، بل عدت الحصول عليه فوزا عظيما ، وأشارت إلى أنها لو ذهبت إلى تلك البقاع المقدسة لكحلست عينها بترابها ، ومنحت ناظرها بجمالها وجلالها ، كما تمنّت أن ترى آثار الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ، مثل أماكن غزواته وأماكن تعبدته ، وغير ذلك .

(١) الحشر / ١٨ .

(٢) صحيح البخارى ج ٢ ص ١٦٤ .

بأن التيمورية تريد أن تسقى هذه الأماكن الطاهرة من دموع عيونها ،
ولعل ذلك كناية عن ندمها وإشارة إلى توبتها ، إلا أن لفظ (الطل) يوحى
بقلة الدموع ، ويبدو أنها أرادت به مطلق الدمع بدليل قولها بعد ذلك :
(منسجم) .

ومهما يكن من شئ ، فإن في إسناد الفصل (تحط) إلى ضمير تلك
الأماكن ، مجازاً عقلياً ، يوحى بحظم منزلة تلك الأماكن التي تكون زيارتها
سبباً في غفران الذنوب ، ولقد انتقلت الشاعرة انتقالاً مفاجئاً إلى الحديث
عن بعض معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقولها (١) :

فكم ينهج زلال فاض من يده	أروى الأبرام وأسقى منه كل ظمى (٢)
والجندع أن له من بعمده جرحاً	لما نأى عنه مولى العرب والعجم
لأنه له الصخرة الصماء طائفة	مذ مسها سيد الكونين بالقدم
فيالها معجزات ما لها عسدد	أقلها ما بدا ناراً على علم

في هذه الأبيات تشير التيمورية إلى ثلاث معجزات من معجزات الرسول
(صلى الله عليه وسلم) . الأولى : نبع الماء من بين أصابعه الشريفة حتى
شرب الصحابة ورواها ، وهذا ثابت بالأحاديث الصحيحة ، ومنها ما روى عن
جابر (رضى الله عنه) أنه قال : عطش الناس يوم الحديبية (٣) ، والنبي
(صلى الله عليه وسلم) بين يديه ركوة (٤) - إنا صغير من الجلد يشرب به -
فتوضأ ، فجهش الناس نحوه ، قال ما لكم ؟ قالوا : ليس عندنا ما نتوضأ
ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة ، فجعل الماء يقور بين أصابعه
كأمثال الحيون ، فشربنا وتوضأنا ، قلت - راوى الحديث - كم كنتم ؟
قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . . (٥) .

ولعل في تمجيد الشاعرة بلفظ (كم) ما يشير إلى تعدد هذه
المعجزة وتكرارها ، كما أن في قولها : (أسقى منه كل ظمى) بعد قولها

-
- (١) ديوانها ص ٢٧٠ . (٢) أروى متحدى . روى - الأوام : (بضم
الهمزة) حصر العطش .
(٣) بضم الحاء وفتح الدال وكسر الباء) قرية قريبة من مكة .
(٤) بفتح الراء والواو بينهما كاف ساكنة .
(٥) صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٣٤ .

: (أرى الأوام) تأكيداً لهذا الأمر • وجوز أنها أرادت بالمبسارة الأولى الإنسان • والثانية • الحيوان مثلاً • والممطرة الثانية • أنين الجسد وهذا ثابت بالأحاديث الصحيحة - أيضاً - ومنها ما روى عن ابن عمر (رضى الله عنهما) أنه قال : كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يخطب إلى جسد فلان فلما اتخذ المنبر تحول إليه • فحن الجفح • فأثاء - الرسول - فمسح يده عليه ... (١) •

والممطرة الثالثة : تلك الصخرة الصماء التي قيل : إن قدم الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد أثرت فيها عندما وقف عليها • إلا أنني لم أجد حديثاً يشير إلى ذلك • غير أنه يوجد في المسجد الأحمدى بمدينة طنطا بالقرب من ضريح الماروف بالله سيدي : أحمد الهدوي (رضى الله عنه) يوجد حجر عليه أثر قدمين • ومشهور بين الناس أنهما للرسول (صلى الله عليه وسلم) ولكن ليس ذلك على وجه اليقين • وقد نفى بعض الكتاب أنهما للرسول (صلى الله عليه وسلم) • (٢)

ومهما يكن من شيء فإن معجزات الرسول (عليه الصلاة والسلام) كثيرة لا يحصى عدده • ولعل الشاعرة اكتفت بما ذكرت • وأشارت إلى كثرتهما • متحبة من تلك الكثرة بقولها : (فإياها معجزات طالها عده) •

وما هو جدير بالذكر أن التيمورية لم تنظر إلى البوصيري في تلك المعجزات الثلاث لأنه لم يشر إليها • وإن كان قد أشار إلى غيرها - كما سبق - •

ويبدو أن الشاعرة أرادت أن تمتدح عن قلة مدحها الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقالت (٣) :

ولا يحيط به مدح ولو جعلت

جوارحي المنا ينطقن بالحكم

وإنما أرتجى من مدحه قهسا • • يهدي الصراط ويشفي الريح من ألم

(١) المصريح السابق ج ٤ ص ٢٢٧ •

(٢) المحظية والاعتبار ص ١٦٤ وما بعدها •

(٣) ديوانها ص ٢٢٠ •

إن مكانة الرسول (صلى الله عليه وسلم) سامية * ومنزلته عالية * ومحامده كثيرة * ولذلك أكدت التيمورية أنها لا تستطيع أن تحيط بشأئله * ولا تعد كل فضائله * حتى لو جعلت كل جوارحها ألسنا خاطقة بالفصاحة من القول * والصدق من الحديث * وما دام الرسول (صلى الله عليه وسلم) كذلك فهي ترجو أن تنال شماعة من حبه * وقبلا من نوره * يهديها الصراط المستقيم * وينقى نفسها من دسائسها * ويشفيها من آلامها *

ولا شك في أن تلك الفكرة خالية من الشبهال؛ إذ هي من الواقسح لأن مقام الرسول (صلى الله عليه وسلم) أكبر من أن يحيط به إنسان * مهما أوتى من الفصاحة والبيان *

ولعلك تلمس في عبارة الشاعرة ما يدل على ضعفها وهجزها أمام شخصية الرسول (عليه الصلاة والسلام) * ومن ذلك قولها : (ولا يحيط به مدحى) فالعجز عن الإدراك إدراك - ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه * ولعل الفصل : (أرجى) يوحى بما تمنيه الشاعرة من جهاد نفسها * الذى أشارت إليه بقولها : (ويشقى الروح من ألم) * ثم أكدته بقولها : (١)

وكيف لي بانماظ النفس آمرتى

بالسوء * ناشيتى عن مورد النعم

فما التاسى عن خير يقربنى

زلقى النميم ولا نسقى يمنتظم

وننا عادت الشاعرة تتساءل - نى أسى - كيف تستطيع وهظ نفسها * وزجرها عن دسائسها * إنها تأمرها بالسوء * وتحمدها عن الخير * حتى جعلتها تسأم من البحث عما يقربها من الجنة *

وإذا تأملت قولها : (وكيف لي) وجدت الاستفهام يفيد الخرابسة أو البعد * لأن هذا الأمر يندر الحصول عليه إلا بشق الأنفس * ولعل التيمورية متأثرة في ذلك بالهوسىرى عندما قال : (فإن أمارتنى بالسوء ما انتظت .. (٢)) إلا أن بين القولين فرقا كبيرا * ومن ذلك أن

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها * (٢) انظر ص ٩٢ من هذه الرسالة *

البصيرى وصف النفس بأنها (أماره) ، أما التيمورية فوصفتها بأنها (أمرة) ،
فالتصوير الأول أبلغ من الثانى ، ولذلك عيّر به القرآن الكريم نى قوله تعالى
: (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) (١) .

وملاحظ أن الشاعرة قد نقضت ما صرحت به سابقا بقولها : (إنى رددت
عنانى من غوايته) (٢) إذ أكدت أنها ردت عنان نفسها ، ولكنها عادت تسأل
: (وكيف لى باتماظ النفس) ولعلها - بذلك - تبين مكر النفس ،
وسعة حيلتها ، وعدة بأسها ، فإذا غلبها صاحبها مرة ، غلبته هى مرات ،
وصدق الله العظيم إذ يقول : (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّى ۖ) الآية (٣) .

وإذا كانت الشاعرة لم تستطع الاهتداء إلى واعظ يصلح نفسها ، ويهذب
شأنها ، صرحت بما يفيد تمكن اليأس من قلبها ، فإنها استدركت عندما وجدت
شفاة لعلتها ، ودواء لمرضها ، فقالت (٤) :

لكن أى أسوة أشقى بها وصيرى	حسن ارتباطى بحبل غير منضم
ومنة الله دين وصفه قيسم	يحجتى إن أخف يوم اللقا يقسم
وما سوى فوز كوشى بعضاً منه	ذخرا ، أغور به من زلة الوهم
إلا التماس غفوا بالشفاعة لسى	من غلتم الرسل خير الخلق كلم

وفى هذه الأبيات تجد الإحساس بالأمل يمد اليأس ، وحسن الرجاء
بمد القنوط .

إنها أشارت إلى فضل القرآن الكريم إذ فيه شفاؤها ، ودواؤها ،
ولعلها تلج بذلك إلى قوله تعالى : " وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ " (٥) .

وإذا تأملت قولها : (حسن ارتباطى بحبل غير منضم) وجدت أنها ناظرة
إلى قول البصيرى : (لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم) ، وكلاهما متأثر نى قوله

(١) يوسف / ٥٣ (٢) انظر ص ٣١٥ من هذه الرسالة .

(٣) يوسف / ٥٣ (٤) ديوانها ص ٢٢٠ .

(٥) الإسراء / ٨٢ .

بقوله تعالى : " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا " الآية (١) " وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن القرآن الكريم إنه : " .. حبلى الله المتين (٢) " .

إن التيمورية تتوسل إلى الله تعالى بكتابه ، ثم بالدين الإسلامى المذى اتبعته ، وهو نعمة كبرى من الله من ربه على عباده : (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمُ لِلْإِيمَانِ .. الآية (٣) " .

ويبدو أن الشاعرة أرادت أن تلجح إلى قوله تعالى " دِينًا قِيَمًا " الآية (٤) " عندما قالت : (ومنة الله دين وصفه قيم) .

إن ما يدفع عنها الخزي والمار ، وينجيها يوم القيامة من عذاب النار ، كونها بحضرة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وهذا الانتساب الكريم يؤهلها لالتماس فضل شفاعته المظنى التى خصه الله بها فى الموقف العظيم يوم القيامة إلا أن كلمة (فوز) فى قولها : (وما سوى فوز كوفى بحضرة أمته) لا فائدة منها ، إذ المعنى تام وواضح بدونها فتقول : إنه ليس لى ما ينجيها إلا التماس شفاعته الرسول (صلى الله عليه وسلم) لكونى بحضرة أمته .

ومما هو جدير بالذكر أن التيمورية توسلت إلى الله تعالى بالقرآن الكريم واتباعها الدين الإسلامى الحنيف ، ثم أكدت ذلك بكونها بحضرة أمته محمد (صلى الله عليه وسلم) ، أما البوصيرى فقد توسلت بالرسول (صلى الله عليه وسلم) مؤكداً ذلك بأنه تمس باسمه حين قال : (٥)

فإن لى ذمة منه يتسميتى .. محمداً وهو أوفى الخلق بالذمة
ولا يخفى أن عبارة التيمورية أقوى ، وأسباب توسلها أشد وأكثر .
ومهما يكن من شئ ، فقد ألحت الشاعرة فى رجائها فقالت (٦) :

-
- (١) آل عمران ١٠٣ .
(٢) سنن الترمذى ج٤ ص ٣٤٥ .
(٣) الحجرات / ١٢ . (٤) الأنعام / ١٦١ .
(٥) انظر ص ٢٠٤ من هذه الرسالة .
(٦) ديوانها ص ٢٢٠ .

مددت كف الرجا أرجو مراحمه
 وقد خللت به في بهرة الحرم
 (محمد) المصطفى مشكاة رحمتنا
 صباح حجتنا في بمشة الأسم
 يامن به أقتدى يوم الزحام إذا
 أبديت ناصية فحومة الوسم
 أقول حين أواني الحشر في خجل
 إن الكبائر أنست ذكرة اللسم

في هذه الأبيات يظهر أمل الشاعرة الكبير في شفاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويؤكد ذلك أنها مدت يد الضراعة ، ملحة في طلب الشفاعة ، ثم أشارت إلى عظمة صاحبها ، وأن الله قد اصطفاه ، وجعله نورا هاديا ورحمة للعالمين .

ويبدو أن أمل التيمورية الكبير في شفاعة رسول الله ، قد قوى رجاءها ، وطمان قلبها إلى أنها ستقتدى بالرسول (صلى الله عليه وسلم) يوم الحشر ، وستسير وراءه يوم تملو الوجوه غيرة ، ويكسوها الخجل من كثرة الذنوب .

ولا يخفى ما في الأبيات من أمل مصحوب بالاستمطاف والامترحام (مددت كف الرجا . .) و (أرجو مراحمه . .) و (يامن به أقتدى . .) ، كما أن في التصريح باسم الرسول (صلى الله عليه وسلم) — محمد — لذة محسوسها القلب ، ويشمر بها الجنان ، وجهط يطرب له الوجدان ، أضف إلى ذلك كله أن مثل هذا التقسيم في المباشرة (مشكاة رحمتنا — صباح حجتنا) يملأ الجو نورا ، والقلب سرورا .

ولعل التيمورية نظرت في قولها : (إن الكبائر أنست ذكرة اللسم) إلى قول البوصيري : (إن الكبائر في الغفران كاللسم) ^(١) إلا أن عبارة البوصيري يملؤها الأمل ، ويحدوها الرجاء ، أكثر من عبارة التيمورية .

(١) انظر ص ٢١١ من هذه الرسالة .

وفي قولها (أقول حين أواني الحشر في خجل ٠٠) ما يشير إلى شدة
هذا الموقف الذي يجمل الإنسان يخجل من كثرة ذنوبه وآثامه ، ويتحسّر
على ما فرط منه في سالف أيامه .

ثم خاتمت الشاعرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمركبة طلب شفاعته
فقالت (١) :

ياخير من أرتجى إن لم تكن مددى
وأزلتى يوم وضع القسط واندى
ناشف بحب الذى أنت الحبيب له
لولاك ما أهرز الدنيا من المدم
طيك أركى صلاة الله ما انتحست
أدوار دهر ، وما ولت بمختتم

توضح اليتيمية أن ندمها سيكون عظيما يوم القيامة إن لم يشفع لها
الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفى لذلك ترجو شفاعته التى هى تكريم من الله
لرسوله (صلى الله عليه وسلم) فى الآخرة ، كما أكرمه فى الدنيا ، بل أكرم الدنيا
بسيبه فأوجدها من المدم ، ولا شك فى أن تلك المنح من الله لنبيه
تدل على عظيم منزلته ، وعلو قدره (صلى الله عليه وسلم) .

وإذا تأملت قول الشاعرة : (ياخير من أرتجى ٠٠) تجده يدل على علو
المنزلة ، ورفعة الشأن ، ويؤكد ذلك النداء (بيا) والنادى لفظ (خير)
أضف إلى ذلك أن الإتيان باسم الموصول (من) يدل على أن الرسول (صلى
الله عليه وسلم) معلوم غير مجهول ، ومن ذا الذى يجهل قدر المبعوث رحمة
للعالمين () كما أن لفظ (أرتجى) فعل مضارع فيه إشارة إلى تكرار الرجاء
، وفى ذلك إظهار الأول ونياكيسه .

ولا يخفى أن قول الشاعرة : (وأزلتى ٠٠ واندى) يدل على شعورها
بالأسى والحسرة إن لم يشفع لها الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، كما أن قولها :
(يوم وضع القسط ٠٠) يشير إلى يوم القيامة ، ولعلها تلح بذلك إلى
قوله تعالى : " وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ٠٠ الآية (٧) " .

وإذا تأملت قولها : (فاشفع بحب الذي أنت الحبيب له) تجده يؤكد طلبها الذي أشارت إليه في البيت الأول وهو طلب الشفاعة ، كما اشتمل على قصر يدل على انفراد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بحب الله حبها كسرها من دون غيره : (أنت الحبيب له) .

أما قولها : (لولاك ما أبرز الدنيا من المدم) فهي ناظرة فيه إلى قول البوصيري : (لولاه لم تخرج الدنيا من المدم)^(١) ، وقد بينت أن من وصف الرسول (صلى الله عليه وسلم) بمثل ذلك يعتمد على أثر غير قوى ، كما أنه يشير إلى أولية النهر المحدثي^(٢) .

ومهما يمكن من شيء فإن التيممية عندما أرادت أن تختتم قصيدتها لم تبعد كثيرا عن نهج البوصيري الذي ختم قصيدته بالصلاة - فقط - على الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(٣) فختمت هي أيضا قصيدتها بقولها : (عليك أزكى صلاة) ولعل في تقديم الجار والمجور ما يدل على القصر ، إلا أن قولها : (أدوار دهر) فيه ثقل لا داعي له ، وكل ما أرادت منه دوام الصلاة في كل وقت ، وإن كان قولها : (وما ولت بمختتم) يوجب إلى حسن الختام ، وهو من المحسنات البديعية المقبولة عند علماء البلاغة .

٣ - أثر معارضي الدرويش والتيممية :

بمقدار وقت مع معارضي الدرويش والتيممية بالدراسة والتحليل - فيما سبق - أستطيع أن أقول :

إن معارضة الدرويش تحمل - في جملتها - سمات الشعر العربي - في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر الذي يمكن أن يطلق عليه " فجر العصر الحديث " .

ولقد كان الشعر في ذلك الوقت يجري على الصورة السيئة التي كان يجري عليها في العصر العثماني ، وهي صورة رديئة ، سواء في الأغراض ، أو المعاني ، أو الأسلوب ، فأما الأغراض فكانت ضعيفة ناعية بآراء المعاني فكانت مبتذلة

(١) انظر ص ١١٨ من هذه الرسالة . (٢) المرجع السابق ص ١٢٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٢١٤ .

ساقطة مكررة ، وأما الأساليب فكانت مكلفة مثقلة بأغلال البديع وما يتوصل به من حساب الزمل الذى كان الشعراء - فى ذلك الوقت - يلجئون به حوادث شعرهم ، وقصائدهم ، ويحكم أن تقرأ المعارضة للتأكد من أن هذا كله موجود فيها ، ويكفى دليلاً قاطعاً على أن الدرويش كان يعنى بالمحسنات البديعية ، ويحشرها حشراً - أن تقرأ هذا البيت :

وقد هوى بى الهوى بالبعد بعدهم

من بعدهم ويح أجفانى ومحمد

فأى معنى جديد تجده وسط تلك الأتقال البديعية التى زادت البيت ثقلاً على ثقل ، وإن شئت فاقرا هذا البيت - أيضاً - :

ختم مولده منك مؤرخه . . . خير النبيين عزما سيد الأم

لتعرف أن الشاعر قد أرخ قصيدته فى سنة ١٢٦٧ هـ وهو مجموع ما تعدل عليه معروف الشطر الثانى على حسب ما ابتدعه الشعراء فى العصر العثمانى - فيما لحساب الجمل ، ولم تشفع مناسبة نظم القصيدة عند الدرويش لكن يتخلص من هذا التقليد الموروث ، أضف إلى ذلك ما قلده البوصيرى فيه من أفكار وخاصة فى أحداث المولد الشريف (١) .

والحقيقة أن الدرويش لم يكن بدعاً فى هذا الاتجاه ، بل شاركه شعراء عصره ، ولذلك يقول بعض الكتاب :

”.. وقرأ دواوين الشعراء الذين عاصروا كلا من (محمد على وعباس الأول وسعيد) مثل : الخشاب (٢) ، والمطار (٣) والدرويش ، فلن تجد سوى صورة لفظية قد تدهرت بشباب غليظة من محسنات البديع ، ولن تجد شعوراً ولا عاطفة ، وشيم الشمر والعاطفة ، وكل شيء فى الحياة المصرية خامد جامد ، ولقد تهللت الحياة فيجد الشعر والشعراء ، ولم يجد هناك إلا التقليد

(١) انظر بى ١٣٤ من هذه الرسالة .

(٢) هو : السيد إسماعيل بن سعد - شاعر مصرى توفى سنة ١٨١٥ .

(٣) هو : حسن المطار ، شاعر مصرى توفى سنة ١٨٢٤ .

وهو تقليد قاصر يقف عند النماذج العثمانية ، وما يقرب منها ، تقليد يشهد بقصور الأدب وضعف الذوق ، ويمجز عن التعبير الحر الصادق . . (١) .

وليس ذلك يفرىب إذ لم يكن أمام الشعراء - في ذلك الوقت - مُثلاً فنية عليا يحلمون بها ، إنما كان كل ما يحلم به الشاعر أن يتعلم المروض وصياغة النظم ، ثم يحالج نظماً ليس فيه روح ولا حياة ولا عاطفة حقيقية ، وإنما فيه المحاكاة والتقليد ومثل هذا النظم لا يُقرأ لأن فيه متعة أدبية ، ولا للاستزادة من الثروة الذهنية ، وإنما يقرأ ليدل على طور من أطوار حياتنا الأدبية . . (٢) . وأحله الطهر الذي أشار إليه المقاد بقوله : (٣)

" في الانتقال من دور الركود والجمود في الشعر إلى دور النهضة والإجادة أربح ، وإلى ، أو أربح درجات متواليات ، أولها : دور التقليد الضيف ، أو التقليد للتقليد ويؤكد ذلك أيضا بعض الكتاب بقوله (٤) : " ولقد كان المظنون أن يتغير شعراؤنا منذ الحملة الفرنسية ، ومنذ أخذنا نتصل بالحياة الغربية ، ولكن يبدو أن هذه الحياة لم تتعمق إحساساً بالشعراء فظلوا في حياتهم الفنية مع القديم ، وظلوا يحجلون في هذه السلاسل المقيتة من البديع الذي لا تقبله النفس ، ولا يلائم إله الذوق ، ولا يأنس له العقل ؛ لأنه لا يحوى معنى ، وإنما هو زخارف لغوية تهلك الشمور وثقتاء . .

نعم قد أخذت مصر مع أوائل القرن التاسع عشر في النهضة ، ولكن (محمد علي) وجه هذا النهوض إلى العلم والفن التطبيقي ، ولم يمن بالشعر والشعراء ، فكسد الشعر في سوقه ، وسوى خليفته (عباس وسعيد) ومن أجل ذلك لم يتحرر الشعر المصري من قيوده الفليضة ، إذ لم توجد بواعث تدفعه إلى هذا التحرر . ولذلك لا يكاد الشعر يخرج من الإطار العثماني المقيم .

أما النصف الثاني من هذا القرن ، فإننا نجد أن هذا الإطار أخذ في التفسير والتخبط في بعض جوانبه ، ولعل ما يوضح ذلك معارضة التيمورية

(١) الأدب المصري المعاصر في مصر ص ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٨ باختصار .

(٣) شعراء مصر وميثاقهم في الجيل الماضي ص ٨٩ .

(٤) الأدب المصري المعاصر في مصر ص ٢٨ وما بعدها .

التي ظهرت فيها بعض سمات التجديد ، والتخلص من التقليد بمض الشئ ،
يدل على ذلك أنها - مثلا - عندما أرادت الإشارة إلى بعض معجزات الرسول
(صلى الله عليه وسلم) تجنبت كل ما أشار إليه البوصيري مثل قولها :

فكم ينبج زلال غاض من يده
أروى الأوام وأسقى منه كل ظمى
والجذع أن له من بعده جوعا
لما نأى عنه مولى الحرب والمجسم
لانت له الصخرة الصماء طائفة
مندها سيد الكونين بالقادم

فأنت ترى أن الشاعرة أشارت إلى : (نبع الماء من بين أصابع الرسول)
وإلى (حنين الجذع وأنيته) وإلى (لين الصخرة الصماء) ولم يشر البوصيري
إلى شئ من ذلك ، ولعل في هذا ما يشير إلى اتجاه الشاعرة نحو
التجديد ، ويؤكد ذلك أنها عند توصلها إلى الله (سبحانه وتعالى) قد توسلت
بالقرآن الكريم ، ثم باتباعها الدين الإسلامي الحنيف ، ثم بالرسول (صلى
الله عليه وسلم) كل هذا في قولها :

لكن لى أسوة أشقى بها بصي
حسن ارتباطى بحبل غيره منقصم
ونفد الله دين وصفه قيسم
بحجتى إن أخف يوم الالقا يثمم
وما سوى قوز كوني بعض أمته
دخرا أغوز به من زلة الوصم

أما البوصيري فقد توسل بأنه قد تعي باسم الرسول (صلى الله عليه
وسلم) فقال :

وليس معنى ذلك أن التيمورية لم تتأثر في قصيدتها ببردة البوصيري ،
لا ، لقد نظرت إليها ، وخاصة في بعض أفكارها وعباراتها ، فمثلا قولها :

ولدت بالمصطفى رب الشفاعة إذ

يدعو المنادى فتحيا الناس من رجم

هو من قول البوصيرى و

يا أكرم الرسل مالى من ألود به

سواك عند حلول الحادث المم (١)

وكذلك قولها :

وكيف لى بانماظ النفس آمرتى

بالسوء ، ناهيتى عن مورد النعم

من قول البوصيرى :

إيان أمارتى بالسوء ما انماظت

من جهلها بنذير الشيب والهزم (٢)

وأقوى مما سبق فى الدلالة على نظرها إلى بردة البوصيرى ، أن الشطر
الثانى من قولها :

فاشفح بحب الذى أنت الحبيب له

لولاك ما أبرز الدنيا من المدم

هو الشطر الثانى - مع تغيير قليل - من قول البوصيرى :

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من

لولاك لم تخرج الدنيا من المدم (٣)

إن هذا التجديد - على الرغم من ضآلته - يدل على أن الشعراء

المصريين قد انصرفوا عن الصور السقيمة التى انتهت إليها الشعر فى موطنهم
ورشح لذلك اطلاعهم على الآداب الأجنبية ، وخلق الشعر فيها من هذه
الأنفال البدئية التى تفقد الممانى وتثقلها ، أضف إلى ذلك أن دواوين
الشعر القديم قد طبعت ، واطلع المصريون على نماذج لم يكونوا يألّفونها ،
إذ كانت تخالف فى جملتها النماذج التى كنوا يصفونها . . . فالتفتوا إلى
أن الشعر العربى وخاصة فى منابحه الأولى كان شعرا طبعيا ، يصور حياة
أصحابه تصويرا رفيعا . . . (٤)

(١) انظر ص ٢٠٨ من هذه الرسالة .

(٢) المرجع السابق ص ٩٧ . (٣) المرجع السابق ص ١١٨ .

(٤) الأدب العربى المعاصر فى مصر ص ٤١ .

ولعل ما يؤكد ذلك قول بعض الكتاب : " نحن جهة كثر طبع الدواوين
العباسية وغيرها ، ومن جهة كثر المدارس والبحوث إلى الغرب ، وضا انصا لنا
به عن طريق التعليم والبحوث ، فتغير ذوقنا الأدبي العام لا نقاء كل هذه
الموامل والمناصر في حياتنا ، وأينا الشمر " الشبان يأخذون في الانصراف
عن مثلنا الأدبية المثمانية ، ويذهبون فيها زهدا شديدا . . . أضف إلى ذلك
أننا قد نلنا شيئا من حريتنا وكرامتنا ، ووجودنا الإنساني ، ولذلك أخذنا نحقق
مطالبنا وآمالنا ، وأخذنا نتدفع نحو مثل عليا جديدة ، وكانت هذه المشل
تدفعنا إلى إصلاح كل شيء في حياتنا بحيث يمكن أن نسمى النصف الثاني
من القرن التاسع عشر عصر الإصلاح ، أو عصر محاولة الإصلاح ، وهي محاولة
إن يكن الإخفاق السياسي أدركها عند عربى وإخوانه ، فإن الإخفاق الروحى
والمقلى لم يدركها . . . (١)

ثم يملل ذلك الكاتب سبب هذا التقدم بقوله : " . . . إن تقدم رواد
من الشمر " يريدون أن يستأنفوا - في الشمر - حياتهم الخصبة الأولى ، ويصنعوا
فيه الروح التى خمدت ، عندما تغفلت المناصر الأجنبية والمثمانية في حياتنا
وحياة العرب من حولنا . . . وقد أخذت تبشير هذا النوع في شعرنا فتسدد
(الساعاتى) (٢) وعبد الله فكرى (٣) . . . وعائشة التيمورية) غير أنهم لم يتخلصوا
تخلصا تاما من الديقيات والمخمسات والتضمينات ، إنما الذى تخلص من ذلك
كله هو البارودى ، الذى يمد الرائد الشالى لهذه الحركة ، إذ لم يكن
تقليد ، للقدماء ، بالمعنى السوى ، للتقليد ، إنما كل ما هنالك أنه أراد أن يسرد
إلى شعرنا جزائنه ونصاعته ، ورضانته ، فأنقذه من عثرة الأساليب الركيكة ، ورد إليه
الحياة والروح ، حياة نفسه ، وروح عصره وقومه في الفترة التى عاش فيها ، إذ جعله
متنفسا حقيقيا لمواطنه وشاعره ، وما ألم به من أحداش وخطوب . . . (٤)

ولعل قصيدته التى عارض بها بردة البوصيرى توضح ذلك ، وهذا ما سراء

في الباب الثالث إن شاء الله .

(١) المرجع السابق ص ٤٣ بتصرف . (٢) تقدم التحريف به في هامش ص ٢٣٨ من
هذه الرسالة . (٣) هو عبد الله بن محمد عبد الله فكرى ، شاعر وكاتب بصري
توفي سنة ١٢٠٧ هـ . (٤) الأدب العربى المتأخر في مصر ص ٤٤ . كما يحدد ها بتصرف .



معارضة الهـارودي
[.....]

الفصل الأول :

حيـاة الهـارودي

الفصل الثاني :

دراسة وتحليل
كشف الفـة في مدح سيد الأمة

الفصل الثالث :

أثر معارضة الهـارودي



الفصل الأول

حياة البارودى

بعدما ذكرت - من معارضات البردة في مصر الحديث قبل شوقي -
معارضتي الدرويش والتومرية ، غانني - هنا - أقف مع معارضة ثالثة - تمتد
من أكثر المعارضات أفكارا ، وأطولها أبيانا - ولذلك أغردت لها بابا كاملا -
وهي معارضة البارودى :

والبارودى هو : محدود ماضي بن حسن حسنى البارودى ، ولد فسمى
القاهرة سنة ١٨٣٨ (١) وقيل : سنة ١٨٣٩ (٢) ، وفيها - أيضا - شسب
وزعرع ، فهو مصرى المولد والنشأ ، وإن كان جركسى الأصل ، إذ كسان
جده لأبيه (عبد الله الجركسى) جركسى الأصل ، كما كان جده لأمه (مراد
جلبي) جركسيا أيضا ، وهو الذى اكتسب منه الشاعر لقب (البارودى) ، لأنه
كان ملتزما بهلدة (إيتاى البارود) (٣) ، وكان كل ملتزم (٤) ينسب إلى التزامه
في ذلك العهد .

ولقد كان أجداد البارودى يتصلون بنسبهم إلى حكام مصر المالكية
ولذلك كان الشاعر شديد الاعتزاز بهذا النسب ، ولا يفتأ يذكره في شعره
ومن ذلك قوله (٥) :

أنا من محشر كرام على الدخيسر أغادوه عزة وصلاحا

وكان والد الشاعر من أمراء المدفعية ، وعمل مديرا لبحر ودنقلسة -
ببلاد السودان - في عهد محمد على ، ولكنه مات هناك ، تاركا ابنه الذى
لم يتجاوز السابعة من عمره ، فحرم من العطف الأبوى وحلفه ، ولكن والدته ،
اعتنت به ، حتى إذا بلغ الثامنة من عمره ، أحضرت له المدرسين في المنزل -

-
- (١) في الأدب الحديث ج ١ ص ١٢٦ والأدب المعاصر في مصر ص ٨٣ .
(٢) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الخامس ٤٣٩ . والبارودى رائد العصر الحديث
ص ٤٦ . (٣) إحدى البلاد التابعة لمحافظة البحيرة بجمهورية مصر .
(٤) الملتزم : هو الذى يقوم بجمع الضرائب وما يشبهها غالبا .
(٥) البارودى : ديوانه ج ١ ص ١٧٧ بتحقيق على الجارم ومحمد شفيق ، طبعة
دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ .

وكان هذا دأب الأسر الكبيرة في ذلك الوقت - ليعلموه ويشفقوه .

واستمرت دراسة البارودي المنزلية أربع سنوات ، درس خلالها كثيراً من المواد التي مكنته من دخول المدرسة الحربية بعد نجاحه في امتحان القبول سنة ١٨٥١ (١) .

وهنا أقف مع تلك المواد التي درسها الشاعر في منزله ، إذ شاع بين الكثيرين الناس أنه لم يقرأ كتاباً في فن من فنون العربية ، متأثرين في ذلك بما ذكره أحد الكتاب عندما قال عنه : " هذا الأمير الجليل ، ذو الشرف الأصيل ، والطبع البالغ نقاءه ، والذهن المتناهي ذكاؤه ، محمود سامسي باشا) البارودي ، لم يقرأ كتاباً في فن من فنون العربية غير أنه لما بلغ سن الثماني وجد من طبعه ميلاً إلى قراءة الشعر وعلمه ، فكان يستمع إلى بعض من له دراية وهو يقرأ بعض الدواوين ، أو يقرأ بحضرته حتى تصور نفسي برهة (٢) يسيرة في تلك التراكيب العربية ، ومواقع المرفوعات منها والنصوصات حسب ما تقتضيه المعاني والتعلقات المختلفة فصار يقرأ ولا يكاد يلحن . (٣) "

ولكن يبدو أن البارودي درس بعض كتب النحو في دراسته المنزلية ، إذ كان شرط دخول المدرسة الحربية اجتياز امتحان القبول ، وكان هذا الامتحان يحقده في : القرآن الكريم وشرح الكراوى و متن الآجرومية (نحو) و متن البناء والمقصود (صرف) و علم الأخلاق ، و متن المنوسية (توحيد) و علم الحساب والخط الثلث ، واللغة التركية للأتراك و علمان الأتراك . (٤) " وهذه المواد الدراسية قد نقلت من واقع جدول الامتحانات بدفتر ديوان الجهادية (٥)

(١) مقدمة ديوانه ص ٦ وما بعدها بتصرف .

(٢) ذكر الكاتب هنا لفظ (برهة) بمعنى مدة قصيرة وهذا خطأ شائع ، إذ هذا اللفظ يدل على المدة الطويلة .

(٣) المرفعى : الوسيلة الأدبية ج ٢ ص ٤٧٤ مطبعة المدارس الملكية بصرى سنة ١٢٩٢ هـ .

(٤) أحمد عزت : تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ١٧٤ ، ١٧٦ مكتبة النهضة بصرى سنة ١٩٢٨ .

(٥) المرجع السابق ج ١ ص ٢٠٢ ، ٢٠٨ .

ولعل ما يؤكد ذلك الرأي أن بعض الباحثين قد ذهب إلى ذلك في رسالة علمية عن الهارودي (١).

ويبدو أن العقاد كان يتوقع مثل ذلك إلى علق على قول صاحب الوسيلة الأدبية السابق بقوله : ".... والأستاذ الرصافي (٢) لا يمتنى بحارته هذه إلا أن الهارودي لم يتعلم النحو والصرف والبلاغة والمروء كما كان الطلاب يتعلمون نسي عصره فهو لم ينظم الشعر لأنه تعلم المروء كما كان ينظم الشعراء... ولكنه تعلق بالشعر عن عوى سليقة.... (٣)".

ويزيد الأمر وضوحاً قول أحد النقاد بعد ذكره قول صاحب الوسيلة السابق - أيضاً - : ".... ومعنى ذلك أنه لم يستن سنة معاصره، من تعلم النحو والمروء والهدى حتى يحسن نظم الشعر، وإنما استن سنة جديسدة صحح بها موقف الشعر والشعراء، فزدهم إلى الطريقة القديمة، طريقة الرواية التي كان يتسلق بها الشاعر الجاهلي والأموي أصول حرفته.... (٤)".

وما لا شك فيه أن الرصافي يهدف إلى إثبات السليقة الشعرية للهارودي إلا أن ذلك لا يمنع أنه تعلم المروء وغيره من علوم العربية لخدمة تلك السليقة، ولعل ما يؤكد ذلك أن الشاعر قد ذكر بعض المصطلحات المروئية عندما وصف عصره بقوله (٥) :

لم تبين قافية فيه على خلل

كلا ، ولم تختلف في وصفها الجمل

فلا سناد ، ولا حشو ، ولا قلق

ولا سقوط ، ولا سهو ، ولا عسل (٦)

(١) انظر : على الجديدي : الهارودي ص ٢٤ وما بعدها ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بصر سنة ١٩٦٢ .

(٢) هو : الشيخ حسين الرصافي - أديب مصري توفي سنة ١٨٩٠ وقيل : سنة ١٨٨٩ - انظر : المفصل في تاريخ الأدب العربي ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٣) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ص ٩٢ .

(٤) الأدب العربي المعاصر في مصر ص ٨٧ وما بعدها .

(٥) ديوانه ج ٢ ص ١٧٢ وما بعدها . (٦) السنا عقيب عيوب الشعر يقرأ على ما قبل حرف الروي ، وقيل : غير ذلك . انظر : المحمد ج ١ ص ١٦٩ .

فذكره السلف - وهو عيب من عيوب القافية - يدل على أنه تعلم علم
المروض ، وليس في تعلم الشاعر علم المروض ما يفرض من شاعريته ، أو يصف
مخلقه ، فإن لكل فن مبادئ وأساسا لا بد من تعلمها ، والوقوف عليها ، وقاية
ما في الأمر أن هناك فرقا بين من يتعلم المبادئ - لفن من الفنون - ليتعلم
هذا الفن ، ومن يتعلم المبادئ لتهديب ما لديه من طليقة وحسب له هذا
الفن .

ولقد كان لدى البارودي استعداد لقول الشعر - من صفه - إذ
شفق بقراءة كتب الأدب العربي وهو في المدرسة الحربية ، أضاف إلى ذلك
أنه أحب أن يكون شاعرا مثل خاله الذي أشار إليه بقوله (١) :

أنا في الشعر عريق لم أره عن كلاله
كان إبراهيم خالسي فيه مشهور القال (٢)

وبدو أن من حسن حظ الأدب أنه عندما انتهى البارودي من
دراسته في المدرسة الحربية كان عباس الأول هو الذي تولى حكم مصر
وكان من المعوقين للنهضة - كما سبق - ففسدت روح الحاسة في الجيش
وسرح معظه ، وأغلق كثيرا من المدارس ، ولذلك لم يجد البارودي -
وزملاؤه - عملا يقومون به ، أما زملاؤه ، فقد طاب لهم عيش الرخاء والدمعة
وسرحهم الحمد عن ميادين القتال ، وأما البارودي فقد ضاق ذرعا بذلك ،
إذ كان يود الاشتراك في الحروب كما اشترك فيها آباؤه وأجداده ، ولملكه
أراد أن يحوط ذلك الأمل - ولو إلى حين - بقراءة كتب العرب ودواوينهم
التي وصفت تلك الممارك وصفا دقيقا تجميل القارئ يسمع فمقمة المسالاح ،
ومرى نزال الأبطال .

ولما قرأ الشاعر كثيرا في هذا الشعر العربي ، أحس بما فيه من روعة
وجمال يجذبان القلب ويحركان اللسان إلى القول ، وخاصة أنه لم يقف عند

(١) ديوانه ج ٣ ص ١٩٥ . وما بعدها .

(٢) وخاله هو : إبراهيم بن علي أغا البارودي ، ولم تذكر المراجع عنه شيئا سوى
أنه مات وهو في الخامسة والعشرين من عمره . انظر ديوان البارودي ج ٣ ص ١٩٦ .

الحروب وميادنها ، بل تناول الحياة كلها بما فيها من جد وهزل ووصف وحكم :

ومن هنا كان طبعها أن يترنم ابن الأيك ، ولكنه وجد أبناء طبقته من الجراكسة يعيرونه بنظم الشعر ، ولكنه لم يعبأ بهم ، إذ هو لا يحاكى الشعراء الذين يطلبون بشعرهم عطف حاكم ، أو عطاء أمير ، وما شجوه على ذلك أنه رأى كثيرا من الشعراء كانوا أمراء وذوى شأن كبير ، ولم يعبهم نظم الشعر ، بل وجد التاريخ أسماءهم ، مثل : امرئ القيس والشريف الرضى وأبى فراس وغيرهم (١) وهذا ما أشار إليه بقوله (٢) :

تكلت كالماضين قبلى بما جرت

به عادة الإنسان أن يتكلم

فلا يحمى مني بالإساءة غافل

فلا بد لابن الأيك أن يترنم

مصر البارودى إلى الآستانة :

يبدو أن البارودى قد مل الحياة في مصر من غير أمل ، فانسحب إلى الآستانة - مقر الخلافة - لعله يجد هناك عملا ، ونفلا التحق بموارة الخارجية ، ولكنه كان دائم الاطلاع في كتب الأدب العربي ، وما شجوه على ذلك أنه وجد هناك - في الآستانة - دحاشير قيمة ، فأثكب عليها ، وعكف على قراءتها واستظهارها ، ولقد تمكن من إتقان اللغة التركية والفارسية وأن يدرس آدابهما ، وحفظ كثيرا من أشعارهما ، ودعته سليقته الشعرية إلى النظم بهما كما نظم بالمربية :

عودته إلى مصر :

وعندما سافر إسماعيل إلى الآستانة سنة ١٨٦٢ لتقدم آى الشكر والمرفان لل خليفة على توليته حكم مصر ، ألحق البارودى بها شيته في أثناء مقامه ، ويبدو

(١) مقدمة ديوانه ص ٦ وما بعدها بتصرف . (٢) ديوانه ج ١ ص ٥٩ .

(٣) مقدمة ديوانه ص ١١ .

أن اساميل توسم نفسه التجايسة والطويح ، فماد به إلى مصر في العام نفسه ، ولم يكن مصر البارودي قد تجاوز الرابعة والمشرين عاما عندما عاد إلى مصر ، ليكمل في جيشها ، ولم يلبث أن أوفد إلى فرنسا مع بعض الضباط المصريين لمشاهدة مناورات الجيش الفرنسي الحديثة ، ثم سافر معه إلى (لندن) للتردد ببعض المصارف العسكرية ، ولما عاد البارودي إلى مصر ، لم يلبث إلا قليلا حتى رقى إلى رتبة (قائد) ثم إلى (أميرالاي) وتحقق له الأمل الذي تناء من زمن بعيد ^(١) ، فاشترك في عدة حروب ، وسجل كثيرا من مشاهدتها في شعره ، ومن ذلك قوله ^(٢) :

ولما تداعى القوم واشتبك القنا
ودارت كما تهوى على قطبها الحرب
وزين للناس الفرار من السردى
وما جت صدر الخيل ، والتهب الضرب
صبرت لها حتى تجلت ساهها
وأني صبر إن ألم بسى الخطيب

ولقد كان البارودي مؤثقا في حروبه ، ولذا قرره إساميل ، وجعله كاتبا لأسراره ، وأوفده إلى الأستانة في بعض الأمور السياسية - مرتين - وظل يعمل معه مدة اثنتي عشرة سنة .

وعندما أعلنت روسيا الحرب على تركيا سنة ١٨٧٧ أرسل إساميل جيشا صريا بقيادة البارودي لصيانة الخليفة ، فأبلى الجيش وقائده بلاء حسنا ، ولذلك عندما عاد البارودي أنعم عليه برتبة (اللواء) وبعض الأوسمة ، وكان عمر الشاعر - حينئذ - أربعين عاما ، ولم يلبث أن عين مديرا للشرقية ، ثم محافظا للمصصة ^(٣) .

ولما تولى توفيق حكم مصر ، قرب البارودي إليه ، وجعله وزيرا للأوقاف ثم وزيرا للحربية ، ثم لم يلبث أن عزله عندما دس بينهما ، ولما اضطربت الأحوال السياسية ، استدعاه توفيق وكلفه بالاشتراك في الوزارة ، ثم أمره بمعد

(١) مقدمة ديوانه ص ١٢ وما بعدها . (٢) ديوانه ج ١ ص ١١٥ .

(٣) مقدمة ديوانه ص ٢١ .

ذلك برئاسة الوزارة سنة ١٨٨٢ (١) .

نقيضه 7

ولما قامت الثورة العراقية ، كان من بين زعمائها ، وعندما فشلت
حوكم معهم ، وحكم عليهم بالنفي خارج البلاد (٢) ، فأقلمت بهم السفينة
إلى (سرنديب) (٣) في ديسمبر سنة ١٨٨٢ .

ولقد كان للفراق لوحة على نفس الشاعر ، كما كان لبعده من أهله
وطنه أسى شديد ، ولذلك نظم قصيدة - ترى فيها دموعه ، وتلمس حزنه ،
ومنها قوله (٤) :

ولما وقفنا للوداع وأسببنا
مدامنا فوق التراب كالمسكين
أهبت بصري أن يعود فمزني
وناديت حلى أن يثوب فلم يثن

وأخيرا وصلت سفينتهم إلى (كولومبو) في يناير سنة ١٨٨٣ ، وهناك
استقبلهم المسلمون - من أبناء تلك المدينة - استقبالا حارا (٥) .

وترى الأيام في الضنى بطيئة ، مثقلة بالهموم والأحزان ، ويذهبا
حزنا ، نأى وفاة زوجة الشاعر في سنة ١٨٨٥ ، فيكيها بكاء حارا (٦) في قصيدة
منها : (٧)

يادهر فيم نجمتى بجلاسة
كانت خلاصة هدنى وهنادى

-
- (١) المرجع السابق ص ٢٢ وما بعدها باختصار .
(٢) انظر محمود ساسى البارودى ص ١٥٢ وما بعدها .
(٣) هى إحدى جزر الهند وسميت فيما بعد (سيلان) .
(٤) البارودى رائد الشعر الحديث ص ٨٢ .
(٥) محمود ساسى البارودى ص ١٥٤ - و (كولومبو) ميناء عاصمة (سرنديب)
(٦) المرجع السابق ص ١٦٤ (٧) ديوانه ج ١ ص ٢٣٨ .

ولم يكسديق الشاعر من حزنه على زوجته حتى وصله نبأ وفاة ابنته فتجدد حزنه ، وكثر أساهه ، ثم شاء الله أن يموت صديقه : عبد الله فكسرى ، وأستاذة : حسين المصطفى ، فهكاهما الشاعر بكاء حارا (١) :

ولقد أثرت هذه الأحزان في الشاعر تأثيرا كبيرا فوهن جسده ، وضعف بصره ، فانتقل إلى (كدى) سنة ١٨٩٠ تمها لمشورة الأطباء ، لأن جوعها يناسب صحة الشاعر ، وهناك يسترد بعض عافيته ، فيشغل نفسه بالقيسرسة ويتعلم اللغة الإنجليزية ، ويعلم المسلمين في (كدى) اللغة العربية ويفقههم في الدين ، كما يؤم المصلين في صلاة الجمعة ، ويحلق الضاهر في مساجد المدينة (٢) .

عودته إلى مصر :

وشاء الله أن يعود الشاعر إلى وطنه سنة ١٩٠٠ (٣) ، وعندما وصلت السفينة إلى مصر ، انتهزت دموعه ، وخاصة عندما هنا بالعودة جميع كبير من عشاق الأدب وأهل الفكر ، ولقيف من العلماء ، فنظم الشاعر قصيدة يقول فيها (٤) :

أباهل رأى العين أم هذه مصر ؟ فاني أرى فيها عيوننا هي المحر (٥)

ومنذ عودة البارودي إلى مصر ، أصبحت داره منتدى الشعراء والأدباء ، كما أنه عكف على ديوانه ينقحه ، وكان يعل على كتابته : الشيخ ياقوت المرسى والشيخ عطية حسنين إذ فقد بصره في أيامه الأخيرة (٦) .

-
- (١) محمود سامي البارودي ص ١٦٦ وما بعدها .
 - (٢) تيمد عن (كولومبو) حوالى ٧٢ صلا .
 - (٣) محمود سامي البارودي ص ١٢٠ .
 - (٤) مقدمة ديوانه ص ٣٥ ، دائرة المعارف الإسلامية المجلد الخامس ص ٤٥ .
 - (٥) ديوانه ج ٢ ص ١٤٤ .
 - (٦) أبهل : من أعظم مدن العالم - قديما - تقع على الجانب الأيسر من نهر الفرات ، كانت واسعة الشهرة في جمالها .
 - (٧) محمود سامي البارودي ص ١٩٠ .

وفاته :

وفي ديسمبر سنة ١٩٠٤ صدرت روح الشاعر إلى بارئها ، وأم
المصليين عليه صديقه الشيخ محمد عده .^(١)

آثاره :

(١) خلف البارودي ديوانا ضخما من الشعر يقع في أربعة أجزاء ، طبع منه
جزءان على نفقة زوجة الشاعر الثانية ، ثم كلفت وزارة المعارف السيدين
: علي الجارم^(٢) ومحمد شفيق معروف^(٣) ، بشرح وتصحيح الديوان
وصدر منه جزءان ، وصلا إلى قافية الكاف ، ومحمد وفاة الجارم قسم
الأستاذ محمد معروف بشرح وتصحيح الجزء الثالث الذي طبعته دار
المعارف بمصر سنة ١٩٢٢ وبمنتهى بقافية الهم ، وأخيرى - الأستاذ
محمد معروف سأن في سبيله لطبع الجزء الرابع .

(٢) كما خلف البارودي مختارات من الشعر في أربعة أجزاء كبيرة لثلاثين
شاعرا - تقريرا - وقد شرحها وعلق عليها - وقامت زوجته بطبعها على
نفقتها بمحمد وفاته ، وهذه المختارات تدل على حسن ذوق ، وبصر بجيد
الشعر ، كما يدل تعليقها عليها على سعة اطلاعه ، وغزارة مادته .

(٣) ويبدو أن للبارودي مختارات في النشر سماها (قيد الأوابد)
إلا أنها لم تطبع إلى الآن تقريرا^(٤) .

(١) المرجع السابق ص ١٩٤ .

(٢) هو الأستاذ علي بن صالح بن عبد الفتاح الجارم - أديب مصري - من رجال
التعليم ، تدرج في عدة مناصب حتى أصبح وكلا لدار العلوم ، توفي سنة ١٩٤٩
(الأعلام ج ٥ ص ١٠٦) .

(٣) هو الأستاذ / محمد شفيق معروف - أديب مصري - من رجال التعليم
تدرج في عدة مناصب حتى أصبح مديرا عاما لوزارة التربية والتعليم ثم أحيل
إلى المحاكم ، وما زال يجاهد بقلمه .

(٤) عمر الدسوقي : محمود سامي البارودي (نواحي الفكر المصري) ص : ٣٣
وما بعدها . دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٣ .

رزق البارودي موهبة شعرية فذة ، وأتيحت له أسباب كثيرة صقلتها ، ومنها : كثرة قرأته ودواوين الشعراء العرب القدامى ، وحفظه الجهد من أشعارهم ، وإطلاعه على آداب اللغة التركية والفارسية والإنجليزية ، وكثرة أسفاره إلى البلاد الأوربية وغيرها ، مثل : الأستانة وباريس ولندن وغيره إلى سرنديب ، ومشاركته في كثير من الحروب التي خاض غارها ، وشاهد أموالها ، وصحته لبعض الصلحين مثل : السيد جمال الدين الأفغاني ، وانتفاعه بدروسه وآرائه ، وكثرة الأحداث التي وقعت في عصره ، أضف إلى ذلك كله وراثته عن خاله ، كما سبق تصريحه بذلك .

ولا شك في أن تلك الأسباب كانت سببا في صقل ذوقه الأدبي ، وكانت ذات أثر كبير في مبادئه وأخيلته وخصره للحوادث ، مما جعل شعره يمتاز " .. بسطوة القول ، وجزالة اللفظ وفحولة النظم ، ورصانة القافية ، وإشراق الديباجة ، حتى لم يكن أن يقال في غير تردد ، إنه لم يجر من بعد العصر العباسي الثاني من يرجع البارودي في هذا الباب أو من يدانيه ... (١) " ، ولقد عارض نحول الشعراء من المتقدمين وله الفضل في رد العصر العربي في هذا العصر الحديث إلى فنونه وقوته ونضارته في العصر المتقدمة ... (٢) " ولذا يمد باع النهضة الشعرية دون منازع ، وحامل لواء الشعر في العصر الحديث دون منازع ..

قال عنه بعض الكتاب : " وهو صاحب مدرسة كبيرة .. يمكن أن نسميها مدرسة النهضة أو مدرسة البحث .. وهي مدرسة حائظت بقوة على تقاليد الشعر العربي ، وكل ما يتصل بشخصيته وقومته ، ومن تلاميذ هذه المدرسة : حافظ وشوقي وغيرهما ..

ولقد امتازت هذه المدرسة بأنها لم تحل بين المحافظة على القديم وحث عناصر جديدة كثيرة لا يرضها الذوق العربي الأصيل .. إذ مضي

(١) الفصل في تاريخ الأدب العربي ج ٢ ص ٣٤٢ .

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٣٤٣ .

كل شاعر من شعراء هذه المدرسة ، يهتدى بطريقة البارودى مضميها عليها
من ملكة الأدبية وما تنفذ به من آداب غريبة (١)

ولا شك الأستاذ العقاد فضل البارودى بقوله : . . . إن الفضل الذى
له على عصره أكبر من الفضل الذى لحصره عليه ، فما جاء به من عند نفسه
كثير لا يقاس إليه ما يجىء من قدرة معاصرة ، وذلك وحده خليق أن يهونه
وحالة جيله ، ويقدمه إلى طليعة معاصريه وتابعيه . . . (٢) ، ثم يبين سبب
ذلك الفضل بقوله : . . . قد وثب بالمباراة الشعرية وثبة واحدة من طريق
الضعف والركاكة إلى طريق الصحة والمتانة ، وأوشك أن يرتفع هذا الارتفاع
بلا تدرج ولا تهيب . . . فإذا أرسلت بصرك خمسة سنة وراء عصر البارودى
لم تكن تنظر إلى قمة واحدة تشابهه أو تدانيه . . . وهذه وثبة قديمة نسي
تاريخ الأدب المصرى ، ترفع الرجل - بحق - إلى مقام الطليعة أو مقاسم
الإمام . . . (٣)

وهما يكن من شيء : فإنك إذا تصفحت شعر البارودى وجدته قد
جال فى كل غرض ، وصال فى كل فن ، وشعره - بحامة - يأخذ بجوامع
القلوب وتأسرك روعة موسيقاه ، وتأسك أبيانه ، وانسجام ألفاظه التى تسرى
وتلطف فى موضع الرقة واللفظ كالفضول والعتاب ، ويهتد أسرها حين ينشدها
فى الحماسة والفخر .

هذا عن شعره - بحامة - أما عن شعره الدينى (٤) - بخاصة - فسهل
الأسلوب واضح المعنى ، يدور - فى الغالب - حول مناجاته ربه ، وإشبهاله إليه
مثل (٥) :

يا من إليه الوجوه خاشعة ومن عليه فى الكون محتسدة
مددت كفى إليك متبذلا وأنت حمى ، فلا ترد يدى

- (١) البارودى رائد الشعر الحديث ص ١٢٠ وما بعدها بتصرف .
- (٢) شعراء مصر ومبتدئهم فى الجيل الماضى ص ١١٤ .
- (٣) المرجع السابق ص ٩٠ .
- (٤) سوف أخص شعره الدينى بمزيد من الإشارة إليه لعلته القوة بموضوع الرسالة ، أما
بقية شعره : فانظر مقدمة ديوانه ، والبارودى رائد الشعر الحديث ص ٩٧ وما
بعدها .
- (٥) ديوانه ج ١ ص ٢٩٥ .

كما يشير إلى أن الموت نهاية كل حى ، وأن التقوى خير زاد ،
فيقول (١) :

كل حى سيمسوت ليس فى الدنيا شهوت
ليس للإنسان فيها غير تقوى الله قسوت

ومن شعره الدينى مدائح النبوة ، ونرى قليلة بالنسبة إلى بقية
شعره إذ لم نزد على قصيدتين (٢) :

الأولى : بلغت أبياتها سبعة وخشرين بيتا ، ومثلها (٣) :

يا صامم اللحظ من أغراك بالمهج

حتى فتكت بها ظلما بلا حرج

ويمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيها بقوله :

هو النبى الذى لولا نفايته

لكان أعلم من فى الأرض كالمهج

أنا الذى بت من وجدى بروسته

أحن شوقا كطير البانة الهسج

ثم يناجى ربه (جمل جلاله) متوسلا بالرسول (صلى الله عليه وسلم)

بقوله :

يا رب بالمصطفى هب لى وإن عظمت

جرائسى ، رحمة تثنى عن الحجج

ولا تكلنى إلى نفسى فإن يسدى

مخلولة ، وصباحى غير ضلمسج

ما لى سواك ، وأنت المستعان إذا

ضاق الزحام فداة الموقف الحسج

أما القصيدة الثانية : فهى التى عارض بها بردة البوصيرى ، وسوف أقف
معيها بالدراسة والتحليل فى الفصل التالى إن شاء الله .

(١) المرجع السابق ج ١ ص ١٤٦ .

(٢) هذا الحكم بعد قراءة ثلاث أجزاء من ديوانه فقط ، لأن الجزء الرابع لم يظهر
إلى الآن .

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٥١ وما بعدها .

الفصل الثانى

دراسة وتحليل

" كشف الغمة فى مدح سيد الأمة "

لقد تحدث عن حياة البارودى وشاعريته ، ثم ألقيت الضوء على شمره بحامه وشمره الدينى بخاصة ، وذكرت أن مدائحه النبوية محصورة فى قصيدتين ، وبينت أن القصيدة الأولى بلغت أبياتها سبعة وعشرين بيتا .

وبعد أن الشاعر أحس بقله مدائحه النبوية ، فنظم قصيدته الثانية ، وأطال فيها إهالة كبيرة حتى بلغت أبياتها سبعة وأربعين وأربعمائة بيت ، من بحر البسيط ، ورويا ميم مكسورة ، وضمنها سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) . وفى بذلك تمد معارضة لبردة الهجرى - ولقد ساءها الشاعر : (كشف الغمة فى مدح سيد الأمة) وصدرها بمقدمة قال فيها :

" حمد الله لذاته ، آية الإيمان والإخلاص ، والصلاة والسلام على النبي الأسمى وآله ، محجة الخلاص ، وحمد :

فهذه قصيدة ضمنتها سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) من حين مولده الكريم ، إلى يوم انتقاله إلى جوارحه ، وقد بينتها على سيرة ابن هشام ^(١) ، وسيتها : " كشف الغمة ، فى مدح سيد الأمة " ورغبتى إلى الله أن تكون لى ذريعة أمت بها يوم المحاد ، وسلما إلى النجاة من غول الحشر ، اللهم فحقق رغبتى إليك ، واكسبها بفضلك رونق القبول - آمين - " ^(٢)

ولقد طبع الجزء الثالث من ديوان البارودى - محققا - ولم تكن فيه تلك القصيدة على الرغم من أنها مبيعة الروى ، وهذا الجزء ينتهى بقافية النون ، فانتقلت بحقيقته ، أستوضحه سبب عدم وضعها فى الديوان ، فكتب إلى - مشكورا -

(١) هو : أبو محمد عبد الملك بن هشام المتوفى سنة ٢١٣ هـ وقيل : سنة ٢١٨ هـ

(٢) انظر البارودى : كشف الغمة فى مدح سيد الأمة ص ٢ . مطبعة الجريسة
بمصر البارودى بمصر سنة ١٢٢٧ هـ .

قائلا: " ٠٠ إن هذه القصيدة من شعر الهارودي ، وأنها قد طبعت منفردة سنة ١٣٢٧ هـ " ويبدو أنه كان مريضا ببصره ، لأنه قال في رسالته - المابقة - إلى : " ٠٠ وإذا أنعم الله على بصحة متوسطة ، وأعاد إلى نصف بصري شرحت بدعوة الله تعالى ومشيت قصيدة (كشف الغمة)

وهي ما يكن من شيء ، فلقد بدأ الهارودي هذه القصيدة بقوله (١) :

- يارائد البرق يسم دارة العلم
 (١) واحد الفخام إلى حق يذى سلم
 وإن مررت على الروحاء فامر لها
 (٢) أخلاى سارية هتانة الديسم
 من الغزار اللواتى في حوالها
 (٣) رى النواهل من نزع ومن نهم
 إذا استهلت بأرض نضمت يدها
 (٤) يردا من النور يكسو عارى الأكسم
 ترى النبات بها خضرا منابله
 (٥) يفتال في حلة موشية العلم
 (٦)

يخاطب الشاعر الريح التى تسبق الفيث ، وأمرها بأن تنقط المطر على أماكن أحبته في : " دارة العلم ، وذى سلم ، والروحاء " لكن تشرب الإبل

- (١) كشف الغمة في مخرج سيد الأمة ص ٢٠
 (٢) الرائد : الرسول الذى يتقدم على القوم ليلتمس لهم مكانا خصيها ينزلون فيه ، وأراد به الشاعر هنا الريح التى تتقدم على الفيث . الدارة : ما أساط بالشيء . أحد الفخام : سقته بالفيث .
 (٣) الروحاء : موضع بين مكة والمدينة . فامر لها : فاستدر لأجلها . الأخلاف : جمع (خلف) - يسمر فسكون - يطلق على ذوات الخف كالئدى للإنسان . سارية هتانة : سحابة كبيرة المطر .
 (٤) الحوالب : ما قصد الضرع باللبن والمراد هنا منابع الماء . النواهل : المطاش .
 (٥) نضمت : نقضت وزينت . النور : - بفتح النون مشددة - الزهر - يردا : - بنم فسكون - ثوبا ، وجصه (برود) بضمين .
 (٦) يفتال : يتختر . موشية : مزينة . العلم : المراد : العلامة تكون في طرف الثوب .

وينمو النبات الذى يكسو الأرض بحلله الأخضر ، وأزهاره الجميلة .

ولا يخفى أن الهارودى نهج نهج القدماء فى هذا المطلع ، إذ كان الشاعر المرمى - يدعو بالسقيا لأرض محبته حتى ينبت الزرع ، وتبقى نفسى مكانها ، فلا ترحل بحثا عن النبات ، ومن ذلك قول البحتري :

نشدتك الله من برق على إضم

لما سقيت جنوب الحزن فالملسم (١)

إن الهارودى لم يرد مطلق الفيت ، بل أراد غيثا غزيرا ، يدل على قوله :

(أخلاف سارية حثانة الديم) وقوله : (من الفزار اللواتى تسمى حوالها ٠٠) .

ولا يخفى أن فى هذا القول تشبيها رائعا متزعا من البيضة الهدومة ولقد أكد المعنى ووضح الفكرة .

وإذا تأملت قوله : (إذا استهلكت بأرض ثمت يدها ٠٠) تجده قد اشتمل على مجاز عقلى ، لا يخفى أثره فى إظهار أثر المطر الذى يكسو الأرض الجديبا ، حللا مؤخرقة ، وأردية مزينة ، ولعل الشاعر أراد أن يؤكد ذلك الأثر فأشار إلى أنك إذا نظرت إلى النبات ، وهو مورق جميل يهتز مع الريح ، تحيل إليك أنه (يختال فى حلة موشية العلم) ، إنها صورة رائحة ، وتجسيم بديع ، كان سببه ذلك الثمت الذى تمنى الشاعر سقوطه على ديار محبته ، التى يؤكد حبها بقوله : (٢)

أدعو إلى الدار بالسقيا منى ظمأ
أحق بالرى ، لكنى أخو كسرم (٣)

(١) ديوانه ج ٢ ص ١٦٨ .

(٢) كشف النعمة فى مدح سيد الأمة ص ٣ .

(٣) يبدو أن الشاعر أتى (بالى) بدل اللام للوزن ، والأصل (أدعو للدار ٠٠)

منازل لهاها بين جانحتي
 وديمة سرها لم يتصل بغصى (١)
 إذا تسمت فيها نفحة لمبست
 بس الصباية لمب الريح بالملم (٢)
 أدر على الصمع ذكراها فإن لها
 في القلب مغزلة مرعية الذمم

يدعو البارودي لديار محبوبته بالسقيا مع أنه أحق بالرى لشمسدة
 عدشه، ولكنه يجرها على نفسه، لأن لها مكانة عالية يحفظها في قلبه،
 ويكتمها بين جوانحه، ثم يذكر أنه إذا تسمت نفحة من راحتها الذكيمة،
 خفق قلبه، واضطرب غواده، كما يخفق العلم إذا هزته الرياح.

وفي تلك الأبيات يظهر مدى حب البارودي هذه الأماكن التي يحبها،
 لأن فيها أحبابه، ولذلك يدعو لها بالسقيا مع أنه أحقهم - كما تشير الأبيات
 إلى ما طبع عليه البارودي من فخر واعتزاز في مثل قوله : (لكى أخوكرم) .

ولما كانت هذه الأماكن تخص أحبابه وكان من شرط الحب كتمان أسرارهم،
 ولذلك حسنت هذه الكناية اللطيفة من الشاعر : (وديمة سرها لم يتصل
 بغصى) فالسر مصون في القلب، وبلغ من قوة كتمان أنه لم يتصل بغصصه
 فضلا عن قم غيره.

وإذا تأملت قوله : (إذا تسمت منها نفحة ٠٠) وجدته يشير إلى
 شدة حسن راحة هذه الأماكن، ويؤكد ذلك أنه إذا شم عيرها : لمبست
 به الصباية، ولا يخفى أن في ذلك التعبير مجازا عقليا، يدل على أثر هذه
 الرائحة الطيبة، وقوة ذلك الحب.

ولقد أتى الشاعر بتشبيه محسوس يصور به مدى تغلغل غذا الحبيب

(١) الجانحة: واحدة الجوانح وهي الأضلاع التي تحت الترائب، وعن ما يلي
 الصدر، كالضلوع ما يلي الظهر.

(٢) تسمت : المراد وجدت نعيمها . نفحة : المراد رائحة طيبة - العلم
 : اللوا، أى الراية.

فى قلبه وشدة استحوذ به عليه فى قوله : (لمب الريح بالقلم) إن قلبه يخفق ، وفؤاده يضطرب من شدة حبه تلك الديار ، ولذلك حقق له أن يجرده من نفسه شخصاً يطلب منه أن يدير على سمعه ذكراها ، مع أنه ما زال يحتفظ بهواها .

وبدو أن الشاعر تذكر أيام أحبابه التى مضت فقال : (١)

عهد تولى وأبقى فى الفؤاد لسه
شوقاً يغل شباة الراى والهمم (٢)
إذا تذكرته لاحت مخائله
للمين حتى كأنى منه فى حلم (٣)
فما على الدهر لوقت شمائله
فصاد بالوصل أو ألقى يد السلام

يقول البارودى : إن زمن حبه قد ذهب ، ولكنه كان عظيم الأثر ، إذ ترك فى نفسه لهفة ، وأبقى فى قلبه شوقاً كبيراً ، يسيطر على عقله ، وكفى أنه إذا تذكر تلك الأيام ، ظهرت صورتها ماثلة أمام عينيه ، وغيل إليه أنه فى حلم ، ثم يتخفى الشاعر أن يصفو دهره ، وتمود أيام حبه .

وفى تلك الأبيات تظهر عاطفة الشاعر حزينة على عهد حبه السدى ذهب ، وزمن صباه الذى تولى ، ولكنه أراد أن يبرز أثر ذلك الحب فقال : (وأبقى فى الفؤاد لسه شوقاً) ، وأكد بقوله : (يغل شباة الراى والهمم) ثم زاده تأكيداً بقوله فى البيت الثانى : (إذا تذكرته لاحت مخائله) . كما أن فى قوله : (كأنى منه فى حلم) تشبيهاً يشير إلى دهره .

وفى البيت الثالث أمنية يرجو الشاعر تحقيقها ، إنه يرجو أن يرق

-
- (١) كشف الغمة فى مدح سيد الأمة ص ٤ .
(٢) يغل : يكسر . شباة : حد .
(٣) كشف الغمة فى مدح سيد الأمة ص ٤ .

دهره • وتصفو أيامه • فتعود أيام حبه مرة ثانية : (فما على الدهر
لو رقت شأله ٠٠) ولكن هيئات لما يرجوه • إذ كيف يتحقق له ذلك
وقد كثرت عليه الخطوب التي أشار إليها بقوله (١) :

تكا • دتنى خطوباً لو رميت بها

مناكب الأرض لم تثبت على قدم (٢)

فمن بلدة مثل جوف المير لم أرى

فيها سوى أم يتحفوا على صنم (٣)

لا أستقر بها إلا على قلمس

ولا ألف بها إلا على السهم

إذا تلفت حولي لم أجد أنسرا

إلا خيالي ولم أسمع سوى كلمسى

فمن يرد على نفس لانتها

أو من يجبر فؤادى من يد السقم (٤)

يشير البارودى فى تلك الأبيات إلى تلك الخطوب التي أحاطت به •
وشقت عليه فى تلك البلدة التي انشعبت فيها الوثمة ، وهي (سرنديب) كما
أشار إلى ذلك كانه (٥) - تلك البلدة التي كانت مصدر قلق وألم • إذ ليس
فيها أنيس ولا جليس •

وإذا تأملت قول الشاعر : (تكاد دتنى خطوب ٠٠) وجدته يشير إلى
حزنه وأسفه • لأن الخطوب شديدة وكثيرة ، ولو أنك (رميت بها مناكب الأرض

(١) كشف الغمة فى مدح سيد الأمة ص ٤٠

(٢) تكاد دتنى : شقت على •

(٣) أراد بقوله : (فى بلدة ٠٠) جنهرة (سيلان) المير : يفتح المير وسكون
الياء - الحمار الوحشى والأهلى أيضا • والمراد أن هذه البلدة خالية من أسره
وأحبائه كخلو جوف المير من السكان • (وجوف المير) قيل : إنه منصوب
إلى حمار بن مويلع (بالتصغير) رجل من بقايا عاد أشرك بالله فأرسل عليه
صاعقة أحرقتة •

(٤) لانتها : حاجتها • وأراد بها الشاعر هنا : عودته إلى وطنه (مصر) بعد
أن ذاق مرارة النفي فى (سرنديب) انظر كشف الغمة فى مدح سيد الأمة ، هامش
ص ٤٠ (٥) المرجع السابق الصفحة نفسها •

لم تثبت على قدم) • وفي هذه الصبارة • استمارة مكتبة لا يخفى مرهنا
في الإشارة اللطيفة إلى ككرة الحاصب التي ألت بالشاعر • كما أنها تشير
- أيضا - إلى قوة تحمله • وحسن صبره •

ولا يخفى أن في قول الشاعر: (• • أم تحنوا على صنم) كناية
لطيفة أشسار يهيمها إلى أن هؤلاء القوم - أهل سولان - لهم
مسلمين •

وإذا تأملت قوله : (في بلدة مثل جوف المير • •) وقوله : (إذا
تلفت حولي لم أجد أثرا إلا خيالي •) أدركت ما يمانيه الشاعر من وحدة
قائلة • وغربة موحشة •

وكان من الطبيعي أن يتخلى الشاعر عودته إلى وطنه • ولذلك قال
: (نحن يرد على نفسي لبانتها • •) وكيف لا يرجو العودة إلى وطنه
وهو وحيد طريد • أضف إلى ذلك أن الحلل قد أصابت جسمه • وهذا
ما أشار إليه بقوله : (أو من يجير فؤادي من يد المقم) • وفي غنى
القول استمارة مكتبة دلت على شدة المرض الذي أصاب الشاعر وتمكسبه
منه •

إن هذه الأبيات تصور - بوضوح - نفس الشاعر الحزينة • وقلبه
الجريح • مؤكداً ذلك قوله (١) :

ليت القطا حين سارت غدوة حملت
عني رسائل أشواق إلى إضم (٢)
مرت علينا خماسا وهي قاريسسة
مر المواصف لا تلون علسي أرم (٣)
لا تدرك العين منها حين تلمعها
إلا مثالا كلعع البرق في الظلم

-
- (١) المرجع السابق • وما بعدها •
(٢) القطا : (جمع قطاة) وهي طائر في حجم الحمامة تذهب لطلب الماء مسن
صغيرة ليلة فترده ضحوة ثم تعود فلا تخطئ موضعها •
(٣) خماسا : جياحا • قارية : طالبة الماء • لا تلوى : لا تعطف •

كأنها أحرف برقية نهضت

بالمسلك فانتشرت في السهل والعلم (١)

لا شيء يسبقها إلا إذا اعتقلت

بنائقي في مدح المصطفى قلبي (٢)

يتمنى الشاعر أن لو حملت القطاة رسائل أشواقه إلى أحبائه في (إضم)
ولكن أتى له ذلك ، وقد مرت بسرعة كبيرة ، عندما كانت ذاهبة للقزوه من
الطعام والشراب .

ولقد أراد البارودي أن يبين سرعة القطاة فأتى بثلاثة تشبيهات ،
الأول : أنها مرت كرا الموصف ، الثاني : أنها مرت كلعج البرق فمسي
الظلم - وهذا لا يستغنى إلا وقتا قصيرا - الثالث : أنها مرت كأنها
برقية (تلغرافية) .

وفي البيت الأخير انتقل الشاعر إلى الحديث عن الرسول (صلى الله
عليه وسلم) - وهو الفرض الأساسي للقصيدة - ولذلك قال ، لا شيء
يسبق القطاة إلا إذا جهت بنائقي قلبي ، وجملة بمدح الرسول (صلى
الله عليه وسلم) .

ويبدو أن البارودي كان يحاكي ألم النفي ومرارته ، ولذلك أتى
بلفظ (اعتقلت) .

إن هذا البيت كان تمهيدا للحديث عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)
الذي بدأه بقوله : (٣)

محمد خاتم الرسل الذي خضعت

له البرية من عرب ومن هجر

سمير وحى ، وصفي حكمة ، وندي

ساحة ، وقري عاف ، وري ظم (٤)

(١) برقية : نسبة إلى الموصل البرقي المعروف " بالتلغراف " . نهضت : تحركت .

(٢) اعتقلت : جهمت . الهنأة : الأصبح أو طرفه .

(٣) كشف النعمة في مدح سيد الأمة ص ٥٠ . (٤) سمير وحى : معاصر نثران أي ملازم
له وبخاصة في الليل - مجنى حكمة : مكان أخذ منهم حقائق القرآن ، أو الحديث
الشريف .

قد أبلغ الرحي عنه قبل بعثته

صالح الرسل قولا غير ضحك

فذاك دعوة إبراهيم خالقه

وسر ما قاله عيسى من القسدم

مدح البارودي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأنه خاتم الرسل ،
أرسله الله رحمة للعالمين ، فخصمت الخلائق لدعوته - وهذا على سهيل
التغليب - كما أنه كان مشغولا بالقرآن - وخاصة في الليل - وهو ضيق
الحكمة ، وكان محبا كريما ، يكرم الضيفان ، ويرى المطشان ، علمت
الرسل به قبل بعثته ، بل قبل خلقه ، فترقت ظهوره .

وإذا تأملت عبارة الشاعر وجدته لم يمدح الرسول (صلى الله عليه)
وسلم (بوصف جديد ، بل كلها أوصاف مكررة ، ولم يلمه بشيء بقوله (مجنى
حكمة) إلى أنه (صلى الله عليه وسلم) كان ضيق القول الصادق الناصح ،
أو أنه ضيق الحديث الشريف ، وذلك من قوله تعالى : " وَاذْكُرْ مَا بَيْنَكَ
فِي بَيْنَتَيْنِ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ " الآية (١) - إذ ذهب بعض المفسرين
إلى أن الحكمة في الآية هي الحديث الشريف (٢) .

ولقد أشار الشاعر بقوله : (قد أبلغ الرحي عنه قبل بعثته) إلى
قوله تعالى : " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ
فِيهِ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مَصْدَقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ، وَتَتَّبِعُونَهُ قَالُوا : أَأَقْرَضُكُمْ
وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي ، قَالُوا : أَقْرَضْنَا ، قَالُوا : فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ
الشَّاهِدِينَ (٣) " وفيه إشارة - أيضا - إلى ما ورد من أوصاف الرسول (صلى الله
عليه وسلم) في الكتب السابقة ، ومن ذلك ما قيل : إن وصفه في التوراة :
" يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحررا للأمة ، أنت عهدي
ورسولي ، سميتك المنوك ، ليس يخط ولا غليظ ، ولا صعب بالأسواق ، ولا يجزي
السيئة بالسيئة ، ولكن يصفو ويصفح " (٤) .

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٦ ص ١١١

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ القسم الثاني

(٣) الأحزاب / ٣٤

(٤) آل عمران / ٨١

ص ٨٧ وما بعدها

ويبدو أن البارودي يلجح بقوله : (فذاك دعوة إبراهيم) إلى قوله تعالى : (رَبَّنَا وَابْحَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَزَكِّيهِمْ) الآية (١) . لأن هذه الآية هي دعوتهم إبراهيم (عليه السلام) كما يلجح الشاعر بقوله : (وصر ما قاله عيسى) إلى قوله تعالى : " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ " الآية (٢) .

ونلاحظ أن ألفاظ البارودي سهلة واضحة إلا أنه قد وقع فيها وقع فيه الهوسى من خطأ في قوله : (منكم) إذ ذلك اللفظ يخالف قواعد اللغة كما سبق (٣) .

نصب الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

انتقل البارودي إلى الإشارة إلى نسب الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٤) :

أكرم به وآباءه محبوسه

جاءت به غيرة في العصر الدهم

قد كان في ملكوت الله مدغمرا

لدعوة كان فيها صاحب المسم (٥)

نور تنقل في الأكوام ساطعه

تنقل البدر من صلب إلى رحم (٦)

حتى استقر بعهد الله فأنهلجت

أنوار غوته كالهدر في البهم

يشير البارودي في هذه الأبيات إلى نسب الرسول (صلى الله عليه وسلم)

والرفيع، وكرم آباءه وأجداده ، وأنه سليل بيت عُرف بالمجد والشرف

(١) البقرة : ١٢٩ . (٢) الصف / ٦ .

(٣) انظر ص ٨٨ من هذه الرسالة .

(٤) كشف الغمة في مدح سيد الأئمة ص ٥ وما بعدها .

(٥) ملكوت الله : المراد علمه القديم .

(٦) صلب : (بضم فسكون) - المراد ظهر الرجل . الرحم : مقر الجنين

والسودد ، كما أنه جاء نورا في الظلام ، وكان مدخرا في علم الله القديم ،
لشرف النبوة العظيم ، ولقد حفظه الله من دنس الجاهلية ، فتنقل نوره من
آبائه حتى استقر في صلب أبيه عبد الله .

واذا تأملت قول الشاعر : (أكرم به وآباء محجلة ..) وجدهم مع
الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومع آباءه ، كما أسند المحدث إليهم على
سبيل الجواز المقتضى لأنهم سببه ، أضف إلى ذلك أن قوله : (في الأعصر
الدهم) يشير إلى حالة العرب قبل مجيء الرسول (صلى الله عليه وسلم)
إن كان الجهل منتشرا ، والظلام حالكا .

ولعل الشاعر يلمح بقوله : (نور تنقل ..) إلى ما نسب إلى
الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه قال إنما خرجت من نكاح ، ولم أخرج من
سفاح ، من لدن آدم لم يصني من سفاح أشل الجاهلية شيء ، لم أخرج
إلا من طهرة (١) .

ويبدو أن الهارودي يلمح بقوله : (حتى استقر بعبد الله ..) إلى
ما قيل : إن عبد الله بن عبد المطلب - والد الرسول - قد مر على امرأة من
خثعم - وقيل غير ذلك - فدعته يستبضع منها ، ولزمت طرف ثوبه ، فأبى وقال :
أما الحرام فالمسرات دونه

والحل لا حمل فاستبينه

ثم مضى إلى أمهات أمته بنت وهب فكان معها ، ثم ذكر الخثعمية
وبعاليها ، وما عرضت عليه ، فأقبل إليها فلم ير منها من الإقبال عليه آخر
كما رآه أولا ، فقال : هل لك فيما قلت لبي ؟ فقالت : قد كان ذلك
مرة فاليوم لا .. وقالت : أي شيء صنعت بعدى ؟ قال : وقعت على
زوجتي أممة بنت وهب ، قالت : والله لمت بصاحبة ربه ، ولكن رأيت
نور النبوة في وجهك ، فأردت أن يكون ذلك في ، وأبى الله إلا أن يجعله

(١) طبقات ابن سعد ج ١ القسم الأول ص ٢١٠

حيث جعله . وفي رواية أخرى : " مرت وبين عيني غرة مثل غرة الفرس ، ورجعت وليس في وجهك . . . " (١) ، ويبدو أن هذه القصة قد نهسد عليها ، وأنزه والد الرسول عن أن يعود إلى المرأة مرة ثانية موافقا على ما طلبته منه سابقا .

وهما يكن من شيء . فإن البارودي يلجأ إلى تلك القصة بقوله :
(جاءت به غرة . .) وأكد ذلك بقوله : (. . فانبجست أنوار غوته . . .)
ولا يخفى ما في هذا التشبيه (كالهدر في البهم) من بيان أثر ظهور الرسول (صلى الله عليه وسلم) وإيضاح حال العالم قبل ظهوره .

زواج عبد الله بن عبد المطلب :

وأشار البارودي إلى زواج والد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٢)

واختار آفة العذراء صاحبة

لفظها بين أهل الحل والحرم (٣)

كلاهما في الملا كاه صاحبه

والكاه في المجد لا يستام بالقيم (٤)

فأصبحت عنده في بيت مكرمة

شهدت دعائمه في منصب منم

يقول البارودي : إن عبد الله بن عبد المطلب قد اختار آفة بنت وهب زوجة له ، وذلك لفضلها في النسب والحسب ، ولكمالها وطهرها وفانها ، كما أن عبد الله كان - أيضا - من أشرف قبائل العرب ، وصيته من أعسى بيوتها .

-
- (١) المرجع السابق ج ١ القسم الأول ص ٨٥ وما بعدها بتصرف وسيرة ابن هشام ج ١ حاشي ص ١٦٨ .
(٢) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٦ .
(٣) العذراء : البكر والمراد الطاهرة صاحبة : زوجة .
(٤) لا يستام : لا يطلب بيعة أو شراؤه والمراد مثلا لا يقدر .

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (المذراة ٠ ٠) وقوله : (لفضلها
بين أهل الحمل والحرم) ما يوحى بحفتها وطهارتها ، ووصفه بيت عبد الله
بأنه (بيت مكرمة) يدل - أيضا - على عزة أصله ورفعة شأنهم .

ثم انتقل البارودي إلى الإشارة إلى حمل والدته الرسول به بقوله (١) :
وحينما حملت بالمصطفى وضعت

يعد المشيئة عنها كلسفة الوح
ولاح من جسمها نور أضاء لها

قصور بصرى بأرض الشام من أمم (٢)

إن السيدة آمنة بنت وهب - أم الرسول - حينما حملت بالمصطفى
(صلى الله عليه وسلم) لم تجد مشقة في حمله ، كما أنها حينما وضعت
خرج معه نور أضاء له قصور بصرى بالشام .

ولعل الشاعر يلح في البيت الأول إلى ما نسب إلى السيدة آمنة
أنها قالت : " ما شعرت أنى حملت به ، ولا وجدت له ثقلا كما تجد
النساء ... (٣) "

كما يلح في البيت الثاني إلى قولها : " لما فصل مني خرج معه نور
أضاء له قصور بصرى ... (٤) "

والجدير بالذكر أن الدرويش سبق البارودي إلى الإشارة إلى هذا
النور الذي أضاء له قصور بصرى بالشام ، وذلك عند قوله : (كهفاستنارت
قصور الشام .. البيت (٥)) .

مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

واقعد أشار البارودي إلى مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٦) :

- (١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٦ .
- (٢) بصرى - من نسكون - مقصور الآخر - بلدة بالشام من أعمال دمشق .
- (٣) طبقات ابن سعد ج ١ القسم الأول ص ٦٠ .
- (٤) انظر هامش ص ٢٩٢ من هذه الرسالة . (٥) المرجع السابق ص ٢٩١ .
- (٦) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٦ .

(وسمى) أنى الوضع وهو الرضع منزلة

جاءت بروج بنور الله تسمم (١)

ضامته به غرة الإثنين وابتممت

عن حمته فى ربيع روضة الحرم (٢)

حينما ولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) شرف الوجود بأكرم مولود •
وكان ذلك فى يوم الإثنين من شهر ربيع الأول بمكة المكرمة •

ولا يخفى أن فى قول الشاعر : (وهو الرضع منزلة ٠٠) احتراسا
لطيفا بحد قوله (أنى الوضع ٠٠) كما أنه أشار بقوله : (روضة الحرم)
إلى مكة المكرمة التى اتممت لهذا النبأ العظيم • ولذلك المولود الكريم
(صلى الله عليه وسلم) •

رضاعه (صلى الله عليه وسلم) :

وانتقل البارودى إلى ذكر رضاع محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٣) :

(وأرضعته) ولم تأس (حليمة) من

قول المراضع : إن اللبن فى اليم
نفاذ بالدر ثدياها وقد غيبست

لواليا وهى لم تطعم ولم تسمم (٤)
وانهل بعد انقطاع رسل شارفها

حتى غدت من رفيه الميش فى طمم (٥)
فيمت أهلها ملوثة فرحها

يا أنى لها من أوفر النسم

(١) أنى : حان • (٢) روضة الحرم : المراد مكة المكرمة •

(٣) كشف الغمة فى مدح سيد الأمة ص ٧ •

(٤) الدر : بفتح الدال مشددة - اللين •

(٥) رسل : مبكسر فسكون - شارفها : لبن ناقتها المسنة - رفيه الميش :
الرجد اللين •

وقلص الجذب عنها فهي طاعة

(١) من خير ما رغبته ثلة القنم

وكيف تحل أرض حلّ ماحنهما

(محمد) وهو غيث الجود والكرم

يشير الشاعر - في هذه الأبيات - إلى قصة الراضع اللاتى أعرض عن رضاع الرسول (صلى الله عليه وسلم)؛ لأنه كان يتيمًا ، إلا أن حليلة السعدية أخذته على الرغم من يتمه وعندما أخذته رأت أشياء أدخلت الضرر على نفسها ، وأكدت لها أن هذا الولود له شأن كبير ، ومن ذلك : كثرة لبن ثدييها ، وكثرة لبن ناضجها السنة ، وإحاطة الخير بها من كل جانب .

ويلاحظ أن البارودى نظم القصة كما روتها بعض كتب السيرة على لسان السيدة حليلة السعدية التى قالت : " قدمت مكة فى نعوسة من بنى سعد بن بكر نلتص الرضعا فى سنة شهباء " ومضى صى لنفسها وشارف والله ما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، ما يجد فى ثديى ما يخنيه ، ولا فى شارفنا ما ينفذه ، فقدمنا مكة ، فوالله ما علمت منا امرأة إلا عرضن عليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فإذا قيل : يتم ، تركناه ، وثقلنا ، ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه ، إنما نرجوا المصروف من أب الولد . . . فوالله ما بقى من صواحبى امرأة إلا أخذت رضيعا غيرى . . . فذهبت ، فأخذته . . . فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلى ، فأقبل على ثدياى بما شاء من لبن ، وشرب أخوه حتى روى ، وقام صاحبى إلى شارفى تلك ، فإذا بها حافل ، فحلب ما شرب ، وشربت حتى روينا ، فتمتنا بخير ليلة ، فقال لى صاحبى : والله إنى لأراك أخذت نسمة مباركة . . . (٧) . .

وصها يكن من شئ ، فلقد أشار البارودى إلى سرور السيدة حليلة بقوله : (نيمت أهلها ملوأة فرحا) فلفظ (ملوأة) يوحى بسرورها الشديد

(١) قلص : ذهب بسرعة . الثلة : الجماعة .

(٧) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٧٤ يتصرف ، أسد الغابة ج ٧ ص ٦٨ .

وفرحتها الفامرة ، ومالها لا تفرح وقد (قلص الجذب فيها ٠٠) بفضل
الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولذلك ضمن تعقيب الشاعر على القصيدة
بقوله :

وكيف تحل أرض حل ساحتها

(مَحَمَّدٌ) وهو غيث الجود والكرم

وواصل البارودي الحديث عن رضاع الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (١)

فلم يزل عندها ينمو وتكسله

رعاية الله من سوء ومن وصم

حتى إذا تم ميقات الرضاع له

حولين أصبح ذا أيدٍ على الفظم (٢)

وجاء كالقطن مجد ولا ترف على

جبينه لمحات المجد والفهم (٣)

وقد تم عقلا ، وما تمت رضاعته

وفاض حلما ، ولم يبلغ مدى الحلم

لقد مكث الرسول (صلى الله عليه وسلم) عند السيدة حليلة سنتين

ترواه فناية الله ، وتحفظه من كل سوء ، إلى أن تمت مدة رضاعته ، فأصبح

ذا قوة على النظام ، إذ كان قوى الجسم ، نشيط البدن ، تظهر عليه

علامات السجد والسودد ، وكان مع صغر سنه كبير العقل ، واضح الصدر .

إن نظم البارودي يغلب عليه السرد التاريخي ، ولذلك جاءت هذه

الآيات خالية من المصق ، ما عدا البيت الأخير ، فقد اشتغل على بعض

الإشارات اللطيفة التي تدل على أن الله قد خص النبي (صلى الله عليه وسلم)

— من صغره — بقوة جسمه ، وكمال عقله ، وحسن خلقه .

(١) كشف الغصة في مدح سيد الأمة ص ٧٠

(٢) ذا أيد : ذا قوة . الفظم : بضم الفاء والطاء — جمع فظم — بفتح فكسر —
الصبي الذي مضى من الرضاع .

(٣) سجد ولا : المراد محكم الخلقة قوى الجسم .

شق صدر الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

وانقل الشاعر إلى الحديث عن شق صدر الرسول بقوله : (١)

فبينما هو يرعى البهائم طاف به

شخصان من ملكوت الله ذي العظم

فأضجاء وحقاً صدره بهمسد

رقيقة لم يمت ضيقها على السهم

ومحذوا قضيها من قلبه وطسروا

تولوا ضلعه بالسلسل الشميم (٢)

ما عالجا قلبه إلا ليخلص من

شوب الهوى ، ومن مقدسية الحكم (٣)

فوالها نعمة لله على بهيم

عبيبه ، وهو طفل غير محتلم

يشير البارودي إلى قصة الملكين اللذين شقا صدر الرسول (صلى

الله عليه وسلم) عندما كان طفلاً يرعى الغنم مع أخيه من الرضاعة .

والجدير بالذكر أن البوصيري قد أشار إلى الشق قبل البارودي

ولكنها كانت إشارة عامة في قوله : (٤)

أقسمت بالقمر المشق إن له

من قلبه نسبة مبرورة القسم

أما البارودي فقد أشار إلى شق بيمينه ، ذاكراً قصته بالتفصيل - إذ

من المعلوم أن الشق قد تمده (٥) - ولذلك غلب على نظمه السمر

التاريخي ، ولكن مع ذلك لم يخل من طرائف ، مثل عدم تألم النبي من هذا

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٨ .

(٢) السلسل الشميم : الماء المذّب بالبارد .

(٣) الشوب : الخلط . يمس : يحفظ ويحفظ .

(٤) انظر ص ١٤٥ من هذه الرسالة .

(٥) تفسير القرآن العظيم ج ٨ ص ٤٥١ .

الشق بقوله : (.. لم يمت فيها على ألم) ، وهل بيان علة الشق بقوله :
(ما عالجا قلبه إلا ليخلص من ..) .

ولما كان غذا الأمر يشير المعجب والدهشة ، حسن قول الشاعر :
(نبالها نعمة لله خير منها ..) ، إلا أن ذكر كلمة (غير محتلم) يحد كلمة
(طفل) يحد حسوا ولعل الشاعر أتى بها للقافية .

والهارودي بتلك الأبيات يشير إلى ما ذكرته بعض كتب المسيرة
من هذه القصة من أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال " .. بينما أنا
مع أخ لي خلف بيوتنا نرى بهما لنا إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض
قطعت من ذهب ملوثة ثلجا ، فأخذاني فشقا بطنى ، واستخرجا قلبي
فشقا ، فاستخرجا منه علقة سوداء ، فطرحاها ، ثم غسلا قلبي ويطحن بذلك
الثلج حتى أنقياه .. " (١) .

قصة بحيرى :

ثم انتقل الهارودي إلى ذكر قصة بحيرى (٢) بقوله (٣) :

وقال عنه بحيرى حين أبصره

بأرض بصرى مقالا غير منهم

إذ ظلمته الضام الخروا نهضت

علقا عليه نروح الضال والسلم (٤)

بأنه خانم الرسل الكرام ومن

بسه تقول صروف الهوس والنقم

إن بحيرى قد رأى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما كان في ركب
تجارى إلى الشام ، وعرف أنه هو الرسول المرتقب عندما رأى الضامة تظله

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٩٧٨ .

(٢) بحيرى - وكتب أيضا - بحيرا - بالألف نراهبا نتمين إليه علم النصرانية
(المرجع السابق ج ١ ص ١١٤) .

(٣) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٨ .

(٤) انهضت : مالت بالضال - نوح من الشجر ومثله السلم .

وفروع الشجرة التي كان يجلس تحتها قد مالت عليه . وهذه بعض العلامات التي وردت في الكتب السابقة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وكان هذا الراهب على علم بها .

والبارودي يلح بقوله : (وقال عنه بحيرى حين أبصره . .) إلى القصة الطويلة * التي ذكرتها بعض كتب العميرة والتي انتهت بقوله عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو يخاطب عنه أبا طالب : " . . أرجع يا ابن أخيك إلى بلده * واحذر عليه اليهود * فوالله لئن رآه وهرقوا منه ما عرفست ليخبرن به شراً * فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم . . (١) .

ويبدو أن البارودي أراد أن يشير إلى أن آيات الرسول قبل البعثة كثيرة فقال : (٢)

هذا وكم آية سارت له فحكت

» بنورنا ظلمة الأسوال والقحيم (٣)

ما مر يوم له إلا وقلده

صانعنا لم تنزل في الدهر كالملم

إن الله قد أكرم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بكثير من الآيات قبل البعثة * وكانت تشير إلى أن شأنه سيكون عظيماً .

ولعل في قول الشاعر : (. . . وكـم آية . .) ما يدل على الكثرة * إلا أن في قوله : (ما مر يوم إلا وقلده) خطأ لغوياً والصحيح حذف الواو بمـاء لا كما سبق (٤) .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٩٦ .

(٢) كشف القم في مدح سيد الأمة ص ٨ .

(٣) القحيم : - بضم ففتح - جمع قحمة - بضم فسكون - تطلق على ممان كثيرة ، والمراد هنا : الأمر الشاق الذي يحصل للإنسان على ما يكمره .

(٤) انظر ص ١٥١ من هذه الرسالة .

الصادق الأمين :

ولقد أشار البارودي إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) فسد
لقب بالصادق الأمين بقوله (١) :

حتى استتم ولا نقصان يلحقه

غما وحشرين من البارع الفهم

ولقبته قريش بالأمين علمي

صدق الأمانة وإيفاء بالذمم

عندما بلغ الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الخامسة والعشرين
كان مثالا للأخلاق المالية، والصفات الحميدة ، ولذلك لقبته قريش
بالصادق الأمين ، لأمانته وصدقته ، ووفائه بمعهده .

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (ولا نقصان يلحقه) احتراسا
لطيفا بحد قوله : (حتى استتم) ، ولقد انتقل البارودي إلى الحديث
من تجارة الرسول بمال السيدة خديجة بقوله (٢) :

ودت خديجة أن يرى تجارتها

وداد متهمز للخير منتهم

فشد عزمتها ضم بمقتدر

ماضى الجنان إذا ما هم لم يخم (٣)

سار محتزما للشام بصحبته

في السير مصرة المرضي في العشم (٤)

فما أناخ بها حتى قضى وطرا

من كل ما راعه في البيع والعلم

وكيف يخسر من لولاه ما رحمت

تجارة الدين في سهل وفي علم

(١) كثبت الفضة في مدح سيد الأمة ص ٨ وما بعدها .

(٢) الرجوع السابق الملفحة نفسها . لم يخم : لم ينكسر ولم يهجين .

(٣) ميسرة : غلام السيدة خديجة (رضي الله عنها) .

(٤) المرضي : بتشديد الهمزة - المختار .

عندما سمعت السيدة خديجة بنت خويلد عن هذا الصادق الأمين،
تضت أن يرضى تجارتها ، ولقد قوى رجائنا ، وشد عزيمتها ، ما علمته من
شجاعته ، وحسن تدبيره ، وكل ذلك دفعها إلى عرض ذلك على محمد
(صلى الله عليه وسلم) فوافق وخرج بالتجارة إلى الشام يصحبها عدها
(ميسرة) ولم تلبث التجارة أن راجت سوقها ، وعظم مكسبها .

ولا شك في أن قول الشاعر : (ودت خديجة) يصور مدى شغفها
بهذا الصادق الأمين ، ويؤكد ذلك قوله : (وداد منتهز للخير مفتنم)
وأحسن الشاعر عندما بين السبب الذي شد عزم السيدة خديجة على أن
تتبنى خرج الرسول بتجارته : أنه مقتدر ، وماضى الجنان ، وقوى العزيمة
على الهمة .

ولعل قوله : (فما أناغ بها حتى قضى وطرا) يشير إلى قصر
المدة التي لبثتها القائلة التجارية ، ومع ذلك حققت مكسبا عظيما .

وقد اشتمل البيت الأخير على استفهام يفيد إنكار خسارة الرسول
في تجارة الدنيا ، وهو الذي ربح على يديه تجارة الدين ، وهذا يدل
على أمانته وصهارته ، ولا يخفى أن الطباق في قوله : (في سهل وفي علم)
يدل على انتشار الدين .

ثم أشار الشاعر إلى أن ميسرة قضت على السيدة خديجة بعض المشاهد
التي شاهدها في الرحلة فقال (١) :

فقض ميسرة المأمون قصته

على خديجة سردا غير ضخم

وما رواه له كهل بصوممة

من الرهايين عن أسلافه القدم (٢)

(١) كشف النعمة في مدح سيد الأمة ص ٦٠

(٢) الرهايين : جمع رهايان . القدم : بضمين - المراد المتقدمين .

في دوحة عاج خير المرسلين بها
 من قبل يمتدح للمرب والمجم (١)
 هذا نبي ولم ينزل بصاحته
 إلا نبي كريم النفس والشيم
 وسيرة الملكين الحاثين علمسي
 جبينه لظلاله من التهم (٢)

لقد قص ميسرة على السيدة خديجة كل ما رآه في أثناء رحلته من أخلاق عظيمة،
 ومعاملة كريهة، كما أخبرها بأن أحد الرهبان رأى الرسول (صلى الله عليه وسلم)
 نزل تحت شجرة، فقال: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، وذكرته
 بعض كتب السيرة أن ميسرة قد رأى ملكين يظللان الرسول (صلى الله عليه وسلم)
 من الشمس (٣).

وبدو أن الهارودي أراد أن يؤكد ما شاهده ميسرة بوصفه بقوله:
 (الأمون) ومع أن الألفاظ سهلة واضحة إلا أن الشاعر قد ذكر لفظة
 (مجم) وقد سبقه إلى ذلك البوصيري أيضا (٤) مع أن هذا اللفظ لم يرد في
 معاجم اللغة المتعددة كما سبق (٥).

زواج محمد بن عبد الله بالسيدة خديجة:

وانتقل الهارودي إلى الحديث عن زواج الرسول بالسيدة خديجة بقوله (٦):
 فكان ما قصه أعلا لما وصلت

به إلى الخير من قصد ومستمز
 أحسن بها صلة في الله قد أخذت
 بها على الدهر عقد غير منقسم
 فأصبحا في صفا غير منقطوع

على الزمان وود غير منقسم

إن ما قصه ميسرة على السيدة خديجة من أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
 في أثناء زواجه معه إلى الشام - قد أثار عجبها، وقد قصها ذلك إلى
 أن تطلب الزواج منه، ووافق الرسول (صلى الله عليه وسلم) فكان زواجهما
 أساسه المحبة والمودة، ولذلك عاشا في صفا دائر، وود متصل.

- (١) الدوحة: الشجرة العظيمة. عاج: أقام. (٢) التهم: (بفتح التاء والهاء) شدة الحر.
 (٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٢.
 (٤) أنظر ص ١٨٨ من هذه الرسالة. (٥) المرجع السابق ص ١٩٢.
 (٦) كشف الغمّة في مدح سيد الأمة ص ١٠.

قصة بناء الكعبة :

وأشار الهارودي إلى قصة بناء الكعبة ووضع الحجر الأسود بقوله (١) :

وحينما أجمعت أمرا قريش على

بناية البيت ذى الحجاب والخدم

تجسست فرق الأحلاف واقسمت

بنائه عن تراض خير مقتسم (٢)

حتى إذا بلغ البنيان غايته

من موضع الركن بحد الكد والجشم (٣)

تسابقوا طلبا للأجر واختصموا

فبين يمشى بناء كل مختصم

وأقسم الثوم أن لا صلح بينهم

من اقتحام السايأ أيما قسم

وأدخلوا حين جد الأمر أيديهم

للشر في جفنة ملوثة بسدم

فقال ذو رأيهم : لا تمجلوا وخذوا

بالحزم فهو الذى يشفى من الحزم

ليرض كل امرئ منا بأول من

يأتى فيقسط فينا قسط محتكم

وفي هذه الأبيات يشير الشاعر إلى أن قريشا قد اتفقت على تجديد

بناء الكعبة ، وفملا تم ذلك، ثم حدث خلاف فبين يضع الحجر الأسود -

إذ من يضعه سيكون صاحب الشرف - وكاد القتال ينشب بين رؤساء القبائل

فقال : أكبرهم سنا : لا تختلفوا ، وحكموا أول داخل عليكم ، فوافقوا على

ذلك .

(١) كشف الخمة في مدح سيد الأمة ص ١٠ .

(٢) الأحلاف : جمع حلف والمراد بهم من اشتركوا في بناء الكعبة وهم : عبد الدار وكعب وجمح وسهم ومخزوم وددى .

(٣) الركن المراد به الحجر الأسود ، ومعنى ركنه ، لأنه معنى الركن (سيرة ابن هشام ج ١ هامش ص ٢١٢) . الجشم : بفتحتين - المشقة .

(٤) ذو رأيهم : المراد أكبرهم سنا . الحزم : (الأولى) بفتح فسكون (معروف معناه) والحزم : (الثانية) بفتحتين - المراد بها مرض القلب .

ولا يخفى أن البارودي رسم تلك الصورة من واقع ما ذكرته بعض كتب السيرة (١) إلا أنه أشار إلى عظمة الميت الحرام بقوله : (ذى الحجاب والخدم) كما أشار إلى عورة الغلاف الذي كاد يقع بقوله : (لا صلح بمصممهم من اقتحام المنايا ...) .

وإذا تأملت قوله : (وأدخلوا حين جد الأمر أيديهم ... في جفنة مملوءة بدم) وجدته يشير إلى ما قام به بعض رؤساء القبائل بأحضار جفنة مملوءة بالدم وتحالفوا على القتال حتى الموت ولذلك سماها : (لعنة الدم) (٢) .

وهما يكن من شيء فلقد وانقوا جسما على تحكيم أول داخل عليهم وانتظروا هذا الداخل فكان كما قال البارودي : (٣)

فكان أول آت بعدما انتقوا

(محمد) وهو في الخيرات ذو قدم

فقال كل رضينا بالأمين على

علمه فأكرم به من عادل حكم

فأعلموه بما قد كان واحتكموا

إليه في حل هذا المشكل المم

فمدّ شوباً وحط الركن في وسط

منه وقال : ارفعوا جانب الرضيم (٤)

فنان كل امرئ حظاً بما حملت

يداه منه ولم يعتب على القسم

حتى إذا اقتربوا تلقاء مضممه

من جانب البيت ذى الأركان والدعم

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٣ . (٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٣) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ١١ .

(٤) الرضيم : بفتحين - أصلها (الرض) بفتح فسكون - الصخور المظلمة التي بعضها فوق بعض .

مَدَّ الرُّسُولُ يَدًا مِنْهُ بِأَرْكَسَةٍ

بَنَتْهُ فِي صَدَفٍ مِنْ بَاهِجٍ سَنَمٍ (١)

فَلْيَزِدْهُ الرُّكْنَ تَتِمُّهَا حَيْثُ نَالَ بِهِ

غَفَرًا أَقَامَ لَهُ الدُّنْيَا عَلَى قَسَدٍ

لَوْ لَمْ تَكُنْ يَدُهُ مَسْتَهْ حِينَ بَنَى

مَا كَانَ أَصَحَّ طَلُومًا بِكُلِّ نَسَمٍ

لَقَدْ كَانَ أَوَّلُ دَاخِلٍ عَلَى هَوَالٍ الْمُخْتَلِفِينَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (ع) نَاطِمَانَا
إِلَى حِكْمِهِ ، إِذْ كَانَ مَشْهُورًا بَيْنَهُمْ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ ، وَلَمَّا قَصَّوْا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ
خَلَعَ رِدَاءَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ وَضَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِي وَسْطِهِ ، وَأَمْسَرَ
رَئِيسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ بِأَنْ يَحْمِلَ مِنْ طَرَفٍ ، وَحَتَّى وَصَلُوا إِلَى مَكَانٍ وَضَعَ الْحَجَرَ
الْأَسْوَدَ ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ وَوَضَعَهُ فِي مَكَانِهِ ، فَحُلَّ ذَلِكَ التَّصَرُّفُ الْحَكِيمُ
مَشْكَلَتَهُمْ ، وَحَفِظَ دُمَاؤُهُمْ ، وَصَانَ أَرْوَاحَهُمْ .

وَالْقِصَّةُ يَغْلِبُ عَلَيْهَا جَانِبُ السُّرُودِ فِي الْأَنَاطِمِ ، وَلَيْسَ فِيهَا عَمَقُ نَفْسِ
الْفِكْرَةِ ، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرَ أَشَارَ إِلَى أَنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ قَدْ أَزْدَادَ شَرَفًا
وَنَفَرًا بِحَمْلِ الرُّسُولِ إِيَّاهُ ، كَمَا نَظَرَ إِلَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْيَسَدُ
الْمُبَارَكَةُ - يَدُ الرُّسُولِ - هِيَ الَّتِي وَضَعَتْهُ مَاقْبَلَهُ أَحَدٌ .

وَهُوَ بِذَلِكَ يَشِيرُ إِلَى أَنَّ مِنَ السَّنَةِ تَقْبِيلُ الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ فِي أَعْمَالِ
الْحَجِّ (٢) ، وَهِيَ فِكْرَةٌ تَدُلُّ عَلَى ثِقَافَةِ الشَّاعِرِ الدِّينِيَّةِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَرِدْ مَا يَدُلُّ
عَلَى أَنَّ السَّبَبَ فِي تَقْبِيلِ الْحَجْرِ هُوَ وَضْعُ الرُّسُولِ إِيَّاهُ ، كَمَا أَنَّ لَفْظَ (حِطَّ)
لَا يُلِيقُ ذِكْرَهُ مِنْ شَاعِرٍ كَبِيرٍ كَالْبَاهِرُودِيِّ الَّذِي لَمَعْنَى أَنَّ يَقْبَلُ ذَلِكَ الْحَجَرَ بِقَوْلِهِ (٣)

يَا لَيْتَنِي وَالْأَمَانِي رِمَا صَدَقْتُ

أَحْظَى بِمَمْتَقِنٍ مِنْهُ وَمَلَسْتُمْ

(١) الصَّدَفُ - بِفَتْحَتَيْنِ - الْمَرَادُ الْحَاطِطُ الْمُرْتَفِعُ : الْبَاهِجُ - الْعَالِي - السَّنَمُ :
الْعَالِي .

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ج ٣ ص ٤٠٥ وَمَا بَعْدَهَا .

(٣) كَشَفُ الْقِصَّةِ فِي مَدْحِ سَيِّدِ الْأُمَّةِ ص ١١ وَمَا بَعْدَهَا .

ياخذها صهفة من حسنه أخذت

منها الشبيبة لون المذروالام^(١)

كالخال في وجنة زدت محاسنها

بنقطة منه أضافا من القسم^(٢)

وكيف لا يفخر البيت المتيق به

وقد بنته يد نياضة النعم

أكرم به وأما لولا هدايته

لم يظهر المعدل في أرض ولم يقم

هذا الذي عصم الله الأنام به

من كل هول من الأحوال مخترم

إن البارودي - في هذه الأبيات - يمتنى الذهاب إلى تلك الأماكن

الطاهرة ، والبقاع المقدسة ، لكي يقبل ذلك الحجر الأسود : (يا ليتني

والأمانى ربما صدقت ٠٠) .

إلا أنه يتم أن الشبيبة قد أخذت لونها الأسود الجميل من لسن

هذا الحجر ، ثم أضاف إلى ذلك أن الخال في الوجنة قد زاد حسنهما

أشكافا مضاعفة ، ولا شك في أن الخال أسود اللون مثل الحجر أيضا (ياخذها

صهفة من حسنه أخذت ٠٠) ، وقوله : (كالخال في وجنة زدت محاسنها ٠٠) .

وإذا تأملت قوله : (وكيف لا يفخر البيت المتيق به ٠٠) وجدته يشهد

بمكانة الحجر الأسود أيضا ، حتى حق للبيت الحرام أن يفخر بذلك الحجر

لأن الذي وشعه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ولا يخفى أن في قوله :

(وقد بنته يد ٠٠) مجازا مرصلا علاقتة الجزئية ٠٠ أظهر عظم تلك

اليد ، وبخاصة أنها (نياضة النعم) .

(١) الصهفة : ما يصح به والمراد هنا أثره وهو اللون الأسود . المذرو -

بضمين - جمع عنار - المراد الشعر الثابت على الخد .

(٢) الخال : النقطة السوداء على الوجنة .

إن صاحب هذه اليد المباركة كان سببا في ظهور العدل وانتشاره
وفي هداية الناس إلى الطريق المستقيم ، كما أن الله قد عصم به الخلق ،
وحقق على يديه دما بهم ، وكان سببا في صلاحهم .

مقدمات بمحة الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

وأشار البارودي إلى بمحة الرسول بقوله (١) :

وحين أدرك سن الأربعين وما .. من قبله مبلغ للعلم والحكم
حياء ذو العرش برهانا أراه به .. آيات حكته في عالم الحس
فكان يعض ليرى أنس وحشته .. في شامخ ما به للخلق من أرم (٢)
فما يمر على صخر ولا شجر .. إلا وحياء بالتسليم من أسم

عندما بلغ الرسول (صلى الله عليه وسلم) سن الأربعين ظهرت مقدمات
لنبوته وكان منها : الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق
الصبح ، ثم حبيب إليه الخلاء ، فكان يذهب إلى غار حراء - حيث يتعبد
ويتأمل في ملكوت الله ، ولما أكرمه الله بكرامته وابتدأه بالنبوة كان لا يمر
بشجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، فبلغت الرسول حوله
وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة ، واستمر على ذلك إلى
أن نزل عليه جبريل بالمحنة (٣) ، ولقد سبقت الإشارة إلى بعض هذه الأمور (٤)
ولاحظ أن البارودي يوالى سرده للمسيرة النبوية ويلمح بقوله (وما من قبله
بلغ للعلم والحكم) إلى أن سن النبوة هو سن الأربعين ، كما يلاحظ
أن في قوله : (فما يمر على صخر ... إلا وحياء) خطأ لفويا ، والصحيح
حذف الواو بحد إلا - كما سبق (٥) .

- (١) كشف النعمة في مدح سيد الأمة ص ١٢ وما بعدها .
- (٢) الشامخ : الحميد - والمراد به غار حراء - وهو على بحد ثلاثة أميال من مكة .
- (٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٣ .
- (٤) انظر ص ١٥٢ . من هذه الرسالة .
- (٥) المرجع السابق ص ١٥١ .

بدء البحثية :

واستمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) يخلو بنهار حراء حتى تنزل عليه جبريل (عليه السلام) وهذا ما أشار إليه البارودي بقوله (١) :

حتى إذا حان أمر الخيب وانحسرت
أستاره عن ضمير اللج والقلسم
نادى بدعوته جهرا فأسمعها
في كل ناحية من كان ذا صم
فكان أول من في الدارين تابعه
خديجة وعلى ثابت القسدم
ثم استجابي رجال دون أمرته
وفي الأبعد ما يخفى من الرحم
ومن أراد به الرحمن مكرومة
هداه للرشد في داج من الظلم

أكرم الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) بالرسالة التي كلفه بالقيام بتبليغها للناس ، والقيام بأعبائها ، ولذلك قام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بدعوة الناس إليها •

ولقد أشار البارودي إلى ما بذله الرسول من جهد لتبليغ تلك الدعوة بقوله : (نأسمعها في كل ناحية من كان ذا صم) إلا أنه قال عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) : إنه (نادى بدعوته جهرا) والمعلوم أن الدعوة بدأت سرية ثلاث سنوات (٢) •

ولا يخفى أن الشاعر يلج بقوله : (فكان أول) إلى أن يقول من أسلم السيدة خديجة وعلى بن أبي طالب ، ثم أسلم بعد ذلك رجال ليسوا من أقارب الرسول (صلى الله عليه وسلم) (٣) •

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأفة ص ١٣ •

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٤ •

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٢٥٩ وما بعدها •

وإذا تأملت قوله : (وفي الأبعاد ما يفنى عن الرحم) وجدته حكمة صادقة - والبيت الأخير يبين أن الهادى فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى وهو - أيضا - حكمة صادقة •

الناس والدعوة :

بين البارودى موقف الناس من دعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (١) :

ثم استمر رسول الله محترما

يدعو إلى ربه فى كل ملتام (٢)

والناس منهم رشيد يستجيب له

طوها وضهم غوى غير محتشم

حتى استرايت قريش واستبد بها

جهل تردت به فى مانج ضرم (٣)

وهذبوا أهل دين الله وانتبهكروا

محاربا أعقبتهم لهفة النسيم

وقام يدعو أبو جهل عشيرته

إلى الضلال ولم يفتح إلى سلم (٤)

يدى خداعا وخفى ما تضمنه

ضميره من غرارة الحقد والمسد (٥)

لقد واصل الرسول (صلى الله عليه وسلم) تبليغ دعوته إلى الناس ، وكان ينتهز فرصة اجتماعهم ، فيعرض عليهم مبادئ دعوته ، فكان الرشيد السدى يستجيب له ، والغوى الذى يعرض عنه ، ولما رأت قريش زيادة عدد المسلمين

(١) كشف الخمة فى مدح سيد الأمة ص ١٣ وما بعدها •

(٢) ملتام : مكان اجتماع القوم •

(٣) المانج : النار التى لا دخان لها • الضرم - المتوقد •

(٤) أبو جهل هو عمرو بن هشام قتل سنة ٢ هـ •

(٥) غرارة الحقد : المراد ما لصق به من الحقد •

يوماً بعد يوم، هالها الأمر، فحذروا المسلمين، وخاصة الفقراء منهم، وانتهكوا بذلك حرمة كانت سبباً في خزيهم في الدنيا، وستكون سبباً في عذابهم في الآخرة، كما أوعدهم الله بذلك، ومنهم أبو جهل الذي امتلأ قلبه حقداً على الرسول والمسلمين، فكان يدعو الناس إلى محاربتهم والوقوف في سبيلهم.

والآيات سهلة العبارة، واضحة الالفاظ، يغلب عليها المرد التاريخي. ولما كان الكفار قد ظلموا المسلمين، وخاصة المستضعفين منهم - حمن من البارودي أن يقول: (١)

لا يعلم القلب من غل السِّ به
ينقى الأديم صيق موضح الحليم (٢)
والحق كالنار إن أغشيت غيظه
منه علائم فوق الوجه كالحمم
لا يبصر الحق من جهل أحاط به
وكيف يبصر نور الحق وهو عم
كل امرئ واجد ما قدمت يده
إذا استوى قاضين هوة الأدم (٣)
والخير والشرف في الدنيا مكافأة
والنفس مشغولة عن كل مجتهد
فلا يتم ظالم ما جنت يده
على المباد، فمين الله لم تتم

إن هذه الآيات تشغل على حكم صادقة تندد بالظلم، وتنذر الظالمين، فالقلب الذي دخله الفل هو قلب مريض، ومهما فعل صاحبه لا بد أن يظهر أثر ذلك المرض، والحق كالنار مهما حاول الحاقده إخفاء حقه، ظهرت علامات على الوجه، وإذا كان الحق واضحاً، فإن من أحاط به الجهل لا يبصره

- (١) كشف النعمة في مدح سيد الأمة ص ١٤.
(٢) الأديم: الجلد المدبوغ. الحلم: - بالفتحين - القراد العظيم، وفردة: حلة مفتحتين أيضاً.
(٣) هوة الأدم: حفرة القبر.

لأنه كالأعشى ، وكيف يدرك الأعشى النور ، وهما يكن من شيء فإن كل إنسان موجد ما قدمته يده يوم القيامة ؛ لأن النفس مشغولة من كل ما تفعل نفسه ولذلك لا يحق لظالم أن يتساهل في ظلم العباد ؛ لأن الله لن يتعامل في حسابه .

والملاحظ أن هذه الحكم سهلة الفكرة ، ولا عبق فيها ، ويبدو أن نفس الهارودي من مصر إلى سرنديب كان شديداً على نفسه ، ولذلك لا تنواته النصرة إلا نداء فيها بالظلم والظالمين ، فذاكراً أن يوم الحساب آت لا ريب فيه .

ولا يخفى أن الشاعر أكد هذه الحكم ببعض التشبيهات ، ومن ذلك أنه عندما أراد أن يؤكد أن الحق لا يد أن يترك أثراً في القلب أتى بحال محموس لموضح المراد ، فذكر أن الجلد إذا أصيب يمرض القراء وشغى منه ، لا يد أن موضع القراء يظهر منها حاولت إخفاءه ، كما أن البيت الأخير دعوة إلى كل ظالم أن يتدارك أمره ، ويهادر برفع الظلم عن المظلومين ، ونفس التعبير باليد مجاز مرسى - عاقته الجزئية - ولعل الشاعر اختار ذلك الأسلوب لبيان أن اليد هي آلة الكسب غالباً .

وإذا تأملت قوله : (فممين الله لم تتم) وجدته يوحى بالشهد بمسند الشديد ، وكنت أود أن يقول الشاعر : (فممين الله لا تتم) لأن النفس (بلا) يشمل الحال والاستقبال ، أما النفس (بلم) فقصور على الماضي .

الهجرة الأولى إلى الحبشة :

ثم أشار الهارودي إلى هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة بقوله : (١)

ولم يسزل أهل دين الله في نصيب

ما يلاقون من كرب ومن زام (٢)

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص : ١٤ وما بعدها .

(٢) زام : المراد شدة الاضطهاد .

حتى إذا لم يعد في الأمر منقعة
 وأصبح الشرجها غير منكس (١)
 ساروا إلى الهجرة الأولى وما قصدوا
 غير النجاشي ملكا صادق الذم (٢)
 فأصبحوا عنده في ظل ملكة
 حصينة وذمام غير منجس (٣)
 من أنكر الضيم لم يأنس بصحبته
 ومن أحاطت به الأموال لم يقم

لقد اشتد أذى المشركين بالمسلمين ، وتحملوا كثيرا من الاضطهاد
 في سبيل دينهم ، وأخيرا هاجروا إلى الحبشة لأن ملكها - النجاشي
 كان صاحب حمة ومروءة ونجدة ، فماشوا في جواره ، فكان خير جوار ، وتكفدا
 كل من ينكر الضيم يرحل عنه ، وكل من أحاطت به الأموال يجيب أن يعتمد
 عنها ، ولا يركن إليها .

وإذا تأملت قول البارودي : (ولم يزل أهل دين الله) وجدته يشير
 إلى مدى حرص ذلك النفر من المسلمين الأوائل على تمسكهم بدينهم ، وتحملوا
 في سبيله كل مشقة ، بل تركوا وطنهم من أجله ، كما أن قوله : (حتى إذا لم
 يعد في الأمر منقعة) كناية لطيفة تشير إلى أن أذى المشركين بالمسلمين
 قد بلغ حدا لا يطاق ، ويدل على ذلك قوله : (وأصبح الشرجها غير منكس)
 ومعلوم أن لفظ منكس لم يرد في كتب اللغة الممتدة كما سبقت الإشارة إليه (٤)

ولعل قول البارودي عن النجاشي إنه ملك (صادق الذم) يشير إلى
 قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه : " لو خرجتم إلى أرض الحبشة
 فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد " (٥) . والبيت الأخير حكمة صادقة ، وتوجيه
 شديد ، يقتضيك به كل من لا يرضى بالذل ، ولا يقيم على الضيم .

- (١) لم يعد في الأمر منقعة المراد لم يعد هناك تحمل للأذى أكثر من ذلك .
 (٢) النجاشي : ملك الحبشة في ذلك الوقت . (٣) منجس : منقطع .
 (٤) انظر ص ٨٨ من هذه الرسالة . (٥) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٣

مقاطعة قرهش :

ثم تحدث البارودي عن مقاطعة قرهش المسلمين بقوله (١) :

وهذا رأى المشركون الدين قد وضعت

سماؤه وانجلت عن صفة الصمم (٢)

تألبوا رغبة في الشر واثتمسروا

على الصحيفة من غيظ ومن غم (٣)

صحيفة وسعت بالفدر أوجههم

والفدر يملق بالأعراض كالدسم

فكشف الله منها غمة نزلت

بالمؤمنين • ورعى كاشف الغم

من أسمر السوء جازاه إله به

ومن رعى الهوى لم يعلم من النقم

ولما رأى المشركون أن الدين الإسلامي يزداد انتشاراً يوماً بعد يوم •
وبكسر الدخولون فيه • زادهم ذلك شماً وغباً • ففكروا في كيد الرسول وأصحابه •
وذلك بكتابة صحيفة اتفقوا فيها على مقاطعة بنى ناسم وبني المطلب فلا
يتعاملون معهم • ولا يتزوجون منهم • واستمروا على ذلك ثلاث سنوات • وعندما
عمّ بمضهم بنقضها أخبر الرسول أبا طالب بأن الأرض أكلتها إلا باسمك اللهم
وكانت هذه الصحيفة محلقة في جوف الكعبة • ولم يرها الرسول (صلى الله عليه
وسلم) - فذهب بعض المشركين للتأكد من كلام الرسول • فإذا الأمر كما قال
فزاد تعلق المسلمين بنبيهم • وخرج بعض المشركين في اعتقادهم • وهكذا
كانت الصحيفة فاتحة خير •

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ١٥ •

(٢) الصمة : بكسر الصاد مشددة - الأسد - والمراد هنا الشجاع • الصمم :
جرح الصمة •

(٣) الوغم : بفتح حـ - الحقن •

والأهيات سهلة المضمون، واضحة الفكرة، أضف إلى ذلك أن الهمزة
الآخر حكمة صادقة تدل على أن الدائرة تدور على النظام مهما كان شأنه.
وأراد البارودي أن يبين بعض آيات تدل على فضل الرسول (صلى الله
عليه وسلم) فقال (١) :

كفى الطفيل بن عمرو لمعة ظهرت
في سوطه فأنارت مدفة القثم (٢)
هدى بها الله دوساً من ضلالتهم
فتأهبت أمر داعيتها ولم تهيم (٣)

لقد أسلم الطفيل بن عمرو وطلب من الرسول (صلى الله عليه وسلم) آية تكون له عوناً على قومه - عندما يدعونهم إلى الإسلام - فدعا له الرسول، فظهر نور بين عينيه، فقال : يارب اجعله في غير وجهي فأني أخشى أن يظن قومي أنها مثلة لثراقي دينهم، فتحول في رأس سوطه، وأثار ظلمة الليل عندما ذهب إلى قومه ليلاً، وأسلم منهم كثير، بسبب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ودعوته.

وأتبع الشاعر تلك القصة قصة أخرى بقوله : (٤)

وفي الأراعى للأقوام متعبير
إذ جاء مكة في ذود من النعم (٥)
قباعها من أبس جهل فما ظله
بحقه ونمادى غير محتشم
فجاء منتصراً يشكو ظلامته

إلى النبي، ونعم المون في الإزم (٦)

-
- (١) كشف الخمة في مدح سيد الأمة ص ١٦ .
(٢) الطفيل : هو الطفيل بن عمرو بن طريف الأزدي صاحب جليل، استشهد في
وقعة اليمامة سنة ١٢ هـ (أسد الغابة ج ٣ ص ٨٠) المدفة : بهضم فسكون -
الظلمة، القثم : يقتحين : المراد الليل .
(٣) دوس : قبيلة الطفيل . (٤) كشف الخمة في مدح سيد الأمة ص ١٦ .
(٥) الأراعى : هو كهلة بن عصام (انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤١٦) .
(٦) الإزم : (بكسر الهمزة وفتح الزين) : جمع أزمه - فتح فسكون : الشدة .

نقام عهد را يحمى لنصرته

(١) نصرة الحق شأن المرء ذى الهم

فدق باب أبى جهل فنجسا له

(٢) طوطا يجرر عن الخائف السرور

فحين لاقى رسول الله لاه

فحل يحد إليه الناب من أطم

فها له ما رأى فارتد منزعجا

وهاد بالنقد بعد الطل عن رفسم

يشير البارودى - فى تلك الأبيات - إلى قصة الأراشى الذى باع

بعض الإهل إلى أبى جهل ، ولكنه ما طلع فى نضباء فجا الأراشى إلى

الرسول (صلى الله عليه وسلم) يطلب نصرتة ، فأخذه الرسول وذهب إلى

أبى جهل ، وظالمه بمداد ما عليه ، فأذن أبو جهل لأمر رسول الله

على الرغم من عداوته له ، ووقفه فى سبيل الدعوة ، وكان السبب فى إذهابته

أنه قد ظهر أمامه فحل يريد افتراءه بأنياه القوة عندما كان الرسول

يكلمه ، فخاف وأذن (٣) ولا شك فى أن هذه القصة عبرة لمن يحتسب

بالإضافة إلى بيان عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحسن خلقه ، وكسأل

شجاعته ، وصدق البارودى عندما قال : (نصرة الحق شأن المرء ذى الهم)

كما أن فيها إشارة إلى نصرة الله أنبيه (عليه الصلاة والسلام) وتأيد به بعض

المعجزات ، ومنها ما أشار إليها البارودى بقوله (٤) :

أتلک أم حين نادى سرحة فأتت

(٥) إليه منشورة الأعضاء كالجسم

حنث عليه حنو الأم من شفق

ورفرت فوق ذاك الحسن من رخم

(١) الزرم : بفتح الزين مشددة وكسر الراء - المراد الدليل المضيق عليه .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤١٦ . (٣) كشف النعمة فى مدح سيد الأمة ص ١٧ .

(٤) السرحة : الشجرة ، الجسم : بضم ففتح - جمع (جمعة) بضم الجيم وتشديد

الميم - مجتمع شمر ناصية الإنسان ، وقيل : على التى تبلغ المنكبين .

(٥) رخم : بفتح حين - المراد محبة وشفقة .

جاءته طويها ، وعادت حين قال لها :

عسوى ، ولو خليت للشوق لم ترم

يبدو أن البارودي يريد أن يعقد مقارنة بين قصة الأراهى - وما صاحبها من تأييد الله لنبيه (صلى الله عليه وسلم) - وبين قصة تلك الشجرة التى دعاها الرسول (صلى الله عليه وسلم) فأنت صرعة منتقلة أمره ، وهالمت عندما أمرها (صلى الله عليه وسلم) بالرجوع .

والجدير بالذكر أن البوصيرى أشار إلى مثل ذلك فى قوله (١) :
جاءت لدعوته الأشجار ساجدة

تمشى إليه على ساق بلا تقدم

إلا أن البارودي زاد بيان حنوها على الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما تحنو الأم شفقة على ولدها ، ورفرت قوته رقة وشفقة وسحبة ، كما زاد أيضا أمثالها أمر الرسول إياها بالرجوع ، ولو تركت هى وشأنها ما عادت لشدة شوقها إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

وعنه من معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) التى ثبتت بتفسير من الأحاديث الصحيحة (٢) .
الإسراء والمعراج :

ويواصل البارودي الحديث عن بعض معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٣) :

وهذا ليلة الإسراء حين سرى

ليلا إلى المسجد الأقصى بلا أتم (٤)

رأى به من كرام الرسل طائفة

فأمهم ثم صلى خاشعا بهم

(١) انظر ص ١٤٢ من هذه الرسالة .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٤ .

(٣) كشف الخفة فى مدح سيد الأمة ص ١٧ .

(٤) أتم : بفتحيتين - المراد الإبطاء .

بل هذا نهضة المعراج حين سا
به إلى مشهد في المزل لم يرم
سا إلى الفلك الأعلى فقال به
قدرا يجل عن التشبيه في المظم
وسار في سباحات النهر مرتقيسا
إلى مدارج أعيت كل محتسما^(١)
وناز بالجواهر المكسور من كلسم
ليست إذا قرنت بالوصف كالكلسم

يشير الشاعر في تلك الأبيات إلى معجزة الإسراء والمعراج ، ولقد
بدأ إشارته بالثناء على تلك الليلة التي وقعت فيها هذه المعجزة ، ثم ذكر
أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد رأى بعض الرسل الكرام في المسجد الأقصى
وصلى بهم إماما ، وحمد ذلك صمدا إلى السموات ، وفي ذلك شرف عظيم ، إذ
وصل إلى مكان لم يلفه نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ، وكلم ربه بكلام يجل عن
الوصف .

ولا يخفى ما في الأبيات من سرد ، كما أنها خلت من عمق الفكرة ، ولعل
يلمح بقوله : (بلا أنم) إلى أن هذه المعجزة تمت بسرعة ، كما أن قوله :
(ثم صلى خاشعا بهم) بحد قوله : (فأصمهم) يحد حشوا ، ويبدو أنه أتى
بسم للوزن .

ثم ذكر البارودي أن معجزة الإسراء والمعراج^(٢) :
سر تحار به الألباب قاصرة

ونعمة لم تكن في الدهر كالنعم
هيئات يبلغ فهم كنه ما بلغت
قرباء منه وقد ناجاه من أمسم
فيالها وملة نال الحبيب بهسا
ما لم ينله من التكرم ذو نسم

(١) مدارج : جمع مدرجة : يفتح فمكون - المرء ، والمراد المكان المالي القدر .
(٢) كشف الغممة في مدح سيد الأمة ص ١٨ .

فاقت جميع اللآلى فهى زاهرة

بحسبها كوعور النار فى الملم (١)

إذا كان الإسراء • أمرا خارقا للمادة • فالصراج أكثر منه • ولذلك يقول عنه البارودى : إنه سر تقف أمام عظمته العقول قاصرة عن فهم حقيقته • وهو - أيضا - نعمة من الله بها على نبيه (صلى الله عليه وسلم) : إذ ناجى ربه • وحظى بتكريم لم يحظ به غيره • ولذلك فإن هذه الليلة التى وقعت فيها تلك المعجزة فاقت ما عداها من اللآلى • وأصبحت مضىة بجلالها • كضياء النار على الملم •

ولا يخفى أن فى قول الشاعر : (مرتحار به الألباب ••) ما يؤكد مكانة تلك المعجزة، وعظم قدرها • كما أن قوله : (هيبات يبلغ فهم ••) يشير إلى عجز العقول - مهما سمت وارتقت - عن فهم تلك الأمرار الإلهيية، والنفحات الربانية، فاستحقت بذلك تفخيم أمرها، ولذلك قال الشاعر : (نيا لها صلة نال الصبيب بها ••) •

إن تشبيه الشاعر ظهور تلك الليلة بين ما عداها من اللآلى بظهور ضياء النار على الجبل ضئيف لا يناسب المقام • ولا يوحى بالمراد • ولو اكفى بقوله : (فاقت جميع اللآلى ••) لكان أفضل •

فرض الصلاة :

ثم انتقل البارودى إلى الحديث عن فرض الصلاة بقوله : (٧)

هذا وقد فرض الله الصلاة على

عباده وهداهم واضح اللقم

فسارعوا نحو دين الله وانتصروا

إلى العبادة لا يألون من ساء (٨)

(١) زاهرة : ضيئة • فى : بمعنى (على) •

(٧) كشف الغمة فى مدح سيد الأمة ص ١٨ •

(٨) لا يألون من ساء : المراد لا يتركونها •

ولقد ظل الرسول (صلى الله عليه وسلم) يدعو إلى الإسلام دون كلل أو ملل، فكان يستقبل الناس في البادية وفي الحضر • صمغ دعوته عليهم في السهول وفي الجبال • وكان من أثر ذلك أن استجاب الأنصار لدعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فدخلوا في دين الله، وتمسكوا بهم مع رسلهم الله غير تمسك • وبإسلام الأنصار استكملت الدنيا نضارتها • إذ كانوا أغنياء، كما قوى بهم الدين • إذ كانوا أقوياء • فأذاقوا بأسهم كل جبار ضئيل • ولذلك أشرقت بهم الظلمات • وغمدت من قوتهم أنفاس الأعداء •

إن البارودي يشير إلى جهاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تبليغ الدعوة بأكثر من معنى، فهو : (لم يغتر ولم يجم) بل كان (يستقبل الناس في بدو وفي حضر) • وكان (ينشر الدين في سهل وفي علم) •

وإذا تأملت حديثه من الأنصار وجدتهم قد دخلوا في دين الله حين طيب نفس، وأطمئنان قلب : (واعتصموا بحبله من تراض •) كما أنه أضاف ما لديهم من مال • وما عندهم من قوة وثقة : (فاستكملت بهم الدنيا •) ثم أكد ذلك في قوله : (قوم أقروا عباد الحق •) وزاد ذلك تأكيداً في البيت الأخير : (فكم بهم أشرقت أستار داجية) •

موقف قريش من بيعة الأنصار : (١)

ولقد أشار البارودي إلى موقف قريش من بيعة الأنصار بقوله : (٢)

فحين واني قريشا ذكر بيمينهم

ثاروا إلى الشر فعمل الجاهل المرم

وبادوهوا أسل دين الله واعتصموا

حقوقهم بالتماذي شر مهتضم (٣)

فكم ترى من أسير لا حراك به

وشارد سار من فج إلى أكس (٤)

- (١) المراء ببيعة الأنصار بيعة العقبة الثانية - والمقبة مكان قريب من في طريق المنحدر من عرفات إلى مكة - وفيها تحاهد الأنصار على نصرته رسول الله (سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٤٩)
(٢) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ١٩ • (٣) بادوهوا : المراد فاجأوا •
(٤) الفج : الطريق الواسع بين جهلين •

وعندما علمت قريش نبأ بيعة الأنصار رسول الله على أن يعضموا
بها يعضمون منه نساءهم وأولادهم . . . فقدوا صوابهم ، ولجأوا إلى
الشر ، ففاجأوا المسلمين ، وسلبوهم حقوقهم ، واستولوا على أموالهم ، بل
تحكموا فيهم ، فأصبح بعضهم أسيرا ، وبعضهم هاربا يلتمس النجاة - ممن
يخلصهم - في الجبال .

ولعل الشاعر يلح بقوله : (فحين واني قريشا ذكر بيعتهم . .) إلى
بيعة المقبلة الثانية ، وهي التي علمت قريش أخبارها فارت ثأرتها .

الرسول يأمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة :

ثم ذكر البارودي أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أمر أصحابه بالهجرة
إلى المدينة في قوله (١) :

فهاجر الصحاب إذ قال الرسول لهم :

سيروا إلى طيبة المرمية الحرم

وظل في مكة المختار منتظما

إذنا من الله في سير ومستم

فأوجعت خيفة منه قريش ولهم

(٢) ثقل نصيحا ، ولم ترجع إلى فهم

فامتجعت عنها في دارندوتها

(٣) تنفى به الشر من حقد ومن أضم

ولودرت أنها فيما تحاوله

مخدولة ، لم تسم في مرتج وخم

أولى لها ثم أولى أن يحوق بها

(٤) ما أضمرت من الهام والشجيم

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ١٩ .

(٢) فأوجعت خيفة : وقع في نفسها الخوف والفرع .

(٣) دارندوتها : المراد دار الندوة التي كانت قريش لا تنفى أمرا إلا فيها (سيرة

ابن هشام ج ٢ ص ٩٣) أضم : يقتضين - المراد : حمد .

(٤) الشجيم : بفتح الشين مشددة وفتح الجيم - الهلاك - وقيل : المكروه .

لقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصحابه بالهجرة إلى المدينة؛
لأنها مكان آمن وسلام ، واستمر في مكة منتظراً أمر الله بالهجرة ، ولنسن
قريشا فرحت وخافت من الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وخاصة عندما أمر صحابته
بالهجرة إلى المدينة وفي هو بمكة ، ولم تفكر تفكير العقلاء ، فاجتمعوا
في دار الندوة يتآمرون على الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ولو كانوا يعلمون
أنهم سيخذلون في إلحاق الأذى بالرسول ، ما سلخوا هذا المسلك المشين ،
الذي هو أولى أن يحسب بهم .

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (فأوجست خيفة ٠٠) ما يوحي بشدة
خوف قريش وهزيمتها ، ويدعو أن الشاعر تأثر في ذلك بقوله تعالى : " فَأَوْجَسَ
فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّحَمَّدٌ " (١) ، كما أن في قوله : (٠٠ ولم تقبل نصيحا ٠٠٠)
ما يشير إلى عناد قريش واستكبارها ، أضف إلى ذلك أن في قوله : (٠٠ لم
تسم في مرتع وخم) استعارة مكينة توحى بتشبيه هؤلاء المشركين بالأنعام التي
ترعى في مرتعها ، إلا أن الشاعر قيد ذلك المرتع بأنه (مرتع وخم) بسبب
ظلمهم وعنادهم ، ولذلك حاق بهم الذل والخزي .

ملامسة :

- ثم أشار البارودي إلى ملامسة المشركين على الرسول بقوله : (٦)
إني لأعجب من قوم أولى فطن
باعوا النهي بالمعنى والسمع بالصمم (٣)
يمصون خالقهم جهلا بقدرتهم
ويمكفون على الطاغوت والصنم (٤)
فأجمعوا أمرهم أن يفتنوا إذا
جن الظلام وخفت وطأة القسدم (٥)

(١) طه : ٦٢ . (٢) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢٠ .
(٣) الفطن : بكسر الفاء وفتح الطاء - جمع فطنة - بكسر فسكون - وهي الحذق .
النهي : بضم النون مشددة وفتح الهاء - العقل .
(٤) الطاغوت : المراد الشيطان أو كل ما يصرف عن عبادة الله .
(٥) جنّ الظلام : المراد دخل .

وأقبلوا موذننا في عتبة غسدر

من القبائل باعوا النفس بالزعم (١)

بحجب الشاعر من تصرف هؤلاء القوم الذين ألغوا عقولهم ، فتركسوا ما ينفعهم ، واتجهوا إلى ما نفع لهم فيه ، فلقد عصوا خالقهم ، ولم يقدره حق قدره ، بل عبدوا أصناما صنمها بأيديهم ، واتبعوا شياطينهم ، وأجمعوا أمرهم على مفاجأة الرسول (صلى الله عليه وسلم) - إذا دخل الليل - وضربه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه في القبائل .

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (إني لأعجب ..) استهزاء وسخرية من هؤلاء الكفار الذين لم يفكروا كما ينبغي ، فالغوا عقولهم ، وصموا آذانهم ، وبذلك الشاعر ذلك بقوله : (يحصون خالقهم جهلا بقدرته) كما أن نفسه تكبتا لهؤلاء الكفار الذين يمتنون بأن الله هو الذي خلقهم ، كما سجل القرآن ذلك في قوله تعالى : " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ أَنَّنَّاسِي يُؤْمِنُونَ " (٢) ومع كل هذا يجهلون قدره ، ويحسون أمره ، بل يحسدون غيره .

وإذا تأملت قول الشاعر : (باعوا النهم بالتمس والتمس بالصمم) ، وجدت قد اشتمل على استمارة تصريحية تحمية دلت على عدم إحسان هؤلاء الكفار التصرف إذا استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ، فبئس تصرفهم .

كشف المبهم :

ولقد ذكر البارودي أن الله (سبحانه وتعالى) قد أظهر لنبيه ما بينه الكفار بقوله : (٣)

فجاء جبريل للهادي فأنهأه

بما أسروه بحد المهد والقسم

(١) المومن : بفتح الميم وسكون الواو وكسر الهاء - نحو من نصف الليل ، وقيل : عين يدبر الليل - الزعم : بفتح الزين مشددة وفتح العين : المراد الطمع .

(٢) البخرف / ٨٧ .

(٣) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢٠ .

نقد رآهم قواماً حول ماضيه

يخفون ساحتهم بالشر والفسم^(١)

نادى علياً فأوصاه وقال له :

لا تخش واليه رداً من آمنك ومن

ومر بالقوم يتلو وهو منصرف

(يَسْ)، وهي شفاء النفس من وسم

فلم يروه وزاغت عنه أعينهم

وهل ترى الشمس جهراً عين الحنم^(٢)

جاء جبريل (عليه السلام) يخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بما تماده

عليه المشركون، وأمره بأن لا ينام في فراشه في تلك الليلة، ولذلك أمر النبي

(صلى الله عليه وسلم) علي بن أبي طالب بأن ينام في فراشه، ويتدثر بردائه،

ثم خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمشركون حول داره، ولكن الله

أعنى أبصارهم فلم يروه.

ولقد صدر الشاعر الفصل (جاء) بالفاء دلالة على سرعة مجيء جبريل

(عليه السلام) فهي تشيد الترتيب والتعقيب، وفي ذلك بيان سرعة نصرة

الله نبيه، وحفظه من كيد هؤلاء المشركين.

ولعل الشاعر يلج بقوله : (ومر بالقوم يتلو وهو منصرف يمس) إلى مسا

ذكرته بعض كتب السيرة^(٣) أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما خرج

من بيته قرأ قوله تعالى : (يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) إلى قوله تعالى :

(فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)^(٤) وقد أخذ حفنة من التراب وشرها عليهم.

وأكد الشاعر عدم رؤية الكفار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فشبههم

بالعمى وشبه نمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالشمس، ولقد قيل : إن اليوم

لا يبصر نهاراً، بل لا يظهر نهاراً^(٥) وفي ذلك دلالة على ثقافة الشاعر

وسمعة اطلاعه.

(١) ألقم : بفتحين - المراد الأمر العظيم الذي يندب بالشر.

(٢) الحنم : بفتحين (جمع حنمة) وهي البومة (٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٦٦

(٤) يس / ١-٣ • (٥) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ج ١ ص ٢٦٦ طبعة

دار التحرير للطبع والنشر بمصر سنة ١٩٦٥.

الأمر بالهجرة :

ثم بين البارودي أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد أمر بالهجرة إلى المدينة في قوله (١) :

وجاء الحي إذانا بهجرتـه

فيم الفار بالصديق في الفـم (٢)

فما استقر به حتى تهـراء

من الحاتم فجـ بارع الرنـم (٣)

بنى به عشم واحتله مكـسـا

ياوى إليه غداة الريح والرهمـ (٤)

إلـفان ما جـع القـدار بينهما

إلا لمر بصدور الفار مكـسـم

كلاهما ديدبان فوق مرـسـاة

يرمى السالك من بُعد ولم ينـم (٥)

أذن الله لنبيه بالهجرة إلى المدينة، فذهب إلى أبي بكر الصديق (رضى الله عنه) واتجها مما إلى غار ثور في الظلمة ، ولما استقرا نسي الفار أتت حمامتان ، وعششتا على وجه الفار ، وكانهما إلـفان جمع بينهما القدر ، وكانا كحارسين يرعيان الطريق من بُعد ، ولم يطلق النوم أعينهما .

وإذا تأملت قول الشاعر : (وجاءه الحي إذانا بهجرتـه) وجدتـه يدل على أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يهاجر إلا بعد أن أذن الله له بالهجرة ، كما يدل على صفة امتثاله أمر الله ويؤكد ذلك القاء في قوله : (فيم الفار) .

(١) كشف الثمة في مدح سيد الأمة ص ٢٠ وما بعدها .

(٢) الفـم : بفتحـين - المراد الظلمة .

(٣) الرنـم : بفتح الراء مشددة وفتح النون - الصوت .

(٤) الرهم : بكسر الراء مشددة وفتح الهاء - قطرات المطر الخفيفة .

(٥) ديدبان : حارس - المرباة : المكان المرتفع .

وفي البيت الثاني وما يليه يصف الشاعر الحمامتين اللتين عشتسا
على وجه الفار بأنهما: (إفان ٠٠) جمع الله بينهما لمحة سرية (بصدر
الفار ٠٠) و (كلاهما ديدبان) يقف كل منهما على مكان مرتفع، يراهيا ن
الطرق في بقطة تامة .

ولم يقف أمرها عند ذلك الوصف بل كانا كما قال الهارودي (١) :

- إن حسنّ هذا غراما أو دعا طربا
باسم الهديل أجابت تلك بالنغم (٢)
بخالها من براعا وهي جاشمة
في وكرها كرهة طسا^٣ مسن آدم
إن رفرت سكت ظلا وإن هبطت^٤ أ
روت ظيل الصدى من حائر نهم (٥)
مرقومة الجهد من مسك وغليسة
مخضوة الساق والكفين بالنغم (٦)
كأنبا شرعت في قاني^٧ سسرب
من آدمي ففدت محرة القدم (٧)

يبدو أن الهارودي أراد أن يوضح أن إحدى الحمامتين كانت ذكرا
والأخرى أنثى ، ولذلك قال : إن الذكر إذا غنى غراما أو طربا بصوته المعروف
بالهديل ، ردت عليه أنثاه بنغم جميل ، ومن ينظر إليها - وهي ناشئة على صدرها
في وكرها - خيل إليه أنها كرة طسا^٣ من الجلد ، وإن رفرت كانت تتجسسه
نحو الظل ، أما إن هبطت فكانت تروى ظمأها من هذا الماء العذب ، أضف
إلى ذلك أنها كانت مطوقة العنق بالمسك والطيب ، مخضوة الساق والكفين
باللون الأحمر ، كأنها دخلت في دمع الشديد الحرة والسائل بخزارة ، ولذلك
كانت محمرة القدم . ولا يخفى أن الشاعر قد أجاد في وصف الحمامتين ، كما أعار

- (١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢١ .
(٢) الهديل : صوت الحمام ، صطلق على الذكر منه ، وقيل : غرن كان على عهد (نوح)
(عليه السلام) صاده جارج فما من حمامة إلا وهي تهكي عليه .
(٣) جاشمة : واقمة على صدرها . (٤) الحائر : مجتمع الماء .
(٥) مرقومة : مطوقة أو مملعة - الفالية - أخلاط من الطيب . (٦) شرعت : دخلت - قاني :
شديد الحرة - السرب : الجارى .

إلى دمعته الفزير الذي مزج بدمه • ولعلنه تذكر أيامه السالفة • وما آل
إليه حاله من نفس وتشريد •

المنكبوت :

وإذا كان البارودي قد أشار إلى الحامتين اللتين وقفنا على باب
الغار • فإنه قد أشار إلى شيء آخر • كان على وجه الغار أيضا • بقوله (١)

وصف المنكبوت الغار محتفيا

بخيمة حاكها من أهدع الخيم (٢)

قد شد أطناها فاستحكمت وصت

بالأرض لكتها قامت ببلادهم (٣)

كانها سابري حاكسه لبق

بأرض سابري في بحبوحة الصجم (٤)

وأت قسم الغار من عين تلمس به

قصار يحكي خفاء وجه ملتصم

نعاله من ستار دونه قيسر

يخلو الباهر من ظلم ومن ظلمهم (٥)

يشير البارودي إلى ما ذكرته بعض كتب السيرة •• أن المنكبوت
قد ستر وجه الغار • بعد ما دخله الرسول • بنصبه المحكم • فستر
من بداخله عن العميون • إلا أن البارودي أشار إلى أن المنكبوت حينما
فعل ذلك كان (محتفيا) بالرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم وصف نصبه
بأنه كان نصيجا محكما أشبه الخيمة التي شدت حبالها • وأحكم بناؤها على
الرغم من أنها لم تقم على عمد • بل إن هذا النصج كان كأنه ثوب حاكسه
لبق بأرض سابري • تلك البلدة التي شهرت بصنع الثياب الجيدة •

(١) كشف القصة في مدح سيد الأمة ص ٢١ وما بعدها •

(٢) سجنف - بفتح السين وفتح الجيم مشددة - المراد ستر • محتفيا : متلظفا
وبالفاظ في الإكرام مع فرح وسرور • (٣) الإطناب : جمع طنيد بضمين - حبل الخباء •
دعم : - بكسر ففتح - المراد عمد - بضمين •

(٤) سابري : ثوب رقيق جيد النسج منسوب إلى (سابري) - موضع ببلاد الصجم - وصواب
النسب إلى ذلك الموضع (سابري) - بحبوحة : - بضم فسكون - وسط الدار •

(٥) ظلم (الأولى) - بضم فسكون - وظلم (الثانية بضم ففتح) - ومعناها واض •

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (وسجف المنكوت النار محتفيا ٥٥)
 نهكها وسخرية من هؤلاء الكفار الذين كانوا يطاردون الرسول ويهدون به شرا -
 وهم أصحاب العقول - . والمنكوت يحتفى بالرسول ويحافظ عليه !! ويلاحظ
 أن الشاعر يشبه بيت المنكوت بالخيمة في الاستحكام لا في القوة؛ لأن الله
 تعالى أخبر أن بيت المنكوت ضعيف في قوله : " وَإِنَّ أَوْلَىٰ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ
 الْمُنَكُّوتِ ٥٥ الآية (١) .

وإذا تأملت قول الشاعر : (نباله من ستار دونه قمر ٥٥) وجدته يشبهه
 الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالقمر ٥٥ . وذلك (يجلو البصائر) أى ينظف
 القلوب من الظلم ومن الظلام ٥ ولعل في ذلك إشارة إلى قوله تعالى :
 (وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ٥٥)^(٢) والمراد مسكين ظلمات الكفر إلى نور
 الإيمان :

ولقد اشتملت الأبيات على بعض المحسنات اللمعية مثل : المناسبة بين
 لفظي : (تم وطم) ، والجناس المحرف بين لفظي : (ظلم وظلم) .

ثم أشار البارودي إلى أن الرسول مكث في الفار ثلاثة أيام بقوله^(٣) :

فظل فيه رسول الله ممتكسا

كالدر في البحر أو كالشمس في النجم^(٤)

حق إذا سكن الإرجاف واحترق

أكبا وقنوم بنار اليأس والوفس^(٥)

أوحى الرسول بإعداد الرحيل إلى

من عند السر من خل ومن حشم^(٦)

وسار بحد ثلاث من ساجسه

يوم طيبة مأوى كل مختصم^(٧)

(١) المنكوت / ٤١ . (٢) المائة : ١٦ . كشف الخفة في مدح سيد الأمة ص ٢٢ .

(٣) النجم : بضم نفتح - المراد قطع السحاب . (٤) الإرجاف : المراد الأخبار أو البحث

(٥) المراد بالخل : أبو بكر الصديق - والحشم عامر بن فهيرة - مولى أبي بكر - توفي سنة

٤ هـ (أسد الغابة ج ٣ ص ١٣٧) - ولعل من الحشم أيضا هنا عبد الله بن أرقط -

أو أريقط - دليل الرسول في الطريق إلى المدينة وكان على دين قريش .

(٦) النباهة : المنزل والمراد الفار .

لقد مكث الرسول (صلى الله عليه وسلم) في غار ثور ثلاثة أيام ، وعندما
يتمش المشركون من معرنة مكانه ، ورجعوا خائبين ، أمر الرسول (صلى الله
عليه وسلم) بإعداد الراحلة قاصدا المدينة .

ولاحظ أن الشاعر قد شبه الرسول بالدُر وهو في البحر ، والشمس التي
حجبها بعض السحب في قوله : (كالدُر في البحر أو كالشمس في الغيم)
ولا يخفى أن ذلك التشبيه قديم ، كما أن الرسول أفضل من ذلك .

وأحسن الشاعر عندما أشار إلى حالة الكفار بقوله : (واحترقت
أكباد قوم بنار اليأس والوفى) ، ولعل في تكثير (قوم) ما يوحى بالتحقير
والسخرة .

ولا يخفى أن في قول الشاعر عن طيبة أنبها : (ماوى كل معتصم) ما يشير
إلى مكانتها ، وعظم شأنها .

قصة أم مهند : (١)

ولقد أشار البارودي إلى بعض المشاهد التي حدثت عندما كان الرسول
في طريقه إلى المدينة بقوله (١) :

فحين وانسى (قديدا) حل موكله
بأم مهند ذات الشاء والفتنم (٢)

فلم تجد لقراء غير ضائقة
قد اقشمرت مراعيها فلم تسم (٣)

فما أمر عليها - داعيا - يسده
حتى استهلكت بذى شخبين كالد (٤)

(١) أم مهند هي : عائشة بنت خالد : الخزاعية - قيل إنها أسلمت وحسب إسلامها

وعمرت ، ولكن لم تعرف سنة وفاتها (أسد الغابة ج ٧ ص ١٨٢) .

(٢) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢٢ وما بعدها .

(٣) (قديد) موضع بين مكة والمدينة . (٤) ضائقة : الأنثى من الفتنم . اقشمرت :

أصحات . (٥) شخبين - بفتح نسين - ومضم نسين أيضا - مثنى شخب وهو اللبس
الخارج من الضرع عند الحلب .

ثم استقل وأبقى في الزمان لها
ذكرنا يسير على الآفاق كالنسيم

يخبر الشاعر إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو : في طريقه إلى
المدينة نزل مكانا يسمى (قديدا) فقصده هو ومن معه خيمة لا مائة تدعى
(أم معبد) ، وسألوها تعرا أو لحما يشترونه منها ، فلم يجدوا عندها شيئا
سوى شاة ، فقال لها الرسول : (صلى الله عليه وسلم) هل بها من لبن ؟ قالت :
هي أجهد من ذلك ، قال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : نعم
فدعا الرسول (صلى الله عليه وسلم) ربه قائلا : اللهم بارك لها في شئها ،
ثم مسح على ضرعها - فدرت لها كثيرا ، فشربوا جميعا حتى روي ، وارتحلوا
منها ، تاركين لها كثيرا من اللبن أيضا .

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (قد انقضت مرابعها ٠٠) ما يوحي بشدة
هزال تلك الشاة ، كما أن في قوله : (استهلكت بذى شخبين كالدسم)
ما يشير إلى كثرة ما درته من اللبن ، ولعل الشاعر أراد بقوله : (ثم استقل
وأبقى) أن هذه القصة قد بقيت تذكر على مدى الأيام ، وسجلتها كثير من
كتب السير ، وذلك لما اشتملت عليه من إشارة عظيمة إلى فضل الله وحمته على
الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

قصة سراقعة (١) :

ولم تكن قصة أم معبد هي كل ما حدث في أثناء هجرة الرسول (صلى الله عليه
وسلم) ، بل هناك قصة أخرى ، أشار إليها البارودي بقوله (٢) :

فهيما هو يطوى الهمد أدركه

ركضا سراقعة مثل القشقم الضرم (٣)

حتى إذا ما دنا ساخ الجواد به

في برقه نهوى للساق والقسم (٤)

(١) هو سراقعة بن مالك بن جشم صحابي جليل - أسلم وحسن إسلامه - توفي سنة

٢٤ هـ وقيل : غير ذلك (انظر : أسد الغابة ج ٢ ص ٢٢٢ وما بعدها) .

(٢) كشف النعمة في مدح سيد الأمة ص ٢٣ .

(٣) القشقم الضرم : النمر الجائع . (٤) ساخ الجواد : ذهبت قوائم القوس

في الأرض . برقة : بضم نكون : أرض غليظة فيها حجارة مختلطة بالرمل والطين .

فصاح مبتهلا يرجو الأمان ، ولسو
 ضسى على عزمه لانهار نى رجم
 وكيف يبلغ أمرا دونـــــــــــــــــــــــــــــــــه وزر
 من العناية لم يلفه ذو نصـــــــــــــــــم
 فكف عنه رسول الله وهوـــــــــــــــــــــــــه
 أدرى ، وكم نقم تفترون نصـــــــــــــــــم

يشير البارودى إلى قصة سراقه بن مالك الذى علم أن قريشا جمعت
 طائفة بصر لمن يقتل محمدا (صلى الله عليه وسلم) أو يأسره ٠٠ فرجا سراقـــــــــة
 أن يفوز بهذه الجائزة ، فركب فرسه ، وأخذ يتمقب أخبار النبی وصحبـــــــــه
 فكبت به فرسه مرارا ، ولكنه ظل يواصل الميرحتى ظهر أمامه الرسول (صلى
 الله عليه وسلم) فصاحت أقدام فرسه نى الأرض ، ولهمكنه تخلصها إلا بمسد
 أن طلب الأمان من الرسول على أن يرجع ويكتم خبره عن الناس ، بل يحصل
 على صرف نظر من تصول له نفسه البحث عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)
 فأعطاه الرسول عهدا وأمانا ، ورجع سراقه إلى مكة .

وإذا تأملت قول الشاعر : (فبينما هو يطوى الهمد ٠٠) وجدته يشير
 إلى ما كان يكابده الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى أثناء هجرته من مشاق السفر
 ومناهب الطريق ، كما أن البارودى صور حالة سراقه بقوله : (أدركه ركضا
 سراقه ٠٠) ، ولعل ما يؤكد سرعتة تقديم الحال (ركضا) أضف إلى ذلك التشبيه
 (التشمم الضرم) الذى يوحى بظفافة تلك الحالة التى كان عليها سراقه .

ولكنك إذا قرأت قول الشاعر : (حتى إذا نادى صاخ الجواد به ٠٠)
 أدركت سرعة نصره الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) وحفظه من كل سوء ، بسل
 العجب أن ينقلب حال سراقه : (فصاح مبتهلا يرجو الأمان ٠٠) .

ولا يخفى أن نى قوله : (وكيف يبلغ أمرا دونـــــــــــــــــه وزر ٠٠) ما يؤكد رعاية
 الله لرسوله (صلى الله عليه وسلم) وهمايته به ، وخاصة أن الاستفهام يدل على
 التعجب والاستعجاب .

كما أشار البارودى إلى كرم الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهظيم خلقه

يقوله : (فكف عنه رسول الله ٠٠) ، ولعل الشاعر يلح بقوله : (٠٠) وهو يسه
له روى إلى أن الله قد أعلم رسوله أن سراقته سيسلم فيها بعد .

وإذا تأملت هذه الحكمة الصادقة : (وكم نغم تفرعن نغم) وجدت
الشاعر يشير بذلك إلى أن سراقته خرج من مكة ليبحث عن الرسول ، وليبدل
عليه الكفار ، فإذا به يعود مدافعا عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بكتمان
أمره ، وصرف الأنظار عن البحث عنه ، ونسبها من حفظ رسوله حتى وصل ماله
إلى المدينة واستقبله أهلها استقبالا رائعا ، أشار إليه الهارودي بقوله (١)

ولم ينزل مائرا حتى أناف عيسى

(١) أعلام طيبة ذات المنظر المصم

أعظم بمقدمه فخرا ومنقبة

(٢) لمعشر الأوس والأحباب من جشم

فخر يدوم لهم فضل بذكرته

ما سارت الميوس بالزيارة للحرم

يوم به أرح الإسلام غوته

(٣) وأدرك الدين فيه ذروة النجم

لقد واصل الرسل (صلى الله عليه وسلم) سيره حتى أشرف على المدينة
التي خرج أهلها يستقبلونه بنفوس مشتاقة لرؤيته ، وقلوب فرحة بمقدمه ، الذي
سيخبرون به على مدى الأيام .

وإذا تأملت قول الهارودي : (أعلام طيبة ذات المنظر المصم) وجدت
إلى أن المدينة قد أمنت لاستقبال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وما لهذا
لا تزين ، وقد اكتسب أهلها (فخرا ومنقبة) بتقديم الرسول إليهم ، وفي هذا
القدم فخر يدوم لهم فضل بذكرته ، ولا يخفى أن في تنكير لفظ (فخر) ما يوحي

(١) كشف الشخمة في مدح سيد الأمة ص ٢٢ وما بعدها .

(٢) أناف : أشرف .

(٣) جشم : المراد الخندق .

(٤) النجم : جمع نجم .

بمظهره • كما أن الفعل (يدوم) فعل مضارع يدل على التجدد والاستمرار ،
أكده الشاعر بقوله : (ما سارت الميسر ••) إلا أنه انتزع تلك المبسرة
من وحى البيئة البدوية • وفي ذلك دلالة على أن الهارودي قد نهج نهج
الأمراء السابقين ، وسلك طريقهم ولا يخفى أن لفظ (الزوار) غير شمسري
وإن كان عربياً •

وفي البيت الأخير : (يوم به أنخ الإسلام غرته ••) إشارة إلى أن موسم
الهجرة يحد صلاه أجديدا للإسلام ، ونصرا للمسلمين • ولذلك أنخ به المسلمون
على يد عشرين الخطاب (رضي الله عنه) ، إذ هو الذي أشار بذلك (١)

وقد حمنت إشارته • لأن هذا اليوم قد ارتفعت فيه راية الإسلام •
كما أشار إلى ذلك الهارودي بقوله : (وأدرك الدين فيه ذروة النجم) •

بناء المسجد النبوي :

وانتقل الشاعر إلى الحديث من بناء المسجد النبوي بقوله (٢) :

ثم ابنتي سيد الكونين مسجد •

بنيان عز فأضحى قائم الدعائم

واختص فيه (بلالا) بالأذان وما

يلقى نظير له في نبرة النظم (٣)

لقد بنى الرسول (صلى الله عليه وسلم) مسجده في المدينة في أول عهده
بها • كما اختار (بلالا) - لحسن صوته وشدة - لمؤذن في ذلك المسجد •
والجدير بالذكر أن بلالا شهر بأنه مؤذن الرسول (صلى الله عليه وسلم)
ويبدو أن هذه الشهرة هي التي جعلت الشاعر يقول : (واختص فيه بلالا ••)
ولا ينفي ذلك وجود مؤذن غيره للرسول (صلى الله عليه وسلم) (٤) •

(١) انظر : الموسوعة الميمنية ص ١٢٣٦ •

(٢) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢٤ •

(٣) بلالا : أبو بلال بن رباح الحبشي - مؤذن الرسول (صلى الله عليه وسلم) توفي
سنة ٢٠ هـ • وقيل غير ذلك (انظر : أسد القابة ج ١ ص ٢٤٣ وما بعدها •)

(٤) ابن القيم : زاد المعاد في هدى خير العباد ج ١ ص ٢١ المطبعة المصرية (غير
مؤرخ) •

ثم ذكر الهارودي بعض ما قام به الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة بقوله (١) :

حتى إذا تم أمر الله واجتمعت
له القبائل من يمد ومن زمم (٢)
قام النبي خطيباً فهدى نساارى
نهج الهدى • وهى عن كل مجرم
وهى بكتاب حفن فيه عيسى
معامن الفضل والآداب والشهاسم
فأصبحوا في إخوانهم منصعد
على الزمان ومز غير شهاسم

عندما استقر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة وأتت إليه
بعض القبائل - من كل مكان - ملعة • خطب الرسول خطبة جامعة بسين
فيها طريق الهدى • وحث عليها • وأظهر طريق الضلال وهى عنها •
ولعل الشاعر يلح بقوله : (وعسى بكتاب حفن فيه على •) إلى ما
ذكره بعض كتب السيرة من أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أمر بكتابة كتاب بين
المهاجرين والأنصار، لموادعة اليهود في المدينة • وحين معاملتهم (٣)
وإذا تأملت قوله : (فأصبحوا في إخوانهم منصعد) وجدته يشير إلى
أن الأوس والخزرج - الأنصار - أصبحوا متحابين بحد أن كانوا متحاربين
متنافرين • وربما أشار الشاعر بذلك إلى المواقاة (٤) التي قام بها الرسول
(صلى الله عليه وسلم) بين المهاجرين والأنصار وأكدها بقوله (٥) :

-
- (١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢٤ •
(٢) زم : بفتحين - المراد قرب •
(٣) سيرت ابن هشام ج ٢ ص ١١٩ وما بعدها •
(٤) المواقاة : هي جمل لكل أنصارى أخا من المهاجرين لتذهب عنهم وحشة القرية
وتعريفهم عن مفارقة الأهل والمثيرة • وليشد بعضهم أزر بعض •
(٥) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢٤ وما بعدها •

وحين أخى رسول الله بهم

أخى عليا • ونجم المون في القح^(١)

هو الذي هنم الله الطغاة به

في كل معترك باليهن محسب

فاستحكم الدين واشتدت دعائمه

حتى غدا واضح المرين ذا شم^(٢)

وأصبح الناس إخوانا وهم

فضل من الله أحياهم من الممدم

يشير البارودي إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين أخى بين

المهاجرين والأنصار بنى على بن أبي طالب فقال له الرسول : (صلى الله عليه وسلم)

" أنت أخى في الدنيا والآخرة " ^(٣)

وهذه الرواية أصبح المهاجرون والأنصار إخوانا • نفوس المسلمين •

واشتدت دعائم الدين •

ولا يخفى أن الشاعر في تلك الأبيات قد أشار إلى فضل علي بن أبي طالب

الذي أبلى بلاجه في كثير من الممارك •

وإذا تأملت قوله : (فاستحكم الدين ٠٠٠) وجدته اشتمل على استمارة

مكية توحى بانتشار الإسلام وقوة المسلمين • كما أن في قوله : (حتى فسد

واضح المرين ذا • شم) كناية لطيفة توحى بهمة المسلمين وعظيم أثر الإسلام

الذي أحيا الناس من المدم • وجعلهم إخوانا متحابين • وهذا من فضل

الله وكرمه •

(١) القح : الأمر المظيعة الشاقة •

(٢) المرين : المراد الأنف •

(٣) أسد الغابة ج ٤ ص ١٠٦

فرض الجهاد (١) :

ولقد انتقل البارودي إلى الحديث عن فرض الجهاد بقوله (١) :

هذا وقد نهي الله الجهاد على

رسوله ليت الدين في الأمم

فكان أول غزو سار فيه إلى

(ودان) ثم أتى من غير حطيم (٢)

ثم استقرت سرايا الدين صاحبة

بالخيول جامعة تحت باللجسم (٣)

فرض الله الجهاد على رسوله وعلى المسلمين، لنشر الدين • فكان أول

غزوة خرج فيها جيش المسلمين هي غزوة (ودان) إلا أن ذلك الجيش

رجع من غير قتال • إذ هبت غير قرش • ولكن سرايا المسلمين ظلمست

منتشرة في نشاط وقوة •

وإذا تأملت قول البارودي : (هذا وقد فرض ••) وجدته سرداً

تاريخياً، ولفظاً غير شمرى • وما أشبهه بحبارات القوم • كما أن قوله : (ليت

الدين ••) يوحي بأن الجهاد فرض لنشر الدين • وهذا غير صحيح • لأن

الجهاد فرض للدفاع عن المسلمين • وتأمين من يحب الدخول فيه من دخوله •

ولو قال الشاعر : (ليت الأمن في الأم •) مثلاً كان أفضل، وأبعد عن الشبهة

السابقة • التي عرفت فيما بعد بين أعداء الدين (بانتشار الإسلام بعد السيف

كما سيأتي •

(١) فرض الجهاد • قبيل الهجرة • وقيل : بعد الهجرة • (انظر زاد المسافر

ج ٢ ص ٥٨ وما بعدها) •

(٢) كشف الخمة في مدح سيد الأمة ص ٢٥ •

(٣) المراد بالغزوة : القطعة من الجيش يكون على رأسها الرسول خارجياً أم لم

يحارب • ودان : (بفتح الواو وفتح الدال مع تشديد ها) قرية بين مكة والمد يمسها

بالقرين الأيواء • ولذلك سميت (غزوة الأيواء) أيضاً (سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٢)

(٤) السرايا : جمع سرية وهي القطعة من الجيش يكون على رأسها قائد من قبل رسول

الله ولم يخرج هو فيها •

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (ثم استعرت سرايا الدين مابحة ٥٠)
ما يوحي بقوة جيش المسلمين وكثرة سراياه التي أشار إلى بعضها بقوله (١) :
سرية كان يرعاها عبدة نسي

صوبه وحمزة في أخرى إلى التهم (٢)

وفزة مار فيها المصطفى قد صا

إلى (بواط) بجمع ماطح القسم (٣)

لقد بحث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عبدة بن الحرث علسي

رأس سرية كما بحث حمزة بن عبد المطلب على رأس سرية أخرى، وخرج (علسي
الله عليه وسلم) في غزوة إلى (بواط) ولكنه لم يجد أحدا .

ولا يخفى أن الشاعر لم يذكر إلى أين اتجهت سرية عبدة بن الحرث
مع أن ابن هشام ذكر أنها سارت حتى وصلت إلى أسفل (ثنية المرة) (٤) ولم
يحدث فيها قتال (٥) كما لم يحدد البارودي وجهة سرية حمزة مع أن ابن
هشام - أيضا - ذكر أنها وصلت إلى (سيف البحر) (٦) ثم حدث صلح بسين
المسلمين والمشركين في تلك السرية (٧) .

وواصل البارودي الإشارة إلى جهاد المسلمين بقوله (٨) :

ومثلها يصمت (ذات المشيرة) نسي

جيش لها كموج البحر ملنظم (٩)

وسار محمد إلى (الخرار) يقدمه

محمد ولم يلغف مسفره من بشم (١٠)

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢٥ وما بعدها .

(٢) عبدة بنو عبدة بن الحرث بن المطلب، توفي سنة ٢ هـ (أحد الخابئة ج ٢ ص ٥٥)

صوب : جهة . حمزة : بنو حمزة بن عبد المطلب، التهم : المراد الشام .

(٣) بطواط (بضم ففتح) - وقيل : بفتحين أيضا - جبل من جبال جُهمينة بالقرب من المدينة .

(٤) ثنية - بفتح الثاء وكسر النون وفتح اليا - مشددة - المرة - بفتحين : ما بالحجاز

بالقريين بادية مكة . (٥) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٤ . (٦) سيف / بكسر الميم

ساحل البحر . (٧) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٩ وما بعدها . (٨) كشف الغمة في مدح

سيد الأمة ص ٢٦ . (٩) ذات المشيرة - بضم الميم وفتح الشين وسكون اليا - موضع

بالقريين ينبع . (١٠) محمد : بنو محمد بن أبي وقاص صاحب جليل توفي سنة ٥٥ هـ

يشير الشاعر إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) خرج على رأس غزوة اتجهت نحو ذات المشيرة في جيش كبير . كما بحث سعد بن أبي وقاص على رأس سرية وصلت إلى (الخرار) ولكنه عاد بخير قتال .

وإذا كان الشاعر قد ذكر أن جيش المسلمين في غزوة ذات المشيرة كان كبيراً : (جيش لهام ٠٠) فإن البوصري قد سبقه في قوله : (٠٠ كسج الحر ملتطم) (١) كما أنه لم يذكر أن ذلك الجيش قد رجع بخير قتال (٢) .

وهما يكن من شيء فإن البارودي ما زال يسرد بعض الفزوات والسيارات بقوله (٣) :

وصت (سفوان) الخيل مباحمة
بكل مستقرم للقون ملسترم (٤)
وتابع الجبر (عهد الله) متجهماً
تلقاً (نخلة) مصحواً بكل كى (٥)

وحولت قبلة الإسلام وقتشست
عن وجهة القدس نحو البيت النبى العظيم .

أشار البارودي في هذه الأبيات إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان على رأس غزوة اتجهت إلى (سفوان) ولكنه لم يحاربها ولم يجد أحسداً فعاد إلى المدينة . وأرسل عهد الله بن جحش على رأس سرية اتجهت ناحية (نخلة) ولما مرت به عبر لقريش استاقها بعد حربه وفي ذلك الوقت حولت القبلة من المسجد الأقصى إلى البيت الحرام .

-
- ج ١ وقيل : غير ذلك : (انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٢٦٩) (الخرار) بفتح الخاء وفتح الراء مشددة - موضع قرب الجحفة . البشم : بفتحين - التنبؤ بالسأم .
(١) انظر ص ١٨٤ من هذه الرسالة . (٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٣٦ .
(٣) كشف النعمة في مدح سيد الأمة ص ٢٦ وما بعدها .
(٤) سفوان : بفتحين - واد بالقرى من بدر (للقون) لعله تحريف لـ سفوان وأصله (للقوس) ١٠ و (للقون) أى المائل كما سيأتى .
(٥) عهد الله : هو عهد الله بن جحش صاحب جليل توفي سنة ٣ هـ (أسد الغابة ج ٢ ص ١٩٥) نخلة) فتح فسكون - موضع بين مكة والطائف .

ولا يخفى أن البيت الأول يشير إلى قوة جيش المسلمين الذي خرج إلى (معاوية) والجدير بالذكر أن هذه الغزوة تسمى غزوة بدر الأولى^(١) أما غزوة بدر الثانية وطلق عليها بدر الكبرى^(٢) - فأشار إليها الهاروني بقوله (٣) :

يوم المصطفى (بدر) فلاح لسه
بدر من النصر جلى غلصة الوخم
يوم تسم فيه الدين وانتهطت
على الضلال عيون الشرك بالمجم^(٤)
أبلى (على) به خير الهلاك حسنا
حياء ذو المرش من بأس ومن همم^(٥)
وجال (حمزة) بالصمام يكتوهم
كساً يفرق منهم كل مـزجهم^(٦)

قائد الرسول (صلى الله عليه وسلم) جيش المسلمين في غزوة بدر الكبرى ، فكان النصر حليفه في ذلك اليوم الذي ارتفعت فيه راية الحق وانخفضت فيه بل أفسدت فيه رؤوس الشرك وأعوان الباطل .

يبدو أن الشاعر كان يختصر القول فيما سبق - من سرايا وغزوات - ويصرح الخطى ليقتف مع هذا اليوم الذي لاح للرسول (صلى الله عليه وسلم) نفسه (بدر من النصر جلى غلصة الوخم) ولشيد بذلك اليوم الذي (تسم فيه الدين) ، ولم يقف أثره عند ذلك الحد بل (انتهطت على الضلال عيون الشرك بالمجم) بسبب ذلك اليوم العظيم وما له لا يكون كذلك وقد أبلى المسلمون فيه هلاكاً حسناً ، يتجلى فيما قام به علي بن أبي طالب من بحالة وكفاح ، كساً يظهر فيما أظهره حمزة بن عبد المطلب من شجاعة ونضال بطاقته كان نضال المسلمين عظيماً ، وكفاحهم كبيراً ، ولذلك تفرق جمع أعدائهم بل تموت أوصالهم .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٣٨ . (٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٤٣ .

(٣) كشف النعمة في مدح سيد الأمة ص ٢٧ .

(٤) المجم : بفتحيتين - الدمع . (٥) المراد بعلي : علي بن أبي طالب .

(٦) الدراد : حمزة - حمزة بن عبد المطلب الصمام : السيف الصارم الذي لا ينثنى . يكتوهم : يتتبع آثارهم ، والمراد يقتلهم .

وإذا تأملت قول الشاعر : (يوم تسم فيه الدين) وقوله : (وأنهم طلت
على الضلال) تجد في كل ضبط استمارة مكية أكدت أثر ذلك اليوم ،
وضعت فتح ذلك الانتصار .

ولقد اختار الشاعر الفاظاً ناصت المقام ، مثل : النصر ، أبلسى ،
بأس ، وهم ، وجال ، والصمام ، ويكسؤهم (١) .
ولم يقف الشاعر عند ذلك الوصف بل أكد به بقوله (٢) :

وغادر الصحب والأنصار جمهم
وليس فيه كسى غير ضهم
تقصهم يد الهيجا عادله
فألهام للهش والأبدان للرخم (٣)
كأنما الهش الأيدى صوالجسة
يلمين في ساحة الهيجا بالقسم (٤)
لم يبق منهم كسى غير ضهم
على الرغام وضو غير منحطهم (٥)

إن البارودي يؤكد بسالة الصحابة ، ويظهر فجاعتهم ، فهم لم يتركوا
ساحة القتال إلا بعد ما هزموا جيش المشركين هزيمة مفكرة ، وقضوا
عليهم قضاءً مبرماً .

وإذا تأملت قول الشاعر : (وغادر الصحب والأنصار) وجدته يؤكد
الفكرة السابقة ، فالصحابة المجاهدون (غادروا جمهم) ولم يبق في لفظ غادر
ما يدل على أنهم تركوا ذلك المكان وكلهم نشاط وقوة ، ولم يرغبهم أحد
على مفادته .

-
- (١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢٨ .
(٢) الهيجا : الحرب ، الهام : الروس .
(٣) الصوالجة : عصي معوجة الطرف تضرب بها الكرة ، القسم : بكسر ففتح -
الدراد : الرمي .
(٤) الرغام : سهم الرء مشددة - التراب : منحطم : منكم .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يبين فضل الأنصار • فذكرهم بعد قوله :
 (الصحب) ، معلوم أنهم يدخلون في ذلك الوصف فيكون من قبيل فكسر
 الخاص بعد العام • فلاحضهم بأمرهم • وتخصيم شأنهم •
 ولا يخفى أن في قول الهارودي : (تقصتهم يد الهيجا ••) استمارة
 مكتوبة نحو بصارة الجنود المسلمين • وتحكمهم في رقاب أعدائهم •

ولقد رسم الشاعر صورة لعب فيها التشبيه دورا كبيرا ، وذلك في قوله :
 (كأنما البيض بالأيدي صالجة ••) فالجنود المسلمون متحكمون نفسى
 سيوفهم كما يتحكم اللاعب في عصاة التي يلعب بها الكرة • ولكن المسلمين هنا
 يلعبون بماذا ؟ إنهم يلعبون برووس الكفار !!!

ولعل الشاعر أراد أن يشير إلى أن جيش الكفار لم يخل من جنود
 أقبيا • ولكنهم مع ذلك : (لم يبق منهم كفى غير منجدل ••) •
 إن هذه المعركة لم تعترف وقتا طويلا • ولذلك قال الهارودي (١) :

فما ضمت ساعة والحرب مضمرة
 حتى غدا جميعهم نهيبا لقتلهم
 قد أظرتهم صا • الحرب صائبة
 بالمشرقية والبران كالرجم (٢)
 فأين ما كان من زهو ومن صلف
 وأين ما كان من نخس ومن شرم (٣)
 جاءوا وللشر رسم في معاطسهم
 فأرغوا والردى في هذه السيم (٤)
 من عارض الحق لم تسلم مقاتلهم
 ومن تعرض للأخطار لم ينسهم

عندما بدأت هذه الحرب • واعتدل أوارها • واشتد وطئها • هجم

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢٨ •
 (٢) المشرقية : السيوف - البران : بضم اليم وفتح الراء المشددة - الرماح •
 الرجم : الرماح النجوم التي يرمى بها • (٣) الصلف : أنصاف الكبر والخبر •
 (٤) المعاطس : الرماح الأنوف •

المسلمون على أعدائهم هجمة فرقت جمعهم • وشقت شملهم • كما أعلنوا
سيوفهم في رقابهم • وسلطوا رماحيهم على أجسادهم •

وإذا تأملت قول الهارودي : (فما ضمت ساعة ٠٠) وجدته يدل على
أن الحرب لم تلبث طويلا ثم وضمت أوزارها • ولكن بعد أن عرق الأعداء •
كل صق • وذلك قول الشاعر : (قد أظربهم سما الحرب ٠٠) فهذا
تعبير مجازي يوحى بكثرة ما نزل على الكفار من ضربات ملاحقة • بميصوف
مؤدقة •

ولا يخفى أن في قول الهارودي : (فأين ما كان من زهو ومن صلف ٠٠)
استهزاء • وسخرية من هؤلاء الكفار الذين ملأ الكبر صدورهم • وبدوا أن الشاعر
يلج بذلك إلى أبي جهل الذي قال - عندما أشار بعض المشركين بالرجوع
بغير قتال لما نجت القافلة - : " لا ترجع حتى تحضر بدرا فنقيم نبيهم
ثالثا • ننعمر الجرز • ونظم الطعام • ونسقي الخمر • ونشبع بنا العرب • فسللا
بزالين بيها يوتنا أبدا ٠٠ (١) •

ولعل ما يؤكد ذلك قول الشاعر : (جاءوا وللمر وم في معاطبهم ٠٠)
فهذا كناية من عدة مهلبم للشمر • وثقتهم الكبيرة في قوتهم • ولكنهم لم
يلبثوا أن ذلوا وهلكوا على أيدي المسلمين الذين يدانمون من الحق •
وعكذا : (من عارض الحق لم تعلم مقاتله ٠٠) وهذه الحكمة الصادقة
ختم الشاعر حديثه عن غزوة بدر الكبرى • ثم استأنف حديثه عن جهاد
المسلمين في مواقع أخرى بقوله (٢) :

فما انقضى يوم بدر بالتي عظمت

حتى مضى قازيا بالخيل في الشكم

فيم (الكدر) بالأبطال منتحما

(بنى سليم) فقلت عنه بالرقسم (٣)

-
- (١) حيرة ابن بشاش ج ٢ ص ٣٢٠ بتصريف •
(٢) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢٨ وما بعده •
(٣) الكدر : يضم الكاف وسكون الدال : ما • بنى سليم - إحدى القبائل العربية -
قرب المدينة •

- وسار في غزوة تدي (الصديق) بها
 (١) ألقاه أعداؤه من عظم وأدعسم
 ثم انتحى بوجوه الخيل (ذا أمر)
 (٢) نفر ساكنه رجا إلى الرقيم
 وأم (فرعا) قلم يثقف به أحسدا
 (٣) ومن يقم أمام المارض الهزم

بعد انتصار المسلمين في بدر لم يلبث الرسول (صلى الله عليه وسلم) طويلا في المدينة ، بعد ذلك الانتصار الكبير على المشركين .

إذ خرج على رأس جيش سار حتى وصل إلى (الكدر) ولكنه لم يلبس كددا ، فعاد إلى المدينة ، ثم خرج للاقاة بعض المشركين في غزوة سميت (الصديق) ، ولكن المشركين فروا أيضا ، فأتجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى مكان يدعى (ذا أمر) لحاربة أهله ولكنهم تركوا ديارهم وهربوا إلى الجبال ، ثم أتجه إلى (الفرع) لحاربة أهله الذين أرادوا أن يغيروا على المدينة ، ولكنه لم يجد هناك أحدا .

وهكذا يهرد البارودي عدة غزوات خرج فيها المسلمون ولكنهم لم يحاربوا ، ويدوان المشركين كانوا عندما يسمعون قرب وصول جيش المسلمين يفرون تاركين ديارهم خوفا من قوة ذلك الجيش الذي أشار إلى كثرته وقوته البارودي في قصائده . (ومن يقم أمام المارض الهزم) .

(١) الصديق : يفتح السين مشددة وكسر الواو - دقيق الشمير أو الحنطة إذا حمض ، وقد يمتزج باللين والمسل والسن ، وسميت الغزوة بذلك الاسم لأن المسلمين عندما اقتربوا من المشركين رمى المشركون أولادهم تخفيبا عن أنفسهم حتى يستطيعوا الفرار من المسلمين .

(٢) ذو أمر : (أمر) يفتحون - موضع بنجد قريب من ديار غطفان .

الرقيم : - يفتحون - جهال دون مكة بديار غطفان .

(٣) فرع : - يضمين ، وقيل : يضم فسكون - قرية قريبة من المدينة .

أرجا رضى : السحابيا المحترض في الأفق .

الهزم : - يفتح فكسر - الذي لوعده صوت .

وإذا كانت هذه الغزوات ضد المشركين • فإن أول غزوة ضد اليهود
هو التي أشار إليها الهارودي في قوله : (١)

ولف بالجيش حيسى (قينقاع) بسا

جنوا • فتمسا لهم من مشرقهم (٢)

وسار زيد بجميع نحو (قردة) من

مها نجد • فلم يثقف سوى النعم (٣)

إن أول غزوة ضد اليهود كانت غزوة بني قينقاع الذين اتجه إليهم
(الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما نقضوا عهدهم معه •

ولعل الشاعر يشير بقوله : (•• يا جنوا ••) إلى السبب المباشر

للغزوة وهو إهانتهم لزوجة رجل من الأنصار وقتلهم أحد المسلمين ••
فخيرهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بين الإسلام أو الجلاء • ولكنهم
تحصنوا بحصونهم خمسة عشر يوما • والمسلمون يحاصرونهم إلى أن اضطروا
إلى التسليم والجلاء إلى الشام (٤) •

ولقد بحث الرسول (صلى الله عليه وسلم) نبيهم حارثة على رأس سرية
اتجهت نحو (قردة) ولكنه لم يجد سوى النعم فأخذها واد إلى المدينة •

يسوم أحمد :

ثم أشار الهارودي إلى غزوة أحد بقوله (٥) :

ثم استدارت رجا الهيجا في أحد

بكل مفترس للقرن ملتهم (٦)

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢٩ وما بعدها •

(٢) قينقاع : بفتح القاف وسكون ائيا • وثلاثا لنون والضم أشهر - حتى من اليهود
كانت منازلهم محيطة بالمدينة - تزم - بفتح حين - أرادل •

(٣) زيد هو : زيد بن حارثة صاحب جليل استشهد سنة ٨ هـ : (أمد الفايصة
ج ٢ ص ٢٨١ وما بعدها) - (قردة) بفتح حين - اسم ما يملح به تجد •

(٤) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٢٢ باختصار • (٥) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٣٠
وما بعدها • (٦) القرن : - بكسر القاف وسكون الرا - المائل في الشجاعة • وفتح
القف مع سكون الرا : المائل في السن •

يوم تهن تبه الجد وتضحكت
 جليلة الأمر بعد الجهد والسام
 قد كان خيرا وتحبها وتففسرة
 للمؤمنين • وهل بر • بلا سقم
 مضى (على) به قدما نزلزلهم
 بحيلة أوردتهم مورد الشجب
 وأظهر الصحب والأنصار بأمرهم
 والبأس في الفعل غير البأس في الكلم
 خاضوا النابا نعالوا عشة رغسدا
 ولذة النفس لا تأتي بلا ألم

لقد كانت غزوة أحد • واختبارا للمسلمين • الذين أظهروا شجاعة
 فائقة • وحالة نادرة • وصبروا وصابروا على الكفاح • واستشهد منهم كثير
 وإذا تأملت قول الشاعر • (ثم استدارت رحا الهيجا ••) وجدت
 يلح إلى تفهيم نتيجة الحرب التي كانت في صالح المسلمين أول الأمر
 ولكنها ما لبثت أن تغيرت لصالح المشركين بعدما خالف الرماة أمير الرسول
 (صلى الله عليه وسلم) • (١)

ولا يخفى أن في قول الهرودي : (قد كان خيرا وتحبها وتففسرة ••)
 تلويحا إلى قوله تعالى : • وَلِمَحِصِ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَحَقَّقِ الْكَائِمِينَ أَمْ
 حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا بِكُمْ وَيَخْلُقَ
 الصَّابِرِينَ •• (٧) • كما أن هذه الحكمة الصادقة : (وهل بر • بلا سقم) تشير
 إلى أن الفلاح لا بد أن يسبقه ما يفضيه • وأن النصر لا بد معه من
 الكفاح والصفة •

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩ وما بعدها •

(٧) آل عمران ١٤١ - ١٤٢ •

وإنما كان الشاعر أشاد بكفاح علي بن أبي طالب في تلك الغزوة نفسى
قوله: (مضى على به قد ما فزلزلهم) فإنه أشاد أيضا بكفاح كل الصحابة
الذين اعتركوا في تلك الغزوة • ولا سيما الأنصار • وذلك في قوله: (وأظهر
الصحب والأنصار بأسهم)، وشحننا البارودى - كمهدنا به - بحكمة صادقة
توهم الشجاع من الجبان: (والبأس في الفصل غير البأس في الكلام) •

ثم أشار الشاعر إلى هؤلاء الصحابة الذين استشهدوا في تلك الغزوة
بقوله: (خاضوا النجاء فبالواغمة وهذا) • ولعله يلح بذلك إلى قوله
تمالى: " وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْلًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يُرْزَقُونَ " • الآيات (١) •

ثم يؤكد البارودى أن الإنسان لا ينال ما يرجوه إلا بالتعب وذلك نفسى
قوله: (ولذة النفس لا تأتي بلا ألم) • وهذا قول تصدق الأيام •

وواصل الشاعر حديثه عن غزوة أحد بقوله (٢) •

من يلزم الصبر يحتمل عواقبه

والماء يحسن وقما عند كل ظم

لو لم يكن في احتمال الصبر ضيقة

لم يظهر الفرق بين اللوم والكسرم

فكان يوما عتيد البأس نال به

كلا الفريقين جهدا وأوى الحسرم (٣)

أودى به حمزة الصنديه في نفسرم

نالوا الشهادة تحت العارض السررم (٤)

أحسن بها مئة أحيوا بها عرسا

والموت في الحرب فخر السادة القدر

(١) المرجع السابق ١٦٦-١٧١ •

(٢) كشف الغمة في مدح سيد الأئمة ص ٣١ •

(٣) الحدم: • مفتحين - اجتداد الحرو والبراد شدة القتال •

(٤) الصنديه: السيد الشجاع • الرزم: • بفتح الراء شدة وكسر الزين -

الكسرم الذى لا ينقطع - وأراد الشاعر بالعرض الرزم • الفهار المشسار

من حوافر الخيل •

لا عار بالقوم من موت ومن طلب

وهمل رأيت حساما غير مثلم (١)

يشير البارودي إلى بحضر الحكم التي تصلى النفس ، وثبت القلب ، ومنها :
ان عاقبة الصبر محمودة ، والإنسان إذا صبر ثم نال ما تنهيه ضمير بقصة
صبره ، كما أن المساء لا يحسوف قيمته إلا الذي اضطر إلى المطر ،
وكذلك الصبر يظهر اللئيم والكريم .

ثم يشير الشاعر إلى أن يوم أحد كان شديد البأس على المسلمين
والكافرين ، ولقد استشهد فيه حمزة بن عبد المطلب الصحابي الشجاع ،
كما استشهد معه كثير من الصحابة في ساحة القتال ، فما أحسن موتهم
التي جعلتهم في عداد الغرراء العجمان ، ولا عار عليهم في ذلك ؛ لأن
الأبطال هم الذين يموتون في المارك ، وفي ذلك فخر كبير لهم ، ولا عار
على المسلمين إذا هزوا في جولة ، فإن لكل جواد كبوة ، ولكل حسام
ثلمة .

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (نالوا الشهادة تحت المصارف الرزم)
إشارة إلى أن هؤلاء الأبطال نالوا ينالون دون فرار أو استسلام على الرغم
من شدة المعركة ، كما أن في قوله : (أحسن بها ميتة أحيوا بها شرفا)
نكتة لطيفة أثارها ذلك الطباي بين الموت والحياة ، والمجيب أن موتهم كان
سببا في إحياء شرفهم إذ استشهدوا والشهيد حتى يزدى - كما سبق - أنف
إلى ذلك أن قوله : (والموت في الحرب فخر السادة القدم) يشير إلى
شجاعة هؤلاء الأبطال المسلمين ، وهو كلام حكيم يجرى مجرى المثل .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يخفف من وقع الهزيمة على نفوس المسلمين
بقوله : (وهل رأيت حساما غير مثلم) .

ثم يتحدثن عن بحضر ما فعله الرسول في تلك الشدة بقوله : (١)

(١) مثلم : منكسر الحسد .

(٢) كشف الثمة في مدح سيد الأمة في آياتها بدهما .

فكان يوم جزاء* بمسد مختصـ
لمن وفى وجفا بالمز والرفسـ

قام النبي به فى مأزى حـ
ترعى المناصل فيه منبت الجسم (١)

فلم يزل صابرا فى الحرب يفتو*ها
بالبيض حتى اكتست ثوبا من المنم (٢)

ورد عين ابن نعمان قتادة * إذ
صالت فمادت كما كانت بملا لثم (٣)

يقول البارودي : إن يوم أحد كان يوم جزاء* بعد اختباره ، فمن وفى كان
المز والشرف جزاء* ، ومن جفا كان الذل والخسران عقابه ، ولقد قام النبي
(على الله عليه وسلم) يقاتل ويكافح على الرغم من التشييق على المسلمين ،
ولكنه صابر وجامد حتى سكنت حدة الحرب ، وكان من آيات الرسول (صلى
الله عليه وسلم) فى تلك النزوة أن رد عين قتادة بن النعمان إلى ملائمها
بعد أن وقعت على وجهه ، فمادت كما كانت ، بن كانت أسـ من
المليمة (٤) .

وإذا تأملت قول الشاعر : (قام النبي به فى مأزى حـ) وجدته
يسير إلى ما أصبح عليه جيش المسلمين بعد مخالفة الرماة أمر الرسول (على
الله عليه وسلم) فوق الاختلاف بين صفوفهم ، وتفرق شملهم ، إلا أن الرسول
فلس صابرا ، وأخذ يجمع الصفوف ، وفاد الجميع إلى حمل الميوف .

ولا يخفى أن قول الشاعر : (فلم يزل صابرا فى الحرب .. البيت) يمدل
على أن المسلمين قتلوا كثيرا من المشركين بميوفهم (حتى اكتست ثوبا من المنم)
أنصف إلى ذلك أن المحسن البديعسى - اللف والنسر فى تولسه :

(١) المنازل : جمع الفصل - بضم الميم وسكون النون وضم الصاد وفتحها - السيف
والمراد بالجسم هنا : الرقاب .

(٢) يفتو*ها : يكسر حذتها ويكثفها .

(٣) قتادة بن النعمان سبى التصريف به فى عام ١٥٥ من هذه الرسالة . لثم :

بفتة حقين - المراد : جرح أو أثره .

(٤) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦

(٥٠) لمن وفى وجفا بالعز والغم) يشير إلى جزاء المؤمن الذى وفى •
وهاتبة الكافر الذى جفا • فلا شك فى أن جزاء من صدق ما عاهد الله
عليه يكون الجنان • كما أن جزاء من حاد الله ورسوله يكسبون
الهلاك والخسران •

لم يهين المسلمون بعد غزوة أحد، بل انتصروا فى كثير من السرايا والغزوات
التي أشار البارودي إلى بعضها بقوله : (١)

قد أتى بعد ذا (يوم الرجيع) بما
فيه من الفخر بعد العهد والقسم (٢)
وثار نفع الضايا فى (مصونة) من
بنى سليم بأهل الفضل والحكم (٣)
ثم اشرأبت لخفر العهد من نفسه
(بنو النضير) فأجلاهم عن الأطم (٤)
وسار منتحما (ذات الرقاع) قلم
تلقى الكاتب فيها كيد مصطفى (٥)
وحل من بعدها (بدوا) لوعده (أبسى
سفيان)، لكنه ولى ولم يحسم (٦)
وأمّ (دومة) فى جمع وعاد إلى
مكانه وساء النتح لم نفسه (٧)

-
- (١) كشف الغمة فى مدح سيد الأمة ص ٣٢ وما بعدها •
(٢) الرجيع : - بفتح الراء مشددة وكسر الجيم - ما لم يذبل بناحية الحجاز بين مكة
ومدائن • (٣) مصونة : - بفتح الميم وضم الميم - مكان شرقى المدينة بين أرض بنى
عامر وعرة بنى سليم • (٤) اشرأبت مدت عنقها • والمراد مات • خفر العهد
عدم الوفاء به • بنو النضير : قبيلة من اليهود كانت بوادى ظاهر المدينة •
(٥) ذات الرقاع : اسم الخزوة سميت باسم مكان قريب من أرض فطافان • أو لأن المسلمين
لقوا على أرجلهم رقاعا من كسرة السير وقيل غير ذلك (سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٥٨) •
(٦) أبو سفيان : هو أبو سفيان بن حرب كان يحارب الرسول ثم أسلم • وتوفى سنة ٣١ هـ
وقيل غير ذلك (أسد الغابة ج ٢ ص ١١) •
(٧) دومة : - بضم الدال وفتح الميم - مدينة على بعد خمس عشرة ليلة من المدينة
وتسمى (دومة الجندل) •

أشار الشاعر بقوله : (يوم الرجيع) إلى أن رهطا من (عضل والقارة) من قبائل الموسريين قدموا على الرسول ، وطلبوا منه أن يرسل معهم بعض صحابته ليقف معهم في الدين ، فأرسل معهم ستة من الصحابة ، ولكنهم غدروا بهم وقتلوه ، وكان ذلك في مكان يدعى (الرجيع) (١) .

وأما (معونة) فقد قتل فيها ما يقرب من أربعين صحابيا من القراء ، كانوا قد ذهبوا إلى ذلك المكان لدعوة أهلها إلى الإسلام ، ولتعليمهم قراءة القرآن (٢) ، ولكنهم غدروا بهم وقتلوه .

وأما (بنو النضير) فلقد أروا القدر برسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالقائه صخرة عليه فأخبره جبريل (عليه السلام) بأمرهم فقام مثلًا عسرا بأمره يقضي حاجة ، ثم عاد إليهم وحاصرهم حصارا شديدا ، حتى سألوه الجلاء فأجلاهم عن الحصون (٣) .

كما خرج نحو بعض أصحابه لمحاربة بعض القبائل التي أرادت بالمسلمين سوءا ، ولما وصل إلى (ذات الرقاع) لم يجد أحدا فماد إلى المدينة (٤) .

ولقد قال : أبو سفيان للرسول (صلى الله عليه وسلم) — بعد أحد — " الموعد بيننا وبينكم بدر من المام القابل " ، فخرج الرسول (صلى الله عليه وسلم) لمقابلة أبي سفيان في الموعد المذكور في (بدر) ولكنه — أبا سفيان — ولي خوفا من مقابلة المسلمين (٥) .

كما علم الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن في (دومة الجندل) جماعة يظلمون من يربهم ، وأنهم يريدون الدنو من المدينة ، فخرج إليهم ، ولكنهم هربوا عندما علموا بخروج الرسول (صلى الله عليه وسلم) إليهم (٦) .

(١) انظر القصة بالتفصيل في سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٢٠ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ١٢٧ وما بعدها . (٣) المرجع السابق ج ٣ ص ١٤٢ وما

بعدها . (٤) المرجع السابق ج ٣ ص ١٥٧ وما بعدها .

(٥) المرجع السابق ج ٣ ص ١٦٢ وما بعدها .

(٦) المرجع السابق ج ٣ ص ١٦٨ .

غزوة الخندق : (١)

ولقد أشار البارودي إلى غزوة الخندق بقوله : (٧)

ثم استثارت قريش وهي ظالمة
أحلافها وأنت في جحفل لهم (٢)
تستمرى البقى من جهل وما علمت
أن الجهالة مدعاة إلى التلم (٤)
وقام فيهم أبوسفیان من حنسق
يدعو إلى الشر مثل الفحل ذي القطم (٥)
فخندق المؤمنون الدار وانتصبوا
لحربهم كنزوارى الأسد في الأج (٦)
فما استطاعت قريش نيل ما طلبت
وهل تنال الثريا كف مستلهم (٧)

ولما رأت قريش ما أصبح عليه المسلمون من قوة يرهب جانبها ، وشدة
يخشى بأسها ، تأمرت مع بعض أحلافها على المدوان عليهم ، وشجعهم
على ذلك أبوسفیان ، ولكن المسلمين حفرُوا خندقاً حول المدينة ، وظلوا
بها استعداداً لملاقاة أعدائهم ، الذين لم يستطيعوا نيل ما طلبهموه ،
ونسيبهم أن يستطيعوا ذلك .

وإذا تأملت قول البارودي : (ثم استثارت قريش ..) وجدته يشير
إلى الدهر الكبير الذي قامت به قريش في تأليب بعض القبائل على المسلمين
(وهي ظالمة) في ذلك ، ولكنها (تستمرى البقى) وتستحسن الظالمين

-
- (١) الخندق : حفرة عميقة حول المدينة كمور يفتح من دخولها .
(٢) كشف الفضة في منح سيد الأمة ص ٣٣ وما بعدها . (٣) أحلافها : المراد بهم
عطفان ، وبنى النضير ، وبنى أسد ، وبنى مرة ، وبنى سليم وغيرهم .
(٤) تستمرى : تستطير . التلم : المراد الهلاك . (٥) حنق : غيظ - القطم - بفتح
الهمزة - الهياج . (٦) فخذق المؤمنون الدار : المراد حول الدار . نوارى : جاع .
(٧) الثريا : نجم .

(وما علمت أن الجهالة مدعاة إلى الثلم) وأن المكر السيء لا يحمق
إلا بأعله ، حينما كانوا •

وأحسن الشاعر حينما صور حالة أبي سفيان وهو يشجع القبائل على
ظلم المسلمين • - أحسن الشاعر حينما صور • بفعل شائع • وحيوان شارد •
وأما المسلمون فقد حفرُوا الخندق حول المدينة : (وانتصروا لحرب)
أعدائهم بشجاعة وظهف ، كما ينتظر الأسد الجائع فريسته في عرينه • ولا شك
في أن الشاعر أحسن عندما شبه المسلمين بالأسود • وشبه المدينة بالآجام •
(كضواري الأسد في الأجم) • ثم بين فشل قريش في هدها بقوله :
(فما استطاعت قريش نهل ما ظلمت) بل أكد أن ذلك يعمد كل البصود
أن يتحقق لها بقوله : (وهل تنال الثريا كـ مستلم) ، وهذا مستحيل بالملاحظة •

ثم أكد الشاعر فشل قريش فقال (١) :

رامت بجهلتها أمرا ولو علمت

ماذا أعد لها في الشيب لم ترم

فخيب الله صفاها ونادرهـ

نهب الردى والصدى والريح والطم (٢)

فقوضت عمدا لترحال وانصرفست

لهلا إلى حيث لم تسرح ولم تسم

وكيف تحمد عقي ما جنت يدها

بشما وقد سرحت في مرنج وخسم

قد أقبلت وهي في فخروفي جندل

وأدبرت وهي في خزي وفي سسدم

من يركب الشئ لا يحدد عواقبهـ

ومن يطعم قلبه أمر الهوى بهـ (٣)

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢٤ وما بعدها •

(٢) الصدى (بالقصر) المطش • الطم : - بفتحين - المراد زوال أثرهم من
تلك الأماكن التي نصبوا فيها خيامهم •

(٣) بهم : المراد يضل •

لقد رامت قريش الحو* بالمسلمين ، ولو علمت أن الله تعالى لن
يحقق ظلمها ، بل سيخيب ظنهم ، وسيجعل عاقبة بغيها وخيبتها عليها ،
ما نعت ذلك ، فلقد سلط الله عليهم ريحا شديدة في ليلة مظلمة باردة ،
فاكأأت القدر ، وأطفأت النيران ، وهدمت الخيام ، وهكذا تكون عاقبة
الظالمين .

وإذا تأملت قول البارودي : (رامت بجهلها أمرا) وجدت بدل
على شدة ما أصاب قريشا من عدم نتيجة ظلمها ، ولعل الشاعر نكر (أمرا)
لتذهب النفس فيه أي مذهب ، كما أن في قوله : (فخبب الله مما هبنا)
ما يدل على سرعة نصر الله المؤمنين ، تشير إلى ذلك تلك (الفاء) التي تدل
على الترتيب والتحقيب ولقد سلط الله عليهم جندا كبيرا ، أشار إليها الشاعر
في قوله : (نهب الردى والصدى والريح) .

ولعل في قول البارودي : (فحسوت بعد الترحال) ما يدل على
شدة الريح ، كما أن قوله : (لم ترح ولم تسم) يوحي بالاحتجاز
والسخرية من هؤلاء الأعداء ، وأكد ذلك البارودي بقوله : (وكيف تحصد
عقبي ما جنت يدها بغيها) ، ولا يخفى أن في لفظ (يدها) مجازا مرصلا
مأثقة الجزئية ، يشير إلى جرم ما ارتكبه هؤلاء الكفار بتلك الأيدي الأثيمة
وؤكد لفظ (بغيها) .

إن هؤلاء الأعداء لم يفكروا بمقولهم فما أشبههم بالأنعام ، بل هم
أضل لأنهم سرحوا (في مرتع وخم) ، ففي العبارة استمارة مكينة لطيفة
أنزلت الظالمين منزلة الأنعام ، ومنعت عاقبتهم الوخيمة .
ولقد أحسن الشاعر في هذه المقابلة (١) : (قد أقبلت وهي في نخس
وفي جدل) ، (وأدبرت وهي في خزي وفي سدم) ، إذ بينت - بوضوح - حمال
الأعداء عند ذهابهم للاعتداء على المسلمين ، ثم سجلت خزيهم وفشلهم
عند عودتهم .

(١) المقابلة : هي الجمع بين أمر متقابلة - كل بضده على الترتيب ، وهي مسن
الصحنات البدعية (انظر : زهر الريح ص ١٦٨) .

وبدو أن الشاعر أراد أن يؤكد عاقبة الظلم والظالمين، فقال قسولا
مديدا : (من يركب الفس لا يحدد عواقبه) ثم بين أن الهوى من الهوان
ومن أطاع هواه كان ماله الخسران : (ومن يطلع قلبه أمر الهوى بهم) .

رواصل البارودي حديثه عن كفاح المسلمين وجهادهم فقال :^(١)

ثم انتحى بوجوه الخيل ساهمة

(بنى قريظة) في رجاجة حطم^(٢)

خانوا الرسول نجازا هم بما كسبوا

وفي الخيانة مدعاة إلى النقم

وسار ينحو (بنى لحيان) فاعتصوا

خوف الردى بالموالي كل محتصم^(٣)

وأم (ذا قرد) في جحفل لجب

يستن في لاحب باد وفي نسم^(٤)

وزار بالجهش غزوا أرض (مصطلق)

فما اتقوه بخير الهيش في الخسدم^(٥)

وفي (الحديبية) الصلح استتب إلى

عشر ولم يجر فيها من دم هدم^(٦)

يحمد غزوة الخندق اتجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) - على رأس
غزوة - إلى (بنى قريظة) لأنهم نقضوا عهدهم معه ، فكان جزاءهم قتل
الرجال وأسر النساء والصبيان^(٧) كل هذا بسبب خيانتهم ، كما اتجه الرسول
بعد ذلك - إلى منازل (بنى لحيان) وهم الذين غزوا بأصحاب (الرجيع) ،

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢ وما بعدها . (٢) انتحى : قصده .
ساهمة : المراد صغيرة من التنب . بنو قريظة : قوم من اليهود كانوا بظاهر المدينة .
رجاجة : المراد كبيرة . حطم : بضم فتح - أراد به الشاعر : أن جيش المسلمين
كثير يحطم كل ما يجده . (٣) بنو لحيان : قبيلة بناحية صفان (طبقات ابن
سعد ج ٢ ق ١ ص ٥٦) . الموالى : مكان قريبين المدينة : وأراد به الشاعر
الجهات المرتفعة - فيه . (٤) ذو قرد - بفتح القاف والراء - موضع قريب من
المدينة جهة غطفان . لاحب : طريق واسع واضح - نعم - بفتحين - : المراد الطريق
الدارس . (٥) مصطلق : المراد بهم : بنو المصطلق وهم بطن من خزاعة يسكنون
قرب المدينة . الهيش : النساء . (٦) الحديبية : سبق التمرير بها في هامش ص ٢٢٢
من هذه الرسالة . هدم : المراد هدر . (٧) انظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٨٧ وما
بعدها .

ولكنهم هربوا في شتاب الجبال عندما علموا باتجاه الرسول إليهم ، فمضوا
الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة (١)

ثم قصد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - ذا قرد - في جيش كبير ،
عندما أغار بعض المشركين على لقاح لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانت
تربي بالشابة - مكان بقرب المدينة - ولذلك تسمى هذه الغزوة - أيضا
- غزوة الشابة (٢) - ثم عاد المسلمون إلى المدينة (٣)

وكذلك خرج الرسول (صلى الله عليه وسلم) - على رأس غزوة - عندما
علم أن بعض المصطلق يجمعون له فخرج إليهم ، ولقبهم على ما يسمى (المريسيع) (٤)
وهمزة هنيفة مذكورة وأسر نساءهم وأولادهم (٥)

ولقد اتجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى مكة معتمرا ، ولكن
قريشا منعتهم ، فنزل في مكان يدعى (الحديبية) - وجرت بينه وبين قريش
مفاوضات على : رجوع الرسول هذا العام من غير عمرة على أن يأتي العام القابل
فيتمتع هو ومن معه ، فوافق الرسول ورجع إلى المدينة ، والشاعر يلح بقوله :
(استتب الصلح إلى عشر) إلى ما اتفق عليه المسلمون والمشركون من وضع الحرب
عن الناس عشر سنين (٦)

(٧)
غزوة خيبر :

وإذا كان البارودي قد مر مرورا سهوا على بعض الغزوات السابقة
فإنه قد وقف طويلا مع غزوة خيبر ، فقال (٨) :

-
- (١) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٢٧ .
(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٨ . (٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٩ وما
بعدها . (٤) المريسيع - بضم الميم وفتح الراء وسكون الياء وكسر السين - اسم ما
قريب من (قديد)
(٥) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٤٧ وما بعده .
(٦) المرجع السابق - ج ٢ ص ٢٦٤ وما بعده .
(٧) خيبر : مدينة تسمى عن المدينة نحو مائة ميل من الشمال الغربي .
(٨) كشف الثمة في مدح سيد الأمة ص ٢٦ .

- وجاء (خير) في جاء كالحة
- (١) بالخيل كالسيل، والأسياف كالضرم
- حتى إذا امتنعت شم الحصون على
- (٢) من رامها بعد إيفال ومقتحم
- قال النبي : سأعطى رايتي رجلاً
- يحبني ويحب الله ذا الكرم
- ذا مرة يفتح الله الحصون على
- (٣) يديه ليس بقرار ولا بهرم
- فما بدا الفجر إلا والرحم على
- جيش القتال (على) رافع الملمس

خرج الرسول (صلى الله عليه وسلم) على رأس غزوة إلى يهود خيبر ؛ لأنهم اشتركوا ضده في غزوة الخندق ، كما ألجأ عليه بعض الأعراب (٤) فخرج الرسول إليهم في ليلة مظلمة ، وكان جوشه مزوداً بالخيل الكثيرة ، والسيف القتالة ، ففتح المسلمون بعض حصون خيبر ، واستمضى عليهم بعضها ، فقال الرسول : سأعطى الراية - غداً - رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله ، ذا ثوة وثوة ، يفتح الله الحصون على يديه ، وفي الصباح كان على رأس الجيش : علي بن أبي طالب .

ولا يخفى أن الشاعر يشير إلى قوة جيش المسلمين بقوله : (بالخييل كالسيل ، والأسياف كالضرم) ، كما يشير إلى قوة بعض حصون اليهود بقوله : (حتى إذا امتنعت شم الحصون) ، وفي هذا دلالة على جبن اليهود الذين يخافون المواجهة ، وإنما يحاربون وهم داخل حصونهم .

وإذا تأملت قول الشاعر : (قال النبي :) وما بعده من الأبيات وجدته

- (١) جاء : سوداً - كالحة : عابسة .
- (٢) الإيفال : المراد الإيمان في السير إلى أرض العدو .
- (٣) مرة : - بكسر الميم وفتح الراء - مشددة - قوة - يرم - يفتح فكسر - : ضجر .
- (٤) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ٢٠٣ .

يدل على منزلة علي بن أبي طالب ، الذي طلبه الرسول ليعلمه الراية ، ولكنه كان كما قال الهارودي (١) :

وكان ذا رمد فارتد ذا بصير

بنفثة أبرأت عينيه من ورم (٢)

فصار معترفا حتى أناجى ~~عليه السلام~~

حصون خير بالسلولة الخدم (٣)

يمضى بمنحله قدما فيلحمه

مجرى الوريد من الأعناق واللم (٤)

حتى إذا طاح منه الترس تاح له

باب فكان له ترسا إلى المغم (٥)

باب أبت قلبه جهدا ثانيا

من الصحابة أهل الجدة والمزم (٦)

كان علي بن أبي طالب - عندما طلبه الرسول - صابا برمد - فتفصل الرسول في عينه نبري لوقتته ، وتسلم الراية ضوحها إلى حصون خير مسح جنوده ، أصحاب السيف السلولة القاطعة ، وأخذ يضرب بسيفه ضربات قاتلة ، وعندما سقط منه الترس ، وجد بابا استخدمه مكان الترس .

ولا شك في أن الشاعر في هذه الأبيات يواصل الإشارة إلى مكانة علي ابن أبي طالب ، إلا أنه ذكر معجزة للرسول (صلى الله عليه وسلم) وهي شفاء عين علي ، عندما ثقل فيها الرسول ، وهي معجزة ذكرت في كتب السيرة وأيدها كتب الأحاديث (٧) .

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٣٦ وما بعدها .

(٢) نفثة : المراد نفثة من ريق الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

(٣) السلولة : المراد السيف . الخدم : - بضمين - القاطعة .

(٤) يلحمه : المراد يطعمه . (٥) طاح : سقط - الترس : ما يتوقى به .

تاح : تسهيا - المغم : الظلام ، والمراد أن ذلك الباب استعمله علي بن أبي طالب حتى وقف القتال آخر النهار .

(٦) المزم : - بفتحين - وأصله بفتح وسكون - الصير والقوة .

(٧) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩٠ ، وصحيح مسلم ج ٥ ص ٢٧١ .

ويبدو أن الشاعر قد تأثر في عارته (فارتد ذا بصرو) بقوله تعالى :
 " فَارْتَدَّ بِصَبْرٍ " . الآية (١) .

وإذا تأملت قول الهارودي : (يضحى بمنصفه) وجدته يشير إلى
 مهارة علي بن أبي طالب في الحرب، ودقته في طعناته القاتلة، التي تصيب
 (مجرى الحديد) ، يبدو أن قول الشاعر : (من الأضاق والملم) يمسد
 حسوا يمسد قوله : (من الحديد) ، ولعله فكره للتأكيد أو للقافية .

والهارودي يلج بقوله : (حتى إذا طاح منه القوس) إلى قصة
 علي بن أبي طالب التي تدل على قوته وشجاعته ، إذ حفظ منه القوس فوجد
 أمامه ما ياتقها فاختذه ترسا له . مع أن ذلك الهابل لم يستطع حمل نفسه
 ثمانية من الصحابة الأقوياء (٢) ، وهذا يدل على قوة علي بن أبي طالب وقوته ،
 وذلك ذلك قول الهارودي (٣) :

فلم يزل صائلا في الحرب فتحمسا
 فهاية النقع مثل الحيدر القسرم (٤)
 حتى تلج فجور النصر وانتشرت
 به البشائر بين السهل والملم
 أبشر به يوم فتح قد أضاء به
 وجه النيران فأبدى بشر منقسم

لقد ظل علي بن أبي طالب يصول ويجول - في غزوة خيبر - ويتحسس
 الحصون ، ويخترق الصفوف ، غير هباب ولا وجل ، حتى ظهرت بشائر النصر
 القلم تليت أن انتشرت في كل مكان ، فاستبشر المسلمون .

وإذا تأملت قول الهارودي : (فلم يزل صائلا) وجدته يدل على
 مهارة ذلك القائد ، الذي يصول ويجول ، ولا شك في أن ذلك يدل على
 شجاعته ، وما يؤكد ذلك قول الشاعر : (مثل الحيدر القرم) فهو تشبيه يوضح
 الفكرة بوضوحها .

(١) يوسف / ٩٦ . (٢) صيرة ابن هشام ج ٢ عن ٢٩٠ .
 (٣) كشف الغيبة في مدح سيد الأئمة ٢٢٧ . (٤) فهاية النقع : المراد كفة الفهار
 الحيدر : الأسد .

ولا يخفى أن قول البارودي : (حتى تلج فجر النصر) يدل على أن النصر لم يكن دفعة واحدة ، بل كانت له قطعات وشقوق ، وهذا يشير إلى قوة حصون اليهود من جهة ، وعلى مهارة الجنود المسلمين وقادتهم من جهة ثانية .

ولقد كان انتصار المسلمين في خير أمة أخرجت للناس ، ولذلك سرتوا بسره ، ولم يبق ذلك السرور على الإنسان ، بل (قد أضاء به وجه الزمان فأبهره بشرفه) نفى هذه المهارة استمارة مكينة لا يخفى أثرها في تحسين صورة ذلك النصر .

عودة بعض مهاجري الجيعة يوم فتح خيبر :

إن يوم انتصار المسلمين في خير كان يوما عظيما بسبب ذلك النصر المبين ، وسبب أمر آخر أشار إليه البارودي في قوله (١) :

أنى به (جعفر) الطيار فابتهجت

بحوده أنفاس الأصحاب والمسلمين (٢)

فكان يوما حوى عهدي في نصيب

فما به وود كريم طاهر النسيم

وما بالنصر مولى الدين نصرنا

بما طمعت في عز وفي نصيب (٣)

باليها من نعمتين عظمتين ، وفرحتين كبيرتين ، وقمنا في يوم واحد : نعمة فتح خير ، وضيعة عودة بعض مهاجري الجيعة وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب ، ولذلك قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " ما أدرى بأيهما أنا أسر : بفتح خير ، أم بقدم جعفر (٤) " .

(١) كشف النسخة في مدح سيد الأمة ص ٢٧ .

(٢) جعفر الطيار هو جعفر بن أبي طالب (سبق التعريف به في هامش ص ٢٧ من هذه الرسالة) وسمى (بالطيار) لقول الرسول : - لما قطعت يده في الحرب أناشد الله بذلك جنلحين يطير بهما في الجنة - (أسد الغابة ج ١ ص ٢٤٢ وما بعدها باختصار) المعزم : أراد به الشاعر أسيرة الرجل وقبيلته .

(٣) مولى الدين : المراد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (٤) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢١

عرة القضاء (١)

ولقد أشار البارودي إلى خروج الرسول (صلى الله عليه وسلم) من
المدينة قاصدا مكة لأداء العمرة بقوله (٢) :

ثم استقام لبيت الله متصرا
لنيل ما ناله بالهدى للعصر

سرية مؤتة (٣)

ثم أشار إلى سريّة مؤتة بقوله (٤) :

ومار (زيد) أميرناحو (مؤتة) فنى
بمات فلاقى بها الأعداء من كرم (٥)
فمبا المسلمون الجند واقتتلوا
قتال متصرا للحق متقسم
فطاح (زيد) وأودى (جعفر) وقضى
نحت المجاعة (عبد الله) فى قدم (٦)
لا طار بالوئام فالشهم الجرى بمسرى
أن الردى فى العالى خير متقسم

لقد خرج جيش المسلمون معجبا إلى مؤتة - وكان على رأسه زيد بن حارثة
- والتقى الفريقان، وقاتل المسلمون وكانوا إلى أن سقط زيد شهيدا - فحصل
الراية بعده جعفر بن أبى طالب - ولكنه استشهد أيضا - فعزل الراية بمسده
عبد الله بن رواحة الذى استشهد فى ميدان القتال .

-
- (١) سميت بذلك لأنها كانت قبل العمرة التى لم يؤدّها الرسول فى عام الحديبية .
(٢) كشف القصة فى مدح سيد الأمة ص ٣٧ . (٣) مؤتة : يضم فسكون - اسم موضع
بالشام - وهى سريّة لأن الرسول لم يخرج على رأسها إلا أن ابن هشام ذكر أنها
فزة ولم يذكر سببا لذلك (سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٢٢) .
(٤) كشف القصة فى مدح سيد الأمة ص ٣٨ . (٥) من كرم : المراد من قرب . (٦) المجاعة :
- بفتح الميم - اجتجاع الفهار والخان - والمراد ساء المعركة - عبد الله : هو
عبد الله بن رواحة صحابى جليل - استشهد سنة ٨ هـ (أسد الغابة ج ٢ ص ٢٣٨) .

ولا يخفى أن الشاعر مرّ مرورا سريعا على سرية مؤمنة * وخاصة على معنى
استشهاد القواد الثلاثة * ويبدو أنه اكتفى بالحكمة التي نظمها في البيت
الأخير : (لا عار بالموت فالشهم الجرى *) - والتي تدل على عظيمة
الموت في سبيل تحقيق الأمور العظيمة * وإلا سبى الجهاد في سبيل الله
وأعلاء كلمة التوحيد .

فتح مكة :

وانتقل البارودي إلى الحديث من فتح مكة بقوله (١) :
وحيث خاست قرين بالمهود ولم
تصف ومارت من الأشواء في نغم (٢)
وظاهرت من (بنو بكر) حليفها
على (خزاعة) أهل الصدق في الذم (٣)
قام النبي لنصر الحق معتزلا
بجعل لجمع الشرك مخسرا

لقد نقضت قرين عهدا مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) بماعدت
(بنو بكر) حليفها - في الاعتداء على (خزاعة) حليفة المسلمين فكان من الطبيعي
أن يقوم الرسول والمسلمون بنصرة خزاعة * فخرج على رأس جيش كبير متجهسا
إلى مكة .

ثم وصف البارودي جيش المسلمين بقوله (٤) :
تبدو به البهش والقضال منتشمر
كالشهب في الليل أو كالنار في النجم (٥)
لح الميوق وتضال الخيول بسبه
كالبرق والرعد في ممدودق سمسم (٦)

-
- (١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢٨ .
(٢) خاست : نقضت . (٣) بنو بكر ، وخزاعة قبيلتان من بني قحطان .
(٤) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢٨ .
(٥) القضال : الفهار . (٦) ممدودق هم : المراد المطر الكور
الذي لا يمتسك .

هرم ينسف الأرض الفضا^(١) إذا

سرى بها وهذا الهضب من خيم^(٢)

كانت أمثلة لذلك الجيش كثيرة • كثير الرعدة • فالسيوف تلح • والخيول
تصهل والجثث كبرون •

أراد الشاعر أن يوصف صورة واضحة لقوة جيش المسلمين • فأتى بتشبيه
يومك الفكرة بوضوحها وذلك في قوله : (تدو به الهض والتهطل منتثر ••)
فالسيوف من عدة لمعانها وكثرة حديدتها • وسيبسط الفهار الكثير الذي تشبه
الخيول تشبه () الشهب في الليل أو كالنار في الفحم • أضف إلى ذلك أنشد
أراد أن يوصف شدة لح السيوف وقوة صهيل الخيول فقال : (كالبرق والبرق
في ممدودق هزم) ولا يخفى أن في العبارة لغة وشرا مرعا • وإد التكملة
وضوحا وجالا • بالإضافة إلى المناسبة بين (البرق والبرق والطر) • في ممدودق
• ثم بين البارودي أن هذه ذلك الجيش كبير في قوله : (هرم ينسف
الأرض الفضا ••) وليس ذلك فقط • بل و (هذا الهضب ••) •

أما صفات هؤلاء الجنود • فأشار إليها الشاعر في قوله^(٣)

فيه الكفاة التي ذلت لموتها

مما طس لم تذلل قبل بالخطم^(٤)

من كل محترم • بالصبر محترمين

للقرن ملقن • في الهامس مهترمين^(٥)

طلات بهم هم نالوا السماك بهما

عن قدرة • وطوا النفس بالهمس^(٦)

(١) هرم : كبر • الهضب : المراد المرتفع • خيم • المراد : جبل •

(٢) كشف الفحة في مدح سيد الأمة ص ٢٩ •

(٣) الخطم : • بضمين • جمع خطام • بكسر الخاء • والمراد الجبل الذي تقاد

به الإبل • (٤) محترم : بضم يسكون للفتح فكيف المراد المستحق • مهترمين •

بوزن سابقه • المراد الذي له صوت أو النصح •

(٥) السماك : نهم •

بعض أساطير غلب قسماورة

عكس لدى الحرب مظلماون في الأرم (١)

طابت نفوسهم بالموت إند، علسوا

أن الحياة التي يمضون في المسمم

إن جنود هذا الجيش الكبير قد انصموا بكل الصفات الحميدة • فهم شجيمان، لا يخشون الغزال • ولا يرهبون القتال • فممندهم صير جويل • وعزم أكيد على النبل من أعدائهم • وحشهم طالية • وأنفسهم مهذبة • جمعوا بين الشرف والسود، والشجاعة وإكرام الضيف :

وإذا تأملت قول الشاعر : (فيه الكلمة التي ذلت لصوتها ••) وجدته ينسهر إلى شجاعة هؤلاء الجنود المسلمين • أضف إلى ذلك أن قوله • (•• لم تذلل قبل بالخطم) فيه تحقير لأعدائهم وتعليقهم منزلة الأنعام :

ولا يخفوه ما في قول البارودي : (من كل معتزم بالصير محترم •• البهت) من عظيم جليل • وموسقى رائحة • بإضافة إلى ما اشتمل عليه البيت من صفات جليلة • أكلها بتلك الكناية اللطيفة في قوله : (طالت بهم هم نالسيا الساك بها ••) ثم زادها تأكيد بقوله : (بعض أساورة • غلب قساورة ••)

ولعل البارودي قد أحسن عندما وصف هؤلاء الجنود بأنهم يستمذبون الموت في سبيل الله : (طابت نفوسهم بالموت ••) مينا أنهم بذلك يحسون الحياة الحقيقية وصدق الله العظيم في قوله : * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى •• (٧)

إن ألفاظ الشاعر مناسبة للفكرة • وثلاثة للفرض مثل : (الكلمة • القرن • في البأس • شكس) • أضف إلى ذلك بعض الحسنات اليدوية التي زادت المعنى وضوحا مثل : الجناس الناقع بين قوله : (أساورة وقساورة)

(١) بعض : المراد ذو شرف • أساورة : المجدون الرمي بالسهام • غلب : يهزم فكون • فلاظ الرقة : هو وصف تصدح به السادة • القساورة : جمع قسماورة • يفتحتن بينهما سكن • ألا • شكس • يهزم فكون • صاعبا لأخلاق (٧) الأطل / ١٢ •

ثم انتقل البارودي إلى وصف خيل المسلمين بقوله (١) :

ماسوا الجياد فظلت في أعقابها

طوح البهانة في كسر وقتهم (٢)

تجاد عفة لحن القول من أدب

وتصيق الوحى والإيما من فهم (٣)

كان أذناها في الكرا لينة

على سفن لأمر الريح مرتسم (٤)

من كل فجرد يهوى بصاحبها

بين الصجاج هو الأجدل اللحم (٥)

لقد علم هؤلاء الجنود خيلهم نفوس العرب لهم - تحسن الكر - والافتحام، بل إنها لفهم معنى الأمر - وتصيق الإشارة هو إذا نظرت إلى أذناها - عندما تكرر ثانت كأنها أعلام مرفوعة على سفينة مثقلة أمر الريح - أضف إلى ذلك أنها سريعة تفنى بصاحبها على عدوه، كما يفنى الصقر الشديد الجوع على اللحم.

إن وصف البارودي خيل المسلمين بارع - فإذا تأملت قوله : (ماسوا الجياد في أعقابها - البهت) وجدت - يشير إلى أن هذه الجياد قد أثقت من الحرب - أضف إلى ذلك أنها : (تجاد عفة لحن القول -) لها لحن من ذلك القيد الجمل : (من أدب) الذي يرفع شأن تلك الخيل التي (تصيق الوحى والإيما من فهم) .

ولا يخفى إبداع الشاعر في تصويره أذناي الخيل وهو يكرر : إنه يشبهها بالأعلام المرفوعة على سفينة تهتز ذات اليمين وذات الشمال تماماً لاجتماع الريح .

- (١) كشف النقبة في مدح سيد الأمة ص ٢٩ - (٢) ماسوا الجياد : المراد نهالها وطموها . الأفة : جمع غان - بكسر الميم - المراد : لجام الخيل .
(٣) لحن القول : المراد معناه . الوحى : الإشارة . (٤) ألوية : المراد بأعلام . سفن : جمع سفينة . مرتسم : يضم فسكون فتفتح فكسر : مثقل .
(٥) فجرد : صبان - يهوى : المراد ينقض - الأجدل اللحم - بكسر الحاء - الصقر الشديد الشهوة إلى اللحم .

إن البارودي حينما وصف خيل المسلمين ، وصفها وصف مجرب لها ،
مقاتل عليها ، ولذلك لا عجب ولا غرابة في إحسانه ، فهذا هو المنتظر منه ،
وهو الذي مارس عليها عدة حروب ، وكان خلالها القائد المظفر - كما سبق -

ثم أشار البارودي إلى سيف الجنود المسلمين وراحهم بقوله (١)

والبيض ترجف في الأقسام ظمأ

والسمر تهدي في الأيمان من قسم (٢)

من كل مطرد لولا علاقه

لمابق الموت نحو القرن من قسم (٣)

كأنه أرقم نفس رأسه

يمثل كيد الأعادي بأهنة الرقيم (٤)

كانت سيف المسلمين تضطرب في أعادها من عدة الظمأ ، كما كانت
راحهم تهتز في أيديهم ، ولولا علاقتها لمابق الموت نحو هؤلاء الأعداء من
عدة جوعها وشهوتها إلى لحومهم .

وإذا تأملت قول البارودي : (والبيض ترجف في الأعاد . .) وجدت
يشير إلى طائفة هذه السيوف وليوتها ، ولقد أحسن الشاعر عندما بين فلسفة
الاضطراب بقوله : (من ظمأ) تدفع بذلك ظن من يتوهم أنها تضطرب خوفا
مثلا ، وأيضا أحسن في قوله عن الراح : (والسمر تهدي في الأيمان من قسم)
فإذا كانت السيوف ستروى ظمأها بدماء الأعداء ، فإن الراح ستذهب جوعها
بأجسادهم .

ولا يخفى ما في قوله : (من كل مطرد لولا علاقه لمابق الموت . .) من
إشارة لطيفة إلى حرص هذه الراح على النيل من هؤلاء الأعداء ، وشدة
تلهبها على لحومهم .

(١) كشف النقبة في مدح سيد الأمة ص ٢٩ وراحدها .

(٢) ترجف : اضطرب - السمر : الراح .

(٣) مطرد : الراج .

(٤) الأرقم : أخفت الحيات . حقة : - يضم فتح - السم - يمثل : ينقرع

أهنة الرقيم : العواد الضيفة والداغية .

ولقد شبه الرمح بحية خبيثة في رأسها السم الزخاف الذي يهيب قلوب
 هؤلاء الكفار إصابة مؤكدة لا يرونها حياة معها ، كل ذلك في قوله :
 (كأنه أرقم في رأسه حمة ٠٠) .

إن الفاظ الشاعر مناسبة لفكرته ، ولمنه قيد (البيض بأنهم ترجف في الأغناد)
 إشارة إلى أن المسلمين كانوا حريصين على فتح مكة سلمًا .
 ويصف الجيش وأسلحته ، أشار البارودي إلى دخول الرسول مكة بقوله (١) :
 فلم يزل سائرا حتى أناف علسي

أرباض مكة بالفرسان والبهائم (٢)
 ولفهم بخصم لو يشد طمسسي

أركان رضوى لأضحي مائل الدم (٣)
 فأقبلوا يسألون الصفح حين رأوا

أن اللجاجة مدعاة إلى الندم
 ريموا فذلوا ولوطاشوا لقرنم

ضرب يفرق منهم مجمع اللمم (٤)
 ذاقوا الردى جهرا فاستسلموا جرمما

للصلح ، والحرب عتاة إلى الملم
 وأقبل النصر يتلو وهو متمسم

(المجد للسيف ليس المجد للقلم)

واصل الرسول (صلى الله عليه وسلم) سيره مع جيش المسلمين حتى اقترب
 من مكة فقسم الجيش وأمر كل قسم بالدخول من ناحية بحيث يقطع الجيش كله مكة - دين
 قتال - فلما رأى أهل مكة جيش المسلمين يحيط بهم من كل ناحية خافوا وطلبوا
 الصفح من الرسول (صلى الله عليه وسلم) على ما سلف منهم ، وذلك فتحت مكة سلمًا .
 وإذا تأملت قول البارودي : (ولفهم بخصم ٠٠) وجدتته يلح إلى ما قام
 به الرسول (صلى الله عليه وسلم) من تقسيم الجيش إلى عدة فرق وكل فرقة تدخل مكة من
 طرف (٥) .

-
- (١) كشف الغمة في مدح سيد الأمتي ٤٠ (٢) أرباض مكة : الفضاء الذي حولها .
 (٣) رضوى : - بفتح فسكون مع القصر - اسم جبل بالمدينة .
 (٤) ريموا : فزعوا - وقرنم : سقمهم . (٥) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢ وما بعده .

كما أن حديثه عن جيش المسلمين : (.. لو يشد على أركان رضى ..)
يشير إلى كثرة ذلك الجيش إذ بلغ عدده عشرة آلاف تقريباً (١) ، فكسان
من الطبيعي أن يفتخ أهل مكة من هذا العدد الكبير ، ولذلك (أقبلوا
بمألون الصنع ١٠٠) ، لأنهم رأوا أنه لا يقل لهم بهولاً ، الفرمان (فاصطلموا
جوتا للصنع ١٠٠) .

ثم أشار الهارودي إلى حكمة صادقة وهي : (الحرب مرقاة للمسي
المسلم) وليس المقصود الحرب لذاتها ، وإنما المقصود الإشارة إلى أن القوة
- غالباً - تجلب الهيبة ، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) خرج من مكسة
مهاجراً إلى المدينة عندما كان المسلمون قليلي العدد ، واشتد أعداؤهم
الشركيون بهم ، بل تأمروا عليهم ، واليوم - يوم فتح مكة - عاد الرسول
إلى مكة ، ولكنها عودة قوة بجيش : (لو يشد على أركان رضى لأضحى
بائل الدم) ، لماذا يفعل أهل مكة أمام ذلك الجيش ، إنهم لم يفعلوا
شيئاً ، لأن قائد الجيش وهو - الرسول - (صلى الله عليه وسلم) قد مألهم
: ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : غيبرا ، أخ كريم .. قال : اذهبوا
فأنتم الطلقاء (٢) ، فأعلن فتوه صراحة بعد أن دخل مكة : (وأقبل النصر
يتلوه ويهتفون) (٣) ، إنها عبارة لطيفة فيها تشخيص وإيحاء ، عظيمة
ذلك النصر الذي كان يهتفون عندما كان يقرأ : (المجد للمجد ليس المجد
للقلم) ، إن هذه العبارة تؤكد القول السابق : (الحرب مرقاة إلى المسلم)
- من جهة - ومن جهة ثانية تدل على أن الهارودي قد تأثر في شمسوه
بالمقضى ، إذ هي من قوله : (٤) :

حق رجعت وأقلص قوائل لس

(المجد للمجد ليس المجد للقلم)

(١) المرجع السابق ج ٤ ص : ١٣ .

(٢) المرجع السابق ج ٤ ص : ٢٦ .

(٣) ديوان المقضى (بشرح المكي) ج ٢ ص : ٤٢٢ .

ومهما يكن من شيء . فلقد كان فتح مكة أمرا عظيما . جعل الشاعر يقول (٧) :

يا حائر اللب عذا الحق قاض له
تسلم . وهذا سهيل الرشد فاقضهم (٧)
لا يصر عنك وتهم بت قرقمهم
إن التوهم حلف العاجز الوضهم (٨)
عذا النبي وذاك الجيش فتقسمهم
مل . القضا فاستحق للخير فتقسمهم
فالمن حياء تجد ما شئت من أرب
وشم نداه إذا ما البرقلم يثسمهم (٩)
واحلل رحالك وانزل نحو مدسمهم
فإنها عصمة من أعظم المصهم (١٠)
أحيا به الله أموات القلوب كسما
أحيا التبات بغض الوابل السر دم

ينصح الشاعر الحائر المتوهم بانحاج الدين الإسلامي بلأنه هو الحق الذي في اتجاه السلامة . أما مداه من الأفكار والمعتقدات . لها حسي إلا وتهم فاصد . واعتقاد خاطئ . والدليل على ذلك وجود الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقد آمن به ذلك الجيش المنتصر (مل : القضا) . مل كل يوم يؤمن به كثيرون (فاستحق للخير فتقسم) . وأدخل في دين الله تسلم . وشكك بمنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكرم . ومن الزلزل تميم .

وإذا تأملت قول الشاعر : (لا يصر عنك وتهم) . وجدته يشير إلى أن

-
- (١) كشف القصة في مدح سيد الأمة ع . وابعدها .
 - (٢) اللب : - بضم اللام مشددة : العقل .
 - (٣) الوهم : بفتح نون : الظن .
 - (٤) أرب : - بفتح نون : حاجة . شم نداه : اطلب بصوته .
 - (٥) مدته : المراد صاحبه .

الدين الإسلامي هو الدين الحق ، أما ما عداه فهو زعم فاسد ، يدفع صاحبه إلى الاعتقاد بغيره ، وهذا ما أشار إليه بقوله : (إن التوهم حثف المايجز الوهم) وهو قول حكيم ، وحكمة صادقة تحذر من التوهم .

ولقد أشار الشاعر إلى مغزلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله :
(فالزم حماه تجده ما شئت من أرب) كما أشار إلى كرمه بقوله : (وشسم نداه إذا ما البرق لم يشم) والمراد : اطلب مصروفه في وقت الشدة ، وفي وقت الجذب ، تجده جودا كبيرا وخيرا كثيرا ، ثم أكد ذلك بقوله : (واجلس رحالك وانزل نحو مدته) .

ولا يخفى ما في قوله : (أحبابه الله أموات القلوب) من بيان أثر بحثة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الناس ، كما أن في قوله : (كما أحيا النبات بفيض الوابل الرزم) تشبيها لطيفا وضح الممنوى وبين أثره .

ولقد كان فضل الله على رسوله عظيما - عندما فتح مكة حلا - ولذلك أشار البارودي إلى ما قام به الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما تمت هذه النعمة بقوله : (١)

حتى إذا تم أمر الصلح وانتظمت
به عقود الأمانى أى منتظم
قام النبی بشكر الله منتصباً
والشكر في كل حال كائن النعم
وظاف بالبيت سبها فوق راحلة
قوداً* ناجية أمضى من النسم (٢)
فما أشار إلى بد بحجته
إلا شوى ليد مخلولة ونسم (٣)

(١) كشف النعمة في مدح سيد الأمة ص ٤١ .

(٢) قوداً* : - يفتح فسكون - طويلة الظهر والعنق . ناجية : سريعة - النسم : يفتحان - الريح .

(٣) بد : - يضم الباء - الضم . المحجن : يكمر المم وسكون الحاء وفتح الجيم - المضى المموجة الرأس .

نعم تم الصلح • وانتشر السلام • فشكر الرسول به • وطاق بالبهت
سهما • كما قضى على الأصنام التي كانت حول الكعبة •

ولا يخفى ما في قول البارودي : (حتى إذا تم أمر الصلح ••) من
إشارة لطيفة إلى أن السلام قد انتشر • وأن الأمن قد هم • ولذلك كان
عسان ذلك الصلح عظيما • إنه (انتظمت به عقود الأمانى أى منتظم) •

ولعل الشاعر أراد بقوله : (والشكر في كل حال كافل النعم) بيان
أثر الشكر • ولعله يلح بذلك إلى قوله تعالى : " لئن شكرتم لأزيدنكم " •
•• الآية (١) ••

والشاعر يلح بقوله : (فما أثار إلى به ••) إلى ما روى أن الرسول
(صلى الله عليه وسلم) عندما دخل مكة وطاق بالبهت • وجد أصناما حرس
الكعبة • فجعل يفسر بفتنه في يده إليها ويقول : " جَاءَ الْحَسْبُ
وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا " (١) • فما أثار إلى صنم منهن
إلا وقع •• (٢)

ولا يخفى أن في قوله : (لهد مغلوله وهم) كتابة عن سكوت حسنة
الأصنام وسكونها • وهم استطاعوا الكلام أو الدافع عن نفسها • وفي هذا
تحقير لها ولعن يهودها من دون الله •

فصل في حنين : (٣)

ثم انتقل البارودي إلى الحديث عن غزوة حنين بقوله (٤) :

وفي (حنين) إذ ارتدت (هوازن) عن

قصد الميول ولم ترجع إلى الحكم (٥)

(١) إبراهيم/ ٧٠ (٢) الإسراء/ ٨١ (٣) حياة ابن هشام ج ٤ ص ٢٠

(٤) سبق التعريف بها في هامش ص ١٤١ من هذه الرسالة •

(٥) كشف الفتنة في مدح سيد الأمة ص ٤١ •

(٦) هوازن : - يفتح الياء - والواز - إحدى قبائل العرب - الحكم : المراد به
دريهين الصفة • وكان شيخا كبيرا اشترك مع هوازن برأيه ومقرته بالحرب • ولقد
أشار برجوع النساء والأولاد ولكن لم يؤخذ برأيه قتل سنة ٨ هـ •

- سرى إليها بهجر من طلمسة
 طامس السراة بهج الهض طلم (١)
 حتى استذلت وادت بعد نخوتها
 تلقى إلى كل من لقاء بالمسلم (٢)
 هم (الطائف) الفناء ثم خسى
 ضيا إلى أجل نرا لنهب مكسهم (٣)

وبفتح مكة سقطت دولة الأصنام ، وادت للإسلام جموع العرب ، إلا
 قبيلة هوازن التي قال أشرافها : " قد فرغ صعد من قتال ثومة ، فلننزه
 قبل أن يفتونا (٤) " ، ولما سمع الرسول ذلك جمع جيشا كبيرا وخسرج
 إليهم ، وقاتلهم قتالا هروا حتى انتصر عليهم ، وأمر بقتلهم ، كما نسر
 بعضهم إلى الطائف فتوجه إليها الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحاصر
 أهلها مدة ثم تركهم ورجع دليما به ، قائلا : " اللهم اهد ثقيلبا ،
 واث بهم (٥) " .

وإذا تأملت قول الهارودي : (سرى إليها بهجر من طلمة ٠٠) وجدته
 يشير إلى كثرة جيش المسلمين ، كما أن قوله عن هوازن : (حتى استذلت
 وادت بعد نخوتها ٠٠) يشير إلى عدة عنضها .

غزوة تبوك : (٦)

ولقد أشار الهارودي إلى غزوة تبوك بقوله (٧) :

- (١) طلمة : - بهم نفتح فسكون - الجماعة من الجيش كثيرة العدد . طامس
 السراة : المراد عرتفج .
 (٢) نخوتها : عظمتها ، والمراد تعددها .
 (٣) الطائف : بلدة قريبة من مكة ، الفناء : - بفتح الفاء وشديد النون - المراد
 كثرة الأعداء والأغنياء والنواكح وغيرها .
 (٤) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ٢٢٩
 (٥) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٠٢ و (ثقف) إحدى قبائل العرب .
 (٦) تبوك : - بفتح تميم - موضع في بادية الشام .
 (٧) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٤٢ .

وحين أوفى على وادي توك مضي
إليه ما كتبها طويها بلا رضم^١
فصالحوه وأدوا الجنة ورضوا
بحكمه وتيسر الرشد لم يهيم
ألقى بها عين ما لا تفر قصه
دعا لها انفجرت عن سائح منقسم^(١)
وراد الفيت فأنهلت بسوادرة
بعد الجسد بهطل وضججهم
وأم طيفة صرخوا بهودتسسه
يطشون المنازل بالوخادة الرسم

بلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن الروم جمعت الجوع تروى
غزو بلاده ، نجهز جيشا كبيرا ، وخرج إليهم ، ولما وصل إلى تيسوك
لم يجد جيشا كما سمع ، فأقام هناك أياما ففجأه صاحب (أيلة) وأهمل
(جربا) وأهل (أذرج)^(٢) وظهرهم ، فصالحوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
عليه وسلم) على إعطاء الجزية^(٣) .

وإذا تأملت قول الشاعر : (وحين أوفى على وادي توك) وجدته
يشير إلى أن أهل هذه البلاد قد أتوا رسول الله (طويها بلا رضم)
ولم يردوا حربا ، بل : (أدوا الجنة ورضوا بحكمه) .

وأحسن الشاعر في قوله : (تيسر الرشد لم يهيم) لأنه حكمته
صادقة تحت على التفكير السديد ، وتبين طاقبة العقل الرشيد .

ولقد أشار الهارودي إلى ما ذكرته بعض كتب الهجرة ، من أن الناس
في تلك الفترة - قد أصبحوا ولما بهم ، فشكوا ذلك إلى رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) فدعا الرسول ربه فأرسل الله (سبحانه وتعالى)
سحابة فأظلمت حتى ارتوى الناس واحتلوا حاجتهم من الماء^(٤) .

(١) لا تفر : لا تعزل . (٢) (أيلة وجربا) وأذرج (أساء) قرى قريبة من توك .

(٣) نحو الذين في هجرة سيد المرسلين ص ٤٨ .

(٤) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٢٥ .

ولما عاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة • لم يلبث
إلا قليلا حتى تواتت الوفود عليه • وهذا ما أشار إليه الشاعر في قوله (١) :

ثم استقبلت وفود الناس قاطبة
إلى حياء فلاقته وأمر الكسوم
فكان عام وفود كلها انصرفست
مصابة أتت على أخرى على قسوم

توافدت الوفود على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان ممن
بينهم : وفد بني كلاب ووفد بني سعد بن بكر • ووفد بني ثعلبة ووفد
بني نزار وغيرهم (٢)

ثم أشار الهارودي إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد أرسل
رسلا من قبله لبعض الملوك في قوله (٣) :

وأرسل الرسل تترى للملوك بما
فيه بلاغ لأهل الذكر والنهي

ولقد كان رد هؤلاء الملوك مختلفا، فمنهم من رد ردا حمنا، مثل : القوقس
ملك مصر • والنجاش ملك الحبشة، ومنهم من رد ردا سيئا، مثل : كسرى
ملك الفرس وغيره (٤)

بقية الصرايا :

وأشار الهارودي إلى كثير من مرابا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
في قوله (٥) :

-
- (١) كشف الغمة في طبخ سيد الأمة ص ٤٢ •
(٢) انظر طبقات ابن سعد ج ١ ق ٢ ص ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ •
(٣) كشف الغمة في طبخ سيد الأمة ص ٤٢ •
(٤) طبقات ابن سعد ج ١ ق ٢ ص ١٥ و ١٦ •
(٥) كشف الغمة في طبخ سيد الأمة ص ٤٢ •

- وأم (غالب) أكافد (الكديد) إلى
 (بنى الطلح) فاستولى على النعم (١)
 وحين خانت (جذام) قل شوكتها
 (زيد) يجمع لرهط الشرك فقتلهم (٢)
 وسار متحيا (وادي القرى) متحيا
 (بنى فزارة) أصل اللوم ، والقسمة (٣)
 وأم خير (عبد الله) في تفسير
 إلى (المير) غارذاه بلا أعسم (٤)
 هم (ابن أنس) عرض (نخلة) إذ
 طفي (ابن نو) فأصاه ولم يخسم (٥)

لقد اتجه غالب بن عبد الله إلى بنى الطلح بالكديد ، فاستولى على
 بعض أهلهم ، كما اتجه زيد بن حارثة إلى جذام ، ثم إلى وادي القسري
 حيث قاتل بنى فزارة ، وسار عبد الله بن رواحة إلى أمير بن رزام
 اليهودي بخير فقتله ، ثم قصد عبد الله بن أنس إلى نخلة فقتل
 أبا صفيان بن خالد الهذلي لأنه كان يريد محاربة رسول الله .

ثم أشار البارودي إلى بعض السرايا الأخرى بقوله (٦) :
 ثم استقل (ابن حصن) فاحتوت يده

على (بنى المنبر) الطرار والشجر (٧)

- (١) غالب : هو غالب بن عبد الله اللحي صاحب جليل توفي سنة ٦ هـ وقيل غير ذلك
 (أسد الغابة ج ٤ ص ٢٣٦) الكديد : بفتح الكاف وكسر الدال - أسم ماء
 بالقرب من صفان .
 (٢) جذام : قبيلة عربية كانت بالقرب من وادي القرى .
 (٣) بنو فزارة : قبيلة عربية كانت بوادي القرى .
 (٤) عبد الله : هو عبد الله بن رواحة - المير بن رزام اليهودي كان يجمع جيشا
 لمحاربة الرسول (صلى الله عليه وسلم) قتل سنة ٦ هـ .
 (٥) ابن أنس هو : عبد الله بن أنس صاحب جليل - مات سنة ٤ هـ (طبقات ابن
 سعد ج ٢ ق ١ ص ٢٣٦) وابن نو : نوابو صفيان بن خالد الهذلي قتل
 سنة ٤ هـ .
 (٦) كلف النخلة في مدح سيد الأمة ص ٤٣ .
 (٧) ابن حصن نو : عبيدة بن حصن بن بدر ، أسلم بعد الفتح ، ولم تعرف سنة وفاته ،
 (أسد الغابة ج ٤ ص ٢٣١) (بنى المنبر) : بطن من بنى تميم - إحدى =

- وسار (عرو) إلى (ذات السلاسل) في
 (١) جمع لهما لجيش الشرك مصطلسم
 وغزوات لمهد الله • ولحسب سدة
 إلى (رفاعة) والأخرى إلى (إضم) (٢)
 وسار جمع (ابن عوف) نحو (دومة) كى
 بفعل صوة أهل الزور والنهب (٣)
 وأم بالخيول (سيف البحر) مقترضا
 (أبو عبيدة) في صياغة حشم (٤)
 وسار (عرو) إلى (أم القسري) لأبسى
 سفيان لكن عدته مهلة القسسم (٥)
 وأم (مدين) زيد فاحتوت بسسبده
 على العدو وماق الصبي كالقنسم (٦)

اتجه عبيدة بن حصن إلى بني المنبر • كما سار عرو بن المسماص
 إلى ذات السلاسل بجيش كبير • وقصد عهد الله بن عنك خير لقتل رفاعة
 الجشى لأنه أراد محاربة الرسول • كما قصد إضم في نفر من المسلمين •
 وسار عهد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل • واتجه أبو عبيدة إلى سيف
 البحر في جيش كبير • كما قصد عرو بن أمية مكة لقتال أبي سفيان • ولكن
 نزلته • واتجه زيد بن حارثة إلى مدين فقاتل الأعداء • وصلى كسيرا
 من نساءهم وأولادهم •

- القبائل المربية - الطرار : المختلسون • الشجم : - يضمون - الخيلاء •
 (١) (عرو) : هو عرو بن الماص صاحب جليل توفي سنة ٤٢ هـ وقيل : غير ذلك
 (أسد الغابة ج ٤ ص ٢٤٥) ذات السلاسل : اسم موضع من أرض بني عذرة
 قريبا لمدينة •
 (٢) المراد بقوله : (غزوات) : سريتان • (عهد الله) هو : عبد الله بن أبي
 حذرد الأسلمى صاحب جليل توفي سنة ١٢ هـ وقيل : غير ذلك (أسد الغابة ج
 ٢ ص ٣٠٦) • رفاعة : هو رفاعة بن قيس الجشى قتل سنة ٦ هـ •
 (٣) (ابن عوف) : هو عهد الرحمن بن عوف صاحب جليل • توفي سنة ٣١ هـ (أسد
 الغابة ج ٢ ص ٤٨٠) • (٤) أبو عبيدة : أبو عبيدة عامر بن الجراح صاحب
 جليل توفي سنة ١٨ هـ (أسد الغابة ج ٢ ص ١٢٨)
 (٥) عرو : هو عرو بن أمية الضمري صاحب جليل قتل آخر أيام معاوية سنة ٨ هـ
 وقيل غير ذلك (أسد الغابة ج ٤ ص ١١٢) (٦) مدين : قرية بالشام •

ثم ذكر البارودي ما بقى من سرايا الرسول (صلى الله عليه وسلم) فسمى قوله (١) :

- وقام (سالم) بالمضرب الجراز إلى
 (أبى غيث) فأرداه ولم يجم (٢)
 وانقضى ليلا (عير) بالحمام طسى
 (عصاة) حتى سقطت عظم العدم (٣)
 وسار بعث فلم يخطى * (ثمانية) إذ
 رآه فاحتاره غما ولم يلمس (٤)
 ذاك الهمام الذى لى بكة إذ
 أنسى بها ملنا فى الأقطار الحمر
 ومث (طقة) استقرى المدو حتى
 فلم يجد فى خلال الحى من أرم (٥)
 ورد كمر إلى المذراة من غسديوا
 (يسار) حتى لقوا برحا من الشجر (٦)
 وسار بعث ابن زيد للشام فلمس
 يلمس أن انقضى كالبازى طى الهم (٧)

- (١) كشف الغمة فى مدح سيد الأئمة ص ٤٢ .
 (٢) سالم هو سالم بن عير صحابى جليل * توفى فى خلافة معاوية (أمد الغاية ج ٤ ص ٣١١) . (أبو غيث) هو أبو غيث - يقال أبو غيث - أحد المنافقين *
 (٣) عير هو عير بن عدى الغطس صحابى جليل (لم تمر سنة وفاته) - (أمد الغاية ج ٤ ص ٢٨٥) وعصاة هى : عصاة بنت مروان كانت قد نالت قتل سنة ٢٠ هـ .
 (٤) ثمانية هو : ثمانية بن أثال العنشى أسلم وحسن إسلامه * توفى سنة ١٢ هـ .
 (المرجع السابق ج ١ ص ٢٩٥)
 (٥) طقة هو : طقة بن جندب * صحابى جليل قتل فى عهد عمر بالحبشة (المرجع السابق ج ٤ ص ٨٢) .
 (٦) كمر هو كمر بن جابر صحابى جليل قتل سنة ٨ هـ * وقيل غير ذلك (المرجع السابق ج ٤ ص ٤٦٨) المذراة : المراد بها المدينة * يسار : عهد كان يرى لقاح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقتله بعض الجهل من وأخذوا اللقاح وعمروا (سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٩١) .
 (٧) ابن زيد هو : أسامة بن زيد بن حارثة صحابى جليل توفى فى آخر أيام معاوية سنة ٥٨ هـ وقيل : غير ذلك (أمد الغاية ج ١ ص ٢٩١ وما بعدها) .

لقد خرج سالم بن عوف على رأس سوية لقتل أبي غنيم عندما ظهر
نفاقه (١) . كما انتفض عوف بن هدي على حماد بنث مروان فقتلها لأنها نافقت
أيضا (٢) . وأسرت ثمانية الحنفى، ولكنه أسلم . وذهب إلى مكة مختصرا
- بعد إسلامه - وكان يلبي قبل دخوله مكة وأخذ يلبي بعد دخولها أيضا
حتى أخذته قريش لتضرب عنقه . ولكن قائلا بينهم : قال : دعوه لأنكم تحتاجون
إلى البعثة في طعناكم فخلوه . فقال الحنفى بعد ذلك :

وينا الذى لبي بكة معلننا

برقم أبى سفبان فى الأشهر الحرم (٣)

ولعل البارودى تأثر فى قوله هـ :

ذاك البهائم الذى يمسك إذ . . أتى بها معلننا فى الأشهر الحرم

بما قاله هو عن نفسه، فى البيت السابق .

كما أرسل الرسول علفة بن مجز فى سرية إلى الحبشة ولكنه لم يلبس كيسان
لمرجع (٤) ، وخرج كهزبن جابر على رأس سوية استطاعت أن تود هؤلاء الذين
قتلوا (سارا) إلى المدينة، حيث قتلوا جميعا (٥) . وأرسل الرسول أسامة بن زيد
على رأس سوية إلى الشام (٦) .

ثم أشار البارودى إلى سبب نظم تلك الغزوات والبرايا بقوله (٧) :

فهذه الغزوات الغر شاملة

جميع البعث كدر لاج فسى نظم

نظمها راجيا نيل النفاة من

خير البرايا وولى العرب والمجسم

(١) المرجع السابق ج ٤ ص ٢٨٢ .

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٨٤ .

(٢) المرجع السابق ج ٤ ص ٢٨٩ .

(٢) المرجع السابق ج ٤ ص ٢٨٨ .

(٣) المرجع السابق ج ٤ ص ٢٩١ .

(٥) المرجع السابق ج ٤ ص ٢٩٠ .

(٧) كشف الغمة فى مدح سيد الأمة ص ٤٢ وما بعدها .

هو النبي الذي لولاه ما قبلت
وجاة آدم لما نزل نسي القدم

إن الشاعر قد نظم غزوات الرسول وسواياه واجيا قبل شفاة التي لولاه
مقام صاحبها عند الله ما قبل توبة آدم عليه السلام . ولعل الشاعر يلح بذلك
إلى ما ورد في بعض كتب السيرة من أن الله قد غفرا لآدم غمضا فحصل
إليه بالرسول (صلى الله عليه وسلم) . (١)

البيروني يروي عن رسول الله : (٢)

حسبي بظلمته الفراء فخره
لما التقيت به في عالم الحليم
وقد حياني صاء فاحصت بهيما
في كل حول فلم أفرج ولم أهرم
فهي التي كان يحبو مثلها كرمها
لحين بود وحسبي نعمة بهيم
لم ألقى من بعدها . اكنيت أحذره
وكيف وهي التي تتجس من الغم
كفى بها نعمة تملو بهيم
نفسى وإن كنت سلوا من القيسم

يشير الشاعر - فخرنا - إلى أنه رأى الرسول (صلى الله عليه وسلم) في
النام . وقد أهدى إليه صاء التي كان يهدي مثلها إلى من يحبه . ولقد
أدخلت تلك الرويا السرور على قلب الشاعر . وجملة يتصك بالمصا الكريمة -
تسكا معنا - التي جملة ينبت أمام الشدائد غير خائف منها .

ولعل في قول الشاعر : (حسبي بظلمته الفراء فخره) ما يشير إلى
مقدار ما أدخلته هذه الرويا من سرور على نفس الشاعر . وحتى له ذلك . إذ رويها

(١) شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٤٢ وأبعدها .

(٢) كشف الغم في مدح سيد الأئمة ص ٤٤ .

الرسول شرف كبير ولا تتأتى إلا لمن هام قلبه بحب الرسول (صلى الله عليه وسلم) حبا صادقا ، ولعل ما زاد فوج الشاعر تلك المصا التي أهداهما الرسول إليه ، وتمت بها الشاعر فأصبح (لا يفرغ ولا يهم) ووجد قيمة تلك المصا هذا الجاز العفلى في قول الشاعر : (وهي التي تتجى من الفهم) ، بل إن الشاعر ليعدها نعمة عظيمة : (كفى بها نعمة تملس بوقبضها نفس) .

والشاعر يلح بقوله : (فهي التي كان يحبو قلبها كوما) إلى بعض الصحابة الذين أعطاهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) عشاء مثل : عبد الله ابن أبيه ، الذي ذكرت بعض كتب السيرة أن الرسول أعطاه عشاء ، وقال له : تخمض بهذه في الجنة . . . (١) وفي رواية " أنه سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائلا : لم أعطيتني هذه المصا ؟ فقال له : آية بيئتي يوم القيامة ، إن أقل الناس المتخفرون - الذين يتكثرون على العيص - يومئذ ، فقرنها عبد الله بسيفه فلم تنزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فتمت في كنفه ثم دفنا جسيما (٢) .

ويبدو أن الهايودي أشار بقوله : (. . . وإن كنت سلحا من القيم) إلى أنه في ذلك الوقت - وقت الروما - كان سلحهم الحرية بنفهم من بلدهم بعيدا عن أهلهم وأحبابهم ، ومع ذلك فقد فوج بروما الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأنها أصبحت خير سلوى لنفسه التي تحدث عنها بقوله (٣) :

وما أبوى نفسي وهي آسورة
بالصو ما لم تعقبها خيفة الندم
فياندامة شسى في المصاد إذا
تمود المرء خوف النطق بالهكم

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ في ١ ص ٢٦٠ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٦٦٨ .

(٣) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٤٤ .

يوضح الشاعر أنه لا يهوى نفسه ما اقترفته ، لأنها يطعمها آسورة بالسوء ، ما لم ينمها هذه خوف الندم يوم القيامة ، ثم تدجب الشاعر من هول الندم في ذلك اليوم ، وخاصة هذا يوم يوتر الإنسان عدم الاعتراف بالذنوب ، خشية إعلان فضائحه وأثامه التي اكتسبها .

ولا يخفى أن الشاعر مقتبس من القرآن الكريم قوله : (وما أبهى نفس) كما أنه تأثر في حديثه عن النفس بالهوسبوى — كما سبق — ولكنه تصرف في هذا الحديث تصرفاً حسناً — كما سيأتى —

ولعل قول البارودى : (فيأندامة نفس في العماء ٠٠) يشعروهم غمهم من ذنوبه ، إلا أنه ذكر أن ألمه في هو الله كبيره وذلك في قوله (١)

لكننى واثق بالمقو من ملوك
يحفو برحمته من كل مجرم
سوف أبلغ آمالى وإن عظمت
جرائسى يوم ألقى صاحب العلم
هو الذى ينهش الكرب إذا غقت
به الزاها صفى كل ذى عدم
هوهات يخذل مولاه وشامسوره
فى الحشو ، وهو كريم النفس والشيم
فمدحه رأس مالى يوم صفى سوري
وجهه من نفس عد مهتمسورى
وهبت نفس له حبا وكريمسورة
قليل تروانى بلغت المول من ملهى

إذا كان من شأن الإنسان الخطأ ، فإن من واجبه أن يتوب إلى الله وأن لا ييأس من رحمة الله ، ولذلك نجد البارودى قد اتهم نفسه بسوء الفعل ، وعظيم الجرم ، ولكنه هنا قد ندم على تفريطه ، ثم أكد ثقته في هو الله ،

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأئمة ص ٤٤ .

وفي رحمته الواسعة ، بل زاد تأكده بأنه سوف يبلغ كل آمله - سيما عظمت جرائمه - يوم يلقى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ به تفك الكرب ، وحل المشاكل ، ويأتى الفنى - فى الدنيا - وهيبات أن يخذل شاعره فى الآخرة بعدما كان سبها فى نصره فى الدنيا .

إن أمل الشاعر فى هو الله كبير ، ضسيرا إلى ذلك أنه : (هو من ملك بعفو برحمته) ، فما دام صاحب المفو طكا ، وصاحب الذنب عدا ، وقد أنسر الممد بذنبه لولاه ، وتوسل إليه بحبيبه وصطفاه - صاحب العلم - فهيبات أن يخذل الرب عبده ، وهيبات أن ينسى الحبيب شاعره .

ولعل آمال الشاعر التى يتطلع إليها هى التى وضعها فى قوله : (هو الذى يندس الكرب) وتتخلص فى فت الكرب وحل المشاكل ، ولا شك فى أنها آمال نبوة ، دفع الشاعر إليها : غيبته فى منقاه ، إذ كان هذا النفى شديدا على نفسه ، ولذلك كان كثير الإشارة إليه ، دائم الشكوى منه .

وسا يلهد ذلك أنه أتى بقوله : (هيبات يخذل وللاه وشاعره فى الحشر) . وعذا فى الآخرة ، ثم عاد فيهن أن مدحه الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو رأس ماله يوم صفيره ، كما أن حبه عز نفسه عد ظلمه وذله ، والظلم لا يكون إلا فى الدنيا ، ولعل هذا يرجع أن اليوم الذى نفى فيه لقاء (صاحب - العلم) هو اليوم الذى يستطيع فيه زبوة الرسول (عليه الصلاة والسلام) ، بحمد حج بيت الله الحرام ، وبوعد ذلك أنه كان شديد الاشتياق إلى حج بيت الله ، كما سيأتى الحديث عد قوله : (فهل إلى زبوة يحيا القوط بها) .

ويبلغ حب الشاعر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بلفظا كبيرا ، فيهب نفسه له ، ثم يتسائل بعد ذلك : (هل ترائى بلغت الرسول من ملهى) ، ويبدو أنه لم يعلم من الأذى ، ولم يبلغ سوله من السلم ، لأنه قال (١) :

(١) كشف الغمة فى مدح سيد الأمة ص ٤٤ وما بعدها

إني وإن مال بي دهرى وروح يمسى
 ضم أشاط على جبر النوى أدمسى
 لثابت المهد لم يحلل قوى أطمسى
 يأس و لم تخط بي فى سلوة ندمسى
 لم يترك الدهر لى ما أستمين به
 على التجمل إلا ساعدى ونسسى
 هذا يحسن مدحى فى الرسل وذا
 يتلو على الناس ما أوحيه من كلسى

يبين البارودى - فى هذه الأبيات - مدى ما ألت به الخطوب و وقع عليه الظلم إذ جرد من رتبه و أخذ ماله و وثقى من وطنه و أصبح غريباً عن أهله وأصحابه و مع كل هذا لم تخط قدمه نحو الهأس خطوة و لم يمسر يفسر الودن إلى نفسه لحظة و على الرغم من أن الدهر ما زال يلاحقه بالصائب و لم يترك له ما يساعده على الصبر إلا يده و فنه و فأما بعده: فيحير بها مدحه فى الرسل (صلى الله عليه وسلم) و وأما عنه: فهو الذى يسع الناس هذا المديح .

ولصل الشاعر بشير بقوله : (لم يترك الدهر ما أستمين به) إلى ما أعياه فى النفس من مرض نحل جسمه و أضعف بصره و بالإضافة إلى سى وفاة زوجته ومرض أولاده و ولقيف من أصحابه و إذ كانت تلهفه أنها وفاتهم - وهو بعيد عنهم - فلم يملك إلا أن يكمهم فى قصائد بكاء حاراً .

ولاحظ أن الشاعر كثيراً ما ينصب وقوع ما ألم به إلى الدهر مثل : (مال بي دهرى - لم يترك الدهر) مما يوهم بسخطه و إلا أنه فى مقدمة ديوانه قال : " ٠٠ وقد يقف الناظر فى ديوانى هذا على أبيات قلتها فسى شكوى الزمان و فيظن بى سوء من غير روية يجيلها و ولا عذرة يستبينها - فإني إن ذكرت الدهر و فإني أقصد به العالم الأرضى لكونه فيه و من قبيل ذكر الشئ باسم غيره لجوارته إياه و كقوله تعالى : " وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ " (١) أى - أهل القرية) فهو كما ترى يعبر بطريق المجاز .

ولما ذكر الشاعر أن بدءه تحبير مدائحه في الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصفه بنشر ذلك المديح ، خاطب الرسول بقوله (١) :

يا سيد الكواثر غدا إن أمنت فلي
بحبكم صلة تغنى عن الرحم
كفى سلمان لى فخرا إذا انتسبت
نفسى لكم مثله فى زمرة الحشم (٢)
وحسن ظنى بكم إن مت بكللى
من هول ما ألقى فى ظلمة الرجم
تالله ما عاقنى عن حكم شجى
لكننى موثق فى ربة السلم
فهل إلى زورة يحيا القواد بهما
ذريعة أبتغيها قبل مختومى

يعنى الشاعر أن يكون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سببا فى شؤ الله به إذا أتم ، لأنه يحبه حبا قويا ، تفوق قوته صلة الرحم ، مثلما انتسب سلمان إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومثله وحولا بيت لآل البيت بصلته النسب ، ثم يعنى الشاعر أن يكون فى زمرة خدم الرسول ، وبين أنه لم ينعمه من ثباته حزن ، ولكنه مقيد الحرية ، سلوب الإيالة ، ويشوق إلى زيارة المصطفى (عليه الصلاة والسلام) وحج بيت الله الحرام ، لمل ثواب ذلك ينفعه فى الآخرة .

ولا يخفى أن الشاعر قد تأثر بمن سبقه فى وصفه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه (سيد الكواثر) (٣) ، كما أنه يلمح بقوله : (كفى سلمان لى فخرا) إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " سلمان منا أهل البيت " (٤) وسلم أن سلمان (رضي الله عنه) كان يخدم الرسول ، وكان الرسول يحبه

(١) كشف الغمة فى مدح سيد الأمة ص ٤٥٠

(٢) سلمان : هو سلمان الفارسي أبو عبد الله أسلم وحسن إسلامه ، واشترك فى بعض الغزوات مع الرسول ، توفى سنة ٣٥ هـ وقيل : غير ذلك (أسد الغابة ج ٢ ص ٤١٧) .

(٣) انظر ص ١٢ من هذه الرسالة . (٤) أسد الغابة ج ٢ ص ٤١٧ .

على الرغم من أنه كان فارسي الأصل • ولما كان البارودي فارسي الأصل
أيضاً • انتخر بخدمة سلمان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومنى أن يكون
خادماً للرسول مثله • لعله يحظى بحب رسول الله • وخال شفاعته •

ولقد عانى الشاعر عدة نفيه • فظل يفكر غربته ولذلك يقول (١) :

شكوت بشي إلى ربي لنصف نفسي

من كل يساغ عهد الجور أو همكم (٢)

كيف أرحب حيفاً وهو منتقم

بهباء كل جبار منتقم

لا غرو إن نلت ما أملت منه ففسد

أنزلت معظم آمالي هذي كسرم

يخبر البارودي أنه شكاً حزنه إلى ربه لنصفه من كل ظالم • أو هو سر
ثم يتساءل متعجباً : كيف يرحب ظلم الناس مع أن الله منتقم • يخساف
منه كل جبار سبهاً كان شأنه • فلا عجب إن نلت ما أملت منه جل جلاله
إذ وكلت كل أموري إلى عظيم كرم •

ولا يخفى أن الشاعر نظر في قوله : (شكوت بشي إلى ربي) إلى قوله
تعالى : (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ) (٣) • وألفاظه مناسبة
للفكرة غير أن لفظ (لا غرو) غير شعري وإن كان عربياً • ولا أدري لماذا
أنزل (معظم آماله) ولم ينزلها كلها • وخاصة أنه أنزلها (هذي كسرم)
ولعله أراد آماله المظلمة فقدم الصفة على الموصوف بمبالغة •

ولا يفتأ الشاعر يرجو شفوة ذنبه • ويهمل نوبته • ولذلك يقول (٤) :

يا مالك الملك هب لي منك مفسرة

تبعو ذنوبي غداة الخوف والندم

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأئمة ص ٤٥ •

(٢) حكم : شريف (٢) يوسف ٨٦ • (٤) كشف الغمة في مدح سيد الأئمة ص ٤٥ •

واجنّ علّيّ يلفظك منك بمصصني
 نسيخ النسي يوم أخذ الموت بالكظم (١)
 لم أدرع فرك فيما نابني ففسني
 سر المواقب واحفظني من التهم
 حاشا لراجيك أن يخشى المثاروا
 بعد الرجاء سوى التوفيق للمسلم
 وكيف أخشى ضلّالا بعدما سلكت
 نفسي - بنور الهدى - في صلك قهر

يتضرع الشاعر إلى الله - سبحانه وتعالى - طالبا مغفرته الواسعة
 يوم القيامة ، كما يرجوه - جل وهلا - أن يمن عليه في الدنيا بلطف
 منه يحصيه من زبح القلب عند خروج الروح . ثم يوقد أنه لم يلجأ لأحد
 غير الله فيما نابيه من بلاء ، لأنه هو الذي بيده الضر والنفع ، ثم ينزه الله
 تعالى عن أن يخيب رجاء من رجاء ، ثم يتعالم متعجبا كيف يخشى الضلال
 بعدما سلكت نفسه ، واطمأن إلى الدين الإسلامي - صار في طريق الاستقامة
 ببركة نور الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهدايته التي حمل مشعلها .

والآيات - في هوسها - توفد خيوش الشاعر وخضوعه لله سبحانه وتعالى ،
 لأنه مالك الملك ، بيده مقاليد الأمور ، وهو الذي يحفو وهفقر ، ولذلك
 فهو أحق بالدعاء ، وجدير بالرجاء - ولا شك في أن هذا يلقى ضوئاً طمسي
 مدى فهم الشاعر لأمور دينه ، ومعرفة صفات الله .

ثم اتجه البارودي إلى بيان حبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٢) :
 ولي بحب رسول الله منزلة . . أرجو بها الصفح يوم الدين من جرمي
 لا أدعس عصمة لكن يدي طقت . . بعيد من يرد مرعاته يمسس
 خدشته يمدحني فاحطوت علي . . هام السحاك ، وصار السعد من خدني

(١) مصصني : المراد يقيني ولعل الشاعر ضمن الفعل (مصص) معنى (يقى) فلم
 يذكر حرف الجر - الكظم : مخرج النفس والمراد خروج الروح .

(٢) كشف النخبة في مدح سيد الأمة ص ٤٦ .

وكيف أُرهب خيلاً بعد خدمته
وخادم السادة الأجواد لم يضم
أم كيف يخذلني من بعد تسميتي
باسم له في سما العرش محترم

يبين الشاعر أنه نال منزلة عالية بحبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
ويرجو - بسبب هذه المنزلة - أن يعفو الله عن ذنوبه ؛ لأنه ليس معصوماً
من الخطأ ؛ ولا يحق له أن يدعى المصمة ؛ وأمله كبير في عفو الله ، وفي
شفاعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ولقد ادعى الشاعر أنه خدم رسول الله عندما مدحه ؛ وعو في هذا
قد وقع فيما وقع فيه البوصيري عندما قال : (خدمته بمدح أستقبل
به . . . (١)) ، والواقع أن من مدح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لخدمته
وأبنا خدم نفسه بما يناله من الثواب في الآخرة ؛ وعلو المكانة في الدنيا ؛
ولعل البارودي أشار إلى بعض ذلك بقوله : (. . . فاعتلوت على هام السماك
وصار السعد من خدمي) فهو لم يرتفع ارتفاع السماك بل ارتفع على هامه ؛
وفي هذا التعبير تشخيص يوحى بسلو المنزلة ؛ ورفعة المكانة .

وإذا كان هذا شأن البارودي عندما مدح رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
ويسلم) فحق له أن يتساءل متعجباً : كيف يرفع الظلم بعد خدمة نبي الله
ثم يشير إلى حكمة صادقة ؛ ويأتي بقول حكيم : (وخادم السادة الأجواد
لم يضم) - فهو بذلك يدل على أمله الكبير في شفاعة الرسول وكيف أنه
يقبول (لا يضم) حتى تشمل المستعمل أيضاً (لم) تشير إلى الماضي فقط .

ولقد أشار الشاعر إلى نقطة أخرى لحليها تقرره من رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) وهي تسميته باسم للرسول (في سما العرش محترم) وعو
(محمود) ، ولعله يلح بذلك إلى ما ذكرته بعض كتب السيرة من أن الرسول
(صلى الله عليه وسلم) ذكر نعم الله عليه ثم قال : ((وشقلى اسم من أسمائه
فدو العرش محمود وأنا محمد وأحمد . . . (٢))) .

(١) انظر ص ٢٠٠ من هذه الرسالة . (٢) ابن كثير الحيرة النجوية ج ١ ص ١٩٦
بتحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة الحلبي بمصر سنة ١٩٦٤ .

والجدير بالذكر أن حسان بن ثابت أشار إلى ذلك بقوله (١) :

وشق له من لحيته لرجله

قدو للمرض محمود وهذا محسن

وسهما يكن من شيء فإن البارودي يستبعد أن لا يشفع له الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الآخرة بعدما تسمى باسمه ، ولا يخفى أن التوصل إلى الرسول بالتسمية باسمه قد حثى إليه البوصيري في قوله : (فإن لي تمسكاً به يسمي . . (٢)) .

ثم أشار البارودي إلى نفعه من نجات الرسول قد شملته في الدنيا فقال (٣) :

أبكاني الدهر حتى إذا لجئت به

حنا على وأبدي ثغر متمسم

فهو الذي يمنح العاقين ما سألوا

فضلاً ويشفع يوم الدين في الأمم

نور لمقتبس ، ذخير لمتسم

حز لمتسم ، كهنا لمتسم

بث الردى والندى شطرين فانبثا

فبين غوى وهدي بالهوى والنم

فالكفر من بأسه المشهور في حرب

والدين من عدله التأثر في حسم

لقد توالت المحن على الشاعر ، ولما توسل إلى الله برسوله ، طاف عليه الرسول متمسكاً بإشارة إلى قرب الهسر ، وهذا يدل على كرمه (صلى الله عليه وسلم) وما يؤكده أنه (يمنح العاقين ما سألوا فضلاً . .) في الدنيا ، ويشفع يوم القيامة في الأمم ، ففضله كبير ، ومنزلته عظيمة ، ونوره يهدي من اقتبس منه ، وخطاؤه واسع لمن التمس به ، وقلبه كبير يحنو على البائسين ، كما أنه صلاب

(١) انظر ص ١٣ من هذه الرسالة .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٤ .

(٣) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٤٦ .

لمن لجأ إليه ثم أعلن البارودي في الرد أن الرسول كرمه بوقوفه للقلب الموسع
ذلك كأن شجاعاً

ويؤكد ذلك أنه أعل سيفه في رقاب الكفار ولا يخفى ما في قوله
(نور لمقتبس ، ذخير لملتصم ٠٠ البيت) من موسيقى رائعة ، وتقسيم جميل ،
كما لا يخفى أثر اللف والنشر المرتب في قوله : (بث الردى والندى ٠٠ فومن
غوى وهدى ٠٠ بالبوئس والنعم) أضف إلى ذلك ما بين هذه الألفاظ حسن
طباق دل على الصوم والشمول .

ولعل قول الشاعر : (فالكفر من بأسه ٠٠ البيت) يؤكد ما سبق من
شجاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعدله ، وما يهده الفكرة وضوحاً وقوة
أن الشاعر جما ، (الكفر - نفسه - من بأسه ٠٠ في حرب) كما جمـل
(الدين - نفسه - من عدله ٠٠ في حرم) ففي التعبير مجاز لا يخفى أثره ،
كما بين ألفاظه طباق أكد الفكرة ، وبين شطري البيت تقسيم جميل ، نشأت
هه موسيقى رائعة .

تفسير الشاعر في مديحه :

أشار البارودي إلى تفسيره في مديح الرسول (صلى الله عليه وسلم)
بقوله (١) :

هذا ثنائي وإن قصرت فيه قلبي
عذره ، وأين السها من كف منكم
عيها ت أبلغ بالأشعار مدحتـه
وإن ملكت سبيل القالة القسـم
ماذا عسى أن يقول المادحون وقد
أثنى عليه بفضل منزل الكلم

وهنا يمتدح الشاعر بتقصيره في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)
وهذا أمر طبيعي ؛ لأن الشعراء جميعاً - ومن بينهم البارودي - لا قبل
لهم بالإحاطة بشمائل الرسول (عليه الصلاة والسلام) العظيمة ، وصفاته

الحسنة • وكل شئائه وصفاته عظيمة محمودة •

ولقد برر الشاعر تفسيره بحلو قدر الرسول (صلى الله عليه وسلم) عظمة شأنه، وأكد ذلك بهذا الاستفهام : (وأين السها من كف مستلم) وفيه - أيضا - تشبيه للتقريب فقط • ثم يوعد تفسيره بقوله : (هيئات أبلغ ••) وذكر أنه سلك طريق من تقدموا في هذا الضمار - فقط - ولعل في هذا اعترافا ضمنا بتأثر الشاعر في نظمه تلك القصيدة بالبحر صيرى ونحوه • ومن نظرنا نظموه مدائح الرسول (صلى الله عليه وسلم) •

ولا يخفى أن في قوله : (ماذا عسى أن يقول المادحون) تقييلا لكسل ما يقوله الشعراء من ثناء على الرسول (صلى الله عليه وسلم) لوقوعه بثناء الله على نبيه (صلى الله عليه وسلم) وهذا ما يوعد به قوله : (••) وقد أثنى عليه بفضل منزل الكلام) ولعله يلح إلى قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَمَلَكٌ خُلِقْتَ عَظِيمٌ ^(١)) وغير ذلك من الآيات التي تدل على فضله الكبير • ومنزلته العالية •

إهداء القصيدة إلى الرسول :

أهدي الهاروي قصيدته إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله ^(٢) :

فهاكها يارسول الله زاهــــرة

تهدي إلى النفس ريا الآسى والسبرم ^(٣)

ومستها باسمك العالي فألبسها

ثوبا من الفخر لا يلى على القدم

غريبة في إمار اليمن لو أنسنت

بنظرة منك لا متفتت عن النسم

لم التزم نظم حبات البديع بهما

إذ كان صوغ المعاني الفرملتزمى

وإنما هي أبيات وجوت بهما

نيل المعنى بم تحيا بذة الرسم ^(٤)

(١) القلم : ٤٠ • (٢) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٤٦ • وإيضاها •

(٣) الآسى : شجر ذو رائحة طيبة • البرم - بفتحين - شمرى الرائحة أيضا •

(٤) بذة الرسم : المراد الهمز المتحركة •

شعرته فيها عهد للديح فانتظمت
لعمري ينتشر منها منتظم

يقدم البارودي قصيدته إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو في
مشوقة ، تهدي إلى النفس رائحة طيبة ، ومنظورا جميلا ، ومخلصة كهنس
تحمل اسم الرسول (عليه الصلاة والسلام) وكان ذلك سببا في تميزها
ورفعة شأنها ، كما كان سببا في خلودها ، ومع أنها نظمت وللشاعر فسر
المنفى إلا أنها اوحظيت بنظرة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لاستغنت
عن كل أنيس وجليس .

ولعل الشاعر يلح بقوله : (وسمتها باسمك العالي) إلى رسول
الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ^(١) " .
إذ سماها : كشف الغمة في مدح (سيد الأمة) كما سبق .

ويبدو أنه أراد بقوله : (لم ألتزم نظم حبات البديع بها) أنه لم
يجعلها بديعية من قصائد البديعيات التي ضمت مدح الرسول (صلى الله
عليه وسلم) مع الإشارة إلى أنواع البديع ^(٢) ، لأن الشاعر لم يكن هدفه ذلك ،
بل كان صوغ المعاني الطيبة كل ما يرنو إليه ، راجعا نول شفاع الرسول
(صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة .

ثم انتقل الشاعر إلى الحديث عن تسميه في أول القصيدة بقوله ^(٣) :

صدرتها بنصيب . كشف باطنهم
عن غفلة لم يشتها قول متهمهم
لم أتخذهم جزافا بل سلك بهم
في القول سلك أقوام ذوى قدم
تابعت كعبا وحسانا ولى بهم
في القول أسوة بر غير متهم

(١) انظر ص ١٢٠ من هذه الرسالة .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٢ وابيها .

(٣) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٤٧ .

والشعر معرض القلب عرج بسبه
ما تمتسه بسبه لأقرب والحكم

نعم صدر الشاعر قصيدته بالنسب ، ولكنه نسب غف ، بعيد عن كل
ما يشين ، كما أنه لم يكن بدعا في ذلك إذ سلك سلك السابقين ممن
مدحوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومدحوا قصائد هم بالنسب ، وخاصة
كعب بن زهير وحسان بن ثابت ، ولا شك في أن الشعر معرض كبير ، يضم
ما تخطه يد الآداب ، وما تنظمه عقول الشعراء .

ولا يخفى أن فكرة الشاعر واضحة ، وهو محترف صراحة بمتابعة السابقين
وإن كان لم يشير إلى البوصيري صراحة فقد أشار إليه ضمنا في قوله (...)
أقوام شوى قدم) ، إلا أن الشاعر استخدم ألفاظا ليست شاعرية مثل (جزافا)
و (سلك) .

ومع ما بين الشاعر علة الإتيان بالنسب في أول القصيدة قال (١) :

فلا يلحنى على التشبيب ذو عت
فلبيل الروض مطبوع على التفسم
وليس لي روضة ألبوزهرتها
في معرض القول إلا روضة الحرم
فهى التى تيمت قلبى وهت بها
وجدنا وإن كنت عفا النفس لم أهتم
معاهد نقشت فى وجنى لها
أهدى الهوى أسطرا من عبرتى بدم (٢)

يطلب الشاعر أن لا يلومه أحد على بدء قصيدته بالنسب ، فقد وضع خطة
ذلك ، كما يذكر أنه لا حيلة له في ذلك الأمر ، إذ الشاعر كلبيل السروى
لا بد أن يقف على كل شجرة ، ويتفنى على كل زهرة ، ثم بين أنه لم تكن له
روضة إلا روضة الحرم ، تلك الروضة الشريفة التى تيمت قلبه ، فهام بها ، وأحبها

(١) المرجع السابق ص ٤٧ .

(٢) معاهد : جمع معبد وهو المنزل الذى لا يزال القوم إذا بمدوا عنه رجما إليه ،
والمراد به هنا الأماكن المقدسة عند المسلمين .

حبا غيفله لأني حنظل عظمة ه وكم بكى شوقا إليهما .

ويبدو أن الشاعر كان لديه إحساس بأن نسيه سيكون موضع مناقشة
— كما سيأتى — ولذلك عد إلى بيان دوافع الإتيان به ، ولا يخفى أن قوله :
(بلبل الروغ . مطبوع على النغم) يشير إلى شاعريته وتشبيه نفسه بالبلبل
الصداح ، ولكن لا أوافق على قوله : (ليس لي روضة الهوى بزهرتها) إذ أن
روضة الحرم تنزه عن اللهو ومخالطة من المسلمين — ولو قال الشاعر : (ليس
لي روضة أشدو بنضرتها) مثلا لكان أفضل .

ولقد أحسن الشاعر في قوله : (وإن كنت عفا النفس لم أهم) بمسند
قوله : (فهي التي تيمت قلبي وجمت بها وجدا) فهو بمثابة الإحساس
اللطيف الذي يورثه نزاهة الشاعر ، وغه نفسه .

ولا يخفى أن في إسناده النفس إلى أبدى الهوى استمارة مكنية توحى
بشدة حبه تلك الأماكن الحبيبة إلى قلب كل مؤمن ، مهما تفاوت هذا الحساب ،
والتي يتطلع إلى زيارتها كل مسلم ، ومنهم الشاعر الذي قال (١) :

يا حادي الميس إن لفتني ألسي

من قصده فاقترح ما همت وأحسكم

سر بالمطايا ولا ترفق فليس فسي

أول بهذا المعنى من مائق حطهم

ولا تخف ضلة وانظر فموف تـسـرى

نورا يربك مدب الذر في الأكـسـم (٢)

وكيف يخشى ضللا من يوم حمسى

(محمد) وهو مشكاة على عـسـم

هذي بناي وحبي أن أقرب بهما

بنعمة الله قبل الشيب والهـسـم

يجرد الشاعر من نفسه سائقا للإبل ومخاطبه واعداء إياه أن يعطوسه
ما يشاء ، إذا بلغه أمه من الوصول إلى تلك الأماكن الطاهرة ، ثم يطلب

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٤٧ وما بعدها .

(٢) الذر : — بتشديد الذال مفتوحة — صفار النمل .

منه السير بسرعة إلى تلك الأماكن دون رفق أو ببطء ، لأن هذا مفسر
عظيم إلى أماكن عظيمة ، وذلك يتطلب سائقا لا يخشى أن يضل الطريق ،
وكيف يضل الطريق وأمامه نور عظيم يستطيع أن يرى بواسطته أدنى الأشياء ،
إنه نور النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) الذي سوف يحظى بزيارته ، وهذه
هي أمنيته التي يود الفوز بها - بفضل الله - قبل أن يحل بينه وبينها
بمسبب الشيخوخة .

والملاحظ أن الشاعر يملك سلك الشعراء السابقين ، في مخاطبته
حادي الميم ، ولقد سبقه البوصيري في ذلك عندما قال : (وأطسروب
الميم حادي الميم) (١) وكان يمكنه أن يخاطب قبطان سفينة ، أو
قائد طائرة ، مثالا ولكنه أراد متبعي السابقين كما صرح قبل ذلك .

وسبما يكن من شيء ، فإن الشاعر يحب تلك الأماكن الطاهرة جدا كسيرات ،
يدل على ذلك أنها أمله : (إن يلفتني أمل) كما أنه يلزم الحادي بسرعة
السير على أن يخطيه كل ما يحبه .

ولا يخفى أن في قوله : (نورايك مدب الذرفي الاثم) إشارة
لطيفة إلى عظم نور النبي (عليه الصلاة والسلام) ثم يوفق ذلك بهذا الاستفهام
التمجيد الذي يشير البهمة ، يقوى المزمة : (وكيف يخشى هلالا مسين
يؤم حمى) (٢) محمد .

إن أمل الشاعر في الله تعالى كبير ، ولذلك يقول : (٣)

ومن يكن راجيا مولا نال بسبه

ما لم ينله بفضل الجد والهيم

فامجد له واقرب تبلغ بطاعته

ما شئت في الدهر من جاء ومن عظم

(١) انظر ص ٢١٤ من هذه الرسالة .

(٢) كشف الثمة في مدح سيد الأمة ص ٤٨ .

هو للهلكة للذى ذلت لمزته
أهل الصانع من عله ومن لهم^(١)
يحيى البرايا إذا حان العماد كما
يحيى النبات بشو بوب من الدمع

يبين البارودى أن ما يتناهى مكن الحصول، لأن الله قادر على كل شيء،
وهو لم يرح سواه، ومن رجا ماله نال ما تناله، بفضل الله لا بفضل الجهد
والهيم، والشاعر بذلك لا يقلل من قيمة الجهد والهيم العالية، وإنما يريد
أن يبين أن الجهد سبب من الأسباب التى تحقق المطلوب، وإذا أراد الله
حصوله، وإلا فلا، فالعمل كله على الله، ولذلك أمر بالسجود له، والاقتراب
منه، بالطاعة التى هى أساس النجاح والفلاح فى الدنيا والآخرة (فاسجد
له واقترّب تبلغ بطاعته ٠٠ ما فتى ٠٠)، ثم يبين الشاعر أن قدرة الله فوق
كل قدرة، وهى التى ذلت لمزتها أقوى الأمم والقبائل: (هو الطيب
الذى ذلت لمزته ٠٠).

ولا يخفى ما فى البيت الأول من عبارة صادقة تحت على أفراد الله تعالى
بالرجاء والدعاء، كما لا يخفى اقتباس الشاعر قوله: (فاسجد له واقترّب ٠٠٠٠)
من قوله تعالى: (وَاصْجُدْ وَاقْتَرِبْ^(٢)) وفى ذلك دليل على الطريق الصحيح
الموصل إلى رضا الله سبحانه وتعالى.

ولعل فى قوله: (أهل الصانع) تلخيصاً إلى قوله تعالى عن قوم هود
(عليه السلام): "وَتَتَّخِذُونَ صُنَائِعَ لَكُمْ تَخْلُدُونَ"^(٣) وما يقوى ذلك
أنه ذكر بعد: (أهل الصانع) عاد واهم، وفى ذكر ذلك إشارة إلى الله
نظر إلى البصير، الذى أشار إليهم من قبله. وفى قوله عن آيات القسوة آن
الكريم: (وهى تخبرنا عن العماد وعن عاد وعن ارم^(٤)).

(١) الصانع جمع صنيع، والمراد به المصنوع.

(٢) الملقى / ١٩. (٣) الشعراء / ١٢٩.

(٤) انظر ص ١٦٠ من هذه الرسالة.

وفي البيت الأخير إشارة لطيفة إلى أن إلهيته ظلاله للموتى أمر مكن ،
وشبهه بإحياء النبات إذا نزل عليه الماء ، وهذا أمر شائع معروف ، فالشاعر
شبهه حالة بحالة ، ووضع النعوى وأكد ، بالمحسوس المشاهد .

ولما كان يوم القيامة يوما شديدا الهول ، عظيم الوجع ، لجأ الشاعر
إلى ربه قائلا (١) :

يا غافر الذنب والألّاب حائرة

فسي الحشر والنار ترى الهوى والضمر

حاشا لفضلك وهو المستعان به

أن لا تمن طي ذي غلة عبيد

إني استشفع بالمعطفى وكفى

به شفيما لدى الأفعال والتعبد

فاقبل رجائي فما لي من ألوف به

سواك في كل ما أخشاه من فقير (٢)

يتضرع الشاعر إلى الله تعالى ، طالبا غفران ذنوبه ؛ لأنه (غافر الذنب)

وحاشا لفضله أن لا يمن على ذي عيب ، فيسترها ، وأن لا يتفضل على

ذي كروب فيفرجها ، كما توسل بالنبي (صلى الله عليه وسلم) راجيا شفاعته .

ولعل الشاعر يشير بقوله : (والألّاب حائرة في الحشر والنار) إلى

موقف الناس يوم القيامة ، يصمم المذبول ، ويغشاهم الكرب ، من شدة الزحام ، وقرب

الشمس من الرؤوس ، وغزارة الموى ، ويوجد ذلك قوله تعالى : " وَتَوَى النَّاسَ

سُكَّارَى وَوَأَهُمَّ يَسْكَارَى " الآية (٣) . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " تدنى

الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر

أعمالهم في المرق " . (٤) .

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٤٨ .

(٢) فقم : بضم فتح - أصله بضم فسكون - اللحن والمواد ذنوبه .

(٣) الحج : ٢ .

(٤) صحيح مسلم ج ٥ ص ٧١٥ .

ولا يخفى أن الشاعر يشير إلى غفلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة عندما يقول كل نبي: نفسي نفس، ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنا لها، أنا لها. كما سبق (١).

ولقد ألح الشاعر في عقران ذنبه، ثم عاد يؤكد ذلك بقوله: (فاقبسل رجائي ٠٠) وإن كان قوله: (فإلى من ألوذ به صواك ٠٠) فلأخوذا من قول المبرصوري (يا أكرم الرسل إلى من ألوذ به صواك ٠٠) (٢) إلا أن المبرصوري يخاطب به الرسول (صلى الله عليه وسلم) وللهادوي مناجية به به (سبحانه وتعالى) .

ثم انتقل الشاعر إلى ختام قصيدته بقوله (٣):

وَصَلِّ رَّبِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طَلَمْتَ
شمس النهار ولاحت أنجم الظلم
والآل والصحب والأنصار من تجموا
هداه واعترفوا بالمهد والذمم
والمن على عهدك الماني بمفخرة
تحمر خطاياهم في بدو وختنم

لقد ختم الشاعر قصيدته كما اختصها سابقوه، بالصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صلاة دائمة بدوام طلوع الشمس في النهار، وظهور النجوم في الليل، كما طلب الصلاة على آل والصحب والأنصار.

ولا يخفى ما في ذكره لفظ النهار بعد لفظ الشمس، وذكره لفظ الظلم بعد أنجم، من إطناب محبب في المديح، كما أن ذكره لفظ الأنصار بعد لفظ الصحب من قبيل ذكر الخاص بعد العام، ولعله أراد بكافاة الأنصار

(١) انظر ص ١٢١ من الرسالة .

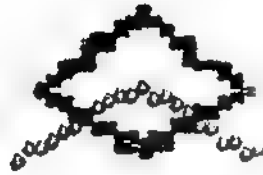
(٢) المرجع السابق ٢٠٨ .

(٣) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٤٨ .

على ما قدموه للإسلام والمسلمين في بدء الدعوة من نصرة ففكرهم مرتين ، إلا
أن ذكره (الذم) بعد (المهد) حشو ، ويبدو أنه ذكره للقافية .

وهما يكن من شيء . فقه ختم الشاعر قصيدته بتواضع لله تبارك وتعالى
عندما طلب منه مفسرة تحو ذنوبه ، ولكنه أثر أن يعبر بما يدل على
خضوعه وخشوعه لله فقال : (عذك الماني) ليكون ذلك مهرا لقبول الدعاء ،
وتلبية الرجاء ، وخاصة أنه أضاف لفظ (عذ) إلى الضمير المائد على
الله جل جلاله ، وفي ذلك تشريف أي تشريف ، ثم أتى بما يدل على حسن
الختام بقوله : (في بدء) ومختتم ، وهذا ما يعرف عند علماء البلاغة بحسن
الختام ، وهولون لطيف من المحسنات البديعية .

وعندما انتهيت من دراسة (كشف الغمة) وتحليلها ، رأيت إنعاما للفائدة
أن أشير إلى أثرها ، وهذا ما سنراه في الفصل الآتي إن شاء الله .



الفصل الثالث

أثر معارضة البارودي

لعلنى بحد عرض قصيدة البارودي - كشف الغمة فى طبع سيد الأئمة - دراسة وتحليلاً ، أكون أول من كشف اللثام عنها ، وما يقوى ذلك قول بعض الكتاب : " إنها - كشف الغمة - إحدى غرر البارودي ، وهى على أهميتها ما تزال مجهولة من كثير من أدبائنا ونقادنا المعاصرين ، على كثرة ما تناولوا من دراسات فى أدب البارودي (١) .

وما لا شك فيه أن تلك القصيدة معارضة من معارضات برودة البوصيرى فى المصر الحديث ، إذ نسجت على وزنها ، ورويتها ، وغرضها . ولا يقدم فى عدها معارضة للبردة أنها زادت عليها فى بعض الأفكار ، أو أخذت طابعها غير طابع البردة من ناحية ترتيب أفكارها ، تبعاً لميرة ابن هشام ، كما صرح الشاعر بذلك فى مقدماتها ، إذ لم يشترط أحد من النقاد فى المعارضة ألا تنهد القصيدة اللاحقة على القصيدة السابقة فى عدد الأبيات أو أن تأخذ نمطها من أوله إلى آخره ، وإلا كان ذلك تقليداً مميهاً ، يصيب الأدب بالمقم والجود .

ولقد أكد كثير من النقاد والكتاب أن قصيدة البارودي معارضة لبردة البوصيرى (٢) ، ولا يقدم فى ذلك قول الدكتور زكى مبارك : " إنه لم يتأكد من أن البارودي روى إلى معارضة البوصيرى (٣) لأن الدكتور زكى كما قال هو أحد الكتاب ، يشك فى كل شئ (٤) .

(١) الدكتور سمح الدين الجيزاوى : هدية مجلة منبر الإسلام ، السنة (٢٥) العدد (٣) ص ٨١ .

(٢) انظر : دائرة المعارف الإسلامية المجلد الخامس ص ٤٦ ومحمود سامى البارودي (المحدث) ص ٧٢ ، والمعارضة فى شعر شوقي ص ٨٥ ، والبارودي رائد الشعر الحديث ص ٤٩ ، والشعر فى المصر الحاضر وأثر البارودي فيه ص ٦١ ، والدكتور سمح الدين الجيزاوى : الملحة فى الشعر العربى ص ٢٨ طبعة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بمصر سنة ١٩٦٧ ، وفاروق خورشيد (بالاشتراك مع غيره) : محمد فى

الأدب المعاصر ص ١٠٥ المكتب الفنى للنشر بمصر سنة ١٩٥٩ .

(٣) الموازنة بين الشعراء ص ١٩٥ بتصرف . (٤) الدكتور / عهد الحبيب طه : النصوص

الأنبية فى العصر الحديث ص ٥٢ طبعة المعادة بمصر سنة ١٩٧١ .

كما لا ينفي المعارضة أن البارودي لم يشير إلى البوصيري عندما أشار
إلى مطابقهما كما وحسان في مدحهما الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (١) :
تابعت كمها وحسانا ولي بهما

في القول أسوة بر غيرتهم

لأنه إذا لم يشير صراحة إلى البوصيري فقد أشار ضمنا هدهم فكسر
أن قصيدته لم تتضمن أنواع البديع بقوله (٢) :

لم ألزم نظم حبات البديع بهما

إذ كان صوغ المعاني الشعرية

إذ من العليم أن القصائد التي نظمت فيها أنواع البديع هي
(البديعيات) وقد سبق الإشارة إلى أن بعض أصحابها نظروا في نظمها
إلى بودة البوصيري (٣) ، ومن إشارة البارودي إليها نعلم أنه قرأها وفهم
مناقها ، فصرفه عنها ثقلها بأنواع البديع ، فاتجه إلى الأصل - وهو
البودة - ولكنه حينما اتجه إليه ، لم يقف معه في كل خطواته ، كيف ؟ وهو
شاعر كبير ، وباعت النهضة الشعرية في العصر الحديث ، فلماذا إذن أن
يخالف الأصل أية مخالفة حتى يأتي بجديد وتظهر فيه ملامح شخصيته .

والرغم من كل ذلك فأنا أرجح أن البارودي قرأ بودة البوصيري ، ولعل
ما يؤيد ذلك أنه تبع البوصيري في بعض أفكاره التي يمدحها أبو هذرتها ،
ومن ذلك ترويه إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) باشتراكهما في الاسم
بقوله (٤) :

فإن لي ذمة منه بتسميته

محمدًا وهو أوفى الخلق بالذم

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٣) انظر ص ٢٣٧ من هذه الرسالة .

(٤) المرجع السابق ص ٢٠٤ .

فتبعه فيه البارودي وتصرف فيه تصرفاً قليلاً بقوله (١) :

أم كيف يخذلني من بعد تصويبي

باسم له في سماء الموشح صحتي

أضف إلى ذلك تصرفه في قول البوصيري (٢) :

خدمته بمدح أستقيل بـ

ذنوب عسر مضي في الشمر والخدم

إذ قال بحد إضافة بصيرة (٣) :

خدمته بمدح يحس فاعطوت علي

هام السك صار السمد من خدي

ولصل مما يقوى فكرة قراح البارودي بردة البوصيري ، أننى عرت علي

أبيات نسبت إليه ولم تنشر في ديوانه ، يقرظ فيها تشطير الشيخ عبد القادر

الرافعى للهمزية (٤) - والهمزية هى قصيدة البوصيري كما سبق - وقال

في ذلك التقريظ (٥) :

ألا إن خير القول ما كان حائزاً

مدى السبق فى مدح النبى محمد

وأبدع ما سار الرواة بذكره

قصائد حبر من (أبوصير) أمجد

وأجمعها للقول حمزة مسببت

هرونقها ما بين نصر وفسوقه

فقلد (عبد القادر) الشهم جيدها

بحليمة تشطير كدر منضمد

تسلسل فى أثنائها مثل ما جسوت

جداول فى أثناء روض مسرود

(١) كشف الخفة فى مدح سيد الأمة ص ٤٦ .

(٢) انظر ص ٢٠٠ من هذه الرسالة . (٣) كشف الخفة فى مدح سيد الأمة ص ٤٦ .

(٤) سبق التصريف به فى هامش ص ٢٤١ من هذه الرسالة .

(٥) نيل المراد فى تشطير الهمزية والبردة وانت سعاد ص ١٢٦ .

فيشورى له إنه نال أفضل رتبة

بصدح رسول بالكتاب مؤيد

ولا زال ملحوظا يمين عايضة

يروح بها في خير حال ومختل

ويبدو أن هذا التقريظ كان لتشطير الرافضى للهمزية قبل أن يخطو
البردة - أيضا - ويضمها في كتاب واحد أطلق عليه : (نيل المراد فسى
تشطير الهمزية والبردة وانت سعاد) .

ولا يقنع في الاستشهاد بهذه الأبيات عدم ورودها في ديوانه ؛ لأن
شعره لم يطبع كله هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ذكر أحد النقاد - فسى
بحث علمي عن البارودي - أنه عثر على أبيات للشاعر لم يسبق نشرها في أثناء
استعانته ببعض أفراد أسرة البارودي هذه لإعداد ذلك البحث العلمي (١) .

وليس من المحقول أن يقرأ البارودي همزة البهيمى وقولها لمشطرها ،
ولا يقرأ البردة مع أنها أكثر منها شيوعا وأوسع انتشارا .

على أن الذى لا شك فيه أن البارودي عارض كثيرا من الشعراء السابقين
في قصائدهم مثل : أبى قواس والمتنبى وغيرها (٢) وهذا يبين إمكان معارضة
البهيمى إن لم يوجد .

معى نظم البارودي قصيدته ؟

لم يذكر الشاعر تاريخا لهذه القصيدة ، ولكن الراجح أنه نظمها وهو فى
المنفى - سرنديب - وهذا ما صرح به بعض الكتاب (٣) ، ولعل ما يقوى ذلك
قول الشاعر (٤) :

-
- (١) محمود سامى البارودي (للحديدى) ص ١٦٢ ، ١٧١ .
(٢) البارودي رائد الشعر الحديث ص ١٤٦ ، والشعر فى العصر الحاضر وأثر البارودي
فيه ص ٨١ وما بعدها ، والموازنة بين الشعراء ص ٣١٤ وما بعدها .
(٣) البارودي رائد الشعر الحديث ص ٩٣ ، محمود سامى البارودي (للحديدى) ص ١٧٢ .
(٤) كشف الغمة فى مدح سيد الأمة ص ٢٥ وما بعدها .

تكا مدني خلوب لوربيت بهيسا
مناكب الأرض لم تثبت على قدم
في بلدة مثل جوف الميرلست أرى
فيها سوى ألم تجتو على صنم

إذ أشار كاتب الشاعر بنى صنيه الأخيرة - ياقوت المرسى - إلى أن الشاعر
أراد بقوله : (في بلدة مثل جوف المير ٠٠) سونديب ؛ إذ كان أغلب أهلها
بوذيين ، ولا شك في أن كاتب الشاعر أقرب الناس إليه ، وقد صحح النسخة
المطبوعة قبل طبعها على نسخة الشاعر بمد أن قوت عليه ، وعليها بمصر
التعليقات كما ذكر الكاتب نفسه (١) .

أنف إلى ذلك ما قاله - كاتب الشاعر أيضا - عند قول البارودي (٢) :

فمن يرد على نفسي لباتها
أو من يجير قوادى من يد السقم
المراد باللباة : الحاجة ، وأراد بها الشاعر عودته إلى وطنه المحبوب
حصر ، وقد نال بهيته ، فماد إليه في ٦ من جمادى الأولى سنة ١٣١٧ هـ .
ولعل ما يورد ذلك أيضا قول الشاعر مخاطبا الرسول (صلى الله عليه
وسلم) (٣) :

تالله ما عافى من حيكم شجن ٠٠ لكنى مؤثق في رقة السلم
فالشاعر يوضح أن الذي منعه من الذهاب إلى مدينة الرسول (صلى الله
عليه وسلم) هو أنه (مؤثق) أى مقيد الحية في مناه .
ومما يوحى بأن البارودي نظم (كشف الغمة) فنى منفساء ، بالإضافة إلى

(١) المرجع السابق هامش ص ٤٨ .
(٢) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٤ وهامشها .
(٣) المرجع السابق ص ٤٥ .

ما خيلنى قوله عن تلك القصيدة (١)

وحسبها باسمك العالى فألبسها
ثوباً من الفخر لا يلبى على القدم
غريبة فى إسمار اليمين لو أنسى
بنظرة منك لا مستغنى عن النسيم

أعثر البارودى فى قصيدته (كشف النعمة فى مدح سيد الأئمة) -
بمعارضة الدرويش والتمويه أم لا ؟

يبدو لى أن البارودى لم يتأثر فى قصيدته بمعارضة الدرويش
ولعل ما يقوى ذلك اختلاف قصيدتهما فى الأفكار وطرق التعبير فهما
بالإضافة إلى اختلافهما فى عدد الأبيات .

كما أنه لم يتأثر فى قصيدته بقصيدة عائشة التيمورية ؛ لأنها نشرت قصيدتها
عندما كان البارودى فى المنفى ؛ إذ أن ديوانها طبع الطبعة الأولى
بالطبعة الحامرية الشرقية بصر سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٥ م) (٢) وكان الشاعر
فى ذلك الوقت قد أمضى فى منفاه ما يقرب من ثلاث سنوات ؛ إذ نفى - كما
سبق - سنة ١٨٨٢ وعاد إلى وطنه سنة ١٩٠٠ م (٣) ، ولعل ما يؤكده ذلك
اختلاف القصيدتين فى كثير من الأغراض وطرق معالجتها بالإضافة إلى
اختلافهما فى عدد الأبيات أيضاً .

وهما يكن من شيء فإن قصيدة البارودى تعد من أولى القصائد الإسلامية
فى العصر الحديث - إن لم تكن هى الأولى - وبخاصة فى طولها ، وتعدد
أفكارها وتنويعها ، ولعل الذى ساعد على ذلك أن الشاعر قد نظمها على
نسق أفكار سيرة ابن هشام كما صرح هو بذلك فى مقدمته إياها ؛ إلا أن هذا
الترتيب كان سبباً من الأسباب التى جعلت القصيدة أشبه بالسرد التاريخى
فى معظم أبياتها ، ولذا قال عنها بعض الكتاب (٤) . . . ولا تقول فى

(١) المرجع السابق ص ٤٦ وما بعدها . (٢) ومعارضتها فى ص ٤٤ من طبعة هذا
الديوان . (٣) انظر ص ٢٤٢ وما بعدها من هذه الرسالة .

(٤) محمد فى الأدب المعاصر ص ١٠٥ .

القصيدة - كشف النعمة - أكثر من أنها (وصمد) لميرة (محمد) حسن مولده إلى قرب أن يموت - في تموس على صنيحين ليلته - للهارودي :-
أحدهما : لابن هشام في الميرة ، والآخر : للبوخيري في (الكواكب الدرية) أي البردة ، فتأثر الهارودي بالأول تاريخيا ، وتأثر بالثاني فنيما ،
ومن الرجلين كات رب السيف والقلم يصول ويجول .

أما الحقيقة التاريخية : يعلم الدارسون أنها أكثر غناء . . . لدى ابن هشام . . . وأما الحقيقة الفنية : فلم تبرز بالصورة التي كان ينبغي أن يفسر عليها الهارودي . . . فهي في غير مستواه . . .

ويؤكد هذا القول كاتب آخر بقوله : (والترتيب الذي سار عليه الهارودي ليس ميزة فنية ، فقد قيد انطلاقه وعواطفه ووجدانه ، وحدد فنيته في إطار مرسوم ، ففترت المبالغة الشعرية في أكثر القصيدة ، وأصبحت منظومة تاريخية ، كتلك المنظومات التي تعرف بالمتون . . .)^(١)

أضف إلى ذلك السرد التاريخي ما امتطت عليه القصيدة عن الانسلاخ ومهارات غير شعرية مثل : (حينما) - حملت بالمصطفى . . . (وند) أثنى الموضع . . . (فبينما) هو يري البهم . . . (وقال) عه . . . (وحين) أدرك من الأربعين . . . (هذا) وقد فرض الله الصلاة . . .

ولا شك في أن مثل هذه المهارات أولى بها أن تكون في قصة نشوية لا في قصيدة شعرية ، وبخاصة عند شاعر كالهارودي ، بما جعل بعض الكتاب يقول عه : هو . . . يحكى قصة ، ويستخدم عبارات القصة اللازمة (فيها . . . وحين) إنه يرسم البعد الزمني ويحدده ، كما يفعل القاص ، أو كان ينبغي أن يفعل لأنه (ينظم) سيرة ، ولم يحاول أن يفعل بسيرة . . .)^(٢)

وأقول - إنه إذا للحقيقة - إن حرارة الماطقة لم تنطفئ في القصيدة كلها وإنما كانت تشتمل جذوتها عندما يناجي الشاعر ربه ، أو يتشوق إلى زيارة

(١) محمود ماضي الهارودي (للحديدي) ص ١٧٣ .

(٢) محمد في الأدب المعاصر ص ١٠٩ .

الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو يصف ما أفضله من الخطوب ، وما منى به من الآلام والظلم ، ويظهر ذلك واضحاً في قوله سنجها ربه (جل وعلا)^(١) :

يا مالك الملك هب لي منك مفسرة
تحو ذنوب غداة الخوف والنفس
وامن علي بلطف منك يمصصني
زيغ النهي يوم أخذ الموحدين الكظم
وقوله مخاطباً الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(٢) :
تالله ما عاتى عن حكيم شجس
لكنني موثق في رقة السلم
فهل إلى زروة يحيا القواد بهيسا
ذريمة أبتفيتها قبل مخترسي

البارودي لم يقتصر على سيرة ابن هشام :

إن قصيدة (كشف الغمة في مدح سيد الأمة) تدل على أن البارودي لم يقتصر على سيرة ابن هشام ، وإنما قرأ غيرها من كتب السيرة ، ويؤكد ذلك أنه أشار إلى وقوف حماة على وجه الفار ، كما نزع المنكبوت خيوطه على باب الفار أمخا ، عندما كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) مهاجراً^(٣) ، ولم يرد ذلك في سيرة ابن هشام التي صرح الشاعر بأنه ميفضها قصيدته^(٤) ، وزيادته على ما فيها يشير إلى ثقافته الإسلامية التي اكتسبها من اطلاعه ، وقراءته بعض كتب السيرة الأخرى^(٥) ولملها تشير أيضاً إلى أن البارودي قرأ برودة البوصيري ، إذ صرح البوصيري في بودته بذكر الحمسام والمنكبوت في تلك المناسبة بقوله^(٦) :

ظنوا الحمام وظنوا المنكبوت على

خير البرية لم تتعج ولم تحم

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٤٥ . (٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٣) المرجع السابق ص ٢١ وما بعدها .

(٤) المرجع السابق ص ٢٠ .

(٥) الروض الأنف ج ٢ ص ٤ وطبقات ابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٥٤ .

(٦) انظر ص ١٤٥ من هذه الرسالة .

وإذا تأملت قصيدة الهارودي - كشف الغمة - وجدت بها تشبيرا - أيضا -
إلى أن الشاعر قد ترك بعض الأفكار والحوادث دون الإشارة إليها مثل :
١- وفاة والد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو في بطن أمه (١) نعم ذكر
الهارودي أن الرسول ولد يتيما في قوله (٢) :
وأرضته ولم تياس حليلة من . . . قول الموضح إن الهوى في اليتيم
ولكن ذلك لا يكفي ، وكان في إمكان الشاعر استغلال تلك الفكرة لمشجعه
إلى حياة الله بنبيه من قديم ، ولعل في قوله تعالى : " أَلَمْ يَجْعَلْ
يَتِيْمًا فَاوَى (٣) " ما يوعد تلك الفكرة .

٢- وفاة والد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو ما زال طفلا صغيرا وكسابت
فرصة للشاعر بشير فيها إلى ما حل بالرسول من أحداث وودي وقع ذلك
على نفسه (٤) .

٣- كفالة جده عهد المطلب ، وهما به ما يقرب من سنتين ، ثم وفاته ، وأشير
ذلك في الرسول (صلى الله عليه وسلم) (٥) .

٤- تردد الرسول على غار حراء قبل نزول الوحي ، وأحكاكه فيه الليالى
ذوات العدد ، وخلوته في ذلك المكان الموحش (٦) .

٥- لحظة نزول الوحي بقوله تعالى : (اقرأ) (٧) ، وما هو جدير بالذكر أن
بعض الثمراء أشار إلى ذلك إشارة لطيفة ومنهم الشاعر : عهد الله
شمس الدين (٨) الذى يقول قصيدة طويلة ومنها (٩) :
صلى عليه الله تمورا هاديسا

متعبدا في غاره لم يسام

-
- (١) حيرة ابن هشام ج ١ ص ١٧١ (٢) كشف الغمة في مدح سيد الأئمة ص ٢
(٣) الضحى ٦ / (٤) حيرة ابن هشام ج ١ ص ١٧٩
(٥) المرجع السابق ج ١ ص ١٨٠ (٦) المرجع السابق ج ١ ص ٢٥٣ وما بعدها .
(٧) الملق ١ / (٨) عهد الله شمس الدين شاعر مصري توفي سنة ١١٧٧ .
(٩) مجلة الشبان المسلمين السنة (٤٩) العدد (٣) ص ١٨ وهذه القصيدة آخر قصائد
الشاعر قبيل وفاته .

هيمان ، تضرع للصالحين
 في توبته شقائق وجوده ختمهم
 يارب ، يارب إلهك تظلمت
 روحى ، وحبك مستأثر فى دمى
 حق أتى الروح الأمين يضمهم
 ضما على رغبته المتبهم
 اقرأ نبى الله ، اقرأ وابتهل
 وذكر ربك ياتى تونهم
 اقرأ وربك ملهم - سبحانه -
 قد علم الإنسان ما لم يعلم

وإذا كانت هذه القصيدة ليست من معارضات البردة ، فهناك بعض
 الشعراء الذين أشاروا إلى ذلك فى معارضاتهم - كما سيأتى (١).

٦- موقف السيدة خديجة عندما رجع الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المنزل
 خائفا - بعد نزول الوحي - ولما قص عليها ما رأى طمأنته - قائلة :
 له " أبشر يا ابن عم وأخت " (٢) وكان يمكن الشاعر أن يتحدث عن
 ذلك مبينا فنة السيدة خديجة وحنن تصرفها، ولمح إلى صدمات اليوم
 ليعلمن منها - كما فعل بعض الشعراء - كما سيأتى (٣).

٧- موقف الرسول عندما ذهب جماعة من قريش إلى عمه أبى طالب تطالبه بشأن
 يمنع ابن أخيه من سبب آلهم ، ولما طالبه أبوطالب بذلك قال الرسول
 " يا عم - والله لو ضموا الشجر فى يمنى ، والقر فى يمارى على أن أترك
 هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته " فلما رأى أبوطالب ذلك
 منه قال له : اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت (٤) ، وكان فى إمكان

(١) انظر ص ١٨٠ من هذه الرسالة .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٥ .

(٣) انظر ص ٦٢٠ من هذه الرسالة .

(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٨ .

الشاعر أن يتحدث عن ذلك مبهنا تمك الرسول بالحق مهما كلفه .
٨- أثر وفاة السيدة خديجة (رضي الله عنها) وهي التي كانت تقف بجانب
الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتناصره بنفسها وبأهلها ، وتتحمل معه
الأذى .

وكذلك أثر وفاة أبي طالب ، وهو الذي كان يقف بجانب الرسول مدافعا
عنه ، ولقد كان لوفاة السيدة خديجة وأبي طالب أثر عظيم في نفس
الرسول (صلى الله عليه وسلم) . إذ حزن عليهما حزنا شديدا
بل لقيمه سعى المام الذي توفي فيه (عام الحزن) كما أن قرشيها
لم تتل من الرسول إلا بمد وقائهما (١) .

٩- بناءً مسجد (قباء) (٢) الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى :
" لَسَجْدُ الَّذِينَ عَلَى الْتَقْوَى مِنْ أَقْلٍ يَوْمَ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ... الآية (٣)
والجدير بالذكر أن الشاعر أحمد محرم (٤) أشار إلى ذلك المسجد في
قصيدة طويلة ، ومنها مخاطبا الرسول (٥) :
يا حياة النفوس جئت (قبيسا)

جئته الروح تيمت المقبرا

ارفع السجد المبارك واصنع

للبرايا صنمك الشكورا

مقل بمصر النفوس صابري

أن يجعل الهوى بها أوجورا

أوصها بالصلاة فهي علاج

أو سياج يذود عنها الشرورا

١- بعض الصحابة الذين كانت لهم مواقف عظيمة ومنهم :

أ- المقداد بن عمرو (٦) الذي قال للرسول (صلى الله عليه و لم) قبيل

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٥ وابعداها . (٢) قباء : (يضم ففتح) موضع قريب من المدينة .

(٣) التوبة / ١٠٨ . (٤) أحمد محرم شاعر مصري توفي سنة ١٩٤٥

(٥) أحمد محرم : ديوان مجد الإسلام تصحيح محمد الجيوشي . ص ١٥ مطبعة المدني

بصر سنة ١٩٦٣ .

(٦) هو : المقداد بن عمرو بن مالك صحابي جليل توفي في خلافة عثمان بن عفان

سنة ٢٣ هـ .

غزوة بدر " يارسول الله : أمض لما أراك الله ، فتحن معك . . . (١)
ولقد أشار الشاعر أحمد محرم إليه في قصيدته طويلة منها : (٢)

ما أصدق المقداد حين يقولها

حرى ، وبعض القول نار تفتح

إنا وراءك يا (محمد) نبتفسى

ما الله يهطى المتقين ويمنع

بـ الحباب بن المنذر (٣) ، الذي أشار على الرسول (صلى الله عليه وسلم) قبيل غزوة بدر بتفجير المكان وردم الآبار القريبة من المشركين ، ووجد الرسول في ذلك الرأي خيرا ولذلك نزل عن رؤية ووافق عليه (٤) ، ولقد أشار إلى هذا الموقف الشاعر أحمد محرم ، في قصيدته طويلة منها (٥) :

مكر الحباب بهم قهر ما منهم

والكر في بعض المواطن أنجح

جـ - نعميم الأشجعي (٦) الذي أتى الرسول (صلى الله عليه وسلم) يطلب منه أن يأمره بشيء يفعله ضد اليهود والأحزاب - لأنهم أسلم سرا - في غزوة الخندق ، ثم قال له الرسول : خذل عما استطعت إنما الحرب خدعة ، فقام نعميم بخدعة ففك صفوف اليهود والمنافقين (٧) وأحسن قول (أحمد محرم) وهو يشير إلى ذلك (٨) :
أقبل نعميم هداك ربك ساريا

وكفى بربك ذي الجلالة هاديا

-
- (١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٥٣ . (٢) ديوان مجد الإسلام ص ٣٩ .
(٣) هو الحباب بن المنذر بن الجصم الأنصاري صاحب جليل توفي في خلافة عمر ابن الخطاب نحو سنة ٢٠ هـ . (٤) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٦ وأبجدها .
(٥) ديوان مجد الإسلام ص ٤٠ . (٦) هو : نعميم بن مسعود بن عامر الأشجعي صاحب جيل توفي في خلافة عثمان بن : ، نحو سنة ٢٠ هـ .
(٧) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٨٣ .
(٨) ديوان مجد الإسلام ص ١٦١ .

جئت النبي • نقلت : إني مسلم
من أشجع لم يدركني ملجأ
منى بما أحببت في القوم الألسى
نروها الرغاء لكن لأمرك وأمرها

ولا شك في أن هذه المواقف من عولاء الحاية كانت
تستحق التنويه إليها • والإشادة بها • إذ هي دليل على قوة
إيمانهم • وصدق اعتقادهم • وجعل تضحياتهم في سبيل ربهم •

١- وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) (١) وأثرها في أصحابه • وخاصة
عربن الخطاب الذي لم يصدق ذلك - أول الأمر (٢) - والجدير بالذكر
أن (أحمد محرم) أشار إلى بعض ذلك بقوله (٣) :

مات الرسول المجتبى • مات الذي
أحيا نفوس الناس وحى رسائهم
مات الرسول فكل ألقى عابسه
أسفا عليه - وكل جو قاتمه
... طاشت لصرعه عقل رجس

ووهت قوى مشدودة وزائمه (٤)

... صلى عليك الله • إن قضاه
حتم • وإن زعم المزاعم حالم

وإذا كنت قد بينت بعض الأفكار التي وردت في سيرة ابن هشام
وأغفلها البارودي في قصيدته • فيأتي مأسسها إلى بعض الأفكار السسني
تحدث عنها البارودي بإيجاز • وكان الأولى به أن يطلب في الحديث عنها
لما لها من أهمية كبيرة • ومن ذلك :

(١) توفي الرسول (على التراجيح) في يوم الإثنين ١٢ من ربيع الأول سنة ١ هـ •

(٢) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٠٢ وما بعدها •

(٣) ديوان مجد الإسلام ص ٤٥ •

(٤) لفظ (لصرعه) غير مناسب للمقام •

أ - حديثه عن المسجد النبوي الذي أشار إليه في بيت واحد ثم أردفه
ببيت آخر، تحدث فيه عن (بلال) - مؤذن الرسول - وكان الأولي
بالبارودي أن يشير إلى اشتراك الرسول (صلى الله عليه وسلم)
في بناء ذلك المسجد وحمله التراب بنفسه وفي ذلك دعوة إليهم
التمهلون، وعدم الاغترار بالناصب مهما علت ، ولعل هذا ما أشار
إليه الشاعر (أحمد محرم) بقوله (١)

المسجد الثاني يقام بيثرب
ويحمد البانسي يحدّ ويحمل
هذا رسول الله في أحبابه
لا يشتكى علياً ولا يتمهل
يأتي مذهب بينهم ، فليهم
بالتراب يغشى وجهه ويكسّل
أين هذا من قول البارودي (٢) :

ثم ابتنى سيد الكونين مسجده
بنمان عز فاضح قائم الدمام
واختار فيه بلالا بالأذان وما
يلقى نظير له في نبرة النفس
ولمك تلاحظ أنه أشار إلى بلال - بأن الرسول اختصه بالأذان لحسن
صوته ، وهذا تحليل جميل ، وأجمل منه لو أشار إليها - إلى تحمله التعذيب
في سبيل عقيدته ، وهذا ما أشار إليه أحمد محرم بقوله (٣) :

أذن (بلال) لك الولاية لم تتح
لسواك إذ تدعو الجموع فتقبل
الله ألبسك الكرامة واصطفى
لك ما يحب المؤمن المتكامل

(١) ديوان مجد الإسلام ص ٢٢٠

(٢) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢٤٠

(٣) ديوان مجد الإسلام ص ٢٥٠

ياطلول ما عذبت فيه ، فلم تمل
تهفى التى اهتفى الفؤاد المل
أحد إلهك ، ما كذبت ، وما لمن
يرجو النجاة على مولاه مصطل

أين هذا من قول البارودى الذى خلا من التحليق والبرايح ، ومع ذلك
فالضامران : البارودى وسحرم قد قصرا فى بيان أهمية المسجد من كونه :
مكانا للمباداة ، وحكمة للقضاء ، وقرا للقيادة العامة لجيش المسلمين ،
ومدرسة لتعليم أمور الدين ، وغير ذلك .

والجدير بالذكر أن بعض الشعراء الذين عارضوا بردة البوصيرى - بمد
شوقى - قد أشاروا إلى مثل ذلك - كما سيأتى - إشارة للبارودى فكانت
فى هيتين اثنين وهما : (١)
هكذا وقد فرض الله الصلاة على

عباده وهداهم واضح اللقـم
فسارعوا نحو دين الله وانتصبوا
إلى المباداة لا يألون من سسـم

إن إشارة البارودى إلى الصلاة مبتورة ، وكان الأولى به أن يشير إلى
أهمية الصلاة ، وكيف أنها تصل الصبد بربه ، كما أنها تنهى عن الفحشاء
والنكر ، وغير ذلك من الفوائد المظلمة التى أشار إلى بعضها شاعر النسبى
الشيخ الخطيب (٢) فى قوله (٣) :

إن الصلاة بها الصلات عبقـة
وبها يكون من الصلاة نجاكـا (٤)

(١) كشف الغمة فى مدح سيد الأمة ص ١٨٠ (٢) سيأتى التعريف به فى ص ٦٣٩ من

هذه الرسالة

(٣) محمد خليل الخطيب : وحى الحديث ص ٧ وما بعدها (لم يدون عليه
اسم المطبعة) وطبع سنة ١٩٥٩ .

(٤) الصلاة : النار .

وإذا بليت من الزمان بشسدة
 فافزع لها تفزع بها هلاكها
 هي قرة المينين ، جالية الرضا
 هي في الخطوب للعالمين
 وماد دين الله ، باب فتوحه
 وطريق جنته ، وسر هناك
 وأجل ما يدريك من مولاها
 يحط بك ولو يجم خطاياها
 هي طهرة وصحة وساحة
 رياضة وجاهة وسهاها
 ربحان أرواح ، متابع فكسرة
 إشراق أنوار ضياء نهاها
 تدعو إلى خير الخلال وإنها
 لمن الفواحسن كلها تنهاها
 فاسكن بها قلبا ، وسكن نالها
 فيها تناجي خير من ناجاها
 وانزع بها فيرا ، وقل مبتلا
 إياك نعبده هنا إياها

جـ - وإذا كانت شخصية البارودي العسكرية قد ظهرت في قصيدته
 كشف الفحة وخاصة هدا أشار إلى غزوات الرسول (صلى الله عليه
 وسلم) وكثير من سراياه ، فإنه لم يبين الحكمة من توجيه هذه
 السرايا ، وخاصة أن بعض الناصب ينشر إليها على أنها ضرب
 من قطع الطريق ، مع العلم أن تلك السرايا يرجع سببها كما
 ذكر بعض الكتاب ^(١) إلى :

أ- إشمار مشركي يثرب ويهودها وأعرب البادية النازحين حولها بأن
 المسلمين أقوياء ، وأنهم تخلصوا من ضعفهم القديم ، ذلك الضعف

(١) الشيخ محمد الفزالي : فقه الميرة ن ١٩٢ بمصرف مطبعة دار الشعب بمصر سنة ١٩٧٢

الذى مكن قريشا في مكة من صادرة عقائدهم وحرىاتهم ، واختصاب
ديارهم وأموالهم ، ومن حق المسلمين أن يمنوا بهذه المظاهرات الممكورة
على ضالة شأنها .

٢- إنذار تريش عقي طيشها ، فقد حاربت الإسلام ولا تزال تحاربه
ونكلت بالمسلمين في مكة ، ثم ظلت ماضية في غيرها ، لا تصح لأحد
من أهل مكة بالدخول في دين الله .

في كشف الخفة تقليد وتجديد :

ولا يخفى أن نصيدة البارودي قد اشتملت على ما هو قد تقلده الشعراء
السابقين ولكنه لم يقف عند ذلك التقليد ، بل أضاف جديدا أملا ، صسر
من ذلك ، تنبه أن تحمل القطاة رسائل أشواقه إلى أحبابه ، وفي هذا تقليد
ظاهر للسابقين ، إذ كانوا يتنصرون ذلك ، بل إن منهم من تمنى أن يستمير
جناح ذلك الطائر ليطير به إلى أحبابه ، ومن هؤلاء : المبراس بن الأحنف الذي
يقول (١) :

بكيت إلى سرب القطا حين موسى . . . فقلت : رضى بالكاء جدير
أسرب القطا لعل من ممر جناحه . . . لعل إلى من قد هويت أطيرو (٢)
أما ما قاله البارودي فهو (٣) :

ليست القطا حين سارت غداة حملت
فنى رسائل أشواقى ، إلى إضم
مرت علينا خماسا وهي قانصة
مر المواقف لا تلوى عيسى إرم
لا تدرك المين منها حين تلحها
إلا مثلا كلمع البرق في الظلم
كانها أحرف برقية فوضعت
بالسلك فانتشرت في السهل والملم

(١) المبراس بن الأحنف : ديوانه ص ٧٣ وما بعدها مطبوعة الجواثب بالقسطنطينية سنة ١٢٩٨ هـ
وبلاحظ أننى وجدت هذه الأبيات ضمن قصيدة طويلة في ديوان قيس بن الملوح — أيضا — ص
٣٣ . المطبعة العامة المشانية بصرمة ١٣٠٩ . (٢) في بعض الروايات (هل من ممر ٠٠)
(٣) كشف الخفة في مدح سيد الأمة ص ٤ وما بعدها .

فالشاعر إلى جانب تنبيه أن تحمل القطاة رسائله إلى أحبائه ، شبه مرورها
بسرعة بمر الرياح ، ولمع البرق ، وهذا تشبيه قديم ، إلا أنه أناف جديدا
عندما شبهها — القطاة — وهي تمربسرة — أيضا — بلحرف بريقة (تلخرافية)
قد حملتها الأسلاك . ولا شك في أن ذلك التشبيه أثرا من آثار صر
البارودي ، ولعل هذا ما أشار إليه بعض الكتاب بقوله (١) : « كان يصور
نفسه وميئته ووطنه تصويرا صادقا ، ومن تمام هذا الصدق فيه شعوره الدقيق
بمصره ، لا بأحداثه فحصب ، بل أيضا بمختراته ، وكان يجربها في تشبيهاته
واستماراته كقوله في الغزل :

وسرت بجسعي كهربات حسنه

فمن المروق به ملوك تخبر (٢)

أنف إلى ذلك — أيضا — أن في القصيدة دلالة على انتقال الشعر المريب
في صر من مرحلة العناية بالمحسنات البدعية التي كانت تعثر حشرا ، فتقل
اللفظ ، وتعقد الأسلوب ، — الانتقال من تلك المرحلة — إلى مرحلة التحرر من البدع
إلا ما جاء من خواطر ، مع جزالة الألفاظ ، ومثانة الأسلوب — قالها — وهذا
ظاهر بوضوح في ثنائيا القصيدة .

ولعل من أهم آثار قصيدة البارودي (كشف الفخمة) — بالإضافة إلى ما سبق —
أنها تدل على وجود الملحمة (٣) في الشعر المريب ، وتورد بذلك على من زعم أن
الشعر المريب خلو من الملاحم (٤) .

وإذا تأملنا مميزات الملحمة كما ذكرها بعض النقاد ، عندما قالوا : إن الملحمة
تتأثر بأنها : (٥)

- ١- تشمل قصتها طس حوادث خطيرة تدور في المادة حول بطل عظيم .
- ٢- تكون لغتها فخمة ، رفيعة الأسلوب ، ومن وزن قوى متين — والملاحمة عبادة
وزن واحد لا تخرج عنه .

(١) الأدب المريب المعاصر في صر صفحة ٩١ (٢) ديوان البارودي ج ٢ ص ٧٤ .
(٣) هي قصيدة طويلة تصرد الوقائع والحوادث على سبيل القصة ، ونصف أعمال أبطال عظام ،
كما نصف الحروب وغير ذلك . انظر : الملحمة في الشعر المريب ص ٧ وما بعدها ،
وتاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٥٥ ، وأحمد أمين (بالاشتراك مع غيره) : التوجيه
الآدي ص ١٨٩ ، المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٩٤٩ (٤) الدكتور : محمد عيسى هلال :
الأدب المقارن ص ١٤٩ . طبعة دار نهضة صر ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٣ ، والملحمة
في الشعر المريب ص ٢٠ (٥) التوجيه الآدي ص ١٨٩ وما بعدها .

٣- تشتمل أكثر الملاحم على حوادث خارجة عن المألوف ، وكون أمثلتها مزجها من الأبطال العظام ، ومن الآلهة أحيانا ، الذين يشتركون في الوقائع وينصرون فريقا على فريق . . .

إذا تأملنا هذه المميزات ثم تأملنا قصيدة البارودي وجدناها قد اشتملت على أكثر صفات الملحمة ، كالإشادة بالبطولة الإسلامية متخلطة في كهاج النسيب (صلى الله عليه وسلم) وأتباعه ضد المتصدين لإحباط دعوته ، والمناهضين لهذا الدين الإسلامي ، مع ذكر تأييد الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم) . كما أن وزنها قوى ، ورويتها واحد ، ولا يضيرها أن خلت من تصوير صراع بين آلهة لأن ذلك ما تأباه العقيدة الإسلامية ، كما أن بعض النقاد ذكروا أن هذه القصيدة ليست من الصفات الضرورية للملاحم (١) .

وتد أشار بعض النقاد إلى هذا الأثر بقوله : " وما بلغت النظر في شعرنا الحديث شعور الملاحم والطولات ، وأول من بدأ المطوليات ذات الطابع الإسلامي في العصر الحديث هو : محمود سامي البارودي . فقصيدة أنشأ قصيدة كبرى بلغت سبعة وأربعين وأربعمائة بيت بعنوان (كشف القصة في مدح سيد الأمة) ، وهي على وزن روى قصيدة البردة المشهورة للهو مجيد صيرى ، وموضوعها السيرة النبوية أيضا ، إلا أن البارودي قد شرح وحصل وحسن قصيدته معارف أكثر ما تضمنته قصيدة البوصيري . . (٢) .

بل إن بعض الكتاب قد أكد ذلك الأثر وزيادة بقوله : " ولا شك في أن هذه الملحمة هي التي أوجت إلى حافظ إبراهيم أن ينظم مطولته عن عسير ابن الخطاب (رضي الله عنه) (٣) . . . كما أوجت إلى أحمد مكرم ملحمة (أوياذها)

(١) المرجع السابق ص ١٩٠ .

(٢) الملحمة في الشعر العربي ص ٣٨ .

(٣) مطلع تلك المطولة :

حسب القوافي وحسبي حين ألقبها

أنى إلى ساحة (الفاروق) أهديتها

انظر ديوان حافظ ج ١ ص ٣٩ وما بعدها .

في السيرة النبوية (١) ... وجد الحليم المصري في بكرته (٢) ... وحسب
جد المطلب في طوخته (٣) ... وأيضاً استخاض بها شوق كما استخاض بعبدة
الأبصيري في قصيدته (ريم على القاع بين اللبان والملمس (٤)) .

وإذا صح ما قاله هذا الكاتب ، فإنه يشير في النفس تمللاً ، وخاصة
حول شوقه ، لأن قصيدته من معارضات البردة - أصبح تأثره على نفسي
نظمه (نهج البردة) ببردة البوصيري فحسب ، أم بها وفيها ؟

وهذا ما سنراه في الباب الرابع إن شاء الله ،



.....
(١) وأول تلك الملحمة :

أماً الأرضها محمد نورا .. وأغر الناس حكمة والدهوا

انظر ديوان مجد الإسلام ص ٣٠

(٢) جد الحليم المصري شاعر مصري في العصر الحديث توفي سنة ١٩٢٢ . وكثرته : نسبة
إلى أبي بكر الصديق (رضى الله عنه) ، وظلمها :

أفضى أبا بكر عليهم قوافيل .. وأطر لسانى حكمة ومانيها

انظر : جد الحليم المصري : بكرية المصري ص ٧ مطبعة مدرسة بنى سويف الضاحية سنة
١٩١٩ . (٣) سيأتى التحريف بعبد المطلب عند الحديث عن معارضته ص ٥٧٧ من

هذه الرسالة ، وطوخته : نسبة إلى علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وأولها :

أرى ابن الأرض أصفها مقاما .. فهل جعل النجوم بها مراما

انظر ديوان جد المطلب ص ٢٣٠ . (٤) البارودي رائد الشعر الحديث ص ١٤٩ .

المسالك

معارضة شوقي

الفصل الأول : شوقي من مولده إلى وفاته

الفصل الثاني : دراسة وتحليل
نهج السيرة

الفصل الثالث : قيمة معارضة
شوقي

الفصل الأول

شوقي من مولده إلى وفاته

بمدا تحدث عن قصيدة البارودي — كشف الفحة في مدح محمد الأمة — وتناولتها بالدراسة والتحليل، ثم بينت أثرها — سأحدث — سنا حسن (نهج البردة) لشوقي.

وشوقي هو : أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ، ولد في القاهرة سنة ١٨٦٨ (١) ، وقيل : سنة ١٨٧٠ (٢) وهذا هو الراجح (٣).

وما هو جدير بالذكر أن نسب شوقي ينتهي — من جهة أبيه — إلى الأكراد فالعرب ، وإلى الأتراك من جهة أمه ، إلا أن في نسبه عرة — جركسيا من جهة جدته لأبيه ، وعرقا يونانيا من جهة جدته لأمه .

ومما يكن من شيء فالشاعر مصري المولد والنشأ والإقامة ، ولذلك تحدث عن مصر قائلا : — إنها بلادي ، وهي منمشتى وسهادي ، وقسميرة أجدادي ، ولي بها ولدان (علي وحسين ثم أمينة بعد ذلك) ، ولي نفسي ثراها أب وجدان ، وهمض غذا تحجب إلى الرجال الأوطان (٤).

ولقد نشأ الشاعر في كنف والده الذي كان يحمل أمينا للجوارك المصرية وكان في رغب من الميوز ، ولما بلغ شوقي سن الرابعة أدخله أبوه مكتب

(١) المتنبي وشوقي وإبارقا لشعر ص ٢٩ ، الإسلام في شعر شوقي ص ٤ ، الرافعي وحى القلم ج ٢ ص ٢٤٧ يتعلق محمد سعيد المريان مطبعة الاستقامة بمصر — الطبعة الثالثة سنة ١٩٥١ .

(٢) الدكتور ماهر حسن : أحمد شوقي ص ٨ طبعة دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٩٦٩ — الدكتور طه وادي مختارات من شعر أمير الشعراء أحمد شوقي ص ٩٥ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢ .

(٣) لأنه موافق ما في شهادة الميلاد : انظر أحمد شوقي بناءه ص ٩ ، وكذلك موافق ما في شهادة اللسان التي نالها من باريس في الحقوق . انظر مختارات من شعر أمير الشعراء ص ٩٥ .

(٤) الدكتور : محمد صبرى : الشوقيات المجهولة ص وما بعدها ، مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٦١ .

الشيخ صالح ، ثم أدخله المدرسة الابتدائية ، فالثانوية ، وكان متفوقا فمضى
دراسته على الرغم من صغر سنه .

وبعدما انتهى من دراسته في المرحلة الثانوية ، دخل مدرسة الحقوق
وكثب بها سنتين ، ثم التحق بقسم الترجمة الذي أنشئ في المدرسة نفسها
وكثب به عامين أيضا ، ولما نال إجازة أرسله الخديوى توفيق في بعثته
إلى فرنسا لكي يدرس الحقوق والآداب الفرنسية ، فسافر سنة ١٨٨٧ ، وقضى
في فرنسا أربع سنوات نال خلالها إجازة الحقوق ، ثم عاد إلى مصر سنة
١٨٩١ ، بعد أن تشبع ذوقه وعقله بحضارة الفرنسيين ، وثقافتهم ، وأدبهم ،
وكان يتقن في ذلك الوقت ثلاث لغات ، هي : العربية والتركية
والفرنسية .

ولقد ألحقه الخديوى بحاشيته ، وكان يكلفه ببعض المهام الرسمية ، ومن
ذلك أنه أوفده لتمثيل مصر في مؤتمر المستشرقين المنعقد (بجنيف) سنة
١٨٩٤ ، والجدير بالذكر أنه أنشد في ذلك المؤتمر قصيدته التي مطلعها ^(١) :

هبت الفلك واحتواها الماء . . . وحداها بمن ثقل الرجاء .

وانتهز فرصة وجوده في تلك البلاد الجميلة ، فتنقل بين مدنها ، فتمتعا
بمنظرها الرائعة ، ثم غادرها بعد انتهاء المؤتمر إلى (بلجيكا) فسُـرَّار
بعض مدنها الكبرى ، ورجع إلى وطنه وعمله .

وصار شوقي شاعر القصر ، وأطلق عليه شاعر المميز ، وقد تثنى بذلك
في قوله ^(٢) :

شاعر المميز وما . . . بالقليل ذا اللقب

ثم تدرج في عدة مناصب حتى تولى رئاسة (القلم الإفريقي) .

ولما مات الخديوى توفيق ، وتولى العرش بعده ابنه الخديوى عباس زاد
في إكرام شوقي وثقوبه ، فجعله أئيم مجلسه ، ورفيق رحلته ، فون أنه شاعره ،

(١) الشوقيات ج ١ ص ١ .

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٨ .

فلصبح سمع الكلمة ، مجلب الرجا ، يقصده ذوو الحاجات ، فكان لا يرد طالبا .

نفس شوقى :

وحدهما اشتملت الحرب المالية الأولى سنة ١٩١٤ - وكان الخديوى عباس
مصطفى وحده فى بلاد الترك - خلعته الإنجليز ، ومنعوه من الرجوع إلى مصر
- بحجة أنه تركى الهوى ، راض عما فعله الأتراك من انضمامهم فى الحرب
إلى صفوف الألمان أعداء الإنجليز ^(١) - كما اضطهدوا كثيرا من الوطنيين
وشردوا القريين إلى الخديوى عباس ومنهم شاعره (شوقى) فأبعد عن مصر
سنة ١٩١٥ بعد أن اختار (برشلونة) ببلاد الأندلس مستقرا له ^(٢) ، وهناك
عانى هذه الفرية وآلامها ، والوحدة ووحشتها ، ولكن نفيه كان أحسن حالا
من نفس البارودى ، إذ كانت مدته خمس سنوات تقريبا ، كما أن بسلامة
الأندلس أحسن حالا من (سرنديب) إذ كانت بها الآثار المهيبة والإسلامية ^(٣) ،
بالإضافة إلى أن الشاعر قد صاحب معه أولاده وزوجته وهذا يخفف أثر
الفرية ، ولوحة البعد ، أما البارودى فكان - كما سبق - وحيدا فى منفاه
الذى استمر ما يقرب من سبعة عشر عاما . ^(٤)

ولعل ما يوقد راحة شوقى فى منفاه بعض الشيء قوله : " ثم كفت
على قراح كتب الأدب العربى فى غير أوقات النزعة ، وشاهدة المصمصا
فأستوعب منها ما لم أكن قد استوعبته ، وطالمتها كلها حتى أكاد أقول : إنه
ليس فى الأدب العربى ، كتاب لكبار الأدباء لم أستوعبه فى خلال السنين
الخمس التى عشتها بأسبانيا . . . وقد ماعدتني فى ذلك طبيعة الجسسو
اللطيف الذى يشبه جو الإسكندرية ، وجمال المناظر التى تحاكي الاستانسة
فى رشاقتها ونظامها ، وهذا إلى أخلاق الأهالى التى تميل إلى الأخلاق
الشرقية المرمية ، ما جعل ببنى وبينهم ألفة حسنة شمرت على لالها بأننى بمن
أبناء وطن واحد ، لا سيما أن هناك من العائلات الراقية من تفتخر
بأنها من أصل عربى ، وتتصب إلى بنى أمية . . . فى هذا الجو ونفى ذاك

(١) العتبى وشوقى وإيالة الشعر ص ٤٠ .

(٢) أحمد شوقى ص ٩٨ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٩ وما بعدها .

(٤) انظر ص ٢٤٢ وما بعدها من هذه الرسالة .

الوسط نشأت نشأة أخرى في الأدب القومي ، واستأنفت دراستي له بمناينة
واهتمام ، وشغرت على رياضة الذعن في ثمرات القرائح العربية مشهورها
منظومها ، فصلت منها على ثروة لم أقف بها من قبل . . (١)

ولقد بدأ شوقي يمدلي أولاده دروسا في اللغة العربية . . ثم شرع
في تعلم اللغة الأسبانية ، وقد تعلمها فعلا ، ولكن نطقه لها لم يكن
سليما (٢) .

وسج أن جور أسبانيا كان قريبا من جور الإسكندرية — كما قال شوقي —
إلا أنه أحس بلوعة البعد عن مصر وأهلها ، واشتد شوقه إليها وإلى نيلها .
ولذلك بحث إلى شاعر النيل (حافظ إبراهيم) بأبيات ثلاثة يقول فيها (٣) :

يا ساكني مصر أنا لا نزال على
عهد الوفاء وإن غننا مقيمتنا
هلا بعثتم لنا من ما نهـر كـمـر
شيئا نيل به أحسن صاديننا
كل البناهل بعد النيل آسنـة
ما أبعد النيل إلا عن أمانينا

عودة شوقي إلى مصر :

ومهما يكن من شيء فلقد ظل شوقي في بلاد الأندلس حتى سمح له
بالمودة في نهاية سنة ١٩١٩ (٤) ، ففرح فرحا كبيرا ، ولعل مما يؤكد ذلك
أنه عندما وصل إلى أرض الوطن سنة ١٩٢٠ حياه بقصيدة طويلة ومنهـسـسـا
قوله : (٥)

-
- (١) طاهر الطناحي : صور وظلال من حياة شوقي وحافظ ص ٨٦ بتصرف مطبعة دار
الجلال سنة ١٩٦٧ .
(٢) أحمد شوقي ص ١٠٢ .
(٣) ديوان حافظ ج ١ ص ١٣٦ .
(٤) أحمد شوقي ص ١١٥ .
(٥) الشوقيات ج ١ ص ٥٦ .

ويا وطني لقيتك بعد يأس
كأنى قد لقيت بك الشبابا
وكل سافر ميؤوب يومنا
إذا رزق السلامة والإهابا

ولقد كان في استقبال شوقي عدد كبير من الناس وعلى رأسهم كثير من
الشعراء والأدباء ، فانغمل انغمالا شديدا ، وتأثر تأثرا كبيرا ، وهو يسمع
ويرى هذا القبح من الشاعر فأحس أنه يخلق من جديد .

عاد شوقي ولم يمد أيمره ، فوجد باب القصر مغلقا أمامه ، كما وجد
أن مصر قد تغيرت ، وأن الثورة الرئاسية قد شبت ، وأن الحركة القومية
قد انتفضت ولانتهت في حاجة إلى الصوت القوي الذي ينطق باسمها ، ويحبر
عن قضاياها ، ويصور آمالها ، فتحول شوقي من شاعر الأمير إلى شاعر الشعب ،
فصور آماله وآلامه ، ومن ذلك حديثه عن الدستور في قوله (١) :

تطالب بالحق في أمة ••• جري دمها دونه وانتشر
ولم تغفر بأساطيلها ••• ولكن بدستورها تفتخر

وحديثه عن الجلاء (٢) :

والله ما دون الجلاء يومه ••• يوم تسميه الكنانة عيدا

والجدير بالذكر أن الشاعر لم يتحدث عن مصر وحدها ، كيف والوطن المريب
جسم واحد ، فكان يخلق هنا وهناك ، ويصل صوت البلبل إلى كل بيت عربي ،
وفرح تارة بخير يتحقق ، ويبكى تارة أخرى إذا ألم خطب ، أو نزل بلاء ، ومن
ذلك قصيدته في نكبة دمشق التي مطلعها (٣) :

سلام من صبا (بردى) أرق ••• ودمع لا يكفكفيا دمشق (٤)

(١) المرجع السابق ج ١ ص ١٦٥

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٢٧

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ٨٨

(٤) (بردى) : يفتحون مع القصر - نهر يمر بدمشق •

تكريم شوقي :

ولقد تجلت عبقرية شوقي بمد عودته من المنفى ، وطلع على الناس بمدها
أنفج فكرا ، وأصفى قريحة ، وأقوى شاعرية - ولعل ذلك بسبب كثرة مشاهد
وزيادة تجاربه ، ووفرة اطلاعه على الآداب الشرقية والغربية كما سيأتى - ولمع
بجوهه ، لا فى سماء مصر وحدها ، بل فى سماء الوطن المسمى كله ، ولذلك
انضمت كلمة البلاد المصرية ، على أنه أمير شعرائها ، ولم يكتفوا بترديد ههنا
صيحات مشرقة فى بلدان المروية ، بل سجلوها فى إجماع رائع على لسان
خودهم التى اجتمعت بالقاهرة سنة ١٩٢٧ وأعلنوا زعامة شوقي الشعرية وهمايته
أميرا على الشعراء^(١) ، ووقف حافظ إبراهيم يملن ذلك بقوله^(٢) :

أمير التفانى قد أتيت بهايما

وهذى وفود الشرق قد باهت بهى

وفاته :

وظل شوقي - بعد مبايعته أميرا على الشعراء - يتفنى على قشارة
الشعر حتى صعدت روحه إلى بارئها فى سنة ١٩٣٢^(٣) :

آثاره :

ولقد ترك شوقي ثروة أدبية قيمة منها :

١- ديوانه الشوقيات (أربعة أجزاء) .

٢- ديوانه دول العرب وعظماء الإسلام .

٣- أسواق الذهب (شعر) .

(١) أحمد شوقي ص ١٥٨ وما بعدها ، حسين شوقي : أبى شوقي

ص ١٤٤ وما بعدها . مكتبة النهضة المصرية بمصر سنة ١٩٤٧

(٢) ديوانه ج ١ ص ٨٥ .

(٣) أحمد شوقي ص ١٩٣ .

- ٤- مسرحيات شعبية مثل : صرع كليوباترة ، وجنون ليلي ، وقهيز ،
وعلى بك الكبير ، وحجرة ، والسبت هدى ، وغيرها .
٥- مسرحيات شعبية مثل : أميرة الأندلس ، ولاديماس ، وورقة الآمن .
وغیرها (١) .

شاعريته :

كان شوقي شاعرا رحب الأفق ، واسع التصرف ، مخلص الشاعر ، تصرف
فسي جميع فنون الشعر ، وأتى فيها بالمعجب المجاب ، ولقد عارض كبار
شعراء العربية في أربع قصائدهم ، فما كبا خياله ، ولا وحن نسجه ، ولا سقط
معناه ، أضف إلى ذلك ظهور شخصيته قوية في شعره ، الذي تلمس فيه روحه
ومحوره وثقافته الواسعة ، وخياله المحلق ، وموسيقاه العذبة .

وشاعرية شوقي مدينة في صقلها بمدة أمور منها :

كثرة قراءته شعر السابقين ، وحفظه الجيد منه وخاصة روائع البحري وأبى
تصام والمتنبى والشريف الرضي وأبى فواس وغيرهم ، بالإضافة إلى ثقافته
الواسعة ، وخاصة العربية والفرنسية (٢) ، وكثرة رحلاته وأسفاره إلى البلاد الأوروبية
وغيرها مثل بلجيكا ، وفرنسا ، والأندلس ، ولبنان ، وسورية . . . ولا شك فسي
أن تلك الرحلات هيأت له الاطلاع على مشاهد جميلة ، ومناظر رائعة ،
وسعت خياله ، ونمت مواهبه ، كما أن عاصر جنسه - عربى ، كردى ، تركى
شركى ، يونانى - تؤذن - كما قال بعض الكتاب - منذ أول الأمر بأنفسه
سيكون شاعرا كبيرا ، وخاصة أنه يجمع بين الجنسيتين العربى واليونانى ، اللذين
يشتهران من قديم بالشعر والشاعرية (٣) ، أضف إلى ذلك أنه أبحر على الشعر
بفراغه له أربعا وأربعين سنة ، غير مشترك العمل ، ولا منقسم الخاطر ، طسى
سمة في الرزق ، وسطة في الجاه ، وظو في المنزلة (٤) ، ولا تنمى تأثره

(١) انظر : مختارات من شعر أمير الشعراء ، أحمد شوقي ص ٩٨ وابعدها .

(٢) الأدب العربى المعاصر فى مصر ص ١١٤ .

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٤) وحى القلم ج ٣ ص ٣٥١ .

في أول أسره بأستاذة البارودي ، " وكأنما كان هديته إلى وطنه ، إذ تثل
طريقته تشلا دقيقا ، وكأنما أشرب روحه . . فإذا هو كأستاذة يطك ناحية
اللفة وزيام التعبير بها ملكا لم يتم لشاعر في عصره ، وكأنما سخرت له قيثارة
الشمر المريع ليستخرج منها ألحان الأنغام حيناً ، وأغزيبها حيناً آخر . (١)
ولم يقف عند ذلك الحد بل حاول أن يفوق أستاذة ، " وأن يحوز قصب
المهيق في الشمر التشلي ، فأخذ ينشر مسرحياته . . وذلك عرب هذا
الفن الجديد لأول مرة في تاريخ شمرنا الحديث . . (٢) " ما جمعل
بعض الكتاب يقول منه (٣) :

" هذا هو الرجل الذي يخيّل إلى أن مصر اختارته دون أهلها
جميعاً لتضع فيه روحها المتكلم ، فأجبت له ما لم توجب لغيره ، وأعانتها
بما لم يتفق لسواه ، ووهبت له القدرة والتكين وأسباب الرياسة وخصائصها . .
فأصبحت مصر به سيدة المالم المريع في الشمر . . "

وإذا كان شمره قبل نفسه قد عهد بقيود القصر الذي كان يعيش
فيه ، والخديوي الذي كان تابعاً له ، فإن شمره بعد نفسه قد تحرر —
كل قيد فأضحى قوى الصوت ، وطول النفس ، شجي النغم ، صادق العاطفة ،
صعباً عن آمال الشعب (٤) .

هذا عن شمره بمائة ، أما عن شمره الديني (٥) — بخاعة — فسهل
الأسلوب ، واضح المعاني ، يتألف من قصائد ومقطعات ، وأبيات متشعبة
اقتضاهما المقام ، ودعا إليها تشعب النسيج في بعض القصائد (٦) ، وبعض أفكار
هذا اللون من الشمر تدور حول مناجاته ربه ، وتضرعه إليه (٧) :

(١) البارودي رائد الشمر الحديث ص ١٧١ . (٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٣) وحى القلم ج ٣ ص ٢٤٤ بتصرف . (٤) الأديب المريع المعاصر في مصر

ص ١١٧ بتصرف .

(٥) أفرد الحديث عن شمر شوقي الديني لصلته بموضوع الرسالة .

(٦) الدين والأخلاق في شمر شوقي ص ٢٧ .

(٧) الشوقيات ج ١ ص ٢٢٤ .

مبحاتك اللهم خير معلـم
علمت بالقلم القسرون الأولى
أخرجت هذا القفل من ظلماته
وهديته النور المبين سبيلا
وأمانه بقضائه وقدره (١) :

سبحان من لا عز إلا عـزه
يقيس ولم يك ملكه لسيـرولا
لا نستطيع النفس في ملكوته
إلا رضا بقضائه وقبـولا
وتسليمه بأن الموت نهاية كل حي ، وإشارته إلى أن بعد الموت
بعثنا (٢) :

منة الله في المباد وأمـر
ناطق عن بقائه لن يردا
والى الله ترجع النفس يومـا
صدق الله والتهبون يومـا

ومن شعره الديني : مدائمه النبوة ، التي بلغت أربع قصائد تقريبـا
بالإضافة إلى بعض الأبيات التي وردت في ديوانه (دول العرب وعظماء الإسلام) (٣)
وفي بعض القصائد الأخرى مثل مرحبا بالهلال (٤) .

فالقصيد الأولى بلغت أبياتها تسعة وتسمين بيتا بعنوان (ذكرى المولد)
ومثلها (٥) :

به هجر يقيمـه . . . كلاً جفنيك يعلـمه (٦)

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٢١٥ . (٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٢٤ .
(٣) انظر هـ أحمد شوقي : دول العرب وعظماء الإسلام ص ٢٢ وما بعدها متابعة - مصر
سنة ١٩٣٣ . (٤) الشوقيات ج ١ ص ٢٣١ وما بعدها .
(٥) أحمد شوقي : كرمه ابن هاني ، نشر توفيق الرفاعي ص ٧ وما بعدها مطبعة المعاهد
بمصر سنة ١٩٢٣ . (٦) في الشوقيات ج ٢ ص ١٢٠ (به محرو) . ويلاحظ أن أبيات
الخل هي المذكورة فقط في الشوقيات .

ومنها في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) (١) :

تبارك من به أسرى ••• وجلّ الله كرمه
يرمه بيته الأقصى ••• وظلمه وملمه

والقصيدة الثانية : بلغت أبياتها واحداً وسبعين بيتاً ، وحوانها (ذكرى المولد) ومظلّمها (٢) :

سلسوا قلبي غداة سلاوتايا ••• لعل على الجمال له قابا

ومنها في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) (٣) :

أبا الزهراء قد جاوزت قدرى بمدحك بيد أن لي انتسابها
فما عرف البلاءة ذوبيسان إذا لم يتخذك له كتابها
مدحت المالكين فزدت قدرا فحين مدحتك اقتدت الصحابا

والقصيدة الثالثة : حوانها (الهزيمة النبوية) وبلغ عدد أبياتها واحداً وثلاثين ومائة بيت ومظلّمها (٤) :

ولد الهدى فالكائنات ضياء

وفيم الزمان نهم وتما

ومنها في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) (٥) :

يا من له الأخلاق ما تهوى الملا

منها وما يتمشق الكبراء

لو لم تقم ديننا ، لقامت وحدها

دينا تنض ، بنوره الأنسا

وأما القصيدة الرابعة : فهي (نهج البردة) التي عارض بها شوقي بردة

البوصيري ، وهي التي سأقف معها بالدراسة والتحليل في الفصل الثاني إن شاء

الله تعالى .

(١) كرامة ابن هاني ، ص ٧٤ . (٢) الشوقيات ج ١ ص ٥٩ .

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٦٢ . (٤) المرجع السابق ج ١ ص ٢١ .

(٥) المرجع السابق ج ١ ص ٢٣ .

الفصل الثاني

دراسة وتحليل : نهج البردة

لقد تحدثت عن حياة شوقي وشاعريته ، ثم ألقيت الضوء على شعره بحامه ، وشعره الديني بخاصة ، وذكرت أن من شعره الديني مدائح النبوة التي بلغ عدد قصائدها أربع قصائد تقريبا ، بالإضافة إلى بعض الأبيات المنشورة في قصائد أخرى منظومة في مناسبات مختلفة .

وإذا كنت قد تحدثت عن ثلاث قصائد من هذه القصائد الأربع ، فسوف أتحدث هنا عن القصيدة الرابعة وهي (نهج البردة) التي بلغ عدد أبياتها تسعين ومائة بيت ، ولا يخفى أنني أفردت الحديث عنها ، لأنها من محاضرات بردة البوصيري ، إذ هو من بحر البسيط ، وهي مكملة مكسورة ، وأفكارها تدور حول مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

سبب نظمها :

ولقد نظم شوقي هذه القصيدة بمناسبة عودة الخديوي عباس حلمي الثاني من الأراضي الحجازية بعد أدائه فريضة الحج ، وقد أهداها الشاعر إلى الخديوي قائلا :

" الملك المعظم مولانا الحاج عباس حلمي الثاني .

" مولاي " - رأى الله لهذا المبد الخاضع ، شاعر بيتك الكريم

أن يمشى بنور العلم الفرد للمغفور له (البوصيري) صاحب القصيدة الشهيرة (بالبردة) في مدح خير الأنام (عليه الصلاة والسلام) ، فنظمت هذه الكلمة التي أسأل الله ، وأرجو من رسوله قبولها ، وجعلها يا مولاي لحجتك المبرورة (تذكارا - ١٣٢٢) كلما تناقل الناس أخبارها " - " عبدكم شوقي (١) .

يقدر بفضل مولانا الأستاذ الأكبر - شيخ الجامع الأزهر - الشيخ

سلمى البشرى^(١) ، فتكفل بشرحها للناس ، فدخلت البركة على أبياتها
من كل مكان ، وحسن قبولها من الملك نهاية الإبداع والإحسان^(٢) .

هذا هو سبب نظم شوقي (نهج البردة) وتاريخ ذلك النظم كما
ذكره الشاعر نفسه ، إلا أن بعض الكتاب ذكروا أن الشاعر قد نظم تلك القصيدة
لتكون بمثابة اعتذار لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بحسب عرويه من أداء
فريضة الحج مع الخديوى عباس ، الذى خرج لحج بيت الله الحرام وحصه
معه ، ولكنه كان يخشى كثيرا من متاعب الطريق وركوب الإبل والسير فى صحارى
المرى ، كما أنه كان يعلم أن الخديوى لمن يقبل عذره إذا اعتذر إليه ، فتنظروا
بالرضا والاستعداد للسفر معه ، ولما وصل ركب الخديوى إلى مدينة (بنها)
— عاصمة محافظة القليوبية الآن — انفلت منه واختبأ فى دار صديق لـه
بها ، وأخذ الخديوى يبحث عنه ، فلم يفتقر عليه ، ولم يعرف مكانه ، فواصل
الركب سيره إلى الأراضى الحجازية ، ولكن الشاعر نظم على فعلته^(٣) .

ونذا الراى وجهه ، ولعل ما يقويه أن الشاعر لم يشر فى قصيدته
إلى الخديوى عباس ، ولو بهيت وقعه ، ولو كان — الذى دنا به إلى نظمها
هو حج الخديوى لهناء فيها بالحج ، أو أشار إليه ، كما فعل نسي
قصيدته (إلى عرفات) ومثلها^(٤) :

إلى (عرفات) الله يا ابن محمد

عليك سلام الله فى عرفات^(٥)

(١) هو الشيخ سلمى بن أبى فراج بن سليم البشرى — تعلم بالأزهر ، وتدرج فى عدة
مناصب إلى أن تولى مشيخة الجامع الأزهر ، وتوفى سنة ١٩١٢ (الأعلام ج ٢ ص
١٨٠) . وقد اطلعت على شرحه (نهج البردة) الذى أطلق عليه (نهج
النهج) ويقع فى مائة صفحة من الحجم المتوسط تقريبا ، وتوجد نسخة منه فى
قصر الثقافة بطنطا ، وليس عليه اسم المطبعة ولا سنة الطبع وهو عرج مبهر ،
سهل العبارة ، لطيف الإشارة وقد انتفعت به ، وزدت عليه ما تطلبه المقام
من دراسة وتحليل وموازنة ، وقد شكك الدكتور زكى مبارك فى نسبة هذا الشرح
للشيخ سلمى ونسبه إلى ابنه الشيخ (عبد المعز البشرى المتوفى سنة ١٩٤٣) —
الموازنة بين الشعراء ص ١٨٣ . (٢) الدين والأخلاق فى شعر شوقي ص ٣٢ .
(٣) أحمد التاجى : (أحمد شوقي) — قصص أبطال العرب — ص ١٢ وما بعدهما
مطبعة الحلبي (غير مؤرخ) . (٤) عرفات : المراد الجبل الذى يقف عليه
الحجاج على مقربة من مكة — ابن محمد : المراد به الخديوى عباس .

ومهما يكن ممن شء فلقد بدأ الشاعر قصيدته (نهج السبودة)
بقوله (١) :

رسم على القاع بين البان والملم
أحبل سفك دمى فى الأشهر الحرم (٢)
رمى القضاء بمينى جؤدر أسدا
ياساكن القاع أدرك ساكن الأجسم (٣)
لما رنا حدثنى النفس قائلسة
يا وهج جنبك بالسهم المصيب روى (٤)
جحدثها • وكمت السهم فى كبدى
جرح الأوبة عندى غير ذى السهم

بدأ شوقى قصيدته بفزل تقليدى • أشار فيه إلى أن محبوبته قد أحلت
سفك دمه فى الأشهر الحرم - التى كان محرما فيها القتال • صونسا
للدما • - عندما وجهت سهام عينيها إليه •

ويبدو أن الشاعر أراد أن يبين جمال محبوبته الذى أسره تشبيهها
أول الأمر بالريم • ثم شبيهها - ثانيا بالجوهر دلالة على جمال عينيها •
وتساعها • ويبدو أنه قصد من وراء ذلك التشبيه تأكيد جمال محبوبته
والمنحالة فيه • حتى يرفق به غيره • فلا يلومه ولا يحذله • ولعل ما يؤكد
ذلك قوله : (روى القضاء) فما دام الأمر أمر القضاء فلا مجال للمذل وللوم •

وعجيب أمر هذا الشاعر الذى شبه نفسه بالأسد • ثم يحتجده بولس
البقرة الوحشية (يسا ساكن القاع أدرك ساكن الأجسم) • ولعل المراد هنا
أنه يطلب - باستمطاف - نظرة حب وعطف من محبوبته • ولذلك قال :
(لما رنا حدثنى النفس •••)

-
- (١) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٠
(٢) ريم : أصله (ريم) فمخفف بقلب الهمزة يا • وهى الظبي الخالص البياض • القاع :
الأرض السهلة المظمتة •
(٣) جؤدر : ولد البقرة الوحشية •
(٤) رنا : - بفتح أوله - • كدام النظر مع سكون الطرف •

ولقد أدامت محبته نظرها إليه ، فأمرته ، واستولت على له ، بل
أصابت كبد ، ، إلا أن المحب من شرطه الكنان ، ولذلك جعله شوقى جراحه
وكم آلامه - (جعدها ، وكنت السهم فى كبدى ٠٠) ثم أتى بحكمة
صادقة ، وقول يجرى مجرى الشل فى عالم المحبين (جرح الأحمه عندى غير
ذى ألم) وبدوا أنه نظر فى ذلك إلى الشطر الثانى من قول المتن (١) :

إن كان سر كم ما قال حاسدا ٠٠ (فما لجرح إذا أرضا كوا لم)

ومع أن الفاظ الشاعر سهلة ، وعبارة واضحة ، إلا أننا نرى أن قوله :
(يا صبح جنبك ٠٠) غير مناسب للمقام ، إذ لا معنى لإصابة (الجنب) نفسى
مقام الحب ، وكذلك لا معنى لإصابة (الكبد) فى المقام نفسه ، فلا الجنب
ولا الكبد محلان للحب والتألم بهبه - حتى لو كان ذلك على سبيل المجاز
ولو أسند الشاعر ذلك إلى (القلب) لكان أولى ، كما أن لفظ (رنا ٠٠) أتى
به شوقى إشارة إلى أن (محبته قد أدامت نظرها إليه) ولا أدري ذلك
مدح أم ذم ، لأن دوام النظر يوحى بعدم الحياء ،

وبدوا أن الشاعر قد جرد من نفسه شخصا يقف معه فقال له (٢) :

رقت أسمع ما فى الناس من خلق

إذا رقت التماس المذر فى الشيم

يا لائى فى هواه ، والهوى قسدر

لو شفاك الوجد لم تمذل ولم تلمس (٣)

لقد أنشأنا أدنا غيرنا ٠٠

وب منتصت والقلب فى صمم (٤)

ولما قال شوقى : (جرح الأحمه عندى غير ذى ألم) ، كان فى هذا

(١) ديوانه (بشرح المعكوى) ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٠ .

(٣) شفاك الوجد : أنحل جسمك .

(٤) انتصت : سكنت سكوت متعج .

القول تصرّح بحبه ، فتوقع الشاعر أن يلومه اللائمون على هذا الحب فنهده
لذلك بقوله : (رزقت أسح ما فى الناس من خلق ..) فإذا كان من طبعك
التماس الأعداء للناس فقد رزقت خلقا كريما .

ويبدو أن ذلك القول لم يصرف اللائم عن لومه ، فقال الشاعر : (يا لائى
فى هوا ..) الذى قدره الله على ، لو ذقت طعم الهوى ، وأضناك الجوى
ما لحنى ذلك اللوم ، الذى لا أثر له عندى ، لأننى سمعته بأذنى ، وانصرفت
عنه بقلبي .

ولا يخفى أن فى قول الشاعر : (رزقت ..) حضا على الاتصاف بتلك
الصفة ، وإذا كان قد نظر فى قوله : (يا لائى فى هوا ..) إلى قول
البوصيرى : (يا لائى فى الهوى المذرى مذكرة ..) فإنه قد أشار إشارة لطيفة
إلى أنه لا مسئولية له عن هذا الحب لأن (الهوى قدر) ، كما أنه نظر
فى قوله : (لقد أنلتك أدنا ..) إلى قول البوصيرى : (محضنى النصح
لكن لست أسمع ..) وإن كان قد أتى بحكمة صادقة فى قوله : (وربا منتصت
والقلب فى صم) ، ولا يخفى أثر الطباق فى قوله : (منتصت وصم) إذ أشار
الحس ، وحرك النفس .

ثم خاطب الشاعر محبوبته بقوله (١) :

يا ناعس الطرف لا ذقت الهوى أبدا

أسهرت مضناك فى حفظ الهوى نعم (٢)

أفديك ألفا ولا آلو الخيال فدى

أغراك بالهزل من أغراء بالكسرم (٣)

مسرى نصادف جرحا داما فأسسا

ورب فضل على المشاق للحلسم (٤)

(١) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٠ ومبجدها .

(٢) الناعس : النائم .

(٣) آلو : المراد به هنا التقصير والنقص .

(٤) أسسا الجرح بأسوه : داواه .

يخاطب الشاعر محبوبته ، مضميا لها العلامة من الهوى حتى لا ينالها ما
نال من النصب والأرق ، ثم جعل نفسه ندا لها ، بل ولخيالها ، ثم أشار
إلى أن محبوبته بخيلة ، لأنها لا تزوره ، أما خيالها فكريم ، لأنه يزوره ، وأسو
جراح قلبه التي أدامها غيباب محبوبته عنه ، وشوقه إليها .

ولا يخفى ما نى الأبيات من دلالة على غاية الشاعر بمحبوبته مشبيل :
(٥٠ لا ذقت الهوى أبداً ٥٠) و (أنديك ألفا ولا آلو الخيال فدى ٥٠) ، كما
أن نى الأبيات ما يدل على أثر الحب في نفس الشاعر وحاله ، مثل : (أسهرت
مضناك ٥٠) و (صادف جرحا دائما فأسا ٥٠) .

ولقد اشتملت الأبيات على بعض المحسنات اللمعية مثل : (الطباق)
بين قوله : (أسهرت) وقوله : (فتم) ولا يخفى أثره في بيان حالة الشاعر
وحرصه على راحة محبوبته ، ومثل التكرار والطباق في قوله : (أغراك بالبخيل
من أغراء بالكرم) وفي ذلك بيان ما عليه محبوبته من تمنع ، وهو محبوب بالنسبة
للنساء ، أما طيفها فيزوره كثيرا ، ولا أدري كيف بأسو ذلك الطيف جرح الشاعر ،
وكان حقه أن يزوره فوثقا إلى محبوبته ، فتزداد آلامه ، وتشتد فله ، مشبيل
عمر بن أبي ربيعة الذي يقول (١) :

إن طيف الخيال حين المّا

هـاج لى ذكره وأحدث همّا

ولكن يبدو أن هناك بعض المحبين الذين يتعلمون بطيف محبوباتهم ،
وروى أن ذلك الطيف يخفف عنهم تباريح الهوى ، ولواعج البعد .
ولذلك قال الشاعر : (ورب فضل على المشاق للحلم) ولعل في تعديده
بلفظ (رب) ما يدل على قلة ذلك النوع من المشاق .
ويبدو أن الشاعر كان يحب أكثر من واحدة ، يشير إلى ذلك قوله (٢) :

(١) ديوانه ص ٥٣٢ .

(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٤١ .

- من الموائس باننا بالرسي وقسما
 (١) اللغات بروحي . السافحات لسمى
 السافرات كأمثال البدو ضحسى
 (٢) يفرن شمس الضحى بالحلل والمصم
 القائلات بأجفان بها سقم
 وللجنة أسباب من السقم
 المائرات بالأسباب الرجال وسما
 (٣) أقلن من غترات الدل فى الرسم
 الصربات خدودا أسفرت وجلست
 عن غنة تعلم الأكباد للشمس

إن هذه المعجزة كانت مع ترائبها من المتخترات فى مشتهرين . القائلات
 بجمالهن . اللاتى لمن يروح . الشاعر . وسكن دمه . وكانت وجوههن كالبدور .
 بل إن الشمس كانت تغير من جمالهن . كما كانت أجفانهن . موثرات . ويقع
 حين فى قلوب الرجال . وغدودهن حمر . لا يسل من يراها من الفتنة بها .

وإذا تأملت هذه الأبيات وجدتها تشير إلى جمال هؤلاء المحبوبات .
 وجيب أمر شوقى فى حينها . والملاحظ أنه بالغ فى وصف محاسنها . وسعدو
 أنه نسي أن القصيدة فى مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا يلحق أن تصدر
 بهذا الوصف . كما أشير إلى ذلك بمرئى النقاد ومنهم ابن حجة الحموى (١)

- (١) الموائس : جمع مائسة . وعنى المتختر . السافحات : السافكات .
 (٢) السافرات : جمع سافرة وقال أسفرات المرأة إذا كشفت عن وجهها . الحللى :
 بفتح الحاء وسكون اللام . ما تتزين به المرأة من مصوغ المعادن وكريسم
 الأحجار . المعصم . بكسر ففتح جمع عصمة أى القلادة .
 (٣) المائرات : جمع عائرة . من العثرة وعنى الزلة والسقطة والمراد الواقف
 حين فى قلوب الرجال . الدل : بفتح الدال . قريب . الممنى : من
 الهدى وهما من السكينة والوقار فى الهيئة والمنظر والشامل وغير ذلك .
 (٤) خزائنة الأدب مرء (١) حيث يقول : " إن الفضل الذى يصدر به المديح النبوى
 يتمين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب . ويطرح محاسن المرد والتفزل
 فى ثقل الأرداف . ودقة الخصر . ومياغز المعاني وحمرة الخد . وما أشبه ذلك " .

وسهما يكن من شيء نقوله : (من الموائس يانا بالهرى وقتنا ٠٠) يشير إلى حسن قوامهن ، ولطافة قدودهن ، إلا أن قوله : (المائحات دمصى) - وإن دل على مدى أثرهن في قلب الشاعر - يشير من أول وهلة إلى شراستهن .

ويبدو أن الشاعر نسي أن البدور لا تكون إلا في الليل ، وهذا قال : (كأمثال البدور ضحى ٠٠) ، وأما قوله : (يخرن شمس الضحى بالحلى والمصم) فيشير إلى جمالهن المجلوب ، ولو كان جمالهن طبعيا لما احتجن إلى (الحلى والمصم) غالبا .

ولعل ما يؤكده ذلك قوله : (الغيات خدودا أسفرت وجلت ٠٠) إذ ذلك يشير إلى أنهن يخرن من خدودهن ما يضمنه من مساحيق وغيرها مثلا ، وهذا المعنى ما يفهم من تمثيل الشاعر باسم الفاعل (المضمرات ٠٠) وأضاف إلى ذلك أن قوله : (المائحات بالهاب الرجال ٠٠) يشير إلى كثرة انكشافهن على الرجال ، ويبدو أن الشاعر يصف وصفات القصر ، لآيات الخدود (١) وقد أعجب بعض الكتاب بتلك الأوصاف ، ومنهم الدكتور زكي مبارك الذي قال عنها : وهذه القطعة من الهيان المشرق الجميل ، وأستطع منها قوله : (المائحات بالهاب الرجال ٠٠) فقد جعلهن يمشين على القلوب فيحترن بقلب بعد قلب وإن لم يعلمن من غرات الدلال ، وعن يتمخطن في الضحى وعند الأصيل (٢) ولكل وجهة هو موليها .

ولم يكف شوقي بذلك الحذف بل أضاف إليه قوله (٣) :

الحاملات لواء الحسن مختلفا

أشكاله وهو فرد غير منقسم

من بهاء أو سمر أو زينت

للعين والحن في الآرام كالصم (٤)

(١) الموازنة بين الشعراء ص ١٩٣ . يتصوف

(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٤١ .

(٣) الآرام : جمع رشم . المصم : جمع أصم وهو مانيه (المعصمة) - يضم المون - ونسب بياض الديدن ، والمصم : من المعز البيضاء الذراعين وسائرهما أسود أو أحمر .

يرعن للبصر السامى ، ومن عجب
إذا أشرن أسرن الليث بالعم (١)
وضمت خدى وقسمت الفؤاد ريسى
يرنمن فى كس منه وفى أكسم (٢)

إنهن جميلات ، مع اختلاف أوصافهن ، وتعدد أشكالهن ، ومن عجيب
أمرهن أنهن يفرعن إذا نظر إليهن أحد ، وإذا أشرن إلى الليث أسرته ،
ما جعل الشاعر يستسلم لهن ، ويفتح قلبه لهن كلهن ، يرتعن فيه كما
يحببن .

ولا يخفى أن فوقوله : (الحاملات لوا الحسن) تشخيصا للحسن ، كما
أن فى حطهن لوا ، كناية لطيفة تشير إلى شدة حسنهن .
ولقد بين شرنى الإجمال فى قوله : (مختلفا أشكاله) بقوله : (من
كل بهضاء) ، وفى قوله : (يرعن للبصر السامى) إشارة إلى حياشهن
وخفوهن ، كما قال بعض الكتاب (٣) ، ولا يخفى ما فى قوله : (إذا أشرن أسرن
الليث بالعم) من شدة تأثير هؤلاء القاتات ولمله يقصد بالليث نفسه ، ويقصده
قوله السابق : (ريس القضا بمينى جود رأسدا) ولقد اشتلت تلك المباراة على
جناس ناقص بين قوله (أشرن وأسرن) ونهيه إشارة بإضافة إلى ما سبق - إلى
سرعة التأثير ، وضف ذلك الأسد الذى يؤمر بإشارة أصبع ، وما يؤكد ذلك
الضف قول الشاعر : (وضمت خدى) لأن ذلك كناية عن الاستسلام
والخضوع .

ثم عاد الشاعر إلى مخاطبة محبوبته الأولى بقوله : (٤)
يا بنت ذى اللبد المحمى جانبه
أفأك فى الشاب أم أفأك فى الأطم (٥)

-
- (١) يرعن : يضم اليا - وفتح الرا - يخفن .
(٢) الكس : - بضمين - جمع كناس - بكسر ففتح - وهو مستقر الظباء فى الشجر .
(٣) الموازنة بين الشعراء ص ١٩٣ .
(٤) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٢ .
(٥) اللبد : بكسر اللام مشددة وفتح الباء - جمع لبدة وهو الشعر المتراكب بين كفى
الأسد .

- ما كنت أعلم حق من سكنه
(١) أن النى والنايا خرب الخيم
من أنبت الفصن من صمامة ذكر
وأخرج الريم من ضروقة قسرم
بوني وبينك من سر القنا حبيب
وشلهاقة عذبة المصم
لم أغش مفناك إلا فى ضون كسرى
(٢) مفناك أبعد للمشتاق من إرم

يخاطب الشاعر محبوبته ويدع أباهما بشجاعته وقوة بلده ، ثم يسألها :
أيلقاهما فى الشاب - سكن الأسود مثل أبيها - أم يلقاهما فى القصر - حيث
تستزل الفلتات من أمثالها - ؟ ويبدو أنه ذهب للقاءها فى بيتها ، ولكنه
رأى هولا وخزما ، لقد رأى أن ضاء - محبوبته - وسبب منيته فى ذلك السكن
فأبوهما شهم جرى ، يحى الديار وصونها ، فإذا دخل ذلك البيت ورآه -
أبوهما ، فإن نهايته محتومة ، ولذلك تمجيب من صنع الله الذى خلق من
الشهامة والجرأة والقوة - (الصمامة الذكر) - ، ولينا ورقة (الفصن) - بـل
من أخرج الريم من الأسد ، ثم صرح لها بأن زيارتها قد حال دونها أمران :
الأول : ما أقامه أبوهما من حراسة شديدة ، وحماية منيمة حول البيت .
الثانى : غفنه الذى تزجوه وتنهيه عن ذلك ، ثم أكد بأنه لم ير منزلها إلا فى
الحلم ، ووجد أبعد للمشتاق من مدينة إرم .

وإذا تأملت قوله : (يا بنت ذى اللهد) وجدته كناية عن الأسد ، وصنف
بها الشاعر والد محبوبته ، كما أن قوله : (أم ألقاك فى الأطم) يدل على أن
بيت محبوبته حصن منيع ، ولا يخفى ما فى جمعه بين (النى والنايا) .

- (١) : عن : - بفتح الميم وفتح النون مع تشديدها - ظهوره مضرب
الخيم : المكان الذى تقام فيه الخيمة .
(٢) لم أغش مفناك : لم آت منزلك ، وصلى مفنى : لأنه غنى به أهله .

من دلالة قوية على بعده عن محبوبته ، وعدم القرب من منزلها ، لأن فسى
قربه منيته .

ولقد أكد الشاعر قوة أبيها ، وضأ ، عزه فشبهه بالسيف (صمامة ذكر)
كما شبه محبوبته بالخصن في الليونة والرقّة ، ثم زاد ذلك تأكيداً ، فشبهه
أباهاً - مرة ثانية - بالأسد الشديد الشهوة إلى اللحم ، وشبه محبوبته
بالرم ، ولا يخفى أن في البيت دلالة على قدرة الله .

وأحسن الشاعر عندما قرر بعده عن محبوبته بأمرين : شدة الحراس
وهفته وكنت أود أن يقدم غفته على الحراس .

ولعله أراد أن يبين بعد ديار محبوبته فذكر أنها أبعد من إرم .

النفس والدنيا :

وانتقل الشاعر إلى تحذير نفسه - من مكر الدنيا بعد بأنه من وصل
محبوبته فقال (١) :

يا نفس دنياك تخفى كل مكيبة

(٢) وإن بدا لك منها حسن منم

ففى بتقواك فاما كلما ضحككت

(٣) كما يقضى أذى الرقشاء بالثمر

مخطومة منذ كان الناس خاطبة

من أول الدهر لم تزل ولم تهم

يفنى الزمان ويبقى من إسامها

جرح بآدم ييكى منه فسى الأدم

يحفظ الشاعر نفسه ، ويحذرها من حب الدنيا ، والانخداع بخرقها ، ولا سهيل
إلى التغلب عليها إلا بتقوى الله (سبحانه وتعالى) لأنها فتنة ، وما زال الناس

(١) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٢ .

(٢) منم : المراد الابتسام أو محله وهو الثغر .

(٣) أذى الرقشاء : سمها ، الثرم : كسر السن من أسلها .

يرغبونها — أكثر ما يجب — ويركون إليها ، ولذلك فتقتسم ، وأغرتهم بحبها ،
 ومع أنها لا تدوم ، إلا أن إساميها لا تنتهي ، ولذلك فإن آدم (عليه السلام)
 — وهو أول الناس خلقا — لن ينسى مكرها ، وخداعها ، إلى آخر الزمان .

ولعل الشاعر أراد أن يشير إلى حقارة الدنيا ، فأهانها إلى ضمير
 النفس في قوله : (يأنف دنياك ٠٠) ، ولا يخفى أن في قوله : (تخفى
 كل مكيك وإن بذلك منها حسن بهتم) استمارة مكنية ، توحى بتشخيص الدنيا
 ومدى تفننها في غرورها وخداعها .

كما أن في قوله : (نحن بتقواك فاهنا كلما ضحكت) استمارة مكنية أيضا ،
 أكدت الاستمارة المكنية السابقة ، كما بينت الطريق في علاج خداع الدنيا ،
 التي شبهها الشاعر بالحية في قوله : (كما يخفى أذى الرقشاء بالثرم) وفي
 هذا التشبيه إيضاح وبيان المصنوع عن طريق أمر حسي ، وزاد الشاعر تشبيهها
 آخر بوضع حالة الدنيا ومدى الإقبال عليها ، فتشبهها بمدرس جميلة غيسرت
 الناس بجمالها ، فهم دائما يخطبونها ، وهي أيضا تخطبهم بزخرفها ، وهي
 مستورة في ذلك الحال لم يمت لها ابن ، ولم تفقد لنفسها زوجا (مخلومة منذ
 كان الناس خالطية ٠٠) .

وفي البيت الأخير إشارة إلى شدة مصيبة الدنيا ، وعظم بلائها (يغنى
 الزمان ويبقى من إساميها ٠٠) كما فيه إشارة إلى قصة آدم (عليه السلام) حينما
 أغواه إبليس بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها ليكون من الخالدين في الدنيا
 (جرح بآدم يبكي منه في الآدم) .

وبلبل شوق وعظ نفسه بقوله : (٢)

لا تحفلى بجناها أو جنايتيها

الموت بالزهر مثل الموت بالفحم (٣)

(١) قصص الأنبياء ج ١ ص ١ وما بعدها .

(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٣ .

(٣) لا تحفلى : لا تهتسى ولا تكترثن — جناها : بفتح الجيم — ما يجتنى من الشجر
 أو يقطف من الثمر والمراد : عطاياها ، جنايتها : المواد ما يقع فيها من البلاء .

كم نائم لا يراها وهي ساهرة
لولا الأمانى والأحلام لم ينم
طورا تمدك في نغم وعافيسة
وتارة في قرار البؤس والوصم
كم ضللتك ومن تحجب بصيرته
إن يلق صابا يرد أو علقما يسم (١)

يقول الشاعر لنفسه : لا تكثرني بالدنيا سوا أتك بمطام ، أو ببلا ،
فإنها إلى انتهاء ، وكَم من الناس قد ركنوا إليها ، واطمأنوا بها ، وشغلوا
عما يجرى فيها من العبر والمضات ، وهي تتفنن في خداعهم ، وتسرهم
على الكيد لهم ، ولولا أنها تخدعهم بالأمانى الكاذبة والأحلام الخادعة
ما ناموا ، وعجيب أمر هذه الدنيا التي تارة يكون الإنسان فيها صحيحا معافى،
وتارة يصبح في غروب من الشقاء والألم ، وكثيرا ما ضللتك الدنيا وفنتك ، ومن
تنته ، تعلب عقله فلا يستطيع تمييز الحلو من المر ، أو النافع من النافع .

إن قول الشاعر : (لا تحفلى بجناها أو جنايتها) يشير إلى عدم
الاهتمام بما يقع في هذه الدنيا من عطاء يسر ، أو بلا يحزن ، وأحسن الشاعر
هدما جمع بين لفظي : (جناها وجنايتها) - بينهما جناس شبهة بالمشق -
فلمسل قرب اتحاد حروفهما يدل على قرب التلازم بينهما في تلك الحياة .

وأضاف الشاعر اللفظين (جناها وجنايتها) إلى ضمير يمود على الدنيا
لوقوعهما فيها .

ولعل قول شوقي (الموت بالزهر مثل الموت بالفحم) يوحد الفكرة
السابقة ، بصورة حسية ، فالموت اختناقا بسبب شدة أريج الزهر ، كالموت
اختناقا بسبب شدة دخان الفحم ، فالنتيجة واحدة ، والفرق بينهما لا قيمة له ،
ولا يخفى أن قول الشاعر : (كم نائم لا يراها وهي ساهرة) يدل على كثرة
من يفتن بزخرف هذه الحياة ، ويغفل عن مصائبها ، كما أن الطباقي بين قوله :
(نائم ساهرة) قد جذب الانتباه ، وبين قلة من يخدع بالدنيا .

(١) الصاب : جمع صابة شجر مر . الملقم : الحنظل .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يوضح عدم استقرار الدنيا على حال فقال : (علوا
تسدك في نمى وعافية ٠٠) ولا يخفى أن في إعاد الفعل (تمد) إلى ضمير
يמוד عليها مجازا غليا يوحى بالتشخيص ، كما أن المقابلة بين قوله : (نمى
وعافية) وقوله : (البوم والوصم) تؤكد أن القلب والتفكير من شمة تلك الحياة
وهذا يتطلب عدم الانخداع بها ، والاطمئنان إليها .

ثم يخاطب الشاعر نفسه ويومئها في قوله : (كم ضللتك) أى فتنتك
الدنيا كثيرا ، ثم بين أثر تلك الفتنة ، بأنها - الدنيا - تلعب عقل من
تفتنه ، وتجمله (إن يلتق صابا يرد أو غلما يسم) .

ثم تحصر الشاعر على نفسه بقوله (١) :

يا ويلتاه لنفسى راعها ودهما

(٢) مسودة الصحف في مبيضة اللسم

ركضتها في مريح المصيات وما

(٣) أخذت من حمية الطاعات للتخم

هامت على أثر اللذات تطلبها

والنفس إن يدعها داعى الصباتهم

يبدو أن الشاعر فتن بالدنيا كثيرا ، ولذلك تفجع على نفسه عندما وجد
الشيب قد حل - وهو يندر مدنو الأجل غالبا - وصحيفة علمه قد اسودت بسبب
كثرة المعاصى التى اقترفها ، واللذات التى غلبتها .

إن حيرة الشاعر على نفسه كبيرة ، يشير إليها قوله : (يا ويلتاه لنفسى ٠٠)
ويؤكد هذه الحيرة تلك الكناية التى فى قوله : (مسودة الصحف) فهى كناية
عن كثرة الذنوب ، ويزيدها تأكيدا تلك الكناية التى فى قوله : (مبيضة اللسم)

(١) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٣ .

(٢) دها : الأصل دهاها أى أصابها .

(٣) ركضتها أصل الركض تحريك الرجل ، ويقال ركضت القوس يركض إذا استحثته ليمدوه
والمراد هنا مجرود إطلاق النفس وإرسالها فى طريق الفوايسنة .

مريح : خفيف .

فهو كتابه عن الشيب ، ولا يخفى أثر الطبائى الذى بين قوله : (مسودة
وبهضة) فهو يشير إلى التناقض الكبير بين الأمرين ، وفى ذلك زيادة التفجع
على هذه النفس .

وإذا تأملت قوله : (ركضتها فى مريع المعصيات ٠٠) وجدته قد اشتمل
على استمارة مكتوبة إذ شبه نفسه بالقوس تشبهاً مضراً فى النفس ، وفى ذلك
إشارة إلى كثرة استرمال تلك النفس فى الماصى ، وعدم احتوائها من شدة
المواقف بطاعة الله ، ويؤكد الشاعر ذلك بقوله : (هامت على أثر اللساعات
تطلبها ٠٠) إذ فى إسناد الفعل إلى ضمير النفس مجاز على ، يوحى
بتشخيصها ، ويبين مدى حرصها على تلك الذات ، ثم أتى الشاعر بحكمة
صادقة فى قوله : (والنفس إن يدعها داعى الصباتهم) وفى ذلك بيان
طبيعة النفس البشرية ، وهو متأثر فى ذلك بالبوصيرى - كما سيأتى فى
باب الموازنة .

وما هو جدير بالذكر أن بعض الكتاب قال : " إن الشاعر قد زاد هاء السكت
بعد كلمة (ولتا) فى حالة الوصل ، والشهور أنها لا تزد إلا فى الوقف (١) " .
ولكنى وجدت أن علماء اللغة قالوا : قد يحطى الوصل حكم الوقف وذلك
قليل فى الكلام كبير فى الضم (٢) .

علاج النفس :

ثم أشار الشاعر إلى بعض ما يصلح النفس ، ويخفيها من دائها فقال (٣) :
صلاح أمرك للأخلاق موجهه
فقوم النفس بالأخلاق تستقم
والنفس من هيرها فى خير عاقبة
والنفس من شرها فى مرنع وهم

(١) إلى سلام فى شعر شوقي ص ١٢٥

(٢) منار السالك ج ٢ ص ٣٥٩ .

(٣) اشرفيات ج ١ ص ٢٤٣ .

تطفى إذا كنت من لذة وهمى
طفى الجواد إذا غت على الشكم

إن صلاح النفس فى تسكها بالأخلاق الحسنة ، والصفات الحميدة ، فإذا
تسكت بذلك فإن الخير يحميها ، والمافية تحيط بها ، أما إذا مالت إلى
الأخلاق السيئة ، والصفات الذميمة ، فإن الهلاك نهايتها ، والخمران مآلها
وهى إذا فكنت من الهوى طفت وفت ، كما يطفى الجواد إذا غت على اللجام .

ولا يخفى أن فى قول الشاعر : (صلاح أرك . .) بيان قيمة الأخلاق
الحسنة ، ويؤكد ذلك تكرار لفظ الأخلاق ، كما يزيد ذلك تأكيداً لتقديم الجوار
والمجروح على متعلقه فى قوله : (للأخلاق مرجع) والأصل (مرجع للأخلاق)
فى ذلك اهتمام بالتقدم والمنايا به لأهميته .

ولقد كثر الشاعر (لفظ . . النفس) أكثر من مرة - فى تلك الأبيات فمجرى بالمظهر
محل الضم ، ولعل ذلك للاهتمام بأمرها ، والمنايا بشأنها ، ولا يخفى ما فى
البيت الثانى من مقابلة بين شطريه - تقريباً - وفى ذلك إشارة إلى قيمة الأخلاق
الحسنة ، وعاقبة الأخلاق السيئة ، وبيان ما يمود على النفس من تسكها
بهذه أو تلك .

وفى البيت الأخير بيان تحكم النفس وطفانها إذا تسكت من هواها ، وأحسن
الشاعر هدماً وضع مدى ذلك الطفان بتشبيهه بطفان الجواد إذا غت
على اللجام ، فليس من السهل تخليصه منها ، أو السيطرة عليها ، وفى ذلك
بيان الأمر الممنوى بأمر محسوس لتوضيحه وتقريره .

فقران الله ، وشهادة رسول الله :

هدماً رأى الشاعر كثرة ذنوبه ، لم ييأس من رحمة الله ، ولكنه نادم
وقال (١) :

إن بجل ذنبى عن الشفران لى أمل

فى الله يجعلنى فى خير مصمم

ألقى رجائي إذا عز المجير على
 مفرج الكرب في الدارين والفهم
 إذا خففت جناح الذل أسأله
 عز الشفاعة لم أسأل سوى أسسم
 وإن تقوى ذو تقوى بصالحه
 قدمت بين يديه غيرة النادم

يبين شوقى أن أمه كبير فى غو الله ورحمته - مهما عظم ذنبه وأن
 رجاءه فى شفاعته رسول الله عظيم ، مهما كثرت خطاياها •
 وإذا تأملت قول الشاعر : (إن جل ذنبى عن الشفوان) وجدته
 يبين أنسه من شدة حسرتة على نفسه التى أقوطت فى المصاح ، تخيل
 أن ذنبه إن جلت عن الشفوان فى الظاهر لمظمها وكثرتها - ولعل ما يوحى
 بذلك اختيار الشاعر لفظ (إن) الذى يشير إلى الشك بعض الشئ ، بخلاف
 (إذا) مثلا ، إن كان ذلك كذلك فله أمل كبير فى رحمة الله ، ويبدو أن الشاعر
 من شدة حزنه نسي أن جواب الشرط جملة اسمية فيجب اقترانه بالفاء () ولمصل
 قوله : (فى خير معتمد) يبين ويؤكد عظم أمه فى الله •

فى البيت الثانى يشير الشاعر إلى شفاعته رسول الله (صلى الله عليه
 وسلم) لأنه مفرج الكرب فى الدنيا ، بإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وفى
 الآخرة بالشفاعة المعطى فى يوم المحشر العظيم ، ولذلك يبين الشاعر أنسه
 عندما يسأله الشفاعة فى ذلك الوقت سيكون سؤاله هميرا • (لم أسأل سوى
 أم) ؛ إذ ماذا يكون شوقى فى ذلك المدد العظيم الذى ستشمله شفاعة
 رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى ذلك اليوم بإذن الله تعالى •

ولا يخفى أن فى قول الشاعر : (إذا خففت جناح الذل) كناية
 لطيفة تشير إلى تواضع الشاعر وانكساره ، وتقوى ذلك قوله : (وإن تقدم ذو
 تقوى بصالحه) إذا تقدم الناس بأعمالهم فليس له ما يقدمه إلا (عبدة
 الذم) ، ويبدو أن الشاعر نسي أن الندم فى ذلك الوقت لا يفيد •

وواصل الشاعر مدح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله (١) :

لزمت باب أمير الأنبياء —————
 بمسك بفتح باب الله يفتسم (٢)
 فكل فضل وإحسان وعارفــــــــــــة
 ما بين متلم منه ولتــــــــــــزم (٣)
 طقت من مدحه حبلا أعزــــــــــــبه
 في يوم لا عز بالأنساب واللحم
 يزرى قريش زهيرا حين أمدــــــــــــه
 ولا يقاس إلى جودي ندى هرم

يبين شوقي أنه توسل برسول الله (صلى الله عليه وسلم) لكانتــــــــــــه
 المظيمة عند الله ، كما أنه مفتاح يوصل إلى رحمة الله ومغفرته - وأن الله
 قد أجرى على يديه كل فضل وإحسان ومعروف ، ثم ذكر الشاعر أنه بمدحه
 رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصبح ذا صلة به تنفعه يوم القيامة —————
 لا عز بالأحساب ولا بالأنساب ولا بالقرابة ، أضف إلى ذلك أنه حين مدح
 الرسول (صلى الله عليه وسلم) فأمدحه مدح زهيرا هوما ، ولا يقاس جود الشاعر -
 الذي حصل عليه بسبب مدحه الرسول - بصطاء زهيرا - الذي حصل عليه
 بسبب مدحه هوما - فهناك فرق كبير بين المدوحين .

وإذا تأملت قول الشاعر : (لزمت باب أمير الأنبياء . . .) وجدته يشير
 إلى دوام توسله إلى الله برسوله (صلى الله عليه وسلم) إلا أن لفظ (أمير)
 لا يلحق بمقام الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ويبدو أن الشاعر متأثر في بعض
 ألفاظه بببشة القصور التي كان يعيش فيها مع الخديوي وغيره .

كما بين شوقي أن من يتبع الرسول (صلى الله عليه وسلم) يفهم لأنه
 يوصله إلى رحمة الله وفضله ، كما أن الله قد أجرى على يديه كل خير .

(١) الشوقيات : ج ١ ص ٢٤٤ (٢) أمير الأنبياء : المراد : الرسول (صلى الله عليه وسلم)

(٣) عارضة : المراد معروف .

ولا يخفى أن البيت الثاني بيان وتوضيح وتحليل للبيت الأول .

وإذا كان الشاعر قد بين ما أعاد عليه من مدحه الرسول بقوله : (طقت من مدحه حبلا أعزبه . .) فإنه قد ذكر أن شعره - حين يمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) - يفوق شعر زهير حين يمدح حربا ، أضف إلى ذلك كثرة جوده بالنسبة إلى ندى هدم ، وكل هذا يبين فضل الرسول وكرمه (صلى الله عليه وسلم) .

والفاظ الشاعر واضحة سهلة إلا أن التعبير بقوله : (باب الله) لا يليق بال مقام ، كما أن لفظ (مستلم) غير مستعمل في معناه ، لأنك تقول : استلمت الحجر أى لمسته بالقبلة أو باليد ، ولا شك في أن مراد الشاعر هنا غسـير ذلك ، ويبدو أنه تأثر في ذلك بقول البوصيري : (. . .) إلا استلمت الندى من غير مستلم (وهذا - أيضا - خطأ كما سبق (١) .

واستمر شوقي في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٢) :

محمد صفوة الباري ورحمته

وصفة الله من خلق ومن نسم

صاحب الحوض يوم الرسل سائلة

متى الورود وجبريل الأمين ظنى (٣)

سناؤه وسناه الشمس طالصة

فالجرم في فلك والضوء في ظم (٤)

إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صفوة الله من خلقه أجمعين ، وهو البعث رحمة للمؤمنين ، وهو صاحب الحوض المورود يوم القيامة ، كما أنشد على المنزلة . رفيع المكانة

(١) انظر ص ١٥١ من هذه الرسالة .

(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٤ .

(٣) سبقت الإشارة إلى الحوض في هامش ص ١٦٨ من هذه الرسالة .

(٤) سناؤه : رفحته ، سناه : نوره . الجرم : المراد الجسم - فلك - يفتحان - المراد مكان الملم : المراد العالم .

ولا يخفى أن في قوله : (محمد صفوة الباري ورحمته ٠٠) إشارة إلى عظم مكانة الرسول (صلى الله عليه وسلم) • ويؤكد ذلك قوله : (صفية الله من خلق ومن نسم) • ولعل الشاعر أتى بالظاهر محل الضم في قوله : (صفية الله) وكان أصله (صفيته) لتأكيد فضل الرسول والاستلذاذ بذكر الله (سبحانه وتعالى) إلا أن ذكر لفظ (من نسم) بعد لفظ (من خلق) يحد حشوا • ويبدو أن الشاعر أتى به للوزن •

وفي البيت الثاني إشارة إلى حوض الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة ، وما هو جدير بالذكر أن لكل نبي حوضاً لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتهامون أيهم أكثر واردة • وإنى أرجو أن أكون أكثرهم واردة " • ولهذا لم يوفق الشاعر في قوله : (يوم الرسل سائلة منى الورد) • أضف إلى ذلك أنه قد أخطأ في قوله : (وجبريل الأمين ظي) لأن الملائكة - ومنهم جبريل عليه السلام - لا يأكلون ولا يشربون ^(١) ، فكيف ينسب شوقى الظم إلى جبريل ؟ • والمجيب أن يفسر بعض الألقاب بمعنى كلمة (ظي) بأنه متلف على الشفاعة إشفاقاً على الناس ^(٢) ولم يذكر ما يؤيد ذلك •

ثم أشار الشاعر إلى علو مكانة - الرسول (صلى الله عليه وسلم) ورفعة شأنه بقوله : (سناؤه وسناه الشمس طالمة) إنه يشبه : علو مكانة الرسول ورفعة شأنه بالشمس إذا كانت طالمة • ولا شك في أن الرسول أفضل من ذلك إلا أن الشاعر أتى بهذا التشبيه للتقريب • ولا يخفى أثر الجناس الذي في قوله : (سناؤه وسناه) إذ أشار إلى جمع الرسول بين الرفعة والنور أي الهداية • وأكد ذلك بقوله : (فالجرم في فلك والضوء في علم) أي أن الجسم في مكانه ، ولكن هدايته منتشرة فسي المال كله •

(١) انظر شرح البيجورى على الجوهرة ج ٢ ص ١٠٩ •

(٢) الإسلام في شعر شوقى هامى ص ٦٣ •

نسب الرسول :

وأشار شوقي إلى نسب الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (١)

قد أخطأ النجم ما نالت أبوته

من سؤدد ياندخ في مظهر حشم

نموا إليه فرادوا في السرى شرقا

ورب أصل لفرع في الفخار نعى

حواه في سبحات الطهر قبلهم

نوران قلما مقام الصلب والرحم

إن النجم طى ارتفاعه لم يدرك ما أدركه آباء الرسول وأصوله من السيادة

والشرف الذى اكتسبوه من نسبتهم وانتسابهم إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)

إذ كرمه الله ، فخلق نوره ثم أنادى عليه من نوره ، فكان نوراً طى نوره .

ولا شك فى أن الشاعر يشيد بنسب الرسول (صلى الله عليه وسلم) نفسى

قوله : (قد أخطأ النجم ٠٠) ، وأحسن عندما عبر (بما) التى تفيد التخصيم

والتعظيم ، وذلك فى قوله : (ما نالت أبوته ٠٠) ثم وضع ما أجله فى المباشرة

السابقة بقوله : (من سؤدد ياندخ ٠٠) ، وهذا من قبيل الإطناب الذى يكون

محبوا فى معرض المدح .

وإذا كان المؤلف والمحمود أن يشرف الفرع بأصله ، فلقد أحسن الشاعر

عندما خالف ذلك المصهود ، وذهب إلى أن آباء الرسول وأصوله هم الذين

شرفوا بانتسابهم إليه (صلى الله عليه وسلم) وذلك فى قوله : (نموا إليه

فرادوا فى السرى شرقا ٠٠) ولا شك فى أن ذلك يؤكد فضل الرسول وطو مغزله

الذى جعلت الشاعر يشير إلى بعضها مخالفاً للمحمود ، ولما كان شرف الأصل

بفرعه يكون نادراً حسن من الشاعر أن يقول : (ورب أصل لفرع فى الفخار نعى) .

ويبدو أن الشاعر قد تأثر في نظمه بفكرة من ذهبوا إلى سبق النسر المحمدي^(١) فقال : (حواء في سبحات الظهر قبلهم ...)

وإذا كان الله قد أكرم نبيه قبل خلقه فأفاض عليه من نوره ، فقله أكرمه ببيان علاقته وصفاته في الكتب السابقة قبل وجوده أيضا ، ولذلك^(٢) :
لما رآه بحيرا قال : نعرفه
بما حفظنا من الأسماء والسم

يشير شوقي في ذلك البيت إلى قصة بحيرا عندما رأى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو مع عمه أبي طالب في طريقه إلى الشام^(٣) .

ثم أشار الشاعر إلى ذهاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى قارحراء ، قبل نزول الوحي بقوله^(٤) :

سائل حراء وروح القدس هل علما
مخون سر عن الإدراك فكتم
كم جيئة وذهاب شرفت بهما
بطحاء مكة في الإصباح والفصم
روحنة لابن عبد الله بينهما
أشبه من الأنس بالأحباب والحنم
يسامر الوحي فيها قبل مهبطه
ومن يشر بهن الخير يشتم^(٥)

لقد اختار الرسول (صلى الله عليه وسلم) قارحراء ليعبد فيه قبل نزول الوحي ، وهذا الاختيار كان لسر عظيم لا يعلمه أحد إلا الله ، ولو سألت

(١) انظر ص ١٢٤ من هذه الرسالة .

(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٥

(٣) انظر ص ٢٦٦ من هذه الرسالة .

(٤) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٥ .

(٥) مهبطه : المراد هبوطه . يشر : يضم أوله وفتح ما قبل آخره .

الفاروجييل (عليه السلام) عن ذلك السر ما علما عنه شيئا ، كما أن بطحما
مكة قد شرفت بسير الرسول (صلى الله عليه وسلم) عليها ، عندما كان يذهب
إلى الفار ، وإن كان في وحشة عن الناس ، لكنه كان في أنس رب الناس
(جل جلاله) إذ كان يشمر بأن هداية الله تحوطه ، وعنايته ترقاه .

وإذا تأملت قوله : (سائل حرا' وروح القدس . .) وجدته يشير إلى أن
الشاعر قد جرد من نفسه شخصا وأمره بأن يسأل (حرا' وروح القدس) ولمصل
لفظ (سائل) يوحى بتكرار السؤال ، والإضافة في قوله : (مصون سر) من
إضافة الصفة إلى الموصوف ، ولعل ذلك يوحى بأن هذا السر لم يعلم به
أحد مهما كان شأنه ، ويؤكد ذلك لفظ (منكم) وإن كان في هذا اللفظ
خلا لغوى — كما سبق — (١) .

ولا يخفى أن قول الشاعر (كم جيئة وذهاب . .) يوحى بكثرة ذهاب الرسول
(صلى الله عليه وسلم) إلى غار حرا' ورجوعه منه إلى بيته ، ما يدل على طول
مدة تعبد الرسول قبل الرسالة ، ولعل الطباق بين قوله : (الإصباح والفهم)
يوحى بالمواظبة على ذلك .

وإذا تأملت البياق بين قوله : (وحشة . . والأنس) أدركت مدى ما عاناه
الرسول (صلى الله عليه وسلم) من وحشته عن الناس ، ولكنه كان بأنس بوسمه
الذي هو خير أنيس ، إلا أن لفظ (أشهى) غير مناسب لل مقام .

وإن كان قول الشاعر : (يسامر الوحي فيها قبل مهجده . .) يشير إلى
شوق الرسول إلى جبريل (عليه السلام) ، فإن قوله : (ومن يشر بسمي الخير
يتسم) حكمة صادقة توحى بأن للخير دلائل تظهر آثارها على صاحبه .

ثم أشار شوقي إلى بعض معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، كما
أشار إلى بعض الإرهاصات في قوله (٢) :

لما دعا الصبح يستحقون من ظمأ

فاضت يدا من التسميم بالتسم (٣)

(١) انظر ص ٨٨ من هذه الرسالة .

(٢) الشوقيات — ج ١ ص ٢٤٥ وما بعدها .

(٣) التسميم : ما بالجنة يجرى فوق الفوف ، والمراد هنا الماء المذب مطلقا .

وظلته فصارت تستظل به
 فامة جذبتها خيرة الديم
 محبة لرسول الله أشبهها
 قمائد الدير والرهبان في القم (١)
 إن الشائل إن رقت يكاد بهما
 يفرى الجواد ويفرى كل ذى نسم

ذكر الشاعر - في البيت الأول - قصة الصحابة عندما لم يجدوا ماءً ، وشكوا
 ذلك إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) فونح يده في إناء ، ففاض الماء وشربوا
 جميعاً - كما سبق (٢) - .

وفي البيت الثاني يشير إلى قصة الفامة التي كانت تستظل على الرسول
 (صلى الله عليه وسلم) ورآها بعض الرهبان ففروا الرسول (صلى الله عليه وسلم)
 وأحبوه لما ظلموا منه من صفاء وشماله - أنه الرسول الذي أشارت إليه الكتب
 السماوية التي كانت بين أيديهم (٣) .

وإذا تأملت قول الشاعر : (.. فاضت يدهاء ..) وجده يشير إلى كثرة
 الماء الذي فاض من يد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، إلا أن الشاعر أسند
 الفيض إلى يدى الرسول وقد ذكرت الأحاديث - كما سبق - ما يفهم منها أن
 الرسول وضع يده واحدة ، ولعل قوله : (من التثنيوم بالسنم) يشير إلى
 هذه ذمة ذلك الماء ، لأنه في الأصل ماء بالجنة .

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (وظلته فصارت تستظل به ..) ما يشير
 إلى فضل الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذ الفامة التي أتت لتظل الرسول
 صارت تستظل به بالرسول (صلى الله عليه وسلم) لأنها صارت في ركابه الشريف
 فعالها شرف من شرفه المظاهر ، أما قوله : (فامة جذبتها خيرة الديم) فيقول
 عنه بعض الكتاب : " لا توافقه على أن أجود المطر هو الذي جذب الصحابة
 لأنه لا مطر بغير صحاب " وكان الصواب أن يقلب التعبير فيقول : إن الفامة

(١) قمائد جمع قميدة ، وقمائد الدير ملازموه من متعة النصارى .

(٢) انظر ص ٢٦٢ من هذه الرسالة .

(٣) المرجع السابق ص ١٤٥ .

حطت أجود المطر (١) .

ولعل في قول الشاعر : (إن الشامل إن رقت . .) دعوة صريحة إلى حسن الأخلاق ؛ لأن الأخلاق الحسنة (يكاد بها يفرى الجواد ويفرى كل قديس) ولا يخفى أن في تكرار القمل (يفرى) واللباق بين (الجواد وكل ذي ضم) ، في هذين الأمرين - ما يؤكد أثر حسن الخلق ، وإن كان في المهارة شيء من المبالغة فقد خففها لفظ (يكاد) .

نزل الوحي :

ولقد أشار شوقي إلى نزول الوحي أول مرة بقوله (٢) :

وشودي القراء تعالى الله قائلها

لم تتصل قبل من قبلت له ضم

هناك أذن للرحمن قائلها

أسماع مكة من قدسية النفس (٣)

فلا تسل عن قرش كيف حيرتها

وكيف نفرتها في السهل والملم

تعالى عن عظيم قد ألم بهم

رعى المشايخ والولدان باللم

لقد نزل الوحي أول ما نزل بقوله تعالى : (اقرأ) ، ثم أمر الرسول

بدعوة الناس إلى توحيد الله ، وكان لتلك الدعوة صداها العظيم في مكة ،

ولذلك أصيبت قرش بالحيرة ، بل أصابها من من الجنون .

ولا يخفى أن الشاعر قد عبر بالقمل البني للمجهول في قوله : (وشودي

اقرأ) لمصرقة الضمادى (جل جلاله) ، ثم عظمة الشاعر بقوله : (تعالى الله

قائلها) وبمعنى أن ذلك الأمر لم يسبق نزوله إلى أحد قبل الرسول

(صلى الله عليه وسلم) بقوله : (لم تتصل قبل . .) ولعل في ذلك إشارة إلى

(١) الإسلام في شعر شوقي ص ٥٨ .

(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٦ . (٣) أذن للرحمن - بيتا القمل للمجهول - المراد

أذن إلى توحيد الله ، قدسية النفس : المراد الصوت المنزه عن التطريب .

تكرم الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

ويدعو أن الشاعر أراد أن يبين مدى جهر الرسول بالدعوة وإعلانها فقال :
(هناك أذن للرحمن . .) لقد جهر الرسول بالدعوة إلى توحيد الله حتى
لقد (امتلأت أسطاح مكة . .) فضلا عن أهلها ، إلا أن قريشا قد أصيبت
بالحيرة ، وفرت من هذه الدعوة ، لأنها تدعوهم إلى ترك عبادة الأصنام
والأوثان ، وتحثهم على عبادة إله واحد ، ولذلك عجزوا كيف يجعل محمد
الآن لها واحدا ، إلا أن قول الشاعر : (قدسية النظم) غير ملائم
النظم ، لأن النظم يقتضى (قدسية الكلم) مثلا أما (قدسية النظم) فتشير
إلى النفعة البعيدة عن التطريب والمنزهة عن إيقاع الأصوات ، وما لهذا مكان
هنا ، في ذلك المقام .

وإذا كان قول الشاعر : (فلا تسل عن قريش . .) يفيد عدم جدوى السؤال
لأن إجابته واضحة ، فإن قوله : (كيف حيرتها . .) يشير إلى عظم تلك الحيرة
كما أن قوله : (وكيف نفرتها . .) يوضح موقفها من تلك الدعوة ، ولا يخفى
أن الطباق في قوله : (السهل والملم) يدل على نفرة قريش في كل مكان .

ولعل قول الشاعر : (تساطروا عن عظيم . .) يشير إلى قوله تعالى : (غَمَّ
يَسْمَافُلُونَ عَنِ النَّبَأِ الْمَظْلَمِ) (١) ، وإذا كان في قوله : (. . رى المشايخ والولدان
بالملم) كناية عن دهشتهم المظيية التي شلت الصغير والكبير منهم ، فإن لفظ
(المشايخ) غير لائق للمبشرين وخاصة من شاعر كشوقي

ولقد كان موقف قريش من دعوة الرسول موقفا غريبا ولذلك قال لهم شوقي (٢) :

يا جاهلين على الهادى ودعوتهم

هل تجهلون مكان الصادق الملم

لقبتموه أمين القوم في صفر

وما الأئمين على قول بعثهم

فأتى الهدور ، وفاق الأنبياء فكهم

بالخلق والخلق من حسن ومن عظم (٣)

(١) النبأ ٢٥١/ (٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٦

(٣) الخلق - الأولى - يفتح الخاء - والثانية يضمها .

الضغث الشاعر إليهم وأخذ يؤنبهم، لأنهم ينفوا على الرسول ودعوتهم فاتهموه بالكذب • مع أنهم - قبل الرسالة - كانوا يلقبونه (الأمين) وكيف يكون أمينا ثم يرمى بالكذب • ولقد جمع بين حسن الصورة • وطهارة السميرة • وعظمت السيرة (صلى الله عليه وسلم) •

وإذا تأملت قول الشاعر : (يا جاهلين ••) وجدته قد ناداهم بما ينشأ به البعيد ، لأنهم يمدوا عن كل خلق حسن بينهم على الرسول وإعراجهم عن دعوتهم • كما أن لفظ (جاهلين) يشير إلى أن تصرفهم منى على الجهل والظلم والبغى • ثم ويخبرهم بقوله : (هل تجهلون مكان الصادق الملم) ولا شك في أنهم لا يجهلون ذلك • فلاستغفهم إنكارى • وإذا كان الشاعر قد منح قريشا بقوله : (يا جاهلين ••) فإنه قد مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه الهادى وهو الصادق الملم •

وأقام الشاعر البرهان على كذب هؤلاء القوم وظلمهم بقوله : (لقيتموه أميين القوم فى صخر) ثم أتى بكلمة يؤكد بها فكرته فقال : (وما الأمين على قول بعثهم) وفى البيت طباق بين قوله (أميين •• منهم) ولعل الشاعر أتى بهذه ليدل على استحالة اجتماعها (الأمانة والانتهاك) فى شخص واحد •

ثم بين الشاعر أنه لا موضع لاستنكار هؤلاء بمحنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فالله قد اصطفاه كما أنه قد جمع له كل الصفات الحميدة • والأخلاق المكرمة • فلقد (فاق البدور) فى حسن خلقه • كما (فاق الأنبياء) فى عظم خلقه • ولا يخفى أن فنى البيت الأخير لفظ ونشرا مرتبا فى قوله : (البدور •• الأنبياء •• الخلق الخلق ، الحسن •• المظم) ولعله يشير إلى فضل الرسول (صلى الله عليه وسلم) من كل ناحية : الخلقية بفتح الخاء - والخلقية - بضمها • •

القرآن الكريم :

وأشار شوقى إلى معجزة القرآن الكريم بقوله (١) :

جاء النبين بالآيات فانصرفت
وجئتكم بحكيم غير منصرفم (٢)

(١) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٦ (٢) حكيم : المراد به القرآن الكريم من قوله تعالى : "مَنْ هُوَ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ" من ٢٥١ •

آياته كلما طال المدى جدد
يزينهن جلال المتق والقدم
يكاد في لفظة منه مشروطة
يوصيك بالحق والتقوى والرحم

ويدوان الشاعر أراد أن يشير إلى بعض ما فاق به الرسول (صلى الله عليه وسلم) الأنبياء (عليهم السلام) فذكر أن كل نبي كان يأتي بمعجزة تنتهي بانتهاء مدته ، أما الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقد جاء بالقرآن الكريم ، الذي هو معجزة خالدة على مدى الأزمان ، كما أن آياته قديمة - لأنها كلام الله القديم - ولكنها محدثة بالنسبة إلى نزولها ، إذ كانت تنزل منجسة على حسب الوقائع ، أضف إلى ذلك فصاحتها المالية .

وإذا تأملت حديث الشاعر عن القرآن الكريم وجدته لم يصفه إلا بما وصفه به البوصيري - فهو باق وتديم وحديث وليمغ - بل إن الشاعر قد تسرك بعض الصفات التي ذكرها البوصيري - وسأني الإشارة إليها في باب الموازنة أضف إلى ذلك أن ذكر لفظ (القدم) بعد لفظ (المتق) يمدح حشوا ، وأرى أن لفظ (المتق) غير مناسب للحق ، إذ يستعمل كثيرا في مجال الغمر . وفي قول الشاعر : (يكاد في لفظة منه مشروطة) إشارة إلى بلاغة القرآن الكريم ، وضرب لذلك مثلا : إذ اللقيط الواحد منه يشتمل على كثير من الأوامر التي تنفع الناس في دينهم ودنياهم ، إلا أنني أرى أن لقيط (يكاد) لم يساعد على تحقيق تلك الفكرة ، التي أردت تحقيق توضيحها ، في حين أن القرآن الكريم غني بالألفاظ المانعة الجامعة التي تحتاج في شرحها إلى مجلدات ، واللفظ الواحد منها يوحى بالحق والتقوى وصلة الرحم بل وأكثر من ذلك ، ولعل أقرب مثال على ذلك لفظ (الاستقامة) ولهذا كله كنت أحب ألا يقول الشاعر : (يكاد) .

فصاحة الرسول :

ومعنا أشار الشاعر إلى فصاحة القرآن الكريم ، انقل إلى الحديث عن فصاحة الرسول بقوله (١) :

يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة

(١) حديثك الشهد عند الذائق الفهم

حليت من عائل جيد البيان به

(٢) فنى كل منتظم فى حسن منتظم

بكل قول كريم أنت قائله

تحىى القلوب • وتحىى بيت الهم

يمدح الشاعر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأنه أفصح من نطق بالمربية •
وأن حديثه حلو كالشهد • يحىى حلوته من يتذوق البيان • بل إن بلاغته
ذلك الحديث قد زادت البيان المرص مثلاً فى نثر له جمال الشمس •
كما كان لهذا الحديث أثر كبير فى غذاء القلوب • وتشقيف العقول •

وإذا تأملت قول الشاعر : (يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة ••) وجدته
ينادى الرسول (صلى الله عليه وسلم) نداً يشمر برفعة المكانة وطو النزلة • كما
أن فى قوله : (أفصح) نكتة لطيفة وهى الإشارة إلى ما عرف عن العرب من
أنهم أهل فصاحة وبيان • ولكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان أفصحهم
جميعاً • وهذا ما يشير إليه أفضل التفضيل • وأحسن الشاعر عندما شبه حديث
الرسول بالشهد فى الحلاوة والمذوبة • وفى هذا تشبيه الممتوى بالمحسوس
لتأكيد بيان أثره • ولا يخفى أن حديث الرسول أعظم من ذلك •

وأراد الشاعر أن يوضح أثر حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقَالَ
: (حليت من عائل جيد البيان ••) ولا يخفى أن فى المباشرة استمارة مكنية
إذ شبه الشاعر البيان بالمرأة الحسنة التى رمز لها بالجيد • فكأن حديث الرسول
زاد البيان المرص جمالا على جماله • وغذوة فوق غذوته • ويبدو أن الشاعر
أراد أن يبين فضل حديث الرسول على النثر وعلى الشعر • فأتى بهذا الطبع
فى قوله : (منتظم ومنتظم) •

ولقد أكد الشاعر فكرته السابقة فى البيت الأخير وخاصة فى الشطر الثانى

(١) الضاد : المراد اللغة العربية •

(٢) عطل : عطلت المرأة عطلا إذا لم يكن عليها حلى •

بقوله : (تحيى القلوب • وتحى ميت الهم) • ولا يخفى أن فى العبارة مجازاً ،
فأحياء القلوب مجاز عن تأثيرها • كما أن إحياء الهم مجاز عن إلهامها لمن غفلتها ،
ولا شك فى أن تكرار الفعل (تحيى) يؤكد أثر ذلك الحديث • كما أن الطباق
فى قوله : (تحيى وميت) يبين مدى ما بلغه ذلك الحديث من تأثير كبير •

مولد الرسول :

ثم أشار الشاعر إلى مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (١) :

سرت بشائر بالهادى ومولده
فى الشرق والغرب مسرى النور فى الظلم
تخطفت مهج الطافين من عروب
وطيرت أنفاس الباغين من عجب
هبت لها شرف إياوان فأنصدت
من صدمة الحق لا من صدمة القسدم
لقد سرت البشارة بمولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى الشرق والغرب
مؤذنة بشرق النور الذى سيحو الظلم • ومظهر المدل الذى سيدفع الظلم
ولذلك أدرك الظالمون من العرب والمجم أن نهايتهم قد آن وقتها • فدخل
العرب قلوبهم • بل إن شرف إياوان كسرى قد أنصدت من قوة الحق • لا من
ضربة الصول •

وإذا تأملت قول الشاعر : (سرت بشائر بالهادى ومولده) وجدت أن نفسى
إسناد الفعل (سرى) إلى (البشائر) مجازاً عقلياً ، يوحى بتشخيص تلك البشائر
وفى ذلك تعظيم لها ولما تحمله من أخبار سارة • ولا يخفى أن فى قول الشاعر
(فى الشرق والغرب) طباقاً يشير إلى انتشار تلك البشائر فى كل البقاع
كما أن فى قوله : (مسرى النور فى الظلم) بيان سرعة مسرى تلك البشائر
وأنها • وهوكد ذلك هذا الطباق الذى بين قوله : (النور والظلم) ، فكما
أن النور يسرى بسرعة • ومظهر بوضوح فى الظلم ويقضى عليه - أيضاً • كذلك
تلك البشائر انتشرت بسرعة (تخطفت مهج الطافين • وطيرت أنفاس الباغين •) ولا يخفى

(١) الشرقيات ج ١ ص ٢٤٧ •

(٢) القدم : - بضمين - جمع قدوم : اسم آلة مصروقة •

أن بين قوله : (عرب وعجم) طباقا يشير إلى عموم أثر تلك البشائر ، كما أن
 بين قوله : (طاغين وناجين) جناسا ناقصا يبين نوع بعض من أثرت فيهم تلك البشائر
 ولعل الشاعر أراد أن يوضح أن بشائر المولد الشريف لم تؤثر في الإنسان فحسب
 بل أثرت في الجماد أيضا فقال : (رمت لها شرف الإيوان) وأكد ذلك
 بقوله : (من صدقة الحق ، لا من صدقة القدم) .

ولا يخفى أن الشاعر قد نهج في ذلك الحديث نهج السابقين وخاصة ،
 البوصيري - كما سيأتي - أضف إلى ذلك أن ذلك الحديث يشير إلى أنه لم
 يرتب أفكاره ترتيبا زمنيا - إذ مدح الرسول - ثم تحدث عن نسبه ، ومشتبه
 ومضى معجزاته وفصاحته ، ثم تحدث عن مولده !!! وكان من الأفضل الحديث
 عن مولده قبل ذلك كله .

حالة المالم قبيل بمئة الرسول :

ثم بين شوقي حالة المالم قبيل بمئة الرسول بقوله (١) :

أتيت والناس فوضى لا تعربهمـــــــــــــــــ
 إلا على صنم قد هام في صنم
 والأرض ملوثة جورا مـــــــــــــــــ
 لكل طاقة في الخلق محتكم
 سيطر الفرس يفي فسي رعيته
 وقصر الروم من كبر أصم عـــــــــم
 يعذبان عباد الله فسي شبيـــــــــه
 وذبحان كما ضحيت بالفنــــــــم
 والخلق يفتك أقواهم بأضعفهمـــــــــ
 كالليث بالبهيم أو كالحوت بالبلــــــــم

يخاطب الشاعر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائلا : كان الناس قبيل
 بمئتك في جهالة جهلاء ، وضلالة عمياء ، فالفوضى حالهم ، والأصنام

آلهمهم ، والظلم ديدنهم ، والبغى شعارهم ، والكبر رداؤهم ، وتحكم الحكام
فى رعيهم ، فسكوا الدماء ، وتكلموا بالأيها ، كما فتك الأقياء بالضعفاء .

وإذا تأملت قول الشاعر : (أتيت والناس فوضى . .) أدركت أن الفاسد
قد انتشرت ، وأن العقول قد ألقيت ولا أدل على ذلك من الإخبار عن
الناس بقوله : (فوضى) وما يؤكد هذا الأمر قوله : (لا تترأى على عثم
قد هام فى صنم) فالمقصود بالصنم الأول ذلك الإنسان الذى ألقى عقله ،
وتنازل عن كرامته فمجد صنما لا يضر ولا ينفع .

إن العقول على الحارس الأمين على حرية الناس وأمنهم ، فإذا ما ألقى
الناس عقولهم كان ذلك تعبيدا لانتشار الظلم ، ولذلك أحسن شوق هدمها
قال : (والأرض ملوثة جورا . .) بمد قوله السابق : (أتيت والناس فوضى . .)
وفى هذا إشارة لطيفة إلى قيمة العقل الناضج ، والفكر السديد .

ثم خس الشاعر بالذكر كذا من كسرى فارس ، وقبصر الروم ، لظهور بغى
الأول ، وكبر الثانى ، وما ترتب على ذلك حتى بلغ بهما الأمر إلى أنهما :
(يعمدان عباد الله . .) دون ذنب ارتكبه ، أو جرم فعلوه ، بل بلغت
بهما القموة إلى أنهما (يذهبان . .) عباد الله كما تذبح الشياه ! !)

وأحسن شوق فى قوله مخاطبا الرسول : (. .) كما ضحيت بالثمن . .)
ولعل فى ذلك إشارة لطيفة إلى فعل الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذى
ينهى من الشريعة السحرة وفعل هذين الحاكمين الظالمين الذى ينهى من شريعة
الذئاب ، ومكر الذئاب .

ولا شك فى أن هناك فرقا كبيرا من الذاهب والمذبح والهدف من
الذبح فى كل من أشار إليهم شوق .

ولعل الشاعر خس دولتى القوس والروم بالذكر ، لأنهما كانتا من أقوى
الدول فى ذلك الوقت ، كما كانتا أشد من غيرهما علاقة بالمرب ، وأقرب
من سواهما جواريا لجزيرة العرب التى بعث فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

ثم أشار شوقي إلى أن الأقوياء - بجماعة - كانوا يفتكون بالضعفاء
كما يفتك الأسد بولد الضأن ، أو كما يلتهم الحوت صفار السمك .

ولا يخفى أن حديث الشاعر عن حالة العالم قبيل بمئة الرسول هو كسـ
ما ذكرته - سابقا - من عدم ترتيب أفكاره ترتيباً زمنياً على حسب وقوعها .

الإسراء والمعراج :

ثم أشار الشاعر إلى معجزة الإسراء والمعراج بادئا بالإسراء - في قوله (١) :

أمرى بك الله ليلاً إذ ملائكة
والرسل في المسجد الأقصى على قدم
لما خلوت به التفوا بسيدهم
كالشهب بالبدر أو الجند بالمسلم
صلى وراءك منهم كل ذي خطيئ
ومن يغضبهم الله يأنسهم

يخاطب الشاعر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائلاً : يا رسول الله : لقد
أمرى بك الله ليلاً إلى المسجد الأقصى ، وكان في استقبالك عدد من الملائكة
والرسل ، فلما خللت بذلك المسجد التفوا حولك ثم علوا وراعى .

ويلاحظ أن الشاعر أراد أن يصور حفاوة الملائكة والرسل برسول الله فقال :
(إذ ملائكة والرسل ... على قدم) فهم قائمون معاً يحيطون لاستقباله ، وعندما
حل بذلك المكان (التفوا بسيدهم) وهذه صورة أخرى للحفاوة إذ صورهم
الشاعر يلتفون حول الرسول التفافاً كاللثاف النجوم حول البدر . ولا يخفى أن
الشاعر شبه الرسل بالشهب كما شبه الرسول بالبدر ، ثم شبه ذلك الالتفاف تشبيهاً
آخر بأنه كاللثاف الجند حول العلم .

ولعل الشاعر أراد أن يبين فضل الرسول (صلى الله عليه وسلم) فالتفت من

(١) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٧ .

من الخطاب (خطرت) إلى الفية (يسيدهم) ولعله أتى بهذا اللفظ ناظرا إلى قول الرسول : (أنا سيد ولد آدم) .

وإذا تأملت قوله : (صلى وراءك همهم كل ذي خطر) وجدت أنفسه يشجر إلى حفاوة أخرى ، وتفضل آخر ، وهو أن هؤلاء الرسل طمس عظم خطوهم ، ورفع شأنهم ، جعلوا الرسول إمامهم ، لأن الصلاة خلفه شرف كبير .

ثم أتى الشاعر بحكمة صادقة في قوله : (ومن يفزع حبيب الله بماتم) ولا يخفى أن هذه العبارة تحت على الانتقام بالرسول (صلى الله عليه وسلم) واتخاذ قدوة ، ولعل المبارقة قد خانت الشاعر فوقع فيها نوح من القلب والأصل (ومن ياتم برسول الله يفز) .

ثم أشار الشاعر إلى المعراج بقوله (١) :

جبت السماوات أو ما فوقهن بهم
على منسوة درية اللجم^(٢)
ركوة لك من عز ومن شرف
لا في الجهاد ولا في الأيمن الرسم
مشيئة الخالي الباري ومنتمته
وقدرة الله فوق الشك والنهم
حتى بلغت سماء لا يطار لها
على جناح ولا يسمي على قدم
وفيل كل نبي هد وثبتته
وما محمد هذا المروء فاستلم

قطعت السموات كلها - سماء بعد سماء - بل طوت فوقها مارا بهؤلاء الأنبياء ، وأنت على البراق الذي لا تشبه الجهاد الكريمة ، ولا الأيمن المظيمة ،

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٢٤٨ .

(٢) منورة درية اللجم : المراد البراق .

فتبارك من خلق فأبدع في قدرته ليست محل الشك أو الريبة ، وذلك أنك بلغت مكانا عاليا ، لا يمكن أن يبلغه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، ولا يستطيع ذو جناح الوصول إليه ، ولا يتمكن ذو قدم من الحصول عليه .

ولا يخفى ما فنى قول الشاعر : (بجهت السموات أو ما فوقهن بهم) (١) من إشارة لطيفة إلى مرور الرسول (صلى الله عليه وسلم) على بعض الأنبياء ففسى السموات - كما أشارت إلى ذلك كثير من الأحاديث - إلا أن الشاعر ذكر أن الرسول عرج إلى السموات فوق البراق عندما كفى به بقوله : (على منسورة دربة اللجم) ثم صرح به بمصر التصريح في قوله : (ركنة لك من عز ومن شرف) (٢) والصحيح أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) صعد إلى السموات على الممرج ، لا على البراق (٣) . كما أن قوله : (ركنة لك) (٤) توحى بسان البراق خاتم الرسول ، ولكن الحقيقة أن الأنبياء كانوا يركبونه قبل الرسول (صلى الله عليه وسلم) (٥) ، ولا يخفى أن لفظ (ركنة) غير لائق بالمقام .

ولما كان أمر الإسراء والممرج خارقا للمادة وفوق تفكير العقل البشري فقد أحسن شوقي عندما قال : (مشيئة الخالق الباري) (٦) ثم أكد تلك الفكرة بحكمة صادقة في قوله : (وقدرة الله فوق الشك والشبه) .

وإذا تأملت قول الشاعر : (حتى بلغت سماء لا يطار لها) (٧) تهت بهت إلى أن الرسول قد ارتفع إلى مكان لا يستطيع أحد أن يرتفع إليه مهما كان شأنه ثم أكد فضل الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (وقيل - أي بلسان الحال - كل نبي عند ربه) في السماء التي هو فيها ، أما أنت يا محمد فارفع واقرب : (يا محمد هذا الموضع فاستلم) ولا يخفى أن في تلك العبارة كناية تشير إلى رفعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وزيادة فضله على بقية الرسل .

ثم أشار شوقي إلى أن الله قد أخبر رسوله ببعض الأمور الغيبية بقوله (٨) :

-
- (١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٤٣ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٥ ص ٢٠ وما بعدها وص ٤٠ .
(٣) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٨ .

خططت للدين والدنيا علومهما
 يا قارىء اللوح بطل بالاسم القلم
 أحطت بينهما بالسر وانكشفت
 لك الخزان من علم ومن حكم
 ضاعف القرب ما قلدت من من
 بلا عداد وما طوقت من نعم

يشير الشاعر إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد علم الناس أمور دينهم ودينهم ، وذلك من فضل الله الذى علمه ما لم يكن يعلم ، بل أنعم عليه بنعم لا تعد ولا تحصى .

وإذا تأملت قول شوقي : (خططت للدين ٠٠) وجدت قد اشتمل على كناية لطيفة تشير إلى أن الرسول قد علم الناس أمور دينهم ودينهم ، كما أن قوله : (يا قارىء اللوح ، بل بالاسم القلم) قد اشتمل - أيضا - على كناية تدل على أن الله قد أطلع نبيه على بعض الغيبات ، ولا يخفى أن قوله : (أحطت بينهما بالسر ٠٠) تأكيد للفكرة السابقة ، كما أن قوله : (وضاعفت القرب ٠٠) يوحد فضل الله على رسوله ، بتكثيره ، وزيادة نعمه عليه .

هجرة الرسول :

وانتقل شوقي إلى الحديث عن هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله^(١) :
 مل حبة الشرك حول الفار مائنة
 لولا مطاردة المختار لم شمس
 هل أبصروا الأثر الرضاء أم سموا
 همس التسابيح والقرآن من أسم
 وهل تثل نوح المنكبات لهم
 كالغاب والحائكات الزغب كالرخم ؟

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٢٤٨ وما بعدها .

لأدبروا ووجود الأرض تلذذهم
 كباطل من جلال الحق منهم
 لولا يد الله بالجارين ما ملأنا
 وعينه حول ركن الدين لم يقم (١)
 توارى بجناح الله واستسرا
 ومن يضم جناح الله لا يضم (٢)

جرد الشاعر من نفسه شخصا يخاطبه بقوله : سل أهل الشرك الذين كانوا حول غار ثور يبحثون عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لماذا رجعوا خائبين ولم يدخلوا الغار ؟ أروا النور الخفاء داخل الغار فخشوا الاقتراب منه ، أم عواقه ؟ أسموا تسبيح الرسول وقراحه القرآن فتلكهم الرعب ، أم صموا ؟ أم خيل إليهم نسج المنكبوت الواهن غابا منعا ، والحمام السواح رخما يتخطفهم ، فمنهم كل ذلك من دخول الغار ، ورجعوا خائبين .

وإذا تأملت قول الشاعر : (سل عبة الشرك حول الغار سائسة) وجدت فيه استعارة مكنية ، لا يخفى أثرها في تشبيه هؤلاء المشركين بالأنعام كما أن لفظ (مطاردة ٠٠) يوحي بما غناه الرسول (صلى الله عليه وسلم) من هؤلاء المشركين .

ويبدو أن الشاعر أراد التهمك بهؤلاء المشركين فأتى بهذه الأسئلة : (هل أبصروا ؟ أم سمعوا ؟) (وهل تمثل نسج المنكبوت ؟) ولكن السؤال الأول كان حقه أن يكون بالهزة لوجود معاد لها (أم) كما هو معلوم ضد علماء البلاغة ، إلا إذا أراد الشاعر الإهراء (٣) .

ولقد أجاد الشاعر حينما أشار إلى رجوع هؤلاء المشركين خائبين بقوله : (فأدبروا ٠٠) ثم أتى باستعارة مكنية لطيفة بهتت أن اللعنات كانت

(١) الجارين : الرسول وأبى بكر .

(٢) جناح الله : المراد لطفه وستره - يضم - الأول - بفتح الباء ضم الضاد وتشديد

المهم مضمومة - أما الثانية فهي يضم ففتح فكسر ومناها ظاهرا .

(٣) التخليص في علوم البلاغة ص ١٥٦ .

تصب عليهم من كل جانب (ووجهه الأرض تلمعهم ٠٠) ثم أكد هزيمتهم بهذا التشبيه اللطيف: (كباطل من جال الحق منهم) .

إن غاية الله كانت ترقى رسوله ووعايته كانت تشملهم . وهذا ما أشار إليه شوقي بقوله : (لولا يد الله بالجارين ما سلموا ٠٠) ثم أكد ذلك بقوله : (ثواريا بجناح الله واستترا ٠٠) وأتى بحكمة صادقة في قوله : (ومن يضم جناح الله لا يتم) وهي تشير إلى أهمية لطف الله وستره ، ولا شك في أن في ذلك حثا على طلب رضا الله ، حتى يكون الطالب في حفظ الله وكفنه .

توسيل الشاعر إلى الرسول :

ثم توسل الشاعر إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) باشتراكه معه في الاسم وذلك في قوله : (١)

يا أحمد الخير لي جساء بتسميتي

وكيف لا يتسامى بالرسول ص ؟

يشير الشاعر إلى أن من حقه أن يفخر بالانتساب إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) باشتراكه معه في الاسم ، ثم يسأل : (كيف لا يتسامى بالرسول ص) ، وشوقي في هذا ناظر إلى البوصيري - كمنسا سيأتى في باب الموازنة - .

فضل البوصيري وردته :

ومترف شوقي بفضل البوصيري وردته بقوله (٢) :

المدحون وأرباب الهوى تبع

لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم (٣)

(١) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٩ .

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٣) الفيحاء : المراد المظبية .

مديحه فيك حب خالص وهوى
صادق الحب يملأ صادق الكلم
الله يشهد أنى لا أعارضه
من ذا يعارض صوب المعارض المرم
وإنما أنا بعض الفايطين ومن
ينخبط وليك لا يذم ولا يلسم
هذا مقام من الرحمن مقتبس
ترسى مهابته سبحانه بالبكس (١)

يشير الشاعر إلى أن من مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) بمحمد
البوصيرى قد تأثر فى مدحه بالبوصيرى ويردته ، ثم ذكر أن مدح البوصيرى
كان أساسه الحب الخالص لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأشار إلى أنه
لم يقصد معارضة البوصيرى بقصيدته (نهج البردة) - وإن وجدت شروط
المعارضة - وإنما هو بعض الفايطين ، ثم ذكر أن مدح الرسول أمر عظيم
لا سهل إلى الإجابة فيه إلا بمدد من الله .

وإذا تأملت قوله : (المادحون وأرباب الهوى تبع) وجدتة يشير
إلى أن كثيرًا من المادحين بل كل المادحين الذين أتوا بمدح البوصيرى -
قد تأثروا فى مدائحهم بصاحب البردة ، ثم أكد ذلك بلفظ (تبع) لأنه
مصدر ، وأخبره ، للمبالغة ، لم وصف شوق البردة بكونها (الفجاءة) ذى
القدم) وهذه شهادة عظيمة للبردة .

ولا يخفى أن قول شوق : (مديحه فيك حب خالص وهوى) بيان سبب
إجابة البوصيرى فى مديحه الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو الحب الخالص
وأكد ذلك بحكمة صادقة فى قوله : (صادق الحب يملأ صادق الكلم) .

ونفى شوق أنه عارض البوصيرى بقوله : (الله يشهد أنى لا أعارضه)
ثم ظل لذلك النفى بقوله : (من ذا يعارض صوب المعارض المرم) ونفى ذلك

(١) محبان : هو سبحانه وائل أحد فصحاء العرب الذين يضرب بهم
المثل فى الفصاحة .

القول اعتراف عروج ببلوغ البصيرى فى مدائحه مبلغا كبيرا ، وإجادته فيها
إجادة حسنة .

وإذا تأملت قول الشاعر : (وأنا أنا بعض الضابطين) وجدته يشير
إلى توائع الشاعر الذى جملة بمثابة تقديم المذر حتى لا يكون هدفنا
للنقد مثلا ، ولقد ذك قوله : (ومن يفيط وليك لا يذم ولا يلم) وهو
حكمة صادقة تجرى مجرى المثل .

ثم أشار الشاعر إلى عظيم مكانة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ورفعة
شأنه ، بقوله : (هذا مقام من الرحمن) فأشار بذلك إلى أنه لا يستطيع
أحد مها كان فصيحاً أن يحيط بشمائل الرسول الكريمة كلها بل إن الإشارة
إلى بعضها تحتاج إلى توفيق من الله .

مدح الرسول :

وانتقل شوقى إلى مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (١) :

البدر دونك فى حسن وفى شرف
والبحر دونك فى خير وفى كرم
ثم الجبال إذا طاولتها انخفضت
والأنجم الزهوما واسمها نسـم (٢)
واللهت دونك بأما عد وثبتـه
إذا مشيت إلى شاكى السلاح كى
تهفو إليك - وإن أدميت حبتها
فى الحرب - أفتدة الأبطال والبهـم (٣)
محبة الله ألقاها - وهيتـه
على (ابن آمنة) فى كل مصطدم
كأن وجهك تحت النقع بدر دجى
يضى * ملتصا أو غير ملتصـم

(١) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٩ وما بعدها . (٢) واسمها : نافستها فى الحسن والرفعة
نسم : تغلبها . (٣) حبتها : المراد سبها ، القلوب .

۱. بدر شجاع فی بدر ففرتسیه

كفارة النصير تجلوداجي الظلم

يمدح الشاعر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأنه : أحسن من البسدر ،
وأكرم من البحر ، وأثبت من عمم الجبال ، وأعظم ارتفاعاً وضياءً من النجوم ، وأشد
أساساً من الأسد ، ثم ذكر أن الرسول محبوب حتى من أعدائه الذين أحبوا
بخطوته وشجاعته .

وإذا تأملت قوله : (ثم الجبال إذا طاولتها انخفضت) وجدته يشير إلى ثبات الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو قد ذلك لفظ (ثم) والتصغير بلفظ الجمع في (الجبال) كما أن قوله : (انخفضت) كتابة من ظهورها قصيرة بالنسبة إلى ارتفاع قدر الرسول ، وطول شأنه . ولا يخفى أن الإضافة هنا من إضافة الصفة إلى الموصوف زيادة في التأكيد .

وكذلك قوله : (لو أن نجم الزهر ما واستبحا نعم) يدل على ارتفاع مكانة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وشدة ضوئه ، وعظيم هدايته ، أضف إلى ذلك أن قوله : (والليث دونك بأسا ٠٠) يدل على شجاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وشدة بأسه ، وأحسن الشاعر عند تفهيد شدة بأس الأسد بقوله : (هد وثبته) إذ في تلك الحالة يكون الأسد أشد بأسا ، ومع ذلك يكون هذا البأس الشديد أقل من بأس الرسول (إذا مشى إلى شاكى الملاح كفى) .

ثم أشار الشاعر إلى أن شجاعة الرسول صطولته كانت سبباً في حسب
الأعداء إياه على الرغم من أنه يصيب قلوبهم بضرته ، وذلك في قوله : (شهفوا
إليك - وإن أدريت حبثها في الحرب - أفتدة الأبطال :) ، وبين شوقه أن
تلك المحبة قد ألقامها الله (على ابن آفة) وهو الرسول (صلى الله عليه وسلم)
إلا أنني أرى أن ذكر اسم والده الرسول هنا غير مناسب للمقام ، أضف إلى ذلك
أن الإنسان ينسب إلى والده لا إلى والدته .

أما قول الشاعر: (كأن وجهك تحت الفتح بدروجي ٠٠) فهو كما قال أحد الكتاب^(١): تصحح للبطولة في أعلى درجاتها؛ لأنه وصف وجه النمسي

(۱) الإعلام فی شعر شوقی ص ۶۰.

بالإشراق والاستبشار والتطلق حيث تعبس الوجوه وتكفيهم ، ولمله نظر إلى قول المتنبي (١) :

تصربك الأبطال كلمى هزيمة

ووجهك وضاح وشفرك باسم

ولا يخفى أثر الطهارة في قوله : (ملثما وغير ملثم) فهو يدل على أن وجه الرسول مشرق دائما ، كما أن قوله : (بدر تطلع في بدر) يلمح إلى انتصار الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه في غزوة (بدر) ولا يخفى أن بين قوله : (بدر بدر) جناسا ، ألقى على الألفاظ نورا على نور ، وأكد الشاعر إشراق وجه الرسول بقوله : (غرته كفرة النصر تجلوداجي الظلم) ولا يخفى أن في الكلام تشبيها لطيفا ، واستمارة مكنية جميلة ، ساعد كل ذلك على بيان الفكرة وتوضيحها ، إلا أن ذكر لفظ (الظلم) بعد لفظ (دجى) بعد حشوا ، ولعل الشاعر أتى به للقافية .

وواصل شوق مدح الرسول بقوله (٢) :

ذكرت باليتم في القرآن تكمية

وتبسة اللؤلؤ المكنون في البيت

الله قسم بين الناس رزقهم

وأنت خيرت في الأرزاق والقسم

إن قلت في الأمر لا أو قلت فيه نعم

فخيرة الله في لا منك أو نعم

أخوك عيسى دعائنا فقام له

وأنت أخيت أجيالا من الرسم

والجهل موت ، فإن أوتيت معجزة

فابحث من الجهل أو فابحث من الرجم

مدح الشاعر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بصفات تبين فضل الله عليه ،

ومنها : أن الله أشار إلى بقية نبي القرآن الكريم ، وأن الله خيرته نبي مقسدار
رزقه ، كما أعطاه عقلا رشيدا ، وأما صديدا إلى جانب عصته ، وأحيى
على يديه كثيرا من الناس بإخراجهم من ظلمات الضلال والجهل ، إلى نور
الهداية والملم .

وإذا تأملت قوله : (ذكرت باليتيم نبي القرآن تكمة) وجدتته يشير
إلى قوله تعالى : " أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى " (١) . ثم بين الشاعر أن هذا
الذكر يدل على تفرد الرسول (صلى الله عليه وسلم) في عفاقه ، وأتى بما يوضح ذلك
فقال : (وقمة اللؤلؤ المكنون في اليتيم) .

ولا يخفى أن قوله : (الله قسم بين الناس رزقهم) يدل على قدرة الله
وإرادته ، ولكنه جعل ذلك القول تمهيدا لقوله : (وأنت خيرت نبي الأرزاق
والقسم) ، ولعله يلمح بذلك إلى ما ورد عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) :
أن الله تعالى قد عرض عليه أن يجعله (بطحا مكة ذهبيا) ، فأبى وقسم :
لا يارب ولكن أشبع يوما . . وأجوع يوما - كما سبق (٢) - ولا شك في أن ذلك
يدل على عظم مكانة الرسول عند ربه (جل جلاله) .

أما قوله : (إن قلت في الأمر لا أوتلت فيه نعم . .) فيدل على كمال
عقله ، وصحة رأيه ، ومحد نظره ، وتوفيق الله إياه .

ثم أشار شوقي بقوله : (أخوك عيسى دعا ميتا فقام له) إلى أن الأنبياء
كلهم أخوة - وهذا ما أشار إليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) (٣) - كما أنه
يلمح بقوله : (دعا ميتا . .) إلى معجزة رسول الله عيسى (عليه السلام) وهي إحياء
الموتى بإذن الله ، كما صرح بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى : " وَأُحْيِي
الْمُوتَى بِإِذْنِ اللَّهِ " الآية (٤) .

(١) الضحى / ٦ .

(٢) انظر ص ١١٨ من هذه الرسالة .

(٣) المرجع السابق ص ٢٩٦ .

(٤) آل عمران / ٤٩ .

ولعل الشاعر مهد بقوله : (أخوك عيسى) ليبين فضل الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (وأنت أحييت أجيالا من الرمم) ، ولا يخفى أن في المباراة استمارة تصحية تهمية ، رفعت شأن العلم وأكدت قيمته ، وأشارت إلى أن الجهل موت ، وهذا ما صرح به الشاعر في قوله : (والجهل موت) ففي هذه المباراة تشبيهه بليغ ، لا يخفى أثره في التفتيح على الجهل والتفير منه ، ولذلك قال الشاعر مجردا من نفسه شخصا يخاطبه - : (غانأوتيت ممجرة ، قابميت من الجهل - أو قابميت من الرجم) ويصح أن يكون الخطاب للرسول ، ويكون قوله : (فإني أوتيت) للتحقيق ، كما تقول لابنك : إن كنت ابني فافعل كذا ، ويكون الأمر في قوله : (قابميت) بمعنى الخير ^(١) ، والرأي الأول أرجح ؛ لأنه يوجه كلامه لكل من يتأتى له الخطاب : إذا كنت تريد فعل شيء يشبه الممجرة ، فهو تعليم الجاهل ، وذلك لأنه يماثل بميت الميت ، ولا يخفى أن في عبارة الشاعر استمارة تؤكد نتيجة الجهل وعواقبه .

الحرب في الإسلام :

ثم تحدث شوقي عن الحرب في الإسلام بقوله : ^(٢)

قالوا غزوت ورسل الله يا بمثوا

لقتل نفس ولا جأء ولا لعفك دم

جهل وتخليل أحلام وسفطاة

فتحت بالسيف بحد الفتح بالقلم ^(٣)

لما أتى لك غوا كل ذي حسب

ثقل السيف بالجهال والممم

والشر إن تلقه بالخير نعت بسـ

ذوطا وإن تلقه بالمر ينحسـ

في هذه الأبيات يشير الشاعر إلى قوة اقترانها بعض أعداء الإسلام قائلين : إن الإسلام

(١) تومنج النهج ص ٨٥ .

(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٥١ .

(٣) سفطاة : المراد بها : إلباس الباطل ثوب الحق .

قد انتشر بحد السيف^(١) ، وهم في هذا مفترون .

وإذا تأملت قول الشاعر : (تالوا غزوت ورسل الله ما بحثوا لقتل نفس) وجدته يشير إلى تلك القرية ، إلا أنه لم يشير إلى صفة هؤلاء القائلين إمامهم بما افتروه وإما لتحقير شأنهم ، وعدم الاكتراث بهم .

ولم يرد عليهم زعمهم ، وصفه رأيهم ، بقوله : (جهل وتخليل أحلام وفسطاطة) فهم في تلك العبارة عدة أمور منها : إن الذي دفعهم إلى تلك القرية هو جهلهم بوقائع التاريخ ، أو تجملهم إياها ، وإن هدفهم من وراء هذه العبارة تضليل العقول من فهم حقائق الأمور ، وفي هذا يلبيسون الباطل ثوب الحق ، ولكن الشاعر قد كشف عن الحقيقة بقوله مخاطباً الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (فتحت بالسيف بحد الفتح بالقلم) ، وفي هذا القول كناية عن لطيفتان ، تشيران إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يستعمل السيف ، ولم يخض غاراته إلا بعد ما دعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأودى هو ومن معه ، وهذا ما يشير إليه التاريخ الصحيح الذي يشهد بأن الرسول مكث في مكة ثلاث عشرة سنة تقريباً يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، متحملاً هو وأصحابه كل عنت وأذى من الكفار ، ولم يقف أمامهم بسيف ، ولم يكرههم حتى يكونوا مؤمنين .

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (لما أتى لك غفوا كل ذي حسب) فسطاط هؤلاء الذين أسلموا ولم يكونوا من ذوي الحسب ، وكانوا فقراء ، هل كانوا عبيداً مثل بلال بن رباح الحبشي وغيره ، إلا إذا أراد الشاعر (بذوي الحسب) أصحاب العقول ، فالمقل كما يقال خير حسب -- فيكون كلامه حينئذ لا غبار عليه ، وإن كان فيه كلفة ، أنصف إلى ذلك أنه إذا صح تعليل السيف على الجهال -- الدالين -- في قوله : (تنقل السيف بالجهال والصم) فكيف سلط على (الصم) كما قال الشاعر ؟ ويبدو أنه أتى بلفظ (الصم) للقافية .

ولقد أتى الشاعر بحكمة صادقة استخلصها من واقع هذا العالم المادي السذي

(١) حياة محمد ص ٥٧٧ - ٤ . الحقاد ما يزال عن الإسلام ص ١٢٩ وما بعدها - طبعة دار الهلال سنة ١٩٦٦ ، والحقاد : حقائق الإسلام وأبائهم خصوصاً ص ٢١١ وما بعدها - طبعة دار القلم سنة ١٩٦٦ .

لا تحترم فيه غير القوة ، ولا يهاب فيه إلا طاحيا للصولة ، تأمل ذلك في قوله :
 (والشر إن تلقه بالسير ضقت به ذرعا ..) ولعل الشاعر يميل إلى معاملة المهيمنة
 بالمهيمنة كما قال الله تعالى : **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا** .. الآية * ، لأن من الناس
 من إذا دفعت بالحق أحسن سيئاتهم ظنوا ضعفه ، وانتبهشوا عرضك ولحمسك
 فهو لا . يعاملون بقانون : (**فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِمْ**) ما اعتدى
 عليكم .. الآية (١) إذ في ذلك حمس طمعهم ، وهذا ما أشار إليه شوقي
 بقوله : (.. وإن تلقه بالشر يتحسم) .

ويبدو أنه أتى بلفظ (الشر) مریدا به (القوة) على سبيل المشاكلة (٢) ، ولا
 يخفى أثرنا في بيان المعاملة بالمثل ، فيرجح الممتدى خشية أن يقتصر منه .

ثم جرد الشاعر من نفسه شخصا يقول له (٣) :

سل المسيحية الفراء كم شربت

بالصاب من شروات الظالم الظلم (٤)

طريدة الشرك يومئذ بها ويوسفها

في كل حين قتالا ما طح الحسد

لولا حماة شهواتهم تنصرتهم

بالسيف ما انتفعت بالرفق والرحم

لولا مكان لمبى عند مرسله

وحرة وجهت للرج في القصد

لسمر البدن الطهر الشريف على

لوحي لم يخش موته ولم يجسم

جمل المسيح وذاق الصلب شائمه

إن المقاب يقدر الذنب والجسم

أخو النبي روح الله في نسل

فوق السما ودون المرش محترم (٥)

(١) البقرة : ١٩٤ . (٢) أي : ذكر الشيء بلفظ غيره ، لوتوجه في صحيفه .. انظر

التلخيص في علوم البهجة ص ٣٥٦ وما بعدها .

(٣) الرهقيات ج ١ ص ٢٥١ وما بعدها .

(٤) الظلم : بفتح تكسيرة الهاء التاني . (٥) روح الله : أي روح منه ، لأنه نفخة من

أمره قال تعالى **نَنفَخُهَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا** .. الآية . التحريم / ١٢ .

يعين الشاعر مدى ما لحق بالمسيحية وأهلها — من ظلم وتشريد ، فكسسه
ما يدعيه بعض الأدعياء من أنها نشرت بالسلام لا بالحرب كإسلام .

وإذا تأملت قول شوقي : (حل المسيحية الفراعنة) وجدته نزل المسيحية
منزلة من يمال ويحبب ، وفي ذلك مجاز لا يخفى أثره في توجيه المومنين إليها
بإشارة حتى تنهك عما لحقها وأهلها من أذى واضطهاد ، ويؤكد ذلك قولهم :
(كم شربت بالصواب من شهوات الظالم) . ولعل الصبابة تشير إلى كسرة
ما وقع بالمسيحيين من ظلم وكيد وتشريد ^(١) ، وهذا ما وضعه الشاعر بقولهم
(طريدة الشرك يومئذها يومئذها) .

ثم يعين شوقي كيف دافع المسيحيون عن المسيحية وحملوا السلاح نسي
وجه الظالمين بقوله : (لولا حماة لها هبوا لنصرتها بالسيف) وفي ذلك
رد حاسم على من زعم أن القتال صاحب الإسلام فحسب ، أما المسيحية فهي
دين سلام ، ولم يعمل أهلها السلاح في وجه أحد ، يريد من وراء ذلك
تفضيل المسيحية على الإسلام ، وتفضيل رسول الله عيسى (عليه السلام) على
رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ويؤكد ذلك ما نقله أحد الكتاب
عن أحد هؤلاء الفقهاء إذ قال : " . . . ففرق بين أحدهما بفرض بقوة السلاح
قانون الحاكم الأعلى الذي لا محيص عنه (يقصد رسول الله محمد) ، وآخر
يجتذب ناسه بقوة الحب : حب الأب الجامع الشامل المطوف (يقصد رسول
الله عيسى) ^(٢) ، وقال آخر : " . . . إلا أن الرسول — محمداً — بما دام قد
أصك أن يكون مسامحا ، وما دام قد ذهب إلى أن ينتصر للحق بالأغتيال الخفي
والحرب المشفوة . . . فقد طبع نفسه ودينه بطابع الضعف الهش والفتاة . . . ^(٣) .

إن مثل هذا الفتاة ، وذلك الهراء ، هما اللذان دفعا الشاعر للحد يمت
عن المسيحية حتى يقرع الحجة بالحجة ، والتاريخ خير شاهد على مدى ما اتمصف
به الرسول (على الله عليه وسلم) من تعاصح ، وليس معنى ذلك أن نبي الله

(١) الموسوعة النهرية ص ٨٩٩ وما بعدها .

(٢) الدكتور / حليم مرزوق : شوقي وقضايا العصر والحضارة ص ١١٨ طبعة دار .
المعارف مصر سنة ١٩٧٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٦ .

عيسى لم يكن كذلك ، بل إنه كان كذلك أيضا ، ولكن الظلم هو الظلم .

وأراد الشاعر أن يبين ما دبره الظالمون لعيسى (عليه السلام) فقال : (لولا مكان لعيسى عند مرسله .. لمر البدن الطهر الشريف على لوحين ..) نصبا الذي فعله نبي الله (عيسى) حتى يدبر له ذلك ؟ إنه لم يفعل شيئا سوى أمره الناس بحبادة الله وحده ، ولملك تلاحظ أن عبارة الشاعر تدل على احترامه لنبي الله (عيسى) ، ولم لا يكون كذلك وهو مسلم ، وإسلامه يأمره بالإيمان برسل الله جميعا : " لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ " الآية (١) وهذا الإيمان بهم يتطلب احترامهم .

ولقد أراد الظالمون صلب نبي الله عيسى (عليه السلام) فكان الله حفظه وهذا ما أشار إليه شوقي بقوله : (جل المسح وذاق الصلب شائته) ، وفي ذلك دلالة على أن الشاعر متمسك بقول الله : " وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ " الآية (٧) . ولما كان السكر السيئ لا يحق إلا بأهله كانت هذه النكبة صادقة : (إن المقاب يقدر الذنب والجرم) ، ولا يخفى أنها بمثابة الزجر لمن تسول له نفسه الاقتداء على غيره ، لأن عين الله لا تنام .

وفي البيت الأخير يؤكد الشاعر أن عيسى (عليه السلام) أخو محمد (صلى الله عليه وسلم) أي في الرسالة ، فلا معنى للتعصب لأحدهما ضد الآخر ، ثم أكد رفع عيسى (عليه السلام) ، فقال : (روح الله في نزل فوق السماء)

إن حديث الشاعر عن المسيحية ، وما عاناه أهلها من تشريد وتمذيب يدل على ثقافته التاريخية ، ولعله أول من أشار إلى العرب في الإسلام مفسدا مزاعم الأناكين - كما سمانس -

ثم خاطب شوقي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٢) :

علمتهم كل شيء يجهلون به

حتى القتال وما فيه من الدم

(٢) النساء / ١٥٧

(١) البقرة / ٢٨٥

(٣) الشوقيات ج ١ ص ٢٥٢

دعوتهم لجهاد فيه سوددهم
والحرب أسي نظام الكون والأسم
لولا لم نر للدول في زمن
ما طان من عمد أو قمر من دعم
تلك الشواهد تشرى كل آونة
في الأعراس الفرو لا في الأعراس الدسم
بالأسس ما لتعروش ما عتلت
لولا القذاث فلم تلم ولم تفض
أشباع عيسى أعدا وكل قاصصة
ولم نعد سوى حالات منقص

يبيّن الشاعر أن رسول الله قد علم المسلمين كل شيء، وحتى قوانين الحرب،
وما فيها من اليهود، ودعاهم إلى الجهاد دفاعاً عن الدين والنفس والوطن.
ثم ذكر الشاعر أنه لولا الجهاد ما رأينا دولاً ذات حضارة، وأخيراً
أنشئت حضارتها لضربها واعتداء المعتدين عليها.

وإذا تأملت قول الشاعر : (علمتهم كل شيء) وجدهته يشير إلى اهتمام
الرسول بكل ما ينفع أمته، إلا أن قوله : (يعلمون به) بعد قوله : (علمتهم كل
شيء) بعد حشواً، لأنه كيف يعلمهم كل شيء إذا لم يكونوا جاهلين به ؟ وفي
قوله : (حتى القتال وما فيه من الذم) تأكيد بذكر الخاضر بعد المأم، وذلك
للاهتمام بشأنه، وفيه — أيضاً — تلميح إلى ما كان يوصي به الرسول (صلى الله
عليه وسلم) أصحابه عند القتال مثل قوله : " لا تملوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا
وليداً " (١) .

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (دعوتهم لجهاد فيه سوددهم) بياناً
لقائدة الجهاد، حتى لا يطع في المسلمين طامع، أو يتجول عليهم ظالم، ثم
أن حقيقة صادقة أملت لها ظروف العصر، وذلك في قوله : (والحرب أس نظام الكسبون
والأسم) ولعله يريد بلفظ (الحرب) القوة ثم أكد تلك الفكرة بقوله : (لولا لم نر

(١) زاد المعاد في مدى خير الجهاد ج ٢ ص ٦٤ وما بعد ما .

للدولات في زمن (٠٠) غلولا القوة لم نر دولة تقدمت وأخرى هوت حضارتها لضعفها
وفى قوله: (ما طال من عهد أوفر من دعم) كناية لطيفة عما يستقيم به نظام المالسك
ويرتفع به شأن الأمم . وهذا كله مشاهد (في الأعرص الفزلا في الأعرص الدعم)
ولا يخفى أن في العبارة طهلا بين قوله : (الفز والدعم) أكد الفكرة ووضحها
إذ التقدم مشاهد في عصر العلم أكثر من مشاهدته في عصر الجهل .

ولعل الشاعر يتحدث المسلمين على أن يكونوا أقويا . فقال : (بالأمسين
مالت عروش) ثم بين قيمة القوة المادية بقوله : (لولا القذائف لم تظم ولم دعم)
ونذا هو المشاهد في عالم اليوم ، ثم أكد تلك الفكرة بقوله : (أشياع همى أحد واكلى
قاصصة) أي أن القوة المادية هي التي مكنت المسلمين في التحكم في أجزاء كثيرة
من العالم ، وتم خاربوا دولا ، وأوقدوا نارا للحرب ، وهم الذين يتباهون بأنهم
أفضل سلم وسلام ، وعب ووثام ، ولم يستطع أحد أن يهزمهم بهذا طرمونا به ، من أنفسنا
(لم نعد سوى حالات منقسم) للدفاع عن أنفسنا ، لا للاعتداء على غيرنا .

وأراد الشاعر أن يصف أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وبين شجاعتهم
فقال (٧) :

مهما دعيت إلى الميما قتلتها
ترضى بأسد ويرى الله بالرجم
على لوائك منهم كل منقسم
لله مستقمل ، في الله مستقزم (٧)
مصح للقاء الله مضطرم
شوقا على سابع كالبوق مضطرم
لو عاهد الدغر يهوى نقلة فرمى
بعزمه في رجال الدغر لم يرم
يهي مغاليل من فعل الخروب يهيم
من أسيف الله لا الهية الخدم

(١) الموقيات ج ١ ص ٢٥٢ .

(٧) على لوائك : المراد تحت لوائك .

كم في التراب إذا فتحت عن رجل
من مات بالمهد أو من مات بالقسم
لولا مواهب في معنى الأثام لسا
تفاوت الناس في الأقدار والقيم

بخدا ب شوقى رسول الله (على الله عليه وسلم) قائلا : حينما تدعى إلى الحرب
يا رسول الله — تلجى النداء مع جنود شجمان ، وأبطال ذوي بأس شديد ، يجاهدون
فى سبيل الله ، ويتشوقون إلى الشهادة ، ويجاهدون بشيطة مسرة ، وسيوفهم لامة
قائمة ، ثلثت من الحرب .

وإذا تأملت قوله : (مهما دعيت إلى الهيجا قتلتها ..) وجدته أتى بالفعل
(دعيت) بجيا للمجهول ، وفى ذلك إشارة لليفة إلى أن الرسول (صلى الله عليه
وسلم) لم يدع إلى الحرب ، بل كان هو الذى يدعى إليها ، ويجير على خوضها
لا لشيء ، إلا لأنه يحب السلام ، فإذا لم يجد مفر من القتال كان كما قال الشاعر :
(قتلت لها ترمى بأسد ويرى الله بالرجم) غنى إلى القتال وهو على أتم استعداد
لها ، بجنوده الشجمان ، ولا يخفى أن فى قوله : (ترمى) كناية عن نديه إياهم
للجهاد ، كما أن فى قوله : (بأسد) تشبيها لطيفا يدل على قوة الصحابة وشجاعتهم ،
ولما كان الرسول يحارب أعوان الكفر ، وإخوان الشيطان أحسن الشاعر فى قوله : (ويرى
الله بالرجم) لأن الرجوم لا يرى بها إلا الشياطين ، وفى هذا التفسير يشبه
الشاعر الكفار بالشياطين لأنهم يصدون عن سبيل الله ، ولعل الشاعر يقصد تشبيه
رمح الصحابة بالرجم فيكون فى الكلام استمارة مكنية توحى بمهارة الصحابة وقدرتهم
على إصابة الأعداء .

ثم أكد شوقى قوة هؤلاء الصحابة وشجاعتهم فقال : (على إخوانك منهم كبيل
منتقم ..) إنه يصفهم بأنهم تحت لواء رسول الله — ففهم اللواء ونعم صاحبهم —
وهم ينتقمون لله ، ويجاهدون فى سبيل الله ، وكل منهم : (صبيح للقاء الله
منظوم شوقا ..) إلى الاستشهاد فى سبيل الله ، ولذلك يقاتل (على صاحب كالبريق مضطرم)
فإذا كان الجندى كما قال الشاعر : (صبيح وضطرم) وفروه : (صابح وضاهم) بل
و (كالبريق) فإن هذا يدل دلالة كبيرة على صدق النية فى الجهاد ، وقوة المنية
ويؤكد ذلك تلك الاستمارة المكنية فى قول الشاعر : (لو صادف الدهر يضى نقلة ..)
ويتبدد طاميدا تشبيه المنى بالسهم — بجامع الضم والنقود فى كل .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يبين أن هؤلاء الجنود قد جموا كل ما يحقق لهم النصر على أعدائهم ، فأشار إلى سيفوفهم بقوله : (بيض مقاليل) ويجوز أن يكون هذا الوصف لهم فشبههم بالسيف لإزهاق نفوس الأعداء فيكون من قبيل التشبيسه البليغ ، (مقاليل) ترشيح للتشبيه بالسيف ، وأحسن عندما قال : (من أسيف الله لا الهنغرة الخدم ، لأن هذا يدل على مائة تلك السيف ، إذ صنع اللسسه يفوق صنع البشر ، لأنه خالق القوى والقدر .

وإذا تأملت قوله : (كم في التراب إذا فتشت عن رجل من طك بالمهد ٠٠) وجدته يشير إلى نثرة استشهاد هؤلاء الصحابة ، لأنهم طهروا الله على الجهاد حتى الاستشهاد ، فصدقوا في عهدهم ، ولعل الشاعر نذر في ذلك إلى قوله تعالى : **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ ۝ (١) إِلَّا أَنْ قِيلَ لَهُمْ : (كم في التراب) غير مناسب للمقام ، ولو قال (كم في الجنان ٠٠) لكان أولى ، ألم يجمع رسول الله تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۖ ۝ (٢) الآيات) .**

ثم أشار الشاعر إلى تفاوت الناس في المنازل تبعاً لتفاوتهم في الأقسدار والقيم بقوله : (لولا مواهب في بعض الأنام لما تفاوت الناس ٠٠) وفي ذلك إشارة إلى أن أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم ينالوا تلك الدرجات العالية إلا بصدقهم مع الله ، وجهادهم في سبيل الله ، وهذا يدفع الناس إلى التسابق إلى ما يرضى الله ، لكن ينالوا أعظم الثواب من الله تعالى .

إن ألفاظ الشاعر مناجية للفكرة مثل : (الهيباء ، أسد ، الرجم ، لوائك منظم ، مضطرم ، بيض ، مقاليل ، الخدم) ، ولا يخفى أن الشاعر أتى ببعض المحسنات البديهة التي لا يخفى أثرها في تونهج الفكرة ، مثل التكرار في (مضطرم) و (الدهر) و (مات) .

الشرعة الإسلامية :

ثم تحدث شوقي عن الشرعة الإسلامية فقال :^(٣)

(١) الأحزاب / ٢٣ . (٢) آل عمران / ١٦٩ - ١٧١ . (٣) الشوقيات ج ١ ص ٢٥٣ وما بعدها .

شريعة لك فجرت المقول بهما
 عن زاخر يصنوف العلم ملتطم (١)
 يلج حول سنا التوحيد جوهرها
 كاللؤلؤ للميفأ وكالوشى للملسم
 فراء حامت عليها أنفوس ونهسى
 ومن يجد سلماً عن حكمة بهم
 نور السبيل يماس المالون بهما
 تكفلت بشباب الدهر والهيم
 يجرى الزمان وأحكام الزمان على
 حكم لها نافذ في الخلق مرتسم
 لما اطلت دولة الإسلام واتسعت
 مشيت ما لك في نورها التسم
 وطلعت أمة بالقفر نازلة
 رعى التياصر بعد الشاء والنم

يبين الشاعر أن الشريعة الإسلامية شريعة العقل والحكمة ، وإذا كان جوهرها التوحيد ، فإن العلم هو زينتها ، ولذلك سلمت بها المقول النبوة ، واستماغت بها النفوس المهدية ، كما أنها تهدي إلى أحسن السبل ، وأحكامها صالحة لكل زمان ومكان ، وتصور بأصحابها إلى الملا .

وإذا تأملت قول الشاعر : (شريعة لك) وجدت لفظ (شريعة) نكرة منونة ولعل ذلك إشارة إلى تعظيمها ، كما أن لفظ (لك) يفيد اختصاص الرسول بها ، لأنها نزلت عليه وقوله : (فجرت المقول بهما) يبين أثرها الكبير في المقول ، ومخاصة ، لأنها كشفت عن (زاخر يصنوف العلم ملتطم) ولا يخفى ما في قوله : (زاخر) - صفة لموصوف محذوف وهو البحر - من استمارة تصريحية أشارت إلى سمة طسك الملوم ، وفارقة تلك المعارف التي أتت بها تلك الشريعة .

وإذا كان لب هذه الشريعة هو (التوحيد) فإن العلم حوله : (كاللؤلؤ للميف أو كالوشى للملسم) ولا يخفى ما في التشبيهين من إيضاح وبيان منزلة العلم بالنسبة إلى

(١) عن : بمعنى (من) .

تلك الشريعة • ثم بين الشاعر مدى إقبال الناس على تلك الشريعة فقال : (غسراء
حامت عليها أنفسي ونهي) ففي هذه العبارة استمارة مكتبة ، ولمعه ذكر النهي
بعد الأنفي إشارة إلى تأثير الشريعة الكبير في النفوس والمقول معا • وأكد
تلك الفكرة بحكمة صادقة تجري مجرى المثل في قوله : (ومن يجد سبيلا من حكمة
يحمي) • وفي ذلك حث على الإقبال على كل ما ينفع •

إن هذه الشريعة تثير الطريق لمن يهتدي بهديها • فهي (نور السبيل يماس
المالون بها) بل إنها (تكفلت بشباب الدهر والهم) ولا يخفى ما في هذه
العبارة من كناية لطيفة عن أول الزمان وآخره أو عن حالتي إقباله وإدباره • وهي
تؤكد صلاحها لكل زمان ومكان • وهذا ما ذكره الشاعر صراحة في قوله : (مجرى الزمان
وأحكام الزمان على حكم لها نافذ ••) ولا يخفى أن في قوله : (مجرى الزمان) مجازا
مرسلا ، والأصل (مجرى أهل الزمان) كما أن الشاعر عبر بالمظهر موضح الضمير في قوله :
(وأحكام الزمان) وكان حقه (وأحكامه) ولمل ذلك للمناية بأمر الزمان الذي يتغير
فيه كل شيء • ومع ذلك لم تتغير أحكام الشريعة الإسلامية وهذا يدل على أن الله
جعلها صالحة لكل زمان ومكان • كما يدل على عظيم علمه جل جلاله •

ولقد أراد الشاعر بيان أثر تلك الشريعة فقال : (لما اعتلت دولة الإسلام واتسعت
وزاد ذلك بيانا وتأكيدا بقوله : (مشيت ماله في نورها التمس) وسد وأن الشاعر قد
فك الإدغام في قوله : (التمس) للثقافية • وكان أصله (التام) •

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد أثارت للمالك طريقها • فإنها جعلت من المرب
أهل الهدى والضفاف • جعلت منهم سادة على ملك كسرى وقبصر : (وطمت أمسة
بالتفخر نازلة رعى القياصر ••) وهكذا تغير حال المرب الذين كانوا يرمون (الشنأ
والنم) وأصبحوا سادة وقادة بفضل الشريعة الإسلامية •

ولم يقف أمر الشريعة عند ذلك الحد • بل أشار الشاعر إلى صفات أخرى
بقوله (١) :

كم شيد المصلحون الماطون بها
في الشرق والغرب ملكا بادخ المظم

للملم والمدل والتعدين ما عزموا
 من الأمور وما شدوا من الحزم
 سرطان ما فتحوا الدنيا لطلعتهم
 وأنهلوا الناس من سلحائها الشيم
 ساروا عليها هداة الناس فهم بهم
 إلى الفلاح طريق واضح المظم
 لا يهدم الدهر ركننا شاد عدلهم
 وحائط البقي إن تلعه ينهدم
 نالوا السعادة في الدارين واجتمعوا
 على عيم من الرضوان مقتسم

يذكر شوقي أن من أثر الشريعة الإسلامية أنها كانت سببا في إقامة ملك عظيم
 على يد المصلحين الذين تسكوا بها في كل مكان ، وكان أساس هذا الملك بالمسلم
 والعدل ، كما كانت سببا في فتح كثير من بلاد العالم ، التي نفاق أهلها
 حالوتها ، وهدتهم إلى طريق الفلاح والنجاح .

وإذا تأملت قوله : (كم شيد المصلحون الماطلون بها) وجدته يدل على
 كثرة ما شيده هؤلاء المصلحون ، وأحسن الشاعر عندما وصفهم بأنهم : (الماطلون
 بها) ثم أتى بطباعت يدل على الصوم والشمول في قوله : (في الشرق والغرب) وهذا
 يؤكد أثر الشريعة المسحة التي أقام المصلحون بسببها : (ملكا يادخ المظم) .
 ولا يخفى أن في قول الشاعر : (للملم والمدل والتعدين ما عزموا من الأمور)
 بياننا لأهم الأسس التي أقام عليها هؤلاء المصلحون ذلك الملك العظيم ، مما
 جعل الناس يمججون بملك الشريعة الإسلامية ، ويقبلون على النهل (من سلحائها
 الشيم) وفي هذه العبارة مجاز لا يخفى أثره في بيان حسن تلك الشريعة والإشارة
 إلى عظمة أحكامها التي تجذب الناس إليها .

ولقد أكد الشاعر الفكرة السابقة بقوله : (ساروا عليها هداة الناس) فهذا
 يدل على أن جزءا من تمسك بهذه الشريعة وسار عليها ، وأخذ بأحكامها ، حاله
 كونه داعيا الناس إليها ، أنه يحظى بطريق (إلى الفلاح) واضح المظم .

ولعل قول الشاعر : (لا يهدم الدهور كنا شاد عدلهم) يشير إلى قوة أسس وأحكام تلك الشريعة ، ولا يخفى أن في إسماعيل بن عبد الله (الدهر) مجازاً مرسلًا يوحى بتشخيص الدهور بيان أثره - كما أن في قوله : (كنا شاد عدلهم) استعارة مكنية توحى بمطابقة ذلك البناء الذى أسس على أحكام تلك الشريعة ومنها العدل ، وأنى بحكمة صادقة تؤكد وحق البناء الذى يقوم على الظلم فسى قوله : (وحائط النفس إن تلح ينهدم) وفى تلك المبالغة استعارة مكنية ، كما أن قوله : (تلح) يوحى بشدة ضعف ذلك البناء الذى ينهدم هداما تلحاً ، والبيت الأخيريين جزء من يعمل بأحكام الشريعة الإسلامية ، كما يدعو الناس إلى العمل بها إن لم يكن ذلك نيل (السعادة فى الدارين) ويبدو أن الشاعر أراد أن يشير إلى أن الداعي إلى الخير له ثواب عظيم ، مثل ثواب من يفصل ذلك الخير ، فقال : (واجتمعوا على عيم من الرضوان مقسم) .

ثم بين شوقى أن الدين الإسلامى ليس هزيمة فحسب ، بل شريعة وحضارة فقال (١) :

دع عنك روما وآثينا وما حوتما
كل البوائت فى بغداد والنوم (٢)
وخل كسرى وإيرانا يدل به
هوى على أثر النيران والأيم (٣)
واترك رعييس ، إن الملك مظهره
فى نهضة العدل ، لا فى نهضة الهرم (٤)

- (١) المرجع السابق ج ١ ص ٢٥٤ وما بعدها .
(٢) روما : مدينة إيطالية ، يطلق عليها (المدينة الخالدة) وهى مركز ثقافى وفنى ودينى منذ عهد طويل ، وبها - الفاتيكان - مقر البابوية - انظر الموسوعة الميسرة ص ٨٩٨ ، آثينا : مدينة تاريخية زعيمة الحضارة والديقراطية فى العالم الإغريقى القديم ، كما أنها طاعة بلاد اليونان ، وهى مركز ثقافى ودينى وبها مقسّر الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية ، انظر المرجع السابق ص ٥٢٠ - بغداد : مدينة عراقية كانت طاعة للدولة المباسية ومركزها فى العلم والحضارة مشهور غير مذكور . التوم : جمع تومة وهى الحبة من الفضة تُعمل على شكل الدرة .
(٣) الأيم : المراد الدخان . (٤) رعييس : اسم بعض الخرافة - حكام مصر القدماء - ويطلق على طائفة من حكام الأسرتين ١٩ - ٢ : انظر الموسوعة الميسرة ص ٨٢٩ . الهرم : المراد أهرامات مصر ، وهى كثيرة وأشهرها الأهرامات الثلاثة التى توجد بالجيزة - إحدى محافظات جمهورية مصر العربية - وهى التى بناها قدماء .

يشيد الشاعر حضارة بغداد التي كانت أعظم وأكمل ، وأكثر قوى من حضارة روما وأثينا وفارس ومصر ، إنسانية ونهوضا

وإذا تأملت قوله : (٠٠ كل اليواقيت في بغداد ٠٠) وجدتته يشير إلى حضارة بغداد التي كانت خاصة للخلافة الإسلامية في عهد الدولة العباسية ، كما أن قوله : (وخلق كسرى وإيوانا ٠٠) يشير إلى حضارة بلاد فارس التي ذهب روائها ، واندثرت معالمها ، لأنها لم تكن قائمة على أساس متين ، وآية ذلك ، أن إيوان كسرى (٠٠ هوى على أثر النيران ٠٠) ولعل الشاعر يقصد بالنيران تلك النار التي أطفئت يوم مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما سبق .

ولا يخفى أن في قوله : (وأترك رمسيس ٠٠) إشارة إلى حضارة مصر الفرعونية ، ولقد أتى الشاعر بحكمة صادقة في قوله : (إن الملك مظهره في نهضة المدل لا في نهضة الهرم) وهو في هذه العبارة يبين أن المدل أساس الملك ، وأن الحضارة لا ينهض بناؤها ولا يقوى صرحها إلا إذا قامت على أساس متين من الأخلاق العظيمة والصفات الحميدة ، والتي تنهض بالنفوس ، وتقى القلوب ، وليست النهضة فسي هضم يشيد ، أو في مصنع يقام ، مع الظلم المنتشر ، أو الخلق السيء أو النفس الأمار بالمعصية ، ويبدو أن الشاعر يعمد الحضارة كل الحضارة فيما كانت قائمة على أسس مبنية بجانب الأسس المادية ، لأنها هي التي تبقى ، أما الحضارة التي تقوم على الناحية المادية فحسب ، فهي لا تلبث أن تنهار ، ولذلك قال (١) :

دار الشرائع روما كلما ذكرت

دار السلام لها ألفت يد السلام (٢)

ما ضارعتها بيانا عند ملتمام

ولا حكتها قضا عند مختصم

ولا احتوت في طراز من قياصرها

على رشيد ومأمون ومعتصم (٣)

من الذين إذا سارت كتائبهم

تصرفوا بحدود الأرض والتخضم

= المصيرين ، الذين منهم (رمسيس) الذي أشار إليه الشاعر ، وهو لم يقصده بيمينه

بل يقصد ملوك مصر القدماء بحكمة . (١) الشوقيات ج ١ ص ٢٥٥ وما بعدها .

(٢) دار السلام : اسم من أسماء (بغداد) .

(٣) رشيد / المراد هارون الرشيد ، أحد الخلفاء العباسيين ، بلغت الدولة العباسية أوجها في عهده توفي سنة ١٩٣ هـ . مأمون : المراد عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، خليفة عباسي توفي سنة ٢١٨ هـ . معتصم : المراد أبو إسحاق محمد المعتصم ابن هارون الرشيد ، خليفة عباسي توفي سنة ٢٢٧ هـ .

ويجلسون إلى علم ومعرفة
فلا يحدّثون في عقل ولا فهم
يطأطأ العلماء الهام إن نهضوا
من هيئة العلم لا من هيئة الحكم
ويمطرون فما بالأرض من محصل
ولا بمن بات فوق الأرض من عديم

يبين الشاعر قبل دار السلام — وهي عاصمة الخلافة الإسلامية في عهد المباسين
كما سبق — فيقول : إذا كانت روما قد عرفت بعظم قوانينها ، وفصاحة شعرائها ،
وقوة ملوكها ، فإن دار السلام قد فاقتها في كل ذلك .

ولا يخفى أن في قول الشاعر : (دار الشرائع روما .) إشارة إلى ما عرفت به
روما قديما من شهرتها في وضع القوانين ، إلا أن قوله : (كلما ذكرت دار السلام
لها .) يبين فضل دار السلام على روما ، ويؤكد ذلك تلك الانتحارة المكنية في
قوله : (ألفت يد العلم) إذ توحى بالتسليم لها بالفضل .

ويدو أن الشاعر أراد أن يوضح ما أجمله في البيت الأول فقال : (ما ضارعتها
بينا .) وفي هذه العبارة تصريح بكثرة وفصاحة الخطباء والشعراء في بغداد
ولعل الشاعر يشير بقوله : (هند ملأ) إلى ما عرف عن الرومانيين أنهم كانوا
إذا نزل بهم أمر عظيم نفروا إلى بعض الأماكن المأهولة للاستماع إلى الخطباء والشعراء ،
كما كان الخطباء يخطبون أمام القضاة في المحاكم (١) .

ثم أشار الشاعر إلى فضل آخر لدار السلام بقوله : (ولا حكتها قضاء عند مختصم)
يقول : إن روما لم تضارع دار السلام في قضائها وهذا حق لأن دار السلام
كانت تحكم بين الناس بشريعة الله ، أما روما فكانت تحكم بقوانين ونصيحها الناس ، وفوق
كبيرين شريعة الله وقانون البشر بل إن شريعة الله أجل من أن يقاس بهما
غيرها .

أما قوله : (ولا احتوت في طراز من قياصرها .) فهو إشارة إلى فضل الخلفاء
المسلمين في دار السلام على قياصرة روما ، وأشار الشاعر إلى (رشيد ومأمون ومعتصم)

(١) التوجيه الأدبي ص ٤٥ وما بعدها .

لأن الحضارة الإسلامية في عهدهم قد بلغت عظمتها ، ويبدو أن الشاعر ذكرهم على سبيل المثال لا الحصر بدليل قوله : (من الذين إذا سارت كتابهم تصرفوا) وفي ذلك إشارة إلى كثرة جيوشهم ، وشجاعة أبطالهم .

ثم ذكر شوقي أن الخلفاء المسلمين قد جصصوا إلى شجاعتهم وقوتهم ، تواضعهم للعلم والمعرفة بقوله : (وجلسون إلى علم ومعرفة) فكانوا علماء فقهاء ، بكل كانوا : (لا يدانون في عقل ولا فهم) حتى إن العلماء امتروهم وأجلوهم (من هيئة العلم لا من هيئة الحكم) ولا يخفى أن في قوله : (يظايط العلماء السهام إن نهوا) كناية عن تواضع العلماء للحكام ، إلا أن لفظ (يظايط) لا يتناسب مقام العلماء .

وانتقل الشاعر إلى الحديث عن كرم هؤلاء الحكام بقوله : (ويضطرون فما بال أرض من محل) ولا يخفى أن في تلك العبارة استعارة مكنية تشير إلى غزارة عطاء الخلفاء وشموله ، ويؤكد ذلك قوله : (ولا بين بات فوق الأرض من عدم) .

والملاحظ أن الشاعر قد رفع مكانة الخلفاء المسلمين وخاصة من ذكر أسماءهم ، كما أشار إلى علمهم وكرمهم ، ويبدو أنه نسي أن السامعون - كما ذكرت كثير من الكتب هو مؤيد فكرة خلق القرآن الكريم ، ولم أذكر في عهده من العلماء الذين رفضوا ذلك كما نهج المعتصم نهجه بحد وفاته (١) .

ثم أشار شوقي إلى فضل بعض الخلفاء المسلمين بقوله (٢) :

خلائف الله جلسوا عن موازين

فلا تحين أملاك الورى بهم (٣)

من في البرية كالفاروق معد لسة ؟

وكابن عبد الميز الخاشع الخشم (٤)

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٦٥ ، عبد الحليم الجندى : أحمد بن حنبل ص ٤٤٥ ، ص ٤٦٣ وما بعدها - مطابع الأهرام التجارية بمصر سنة ١٩٢٠ .

(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٥٦ .

(٣) أملاك : جمع ملك (بفتح فكسر) مصروف .

(٤) الفاروق : المراد به عرين الخطاب - ابن عبد الميز هو : عرين عبد الميز بن مروان

أحد خلفاء بني أمية ، عرف بورعه وثقواه ، توفي سنة ١٠١ هـ . انظر مروج الذهب ج ٢ ص ١٤٢ وما بعدها .

وكلاماً إذا ما فخره حمداً
 يجمع نفساً مقصداً القوم مزدحم
 الراخر المذب في علم وفي أدب
 والناصر النذب في حرب وفي مسلم

يشيد الشاعر بمكانة خلفاء المؤمنين ، المتأخرين مثل الرشيد والمأمون والمنتصم ،
 والمتقدمين مثل عربن الخطاب ، وعربن عبد العزيز والإمام علي (رضى الله عنهم
 جميعاً) .

وإذا تأملت قوله : (خلايف الله جلوعن موازنة) وجدته يشير إلى رفاة
 هؤلاء الخلفاء ، ولعل ما يؤكد ذلك أنه أضاف (خلايف) إلى لفظ الجلالة
 فاكسب المضاف من المضاف إليه الشرف والتكريم ، ثم زاد ذلك تأكيداً بقوله :
 (جلوعن موازنة) فالشاعر يجلهم عن الموازنة بأحد مهما كان شأنه ولذلك قال :
 (فلا تقيس أملاك الورى بهم) .

ولا يخفى أن الشاعر يشيد بمدل أمير المؤمنين عربن الخطاب (رضى الله عنه)
 في قوله : (من فى البرية كالفاروق معدلة) بل إنه يستبعد أن يجد من يشابهه
 فى عدله ، ويؤكد ذلك هذا الاستفهام الدال على البعد .

كما أشاد الشاعر بشدة ورج الخليفة عربن عبد العزيز ، ولعله أتى به بعد صر
 ابن الخدالبع بعده عنه فى الزمن لشبهه فى ورعه ، بالإضافة إلى اتحادهما فى الاسم
 ثم انتقل شوقى إلى الإشادة بأخير المؤمنين على بن أبى طالب الذى أوتى الفصاحة
 والبيان فإذا خلب فى جمع انفض ذلك الجمع والدموع تملأ عينيه من شدة التأسيير
 ولا يخفى ما فى تكرار لفظ : (مزدحم) من بيان قوة تأثير الإمام ، وكيف لا يؤثر
 وهو (الزاخر المذب فى علم وفى أدب) ولا يخفى ما فى المباراة من عموم ، سرده
 إلى صاب يور إلى نفسه قوله : (علم وأدب) ثم أكد الشاعر فضل الإمام بقوله :
 (وإنما انتدب فى حرب وفى سلم) ، ولا يخفى أيضاً - أنر الطباق فى قوليه
 (حرب وسلم) إذ يبين عظمة الإمام وشجاعته فى كل أمور .
 ثم أشار الشاعر إلى خليفة آخر بقوله : (1)

أوثاب بن غان والقرآن في يده
 يحنو عليه كما تحنو على القطم
 ويجمع الآي ترتيباً وينظمها
 عقداً بجهد الليالي غير منقص
 جرحان في كبد الإسلام ما التأم
 جرح الشهيد وجرح بالكتاب دمس

يتحدث شوقي عن بعض مآثر أمير المؤمنين عثمان بن غان ، وخص بالذكر منهما
 ملازمته للقرآن الكريم وجمعه .

وإذا تأملت قوله : (والقرآن في يده يحنو عليه كما تحنو على القطم) وجدته
 قد اشتمل على تشبيه يبين مدى ملازمته للقرآن الكريم ، كما أن في قوله : (ويجمع
 الآي ترتيباً وينظمها عقداً) إشارة لطيفة إلى ما روى أنه جمع القرآن الكريم
 في نسخ موحدة ووزع بعضها على الأصناف ولا يخفى أن في قوله : (بجهد الليالي
 غير منقص) استمارة مكنية أكدت أثر ذلك الجمع .

ولعله أراد بقوله : (جرحان في كبد الإسلام ما التأم) الإشارة إلى مقتل
 عثمان (رضي الله عنه) ، وهذا ما صرح به قوله : (جرح الشهيد وجرح بالكتاب
 دمس) ، (فجرح الشهيد) إشارة إلى قتله ، (وجرح بالكتاب) إشارة إلى ما روى أنه
 هدم ما قتل كان يقرأ القرآن في مصحف كان أمامه أو في حجره فصال الدم عليه ^(١) ،
 وأصل العبارة (جرح دمس به الكتاب) ثقلت للبالغة ولللقافية .

ولا يخفى أن البيت قد اشتمل على استمارة مكنية في قوله : (كبد الإسلام)
 وهي تشير إلى مغزلة أمير المؤمنين عثمان في الإسلام من جهة ومن جهة ثانية
 تبين أن إصابته كانت قاتلة ، ولذلك استشهد بسببها ، أثرت إلى ذلك أن الشاعر
 قد أتى في البيت - أينما - بمحسن بديعي هو التوشيح ، ولا يخفى أثره فسي
 للمست الذين ، وحده الانتباه .

ثم تحدث شوقي عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بقوله ^(٢) :

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٤١ ، وأبعدها .
 (٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٥٦ ، وأبعدها .

وما بلاه أبي بكر بمتهمهم

بمعد الجلائل في الأفعال والخدم

بالحزم والمزم حاط الدين في محن

أضلت الحلم من كهيل ومحتلمهم

وحدن بالراشد الفاروق عن رشده

في الموت وهو يقين فير منبههم

يجادل القوم مستلا منهجده

في أعظم الرسل قدرا وكيف يدم

لا تمذله إذا طاف الدهول به

مات الحبيب فضل الصب من رفهم

إن بلاه أبي بكر في إعزاز كلمة الدين ونصرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

لا يشك فيه أحد، ولقد ثبت في وقت المحن التي تاهت فيها عقول الراشدين وتجهت من شدتها أفكار المفكرين .

وإذا تأملت قوله : (وما بلاه أبي بكر بمتهمهم) وجدتته يشير إلى ما قام به

أبو بكر من أعمال سجلها له التاريخ ، وحفظتها له الأجيال ، فهو أول من آمن

بالرسول من الرجال ، وصاحبه في الفار ، وأيد الرسول ونصره بنفسه وماله ،

وغير ذلك كثير ، ولذلك حسن قول الشاعر : (بمعد الجلائل في الأفعال والخدم) .

ويبدو أن الشاعر أراد بيان بعض تلك الأفعال فقال : (بالحزم والمزم حاط

الدين في محن) ففي هذه المباراة يشير شوقي إلى موقف أبي بكر المظلم

من حروب الردة التي حارب فيها كل من خرج عن تعاليم الإسلام ، ولعل الجناس

الناقص في قول الشاعر (الحزم والمزم) يبين قوة أبي بكر في تلك الحروب

ويؤيد ذلك قوله : " والله لو منعوني عقال يعمرو كانوا يومئذ إلى رسل الله

لقاتلتهم عليه . . (١) . "

أنه إلى ذلك أن قوله : (حاط الدين) يدل على عنايته بأمر الدين ومخاطبة

في أشد الأوقات وأصعبها التي (أضلت الحلم من كهيل ومحتلم) وفي هذه المباراة

(١) محمد الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ج ١ ص ١٧٣ وما بعدها مطبعة

الاستقامة بمصر سنة ١٣٧٠ هـ .

كناية عن شدة تلك المحن كما أن بين لفظي (كهل ومحتلم) طباقاً أفاد عموم
وشمول تلك المحن التي أثرت في الكبير والصغير .

وانتقل الشاعر إلى الحديث عن محنة أخرى ثبت فيها أبو بكر ولم يثبت أمامها
أقوى الناس عقلاً ، وذلك في قوله : (وجدن بالراشد الفايوز عن رشد في الموت)
إنه يشير إلى موقف عربين الخطاب من وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذ أسرع
إلى سيفه وتوعد من يقول إن الرسول قد مات (يجادل القوم ستلاً مهنده ففسى
أعظم ابرس ٠٠) كما أن قول الشاعر : (كيف لم يدم) يدل على الفرابسة
ولكن أبا بكر عندما حضر وكشف عن وجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ووجده قد
مات ، خرج إلى الناس ، قائلاً : " من كان يسبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن
كان يصبد الله فإن الله حي لا يموت " (١) ثم قرأ قول الله تعالى : " وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ۚ ۝ الآية (٢) "

ويشير الشاعر إلى التماس المذر لعربين الخطاب بقوله : (لا تمذلسوه
إذا طاف الذهول به) ، ثم ظل سبب عدم اللوم بقوله : (مات الحبيب فضل الصب
من رغم) ولا يخفى أن في قوله : (مات الحبيب) تعجيلاً لمحبة الرسول (صلى الله
عليه وسلم) كما أن لفظ (فَضْلٌ) يوحي بشدة تأثر عربين الخطاب ، بوفاة الرسول
(صلى الله عليه وسلم) ودخول الفناء على ذلك اللفظ يوحي بسرعة ذلك التأثير إلا أن
لفظ (الصب) هنا غير مناسب للعقار ، ولو قال : (الحب لم يكسر الحاء - شمسلاً
لكان أفضل .

الصلاة والسلام على رسول الله :

ولقد دعا الشاعر به قائلاً : (٣)

يا رب صل وسلم ما أردت على

نزيل عرشك خير الرسل كلهم

محيي الليالي صلاة لا يقلعها

إلا بجمع من الإشفاق منجسهم

(٢) آل عمران / ١٤٤

(١) حبيب محمد ص ٥٠٥ وما بعدها .

(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٥٧ .

سبحا لك جنح الليل محتسلا
ضرا من السهد أوغرا من الودم
رضية نفسه لا تشتكى سأمها
وما مع الحب إن أخلصت من سأم

يبدو شوقى ربه ومطلب منه (جل جلاله) أن يصلى ويستم على خير رسله
الذى يحيى الليل بالصلاة والتسبيح ، دون طل أو كلل .

ولا يخفى أن الشاعر قد جمع الصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في قوله : (يارب صل وسلم ..) وهو في هذا قد زاد على كل من سبقه
من أصحاب ماضيات برودة البوصيري إذ ذكروا الصلاة فحسب ، إلا الدرويش
الذى طلبهما أيضا ، فهو الذى سبق الشاعر فى ذلك (١) .

وإذا كان الشاعر قد أشار إلى الرسل (صلى الله عليه ولم) بقوله : (خير
الرسل كلهم) فإن قوله : (نزىل) غير مناسب لل مقام .

ولا يخفى أن فى قوله : (محيى اللبالي صلاة لا يقطمها ..) إشارة إلى
تهجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد سبق البوصيري إلى ذلك (٢) إلا أن الشاعر
قد زاد على البوصيري الإشارة إلى بناء الرسول (صلى الله عليه وسلم) من خشبة
ربه ، والإشارة — أيضا — إلى تسبيح الرسول ، ولعله فى هذا ناظر إلى قوله
تعالى : "مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا" (٣) .

وفى قوله : (محتلا غرا من السهد أوغرا من الودم) إشارة إلى طول قيسام
الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصبره دون سأم : (رضيقفصه لا تشتكى سأم) .

ولقد أتى شوقى بحكمة صادقة فى قوله : (وما مع الحب إن أخلصت من سأم)
ونى ذلك إشارة لطيفة إلى أثر الإخلاص فى الحب .

ثم واصل الشاعر التضرع إلى الله بقوله : (٤)

(١) انظر ص ٣٠٦ من هذه الرسالة . (٢) المرجع السابق ص ٢١٤ .

(٣) الإنسان / ٢٦٦ . (٤) الشوقيات ج ١ ص ٢٥٢ وما بعدها .

وصل ربي على آل له نخب
 جمعت فيهم لواء البيت والحرم
 بهجر الوجوه ، ووجه الدهر ذو حلك
 شم الأنوف ، وأنف الحادثات حمى
 واحد خير صلاة منك أرمسة
 في الصبح ، صحبتهم مرمية الحرم
 الراكبين إذا نادى النبي بهم
 ما هال من جلل واشتد من عزم
 الصابرين ونفس الأرض واجفة
 الضاحكين إلى الأخطار والقحزم

يطلب شوقى من الله تعالى أن يصلى على آل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - المعروفين بالكرم والشجاعة - وعلى أرمسة من أصحابه الذين وقفوا بجانبه فى أشد الأوقات وأعجبها ، صابرين ، راضين ، ولمله يقصد (أبا بكر ، وعمر ، عثمان ، وعلى) رضى الله عنهم جميعا .

ولا يخفى أن الشاعر وصف آل البيت بأنهم : (نخب) . . . وفيهم لواء البيت والحرم) وفى ذلك إشارة إلى رفعتهم ، وعظم مكانتهم ، وهذا ما أكد به قوله : (بهجر الوجوه ووجه الدهر ذو حلك) وفى العبارة كناية عن كرمهم وخاصة فى وقت الشدة ، كما فى العبارة استمارة مكنية وضحت أثر الدهر ، ثم وصفهم بأنهم : (شم الأنوف ، وأنف الحادثات حمى) ، ولا يخفى أن فى العبارة كناية عن شجاعتهم وشدة بأسهم ، وكناية عن اشتداد الخطب واستفحال الأمر ، بالإضافة إلى استمارة مكنية أوحى بتشخيص الحادثات وميانه عظمها .

ولقد أشار الشاعر إلى فضل بعض الصحابة ، وبين رفعة شأنهم بقوله : (صحبتهم مرمية الحرم) كما بين شجاعتهم بقوله : (الراكبين إذا نادى النبي بهم) وفى ذلك كناية لا يخفى أثرها فى تأكيد قوتهم وطاعتهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنشأ إلى ذلك أنه وصفهم بقوله : (الصابرين ونفس الأرض واجفة) ، والعبارة توحى بتشخيص الأرض ، وتشير إلى ثبات هؤلاء الصحابة صبرهم ، ورضاهم بقضاء الله وقدره .

التوسل برسول الله :

ولقد توجه شوقى إلى ربه بالدعاء قائلاً : (١)

يا رب هبت شعوب من منتهى
واستيقظت أم من رعدة المدم
سمد ونحس ولك أنت مالك
تدبىل من نعم فيه ومن نقم
رأى قضاوك فينا رأى حكمتك
أكرم بوجهك من قاض ومنتقم
غالط لا أجل رسول العالمين بنا
ولا تزدد قومه خففا ولا نقم
يا رب أحسنت بدو المسلمين
فتتم الفضل واضح حسن مختتم

يدعو الشاعر ربه بأن يطفى بالمسلمين، ويخلصهم من الأغلال وقبود الضعف
لنهبوا من كبوتهم، كما نهضت كثير من الشعوب .

ولا يخفى أن فى قوله : (هبت شعوب من منتهى ، واستيقظت أم) استعارة
تصريحية بينت حال تلك الأمم التى تصاب بالاستعمار والتأخر، كما أن فى قوله : (سمد
ونحس) طباقا يشير إلى قدرة الله ، وأكد ذلك بقوله : (ولك أنت مالك) تدبىل
من نعم فيه ومن نقم) وفى المباراة طباق فى قوله : (نعم ونقم) يؤيد العكسة
السابقة .

وإذا تأملت قوله : (رأى قضاوك فينا رأى حكمتك) ، فوجدته يشير إلى الرضا
بلضا، الله لأنه هو الذى يتصرف فى ملكه بحكمة لا يعلمها إلا هو (جل جلاله) .

أما قوله : (فالطف لأجل رسول العالمين بنا) فيشير إلى توسله إلى
الله تعالى برسوله (صلى الله عليه وسلم) لئى يطفى بنا ولا يحكم فينا ظالما

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٢٥٨ .

أومستبدا ، ولا يزد قوم الرسول (صلى الله عليه وسلم) (خلا ٠٠) ولمصل
هذا يشير إشارة واضحة إلى أن الشاعر يتشفع للمسلمين جميعا بإضافة المسمى
تشفعه لنفسه ، وهذه حسنة من حسناته التي سبق إليها ، إلا أن كلمة (لأجل)
ليست شعرية ، وإن كانت عربية ، فهي أشبه بالعامية .

ثم . ختم الشاعر قصيدته بقوله : (يارباً حسنت بد الصالحين به ٠٠٠٠)
ويد وأنه يشير إلى سبق النور المحمدي - كما سبق - ومهما يكن من شيء فهو
يطلب من الله أن : (يتم الفضل ٠٠) على المسلمين جميعاً بحسن الختام ،
ولا يخفى ما في قوله : (وأمنح حسن مختتم) من إشارة بديعية لطيفة إلى حسن
الختام .

ومد ما انتهيت من دراسة (نهج البردة) وتحليلها ،
سوف أشير إلى قيمتها في الفصل التالي
إن شاء الله .



الفصل الثالث

قيمة معارضة شوقي

لقد وقفت مع قصيدة (نهج البردة) متأولا أفكارها بالدراسة والتحليل ، وسوف أبين قيمتها ، ومدى ما أضافته من أفكار إلى المدائح النبوية .

وما لا شك فيه أن تلك القصيدة معارضة من معارضات البردة ، إذ توافرت فيها شروط المعارضة ، من اتحاد الوزن والروي والغرض ، ولا يفتح في ذلك ما ذكره أحد الكتاب بقوله : " ولم يدع شوقي لقصيدته أنها معارضة لبردة البوصري بل اعترف أنها محاكاة واحتذاء واقتداء ، وستان ميا بين المعارضة والاحتذاء ، لأن المعارضة تحمل دعوى التحدى والتفوق وإدراك ما عجز عنه الأول ، أو على الأقل تتضمن دعوى المناظرة والمساواة والمساواة ، أما الاحتذاء فلا يحمل إلا التماهيبة والشابهة والاقتداء ، وفي هذا معنى التلذذ والإقرار بتفوق المتبوع ، وسواء أكان اعتراف شوقي باحتذاء البوصري حقيقة أم لو أن من الكياسة والسجامة ، فإنه قد أكد ذلك مرات :

أولا : في تسمية قصيدته بنهج البردة ، وفي هذه التسمية نفسها
فما ، وفتح ، لأن النهج : الطريق الواضح ، وفتح فلان نهج فلان
أي سلك سبيله .

ثانيا : في قوله بكتاب إعدائها إلى الخديوي : " رأى الله لهبذا
المبد الخاضع شاعر بيتك الكريم أن يمشى بنور العلم المفسر
المغفور له البوصري - صاحب القصيدة المشهورة بالبردة - في مدح
خير الأنام ، عليه الصلاة والسلام فنظمت هذه الكلمة التي أسأل
الله ، وأرجو من رسوله قبولها " .

ثالثا : قوله في القصيدة نفسها :

الله يشهد أنني لا أعارضه

من ذا يمارض صوب المارض المرم ؟

وانما أنا بعض الغابطين ومن

يخبط وليك لا يذم ولا يلم

فهو يشهد الله أنه لم يقصد معارضة ، لأنها فوق طاقتة ، ويؤكد هذا بقوله : إنه لا أحد يستطيع أن يمارض المحاب الهتون ، أو يحاكى بقدرته المطر الخزير ، وكأنما لم يجد في هذا الاعتراف ما ينفي عنه النزوع إلى المعارضة فمقب عليه بأنه أحد الذين يخبطون البصيري . . (١) .

ولا يخفى أن في هذا القول ما يدل على أن صاحبه يمدح فمن شيوخهروط المعارضة التحدى ، وهذا ما لم يقله أحد . بل إن التحدى دافع من الدوافع التي تدعو إلى المعارضة — كما أشرت إلى ذلك سابقا — (٢) .

أما من جهة تسمية القصيدة بنهج البردة لا بمعارضة البردة ، فهذا قول يشير الحجب ، إذ لم يشترط أحد من النقاد على الشاعر المعارض أن يسمى قصيدته (معارضة كذا) ، بل إن ذلك الكاتب نفسه يقول : " ولا شك — في — أن بردة البصيري راقية كثيرا من الشعراء فحاكوها وعارضوها . . (٣) " ثم ذكر بعض الشعراء الذين فعلوا ذلك ، ولم أجد أحدا منهم سعى قصيدته بمعارضة البردة ، أضف إلى ذلك أن الشاعر عارض البحتري في مدينته ، كما عارض شعراء آخرين في قصائدهم — كما سبق — فما رأيته سعى إلى تلك القصائد بمعارضة كذا .

وأما من جهة ما قاله شوقي من أنه لم يمارض البصيري ، فهذا الثقل ليس من طبع إطلاقه ، بل هو نفي المعارضة القائمة على التحدى ، والراجح أن الشاعر عارض البردة بدافع الإعجاب ، وهذا ما أشار إليه أحد الكتاب بقوله : " نستطيع أن نقول . . إن نهج البردة لم يفته من خصائص المعارضة إلا إرادة الفلبة والسبق فهذه نهيها شوقي . . (٤) " .

(١) الإسلام في شعر شوقي ص ٤٢ باختصار .

(٢) انظر ص ٢٥٦ من هذه الرسالة .

(٣) الإسلام في شعر شوقي ص ٣٨ .

(٤) الدين والأخلاق في شعر شوقي ص ٣٦ ، المعارضة في شعر شوقي ص ١٦١ .

وسهما يكن من شئ ، فإن نهج البردة معارضة لبردة البوصيري ، وهو كسد
ذلك كثير من النقاد (١) ، وهذا ليس بقريب على شوقي إذ كان كما قال
أحد الكتاب : " . . كالجواد المتوق الكريم ينافس حتى ظله ، فعارض المتقدمين
بشعره كأنه منهم ، وناقص المعاصرين ليجعلهم كأنهم ليسوا معه ، وناقص
ذاته ليجعل شوقي أشعر من شوقي . . . (٢) " .

ويبدو أن الشاعر قرأ قصيدة التيمورية التي عارضت بها بردة البوصيري
وما يشير إلى ذلك أنفاً شار إلى معجزة نبع الماء من بين أصابع الرسول
(صلى الله عليه وسلم) بقوله : (٣)

لما دعا الصحب يستسقون من ظمأ
فاضت بداء من التسنيم بالسقم
وقد سبقته التيمورية إلى الحديث عن ذلك بقولها (٤) :

فكم ينبع زلال فاض من بـسـمـه
أروى الأوام وأسقى منه كل ظمى

والراجع أنه قرأ قصيدة البارودي (كشف النعمة في مدح سيد الأمة) -
ويبدو أنه اقتبس منها بعض المبارات ونظر إلى بعض ما تضمنته من معان فثبات
قال البارودي في وصف الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (٥)
سبح وحمى ، وسجنى حكمة ، وندى
سباحة ، وقرى عاف ، ورى ظمى

-
- (١) انظر : الدكتور ماهر حسن : شوقي شعره الإسلامى ص ١٠٨ طبعة دار المعارف
بمصر سنة ١٩٥٧ ، والبارودي رائد الشعر الحديث ص ١٤٩ ، والآدب العربى
المعاصر فى مصر ص ١١٢ والمعارضة فى شعر شوقي ص ١٧٢ ، ومحمد فسى
الآدب المعاصر ص ١٣٢ ، والدكتور شوقي ضيف : شوقي شاعر العصر الحديث
ص ٧٤ طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٣ .
- (٢) وحى القلم ج ٣ ص ٣٤٤ وما بعدها .
- (٣) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٥ .
- (٤) حليلة الطراز ص ٢٧٠ .
- (٥) كشف النعمة فى مدح سيد الأمة ص ٥ .

فقال شوقي مشيراً إلى معنى البارودي في الجملة الأولى (١) :

يسامر الوجد فيها قبل مهبطه

ومن يهشربهمي الخير يتسم

وعندما قال البارودي (٢) :

هم المصطفى بدرا فلاح له

بدر من النصر جلى ظلمة الوقم

قال شوقي (٣) :

بدر تطلع في بدر فخرته

كفكرة النصر تجلوداجي الظلم

وواضح ما بين القولين من توافق ، وإن تصرف شوقي في قوله بمصطفى
التصرف أضف إلى ذلك أن البارودي قال في علو نسب الرسول (على الله عليه وسلم)
وطهارة آبائه (٤) :

نسر تنقل في الأكوام ساطمه

تنقل البدر من صلب إلى رحم

فقال شوقي في الفكرة نفسها (٥) :

صباح في سحات الطهر قبلهم

نيران قاما مقام الصلب والرحم

ولا يخفى أن مثل ذلك يدل على أن الشاعر قد تأثر في قصيدته
بقصيدة البارودي ، ولا يقدح في ذلك أنه تصرف فيما أخذه ، لأن هذا
هو المتوقع من أي شاعر يأخذ من غيره ، ولحل هذا يؤكد ما قاله أحد النقاد
ونو يتحدث عن قصيدة البارودي بقوله : (" ولانشك في أن هذه المصنف

(١) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٥ ،

(٢) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٢٧ .

(٣) الشوقيات ج ١ ص ٢٥٠ .

(٤) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ٦ .

(٥) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٥ .

— كشف الفحة في مدح سيد الأمة — على التي أوجت إلى حافظ إبراهيم
أن ينظم مطولته عن عمر .. وأيضاً استضاف بها شوقي كما استضاف بسيرة
الأبوصيري في ميمته : " رسم على القاع بين البان والطم " (١) .

إن تأثر شوقي في شعره بالبارودي ليس غريباً ، فلقد أشار إليه كثير
من الكتاب . ومن ذلك قول أحد النقاد : " .. كل من يقرأ — شعر — شوقي
يحس الصلة القوية بينه وبين البارودي ، ثم بينه وبين شعراء العرب " (٢) .
" وكان القدر سائق البارودي ليكون رائد الطريق لشوقي ، فلم يلمت حسين
فتح عنيبه على الوجود الفني أن رأى مصباحه يضيء ، فسار على هدى مسده
واحتذى على أمثلته ونماذجه ، وتخرج شوقي في شجرة وعلى ديوانه ، فلم ينحرف
إلى بدعييات ولا إلى مبالغات ، بل اتخذ مذهب أستاذه في صب قوالبه
وضحت تراكيبه .. " (٣) .

وليس معنى ذلك أن شخصية شوقي لم تظهر في قصيدته (نهج البردة)
أو أنه قلد السابقين بحسبه لا . لقد ظهرت شخصيته بوضوح في تلك
القصيدة ، وما يدل على ذلك نسيبه الذي بدأها به ، وإن كان قد نهج
فيه نهج السابقين إلا أنه أظن فيه إطناباً كبيراً لا يلقى بقصيدة بمدح فيها
الرمول (صلى الله عليه وسلم) ، ولعل مثل هذا هو الذي جعل بعض
الكتاب يقول عنه : إنه مزيج الشخصية (٤) ، وإن كان — الراجع — أنه ليس
كذلك لأنه إنسان كبيره من البشر تعرض له مفريات الضمة واللهم ، فكسان
يرى الأوانس في القصور التي كان يحل بها بالقرب من الخديوى ، وشاعده
الوصفات وهن في أبهى صورة ، وأجمل هيئة ، فيصف ما شاهده ، سواء
عن لوحة وحب ، أم عن صنعة مثقنة ، لميت نابضة من قلبه بل نابضة
من نفسه — كما قال ذلك أحد أصحابه (٥) ، ويبدو أن مثل ذلك هو الذي

(١) البارودي رائد الشعر الحديث . ص ١٤٦ .

(٢) شكيب أرسلان : شوقي أو صداقة أربعين سنة ص ١٤٠ ، مطبعة الحلبي بمصر
سنة ١٩٣٦ .

(٣) شوقي شاعر العصر الحديث ص ٤٣ .

(٤) مقدمة ديوان الشوقيات بقلم الدكتور / محمد حسين هيكل ص ٨ ، ومابعدنا . وانظر

رائد الإسلام في شعر شوقي ص ١١ ومابعدنا .

(٥) أحمد محفوظ : حياة شوقي ص ١١٥ مطبعة مصر (غير مؤرخ) .

جمله يقول نفس نهج البردة : (من الموانس يانا ٠٠) و (اللامبات بروحي ،
الطافحات دى) و (والعافواك كأثال الهدر) و (القاتلات بأجفان
بها سقم ٠٠) و (العائرات بالباب الرجال ٠٠) و (المشرقات خدودا أسفرت)
و (الحاطلات لواء الحسن مختلفا ٠٠) وغير ذلك مما يشير إلى تأثيره في نظم
بما عرض له من مشريات اللهو في بيئته المترفة ، وحياته المنحمة ، في قصص
الخدوى ، كما تأثر - أيضا - بما يعرض له من دواعي الإنابة والزهد
ولعل هذا هو الذى جمله يقول في نهج البردة (١) :

إن جمل ذنبى عن الشفران لى أمل

فى الله يجعلنى فى خير محتصم

بل لعله هو الذى جمله يوصى بأن يكتب على قبره بيتان من نهج
البردة (٢) ، ثانيهما البيت السابق وأولهما :

يا أحمد الخير لى جاء ينسبى

وكيف لا يتماهى بالرسول سى (٣)

وظهرت شخصيته أيضا في استعماله بعض الألفاظ التى كان يسميها وهو
يصل بها شبة الخديوى مثل : (للبصر السامى) و (لزمت باباً بىر ٠٠) و (نزل
هرشك ٠٠) و (قدسية النخم) وغير ذلك كثير ، منتشر في ثنايا القصيدة
ومما يؤكد ذلك قول الأستاذ المقاد : * ولعله - شوقى - لم ينس الهلاط
وهو يصف السماء ونازل (التشرفات) فيها ، فقال في مدح النبى (صلى الله
عليه وسلم) :

قيل كل نبى عند رتبته ٠٠ وبما محمد هذا المرش فاستلم (٤)

وإذا تأملت قصيدة شوقى - نهج البردة - وجدت انفصال أفكارها
واقتراب بعضها ، ثم معاودتها بعد أن ظن القارئ أن الشاعر قد مضى
إلى مدح جديد بحمد ، فعلا : أشاد بنسب الرسول وأبوته ، ولم يعقب

(١) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٤ .

(٢) صور وظلال من حياة شوقى وحافظ ص ١٤ .

(٣) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٦ .

(٤) شعرا مصر ومبائتهم في الجيل الماضى ص ١٤٥ . وما بعدها .

على هذا بما يقتضيه سير الزمن وترايط الحوادث، فيتحدث من مولده وما صاحبه من بشارت وخورق، بل عقب عليه بفسر النبي إلى الشام... ثم اختل من هذا إلى تبتل النبي بشار حراء، ثم تحدث من بعض معجزاته، ثم عاد إلى النبي غار حراء... ثم عاد إلى أبوة النبي وإلى مولده... (١)

إن عدم ترتيب أفكار القصيدة بشير سوفاً : أيرجع ذلك إلى ما كان في طهيمه شوق من أنه - كما قال عنه ولده - : كان سريع القلب كالحيث (٢) أو أنه - كما قال عنه أحد أصحابه - : كان في أخلاقه الطل، فهو طسول قلق لا يستقر (٣)، أم أن عاطفته لم تكن صادقة في مدحها، لأن مقام مدح الرسول مقام عال كما قال هو (٤) :

هذا مقام من الرحمن مقبوس

ترى مهابته سبحانه بالكم

وكيف يمدد الرحمن، وهو - كما قال عنه أحد أصحابه - قد نظم كل قصائده الدينية ومن بينها نهج البردة وهو في ظل شهابه وفي إبان عرشه ولهوه، وكلفه بالخمير، واختلاف إلى ملاعب اللهو (٥)، بل كان لا ينصوم ولا يصلح لاعتلال صحته، وأهمي أن يمحج مع عباس الثاني لإرهابه أعضائه، مع يسر الرحلة، وسهولتها... (٦) " والمجيب أن يقول ذلك الكاتب بعد ذلك مباشرة :

" ولكنه كان عميق الإيمان، عمقا تغفل في جميع كيانه، كان لا يذكر اسم الله مجرداً قط، بل كان يتحمه بلفظي (سبحانه وتعالى) ولم يذكر اسم النبي مجرداً البتة، بل كان يصلح ويحلم عليه دائماً، وما مرت معه فلي طريق

(١) إلاملا م في شعر شوقي ص ١١٦ باختصار .

(٢) أبي شوقي ص ١٠ .

(٣) حياة شوقي ص ٥٧ .

(٤) الشوقيات ج ١٠ ص ٢٤٦ .

(٥) حياة شوقي ص ١١٤ .

(٦) المرجع السابق ص ٨٤ .

وصادفتنا جنازة محمولة إلا وقف تعظيماً لها .. وصف ابنه حسينا لحد يثمه
 من الدين حديثاً فيه غرارة الصبا .. (١) .. أقول أكران بمسح ذلك
 كذلك، أم أن نهج البردة كانت أول قصيدة يمدح فيها رسول الله (صلى الله
 عليه وسلم) فلم تكن تجربته الشعرية قد تهيأت للنظم في هذا المضمار
 فاعتمد على تقليد من سبقه مضيئاً إليه أوجت به شاعريته، وما أمته عليه
 بهيته، ولعل هذا هو الصحيح، ويؤكد أن الشاعر قد أحسن أيما إحسان
 في همزته التي مدح بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) والتي تعد من أحسن
 قصائده في المدائح النبوية (٢)، فكانت تجربته الشعرية في هذا المضمار قد
 نشجت، ويؤكد ذلك أنه خالف همزة البوصري - التي قيل: إنه قد عارضها -
 في كثير من النواحي (٣).

ومهما يكن من شيء، فلم تخل نهج البردة من لطائف منها: إنها
 تدل على أن ناظمها يكاد يكون أول من أشار إلى مراحل الوحي الأولي
 عندما قال (٤):

ونودي اقرأ تعالى الله قائلها

لم تتصل قبل من قبلت له بغم

وتدل أيضاً على أنه يكاد يكون أول من وصف حالة الناس قبل البشارة
 المحمدية، وصور ما انتشر بينهم من فساد في الحكم والأخلاق بقوله (٥):

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم

إلا على صنم قد عام في صنم

والأرض ملوثة جوراً مستغبرة

يكل طائفة في الخلق محنكم

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٢) النصوص الأدبية في العصر الحديث ص ١٧٦ وما بعدها.

(٣) المرجع السابق ص ١٧٦ وما بعدها.

(٤) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٦.

(٥) المرجع السابق ج ١ ص ٢٤٧.

ضبط الفرس يهوى نور عيشته
 وقبض الروم من كبر أصم عشم
 يهذب ان عباد الله في شبه
 ويذبحان كما ضحيت بالنفس
 والخلق يفتك أقواهم بأضمفهم
 كاللث بالبهيم أو كالحيوت بالهلم

وكت أوبه أن يشير الشاعر عقب ذلك إلى أثر الشريعة الإسلامية -
 التي جاء بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) - في أخلاق الناس إذ عيسدوا
 آلهها وأحداء وتركوا عبادة الأصنام ، وانتشر بينهم الحب والوفاء ، وكان الرسول
 يشار أصحابه ، ولم يستند برأيه ، كما عطف الفنى على التفسير ، وساعد القوى
 الضعيف ، وأصبح الناس إخواننا متحابين .

ولكن الشاعر ذكر بعد وصف حالة الناس قبيل البعثة ، الحديث عن
 الإسراء والمصراع ، وبعد ذلك بما يقرب من ستين بيتاً ، نتحدث عن الشريعة
 الإسلامية بقوله : (١)

شريعة لك فجرت العقول بهيها
 عن زاهر يصنف العلم ملنظم
 يلوح حول سنا التوحيد جوهرها
 كالخلق للسيف أو كمالوشى للملم
 غمراء خامت عليها أنفس ونهسى
 ومن يجد ملعلا من حكمة يشم
 نور المهيبل يماس المالمون بهيها
 تكفلت بشباب الدهر والهيسم
 يجرى الزمان وأحكام الزمان على
 حكم لها نائذ في الخلق عرتم

(١) المرجع السابق ، ج ١ ص ٢٥٣ .

لما اغفلت دولة الإسلام واتسمت
 مشيت ما لك في نورها النعم
 وعلمت أمة بالتقفر نازلة
 رعى القياصر بمد الشاة والنعم
 ولا يخفى أن الشاعر لو ذكر هذا القول الجميل ، بعدما بين انتشار
 الظلم والفساد ، لكان أنضل .

وتدل نهج البردة - أيضا - على أن ناظمها يكاد يكون أول من أشار
 إلى فصاحة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وحسن بيانه ، وأثر ذلك في البيان
 الصريح ، بقوله (١) :

يا أنصح الناطقين الضاد قاطبة
 حديثك الشهد عند الذائق النهم
 حليت من عطل جهد البيان به
 في كل منثر في حسن منتظم
 بكل قول كريم أنت قائله
 تحيي القلوب وتحيي ميت الهيم

كما تدل أيضا على أنه يكاد يكون أول من تولى مزاعم بعض أعداء
 الإسلام الذين زعموا أن الإسلام قد انتشر بالسيف ، وعند تلك المزاعم
 بالحجج القاطمة ، والبراهين الساطمة بقوله (٢) :

قالوا : غزوت ورسل الله ما همشوا
 لقتل نفس ولا جاءوا لمسك دم
 جهل وتخلول أحلام وسفطسة
 فتحت بالسيف بمد الفتح بالقلم
 لما أتى لك عفوا كل ذي حسب
 تكفل السيف بالجهال والمصم

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٢٤٧ .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٢٥١ .

كما أنه راعى من هم أن الصليحية انتشرت دون قتال ، بقوله (١) :
 سل الصليحية الفراء كم شربت
 بالصواب من شهوات الظالم الفلم
 طريدة الشرك يؤذيها ويوسمها
 في كل حين قتالا ساطع المدم
 لولا حفاة لها هبوا لتصرتها
 بالسيف ما انتفعت بالرفق والرحم

وبين إيذاء أعداء الصليحية لرسول الله عيسى (عليه السلام) بقوله (٢) :
 لولا مكان لمبى عند مرسله
 وحرمة وجهت للروح في القسدم
 لمتر البدن الطهر الشريف على
 لوحين لم يخش مؤذيه ولم يجسم
 جل المسيح وذاق الصلب شائشه
 إن المقاب بقدر الذنب والجسم

أضف إلى ذلك أنها تدل أيضا على أن (عيسى) يكاد يكون أول من
 أشاد بخصائص الإسلام ، ونوه بحضارته ، ووازن بين الفكر الإنساني عيسى
 مدى أربعة عشر قرنا ، وبين ما بنائه الرسول (صلى الله عليه وسلم) من شريعة
 سامية ، بقوله (٣) :

كم شيد الصالحون العاطلون بهما
 في الشرق والغرب ملكا بأدج المظم
 للملم والمدل والتعدين ما عزسوا
 من الأمور وما شددوا من الحسرم

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٢) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٢٥٤ .

دع منك روما وأثينا وما حوتهما
كل اليونانية في يمدادها والتسم
وخل كسرى وإيوانا يدل به
هوى على أثر النيران والأيسم
وأترك رعييس إن الملك مظهره
في نهضة المدل لاني نهضة الهرم
دار الشرائع روما كلما ذكسرت
دار الملام لها ألت يد السسلم

ولعل إشارة شوقى إلى أثر الشريعة الإسلامية كانت من أصداء الوعى
الدينى العام الذى أثمرته دعوة جمال الدين محمد عبده وغيرهما ممن
قام ببيان مزايا الإسلام ، والدعوة إلى العمل بأحكامه ، والرجوع إلى
تشريعاته ، وبند التشريعات التى قذف بها إلينا الغرب (١)

محمد .. فلعل نهج البردة - بما اشتملت عليه من أنكار جديدة ،
قد فتحت المجال ، ولقت الأذهان إلى أنكار أخرى جديدة أشار إليها الشعراء
الذين عارضوا بردة البوصيرى بعد شوقى ، وهذا ما سنراه فى الباب
التالى إن شاء الله

(١) الدكتور / محمد الدين الجيزاوى : أصداء الدين فى الشعر الحديث ص ٤٨ ، بتصرف
مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٥٦ .



ممارضات البردة بحد شوقي

الفصل الأول : عرض موجز لممارضات
البردة .
(بحد شوقي)

الفصل الثاني : أثر ممارضات البردة
(بحد شوقي)



الكتاب الخامس

XXXXXXXXXXXX

الفصل الأول

عرض موجز لمعارض البردة (بعد شوقي)

بعدما تحدثت عن معارضة شوقي ، وبينت قيمتها ، سوف أذكر في هذا الفصل بعض معارضات البردة بعد شوقي ، وسأعرض كل معارضة عرضاً سريعاً ، مبيناً أهم ما اشتملت عليه من أفكار وخاصة الأفكار الجديدة التي لم يتناولها أصحاب المعارضات من قبله ، أو تناولوها ولكن بإيجاز .

ولقد أتجهت في ترتيب هذه المعارضات اتجاهاً أساسه : تقديم المعارضة على حسب تاريخ نظمها ، إن وجد ، فإن لم يوجد فعلى حسب تاريخ طبعها ، إن ذكر ، فإن لم يذكر فعلى تاريخ طبع الديوان الذي اشتمل عليها ، وإلا فعلى تاريخ وفاة ناظمها ، كما مهدت لكل معارضة بإشارة موجزة إلى حياة ناظمها .

المعارضة الأولى : (ظل البردة) :

يبدو أن أولى معارضات البردة بعد شوقي معارضة (مجد المطلب) وهو : محمد بن مجد المطلب بن واصل بن بكر ، ولد سنة ١٨٧١ (١) ، وقيل سنة (٢) ١٢٦٢ هـ في (باصونة) — إحدى قرى مركز جرجا ، التابع لمحافظة سوهاج — .

ولقد ولد الشاعر ونشأ في بيئة دينية ، إذ كان والده ، متفقها ، متصوفاً ، تحقد حلقات الذكر في منزله ، وفي خلالها يلقى على الناس الدروس الدينية ، ولقد حظى ابنه — مع صغر سنه — بالاستماع إلى بعض تلك الدروس ، ويبدو أن

(١) الأعلام ج ٧ ص ١٢٥ مقدمة ديوانه ثم وابعدها ،

(٢) في الأدب الحديث ج ٢ ص ٣٧١ .

الوالد حرص على أن يحفظ ابنه القرآن الكريم ، ولذلك أرسله إلى كتاب القرية ولم يلبث أن حفظ القرآن الكريم ، ودرس بعض الأحاديث النبوية والأحكام الفقهية ، ما أهله للجلوس مكان والده يحفظ الناس — وهو ما زال في المقصد الثاني من حياته — فأعجب به بعض أصدقاء والده وأشاروا عليه بإلحاق ولده بالأزهر الشريف ، ووافى الوالد ، وفي حصر أقبل الشاعر على دروس المعلم والتزود بكتوب من المعارف الأدبية ، وظل على ذلك حتى التحق بدار العلوم سنة ١٨٩٢ ، بعد أن أصبحت لديه ثروة من غرر القوافي ، وجيد التثقف فكتبه كل ذلك من النظم في كثير من الأغراض الشعرية ، وقال إعجاب أستاذته وزملائه .

وعندما تخرج في دار العلوم سنة ١٨٩٦ عين مدرسا بالمدارس الابتدائية بسوهاج ثم نقل إلى المدارس الثانوية ، ثم أختير مدرسا بالقضاء الشرقي ، واستمر على ذلك حتى أختير مدرسا بدار العلوم سنة ١٩٢١ ، وانتدب للتدريس في تخصص اللغة العربية بالأزهر سنة ١٩٢٨ ، وظل ينفع الناس بعمله وصبرهم بشعره ، حتى أئاه اليقين سنة ١٩٣١ (١) .

آثاره :

- ١- نفي عبد السطلب بعد أن ترك — ثروة أدبية منها : (٢)
- ١- ديوان شعره (طبع بعد وفاته) .
- ٢- تاريخ أدب اللغة العربية — ثلاثة أجزاء (مخطوط) .
- ٣- كتاب الجولتين في آداب الدولتين — الأموية والعباسية — (مخطوط)
- ٤- إعجاز القرآن (مخطوطة) .
- ٥- رواية (الزباء) (مخطوطة) .
- ٦- رواية (ليلي العفيفة) (مخطوطة) .

(١) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ص ٣٤ وما بعدها وأحمد الإسكندري (بالاشتراك مع غيره) المنتخب من أدب العرب ج ١ هاشم ص ١٦ — مطابع دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٩٥٤ .

(٢) الأعلام ج ٧ ص ١٢٥ .

شاعريته :

كان الشيخ محمد عبد المطلب شاعرا محبوبا ، قال الشعر في كل أغراضه — تقريبا — ومنازل شعره بمئاته نسجه ، وإحكام قوافيه ، وإن كان بدويا ففى خياله ومخانيه وألفاظه — غالبا — حتى لقب بالشاعر البدوى ^(١) ، ولعل مرد ذلك إلى نمسه بمرويته ، وبغيرته الشديدة عليها .

ولم يخل شعره من تلك الملاحظة إلا ففى بعض القصائد ، مثل قصيدته (ظل البردة) — تقريبا — وهى التى مدح فيها الرسول (على الله عليه وسلم) معارضا بها بردة البوصيرى ، إذ هى من بحر البسيط ، وبها ميم مكسورة ، وغرضها مدح الرسول (على الله عليه وسلم) ، والملاحظ أن الشاعر لم يشتر إلى ذلك ، كما أشار شوقى وغيره من تأثروا فى مدحهم بالبردة ، ويدوانسه اكتفى بدلالة اسم القصيدة (ظل البردة) على تأثره فى نظمها بالبردة .

وسمها يكن من شئ ، فإن قصيدة (ظل البردة) تعد من القصائد الطوال إذ يبلغ عدد أبياتها ثلاثة وعشرين ومائة بيت ، ولم تعرف سنة نظمها ، ولا سنة طبع ديوان الشاعر الذى اشغل عليها بالتحديد ، إلا أن مقدمة ديوانه تشير إلى أن الديوان طبع سنة ١٩٣٢ بعد وفاة الشاعر سنة ١٩٣١ ^(٢) ، وعلى الرغم من أن (شوقى) قد توفى سنة ١٩٣٢ ، فإننى قدمت الحديث عن قصيدة (نهج البردة) ، لأنه نظمها سنة ١٩٦٠ — كما سبق .

والراجع أن عبد المطلب نظم قصيدته (ظل البردة) بعد قصيدة شوقى (نهج البردة) لولعل ما يؤكده ذلك قول أحد الكتاب عن عبيد المطلب : " . . . لقد نهج منهج من سبقه ، وتبع مدحة الأبوصيرى ، ونهج البردة لشوقى ، فكتب قصيدة سماها (ظل البردة) ولكنها تقل عن السابقتين . . . " ^(٣) .

(١) المنتخب من أدب العرب ج ١ هامش ع ٩٦ .

(٢) انظر مقدمة الديوان ص ٦ وما بعدها .

(٣) صحيفة دار العلوم — السنة الثالثة ، العدد الثانى (أكتوبر سنة ١٩٣٦) ص ٨٣ .

وقول كاتب آخر : " . . . وله — عبد المطلب — في سيد المرسلين قصيدة
 صاها (ظل البردة) ، ولملح تبع شوقي حين نظم (نهج البردة) فأبى إلا أن
 يحاكي بردة البوصيري شله وهذا ميدانه ، وليس ميدان شوقي . . . (١) . . .
 ولم يتخل محمد المطلب عن نهج السابقين ، ولذلك بدأ قصيدته (غزل
 البردة) بغزل تقليدي يقع في حوالى خمسة أبيات ، وأولها قوله (٢) :

أغرى بك الشوق بمد الشيب والهزم
 سارطوى البید من (نجد) إلى الهرم
 ياسارى الطيف يجتاب الظلام إلى
 جئن مع النجم لم يهدأ ولم ينهم

يبين عبد المطلب أن الذى حرك شوقه إلى أحبابه هو خيالهم الذى قطع
 النظام من (نجد) إلى (مصر) على الرغم من حلول الشيب به ، وطعنه فى السن .
 وإذا تأملت قوله : (ياسارى الطيف . .) وجدت النداء يدل على الاستمطاف
 وبخاصة أنه لم تتم عنه ، ولم يهدأ جفنه من حين رؤياه ، ولا يخفى أثر الجناح
 فى لفظي : (الهرم) إذ فيه إشارة إلى شدة الشوق مع كبر السن ومد المكان .
 ومواصل الشاعر وصف حالته ، وبيان شدة لوعته بقوله (٣) :

ياهرق مالك لا تحكى جوى كبسدى
 إذا تألفت ليلا فى نديهم
 وبأصبا روجى روجى فقد ذهبست

بها النوى بمد عهد البان والملم (٤)
 إنه يخاطب البرق الذى لم ينقل لوحة قلبه ، وحرقة كبده من شدة حبه ، عندما
 ظهر ليلا عند أحبابه ، كما يخاطب الريح ويطلب منها أن تهب برائحها الطيبة

(١) فى الأدب الحديث ج ٢ ص ٤١٣ .

(٢) ديوانه ص : ٢٥٧ .

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٤) روجى — الأولى — بفتح الراء وكسر الواو مشددة — أدخلى الراحة على روجى — الثانية
 بضم الراء والمراد نفسى . النوى : الوجه الذى ينمط له سافر من قرب أو بمد وهسى
 مؤنثة لا غير .

التي حملتها عنه هبوسها من ناحية أحبابه، لترد إليه روحه التي خافت بسبب بصددها
عن أحبابها .

ولا يخفى أن الشاعر قد نزل الهرى منزلة من يعقل عندما ناداه بقوله : (يا هرقى ٠٠)
وأىضا نزل الصبا منزلة من يعقل فناداها بقوله : (وما صبا ٠٠) ثم أمرها بقوله : (روجى)
وهذا شأن المحبين ، الذين أضاعهم الحب ، وأرقهم الشوق ، ويؤكد ذلك قوله :
(لا تحكى جوى كبدى ٠٠) ، بالإضافة إلى المجاز المقلّى فى قوله : (ذهبت
بها النوى ٠٠) ، إذ يبين شدة ما يمانيه بسبب بصدده عن أحبابه الذين يسكنون
(البان والملم) ، ويبدو أنه ينظر فى ذلك إلى قول البوصيرى : (ولا أرقست
لذكر البان والملم) .

ومهما يكن من شئ ، فإن الشاعر يواصل حديثه عن لوطه بسبب فراقه أحبابه
ثم يبين أسفه بسبب تلك الخطوب التي فوقت الحرب ، فذهب عزتهم ، وفقدوا
مكانتهم ، بقوله (١) :

لله أيام كنا ، والنموجود لنا

يجرى القضاء بما شئنا على الأمم

إذ يرفع الله بالدين الحنيف لنا

على الذرا - دولة خفاقة الملم

ولا يخفى ما فى قول الشاعر : (لله أيام كنا ٠٠) من أسف شديد على
ذلك (الوجود) الذى كان (لنا) مشىرو السلمين ، إلا أن فى قوله :
(يجرى القضاء بما شئنا على الأمم) مبالغة غير محبوبة ، لأن القضاء يجرى
على حسب تقدير الله ومشيئته ، لا (بما شئنا) وإن أتى بما أحببنا فهو
من تقدير الله أيضا .

ويبدو أن الشاعر أراد أن يبين أثر الدين فقال : (إذ يرفع الله بالدين
الحنيف لنا ٠٠ دولة) ، كما أن قوله : (على الذرا) يشير إلى ما ناله المسلمون
من رفعة بسبب الدين الحنيف ، ويؤكد ذلك تلك الكناية التي فى قوله : (خفاقة الملم)

إذ أشارت إلى عزة تلك الدولة وعظم شأنها ،
ثم أشار الشاعر إلى أن الذي يفتخ بمجد المسلمين هو الرسول (صلى الله
عليه وسلم) بقوله (١) :

مجد بناء السقي قاض الوجود به
نورا له قامت الدنيا من العدم
طه أبو القاسم البهوت من مضر
إلى البرية من عرب ومن عجم (٢)

ولا يخفى أن قوله : (• • • نورا له قامت الدنيا من العدم) مأخوذ من قول
البيهقي : (لولا لم تخرج الدنيا من العدم) ، كما أن الشاعر قد نهج
نهج التيمورية في ذكر لفظ (طه) على أنه اسم من أسماء الرسول (صلى الله
عليه وسلم) (٣) .

ويتجدث عن حالة العالم قبيل بحشة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٤) :

ولو تسرى قبله الدنيا وما لقيت
من الهلاك ، وماذا قت من النقم
والناس ضلال قفر في سارحها
عيم من السرح أو غتل من الفخم
صلوا سوا النهم فاستمكوا عما
بكل حول من الأهواء منجذم

ولقد حل الهلاك بالناس الذين ضلوا وهاموا في كل سبيل ، ولم يتمسكوا
إلا بأهوائهم الفانية ، وشهواتهم الزائلة .

وأحسن الشاعر عندما شبه الناس في ذلك الوقت بالفخم الضالة أو الأبل
التي تسرح في مراعيها ، لأنهم قد (٥)

-
- (١) المرجع السابق الصفحة نفسها .
(٢) أبو القاسم : كنية الرسول (صلى الله عليه وسلم) - مضر - بضم ففتح - أحد أجداد
الرسول • (صلى الله عليه وسلم)
(٣) انظر ص ٣١٦ من هذه الرسالة .
(٤) ديوانه ص ٢٥٧ . (٥) المرجع السابق ص ٢٥٨ .

تفسروا شيئا في الكفر وانقسموا
 شتى نهارا بما يخزى من القسم
 نذا عن الحق بالأنلاك في عمه
 وذلك بالنار عن نور الجلال عمى
 وذا يؤله من لا يستجيب لسمه
 من ناطق بشر أو صامت صنم

لقد انقسموا في معتقداتهم • فمنهم من يعبد النجوم والكواكب • ومنهم
 من يعبد النار • ومنهم من يعبد بشرا • أو يسوقه حجرا • ولا يخفى أن
 الشاعر بذلك قد شرح ما أجمله شتى في قوله : (أتيت والناس فوضى • •) (١)
 ثم يشير الشاعر إلى بعض الصفات السيئة التي انتشرت بين الناس في
 ذلك الوقت بقوله (٢) :

قبائل وشعوب لا يحفظهم
 إخاء • صدق ولا قهرى من الرحم
 وسوق وطوك حال بينهم
 ما جال بين سباع الجوالنم

إن أواصر المحبة والصداقة قد فقدت بين الناس • فلا عطف بينهم • ولا
 صدق في الإخاء • ولا صلة رحم • كما أن الملوك في قصورهم العالية يتمتعون
 بما لذ وطاب • أما الرعية فهم في بؤس شديد • ولا يخفى ما في قوله : (ما حال
 بين سباع الجوالنم) من إشارة لطيفة إلى ما عليه الملوك من نهب حقوق
 رعيتهم • ومحدثهم عنهم •

ومواصل الشاعر حديثه عن معاملة الملوك لرعيتهم • ذاكرا أن الملوك
 لا يسم لهم إلا الجلوس على كرسى العرش والتعظيم في الميزة فونت لم الجاهل
 والظلم • والأحقاد والبغضاء (٣) •

(١) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٧ •

(٢) ديوانه ص ٢٥٨ •

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها •

ثم انتقل إلى الحديث عن قريش وأثرها بقوله (١) :

لولا قريش سقى الله الوجود بها
غوثا من الأمن في غيث من الديم
قوم إذا ابتدر الناس العدا نهضوا
في رآخر من تلبد المجد ملتطم
هم خيرة الله مذ كانوا وصفوتهم
وجيرة الله فازوا منه بالذمم

يشير عبد المطلب إلى أن قريشا كانت سببا في انتشار الأمن ، وكرة الخير
ولا يخفى ما في قوله : (قوم إذا ابتدر الناس العدا نهضوا) من إشارة إلى
وعدة شأن هذه القبيلة من زمن قديم ، وهو كذلك قوله (ثم خيرة الله منذ
كانوا وصفوته) ، ولعل الشاعر يلح بذلك إلى قيامهم بأمر البيت الحرام ، ويقوى
ذلك قوله : (وجيرة الله) ، ويبدو أنه يشير أيضا إلى قوله تعالى : **لَا يَسْلَفُ**
قُرَيْشٌ إِيَّائِهِمْ . . . الآيات (٢) .

وفصل ما أجمله في الحديث عن قريش بقوله (٣) :

ياموئل الناس والأيام واجفنة
بأهلها ، وسحير الهأس في حدم
ومصة الناس إن ضاق القضاء بهم
فأجروا إلى موئل منكم ومعتصم
تقرش محل إكرام الناس وخاصة عند الشدائد ، وهي ملاذهم الذي إليه
يلجأون ، وهم يحتصمون .

ولا يخفى أن الشاعر كرر لفظ الناس فوضع الظاهر موضع المضمرة ، ولعل في
ذلك إشارة إلى تأكيد فضل قريش على الناس .

ثم ذكر أن من فضل قريش على الناس أن ظهر منها الرسول (صلى الله
عليه وسلم بقوله : (٤)

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٢) قريش / ١ - ٤ .

(٣) ديوانه ص ٢٥٩ .

(٤) المرجع السابق الصفحة نفسها .

تصوب المجد من أعلى ذوائك
نورا أطل على الآفاق من شمس

ولا يخفى أنه عبر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالنور إشارة لطيفة إلى قوله تعالى : " قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ " (١) .

وأشار عبد المطلب إلى أن والدة الرسول ذات الطهر والمصم قد حملت به ، وأن الله تعالى قد سواه وصورة في أحسن صورة ، وزكاه بأفضل الآداب والحكم . وإذا كان قد ولد يغيما فإن الله قد آواه (٢) .

ويبدو أن الشاعر لم يتأثر في نظم قصيدته بالهوسرى والتميمية وشوقي - فحسب ، بل تأثر في ذلك بالبارودي أيضا (٣) يدل على ذلك إشارته إلى الخير الذي هم السيدة حليلة السمديّة عندما أرضعت الرسول بقوله : (٤)

واستقبل الدهر بالنمى مراضعة

إلى هوازن يجرى الفيث بالنم

يا سعد حتى بنى سعد بما صنعت

فقاتهم ، وانشر البشري بحبهم

خير المراضع من أم القرى رجعت

أما لأكرم مكول ومطعم ———— تنم

وشير عبد المطلب إلى خلوة الرسول في غار حراء ، يؤمّه جلال الله في وحدته ، وظل على ذلك حتى نزل عليه الوحي بقوله (٥) :

مستأنسا بجلال الله يشهدده

في الفسار بين خشوع البيد والأكم

حتى تبين أعلام النبوة فيه ————

مما قد رأى ثم لم يرتب ولم يههم

(١) المائدة / ١٥ .

(٢) ديوانه ص ٢٥٦ .

(٣) كشف الغمّة في مدح سيد الأمة ص ٧ .

(٤) ديوانه ص ٢٦٠ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٦١ .

أوحى إليه كما أوحى إلى رسل
من قبله بالهدى والملة القيم
بالنور بالحق بالمرقان أرسله الله
به الذى علم الإنسان بالقلم

ولا يخفى أن فى قول الشاعر : (الذى علم الإنسان بالقلم) إشارة لطيفة
إلى أن أول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى : " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ^(١) " وما هو جدير بالذكر أن (عوقى) أشار إلى
ذلك بقوله : (ونودى اقرأ ٥٠) ^(٢)

وذكر الشاعر أن بعض الكفار عندما أخبرهم الرسول بأمر دعوته ، زلزلت
أقدامهم ، وطاشت عقولهم ، وإذا كان هذا الأمر قد أشار إليه البوصيرى ^(٣)
والبارودى ^(٤) ، وشوقي ^(٥) فإن الشاعر قد زاد عليهم بيان محاطة الرسول
لهؤلاء الناس بقوله ^(٦) :

يحنو عليهم وإن صدوا يحلمهم
رفق الولي وير السهد الخدم ^(٧)
وكم طفوا لم يقابلهم بما صنعوا
قلب تخلق من المدوان والأضم
ومن يقد مثله قوما أخطهم
منه بمنزلة الأبناء والحشم

إن هؤلاء الكفار كانوا يخلطون فى القول للرسول (صلى الله عليه وسلم) وصح
ذلك كان يحنو عليهم ، ويرفق بهم ويحلمهم بالحسن ، بل كان بمنزلهم منزلة

-
- (١) الملق ١-٥٥
(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٦ (٣) انظر ص ١٨٠ من هذه الرسالة .
(٤) المرجع السابق ص ٢٧٧ (٥) المرجع السابق ص ٢١٠
(٦) فأيوانه ص ٢٦١
(٧) الخدم : المراد السح النفس عند الخطأ .

أبنائه وحشمه ، ففرق كبير بين خُلُقِ الأُصْحِيَاءِ وطيشِ السفهاءِ ،
وانتقل الشاعر إلى الإشارة إلى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يدعو
هو ^١ القوم ويتحداهم بالقرآن الكريم الذي هجروا عن الإيمان بمثله (١) :

ثم أشار إلى أن بعض العقلاء الذين أثار الله قلوبهم قد أسلموا بقوله :
إلا فريقاً جلاً نور اليقين لهم

عن ظلمة الشك بالمرغان والفهم
وذكر منهم : السيدة خديجة ، والإمام علي بن أبي طالب وأبا بكر الصديق
(رضى الله عنهم) ، وأشار إلى أن هؤلاء الثلاثة قد أُحرزوا قصب السبق ،
لأنهم أول من أسلموا ، ثم وصف أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنهم
أبطال شجعان (٢) .

وأشار عبد المطلب بعد ذلك إلى مؤامرة قريش على الرسول (صلى الله عليه وسلم)
ولكن الله تعالى قد حفظه وأمره بالهجرة ، كما تحدث عن الضار
الذى دخله الرسول وصحبه ، ولم ينس أن يشير إلى الحمام والمنكسوت
وما كان لهما من دور كبير في تضليل الكفار (٣) .

وأحسن عندما ذكر أن ورق الربا قد بكت لهما البيت والحرم عندما
هاجر الرسول إلى المدينة في قوله (٤) :

لما نحا (يلرب) أهتر الحن وكفى

ورق الربا لهما البيت والحرم .

كما أشار إلى جهاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو وأصحابه بقوله (٥) :

تأذن الله أن تفتش كئاشه

منازل الشرك في نجد وثى تهم

وشيمت البيض فاهتر الحجاز لها

واستنت الخيل في شوق إلى اللجم

(١) المرجع السابق ص ٢٦٢ . (٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٤) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٥) المرجع السابق ص ٢٦٣ . (٦) المرجع السابق الصفحة نفسها .

ثم وصف جيش الرسول بأن جنوده قد أسلموا أنفسهم لله ، ولذلك خاضوا
كثيراً من الممارك بسيوفهم القلائع ، ودرعهم القوية ، وخص بالذكر يوم
بدر فقال عنه (١) :

يوم بنى الله أركان الخيف —
على دعائم عز غير مهديم
صفت سما اللوالى منذ ليلته
على الأيام فلم تنظم ولم تنسم
ولا يخفى ما فى قوله : (صفت سما اللوالى ١٠٠) من كناية لطيفة بينت أثر
انتشار المسلمين فى غزوة بدر .

ثم يخاطب الشاعر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٢) :

يا قائد الجيش بسمى تحت رايته
من عسكر الله جند غير مهزم
إن كان جبريل من (أركان حربك) فى
(بدر) فحمزة والكرار فى الحشم (٣)
فى آلك الضر مذ كانوا وهم بشعر
ما فى الملائكة من أيد ومن كسرم
ويأبى سقى الدنيا بملته
روق الحضارة من سلالمها الشيم

يبين عهد المطلب أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يقود الجيش ويرتب صفوفه
كما أن صحابته (عسكر الله) قد حفظهم الله فأيسدهم بنصره ، وقد استعمل الشاعر
لفظة الجيش الحديث فى قوله : (أركان حربك) ، وهو يلح بقوله : (إن كان
جبريل ١٠٠) إلى اشتراك الملائكة فى غزوة بدر مع المسلمين ضد الكفار (٤) .

-
- (١) المرجع السابق ص ٢٦٤ .
(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .
(٣) الكرار : المراد به على بن أبى طالب .
(٤) انظر طبقات ابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٩ وما بعدها .

ولعل عبد المطلب نظر في بيته الأخير إلى قول شوقي عن الشريعة الإسلامية وحضارة الصالحين (٠٠) وأنهلوا الناس من سلسالها الشيم (١).

والملاحظ أن قصيدة الشاعر قد انتهت بنهاية غير منتظرة ، وبدون أن يحمض أبياتها قد فقد ، وما يشير الدهشة أن ينظم الشاعر قصيدة في (عيسى ابن أبي طالب) - وهي المعروفة بالملوية - بلغت أبياتها خمسة وثلاثمائة بيت (٢).
وينظم في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) قصيدتين ، الأولى بلغت أبياتها اثني عشر بيتاً ومثلها (٣) :

إليك أجمل المرسلين مدائح

توافقك ما غنى على الأيك صائح

والثانية - وهي ظل البردة - بلغت أبياتها ثلاثة وعشرين ومائة بيت - كما سبق - أو كان المنتظر أن تزيد مدائح الرسول على مدائح غيره ، ولعل هذا مما يقوى فكرة فقدان بعض الأبيات من قصيدة (ظل البردة) كما سبق ،

وهما يكن من شيء فإن قصيدة عبد المطلب (ظل البردة) تشير إلى تقليده وتجديده ، فأما تقليده ، فظاهر في مدحه القصيدة بالفضل ، وفي حديثه عن مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفي إشارته إلى الخير الذي عم السيدات حليلة السمعية بحبب إرضاعها الرسول ، وفي حديثه عن القرآن وفصاحته ، ووصفه صاحبة رسول الله ، وحديثه عن هجرة الرسول وإشارته إلى النار والحمام والمنكوب وغير ذلك من الأفكار التي تشير إلى تأثر الشاعر في قصيدته بالهوسبيري والتيجيرية والهارودي وشوقي - كما سبق - وأما تجديده فواضح في إضافته ببعض الأفكار الجديدة مثل : أسفه على تفكك العرب ، وذهاب قوتهم ، وإشارته إلى حسن محاكاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) للكفار المماندين ، ومقابلة غلظتهم وأذا هم بالفتح واللين ، وذكره فضل قریش ورفعة شأنهم من قديم الزمان وتلمحه إلى نزول جبريل (عليه السلام) ومعه بعض الملائكة في غزوة بدر ، وأضاف إلى ذلك أن الشاعر قد فصل بعض الأفكار التي أجملها من سبقه ، مثل حديثه عن حالة المالم قبيل بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

(١) الشوقيات ج ١ ص ٢٥٤ .

(٢) ديوانه ص ٢٣٠ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥٢ .

المعارضة الثانية : ((معارضة الحملوى))

بعدما أشرت إشارة سريعة إلى معارضة عبد المطلب، سأحدث عن
عن المعارضة الثانية وهى معارضة الحملوى .
والحملوى هو : أحمد بن محمد بن أحمد الحملوى (١) ، ينتهى نسبـه
إلى السيدة فاطمة الزهراء (رضى الله عنها) كما أشار إلى ذلك فى بعض
قصائده بقوله (٢) :

وإن لى نسباً ينسب لفاطمة
بنت النبی ، ونعم الأم زهراء
فكيف لا أرتجى جدى ونصرتـه
والجده إن عز عزت منه أبناء

ولقد ولد الحملوى سنة ١٢٥٦ هـ بقرية (منية حمل) - إحدى قرى
محافظة الشرقية - وترى فى حجر والده ، الذى أرسله - عندما شب - إلى
كتاب القرية - فتعلم مبادئ القراءة والكتابة ثم حفظ القرآن الكريم ، وتلقى
كثيراً من العلوم الشرعية والأدبية عن أفاضل عصره ، وواصل تعلمه حتى دخل
مدرسة دار العلوم التى شغف بعلومها ، ما جعله يقبل على الدراسة بنهم
وشوق حتى نال إجازة التدريس سنة ١٢٨٨ م ، ثم عين مدرساً بالمدارس الابتدائية
بوزارة المعارف ، ثم مدرساً بدار العلوم حتى سنة ١٢٩٧ هـ ، إذ ترك مهنة
التدريس ، واشتغل بالمحاماة فى المحاكم الشرعية ، وفى أثناء عمله أقبل
على التحضير لنيل شهادة العالمية من الأزهر ، فقال بفضيقته ، وكان بذلك
أول من جمع بين العالمية وإجازة التدريس من دار العلوم ، ثم قام بتدريس
التاريخ لطلاب الأزهر الشريف ، حتى سنة ١٢٩٨ هـ ، إذ ترك العمل مؤثراً
الراحة لكبر سنه حتى توفى سنة ١٢٩٢ هـ (٣)

(١) الخطط التوفيقية ج ٩ ص ٧٧ وما بعدها ، ومقدمة كتابه شذا العرف فى فن الصرف

ص ٥٠٠ وما بعدها طبع بمصر .
(٢) ديوانه أخرجه من أصوله (مصطفى السقا) ج ١ ص ٣٥ الطبعة الثانية ، مطبعة
الحلبي بمصر سنة ١٩٥٨ .

(٣) شذا العرف ص ٦ وما بعدها .

آثاره :

لقد مات الحملوى بعد أن ترك نخبة متازة من تلامذته مثل : الشيخ عبد المنيز جويش المتوفى سنة ١٩٢٩، والشيخ أحمد الإسكندري المتوفى سنة ١٩٣٨، وغيرهما من رجال العلم ورواد الأدب، أضف إلى ذلك بعض المؤلفات القيمة مثل :

- * شذا الحرف فى فن الصرف .
- * وزهر الريح فى الممانى والبيان والهدى .
- * موارد الصفا فى سيرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) .
- * ودهوانه بضم شعوره .
- * وقوليد التأيد فى عقائد التوحيد (١)

شاعريته :

إذا قرأت شعر الشيخ الحملوى ، وجدت معنونه فى مناجاة الله سبحانه وتعالى ، وطلب مغفرته ، ومدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وآل بيته ، ومدح بعض العلماء وخاصة الإمام الشافعى (رضى الله عنه) .
وشعره بحامة - يتاز بسهولة الفاظه ووضوح معانيه ، ويظهر ذلك واضحا فى قصيدته التى مدح فيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعرض بها بسردة البوصيرى وقد بلغت أبياتها ستة وسبعين بيتا تقريبا * وذكر بعض الكتاب أن اسم تلك القصيدة (منهاج البردة) ، وقد نظمها الشاعر وسوى طريقة إلى الحج (٢)
وإذا صح ذلك القول ، كان تاريخ نظم هذه القصيدة سنة ١٣٤١ هـ ، وهو العام الذى حج فيه الشاعر (٣) أو سنة ١٣٣١ هـ وهو العام الذى أدى فيه الحجة (٤) :

وهما يكن من ش . فاننى لم أجد للقصيدة اسما فى ديوان الشاعر ، بل صدرت بالمبارة : وقال يمدح المصطفى صلى الله عليه وسلم (٥) .

(١) المرجع السابق ص ١٥ وما بعدها . (٢) الدائع النبوية ص ٢٠٤ .

(٣) ديوان الحملوى ج ١ ص ٢٢٢ .

(٤) المرجع السابق ج ١ ص ١٢٥ .

(٥) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٨ .

ولقد نهج فيها نهج البوصيري في برده ، ولم يخالفه إلا في مللمها ،
إذ لم يبدأها بالفضل ، بل بدأها بمناجاة خالقه ، والابتهاال إلى رازقه ،
يطلب رحمته ، ويرجو مغفرته ، ويطمع في قبول توبته ، ودوام ستره بقوله (١) :

يلتأقر الذنب من جوده ومن كرم

وقابل التوب من جان ومجترم

وسبل الستراحسانا ومرحمة

على المصاة بغيض الفضل والكرم

اقبل متابي واغفر ما جنته يسدى

واستر عيبي ، واعدني عن التهم

ويستر الشاعر في مناجاة ربه ، طالباً منه (جل جلاله) أن يطهر نفسه
وجوارحه من كل سوء فيقول (٢) :

وخلص النفس من فسي ومن غسير

واغسل فؤادي من ظلم ومن ظلم

ومن يفضلك مني كل جارحمة

عن المصاص ومن داء ومن سقم

وتأفني وأعف عني كلما خطرت

خواطير الفؤ في صحوى وفي حلى

ثم يملن الشاعر أسفه ، وتندمه على تغريظه في جنب الله ، بقوله (٣) :

يارب إن كنت قد فرطت في صفري

فإنني اليوم قد أفرطت في الندم

ضيمت عمري في لهو وفي لمب

وفي ارتكاب الضاهي غير محتشم

وكت في غفلة عن كل موعظة

كأن سمى عن الوعظ في صمم

(١) المرجع السابق ج ١ الصفحة نفسها .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٩ .

(٣) المرجع السابق ج ١ الصفحة نفسها .

مدرك الشاعر أن عفو الله كبير ، فلم يقتط ولم ييأس ، بل رجا أن يشمله
لأنه ملين ، ويدوم على شكر الله وذكره ، وقراءة القرآن ، كما أنه يحب الرسول
(صلى الله عليه وسلم) ، فيقول (١) :

يا رب عفوك للماصين متبـــــــــــــــــح

وحر جودك مورود لكل ظلمى

فاجعل بفضلك حسن المفويشملنى

واغسل ذنوبى وما ألت من لىم

فإن قلبى بالتوحيد متلبـــــــــــــــــس

والشكر دأبى وآى الذكر من كلى

وديدنى هبة المولى وخشيته

وعن حقوقك لم أقبل ولم أنسى

بحب غير الورى عندى وعترته

وصحبه فرض عين قد سرى بدمى

ولا يخفى ما فى قوله : (فرض عين) من تأكيد حبه للرسول (صلى

الله عليه وسلم) إلا أن هذه المباراة عبارة نهيية يبدو أن الشاعر اكسبها
من دراسته فى الأزهر - كما سبق -

ويؤكد الشيخ الحملاوى أن ما سبق ذكره - من توحيد الله وذكره وحبيب

الرسول وآل بيته - هو كل معتقده الذى يدخره ليوم الحساب ، فإن قبله

الله فقد تحقق حسن ظنه ، وإن رده فقد عظم ندمه ، واشتد حزنه على ما فرط

منه ، ولكنه يطمع فى عفو الله ، وشى شفاعة رسول الله ، فيقول (٢) :

هذا اعتقادى وهذا كل مدخرى

لموقف أنت فيه جامع الأسم

فإن قبلت فهذا حسن معتقدى

وإن رددت عرضى زلة القدم

(١) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٩ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٤٠ .

لكن لي أملا في العفو يطمئني

وفى شفاعته خير المرب والمجم

ولا يخفى أن الشاعر بقوله : (وفى شفاعته خير المرب والمجم) قد عرج على مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ثم واصل مدحه بقوله (١) :

محمد سيد الكونين من نطقت

له الجبال وحيت به خير فسم

ولا يخفى أن قوله : (محمد سيد الكونين) مأخوذ من قول الهوصيري :

(محمد سيد الكونين والثقلين) (٢) ، ولعله يشير بقوله : (.. من نطقت

له الجبال) إلى تسليم الحجر على الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما سبق (٣) ، ثم يتحدث عن معجازه (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٤) :

ومن دنا فتدلى من حظيرته

كتاب قوسين أو أدنى مع العظم

والجدير بالذكر أن الشيخ الحملاوي لم يشر إلى إسرائ الرسول (صلى الله

عليه وسلم) ، بل ذكر المعراج فحسب وأشار إلى أن الله قد أكرم نبيه (صلى الله عليه وسلم) في تلك الليلة بأشياء لا يعلمها إلا هو ، بقوله (٥) :

وكان ما كان ما ليس يعلمه

سوى المهيمن والمختار في القدم

ثم يمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأن الله قد جمّله وكمّله بقوله (٦) :

سبحان من يصنات الفضل جمّله

فقال أعلى الملا في الخلق والشيم

(١) المرجع السابق ج ١ الصفحة نفسها . (٧) انظر ص ١٢٠ من هذه الرسالة .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٥

(٣) ديوانه ج ١ ص ١٤١ .

(٤) المرجع السابق ج ١ الصفحة نفسها .

(٥) المرجع السابق ج ١ الصفحة نفسها .

السيد المصطفى المختار من مضر
ذخر الساكنين مثلي واسع الكرم
ويؤكد حبه للرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (١) :
إني أرى حبه دينا ومعتقدا
وحب عترته ذخري ومعتصمي
كما مدحه (صلى الله عليه وسلم) بأنه خير من سجد لله ، وأن نوره قد
أضاء الظلمات ، وأنه خير مرسل للخلق كلهم بقوله (٢) :
ياخير من سجدت لله جهته
وقام للحق إجلالا على قسمي
ومن أضاء الدياج نور غرته
فانشق صبح الهدى في الحل والحرم
وإذا كان بعض الشعراء من عارضوا البردة قبله قد بينوا حالة الناس
قبيل بحثه (صلى الله عليه وسلم) - كما سبق - فإنه قد أشار إلى ذلك أيضا
ولكنه أضاف جديدا بقوله (٣) :
أنيت والناس في غي ونفى عنه
مثل السوائم من بهم ومن نعم
وعاكفون على الأوثان ديدنهم
وأد البنات ولو في الأشهر الحرم
فلا يخفى أن الشاعر على إيجازه قد ذكر جديدا وهو (وأد البنات)
تلك العادة القبيحة التي كانت منتشرة قبل الإسلام ، والجدير بالذكر أنه
لم يشر إليها أحد من عارض البردة قبل الشاعر .
ثم يتحدث الشيخ الحمادي عن القرآن الكريم ، إلا أنه تابع البوصيري
في حديثه عن القرآن ، بل أخذ منه شطرا بأكمله في قوله : (٤)
آياته محكمات كلها عبر . (قديمة صفة الموصوف بالقدم)

(١) المرجع السابق ج ١ الصفحة نفسها . (٢) المرجع السابق ج ١ الصفحة نفسها وما بعدها .
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٤١ . (٤) المرجع السابق ج ١ الصفحة نفسها و ص ١٦ من
غزة الرسالة .

وبدو أنه نظير إلى صارضة الدرويش وخاصة عندما بين حال الكسر
عندما بعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (١) :

والقريات على حال يساء به
والعلم بالحق بشراء على العلم
فقال الشيخ الحملاوى (٢) :

فأدبر الشوك في ذل وفي ضحكة
وأصبح النور يعلو أرفع القمم
ولا يخفى ما بين القولين من صلة وإن تصرف الحملاوى في قوله تصرفنا
حسنًا .

ويصف الشاعر صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالشجاعة والإقدام
وشرفهم ، فكان المزمع قائدهم ، والنصر رائدهم ، ولذلك لم يستكينوا
ولم يضعفوا ، وكيف يستكينوا والرسول يرشدهم ، إلا أنه أخذ شطرا من
البوصيرى أيضا في البيت الأول من قوله (٣) :

غر الوجوه بها ليل غطارفة
(من كل قوم إلى لحم المدا قوم) (٤)
فما استكنا لأعداء ولا وهنوا
بل استعانوا بصدق القصد والهمم
فالمزمع قائدهم ، والنصر رائدهم
في كل أمر به إعزاز دينهم
والمصطفى صفوة الخلق يرشدهم
إلى الصالحى بحسن الفصل والكلم
ثم يشير الحملاوى إلى سبق النور المحمدى - كما سبق - بقوله (٥) :

-
- (١) ديوان الدرويش ص ٢٥٧ .
 - (٢) ديوان الحملاوى ج ١ ص ١٤١ .
 - (٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٤٢ .
 - (٤) ص ١٨٠ من هذه الرسالة .
 - (٥) ديوان الحملاوى ج ١ ص ١٤٢ .

باسمها قبل خلق الكون من أنزل
وكان آدم في الصلصال لم يتم

وواصل توسله بالرسول (صلى الله عليه وسلم) راجيا شفاعة يوم القيامة
لأنه أحق بذلك ، إنه هو من ذوى الأرحام بقوله (١) :

وكن لذني شفيما آخذا بيدي

يوم المصاد ، فاني من ذوى الرحم

وبين موقف الناس يوم الحشر ، واضطرابهم في الموقف العظيم ، وخاصة
عندما تنشر الصحف ، إلا أنه ينظر إلى بردة البوصري فيأخذ شطرا من
البيت الثاني في قوله (٢) :

إذا الصوب بدت ، والصحف قد نشرت

في موقف بجميع الخلق مزدحم

وماجت الناس من خوف ومن فزع

(إذا الكريم تجلى باسم منتقم) (٣)

بل إنه يتوسل إلى الرسول بتسميته باسمه ، فيأخذ بيت البوصري ، ولم
يزد عليه شيئا إلا أنه وضع اسمه مكان اسمه ، وقال (٤) :

(فإن لي ذمته يتسميتني

بأحمد وهو أوفى الخلق بالذم) (٥)

وأخيرا يختم الشاعر قصيدته ، بإهداء مدحه إلى الرسول (صلى الله

عليه وسلم) ، ثم يشير إلى قلة ذلك المديح ، بل يعلن عجزه عن مدح
الرسول من بعدما مدحه الله بقوله : (٦) (وَإِنَّكَ لَمَلِكٌ خَلَقَ عَظِيمٌ) فيقول (٧) :

مدحته ، وكأني حين أمدحه

أهديت للبحر قطرات من الذهب

لا أستطيع ولا غيري مدا ثمنه

من بعدما قد أتني (نون والقلم)

(١) المرجع السابق ج ١ ص ١٤٢ . (٢) المرجع السابق ج ١ الصفحة نفسها .

(٣) انظر ص ٢٠٨ من هذه الرسالة . (٤) ديوان الحمالي ج ١ ص ١٤٢ .

(٥) انظر ص ٢٠٤ من هذه الرسالة . (٦) القلم / ٤ .

(٧) ديوان الحمالي ج ١ ص ١٤٢ .

ولا يخفى أن الشاعر قد أحسن في جعل مديحه هدية إلى الرسول
بخلاف البوصيري الذي جعله (خدعة له) عندما قال : (خدمته بجميع أستطيع
به ...) (١) .

ولعل الحملوى نظر في البيت الثاني ، إلى قول الدرويش (٢) :

فترك مدحى له مدح ، وهل قللى

ونوى في الوصف تحكى (ن والقلم)

ثم يطلب الشاعر من الله تعالى أن يصلح على الرسول (صلى الله عليه
وسلم) وآله وصحبه وأتباعه بقوله (٣) :

صلى إله عليه كل أنيسة

ما أطرب الموقيا لألحان والنغم

والآل والصحب والأتباع قلاطية

في كل مبتدا منى ومختتم

ومع هذا المرض السريع لتلك المعارضة يمكن أن أقول : إن هذه
المعارضة قد قلت أفكارها ، وضاعت أغراضها ، ولم تشمل على أفكار جديدة
سوى الإشارة إلى (وأد البنات) ، بالإضافة إلى أن مظلما لم يبدأ بالفضل
بل بدى بالتضرع إلى الله (سبحانه وتعالى) .

وإذا كان الشاعر لم يشر إلى تأثيره في نظمها إلى البوصيري ، فبيان
فيها دلالة قوية على نظره إلى البردة وإلى معارضة الدرويش - كما سبق .

المعارضة الثالثة : (النفعة الأحمدية في مدح خير البرية)

بعد ما تحدثت عن المعارضة الثانية للشيخ الحملوى ، سأحدثكم عن
المعارضة الثالثة وهي : (النفعة الأحمدية في مدح خير البرية) وقد نظمها
الشيخ : أحمد فهمى محمد ، المولود في الجيزة سنة ١٨٩٦ ، وشأ كما ينشأ

(١) انظر ص ٢٠٠ من هذه الرسالة .

(٢) ديوان الدرويش ص ٢٥٧ .

(٣) ديوان الحملوى ج ١ ص ١٤٢ .

أمثاله في ذلك الوقت ، تعلم مبادئ القراءة والكتابة ، ثم حفظ القرآن الكريم ودخل المدرسة الابتدائية ، وواصل دراسته حتى التحق بمدرسة القضاء الشرعي ، وتخرج فيها ، ليشغل وظيفة محام شرعي ، وظل يمارس تلك الوظيفة إلى أن توفي سنة ١٩٢٥ (١) .

آثاره :

توفي الشيخ أحمد نهض وتترك بعض المؤلفات والقصائد مثل :

- ١- ذكرى الإمام الشافعي .
- ٢- آية التنظيم ترد عن آي الذكر الحكيم .
- ٣- النفحة الأحمدية في مدح خير البرية .
- ٤- ربحانة الرسول : الإمام الحسين .
- ٥- الزهراء في مدح خاتم الأنبياء .
- ٦- الدرة المصفاة في مدح خاتم الأنبياء .
- ٧- تاريخ كريمة الدارين (السيدة نفيسة) . (٧)

وغير ذلك من المؤلفات والقصائد التي تشير إلى أنه قد شغف بالمدائح النبوية ، وبآل بيت الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

وبدو أنه تأثر في نظمه كثيراً بالإمام الهيصري ، فنظم قصيدة عارض بها همزته ومطلبها : (٢)

أي فخر يضم ذاك الثناء

تسامى بنظمه الشمر

كما عارض أيضاً برد تمجيدته : (النفحة الأحمدية في مدح خير البرية) وقد نظمها في سنة ١٣٥٢ هـ ، وعدد أبياتها ثلاثة وستون وثلاثمائة بيت تقريباً ، ولقد تأثر في نظمها (بنهج البردة) لشوقي أيضاً ، ولعل ما يؤكد ذلك أنه خالف الهيصري و (شوقي) في مطلبها فقال (٣) :

-
- (١) هذه المعلومات من أحد أفراد عائلة الشاعر بعد وفاته .
 - (٢) انظر أحمد نهض محمد : كريمة الدارين ص ١٢٢ مطبعة حجازي بمصر سنة ١٣٧١ هـ .
 - (٣) أحمد نهض محمد / الزهراء في مدح خاتم الأنبياء ص ٢ مطبعة حجازي بمصر سنة ١٣٧٠ هـ .
 - (٤) أحمد نهض محمد : النفحة الأحمدية في مدح خير البرية ص ٤ مطبعة حجازي بمصر سنة ١٣٦٨ هـ .

دع ذكر ريم وذكرى الهان والمسلم
 وانهى لذكر ريم الناس والحرم
 واذكر حديثا عن المختار مشرقه
 منور بين وضوءه ومبتسم
 وهذب النفس بالذكر وأنتهيا
 فانها الآية الكبرى لمفتسم
 وأيقظ القلب بالقرآن تقسم
 فانه العروة الوثقى لمفتسم

فهو يدعو إلى ترك الفل ، ويحث على الإقبال على حديث رسول
 الله (صلى الله عليه وسلم) وعلى تهذيب النفس ، وإيقاظ القلب بالقرآن الكريم ،
 ولا يخفى أنه يشير بقوله : (دع ذكر ريم) إلى قول شوقي : (ريم على القاع)
 كما يشير بقوله : (وذكرى الهان والعلم) إلى قول الهيصري : (ولا أرقى
 لذكر الهان والعلم) .

(١) ثم يحذر من هوى النفس وخداها فيقول :
 فالنفس أمارة بالسوء ما تركت

وإن تصنها لست الخير من أمم
 تضي على أثر اللذات هائمة
 وتسلك السوء في رغب وفي نهيم

ولا يخفى أنه نظر في الشطر الأول من البيت الثاني إلى قول شوقي : (هامت
 على أثر اللذات تطلبها) (٢) ، ثم يعلن ندمه وأسفه على تفريطه ، ومقارنته
 الذنوب ، مبينا أن النفاق قد عز ، وأن الصدق قد قل ، وأن الناس قد قسدت
 أخلاقهم ، ثم يأمر مخاطبه بقوله (٣)

فكن على حذر من نصاحبه
 ولا يفرنك منه شر مبتم

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٢

(٣) النسخة الأحمدية ص ٥ .

تقاطع الناس من حقه ومن حسد
 وقطعوا شجرة الإحسان والرحم
 فلا زيارة بين القوم خالصة
 ولا وفاء ولو كانوا ندى رحيم
 وإذا كانت هذه الفكرة تهدو جديدة إلا أنه نظر في البيت الأخير
 إلى قول عبد المطلب (١) :

قبائل وشعوب لا يمظفهم
 إخوان صدق ولا قربي من الرحيم
 ثم يبين أن الدين يدعو إلى الوحدة ، وأسف لاتحاد بلاد الغرب
 وانقسام بلاد الشرق بقوله (٢) :

الدين يأمر بالإيلاف شيمته
 وحبذا عمة الإسلام في اللحم
 والله يأمر بالإحسان منقبضة
 منه ونهى عن العوراء في الكلم
 ... نيا أسى وشمل الغرب ملتئم
 والشرق يفضى بشمل غير ملتئم
 وما أسى بانقسام الرأي فملتئم
 وما أسروا برأى غير منقسم
 ويدعو إلى الوحدة ، وهذه عوامل الشر والاختلاف فيقول (٣) :

فوطدوا إخواني في الدين وحدتكم
 فوحدة الدين حبل غير مفصم
 ولا تجميلوا البهى ظهرا إنه درج
 إلى القطيعة والهناء والأضم

(١) ديوان عبد المطلب ص ٢٥٨ .

(٢) النبعة الأحمدية ص ٥٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٦ .

ونصح بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ، ثم يبرج على مدح
الرسول فيقول (١) :

واستمكوا بكتاب الله واتمسكوا
بكدى النبي فمن يتبعه لا يضر
محمد الشاعر المختار منبتـــــــــــــــــه
عمت مآثره في الحرب والمجـــــــــــــــــم
وخاتم الرسل خير الخلق كلهم
ورحة الله في الدارين والفـــــــــــــــــم

ثم يصف الرسول بأنه صاحب الحوض المورود يوم القيامة ، وأنه قد فاق
الرسول في الخلق ، وفائق الهدى في الرغمة والمظمة ، كما أنه قد كملت صفاته ،
وهظمت شامله ، وأنه لم يرق سائلا قط ، ولم يمنّ بما أعطاه ، ومع ذلك كان
كثير الصوم ، ولا يخفى أنه نظر إلى قول البوصيري (وشد من سغب أحشاه وطوى
٠٠) فقال (٢) :

وشد أحشاه والبطن من سغب
واعده النفس عن مسترفه النهم
كما نظر إلى قوله : (وراودته الجبال الشم من ذهب) فقال ولكن
بتمسوف حسن ، وتمبير جميل (٣) :

ولو أربدا أحال الله أجملـــــــــــــــــه
تبرا فنا مال عن زهد وعن شم
رأى عبودية الرحمن مفخـــــــــــــــــرة
عن أن يرى ملكا في يادح المظم
فخر الرسالة أغناه وأقنـــــــــــــــــمـــــــــــــــــه
تجسرى بحكم لها في الكون مرتـــــــــــــــــم
ويمض الشاعر في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) مشيرا إلى أنه لم

(١) المرجع السابق ص ٦٠

(٢) المرجع السابق ص ٨٠

(٣) المرجع السابق ص ٩٠

يضعف أمام الشدائد، ولم يشته إيداء الكفار عن مواصلة دعوته ، كما بين أن كل الأنبياء قد أودوا ، وأن غذا الإيداء بثابة اختبار لهؤلاء الأخيار فقال (١) :

لم يحتفل بالذى لاقوا ، فى غنت

من العداة ، وإن كانوا ذوى وغم

كل النبيين عانوا فى حياتهم

والله يمتحن الأخيار من قسدم

ثم يشير إلى ما نزل بهمض الأنبياء مثل يونس وآدم وأيوب فيقول (٢) :

من قبل يونس ناجى ربه فنجى

ما دهاه وما وافاه من نحس

وقبله آدم ، أغواه شائسه

فحل فى الأرض بعد الخلد والطم

ثم اجتباه وولاه خلافتيه

فى أرضه وحداء بارى النسم

أيوب ناداه من ضر فأنقذه

ما به وحاه شرة الحطم

ولا يخفى أنه يشير إلى قصة يونس (عليه السلام) عندما نجاه الله من الفرق ثم أخرجه من بطن الحوت الذى التقه (٣) ، كط يشير إلى قصة آدم (عليه السلام) عندما وسوس إليه الشيطان فأكل من الشجرة التى نهى عن الأكل منها ، ثم تاب الله عليه (٤) ، ويتحدث عن قصة أيوب (عليه السلام) مع المرض الذى عافاه الله منه (٥) ويستمر الشاعر فى الحديث عن الأنبياء فيذكر نبي الله إبراهيم (عليه السلام) الذى ألقي فى النار، ثم نجاه الله من الحرق وجعلها بردا وسلاما عليه (٦) ، إلى أن يتحدث عن

(١) المرجع السابق ص ١٠ .

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٣) قصص الأنبياء ج ١ ص ٢٨٦ وما بعدها .

(٤) الموجع السابق ج ١ ص ١٢ وما بعدها .

(٥) المرجع السابق ج ١ ص ٣١٠ وما بعدها .

(٦) المرجع السابق ج ١ ص ١٨١ وما بعدها .

مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (١)

أنفاس مولده برا ومكرسة

وقد أضاع فجاج الأرض من ظلم

والكون يزداد إشراقا ومبهجة

من ساطع بضياء الله منسجم

ومنهج نهج السابقين فيشير إلى تصدع الإيوان ، وخمود النصارى ،

وغير ذلك مما سبق الحديث عنه .

ثم يذكر أن المسيح (عليه السلام) قد بشر بالرسول (عليه الصلاة

والسلام) فقال (٢) :

بشرى المسيح به من قبل بعثته

فوان دعوته من آصف القدم

ولا يخفى أنه نظر في ذلك إلى قول البارودي (٣) :

فذاك دعوة إبراهيم خالقه

ومر ما قاله عيسى من القدم

ويشير إلى قصة بحيرا ، وظلزل الفخامة ، وحنين الجذع ، وتبهيح

الحصى ، وسجود الأشجار ، وغير ذلك مما أشار إليه البوصيري في برده ، ومن

هاضمه من بمدح البوصيري وقيل صاحب النفحة الأحمدية .

ثم يتحدث عن تمهيد الرسول في غار حراء ، ونزول الوحي فيقول (٤) :

سائل حراء ، وجبريل الأمين به

ليعلمك بعصر غير منهمهم

ولا يخفى أنه نظر في ذلك إلى قول شوقي : (سائل حراء روح

القدس . .) (٥) .

(١) النفحة الأحمدية ص ١١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢ .

(٣) كشف الفم في مدح سيد الأمة ص ٥ .

(٤) النفحة الأحمدية ص ١٤ .

(٥) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٥ .

كما نظر إلى قول عبد المطلب : (. . أرسله الله الذي علم الإنسان بالقلم) (١) فقال : (٢)

وقد أهابه جبريل يدهسه
بذكر من علم الإنسان بالقلم

وهو كمنظر إلى شوقي بقوله :

ناداه باقراً كلام الله تغقمه

وقد رعى القلب ما لم يتصل بغم

إلا أنه يشير إلى قصة ذهابه إلى (ورقة بن نوفل) ، الذي طمأنه بأنه سيكون نبياً ، كما يشير إلى موقف السيدة خديجة التي طمأنت الرسول فقال (٣) :

وحين وافى إلى ابن نوفل سككت

منه الجوارح في ربح وفي سلم

لما اطمأن له زالت مخاوفه

وكان في رده ما شد في الصزم

ومن خديجة ما قد زاد عزيمته

فيحمل الكل أو يسخو على الرحم

والجدير بالذكر أن هذه الفكرة لم يشر إليها أحد من الشعراء الذين عارضوا البردة قبله ، ثم يستمر الشاعر في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيذكر أنه منصف بأحسن الصفات مثل : الرفق والإحسان والصدق والمقو والحلم والص

ثم يتحدث عن القرآن الكريم فيما يقرب من خمسة وعشرين بيتاً ، ولكنه لم يخرج في حديثه عن السابقين ، بل قد استعان بكثير من عباراتهم مثل قوله

(١) ديوان عبد المطلب ص ٢٦١ .

(٢) النفاة الأحمدية ص ١٥ .

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها .

عن آيات القرآن الكريم (١) :

محكمات فما تيقن من شبهه

مفصلات فما ييقن من وهم

فلا يخفى أنه نظر إلى قول الهوصيرى : (محكمات فما تيقن من شبه ٠٠) (٢)

ثم يشير إلى حالة الناس عندما بحث الرسول (صلى الله عليه وسلم) (٣)

أتى النبي وفوض الأمر ضارينة

والناس تخنع للشيطان والصنم

والأرض قد ملئت جورا ومظلمة

من كل طائفة بالصفت محتدم

إن تأثره في ذلك بشوقى ظاهر إلا أنه أحسن عندما بين أثر

رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد القول السابق مباشرة فقال : (٤)

فنشرت في بقال الأرض الوبسة

من المدالة في حزم وفي نظم

وأثرت من سنا التوحيد أنفسدة

وغشى الشرك في أثوابه الدهم

من شرقة فجر الألباب زأخرهما

وتأبخته بمنهل ومنسجم

ثم يتحدث عن الإسراء والمصراع ولكنه لم يزد عن سبقه شيئا ، بل قد تابع

(شوقى) في قوله (٥) :

جنت السموات أو ما فوقهن بهم

على ضرورة درية للجسم

ركوبة لك من عز ومن شمسرف

لا في الجياد ولا في الأيئق الرسم

(١) المرجع السابق ص ١٧٠

(٢) انظر ص ١٦٢ من ندوة الرسالة

(٣) النفحة الأحمدية ص ٢٠

(٤) المرجع السابق النفحة نفسها

(٥) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٨

نقال هو (١) :

جاء السموات والأبراج مرتقيا
على البراق ، وسر الله في المجم
ركوبة من بديع الله مستنمها
في سقمها العز ، لا في الأيتق الرسم
فلا يخفى أن الشاعر قد أخذ ألفاظ شوقي كلها تقريباً ، كما تأبى
في عروج الرسول على البراق وقد ذكرت - سابقاً - أن هذا غير صحيح (٢) .
ويشير الشيخ أحمد فهمي إلى حجة الرسول (على الله عليه وسلم)
ولكنه نظر إلى من سبقوه فقال (٣) :

سل عن قریش دعاة الشرك إذ نهضوا
إلى مطاردة المختار في زم
ولا يخفى أنه من قول شوقي - مع تصرف قليل - (٤) :
سل عصبة الشرك حول الفار سائبة
لولا مطاردة المختار لم تسم
وكذلك قوله (٥) :

فأجمعوا أمرهم في دار ندوتهم
في قتله ، وتاجوا في دجى الدسم
من قول البارودي بتصرف أيضاً : (٦)
فاستجمعت عصبا في دار ندوتها
تهفى به الشر من حقد ومن أضم
ثم يذكر الشاعر أن الله قد أخبر رسوله بموامة المشركين ، كما أمره بالهجرة

(١) النسخة الأحمدية ص ٢٢ .

(٢) انظر ص ٥٣١ من هذه الرسالة .

(٣) النسخة الأحمدية ص ٢٣ .

(٤) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٨ .

(٥) النسخة الأحمدية ص ٢٣ .

(٦) كشف الغمة ص ١٠ .

ولقد دخل النار حتى تياس قريش من اللحاق به ، والشاعر متأثر في ذلك كله بشوقي، فإذا قال شوقي (١) :

لولا يند الله بالجارين ما سلمنا

وهينه حول ركن الدين لم يقم

قال الشاعر بتصريف قليل أيضا (٢) :

يد من الله قد مدت لصفوته

لولا رعايته للدين لم يقم

ثم يشير إلى حبه الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيقول (٣) :

يالائس في هوى المختار معذرة

فلو سلكت سهيل الوجد لم تلم

دع منك لوصي ناني عنك في شغل

يحبطه ووجدى غير منك

ولا يخفى أن الشاعر قد نظر إلى قول الهوسبى : (يالائس في الهوى

المعذرى معذرة) (٤) .

كما لا يخفى أن في لفظ (منكم) خطأ لقويا - كما سبق - (٥)

وأشار إلى دعوة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٦) :

قد قام يدعو لدين الله في خلق

من الدماثة والإحسان في الكرم

وما يجادل إلا بالذي حسن

من البيان وفي لين وفي رحمة

وإن رأى منهم في القول مجهلة

وإنى بحلم ورد الضمير في كظم

(١) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٩ .

(٢) النسخة الأحمدية ص ٢٥ .

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٤) انظر ص ٩٣ من هذه الرسالة .

(٥) المرجع السابق ص ٨٨ .

(٦) النسخة الأحمدية ص ٢٦ .

ثم يشير إلى جهاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيذكر شجاعته ، وموقف
قريش منه ، ولكنه ينظر إلى قول شوقي (بالأمس مالت عروش) (١) ويقول (٢) :

بالأمس مادت عروش من وطائدنا

ووطدت سرر في غاية الدعم

وهين أن سبب الحرب هو مقابلة الشر بالشر فيقول :

غلا غواية في غزو ومـــــترك

فالشر إن تلقه بالشر ينصم

ولا يخفى أن الشطر الثاني مأخوذ من قول شوقي (٣) :

والشر إن تلقه بالخير ضقت به

ذروا وإن تلقه بالشر ينحسم

ثم يمدح صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنهم شجعان ، باعوا
أنفسهم لله ، وبأنهم صائمون عن اللذات ، قائلون في الأسفار ، صابرون
في البأساء ، ولكنه ينظر إلى قول البوصيري : (وصل حنيفا وصل بدرنا وصل
أحدا) (٤) ، فيقول : (٥)

فصل حنيفا إذا ما شئت أو أحدا

يوم بدر وسائل كل مصطلم

ثم يبين بعض مزايا الإسلام الذي انتشر بسرعة على أيدي هؤلاء
الصحابة الأبطال فيقول (٦) :

سرفان ما افتتحوا الأقطار واحتلوا

نهضة الفتح والإسلام في قسـم

• • • وسيدوا قبة بالعدل قد وسعت

بهمم الله لم تثلم ولم نصم

(١) الشوقيات ج ١ ص ٢٥٢ •

(٢) النفحة الأحمدية ص ٢٨ •

(٣) الشوقيات ج ١ ص ٢٥١ •

(٤) انظر ص ١٨٨ من هذه الرسالة •

(٥) النفحة الأحمدية ص ٢٠ •

(٦) المرجع السابق ص ٣٤ •

حرية القول مرفوع اللواء لها
كل سواسية في نصفية الحكم
لا فرق بين أمير طاب محتسده
و سوقة في حدود الله والحرم
مشير إلى أن حضارة الإسلام قائمة على أسس قوية، وصفات حسنسة،
كالعدل والوفاء، بالعهود والصدق فيقول :

رسمين في رسمه يشدو بمدلهم
وقبة العدل فافت قلة الهرم
وما عرفنا لهم خلفا ولا كذبا
ولا عهدودهم مخفوة الذمم

ولا يخفى أنه نظر في البيت الأول إلى قول شوقي (١) :
واترك رسمين إن الطمك مظهره

في نهضة العدل لا في نهضة الهرم
ولكن تصرف فيه تصرفا حسنا إذ بين مدى تمسك هؤلاء الصحابة
بالعدل حتى إن رسمين وهو نفس رسمه يشدو به ؟

وتحدث عن الدين الذي كان سببا في نشر الثقافة وانتشار العلم
في كثير من البلاد ، التي أصبحت كمبة يقصدنا كل من أراد أن يتعلم
فيقول (٢) :

فالدين ألزم للأرواح ما عظمست

والدين داعية الأرواح للمظلم

تزهو خواضرهم بالعلم طلبهم

وأصبحت كمبة البلدان والأمم

(دار السلام) بأهل النج مشرقية

و (مصر) تتبها في فعضها المم

(١) الشوئيات ج ١ ص ٢٥٥ .

(٢) النسخة الأحمدية ص ٣٥ .

كذلك (قرطبة) من أرض أندلس

وغيرها من حصى خفاقة الحلم

وإذا كان شوقي قد أشار إلى دار السلام^(١) فإن الشاعر زاد على ذلك إشارته إلى مصر * وقرطبة * وهما بنير شك منح من منابع الثقافة الإسلامية والصربية *

ونقل الشيخ أحمد نهى إلى التوسل برسول الله (صلى الله عليه وسلم) حينما أنه بحدحه الرسول قد زاد شرفاً ، ويرجو أن ينال شفاعته ، كما يشير إلى قربه من الرسول بالاشتراك معه في الاسم ، وهذه فكرة صحيحة ، إليها فـسـيرـه
 - من عارض الردة - فيقول (١) :

لئن أخذت بعدد زائدنى شرفا
فإننى برسول الله فى عصم^(١)
وأستقبل ذنوبى فى شفاعتكم
إلى سنى من الرضوان مقتسم
جاهى إليه من الزلفى بتسميتى
وأنتى فى هواه غير متهم
فكان حظى من التوفيق تسميتى
بما تسمى به فى سالف القسدم

ويستحق في بيان حبه الرسول (صلى الله عليه وسلم) مشيراً إلى أنه قد نال كل خير، بسبب مدحه (صلى الله عليه وسلم) وما رقى في شدة إلا فرجت بسببسه أيضاً .

ثم يشير إلى أنه لم يحارض برودة الهوى ، بل هو ناشئ من فيض صاحبها
فيقول (٤) :

(١) الشواهد ١ ص ٢٥٥. (٢) النسخة الأحادية ص ٣٨.

(٢) يلاحظ أن الشاعر أتى (بالفاء) في جواب الشرط المصبوق بقسم والصحيح عدم الإتيان بها، لأن الجواب للمقدم وهو القسم . انظر : الضار السالك ج ٢ ص ٢٢٦ وطبعدها .

(٤) النسخة الأحمدية ص ٤٠، ما أكتفى : رسالتی، والمراد قصيدتی .

وما أعارض في مدحى وألكنى
 يتيمة البردة الزهراء في نعم
 فأنى ناهل من نفيض صاحبها
 وما أفاض من الآيات والحكم
 وتلك منزلة تسو بأيتها
 إلى مقام من الإحسان مزدهم
 ولا يخفى أن الشاعر ينفى محارضة البردة التي سببها التحق ، لانغنى
 المحارضة مطلقا ، لأنها واضحة ، ولكن بسبب الإعجاب :
 وأخيرا يناجى الشاعر ربه ، متوسلا بالرسول (صلى الله عليه وسلم)
 فيقول (١) :

فيا إلهي بخير الخلق تنقذنا
 من الضلال بنور العلم والحكم
 وهب لنا رحمة واسلك بنا رشدا
 وجد بحفوك في نفيض وفي كرم
 يا رب صل وسلم ما زلتا قصير
 على النبي مدى الأفلاك والنجم
 وصل رب على آل الألى شرفوا
 بجاه طه وحق الله والحبير
 وصحه الشر ثم التابعين لهم
 والمسلمين بغيض منك منسجم
 ثم يدعو الله بأن يخلص بلاد الشرق ممن كل سوء ، ولعله يقصد به
 الاستعمار وأعوانه ، وأن يجمع ثلوب المسلمين ، ويوفقهم ، ويجمع كلمتهم فيقول (٢) :
 وواتنا بملك الأمر نملكه
 . وأيقظ الشرق من نوم ومن وهم

(١) المرجع السابق ص ٤١ .
 (٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

وارفع بحق رسول الله رايته
 ونحه عن طريق الذل والقسم
 واجمع قلوب بني الإسلام تحفه
 إلى الإخاء ومحمود من الشيم
 وأبد اللهم بالتوفيق أمته
 ولا تزد وجهها صدها ولا تمسم
 ولترأب الصدح في توحيد كلمتها
 بوحدة الرأي في عزيم وممستهم
 واكتب لنا صفحات النصر مشرقه
 وتب علينا وباعدنا من النقم

ثم يؤكد تضرعه إلى الله ، وأمله الكبير في المغفرة ذنوبه ، وفي نيل
 رضا ورجونه (جل جلاله) أن يظهر نفسه من الغل والحمد ، - وأخيرا
 يختم قصيدته بقوله (١) :

يارب ما دمت بالإحسان متدئى
 فاجمل وفاتى على الإيمان مختئى

وسجد : فإن الشاعر قد قلده وجدده ، فقلده في حديثه عن الأفكار التي تحدث
 عنها سابقوه من عارضوا البردة ، ولكنه لم يكن يقلده تقليد الجامد ، يدل على
 ذلك أنه قد فصل ما أجمله سابقوه في كثير من الأفكار مثل : حديثه عن جهاد
 النبي (صلى الله عليه وسلم) وجهاد صحابته ، وبيان مآثرهم ، وبيان عظمة الدين
 الخفيف ، ونشر الثقافة والعلم ، أضف إلى ذلك توسله برسول الله (صلى الله عليه وسلم)
 وتضرعه إلى الله (سبحانه وتعالى) .

وجدد في إشارته إلى أن الإسلام يندد بالشقاق والاختلاف - ويدعو إلى
 الوحدة والائتلاف ، وفي نصيحته بالتمسك بالقرآن الكريم والحنكة النبوية مما ، وفي إشارته
 - أيضا - إلى حديث ورقة بن نوفل للرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما نزل عليه
 الوحي أول مرة ، وغير ذلك ، مما كان سببا في أن تصل أبيات تلك القصيدة إلى ثلاثة
 وستين وثلاثمائة بيت كما سبق .

المحاضرة الرابعة : " نظام البردة " أو " ذكرى محمد "

بعدما تحدثت عن محاضرة : (النخعة الأحمدية في مدح خير البرية)
للشيخ أحمد نهى محمد ، سأحدث عن محاضرة : (نظام البردة) للشاعر
باكثير .

وعو : الشاعر القصي : علي أحمد باكثير ، ولد في حضرموت سنة
١٩١٠ م ، وشأ مع والده التاجر ، الذي كان يجوب البلاد العربية وغيرها في
تجارة يحمود بخيراتها إلى وطنه (حضرموت) ، وأخيرا استقر به المقام في
إحدى جزر أندونيسيا وتسمى (سورابايا) وكان معه ابنه (علي) الذي كان
حينئذ في الثالثة من عمره ، ومع ذلك كان يساعد أباه في حرفته ، ويقضى
وقته في قراءة كتب الأدب ، ولعل الذي دفعه إلى ذلك أنه قد حفظ قسما
من القرآن الكريم على بعض شيخ حضرموت كما تلقى أصول اللغة العربية
هناك أيضا ، فكان كل ذلك سببا في تنمية موهبته الأدبية ما جعله يكمل
حفظ القرآن الكريم ، ويقبل على كتب العرب ودواوين شعرائهم ، أضف
إلى ذلك أنه أتعن اللغة الإنجليزية .

ولقد تزوج الشاعر - هاشم قهر المومن إلا أن القدر فجعه في زوجته
، فحزن عليها حزنا شديدا ، دفعه إلى ترك موطنه الجديد ، وحل إلى
الحجاز سنة ١٩٢٢ م ، وبعد سنتين رحل إلى القاهرة ، ثم التحق بكلية الآداب
قسم اللغة الإنجليزية ، وكان دائم البحث في كتب الأدب ، كما كان يشارك
في كثير من المناسبات بشعره حتى ظهر في الأوساط الأدبية وكان ما زال
طالبا في الكلية ، التي تخرج فيها سنة ١٩٢٨ م ، ثم عمل مدرسا بإحدى
المدارس الثانوية في المنصورة سنة ١٩٤٠ م ، ولكنه لم يقطع صلته بالقاهرة
بل كان دائم الاتصال بأدبائها وشعرائها ، ثم قوى ذلك الاتصال عندما
دقل إلى القاهرة ، ولكنه ترك التدريس سنة ١٩٤٤ م ، وعمل بوزارة الثقافة
بعد أربعة عشر عاما قضاها مدرسا ، ثم عين مديرا للمكتب الفني للمراقبة على
المصنفات ، إلى أن توفي سنة ١٩٦٩ م .

آثاره :

ولقد ترك الشاعر كثيرا من المؤلفات الأدبية من بينها خمس قصص

وأعدى وثلاثين مسرحية مطبوعة - ومنها :
 وإسلامه ، وسيرة شجاع ، وحرب البسوس - بالإضافة إلى ما يقسرب
 من ثلاث عشرة قصة ومسرحية معدة للطبع (١) .

شاعريته :

ولقد كان باكثير شاعرا مجيدا ، حلو العبارة ، سهل اللفظ -
 سار في شعره على النهج العربي ، إلا أنه قد قطع شوطا كبيرا في الشعر
 المطلق الحديث ، ويبدو أنه اضطر إليه كما يفهم من قوله : " إن أحمد
 الأسانذة الأجانب قال في دروس الجامعة ، إنه لا وجود في لغتك العربية
 لهذا الفن - يقصد الشعر المرسل - ولا يمكن أن ينجح ، فاعترضت عليه
 قائلا : أما إنه لا وجود له فهذا صحيح ، لأن لكل أمة تقاليدها الفنية
 وكان من تقاليد الشعر العربي التزام القافية ، ولكن ليس هناك ما يحول دون
 إيجاده في اللغة العربية ، فهي لغة طيبة ، تتسع لكل شكل من أشكال
 الأدب والشعر ، فأعرض عني ، وشمرت بأن علي أن أتحدى هذا التهم
 وأدحضه بالبرهان العملي . . (٢) "

وإذا صح ذلك القول من الشاعر ، فإنني كنت أود أن لا يهلك هذا
 الطريق ، لأنه يخالف طبيعة الشعر العربي ، وهو كما قال : " لكل أمة
 تقاليدها الفنية . . " وخاصة أن الذي تحداه كان أستاذا أجنبيا ، ولعله
 أراد بذلك أن يصرفه نحو غيره من الشعراء العرب عن لغتهم العربية ، والشعر
 العربي الأصيل .

وهما يكن من شيء فإن للشاعر شعرا قد نظم على النهج العربي
 الأسيل - الموزون المقتضى - ومنه قصيدته التي سماها (ذكرى محمد ، أو نظام
 البردة) وقد بلغت أبياتها ستة وخمسين ومائتي بيت (٣) ، وهي المعارضة

-
- (١) علي أحمد باكثير : فن المسرحية ص ٥ وما بعدها الطبعة الثانية بمطبعة المصرفة
 بصر سنة ١٩٦٤ - من أدباء الإسلام المعاصرين ص ٩٠ وما بعدها .
 (٢) المرجع السابق ص ١١١ .
 (٣) نظام البردة ص ٢ وما بعدها مطبعة الشباب بصر سنة ١٣٥٢ هـ .

التي سأحدث عنها ، وقد نظمها الشاعر نسي شهر رجب سنة ١٢٥٢ هـ ، وطبعها
في السنة نفسها ، ولكن في شهر ذي الحجة ،

ويبدو أنه كان يعاني كثيرا من الهموم والمتاعب ، كما يفهم من مطلع
تلك القصيدة وهو (١) :

يا نجمة الأمل المفقود بالألم
كأنني دليلي في محلولك الظلم
في ليلة من ليالي القر حالكة
صغابة بصدى الأرواح والندم

فهو يخاطب نجمة أمله التي ظهرت أمامه في تلك الليلة ، ذات الظلام
الشديد ، والبرد القارس ، ويطلب منها أن ترشده إلى ما يزيل حيرته ، ويكشف
هفته ، ويستمر في بيان حالته النفسية ، التي جعلته يرتاب في نفسه ، ويأسف
على حال الحرب الذي تغير ، إذ تقاسمت بلادهم دول الغرب الذين يريدون
هدم الدين ، فيقول (٢) :

أرسلو إلى (يعرب) والدحر يعرضها
رواية الهوى بحد المز والنعم
تقاسمتها شعوب الغرب تدفعها
إلى المهالك سوق الشاء والنعم
وأرمق (الدين) والأعداء تسممه
فتكا يضاف إلى أدوائه القمم

ويتعجب الشاعر من أن الدين يحارب في داره وبين القائمين على أمره ،
ثم يتعسر على شهابه الذي ولي ، دون أن يحقق فيه آماله وأغداً ، فيقول (٣) :

وبع الشباب وقد نمدت أواظله
والخوض دوني وإنني لا أزال ظمى

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٣) المرجع السابق ص ٤ .

(خمس وعشرون) لم أدرك بها غرضا
مرت على مرور الطيف في الحلم
ياويلتاه أأبني أن أـسود إذا
ولى الشباب وما فيه من المرم
هيهات هيهات إن الشيب مجنونة
تصد عما يريد المجد من قسم

ولا يخفى أنه في قوله : (ياويلتاه) قد أتى بها السكت في حالة
الوصل ، كما فعل شوقي (١).

ثم احتدى الشاعر إلى الانتقال من هذا المكان الذي ركبه فيه
المهم ، إلى مكان آخر ، لعله يجد فيه ما يزيل همه ، فيقول مجردا من نفسه
شخصا يخاطبه (٢) :

فاجمع متاعك واركب ظهر ساجدة
هول تسير بلا رجل ولا لجم
تجرى فتبصر بالأشياء مدهشـرة
كان ضهنا في إثر ضهـرهم
تطوى البلاد كما مر المومخ فـسى
لح بختلف الأعصار والأسم
حتى إذا وجدت هناك نفسك فـسى
رسوع (طيبة) ذات المنهل الشيم
فيم (المسجد الميمون) في أدب
بقلب مدكر في شعرهم

• إن الشاعر يتوجه إلى المدينة المنورة ، ولقد أحسن حينما صور سرعة فرسه
وطيها البلاد بالمومخ الذي يشير في مدة قصيرة إلى كثير من الأرضية
والأمكة ، ثم بين أنه سيتوجه إلى المسجد النبوي في أدب ، ويكمل نصحه

(١) انظر ص ١٠٤ من هذه الرسالة .

(٢) نظام البردة ص ٤٠ .

في قوله : (١)

وأعد إلى (الروضة) القنا فحى بها
خير الخلائق من عرب ومن عجم
قل السلام على فخر الوجود ، على
خير النبيين ، طه الفرد الملم
واستجل سيرته قدام روضته
بحر الكمال ، بلائغ ولا وهم
ولا يخفى أن ألفاظ الشاعر سهلة إلا أن لفظ (قدام) — وإن كان عربياً —
فجري شصوى .

ومهما يكن من شيء فإنه يجعل روضة الرسول (صلى الله عليه وسلم) هدفه
لكي يسلم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صاحب السيرة الحسنة ، والقعدة
الطيبة ، والجامع لكل صفات الكمال بلا شك أو تردد .

ثم ينتقل إلى بيان وظيفة المسجد على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
بقوله (٢) :

كان الرسول هنا يلقى هدايته
على الأنام بلا عى ولا لم
كان الرسول هنا يلقى نصائحه
فيطربون لها أشجى من النخم
كان يقضى هنا بين الورى حكماً
أكرم بأحمد من قاض ومن حكم
وكان من ههنا يزجى كتابه
لنصرة الدين من أصحابه البهم
ويستشيرهم في المشكلات به
وفيه يستقبل المافين بالنخم

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٢) المرجع السابق ص ٥٥ .

وفيه يلتقى وقود الناس آتية
 من كل صوب يشفر منه متمسم
 وفيه يبحث بالذكرى سائله
 ورسله ملوك العرب والمجسم
 هنا ثوى رجل الدنيا وواحد هـا
 هنا ثوى خير من يسمى على قدم

وهكذا أشار الشاعر إلى وظيفة المسجد في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) إشارة جامعة، فهو مدرسة للتعليم ، ومحكمة للقضاء ، ومركز لقيادة الجيش ، و (مجلس للشعب) تحل فيه مشاكل الأمة ، وهو مثل (وزارة الشؤون الاجتماعية) ، توزع فيه المطايا على الفقراء ، والمحتاجين ، أضف إلى ذلك أنه كان منزلا لضيافة الوفود التي تأتي من كل مكان ، كما كان (كوزارة الخارجية) تخرج منه رسائل الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى ملوك روم ، الأمم ، يدعهم فيها إلى الإسلام .

والجدير بالذكر أنه لم يشر أحد من عارض البردة قبل (باكير) إلى تلك الناحية الجليلة ، إلا أن قوله عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (هنا ثوى رجل الدنيا وواحد هـا) ليس مناسباً للمقام .

بالإضافة إلى ما يوهمه من وصف ينزه عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . ولقد انتقل الشاعر بحد حديثه عن دفن رسول الله في هذا المكان الطاهر ، إلى الحديث عن مولده الشريف ، وفي هذا دلالة على أنه لم يرتب أفكاره ترتيباً زمنياً ، والجدير بالذكر أنه لم يتحدث عن تصدع الإيوان وغيره من الأحداث التي أشار إليها سابقوه ، وإنما قال (١) :

جاءت به الدرة المصماء (آمنة)
 فأشرق الكون من أنواره الممسم
 واحتز أهل السموات الملا طريفا
 بحفد الكون بما فيه من أنم

(١) المرجع السابق ص ٦١٠

.. وسبحت ربها الأعلى الملائك عمن

شكسر وشمر بما حصى الظلم والظلم

ثم يتحدث الشاعر عن نشأة الرسول ، ويبين أن الله قد حفظه من دنس الجاهلية ، فلم يصعبه لصنم ، ولم يشرب خمرا ، بل عرف بكل خلق حسن ، كان سبها في إعجاب السيدة خديجة به ، وزواجها منه ، ويشير الشاعر إلى حقيقها من الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذ طمأنته عندما نزل عليه الوحي أول مرة ، وإذا كان الشاعر قد سبق بتلك الفكرة ، فلقد أضاف إليها الإشارة إلى أن تعليم الفتيات ينهض بالإسلام ، فقال (١) :

كذلك لن ينهض الإسلام من ضمسة

حتى نرى (غيده) ينهض بالملم

كيف النهوض وشق من جزا رحكم

عضو أشل ، وشق غير ممتز

ولا شك في أن المرأة المسلمة التي تعلمت أمور دينها تستطيع أن تنشأ أجيالا ، متفهمين في دينهم .

وبدو أن الشاعر أتى بتلك الفكرة بعد حديثه عن السيدة خديجة لتكون مثالا يحتذى ، إذ اختارت الرسول زوجا لحسن خلقه ، لا لمال ولا لغيره وعندما بحث ساعدته بحالها ، كما صدقته حين كذبه الناس ، وصيرت ممسكة على الشدائد .

وينقل باكتير إلى مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه طلق الوجوه ، يصفو عن ظلمه ، ويقبل العذرة ، كما كان شجاعا في الحروب ، ثابت الجأش في الصيدان كريما يمتطي ولا يمن ، زاهدا يطوى اللئالي ولا يتبرم .

ثم يقف أمام شبهة أثارها أعداء الإسلام ، وهي كثرة نساء الرسول (صلى الله عليه وسلم) فرد عليهم ردا مقنعا قائما على الخجة والبرهان ، مينا لهم أن الرسول لم يتزوجهن لشهوة ، إذ لو كان كذلك لاختارهن شابات لا سنات ، وإنما

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها .

الذى دفعه إلى ذلك كله، وإما خدمة الدين، وتوطيد الصلات بينه وبين أصحابه مثل: زواجه بالسيدة عائشة (١) والسيدة حفصة (٢)، وإما إنسانيته ورحمته مثل: زواجه بالسيدة سلمة (٣)، والسيدة: سودة بنت زمعة (٤) إذ مات زوجها ولم يكن لهما من يصولهما فتزوجهما الرسول من أجل ذلك.

والجدير بالذكر أن الشاعر لم يصبق بمن أشار إلى تلك الفكرة، ولم يمل حوادث العصر هي التي دفعت به إلى ذلك عندما أثرت تلك الشبهة (٥) ولذلك يقول (٦):

وما تنزع نسائي يلد بهما
إذن لما اختار من يحون للهرم
لكه كان يرجو أن يتم بهما
نشر الهداية في الأقوام بالسموم
كما تنزع من بعض ليكلهم
ومن تفنن برسل الله لم تشيم

ثم أشار الشاعر إلى حالة الناس قبل بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبين أن حكمة الله اقتضت إرسال الرسول (صلى الله عليه وسلم) في ذلك الوقت ليوضح طريق الخير للناس، ويرشدكم إليه، عن طريق القرآن الكريم، ذلك الكتاب الهادي، والمجزة الخالدة - ولم يخرج في ذلك كله عن سابقه.

ثم انتقل إلى فريضة انتشار الإسلام بالسيف، فذكر أن الحرب ليس تشع إلا للدفاع عن الدين وأمنه، وفي مناعة الظلم والظالمين، فقال (٧):

- (١) هي السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق توفيت سنة ٥٧ هـ وقيل غير ذلك (أسد الغابة ج ٢ ص ١٩٢).
- (٢) هي السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب توفيت سنة ٤١ هـ وقيل غير ذلك (المرجع السابق ج ٢ ص ١٧).
- (٣) سبق التعريف بها في فاشح ص ٧٦ من هذه الرسالة.
- (٤) هي السيدة: سودة بنت زمعة بن قيس توفيت في آخر خلافة عمر بن الخطاب بنحو سنة ٢٢ هـ (أسد الغابة ج ٢ ص ١٥٨).
- (٥) حقائق الإسلام وأباطيل خصومة ص ١٧ وما بعدها، والذكر أحمد الخوفي: لماذا عدد النبي زوجاته ص ٣ وما بعدها مطابع الأهرام بمصر سنة ١٩٧٤.
- (٦) نظام البردة ص ٧. (٧) المرجع السابق ص ١٠.

لم يشرع الحرب إلا في مدافعة
عن دعوة الحق ، أو في كف مهتضم
والجدير بالذكر أن الشاعر قد سبق في ذلك بشوقي الذي قال في ذلك
فأجاد (١) ، ولقد بين أن الدين يدعو إلى العلم والأخلاق المالية ، والمهنة
والساواة بين الناس ، ثم تحدث عن الطهارة ، والصلاة وغيرها من أركان
الإسلام ، فقال (٢) :

يمرى (الطهارة) من أسى شمائمه
لا يقبل الله نك الأغير الدم
وفى (الصلاة) ضاجة تطهر من
نفس الصلى وتوحيها لدى الهيم
وفى (الزكاة) دواء لا مثيل لــــه
لكشف ما حاق بالدنيا من الأرم
أما (الصيام) فترويض النفوس على
حمل الشدائد في صير بلا هم
وكم جلا الطب من أسرارهِ عجيبا
يزيل ما عى منه الطب من سقم
و (الحج) موجع للمسلمين بــــه
تنجو قوائم ليضحو قادة الأمم
وكم به من دروس جد نافــــة
لو أن آذانهم خلوم الصمم
ولا يخفى أن الشاعر قد أحسن في تلك الإشارة اللطيفة إلى بعض أركان
الإسلام ، وبخاصة أنه لم يهتبه إلى ذلك أحد من الشعراء المعارضين .
ثم يشير بالكثير إلى أن من فضائل الإسلام أنه سوى بين الرجال
والنساء في الحقوق والفرائض الدينية ، اللهم إلا ما تقتضيه الطبيعة من مخالفة
ومن ذلك أنه كلف الرجل بالقيام بأمر بيته ، والإنفاق على زوجته ، ولو كانت

(١) الشوقيات ج ١ ص ٢٥١ . (٢) نظام البردة ص ١٠ وما بعدها .

أموالها لا تحصى ، وذكر أيضا أن وظيفة المرأة الحقيقية تكون في بيتها ، إذ
 تمنى بأم زوجها وأولادها ، وأشار إلى أن من مؤلفي الإسلام أيضا أنه أطلق
 حرية المرأة في التصرف في مالها بالبيع أو غيره ، مبينا أن نسوة (فرنسا)
 لم يحصلن على تلك الحقوق حتى بعد الثورة التي قامت من أجل تحقيق المساواة^(١)
 بل إن نساء أوروبا كن كمناع البيت^(٢) ، يقول الشاعر^(٣) :

ساوى النساء حقوقا بالرجال سوى

ما يقتضيه اختلاف الخلق والشم

.. يرى (أنوثتها) أرقى فضائلها

فلا تذللها بأهوان ولا تسم

تكون آمرة في البيت ناهية

تمنى بتربية الأولاد بالرحم

هذى وظيفتها الفطرية ارتسمت

ففى سنة الله قبل اللوح والقلم

تكون في مالها طلقا مخولسة

حتى التصرف في بيع وني سلم

نسل نساء (فرنسا) هل حصلن على

حق التصرف بعد (الثورة) المم

ومثل تذكر (أوروبا) زمان ترى

نساءها كمناع البيت والمجم

ولعل الشاعر بذلك يرد على بعض أعداء الإسلام الذين قال بعضهم :
 " إن الإسلام ناجح كمقيدة ودين ، ولكنه فاشل كنظام اجتماعي ، فقد وضعت
 قوانينه لتناسب الجزيرة العربية ، في القرن السابع الميلادي ، ولكنه مع
 ذلك أهدى لا يسمح بالمرؤنة الكافية لمواجهة تطور المجتمع الإنساني .. " إنسه
 يحرم المرأة من كل حقوقها ، ويحظرها أخط من الرجل ، وإنه يبيع السرق
 وإنه دين متعصب متطرف يبيع لآنها أن يتخذوا المخالفين لهم في المقيدة

(١) انظر : الدكتور أبو الفتح رضوان بالاشتراك مع غيره : أصول العالم الحديث ص ١١٣

مطابع مؤسسة روز اليوسف بمصر سنة ١٩٧٦ . (٢) حياة محمد ص ٢٤٦ .

(٣) نظام البردة ص ١١ .

أسرى حرب موقفاً ، ويكره كل من لا يعتقد برسالة " محمد " - صلى الله عليه وسلم -
 ويحمل من أتباعه جماعة من أنصاف الهجج المحبين للحروب ، والذين لا تتسع
 صدورهم لأى تصامح .. (١) ، ولا يخفى ما فى ذلك القول من جهل بأحكام
 الإسلام وأخلاق المسلمين - وخاصة الصحابة - وحسن معاملتهم ، ولا يخفى
 أيضاً أن الرق كان منتشرًا قبل الإسلام (٢) ، وللإسلام فضل كبير فى العمل
 على القضاء عليه ، وفى الحث على إكرام العبيد ، ولذلك قال الشاعر بمد قوله
 السابق مباشرة (٣) :

وسنّ (للرق) ما يقضى عليه على
 مدى الزمان مع التدرج والعلم
 حاط (الموالى) بالحسن وعاملهم
 كالملكين مع التخفيف فى الجرم
 سنّ (الكتاب) لإطلاق الأسارى
 دعا ورغب فى الاعتاق للناس
 وسنّ فى فك أسرى الحرب فديتهم
 بالمال أو عتقهم بالبن والكسر

إن الشاعر يشير فى تلك الأبيات إلى بعض الوسائل التى تقضى
 على الرق فى الإسلام ، ومن ذلك أن الإسلام قد أوجب على من يقتل مؤمناً
 خطأً عتق رقية مؤمنة ، يقول الله تعالى : " وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ
 وَدِيَّةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ .. الآية (٤) " وكذلك على من يجنث فى يمينه ، يقول الله
 تعالى فى بيان كفارة اليمين : " .. فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ
 مَا تَطْعَمُونَ أَوْ كِسْفَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ .. الآية (٥) " وكذلك على من
 يظاهر من زوجته ثم يهود لما قال ، يقول الله تعالى : " وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ
 نِسَائِهِمْ ثُمَّ أَيُّطُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ .. الآية (٦) " بل لقد شرع الإسلام

- (١) الاتجاهات الوطنية ج ١ ص ٢٤٠ ، ج ٢ ص ١٤٨ .
- (٢) الدكتور أحمد الحوفى : ساحة الإسلام ص ٢٠٥ وما بعدها مطابع شركة الإعلانات
 الشرقية بمصر سنة ١٩٦٣ ، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ٢٠١ وما بعدها ، ما يقال
 عن الإسلام ص ١٤٥ وما بعدها .
- (٣) نظام البردة ص ١١ .
- (٤) النساء / ٩٢ .
- (٥) المائدة / ٨٩ .
- (٦) المجادلة / ٣ .

إخراج الزكاة لتحرير الرقاب يقول الله تعالى : " .. وفي الرقاب والغارمين ..
.. الآية (١) .. "

وشير الشاعر بقوله : (حاط الوالى بالحسنى وعاملهم) .. إلى مثل
قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو بحث على حسن معاملة الأرقاء والخدم :
" إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه
مما يأكل وليطعمه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبيهم فإن كلفتموهم فأعينوهم (٧) " .

كما يشير بقوله : (رغبني الاعتقاد للنعم) إلى أن الإسلام رقب نفسي
إعتاق العبيد ، ومن ذلك قول الله تعالى : " وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ ، فَسَّكَ
رَقَبَةً .. (٨) " وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " أيما رجل أعتق امسراً
مسلاً ، استغفر الله بكل ضوضه غصصوا ضمن النار (٩) " .

ولم يح بقوله : (ومن في فك أسرى الحرب فبديتهم) .. إلى قوله تعالى
عن أسرى الحرب : " .. فَأَمَّا مَنَّا بَعْدَ وَإِنَّا فِدَاءٌ .. الآية (٥) " .
ولم ذلك ان بيان الواضح يقطع تلك الألسنة الكاذبة التي لم يعلم منها
إسلام العنيف ، ولم يعلم منها نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم) .
ومن تلك المفتريات ما أشار إليها الشاعر بقوله : (٧)

و (محنة إلافك) برهان يدل على

صدق النبي ، وينفي سائر التهم (٨)

- | | | | |
|-----|--|-----|------------------------|
| (١) | التوبة / ٦٠ | (٧) | صحیح البخاری ج ٨ ص ١٩ |
| (٢) | البلد / ١٢ ، ١٣ | (٨) | صحیح البخاری ج ٣ ص ١٨٨ |
| (٣) | محمد / ٤ | (٩) | نظام البردة ص ١٢ |
| (٤) | الميراد (بحنة إلافك) ما عرف (بعد إلافك) ويتلخص في اتهام السيدة عائشة زوج الرسول (صلى الله عليه وسلم) بخيانته ، لأنها تخلفت عن الصودة مع ركب الرسول (صلى الله عليه وسلم) العائد من غزوة بني المصطلق ، إذ كانت تقضى حاجتها ، فصار القوم غلنا منهم أنها في عودجها ولما رجعت إلى مكان المسلمين لم تجدهم ، فقامت مكانها ، فعمى أن يعود من يأخذها ، ولكن أحد الصحابة كان قد تأخر عن الركب أيضاً ، عندما رآها استرجع فاستيقظت ، وركبت بحيره إلى المدينة ، فلما رأى المنافقون ذلك أرادوا أن يكيدوا للرسول (صلى الله عليه وسلم) باتهامهم السيدة عائشة بخيانته ، وتهمهم في ذلك بعض المؤمنين ، ولكن الله برأها ، وأنزل في حقها قرآنا يتلى ، انظر : سورة النور / ١١-١٩ ، وحياة محمد ص ٣٥ وما بعدها . | | |

لله فيها - وطه في تلبلسه -

من هولها - حكم نعو على الفهم

لو كان من قلبه هذا الكتاب

قضى زمانا طويلا وعوفى فسم

يمذب الشك قلبا منه مثلثسا

بالحب والظهر مفيارا على العزم

ولا يخفى أن الشاعر أشار إلى أن حديث الإفك يدل على أن القرآن الكريم

من عند الله ، لا من عند رسول الله ، إذ لو كان من عنده لما استمر بسيدة

حزينا مهجوما على ما أشيع - كذبا وزورا - عن السيدة عائشة ، هو ومضى صحابته ،

ولكن الله كشف كبره ، وأزال فتنه ، بغزل الرضى ببراءة السيدة عائشة ، التي

أشار إليها الشاعر بقوله (١) :

حتى أتى الرضى بالآيات مملنة

براءة الطهر ذات القدس والمص

زوج النبي ، ابنة الصديق صاحبه

خير البرى بعد خير الخلق كلهم

فأشرقت أوجه الأصحاب من فسر

وجلت أوجه الأعداء بالسفسم

ولا يخفى ما في البهت الأخير من بيان أثر تلك البراءة في نفوس الصحابة

الذين كانوا في هم كبير ، وأثرها - أيضا - في هؤلاء الأعداء أصحاب النفوس

الخبثة .

ويواصل الشاعر حديثه عن المنافقين الذين كانوا يكيدون للإسلام وللرسول

(صلى الله عليه وسلم) ولكن الله حفظهما من كل سوء ، ثم يخرج على الحديث

عن وقوع السحر لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيقول (٢) :

ويستحيل وقوع السحر فيه كسا

روى الرواة بلا فقد ولا فهم

(١) ظل البردة ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣ .

دست عليهم فراحوا يلهمجون بها
والله يخفر عنهم زلة القدم
وكم لأعداء دين الله - سعد
قد الصقوها به ثارا لملهم

يشير الشاعر إلى ما روى عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت
سحر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجل من بني زريق يقال له : لبيد بن الأعم
... الحديث (١) - وبين أن هذا رجم مفترى على الرسول ، وضعه أعداء الإسلام
الذى قضى على دولة أصنامهم ، ومعتقداتهم الباطلة ، والجدير بالذكر أن العلماء
قد انقسموا حول هذا الأمر إلى قسمين بعضهم ينج وقوعه ، وبعضهم يجسبه
بيننا أن ذلك لا يتعارض مع الحصة (٢) .

والجدير بالذكر أيضا أن الشاعر لم يسبق في الإشارة إلى تلك الأفكار بأحد من
الشعراء المعارضين . ثم يظهر بأكثير أسفه على تحول الأمة الإسلامية من قوة
إلى ضعف وما ذلك إلا لأنها أخذت بظواهر الأعمال وتركته جوهرها ، فيقول
- مخاطبا - الرسول (صلى الله عليه وسلم) - عن الأمة الإسلامية إنها (٣) :

حائكك فى صور الأعمال تنبمها
وما اقتدت بك فى عزم ولا هم
ولا كمال ولا صدق ولا خلص
ولا اجتهد ولا عز ولا شمس

ويبدو أنه أراد أن يفصل ما أجمله في البيت الأول ، فذكر أن المسلمين
لا يقرن القرآن ويفهمون معانيه ، بل يتلونه بخير تدبر ، وإذا رأيتهم وعلم
يتلونه أو يستمعون إليه ، خيل إليك أنه يتلى على قوم سكارى لا يتأثرون ، أو على
أموات لا يسمعون ، فيقول (٤)
ولا تقوم إلى القرآن تفروء

إلا آمالي بالألحان والرنم
لأنها أنزلت آى الكتاب لكسى

تلى على شرب راح أو على رجم

(١) صحيح البخارى ج ٢ ص ١٧٦ ، ج ٨ ص ١٤ (٢) زاد المعاد ج ٣ ص ١٠٤

(٣) نظام البردة ص ١٢ (٤) المرجع السابق الصفحة نفسها .

وذكر أينما أن فريقا من المسلمين قد أعجبوا بحضارة الغرب ، فاتجهوا إليها تاركين تراثهم الرائع ، وحضارتهم التي شهد الغرب بمظلمتها (١) ، فيقول (٢) :

رأوا (أوربا) فراحوا يكفرون - على

جهل - يدينهم الموروث والشيم

وأنكروا مجد آباء لهم شهدت

لها فحول رجال الغرب بالقدم

وما لذلك غير الضعف من سبب

فالضعف أصل جميع الجوس والفقم

ويتضرع إلى الله تعالى لكي يمننا برحمته ، لأن الغرب مستيقظ ، أما

الشرق فنائم ، كما أن العرب في غفلة عن الخطر الذي يهددهم ، بل يعادي بعضهم بعضا ، والمدو يترص بهم ، فيقول (٣) :

يا رب رحماك إن الغرب متبسه

والشرق مشغل بالنوم والسام

والعرب في غفلة عما يهددها

لم تحب بليلالي يؤسها الدهم

يا ويحها تتماذى والمدو غسى

أبوابها يرقب الأحداث عن كشم

ويؤكد الشاعر تضرعه ، مبينا أنه يكون سميدا إذا سمعت أمته ، ويكون

شقيا إذا ذلت ، ويتوسل إلى الله برسوله (صلى الله عليه وسلم) والقرآن الكريم قائلا : (٤)

يا رب يا صاحب العرش العظيم ومن

تحى الإرادة منه دارس الرسم

بما بعثت به خير الأنام أجسر

يا رب أعتسه من صفة الصمم

(١) الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ٢٠٩ ٢١٤ ، وما بعدها ، ص ٢٦٩ وما بعدها .

(٢) نظام البردة ج ١٤ .

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٤) المرجع السابق الصفحة نفسها .

•• فطهر الكون ما فيه من رجس

ومن فسوق ومن ظلم ومن أزم

فلا دواء له ما يكابده

إلا هداية خير الرسل كلهم

ثم يرجو من الله أن لا يحرمه من شفاعته النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ولا من الشرب من حوضه ، ثم يدعو (جل جلاله) طالبا مغفرته له ولوالديه ووالدته وزوجته وغيرهم فيقول (١) :

واقتر ذنوب أبى فضلا ووالدتى

وزوجتى وذوى قرباى والرحم

وصل أزكى صلاة منك دائمة

على الرسول ، رسول الرحمة القسم

والجدير بالذكر أن الشاعر لم يسبق بمن طالب مغفرة ذنوب أبيه وأمه وزوجته بالتفصيل مثله ،

ويطلب من الله (سبحانه وتعالى) الرضا عن صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخاصة أبى بكر والخلفاء عمر ، وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وهو فى ذلك ناظر إلى شوقى فى نهجه (٢) .

وأخيرا يختم الشاعر قصيدته بقوله : (٣)

واختم بمسك يفتح على

(محمد) خير جد ، ومختتم

ما أومض البرق فى الظلماء من إضم

وما عطا الريم بين البان والملهم

ولا يخفى أنه يشير بالشرط الأول من البيت الثانى إلى بردة البوصيرى التى نظر إليها فى بعض أفكاره ، كما يشير بالشرط الثانى إلى نهج السبرة لشوقى التى نظر إليها - أيضا - فى بعض أفكاره .

(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٥٦

(١) نظام البردة ص ١٥

(٢) نظام البردة ص ١٥

محمد ذلك الموضع أرى أن معارضة بكثير - نظام البردة - قد تناولت أفكارا كثيرة لم يتمرن لها من سبقه من أصحاب معارضات البردة ، مثل : بيان رسالة المسجد ، وحته على تعليم المرأة ، وبيان أن الإسلام قد أنصفها بإعطائها حقوقا لم نحصل عليها المرأة الأوروبية التي تتباين بالحضارة والتقدم ، كما تحدث عن بعض أركان الإسلام مبينا بعض فوائدها ، أضاف إلى ذلك أنه قد رد على بعض المفتريات التي افتراها أعداء الإسلام مثل : تعدد زوجات الرسول (صلى الله عليه وسلم) وموقف الإسلام من الرق ، وما شرعه للقضاء عليه وحديث الإفك ، بالإضافة إلى تناوله الأفكار التي تناولها سابقوه ، وأحسن فسى تناولها ، وطريقة الحديث عنها مثل : حديثه عن مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وغير ذلك مما سبق الحديث عنه .

(المعارضة الخامسة) " قُربتي "

وأما المعارضة الخامسة فهي معارضة الشاعر : محمود محمد جبر - المعروف بشاعر آل البيت ، وقد ولد في مفاع - إحدى بلاد محافظة النجف - سنة ١٩٠٦ ، وعندما شب ذهب إلى كتاب القرية حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، ثم انتقل إلى المدارس الابتدائية فالثانوية إلى أن حصل على شهادة (البكالوريا) فعمل بالصحافة مدة ، ثم عمل بوزارة الأوقاف التي لم يستمر فيها طويلا ، إذ نقل إلى وزارة الزراعة للعمل بها ثم عمل موظفا بالسكة الحديدية ومنها أحيل إلى المعاش ، ولا زال يشهدو بقصائده ، وخاصة في المناسبات الدينية .

ولقد كان الشاعر كثير القراءة في كتب العرب ودواوين شعرائهم ، فتمت موهبته ، وترنم بكثير من القصائد ، ولكنه قصرها على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وآل بيته ، وكان ذلك سببا في لقبه (شاعر آل البيت) .

والجدير بالذكر أن الشاعر قد زار كثيرا من الدول الإسلامية والعربية ، مثل : الكويت والحجاز ، وسوريا ، ولبنان ، وللمصطفى سنة ١٩٤٨ ، وكان يلقي قصائده في تلك البلاد وخاصة في المناسبات الدينية .

كما نشرت لاسم المجلات المصرية وغيرها كثيرا من القصائد مشـلـ:
مجلة منبر الإسلام ، ومجلة المسلم ، ومجلة لواء الإسلام ، ومجلة الوعي الإسلامى .
وشعره يمتاز بسهولة لفظه ، ولطف معناه ، وإن كان خاليا من عمق الفكرة
ترى ذلك وانحط فى ديوانه (شاعر آل البيت) ، وديوانه (مزامير الإيمان) (١)
وأىضا فى قصيدته : (قُرىتى) - أو نهج جديد للبردة - وهى التى طرأ
بها بردة البوصيرى ، وبلغ عدد أبياتها تسعة وخمسين ومائة بيت ، وقد نظمها
الشاعر فى سنة ١٩٤٢ (٢) ،
ولقد بدأها بالفتول على عادة معظم الشعراء العرب فى بدء قصائدهم (٣)
فقال (٤) :

ورقاء (مكة) بين البان والملم
ناحت فأذكت بقلبي لاهج الضرم
هاتى نواحك يا ورقاء إن لنا
فيما تتوحين محبوا من النفس
قد هجت شوقى فما لى راح يسحرنى
هب النسائم يسرى من رى (سلم)

ولا يخفى أن الشاعر يبين أن ورقاء مكة قد ألهمت شوقه ، كما أن النسائم
الذى هب من جهة (رى سلم) قد ملك له ، وماله لا يكون كذلك وقلبه مشتاق
إلى أرض الحبيب الذى أفصح عنه بقوله (٥) :

(١) كل هذه المعلومات من الشاعر نفسه .
(٢) طبعت تلك القصيدة فى كتيب بمطابع دار الكتاب العربى بمصر سنة ١٩٤٢ .
انظر : ديوانه (شاعر آل البيت) ص ٢١١ طبعة دار الطباعة القومية
بمصر سنة ١٩٥٩ .
(٣) ولقد وضع الشاعر تلك القصيدة فى ديوان (شاعر آل البيت) ص ٢٤
وما بعدها - إلا أنه حذف منها أبياتا كثيرة وجعل مطلعها :
صلى عليك إلهى بارئ النفس
يا بصعث النور فى الأكوان من قدم

(٤) قُرىتى ص ٢١ .
(٥) المرجع السابق الصفحة نفسها .

يا رمل (مكة) هل أبقي النسيم على

خطو الرسول .. بروحي موضع القدم

ولم يترك إلا أن يرحب بذلك الحب ، ويملن ذلك الشوق بقوله : (١)

ياسيد الرسل ما بالشوق غنك غنى

ولا الحنين ولا جرحى بملتئم

ماذا يظهر قلب الصب من درن

إلا هيام يراعى الحق والذمم

ثم : يتحدث عن مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (٢) :

درجت تحبو على أرض قد اكتسبت

منك الطهارة والشهدين من قدم

صوامع الطير حامت حول أيكتهما

تزجي إلى البرزخ لحن الصادح الرنم

وأخذ يبين الأحداث التي وقعت في ذلك اليوم من تصدع الإيوان وانطفاء

النيران ، وغير ذلك ما تحدث عنه سابقوه من طارضا البردة ، كما تحدث عن حالة

المالم قبل مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقبيل بعثته ، فالظلم منتشره

والفساد مملن ، ولما بعث (صلى الله عليه وسلم) كشف الله به الفسقة ، وهدى على

يديه الأمة (٣) :

ثم أشار إلى بعض ما لاقاه الرسول من أذى واضطهاد ، واختار الحديث

عن ذهاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى أهل الطائف ليعدهم إلى الإيمان

بعد أن اشتد به إيذاء كفار مكة .. فقال (٤) :

إني أنصلي أنصلي يوما سرت منتصلا

حصاة (مكة) نحو (الطائف) الأم

وحصبتك من الفلمان شردمة

حتى دميت بروحي ما جرى ودصي

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(١) المرجع السابق ص ٢٢٠

(٢) المرجع السابق ص ٢٣ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥ .

• • • وثلت ثمة ربي أنت أعلم بسى

فأكشف عن السمع إن القوم فى صم

إن الشاعر يلجح إلى إيذاء أهل الطوائف للرسول (صلى الله عليه وسلم)
إذ سلطوا عليه سفهاءهم ، فرموا بالحجارة ، وأدموا قدمه (صلى الله عليه وسلم) ،
والجدير بالذكر أن الشاعر لم يسبقه أحد ممن عارض البردة إلى الإشارة إلى
تلك الفكرة ، وفى البيت الثالث يشير إلى دعة الرسول (صلى الله عليه وسلم)
: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتى •• الخ) (١) ثم أشار إلى أخلاق الرسول
(صلى الله عليه وسلم) التى يمجز عن حصرها ووصفها الواضفون مهما أوتوا من
فصاحة وبيان ، كما أشار إلى شجاعته ومخاطبة فى غزوتى بدر وأحد •

ويبين الشاعر أننا لو اتبعنا شرع الله لارتفع شأننا بقوله : (٢)

لو أننا يا رسول الله غيبتنا

ما قد شرعت لصدنا سائر الأمم

ثم يذكر جهاد الصحابة وشجاعتهم التى مكنتهم من حرب الفرس والروم
ونشر الإسلام فى كثير من البلاد ، كما يبين أنهم اتصفوا بالصفات الحسنة
والمبادئ الكريمة ، فيقول (٣) :

قوم أغاروا على الأعجام واقتحموا

أبواب (فارس) فانظرأى مقتحم

وملكوا الشام والأمصار وافتتحوا

ملك القياصر بالوخادة الرسم

المدل والحلم والإنفاق ديدنهم

والصدق فى القول والتحفيظ للهمم

الله والشرع والقرآن راعدهم

ومن يلد بحدود الله يعصمهم

ويشير إلى بعض معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثل أنشاق القمر

(١) انظر حياة محمد ص ١٨٧ وما بعدها •

(٢) قرىبتى ٢٧ •

(٣) المرجع السابق ص ٢٨ •

وممطرة شاة أم ممبد، التي در لبنها على الرغم من هزالها ، عندما حلبها
الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو في طريقه من مكة - مهاجرا - إلى المدينة ،
ويختم تلك الإشارة بقوله (١) :

يا أم ممبد من يلق الرسول يجد
من رحمة الله ألوانا من الكرم

ثم ينتقل إلى الحديث عن المصراع - مع أنه وقع قبل الهجرة على الصحيح -
ولكنه لم يقف عند طريقة إشارة السابقين إلى تلك الممطرة ، بل زاد على ذلك
بيان إمكان حدوثها وكأنه يرد بذلك على من ينكرها فيقول (٢) :

ممرجه صلوات الله تكلوه
وقوة الله شيء بالغ المظلم
والكهرباء أليست كشف تجرسة
تلقى الضياء على أسرار وسهم
آيات مولاي ترى كل آتية
سبحان من علم الإنسان بالقلم
أيوه منون بذر سوف يهلكهم
ويكفرون بربى بارى النسم

ويشير إلى أن بعض هؤلاء المنكرين قد اخترعوا الذرة ، واستخدموها في
الدمار والخراب بقوله (٣) :

يارب يارب إن القوم قد فجروا
وفجروا الذر للإضرار والهم
والأمر أمرك فاهلكهم بما صنموا
وانقذ عبادك من حتف ومخترم
ويشكو إلى الله تعالى عدم تعاون الناس وتعاطفهم فيقول (٤) :

-
- (١) المرجع السابق ص ٢٩٠
(٢) المرجع السابق ص ٣١٠
(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها .
(٤) المرجع السابق ص ٣٢٠

الله لو أننا سرنا توازرنا .. روح من الحمد لا روح من اليرم
الله لو أننا كنا سواسية .. لم ندع إلا إلى عدل ونحسبكم
.. الله الله لو هبت جحافلنا .. لنصرة الشرق لم نجنح إلى الغم
وصار أمر الهدى شورى وألقتنا

عهد نبيهم من دون ما قسم
الله الله كان المسلمون إذن
بين السكاكين لا في وصة السـ
ياسدى لى شكاتى أنت تعلمها
وذا حنينى وذا جرحى وذا ألسى

ويدوان الشاعر نعى ترتيب أفكاره - زنيا - ولذلك يقول (١) :

هدى إلى الفار والمختار من منزل
عن الخلائق يجلو صفحة الظلم
ثم بين الفرق بين معاملة الرسول للكنار ومعاملتهم إياه فيقول (٢) :

قد كنت أكبرهم قلبا وأرحمهم
وكنت منقذهم من وهدة المـ
فما لهم حين أزعجت الهدى انقلبوا

وحاربوا الدين دين الحق والقيم
ويمدح الشاعر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مبينا بعض صفاته الكريمة
ثم يمتدح بمجيزه عن الإحاطة بمناقب الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيقول (٣) :

قال الرواة كثيرا فى مناقبه

ماذا أقول ، وماذا يبتغى قلمسى

.. المجز عجزى فما يسموله أحد

من ذاك يستطيع أن يرقى إلى النجم

المجز عجزى فمن ذا يستطيع إذن

حصر المكارم والأخلاق والشيم

(١) قرئى ص ٢٤ . (٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٣) المرجع السابق ص ٣٥ وما بعدها .

المجزز عجزى ولى فى المجزز مغفرة
 أنى عيت هنا فى ساحة البهم
 ياسيدى لم أجد فى القول شافية
 تشقى الفليل وترضى بغية النهم
 ويخاطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) مبينا أنه يحبه حبا شديدا بقوله (١) :
 ياسيدى هل أحب الناس سيدهم
 كما أحبك لا .. والحق ملء فى
 أقسمت بالقلب ما بالقلب غيركم
 الحب ياسيدى .. يجرى هنا بدمى
 ويستمر الشاعر فى بيان حبه للرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى يتحدث عن
 نسبه الشريف ، وأنه من قبيلة ربيعة القدر ، عظيمة الشأن ، وأنه قد زادها شرقا
 فيقول (٢) :
 من يستطع يا رسول الله يشبهكم
 فى دوحه المجد أو فى دولة الشيم
 من يا رسول الهدى يجرى يلاحقكم
 وأنت فيما نرى فى قمة القمم
 ثم يجرد من نفسه شخصا ينصحه قائلا (٣) :
 أخرج من القلب أضفانا تلوثه
 واغسل ثيابك واهجر صفة الهكم
 أقبل على الله واسلك نهج من وصلوا
 يحبهم لرسول الله واعتصم
 سر نحو روضه زحفا إن انقطعت
 بك الوسائل تشم كل مفتسم
 ويبين قيمة حب الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى القلب والنفس والروح
 بل والكون فيقول (٤) :

(١) انرجع السابق ص ٣٧

(٢) المرجع السابق ص ٣٨

(٣) المرجع السابق ص ٣٩

(٤) قريتى ص ٤٠

ما قيمة القلب قلبا لست تسكنه
 أليس كالحجر الجلود من وهم
 ما قيمة النفس لولا ما يخالجها
 من حبها وهي عنك الممر لم ترم
 ما قيمة الروح لولا ما يطهرها
 وأنت وحدك طهر الروح من قسدم
 ما قيمة الكون لولا نور ظلمته

أقسمت بالنور أن أسمى إلى (الرقم) (١)

ويواصل الشاعر مدح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأنه فرد في أخلاقه
 ومنزلته ، إلى أن يصف ذلك اليوم الذي قبض فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
 إذ كان يوما شديدا وقع على المسلمين ، بل على الأرض والسما ، والجناد والحيوان
 فيقول (٢) :

في حيرة من دموع الأرض هل فرج
 أن قد سعدت به أم تلك من أزم
 أما السماء فلا أدري أها ظلمها
 غيث على القبر أم فيض من الألم
 ما للمدينة كان البشر يطؤها
 فأصبحت في وجوم غيرة الأدم
 وهذه الطير لم تبج مطالرحها

ماذا دهاها وحول الحى لم تحم
 ولا يخفى ما في الأبيات من عبارات مؤثرة مثل : (دموع الأرض ، من أزم ، غيث
 على القبر ، فيض من الألم ، فأصبحت في وجوم غيرة الأدم ، ماذا دهاها) ، إنها
 عبارات توحى بأن أمرا عظيما قد حدث ، وتشير إلى أن خطبا أليما قد وقع ، ولقد
 أحسن الشاعر في اختيارها ، إذ ليس هناك أفضل من رسول الله ، وليس هناك
 عزيز نبكى على موته مثل رسول الله ، والجدير بالذكر أنه لم يهبط بحثل ذلك التفصيل
 ويصتوف الشاعر بتقصيره في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ثم

(١) الرقم - بفتحيتين فسكون - جبل بمكة .

(٢) قرنتى ص ٤١ .

يشير إلى تأثيره في نظم قصيدته بالهوسيري فيقول (١) :

إلى (الهوسيري) أعتنى الهام معتزنا
بالفضل والسبق في مدح وملتزم
تو (قريتي) يا أخى في الحب أرسلها
إلى الحبيب فهل يرضيه تسمى؟
أزجيتها درة يلقى بها شرفا
ذكر النبي بقلب مخلص وفهم
عيني تقر بها إن قال قائلها
يارب صل على المختار في القدم

وأخيرا يختم الشاعر قصيدته بالتضرع إلى الله تعالى أن يصل على الرسول
(صلى الله عليه وسلم) وعترته ، وأن يقبل شمره ومدحه فيهم ، وأن ييسر
له حج بيت الحرام فيقول (٢) :

يارب صل على (طه) وعترته
واقبل قريضى ، وتبلى زرة الحرم
محمد أنت نور النور في غسق
وأنت ياسدى بدنى ومشتتمسى

ومحمد ، فلئن ضاقت أغراض تلك الممارسة ، وكلت أفكارنا ، لم نخجل
من جديد إلى جانب التقليد ، مثل الإشارة إلى إيذاء الرسول في الطائف
وسيان سمة صدره ، وكبير حلمه وغفوه ، بالإضافة إلى الرد على من ينكسرون
معراج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وتفصيله أثر وفاة الرسول (صلى
الله عليه وسلم) .

(١) المرجع السابق ص ٤٢٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٣ .

المما رضة السادسة : ((بُشْرَى الماشقين ببلوغ سيّد المرسلين))

وأما الممارضة السادسة فهي معارضة الشيخ : محمد خليل الخطيب ،
الملقب بشاعر النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ولقد ولد في (نيدة) - إحدى
قرى مركز إخميم بمحافظة سوهاج - سنة ١٩٠٩ هـ ، ونشأ حيث ولد ، وعندما
شب دخل كتاب القرية فحفظ القرآن الكريم بعدما تعلم هادي* القراءة والكتابة
ثم التحق بمعهد أسبوط الديني ، ومنه انتقل إلى القسم العالي بالقاهرة
بعد حصوله على الشهادة الثانوية الأزهرية - وكان من أوائل الناجحين فيها ،
ثم حصل على الشهادة العالمية سنة ١٣٥٠ هـ ، كما حصل على شهادة
التخصص في اللغة العربية سنة ١٣٥٤ هـ ، ثم حصل على شهادة العالمية
سنة ١٩٣٦ م .

ولقد عمل مدرسا بمعهد طنطا الديني حتى أحيل إلى المعاش سنة ١٩٢٤
ولا يزال يُدرّس العلم حسبة لله . وينفع الناس بدوائه ومحاضراته الأسبوعية
بمسجد المحافظة بمدينة طنطا .

شاعريته :

نظم الشيخ الخطيب الشعر وهو صغير ، ثم ازدادت شاعريته
بازدياد ثقافته العربية والدينية ، إلا أنه قد قصر نظمه على مدح النبي
(صلى الله عليه وسلم) وآل بيته ، ولمل بيئته كان لها أثر كبير في ذلك الاتجاه
إن كان والده (رحمه الله) حائظا كتاب الله ، وعالما بفقته الناس في أمـهـم
دينهم .

مؤلفاته :

وللشيخ الخطيب مؤلفات كثيرة منها :

١- إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام .

٢- القصص الحق .

٣- روضات الخطيب .

- ٤- رباعيات الخطيب •
- ٥- كشف الفضا في شرح حكم سيدى أحمد بن عطاء •
- ٦- غاية الطالب في شرح ديوان أبى طالب •
- ٧- نقاية التصوف وشرحها •
- ٨- التراجم المهمة للترجمة الأئمة •
- ٩- الكافية الكبرى •
- ١٠- بشرى الماشقين ببلوغ سيد المرسلين (١) •

وهى التى عارض بها بردة البوصيرى ، وسعى من أطول معارضات البردة فى العصر الحديث - إن لم تكن أطولها - إن بلغ عدد أبياتها ثلاثة وستين وخمسمائة بيت تقريبا ، وقد نظمها فى سنة ١٢٦٧ هـ (٢) •

وهى نفذة نبوية ، كما قال الشيخ وهو يهديها إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

يا سيد الخلق يا نور الوجود ومن

أولاك مولاك ما أولاك من عظم

أهديك (بشرى) روا بشرى الألى عشقوا

خير الأنام فنالوا أحب حبهم

• • • نظمها وبقينى أن فضلك

أمدنى بجمانيها والكلم

فاقبل هدية منسوب لكم وكلم

أشماره أصبحت نورا على علم

والجدير بالذكر أن الشيخ لم يبدأ قصيدته بالفتل ، بل بدأها بمطلع رآه فى نومه كما قال : • • • رأيت مظلما - بشرى الماشقين - فى المنام ، فكان بشرى تحققت بزيارة خير الأنام ، وقد طمت إلى يده الكريمة (صلى الله عليه وسلم) فى سنة - بكرم المين - مرتين ، فأهويت إليها بنفسى مرتين (٣) •

(١) هذه المعلومات من الشيخ نفسه •

(٢) بشرى الماشقين ص ٤٩ •

(٣) المرجع السابق ص ٢ •

وسهما يكن من شيء فإن مطلق تلك القصيدة قد اشتمل على بشري
يتمناها كل مسلم ونرى (١) :

بشري لنا معشر العشاق من قدم
فقد بلغنا إمام الحرب والمجسم
وأفضل الخلق في خلق وفي خلق
عليه أثنى إله الخلق بالمظلم

وسير الشيخ إلى أن الله قد صلى على الرسول (صلى الله عليه وسلم) .
وكذلك ملائكته بقوله (٢) :

عليه صلى ، كذا صلت ملائكة
وعمره خصه الرحمن بالقسم
وبالصلاة مع التسليم تكملة
الله ألزم من ألقى يد السلم
ومن يعلى عليه مرة فليسه
عشر من الله ذي الآلاء والكرم

ولا يخفى أن قوله : (عليه صلى ..) يشير إلى قول الله تعالى : " ..
إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ " ، يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً (٣) .
وهذا ما أكد به البيت الثاني ، كما أن قوله : (وعمره خصه الرحمن بالقسم)
يلج إلى قوله تعالى : " لَمَّا زَكَرَ أَنْسَهُمْ لَقِي سَكْرَتِهِمْ يَعْصُونَ (٤) " ، ونرى
البيت الثالث إشارة إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) " من صلى على واحدة
صلى الله عليه عشراً " (٥) .

ولا شك في أن ذلك كله يبين عظم منزلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
عند ربه (سبحانه وتعالى) . ثم تحدث الشيخ عن حالة العالم قبل بعثته
(صلى الله عليه وسلم) فذكر أن الظلم كان منتشراً ، بالإضافة إلى عبادة الأصنام

(١) المرجع السابق ص ٣ . (٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .
(٣) الأحزاب / ٥٦ .
(٤) الحجر / ٧٢ .
(٥) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٧ (طبعة دار التحرير) .

وشرب الخمر ، ووأد البنات ، وإذا كان قد سبق من أشار إلى تلك الأفكار فإنه قد زاد أفكارا أخرى مثل حمل الإمام على البغاء ، ومقتل تأخيسير الأشهر الحرم ، وهو ما عرف بالنسيء - فقال : (١)

وربما حملوا بعض الإمام على
بيع العفاف بمردول من القيم
والبعض يسطو على بعض فلا سلم
غير الحرام ، وغير الأرج الحرام
وربما نسئوها إذ تمن لهم
فيها مصالح قد دعواهم لسفك دم

ولا يخفى أن البيت الأول يلح إلى قوله تعالى : " وَلَا تُكْرِهُوا
فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " الآية (٢) .
كما أن البيت الثالث يشير إلى قوله تعالى : " إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي
الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا " الآية (٣) .

ولقد بين الشيخ الخطيب تحكم ملوك الفرس والروم في رعيتههم ، وانتشار
الظلم بينهم ، ثم انتقل إلى الحديث عن العرب فذكر أن منهم رجلا لا
يتصفون بالكرم وحفظ الجوار ، إلا أن أحسنهم رسول الله (صلى الله عليه
وسلم) بقوله (٤) :

وإن أحسنهم رأيا وأعظمهم
نفسا وأكرمهم في البدن والختم

محمد صفوة الباري ورحمته

والذخر والنعمة الكبرى على النعم

ويبدو أن الشيخ قد نظر إلى نهج البردة لشوقي ؛ لأن الشطر الأول
من البيت الثاني هو من قول شوقي (٥) :

محمد صفوة الباري ورحمته . . . وخفية الله من خلق ومن نعم

(١) بشرى الماشقين ص ٤ وما بعدها .

(٢) التوبة / ٣٢ .

(٣) النور / ٢٢ .

(٤) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٤ .

(٥) بشرى الماشقين ص ٥ .

ومهما يكن من شيء ، فقد انتقل إلى الحديث عن مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله (١) :

يا ليلة ولد الهادي الأمين بها
تالله ما ليلة تحكيك في المظم
بك الحبيب أتى ، أعظم بمقدمه
أكرم به فهو خير الخلق كلهم
ما زال من طاهر يهدي لطاهرة
حتى بدا ملكا في صورة النسيم

ثم يذكر بعض الأحداث التي تحدث عنها معارضو البردة قبله مثل
تصدع الإيوان وغير ذلك ، كما تحدث عن الخير الذي عم السيدة حليلة الممديّة
بسبب إرضاعها الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأشار إلى شئ صدره (صلى الله عليه
وسلم) .

وإذا كان الشيخ قد سبق بمن أشار إلى تلك الأفكار ، فإنه قد أشار
إلى فكرة جديدة لم يتحدث عنها من سبقه وهي وفاة والد الرسول وهو في بطن أمه ،
ووفاته والدته وهو في السادسة من عمره فقال (٢) :

وأم خير البرى وافي الحمام ، وهل
ينجو من الموت غير الواحد الحكم
إن كان حين قضت في سن سادسة

فإن والداه قد مات في الرحم
ووالداه من التكرم حسبهما
أن أنجها خير من يمشی على قدم
وأن أصلهما سام وأمرهما

يوم الجزاء لرب واسع الكرم
ويدو أن الشيخ يشير بقوله : " . . . وأمرهما . . . يوم الجزاء لرب واسع
الكرم " إلى اختلاف الملطاء في مصير أبوي الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، أهكما
ناجيان لأنهما من أجل الفترة أم لا ؟ (٣)

(١) بشرى الماشقين ص ٥٥ (٢) المرجع السابق ص ٨ .

(٣) شرح البيهقري على الجونية ج ١ ص ٢٦ .

ثم أشار إلى كقالة جده عبد المطلب إياه ، وحفاوته به ، وكقالة عمه
أبي طالب بمد وفاة جده بتوله (١) :

وجده شيعة عاد الكميل له

ولم يشب بأداة بالغ السرام (٢)

وقد أناط به شيخ الأباطح من

بمد الوفاة فكان البرذا الرحم (٣)

كما تحدث عن بعض صفات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وأشار إلى بعض
مالقيه من قومه من الأذى ، وألح إلى تحذيب بعض أصحابه مثل بلال وغيره
مما دفع الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى أن يأمر أصحابه بالهجرة إلى
الحشة ، لأنه كان يتوسم في ملكها الخير فيقول (٤) :

وحيثما وصلوها وصلوا ملكا

كأنه ملك في المدل والرحم

فجاءوا خير جار عنده أضوا

دينا ودنيا ولم يلحقأذى بهم

وذكر أن قريشا قد قاطمت الرسول وأصحابه ثلاث سنوات بمعد قطعوه
على أنفسهم في الصحيفة التي ألظفها الأرض إلا (باسمك اللهم) والجدير بالذكر
أن البارودي قد أشار إلى ذلك في معارضته (٥) :

ثم تكلم الشيخ على الإسراء والمراج فأشار إلى ما أشار إليه سابقوه ،
من عارضوا البردة ، ولكنه قد زاد بعض الأفكار مثل تأخر جبريل عن الرسول
وهو في السماء ، قائلا له (صلى الله عليه وسلم) : إلى هنا ينتهي مقامى ولو تقدمت
لاحتزقت ، نجد ذلك في قوله (٦) :

(١) بشرى العاشقين ص ٩٠

(٢) شيعة : عبد المطلب ، الرأم / المطف .

(٣) شيخ الأباطح : أبو طالب .

(٤) بشرى العاشقين ص ٩٠

(٥) كشف الغمة ص ١٥٠

(٦) بشرى العاشقين ص ١٤٠

ومنذ تأخر جبريل هتفت بسـه
أيترك الخل من بهواه في نأـم
نقاس : ذا موضعي لو قدر أنملة
جاوزته كت بالأنوار ذا عـدم

وزاد أيضا الإشارة إلى فرض خمسين صلاة ثم خفت إلى أن صارت خمسا
في الممل، وخمسين نسي الأجر والثواب بقوله (١) :

وقد غدت بكبير من مراجمة
خسا لدى فعلها خمسين في القيم

ثم رد على من أنكر الإسراء والمصراع بقوله (٢) :

تبنا لمن أنكر الإسراء ونسوي حـرى
كم طائرات تجوز الصرت في الرسم
ولا غواية في حشر الكرام لسـه
مستقبلين فليسوا من ذوي المـدم

وأمر بمراجعته لا يمد فيه على

غير الذي قلبه بالحمد عنه رمى

وذكر الشيخ أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد أخبر الناس بأمر
إسرائه، قال سميد من صدقه، والشقي من كذبه، ثم انتقل إلى الحديث عن
الهجرة، فبين ما اتفق عليه المشركون من قتل الرسول ولكن الله حفظه، وأمره
بالهجرة فخرج من بيته وهو يقرأ (يس)، ثم ذهب إلى أبي بكر فذهبا سويا
إلى الفار، فجاءت حمامتان، ووقفتا على باب النار، كما نسي المنكوب خيوطه،
ثم أشار إلى قصة سراقه، وقصة أم معبد، واستقبال أهل المدينة له (صلى
الله عليه وسلم) بالبشر والتكبير قائلين (٣) :

الله أكبر هذا النور نورنا

الله أكبر شكرا وأحب النعم

(١) المرجع السابق ص ١٦٠

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٠

وانتقل إلى مدح أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) فوصفهم بأنهم
أعزة في تواضعهم ، شجعان في حروبهم ، باعوا نفوسهم لله (١) :

ومن يبيع نفسه لله فاز بما
ينميحه منه بداريه من النعم
حازوا رضا ، وعنه قد رضوا وهم
أحبابه وله أعظم بحبهم

وإذا كانت تلك الأفكار قد أشار إليها موارض البردة قبل الشيخ الخطيب
فإنه قد زاد على من سبقه الوصية باحترام الصحابة وعدم الخوض فيما جرى
بينهم من الحروب، ولعله يقصد بذلك ما جرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية
ابن أبي سفيان (٢) من حرب ، فقال (٤) :

إياك إياك خوضا في شجارهم
فكلهم ذو اجتهاد للثواب نسي
هم شيدوا الدين بل هم بلغوه فمن
رماهم ضرب الإسلام في الدعم
إن سالموا بعضهم أو حاربوا فهم
لله ما فعلوا ، والحكم للحكم
فاحفظ لسانك واحذر أن تحركه
بما يجرك في داريك للندم

ثم أشار إلى القرآن الكريم، فوصفه بأنه ممجزة لا يستطيع الإنسان والجسم
أن يأتوا بمثله ، إذ معانيه لا تحده ، ولا يمل قارئه ، أعف إلى ذلك أن الله
قد حفظه من التبديل والتحريف ويوصي بتلاوته والتمسك به بقوله (٥) :

فعل إليه وعنه لا تمثل أبدا
ورؤ نفسك من سلالة الشيم

-
- (١) المرجع السابق ص ٢٠ .
(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ق ١ ص ٢١ .
(٣) بشرى الماشقين ص ٢٤ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٥ .
(٥) المرجع السابق ص ٢٢ .

•• من يتخذهُ إماماً قاده لهدى
ومن يدع أمره فى النار ينقحم

وتحدث عن فصاحة الرسول (صلى الله عليه وسلم) التى تشهد بها سنته
المطهرة ، ويشير إلى أنها تلى القرآن فى المترلة كما أنها فصلت مجلسه ،
بقوله (١) :

يا أفصح الناس من بدو وحاضرة
لقد حببت بيانا جامع الكلم
الله أكبر إن الذكر منزله
أولى ، وقولك يتلو الذكر فى المزم
فصلت بالسنة الفراء * مجلسه
فكان أدنى الجنى من كف مستلم

ويتحدث عن الشريعة الإسلامية التى ساوت بين الناس ، ولو أن المسلمين
طبقوا أحكامها لمصمتهم من الزلل ، وتقتبهم شر الفتن والمحن ، فيقول (٢) :

والطة السحة الفراء جنت بها
نورا من الله يجلو داجى القتم
الناس أجمع فى أحكامها شرع
فدو الثراء كروب الخلة المدم
عمت وتمت فلو أن البرى أخذوا
بحكمها لفدوا فى أوثق المصم
هى الدواء لدا الكون أجممه
والله ما غيرها يشفى من الوصم
إن الدواء عليم الداء قسدره
فيه الشفاء لدا الفرد والأمم

وينقل إلى الحديث عن سياسة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الحكيمه
التي كانت سببا فى جمع المسلمين بعد تفرقهم - ولعله يشير بذلك إلى

(١) المرجع السابق ص ٢٦٠

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٠

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار - فيقول (١) :
يا أكمل الخلق من كل العقول إذا

له أضيفت غدت في غاية الصدم

لو لم يكن منك إلا أن نظمهم منو

بعد التفرق نظم الخط بالقلم

فشد بعضهم بعضا فلو وقصصت

شكاة بعض شكا كل من الألم

وبين أننا لو اقتدينا بالرسول (صلى الله عليه وسلم) لحلت مشاكلنا ،

وانتشر العدل بيننا ، فيقول (٢) :

ولو مشى المصر في منهاجه لراى

حصل المشاكل ميسورا بخير دم

وعنه نور عبد السلام فانقشمت

غياهب الحرب والإجفاف والظلم

وستمر في بيان حسن معاملة الرسول ، من إحسانه إلى الصغار ، ومن

عفو عن الظالم ، ومن لينه في غير ضعف ، وشدته في غير عنف ، فكل ذلك

كان سببا في تحويل الأعداء إلى أصدقاء ، والبغضاء إلى محبة .

ويشير الشيخ إلى معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيذكر منها

معجزات كثيرة مثل : حنين الجذع ، وتسليم الأشجار والأحجار ، وانشقاق القمر ،

وإذا كانت هذه المعجزات قد أشار إليها بعض مراض البردة قبل الشيخ

فإنه زاد عليهم بعض المعجزات الأخرى مثل : تكثير الطعام القليل ، حتى

أكل منه رجال كثيرون (٣) . وحلبه الشاة الهزيلة (٤) ، وإخبار الذئب عن تبؤسه

(صلى الله عليه وسلم) (٥) ، وكلام الشاة المسمومة له (٦) ، وغير ذلك كثير ، بل إن الشيخ

(١) المرجع السابق ص ٢٨ .

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٣) طبقات ابن سعد ج ١ ق ١ ص ١١٢ .

(٤) المرجع السابق ج ١ ق ١ ص ١١٨ ، (وعنده الشاة غير شاة أم معبد)

(٥) المرجع السابق ج ١ ق ١ ص ١١٤ .

(٦) المرجع السابق ج ١ ق ١ ص ١١٢ .

قد عد كل فعل الرسول معجزة فقال (١) :

من يتقى عد آى المصطفى الملم

وكله آية ، فى الفعل ، فى الكلم

فى العمل فى الهجر فى ضيق وفى سمة

فى الأخذ فى الرد ، فى حرب وفى سلم

فى المغوى فى الأخذ ، فى حلم وفى غضب

فى الزهد ، فى الجود فى الإيثار ، بالذم

وانغرد الشيخ بالحديث عن اليهود ، فذكر أنهم كانوا يقتلون الأنبياء ،

ويتعاملون بالريا ، وغير ذلك فى قوله (٢) :

إن اليهود وقانا الله شرهم

فى اللوم قد بلغوا الأقصى من الرقم

كم استطالوا على من أرسلوا سفها

وقتلوهم ، وكم آذوا لربهم

بالمصطفى استفتحوا من قبل مبعثه

ومعه جحدوا المعروف كابنهم

المجل قد عبدوا ، والنور قد شهدوا

والله قد جحدوا ، خاسوا بمهدهم

كم للريا أكلوا ، كم للخنا فعلوا

لم ينف بعضهم بمضا عن الجبرم

ولا يخفى أن البيت الثانى يشير إلى قوله تعالى : " ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ " (٣)

كما أن البيت الثالث يلمح إلى مثل قوله تعالى : " وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ " الآية (٤) والبيت

الرابع يشير إلى مثل قوله تعالى : " وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ

(١) بشرى العاشقين ص ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٢ وما بعدها .

(٣) البقرة / ٦١ .

(٤) المرجع السابق / ٨٧ .

الْمَجْلَ مِنْ بَحْدِهِ . . الآية (١) .

كما يلح البيت الخامس إلى قوله تعالى : " وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَلْبِهِمُ السُّخْتُ . . الآية (٧) " ، وقوله تعالى : " كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُكْرَمَتِهِمْ فَعَلُوهُ . . الآية (٣) " .

ومهما يكن من شيء ، فإنه انتهاز فرصة حديثه عن الربا ، فذكر أنه يفتك بمال الإنسان ، بل أشار إلى أن الله يحارب اثنين : من يتعامل بالربا ، ومن يحارب أولياء الله فقال (٤) :

من خال أن الربا يربو الثراء به
غير تخيل أن الشحم في هم (٥)

تراه يربو ولكن في نهايته —
بالمال يفتك فتك الليث بالفتم

ما حارب الله غير اثنين : رب ربا
ومن لأحابيه آذى ولم يجسم

ولا يخفى أن البيت الثالث يشير إلى قول الله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . . الآية (٦) " ، وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الحديث القدسي الذي يرويه عن الله (عز وجل) : " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب — الحديث (٧) " .

ثم يتحدث عن زوجات الرسول (صلى الله عليه وسلم) وشر تعدد عنهن ، وإذا كان (باكير) قد سبق الشيخ في الحديث عن ذلك (٨) فإن حديثه كان موجهاً أما الشيخ فقد فصل تلك الفكرة ، وأخرس الألسنة ، بحججه القوية ، ورائعته الساطعة ، فقال (٩) :

- | | | | |
|-----|---|-----|------------------------|
| (١) | المرجع السابق / ٦٢ | (٧) | المائدة / ٦٢ |
| (٢) | المرجع السابق / ٢٩٠ | (٤) | بشرى الماشقين ص ٢٤٠ |
| (٥) | غير (بكسر الفين) الذي لم يجزب الأمر فيسهل خداعه . | | |
| (٦) | البقرة / ٢٧٨ ، ٢٧٩ | (٨) | صحيح البخاري ج ٨ ص ١٣١ |
| (٩) | انظر ص ٦٤ من هذه الرسالة | (٩) | بخري الماعقسين ص ٣٥ |

لله أزواجه اللاتي شرعن به
ونلن ما لم تنل أنثى من المعظم
قد ضمن رسول الله في كشف
ومن يضم رسول الله لا يضم
أنس لوحشته ، عون لدعوتهم
بت لشريعته ، أمن من السام
أحواله ذكرت ، آدابه نشرت
أحكامه نقلت للناس كالحكم
ما يمنع الخيد أن يملن من رجل
علمن من عادة من غير محتشم

يبين الشيخ في تلك الأبيات أن زوجات الرسول كان لهن فضل كبير
في تعليم الناس أمور دينهم - ولعله يقصد بذلك السيدة عائشة بخاصة
إذ روت عن الرسول أحاديث كثيرة - وخاصة في تعليم النساء الأمور الدينية
الخاصة بهن .

ثم ينتقل إلى الرد على ما يتخبره أعداء الإسلام من شبه حول تمسده
زوجات الرسول فيقول : (١)

قد جاز خمين عاما وهو مختصر
على خديجة ذات الحزم والكرم
وما ابتغى غيرها حتى قضت كرمها
وحسن عهد وإحسانا على قدم
لو أنه لا يتغنى الأبقار مثل دهمي
دون الأياض الألى أدنى إلى هرم
لكنه الدين يهني أن يؤسده
ومن يقل فيه لا ينطح سوى الهرم
نعم لو كان زواج الرسول من أجل الشهوة كما يزعم الزاعمون ، فلماذا
اقتصر أول أمره على زواج السيدة خديجة ولم يتزوج غيرها إلى أن ماتت

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها .

وكان سنه إذ ذاك خمسين عاما ، أضاف إلى ذلك أن من تزوجهن بمسند
وفاة السيدة خديجة كان أغلبهن سنات ثيبات أرامل ، والذي يتزوج لشهوة
يختار الجميلات اللاتي لم يتزوجن من قبل ، فما رد هؤلاء الأفاكسين
على تلك الحجة ، بل لماذا لم يتحدثوا عن الأنبياء السابقين ، إذ كان
منهم من تزوج مائة وأكثر من ذلك ، كما قيل عن نبي اللهداود (١) ونبي اللس
سليمان (٢) (عليهما السلام) ، وهذا ما أشار إليه الشيخ في قوله : (٣)

كم نال داود من أنثى ، وكم ملكت
يد سليمان من ريم ومن عصم

كما بين حكمة زواجه (صلى الله عليه وسلم) (٤) :

وليس منهن إلا من تزوجها

لحكمة لم تكن تخفى على فهم

مكاننا أهلها ، أو عاقدا صلة

بقومها ، أولها مرغية الحريم

أو هادما عادة في قومه رسخت

والهدم بالفعل فوق الهدم بالكلم

كزئب ، والذي ينس إليه هوى

فيها على رأسه يهوى إلى الحطم

لم يهونها عادة عذراء خالصة

فكوف والنزج محبوب إليه نسي

الله زوجها مختارة ففضى

على المصرة في أنثى دعيهم

إنه يلح بقوله : (مكاننا أهلها) إلى زواج الرسول (صلى الله عليه وسلم)

بمأثقة وخفصة (٥) ، وقوله : (أو عاقدا صلة بقومها) إلى زواجه

(١) انظر قصص الأنبياء ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٣) بشرى الماشقين ص ٢٥ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٦ .

(٥) سبق الحديثان في ص ٦٧ من هذه الرسالة .

بميمونة (١) وصفيّة (٢) ، وقوله : (أولها مريّة الحرم) إلى زواجه بميمونة
وأم سلمة (٣) ، كما أشار بقوله : (أوهادما عادة ٠٠) إلى زواجه بزینب بنت
جحش (٤) لإبطال عادة التهنى التي كانت منتشرة عند العرب ، وكان الرسول
(صلى الله عليه وسلم) قد زوّجها المتنبّه زيد بن حارثة ، ويشير الشاعر بقوله :
(الله زوجهما مختارة ٠٠) إلى قوله تعالى : " فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا
زَوَّجْنَاكُمَا لِئَلَّا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ
وَطَرًا ٠٠ الآية (٥) . "

كما يشير بقوله : (لم يهوها عادة عذراء خالية ٠٠) إلى ما ذكره
المستشرقون الكاذبون ، أن الرسول تزوّج زيد وهو غائب فاستقبلته زينب
فوقع منها في قلبه شيء ، لجمالها ، فقال : سبحان قلب القلوب ٠٠ (٦) وقد كذبوا
فيما قالوا ، لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو الذي زوّج زينب لزيد ، وعلى
ابنة عمته ، وزينب بمينه ورعايته ، فكانت معرفته بها قوية (٧) ، ولو أراد لها
لنفسه زوجة ما ضمه أحد ، ولكنها الافتراءات الخبيثة ، والادعاءات الكاذبة ، لمن
الله من افتراها .

والجدير بالذكر أن الحديث عن السيدة زينب بنت جحش لم يشر إليه أحد
من عارض البردة قبل الشيخ ، كما أشار إلى فكرة جديدة أيضا في قوله (٨) :
وقد منجن نكاح الغير تكملة

لقد رتبنا وقدر السيد النجم (٩)

-
- (١) هي السيدة : ميمونة بنت الحارث الهلالية ، توفيت سنة ٥١ هـ ، وقيل : غير ذلك (أسد الغابة ج ٢ ص ٢٧٤) .
 - (٢) هي السيدة : صفية بنت حيي بن أخطب غوثية ، سنة ٣٦ هـ ، وقيل : غير ذلك (المرجع السابق ج ٢ ص ١٧١) .
 - (٣) سبق الحديث عنهما في ص ٦٢١ من هذه الرسالة .
 - (٤) عن السيدة / زينب بنت جحش الأسدية توفيت سنة ٢٠ هـ (المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٥) .
 - (٥) الأحزاب / ٣٧ .
 - (٦) حياة محمد ص ٣١٥ وما بعدها .
 - (٧) المرجع السابق ص ٣٢٢ .
 - (٨) بشرى الماشقين ص ٣٦ .
 - (٩) يلاحظ أن دخول (أل) على لفظ (غير) هنا غير فصيح .

ما كان إيداعه منكم وليس لكم
زواج أزواجه فلتحذروا أنفسى
وحقهن كحق الأم مفتـرض
وإن تزوجن فالزوجات كالخدم

إن الشيخ يشير فى تلك الآيات إلى منع زوجات الرسول من الزواج
من أحد من بعده ؛ لأن منزلتهن بمنزلة الأم ، ولعله يشير بقوله : (ما
كان إيداعه ..) إلى قوله تعالى : " وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ
وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا " الآية (١) . ولعل بقوله : (وحقهن
كحق الأم ..) إلى قوله تعالى : " النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ
وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ " الآية (٢) . ثم انتقل الشيخ إلى الإشارة إلى فـكـرة
جديدة أيضا فى قوله (٣) :

رما أحل بمدل فوق واحدة
من الحلائل إلا حل لسلأزم
من زوجة أوسره ستمت
أو أنها عمت أو كان ذا غلم (٤)
إن لم يبح غيرها إن كان متقيـا
لا قى عناه وإلا مال للجـرم
ومن يملهن إن يكثرن فى عدد

عن الذكور وقد أودى الوفى بهم
إنه يرد على من عاب على الإسلام إباحته للسلم أن يتزوج بأكثر من واحدة
إلى أربع، فأشار إلى أن ذلك موقوف على المدل بينهما ، ولعله يشير بذلك
إلى قوله تعالى : " فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ " الآية (٥) .

-
- (١) الأحزاب / ٥٣ .
(٢) المرجع السابق / ٦ .
(٣) بشرى العاشقين ص ٣٧ .
(٤) ذا غلم : صاحب الشهوة الشديدة
(٥) النساء / ٣ .

ولقد أحسن الشيخ عندما أشار إلى أن التمدد مع المدل لا غبار عليه
ومخاطبة في وقت الضرورة مثل : إذا مرضت الزوجة بمرض ، لا تأمل السبر
منه ، ولا تستطاع معه القيام بحقوق الزوج ، أو تدبير شؤون المنزل ، فهل
من المرأة أن يدالقتها زوجها ، وهي في حاجة قصوى إلى الرطية ، أضف إلى
ذلك أنها لو كانت فقيرة وليس لها عائل فإذا تصنع ؟ أليس من الإنصاف أن
يتجهها الزوج في عصمته ويتزوج عليها بمن ترضى بيته ، وتمنع من الزلل ، وتكفل
له الذرية ، وهذا ما أشار إليه الشيخ بقوله : (من زوجة ألت) .

كما أشار بقوله : (أو أنها عقت) إلى أن التمدد جائز مع المدل
إذا عقت الزوجة ، واشتاق الرجل إلى ولد يسهج حياته ، فإذا يصنع ؟ يطلق
زوجته التي لا ذنب لها في المقم - وقد تكون معدة ولا عائل لها - أم يسكنها
ويتزوج بأخرى ؟ أعتقد أن من الإنصاف والخفاء أن يسكن الرجل زوجته ويتزوج
بأخرى ، وأما قوله : (أو كان ذا غلم) فيشير به إلى سبب آخر يجيز
التمدد مع المدل - وهو إذا كان الزوج شديد الشهوة إلى الجماع وزوجته
لها طاقة محدودة ، فإذا لم يتزوج بأخرى ، فإما أن يلجأ إلى الحرام ، وإما
أن يلحق الضرر زوجته ، وإما أن يلحقه ضرر إذا كان ذا ورع وثقوى ، وإلا سلام
لا يرضى بالضرر لأحد ، وكذلك قوله : (ومن يملهن) فيه إشارة لطيفة
تبيح التمدد وهي ما إذا تصنع الشابات إذا مات كثير من الشباب في الحرب ؟
ألمن الإنصاف أن تتركهن للمبث والفجور أم يباح التمدد ؟ إن أي منصف
لو تدبر حكمة التمدد ، ما سمحه إلا أن يقوله رضيت بالله ما ، وإلا سلام ديننا ،
وسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) نبيا رسولاً .

لقد طالع الشيخ الفكرة علاجا عاما ، وأضيف - الباحث - أن التمدد
كان قبل الإسلام ، ولم يحرم في شريعة من الشرائع الإلهية ^(١) ، وقد ذكرت سابقا
أن بعض الأنبياء كان متزوجا بأكثر من واحدة ^(٢) ، ومن فضائل الإسلام أنه
أجاز التمدد ولكن مع المدل .

إن الله سبحانه وتعالى قد شرع الزواج لأنه سكن ومودة ، قال تعالى :
" وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً " الآية (٣) .

(١) مساحة الإسلام ص ١ وما بعدها ، حقائق الإسلام ص ١٦٩ وما بعدها .

(٢) انظر ص ٦٥٢ من هذه الرسالة - (٣) الروم / ٢١ .

فإذا لم توجد الألفة والمحبة بين الزوجين، ووجد الشقاق وعز الوفاق بينهما ،
أوليس من العدل أن يتفرقا بالحسنى ؟ ومن أجل ذلك شرع الإسلام
الطلاق ، وهذا ما أشار إليه الشيخ بقوله (١) :

وما الطلاق إذا عز الوفاق سوى
إحدى فضائل هذا الدين والحكم
والجنة البيت فيه المطف من كمن
والنار بيت خلا من فيه عن رأم

إلا أن الإسلام قد حرص كل الحرص على التوفيق بين الزوجين فحث
على محاولة الإصلاح بينهما بقوله تعالى : " وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَغُوا
حُكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحُكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا .. الآية (٢) .

ثم انتقل الشيخ إلى الحديث عن الرق في الإسلام فذكر أنه كان
منتشرا في كثير من البلاد قبل بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وأن الإسلام
قد رغب في المتيق ، فقال (٣) :

والرق في كل صقع كان منتشرا
وكم لمن رق في ذا المهد من خدم
.. كم حبيب الله في عتي الركاب وكم

أغرى لتكرم بالإنعام والكسـ
والجدير بالذكر أن الشاعر (باكثير) قد سبق الشيخ إلى تلك الفكرة ، كما
سبقه هو - وغيره أيضا (٤) - من عارض البردة قبله إلى الحديث عن الحرب
في الإسلام التي قال عنها (٥) :

إن الألى زعموا أن الحنيفة قد
نشرت بالسيف هم في غاية الوهم
الحق بان فمن ييغ الهدى فله
ومن يشأ غيره في النار ينحطهم

(١) بشري الماشقين ص ٣٧ .

(٢) النساء / ٣٥ .

(٣) بشري الماشقين ص ٣٨ .

(٤) انظر الشوقيات ج ١ ص ٢٥١ ، ونظام البردة ص ١٠ .

(٥) بشري الماشقين ص ٣٩ .

لقيت في عشرة فيهم جهرت بها
والصحب ما لا يحد الوصف من ألسن

ولا يخفى أن في البيت الثاني إشارة إلى قوله : " وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ " الآية (١) . كما في البيت الثالث تلميح
إلى أن الرسول قد مكث في مكة عشر سنوات يدعو الناس إلى الإسلام
بالحسن ، ومع ذلك لقي هو وأصحابه من مشركي مكة كل أذى وتمذيب
أفلا يدل كل ذلك على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف كما يزعم الزاعمون ؟

ثم انتقل الشيخ إلى بيان الطريق الموصل إلى رضا الله سبحانه
وتعالى ، فنظم بعض النصائح التي قد حث عليها الدين - ولعل الذي دفعه
إلى ذلك كثرة أتباعه ومريديه - إن هو منتصب إلى السادة الشاذلية - ومن
ذلك قوله : (٢)

يا ناشد الرجل خذ وصف الطريق

وجدت فيها عسى تدنو من الحكم

أمسك قوادك إلا عن تذكرة

وميتك الزم وجد بالدمع مثل دم

ولا يخفى أن البيت الثاني يلح إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم)
" ... أمسك عليك لسانك وليس بک بيتك ، وأبك على خطيئتك " (٣) . ثم
ينصح الشيخ بصدق المزم على طاعة الله ، والاستقامة على الطريق القويم ، والصدق
في المعاملة ، وإخلاص الوجه لله ، وحث على ملازمة المباداة القائمة على العلم
والإخلاص لأهليتهما فيقول (٤) :

واعبد الله بالعلم والإخلاص إنهما

روح المباداة من فعل ومن كلم

وينتجه إلى التحذير من النقص كما فعل البوصيري (٥) - ولكن بتصريف

(١) الكهف : ٢٩ . (٢) بشرى الماشقين ص ٤٠ .

(٣) انظر ص ١٠٩ من هذه الرسالة .

(٤) بشرى الماشقين ص ٤٠ .

(٥) انظر ص ١٠٦ من هذه الرسالة .

جميل - فيقول (١) :

وخالف النفس واحذر مكرها أبدا
فقد تدمس وحي الم في الدسم
وأعطاها حظها المشروح تقويبه
على المسير ، وإن تحسمه ينحسم
ثم يحذر من الدنيا وفتنتها - كما فعل شوقي (٢) - فيقول مع تصرفه
تصرفا طيبا (٣) :

ولا تفرنك الدنيا ومهجتها
فإنها والذي فيها إلى عدم
هي المتاع قليلا فانها ، أبه
تبيع حظك في الأخرى من النعم ؟
ويذكر أن علاج قسوة القلب هو التأمل في القبور ومن فيها فيقول (٤) :
وإن قسا القلب فالأجدات موعظة
بها ترق وتهمس عبرة الندم
إذا تأملت من فيها فليست تـرى
مفرقا بين صيد الناس والخدم
وينتقل إلى بيان علو مكانة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ورفعة شأنه
ولعله نظر إلى قول البوصيري (٥) :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فقال (٦) :

إذا تعديت وصف الواحد الحكم
فصف بما شئت رب الحكم والحكم

-
- (١) بشري الماشقين ص ٤٠ .
(٢) انظر الشوقيات ج ١ ص ٢٤٢ .
(٣) بشري الماشقين ص ٤١ .
(٤) المرجع السابق الصفحة نفسها .
(٥) انظر ص ١٢٦ من هذه الرسالة .
(٦) بشري الماشقين ص ٤٢ .

ولو جمعت بني الإنسان مبتغيًا
وصف النبي وما فيه من الشيم
.. وحاولوا مدحه ما كان ما يلقوا
إلا خيال السها في الماء في الظلم
ويشير إلى شفاعته (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة ، يوم يتزاحم الناس
وتقترب الشمس من الرؤوس فيقول (١) :
سبحان من خص يوم المرضى أحمده
بمرض جاءه وفضل ينادخ سنم
تزاحم الناس ، جم الذعر ، عم أذى
سال الحميم إلى أن صار كاللجم
وازدادت الشمس حرا صاهرا وغدت
من الرؤوس كقاب القوس في الكشم
وقد تمنوا من اللأواء منصرفا
إلى الحساب ولو يفضى إلى الحطم
ثم يشير إلى ذهاب الناس إلى الأنبياء كي يشفوا لهم ، فيقول
كل منهم: نفسي نفسي إلا الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيقول: أنا لها أنا لها،
كما ورد في حديث الشفاعة (٢) ، وهذا ما أشار إليه الشيخ بقوله (٣) :
فكلهم قال نفسي جديا أسفيا
إني الذي رمتوه دونه قدمي
وإن بغوا من إمام الرسل شافهم
أجاب: إني بها الموعود من قدم
وراح يسجد تحت المرش يحمد من
له المحامد حمدا بئلي عن نعم
فنودي ارفع وقل يسمع ولسن تسل
واشفح تشفع فأنت الحب ذو الهم

(١) المرجع السابق ص ٤٣ . (٢) انظر ص ٢٠٩ من هذه الرسالة .

(٣) بشرى الماشقين ص ٤٣ .

وأيدوا شرعه تأييده تجسدا
فتحا ونصرا وتأيدا من الحكم

وسين أن الحب الحقيقي هو الذى يؤدى الفرائض ولا يضيفها ، كما
يؤدى النوافل أيضا فيقول (١) :

ليس المحب الذى يلغى أوامر من
أحبه ومتى يحسه يقتحم
بل المحب الذى يقضى نوافله
قضا مفروضا والنهى لم يرم

ويتوسل إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) باشتراكه معه فى الاسم
كما فعل ذلك بعض معارضى البردة قبله (٢) ، إلا أنه زاد عليهم ما يؤكد حبه
إذ سمي أولاده بأسماء الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيقول (٣) :

محمد قد دعاني والذى وده
أدعو بني ، أرجى حسن فعلهم
محمد ، مصطفى ، محمود ، أحمد ، لى
نسل ، وكلهم باسم الرسول سى
وما دعانا لذا إلا الوداد ... ، وأن

نلقى بيمينك أمنا يوم مـزدحم
ثم يختم قصيدته بالبشرى التى بدأها بها ، طالباً المغفرة لشيء
وتلاميذه ، ولمن أحبه ، ولبن قلاه ، كما يدعو الله ، طالباً منه (سبحانه وتعالى)
الصلاة والسلام على رسول الله وشيئته فيقول (٤) :

بشرى لنا معشر المشاق من قدم
فقد بلغنا إمام المرب والمجـم
ياربنا بخطيب الأنبياء أنسل

ابن الخطيب رضا غير منجز

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها . (٢) انظر ص ٢٠٤ من هذه الرسالة ،
وكشف الغمة فى مدح سيد الأمة ص ٤٦ ، الشوقيات ج ١ ص ٢٤ ، النفحة الأحمدية

ص ٣٨ وديوان الحملات ج ١ ص ١٤٣ ، قهنى ص ٤٢ .
(٣) بشرى الماشقين ص ٤٨ . (٤) المرجع السابق ص ٤٩ .

واقفر لأشياخه والتابعين ومن
أجبه أو قتلاه وأرفن بهم
وعس رب على دله وشيمتسه
سلما وأتلنا حسن مختستم

محمد : فإن معارضة (بشرى الماشقين) قد فاقت كل الممارضات التي
سبقتها في عدد الأبيات ، كما اشتركت معها في بعض الأفكار ، وزادت عليها
في أفكار أخرى مثل : الإشارة إلى وفاة والد الرسول ، والرسول في بطن أمه ،
ووفاة والدته وهو ابن ست سنوات ، وكفالة جده ، عبد المطلب إياه ، ثم كفالة عمه
أبي طالب ، والنهي عن الخوض فيما جرى بين بعض الصحابة من حروب ، والحديث
عن اليهود وما اتصفوا به من غدر وتبجح ، أضف إلى ذلك الدفاع عن بعض الشبهات
التي أثارها أعداء الإسلام مثل : تعدد الزوجات في الإسلام ، ومشروعية الطلاق ،
كما زاد الشيخ بيان الطريق إلى الله والحث على أداء الفرائض والتوافل .

المعارضة السابعة : (السعيدية في مدح خير البرية)

وأما المعارضة السابعة فهي معارضة الشاعر : محمد السعيد عبد القادر برج
المولود سنة ١٩٢٣ في (نواج) - إحدى قرى مركز طنطا بمحافظة الغربية -
ولقد نشأ في قريته ، ولما نما جسمه دخل الكتاب فتعلم مبادئ القراءة
والكتابة ، ثم حفظ القرآن الكريم ، ثم التحق بمعهد طنطا الديني ، ولما أكمل
المرحلة الثانوية ، دخل كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر سنة ١٩٤٤ ، وتخرج
فيها سنة ١٩٤٨ ثم التحق بمعهد التربية العالي بالإسكندرية سنة ١٩٥٠ ، وعمل
مدرسا بالمدارس الابتدائية فالاعدادية ، ثم الثانوية إلى أن عينه جهة قسم سنة ١٩٦٨
شاعريته :

ولقد نظم الشعر وهو طالب في التعليم الثانوي ، ساعده على ذلك حفظه
كثيرا من قصائد الشعراء العرب وخاصة شوقي وحافظ ، والجدير بالذكر أنه
قال في كل أغراض الشعر شريفا ^(١) ، ولما اتصل بشيخه الشيخ محمد خليل الخطيب

(١) هذه المعلومات من الشاعر نفسه .

صاحب الممارسة السادسة - قصر شعره على مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)
وأول قصيدة مدح فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) هي قصيدته المحدثية
التي ما زالت مخطوطة عنده ومطلتها :

محمد نعمة من وأهب النعم

محمد سيد الكونين من قدم

وهي على نهج قصيدة البوصيري التي تسمى المحدثية أيضا ومطلتها (١) :

محمد أشرف الأعراب والمجسم

محمد خير من يمشى على قدم

وعندما أعطاء شيخه قصيدة (بشرى الماشقين) وقواسمها فكر في إنشاء
قصيدة على نهج البردة (٢) فكانت مما رثقه (السعيدية في مدح خير البرية)
التي نظمها سنة ١٩٦٩م ، ولغ عدد أبياتها ثمانية عشر وخمسة بيت ثريا ، والجدير
 بالذكر أنها أنه قد تأثر في نظمها بقصيدة الشيخ الخطيب ، كما يرجع إليه الفضل
في تسميتها باعتراف ناظمها نفسه . (٣)

ولقد بدأها الشاعر بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله فقال (٤) :

الحمد لله رب المرش والقلم

من أرسل الرسل بالآيات والحكم

ثم الصلاة على من نور ظلمته

أبهى من البدر في داج من الظلم

محمد خير خلق الله قاطبة

وأفضل الناس من عرب ومن عجم

ثم أشار إلى فضل الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحسن خلقه ، وغزير
علمه ، وبين عجزه عن مدحه مدحا يليق بمقامه الكبير فقال (٥) :

فقل طه محيط ليس يحصره

شط فكيف يوفى قدره كل ؟

-
- (١) ديوان البوصيري ص ٢٢٦ .
(٢) محمد السعيد برج : السعيدية في مدح خير البرية ص ٥ مطبعة السواح الكبرى
بطنطا سنة ١٩٧٠ .
(٣) المرجع السابق ص ٧ .
(٤) المرجع السابق ص ٩ .
(٥) المرجع السابق ص ٩ .

ويشير إلى حالة العالم قبل مولده (صلى الله عليه وسلم) ولكنه لم يزد على ما قاله معارضو البردة قبله ، فالظلم منتشر ، والناس يمدون الأصنام ، ومشركون الخمر ، وقيصر الروم وكسرى فارس كل منهما يتحكم في رعيته ، وظل الحال على ذلك حتى ظهر نور النبي (صلى الله عليه وسلم) فانقشع الظلم ، وهذا ما أشار إليه الشاعر بقوله (١) :

حتى أتى خير خلق الله قاطبة

فأشرق الفجر يمحو حلقة العتمة

وزلزل البنى واندكت معالصبه

والظلم صار جريحا بادي الألم

كما ذكر أن إيوان كسرى قد تصدع ، وأن دولة الروم قد دالت ، وأن ساوة قد غاضت بحيرتها ، وغير ذلك من الأحداث التي أشار إليها معارضو البردة قبل الشاعر إلا أنه زاد الإشارة إلى خيبة أبرهة ، الذي أتى ليهدم الكعبة في العام الذي ولد فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال (٢) :

في عام مولده قد خاب أبرهة

وأشرب الفذل في كأس من الندم

ثم أشار إلى شق صدر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو صغير فقال (٣) :

قد شق ربي صدر الطهر في صفر

فأعجب لشق بلا نصل ولا ألم

وأردح الله فيه حكمة وثقى

فصدر أحمد كنز الملم والحكم

فيه السماحة في أحلى مظاهرها

وفي حناياه علم البدء والختم

يستمر الشاعر في الإشارة إلى فضل الله على رسوله ثم يتحدث عن نشأته وأخلاقه

فيقول (٤) :

(١) المرجع السابق ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣ .

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٤) المرجع السابق ص ١٤ .

قد شب عفا نقيا طاهرا ورعيا

موشحا بسنا الأخلاق والحصم

.. عفا أمينا نقى القلب متصفيا

بالصير والحلم والإحسان والكرم

وينظر إلى قول شوقي : (١)

خططت للدين والدنيا علومهما

ياقارى اللوح بل يالامس القلم

فيخاطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد أن أخذ الشطر الأول ، قائلا (٢) :

خططت للدين والدنيا علومهما

ياذروة المجد بل يا قمة الشمم

ويواصل مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيشير إلى صبره وغفوه وشجاعته

وكرمه ، ثم ينظر إلى قول البوصيري : (فبلغ العلم فيه أنه بشر) (٣) ، فيأخذ

ويقول (٤) :

فبلغ الملقب أنه بشر

وأنه بلسم شاف لدى سقم

وينتقل إلى الحديث عن الإسراء والمصراع ، ولكنه ينظر إلى سابقه من أصحاب

المعارضات - وخاصة شوقي - فيقول (٥) :

أسرى به الله والأسلاك تخدمه

والله يرعاه من حرم إلى حرم

حتى أتى المسجد الأقصى فشرفه

والرمل قد وقفوا في مكب فخم

ثم ينظر إلى قول الشيخ الخطيب (٦) :

وذئ آخر جبريل هفت به

أيترك الخل من يهواه في زأم

(١) الشوقيات ج ١ ص ٢٤٨ .

(٢) السميدية ص ١٥ .

(٣) انظر ص ١٢٩ من هذه الرسالة .

(٤) السميدية ص ١٥ .

(٥) المرجع السابق ص ١٢ .

(٦) بشرى المشائين ص ١٤ .

فقال ذا موعى لو قدر أنطلة
جاوزته كنت بالأنوار ذا عدم

فيقول (١) :

جبريل فوق ضفاف النور منتظر
يقول هذا مكان دونه قدمي
كل له عند رب المؤمن منزلة
فإن علاها بنور الحق يتمم
ويبدو أنه قصّر عن شيخه ، وخاصة أن الشيخ قد أشار إلى الخلّة وهي
تقتضى المصاحبة .

ثم يشير إلى هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيتحدث عن مؤامرة
قريش على قتل الرسول ، ولكن الله يأمره بالهجرة ، فيخرج من بيته والكفار يحيطون
به ولكنهم (٢) :

لم يصبوا المصطفى ، غاله يحرسه
ومن يكن في رحاب الله لم يضم
كما يتحدث عن الفار ، والحماتين ، والمنكبوت ، ويشير إلى قصة سراقسة ،
واستقبال أهل المدينة للرسول (صلى الله عليه وسلم) بالبشر والتكبير (٣)

وشرب هزها شوق لرؤيته
فرددت مرجيا ياكاشف الطمم
والمن الحال قد صاحت مهلبة
الله أكبر دالت دولة الصنم
ولا يخفى أن الشاعر قد نظر في بيته إلى قول الشيخ الخطيب (٤) :
وحيثما أبصروا خير الورى هتفوا
الله أكبر هذا كاشف الطمم

(١) السميدية ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٠ .

(٤) بشرى الماشقين ص ٢٠ .

ولكنه تصرف فيما نظر إليه تصرفاً حسناً ، كما هو واضح .
ثم أشار الشاعر إلى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فمدحهم بالشجاعة
والثبات والكرم ^(١) :

هم الجبال ثباتاً ، والبحر ندى
هم البدور سنا أعظم بضوئهم

.. كم جاهدوا في سبيل اللغاتصروا

إن الجهاد طريق النصر من قدم

كما ذكر أنهم رهبان بالليل وقروان في النهار ، باعوا أنفسهم في سبيل الله ،
.. واستمر في مدحهم حتى انتقل إلى الحديث عن موقف الرسول (صلى الله عليه
وسلم) من أهل مكة عند ما فتحها وخاف عنهم قائلاً ^(٢) :

ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟

قالوا : أخ يأمر الأعداء بالرأى

فقلت ما قاله الصديق ، فاندلقوا

فأنتم اليوم أحرار بلا جرم

لله أنت فكم أحسنت احتساباً

إلى الأعادي وهذا منتهى الكرم

ولا يخفى أن الشاعر يشير بقوله : (فقلت ما قاله الصديق ..) إلى قول

الله تعالى على لسان نبيه يوسف (عليه السلام) عند ما قال لإخوته : " .. لَا تَثْرِيْبَ
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ " ^(٣) .

ثم تحدث عن القرآن الكريم فذكر أن آياته مفصلة ، ولا يستطيع أحد أن
يعارضها ، كما حث على تلاوته بقوله ^(٤) :

إذا أردت غنى الدنيا وضرتها

فرو نفسك من سلاله الشبم

والجدير بالذكر أن الشطر الثاني هو من قول الشيخ الخطيب ^(٥) :

(١) السعيدية ص ٢١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٣) يوسف / ٩٢ .

(٤) السعيدية ص ٢٣ .

(٥) بشرى الماشقين ص ٢٥ .

فعل إليه وعنه لا تحمل أبسدا
ورؤ نفسك من سلساله الشيسم

ويشير إلى سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) مبينا فصاحته (عليه
الصلاة والسلام) فيقول (١)

يا أفضح الناس بأديهم وحاضريهم
أعطاك ربك قولا جامع الكلسم
فعلت ما نى كتاب الله من درر
بالقول والفعل والتوجيه والحكم

ولا يخفى أن الشاعر قد نظر إلى قول شيخه (٢) :
يا أفضح الناس من بسدو وفاضرة
لقد حييت بيانا جامع الكلسم

ويتحدث عن الدين الإسلامي الحنيف، مشيرا إلى أنه يحت على المعدل
والصدق والبر ، والحب ، والرحمة ، وأنه جعل الناس سواسية ، لا فضل بينهم
إلا بالتقوى ، ويبين أن في انتهاء الدين علاجا للمشاكل ، ورخصة وسوء داء (٣) :
فالدين ترياق ما نى الكون من علل

والدين يشفى عضال الداء والسقم
لو طبق الناس رأى الدين لا متركوا
أزمة المجد واقتادوا سنا النجم

وننتقل إلى الحديث عن معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيشير إلى
أنها كبيرة لا حصر لها بقوله (٤) :

كم معجزات لخير الخلق قاطبة
فاقت نجوم السماء في المد والرقم

(١) السعيدية ص ٢٤ .

(٢) بشرى الماشقين ص ٢٦ .

(٣) السعيدية ص ٢٥ .

(٤) المرجع السابق الصفحة نفسها .

ثم يذكر منها • تسليم الأحجار والأشجار • وحنين الجفء • وانشقاق القمر • وظللول الخمامة • وغير ذلك مما أشار إليه معارضو البردة قهاه •

ونتكلم على الحرب في الإسلام • ويبين كذب من يقول إن الإسلام قد انتشر بحد السيف، ويشير إلى أن الحرب شرعت لحماية الدين وصيانة العرض • ورد الظلم، بقوله (١) :

فالحرب قد شرعت تحمي الديانة من

ظلم وتنتج منك العرض والحرم

ثم يتحدث عن شفاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة • ويذكر أيضا ذهاب الناس إلى الأنبياء طالبين منهم أن يتشفعوا لهم • ولكن كل واحد منهم يقول : نفسي نفسي • إلا محمداً (صلى الله عليه وسلم) فيطلب من الله الشفاعة فيشفعه الله • وينيله سؤله (٢) :

فقال أحمد ما يبقى ولا عجب

فإنه حبيب واسع الكرم

ثم يتوسل بالرسول (صلى الله عليه وسلم) كيشفع له يوم القيامة بقوله : (٣)
فكن شفيعي يوم الحشر يا أظمى

نفسى يدك لواحمد والكرم

ولا يخفى أن في قوله : (نفسي يدك لواحمد) إشارة إلى قول الرسول : " ... ويدي لواحمد ولا فخر ... " (٤)

ثم يتضرع إلى الله (سبحانه وتعالى) طالبا غفران ذنبه، وذنب المسلمين (٥) :

فاغفر ذنوبي يا رب المرى كرمًا

بجاء أحمد يا وهاب للنعم

(١) المرجع السابق ص ٢٧ •

(٢) المرجع السابق ص ٢٨ •

(٣) المرجع السابق ص ٢٩ •

(٤) انظر ص ١٢٠ من هذه الرسالة •

(٥) السعيدية ص ٢٦ •

واقتر ذنوب جميع المسلمين فهم
أتباع طه إمام العرب والمسلمين
ويختتم قصيدته بالصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (١) :
رباه صل وسلم كل ثانيــــــــــــــــة
على الشفيح، وهبنا حسن مختتم

محمد ٠٠٠

فإن معارضة (المصيدة) على الرغم من طولها، قد قلست
أفكارها الجديدة ، كما ظهر فيها تأثير ناظمها بأصحاب معارضة البردة
الذين سبقوه، وخاصة الشيخ الخطيب.

وهما يكن من شيء فإن معارضة البردة في العصر
الحديث كثيرة ، وليس في الإمكان حصرها والحديث عنها
كلها .

ولذلك اكتفيت بذكر إحدى عشرة معارضة ظهرت
فيها آثار قيمة سأشير إليها في الفصل التالي ٠٠ إن شاء الله

~~~~~

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠.



## الفصل الثاني

### أثر معارضات البردة بعد شوقي

بعدما وقفت - في الفصل السابق - مع بعض معارضات البردة بمد شوقي ، وسنت أهم الأفكار الجديدة التي قد اشتملت عليها ، يمكن أن أشير - في هذا الفصل - إلى أهم آثار تلك المعارضات التي تلخص فيما يأتي :

١ - إنها تشير إلى أن معظم ناظميها قد تأثروا في نظمهم إياها بنظروف العصر ، ولذلك لم يبدأوا بالفتل ، وإذا كان بعضهم - وعسـو قليل - قد بدأها بالفتل ، فإن أبيات غزلهم كانت لا تعتمد أصـا بسع اليد ، بالإضافة إلى أن ذلك الفتل قد بعد عن الأوصاف المادية والتشبيهات الحسية وترى ذلك واضحا في معارضة عبد المطلب<sup>(١)</sup> ، ومعارضة باكير<sup>(٢)</sup> ، ومعارضة محمود جبر<sup>(٣)</sup> ، وإذا قارنت بين غزل شوقي في نهجه ، وغزل هؤلاء في معارضاتهم ، وجدت غزلهم نفس إشارة خفيفة ، وبارة عفيفة ، أما غزل شوقي فقد استغرق أربعين بيتا ، بالإضافة إلى ما اشتمل عليه من تشبيهات لا يصح ذكرها نفس قصيدة يمدح فيها الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ، ولذلك لم يرض صاحب ( النفحة الأحمدية ) عن هذا المسلك فقال في مطلع قصيدته<sup>(٤)</sup> :

دع ذكر ريم وذكرى البان والحلم

وانهض لذكر ربيع الناس والحرم

ويبدو أن الشيخ الخطيب أراد أن يلجئ طلب صاحب النفحة الأحمدية فقال في مطلع معارضته<sup>(٥)</sup> :

بشرى لنا مشر المشاق من قسدم

نقد بلقنسا إمام العرب والمجم

(١) ديوانه ص ٢٥٢ .

(٢) نظام البردة ص ٢ .

(٣) قرنتي ص ٢١ .

(٤) النفحة الأحمدية ص ٤ .

(٥) بشرى الماشقين ص ٢ .

ويأتى صاحب ( السعيدية ) قيّداً معارضته بمطالع أشبه بمطالع المتنون  
إلا أنه أحسن حالا من بدأها بالفزل فيقول : (١)

الحمد لله رب المرش والقلم

من أرسل الرسل بالآيات والحكم

٢- إنها تؤكد ما ذكرته سابقاً من وجود الطحمة في الشعر المروي (٢) :  
مخاصة بعد أن بلغت قصيدة (الخطيب) ثلاثة وستين وخمسة مائة بيت  
تقريباً ، بل يمكن أن نستخرج من معارضات البردة قبل شوقي ومعه  
( ملحمة عربية ) بحذف الأفكار المكررة ، ونظم الأفكار الجديدة من  
كل قصيدة (٣) ، فتصبح لدينا قصيدة واحدة من بحر واحد وقافية  
واحدة ، " وليس بشرط - كما قال بعض الكتاب - أن تأتي مطابقة لما  
توارثه الناس من ملاحم إغريقية ورومانية ، فإن لكل شعب طابعه الخاص  
الذي يميز عمله من عمل غيره من الشعوب الأخرى (٤) " .

٣- إنها قد فندت كثيراً من الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام ، وإذا كان  
شوقي قد أشار في نهجه إلى شبهة انتشار الإسلام بالسيف ، وكشف  
نفسها ، كما أشار إلى حضارة الإسلام ، فإن أصحاب معارضات البردة  
من بعده ، قد أكدوا ما ذكره ، وفصلوا ما أجمله (٥) ، وزادوا عليه :  
أ - الرد على شبهة تعدد زوجات الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) مع  
بيان الحكمة من هذا التعدد ، بالإشارة إلى الإشارة إلى تحريم زواج  
زوجات الرسول من أحد من بعده (٦)

ب - الرد على شبهة تعدد الزوجات في الإسلام ، وبيان الحكمة من  
ذلك ، والإشارة إلى أن التعدد كان موجوداً في الشرائع السابقة  
ولم تحرمه أي شريعة ، ولما جاء الإسلام أكد جوازه مع المعدل

(١) السعيدية ص ٩ . (٢) انظر ص ٤٨٣ من هذه الرسالة .

(٣) الطحمة في الشعر المروي ص ٤ .

(٤) مجلة الثقافة ص ٧٣ من العدد ( ٣٦ ) سنة ١٩٧٦ .

(٥) الشوقيات ج ١ ص ٢٥١ ، ونظام البردة ص ١٠ وشرى الماشقين ص ٣٩ .

(٦) نظام البردة ص ٧ ، وشرى الماشقين ص ٣٦ .

بين الزوجات (١) ، ثم حدده بأربع نموة فحسب ، والإشارة إلى حقوق المرأة في الإسلام (٢) .

جـ - الرد على شبهة مشروعية الطلاق في الإسلام (٣) ، مع بيان الهدف منه ، متى يقدم الزوج عليه .

د - الرد على شبهة وجود الرق في الإسلام ، ببيان أنه كان موجوداً في الأمم السابقة ، وللاسلام الفضل في العمل على القضاء عليه ، بما شرعه من كفارات وغيرها (٤) .

هـ - الرد على منكري الإسراء والمعراج (٥) .

٤ - إن معارضات البردة بعد شوقى - بالإعانة إلى معارضاتها قبل شوقى قد ساعدت على البحث في كتب اللغة ومواجهتها التماساً للقوافي - وخاصة إذا كانت القصيدة طويلة النفس - فأجبت بذلك ألفاظاً كادت تزهد ، كما ظهرت فيها معان جديدة اقتبست من القرآن الكريم والسنة النبوية (٦) .

٥ - إنها قد أفادت الأدب العربي ، نمواً واتساعاً ، وتجديداً وابتداعاً ، وأضافت إليه ثروة رائعة من بديع الخيال ، وجزالة الأسلوب ، وسمو التعبير ، وإذا كانت تلك المعارضات قد ظهر في بعضها السرد التاريخي ، أو ضعف المباشرة ، فلمل ابن خلدون كان يشير إلى سبب ذلك بقوله : ... ولهذا كان الشعر في الإلهيات والنبويات قليل الإجادة في الثالب ولا يحدق فيه إلا الفحول ، لأن معانيها متداولة بين الجمهور ، فتصير بمثالة لذلك ... (٧) . وعلق أحد الكتاب على ذلك بقوله : \* وهذا صادق في كثير من الشعر الديني والملمسى ،

(١) بشرى الماشقين ص ٣٧ . (٢) نظام البردة ص ١١ .

(٣) بشرى الماشقين ص ٣٧ .

(٤) نظام البردة ص ١١ وبشرى الماشقين ص ٣٨ :

(٥) قرىتى ص ٣١ وبشرى الماشقين ص ١٦ .

(٦) انظر ص ٣٥٧ وما بعدها وص ٥٢١ من هذه الرسالة .

(٧) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٠ .

لأن حقائق الدين وحقائق العلم غير متوافقة ، فلا يجد الشاعر فيها مجالا للمبالغة والتوسع ، وغيرهما ، مما يقوم عليه الشعر ، ويتفاوت فيه الشعراء . . . والدينيات حقائق لا يبدل فيها الشعر ولا يغير ، والنبويات . . . لا مجال فيها للمبالغة والإغراق . . . لأن الموضوع الذى يتناوله الشاعر فى النبويات : السيرة والمدح ، والسيرة تاريخ وعلم ، والمدح النبوى أوصاف تليها المحبة ، ولكنها مقيدة . . . (١) ، وأرى أن ذلك القول صحيح ، ولكنه مع ذلك لا يمنع من إجادة الشاعر فى عبارته ، وإبداعه فى طريقة تناوله لفكرته .

٦- وهما يكن من شيء فإن تلك المعارضات لم تخل من أفكار جديدة . . . وعبارات فريدة ، وطاقمة جياشة ، تدل على أن بعض المعارضات المصرية ( بمائة ) ومعارضات البردة - بخاصة - ليست كلها انفعالا ذهنيًا يدل على التقليد والمحاكاة - فحسب - ولا ينبىء عن أصالة ومقدرة ، تدفع الشاعر إلى تسجيل خواطره بمدح اتباع وترسم ، كما يشير إلى ذلك الدكتور أحمد زكى أبو شادى بقوله : " . . . ليس تعدد معارضة الشعراء من الفن الصحيح فى شيء ، بل هو محض صناعة ، والشعر قبل كل شيء ، طائفة فكرية عميقة الجذور ، لا يهيج سطحى زائف . . . (٢) " .

ولقد فات صاحب هذا الرأى - كما قال بعض الكتاب - أن يعلم أن من المعارضات ما يمدح الشاعر فيها إلى التسابق الأدبى ، ليثبت تفوقه الشعارى دون أن يمس الموضوع صداء الوجدانى ، أو يفيض به إحساسه الداخلى ، فيلجأ إلى الاصطياح الذهنى محاولاً إثبات براعته ، وهذا الضرب من المعارضة يصدق عليه حكم الدكتور حين يصفه بمحض الصناعة ذات البهرج الصطحى الزائف .

أما المعارضة التى تأتى عن طريق هيام الشاعر بموضوع القصيدة وإحساسه الصادق بتياراتها الوجدانية ، وخضوعه المطلق لمعانيها المتصلة بأيمانته ومثله ، فذلك معارضة تجد روافدها الصافية من أعين المذنب

(١) طراز البردة ج ١ ص ٥ وما بعدها بتصرف .

(٢) مجلة أدبى ج ٢ ص ٢١٤ سنة ١٩٣٦ .

موارد النفس ، والشاعر حين يندفع إلى النظم في ميدان إنما يستمد وقوده من جيشان غطفته ، وحرارة شموه ، فهو حينئذ ينقل عن صوح يتلاطم في صوره بأصدق التيارات ، وكأن القصيدة التي يحاول ممارستها كانت لشدة لصوقها بقلبه مفتاحاً لأدارة الشاعر في صوره فانفج عن ساحات طمرة الأبهاء ، رائحة الأضواء ، وهذا ما كان من أكثر معارضى برودة البوصيري<sup>(١)</sup> ، إذ أن جبهه الصادق ، لنبي الإسلام كان يتوقد في جوانحه توقداً يتطلب التنفيس ، وقد رأوا في قصيدة البوصيري طريقاً يقود إلى التعبير عن هذه المولطف المتأججة فسلكوه ، وأرضوا بذلك حاجة وجدانية قاهرة ، حين تسخفوا بالتعبير الشمري عن بعض ما يحيطون من جذوات الحنين ...<sup>(٢)</sup> ما يدل على أن معظم هذه المعارضات معارضات أصيلة لا تعتمد التفييق الذهني ، وإنما هي حنين قلب يتحدث وإحساس يفيض ، وإن تفاوت ذاك الحنين وذلك الإحساس .

٧ - إنها بما اشتلت عليه من أفكار جديدة - انفردت بها كل معارضة - تقريباً - دون غيرها<sup>(٣)</sup> - تدل على أن المعارضة في ذاتها لا تتناهى مع الأصالة ، ولا تلعب الشاعر عنصر الذاتية - كما قال بعض الكتاب - لأن الأصالة والذاتية لا تمنى نفرد الإنسان بمصله وانقطاعه عن كل من سبقه أو صاحبه ، ولكن تمنى الانبثاق من ذات الشاعر وذات الشاعر كذات كل إنسان مرتبطة تمام الالتباط بمجرى الحياة من حولها ، متأثرة كل التأثير بجميع ما يقع أمامها من صور ومشاهدات<sup>(٤)</sup> . ولذلك أشار ابن رشيقي إلى أن " انكاس الشاعر على المرققة بلادة وعجز وتركه كل معنى سبق إليه جهل ، ولكن المختار له ... أوسط الحالات<sup>(٥)</sup> " . وما يؤكد ذلك أننا رأينا البارودي قد انفرد بالإشارة التفصيلية إلى غزوات الرسول وسراياه<sup>(٦)</sup> ، وكذلك انفرد شوقي بسبقه إلى الحديث عن جهاد رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) مقنناً شبهة انتشار الإسلام

(١) انظر كشف الغمة ص ٤٦ ، والشوقيات ج ١ ص ٢٤٤ ، والنفحة الأحمدية ص ٢٥ .

قرنتي ص ٣٢ ، بشرى الماشقين ص ٤٨ .

(٢) النصوص الأدبية في العصر الحديث ص ١١٣ . (٣) انظر ص ٥٧١ ، ٥٨٩ ، ٦٣٠ ، ٦٦٢ .

من هذه الرسالة . (٤) المعارضة في شعر شوقي ص ٤١ . (٥) الممددة ج ١ ص ٢٨١ .

(٦) انظر كشف الغمة ص ٢٥ وما بعدها .

بالسيف ، وانفرد كذلك يسبقه إلى الحديث عن الحضارة الإسلامية<sup>(١)</sup> ، كما انفرد بالكثير بالحديث عن رسالة المسجد ، وسبق إلى تنفيد مزاعم أعداء الإسلام حول تعدد زوجات الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ، وحول الرق في الإسلام ، أضاف إلى ذلك بيانه ما أعطاه الإسلام للمرأة من حقوق لم تحصل عليها المرأة الأوروبية ، التي تفتخر بالحضارة والمدنية<sup>(٢)</sup> ، وانفرد الشيخ الخطيب بتنفيذ شبهة جواز تعدد الزوجات في الإسلام ومشروعية الطلاق في الإسلام ، وبيان الطريق إلى الله<sup>(٣)</sup> .

وليس معنى ذلك أن كل معارضات البردة في العصر الحديث قد بلغت حد الجودة والإتقان ، بل منها ما غلب عليه التقليد والمتابعة مثل معارضة ( السعيدية ) التي تابع فيها صاحبها معارضة ( بشرى الماشقين ) - لشيخه الشيخ الخطيب - بخاصة ، وغيرها بمائة ، ومنها ما ظهر فيها ضعف العبارة ، وقلة الأفكار مثل : معارضة الدرويش والتميمية ، وهذا يؤكد أن المعارضة في نفسها لا تنفي عن القصيدة الرديئة شيئا ، كما لا تفرض من القصيدة الجيدة شيئا<sup>(٤)</sup> .

٨ - إنها - بتناولها ما اشتملت عليه من الأفكار ، وما تضمنته من المعاني - بالتفصيل والإجمال وغير ذلك - ترد على من قال : " إن المعارضة لون من ألوان السرقة " بيد أنها تتنازع عن السرقة حين يراد بها أخذ اللفظ والتعبير فحسب ، أما مطلق السرقة فهو صادق على المعارضة<sup>(٥)</sup> . ولا يخفى أن ما يؤكد بُعد معارضات البردة عن السرقة أن معظم ناظميها - إن لم يكن كلهم - قد أشاروا إلى تأثيرهم فيها ببردة البوصيري وغيرها من معارضاتها<sup>(٦)</sup> وهذه الإشارة تنفي السرقة عن أصحابها لقول بعض النقاد إن السرقة : " انتحال عمل الغير مع تجاهل صاحبه " .<sup>(٧)</sup>

(١) اشوقيات ج ١ ص ٢٥١ وما بعدها . (٢) نظام البردة ص ٥ ، ٧ ، ١١ .

(٣) بشرى الماشقين ص ١٦ ، ٣٧ ، ٤٠ . (٤) الأخلاق في شعر شوقي ص ٣٧ .

(٥) المعارضة في شعر شوقي ص ٣١ .

(٦) انظر ص ٣٠٥ ، ٣٤٥ ، ٦١٢ ، ٦٣٨ من هذه الرسالة .

(٧) السوفات الأدبية ص ٢٧ .

ولعل ذلك يشير إلى أن السرقة لا تكون إلا إذا أخذ الشاعر لفظ أو معنى من سبقه ، ولم يضيف شيئا من عنده ، وتجاهل الشاعر الذى أخذ منه ، وهذا ما أشار إليه أحد الكتّاب بقوله : " إن السرقة الأدبية لا تكون سرقة حقيقية إلا إذا سطا الأديب أو الشاعر على صياغة شاعر من الشعراء ، وعلى خياله ، وانتحل شخصيته فى تمثيله الذى يميزه عن سواه مع الأخذ من معناه أو لفظه ، أما أخذ المعنى مجردا أو صوغه صياغة فنية أخرى يث فيها الشاعر روحه ، ويطبعمها بطابعه فليس ذلك بسرقة " (١) .

أما القول بأن ( مطلق السرقة يصدق على المماضة ) فهذه مردود بقول حسان بن ثابت (٢) :

لا أسرق الشعراء ما نطقوا

بل لا يوافق شعرهم شعرى

فهو ينفى السرقة عن نفسه ، مع أنه قد عارض وناقض - كما سبق (٣) - ما يدل على أن المماضة عنده تخطف عن السرقة .

وإذا كان أبو هلال (٤) : قد عدّ المماضة والسرقة شيئا واحدا وأطلق عليه اسم ( الأخذ ) ، فإنه قد ذكر أن الأخذ ضرورى للشاعر ، وأنه ليس لأحد من أصناف النقاد غنى عن تناول معانى من تقدمهم ، والصب على قوالب من سبقهم ، بشرط أن يكسوها لفظا من عنده ، ويميزها فى معرض يظهر فيها تأليفه وإخراجه ، فيزيد حسننها (٥) ، بالإضافة إلى أن بعض النقاد قد ذكر أنه ليس بصورى ما يشترك فيه الناس من المعانى (٦) وإنما تقع السرقة فى المعانى الخاصة التى ابتدعها منشئها ، ولم تستفص بتداولها (٧) .

(١) صور وظلال من حياة شوقي وحافظ ص ٥١ . (٢) ديوانه ص ١٢٤ .

(٣) انظر ص ٢٥٠ من هذه الرسالة . (٤) هو : أبو هلال العسكري من علماء

النقد والبلاغة توفى سنة ٣٩٥ هـ . (٥) أبو هلال : الصناعتين بتحقيق محمد أبى الفضل

والبيضاوى ص ١٩٦ ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٩٥٢ م . (٦) اتجاهات

النهضة الأدبية فى مصر ص ٢١١ (٧) على الجرجاني : الوساطة بين المتنبى وخصومه بتحقيق

محمد أبى الفضل والبيضاوى ص ١٨٩ مطبعة - الحلبي بمصر سنة ١٩٦٦ .

وليس بخاف أن معظم الممانى التى وردت فى البردة قد استفاضت وشاعت ، وأصبحت متداولة .

٩ - إنها تشير إلى أن معارضات البردة بخاصة ، والمعارضات فى الشعر المرمى بعامة - بما فيها من اتحاد الوزن والقافية والفرض - تيسر مهمة الناقد فى مجال الموازنة ، وتساعد على الوصول إلى الحكم الصحيح أو القريب منه ، وذلك لأن الموازنة بين شاعر وآخر - كما يقول بمسح الكتاب - كثيرا ما تصاب بالتمثر ، أو بالطمع فيها ، بحجة أن هذا الشاعر لم يحسن ، لأنه قد صعب على نفسه ونظم فى بحر لا ينظم فيه كثير من الشعراء ، أو سار على قافية غريبة ، تحتاج إلى مقدرة لا تأتى إلا للفحول من الشعراء ، وذلك الشاعر قد أحسن ، لأنه قال فى غرض مطروق ، واختار قافية سهلة (١) .

وكل هذا لا يتأتى إذا كانت الموازنة بين قصيدتين - أو أكثر - من بحر واحد ، وقافية واحدة ، وغرض واحد ، كما أن مجال الموازنة يكون أسهل ، ويكون الحكم إلى الصواب أقرب ، ولعل مما يؤيد ذلك قول الآمدي (٢) : " . . . فإن كنت - ادام الله سلامتكم - من يفضل سهل الكلام وترويه ، ويؤثر صحة السبك ، وحسن العبارة ، وحلو اللفظ ، وكثرة الماء والرونى ، فالبحترى أشعر عندك ضرورة ، وإن كنت تيل إلى الصنعة والممانى الفاضلة التى تستخرج بالفصوص والفكرة ، ولا تلوى على غير ذلك ، فأبو تمام عندك أشعر لا محالة ، فأما أنا فلمست أفصح بتفصيل أحدهما على الآخر ، ولكنى أوازن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما إذا اتفقت فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، ثم أقول : أيهما أشعر فى تلك القصيدة ، وفى ذلك المعنى . . . (٣) " .

- 
- (١) المعارضة فى شعر شوقي ص ٥١ بتصرف .  
 (٢) هو أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي من علماء النقد والبلاغة توفى سنة ٣٢٠ هـ أو سنة ٣٢١ هـ .  
 (٣) الآمدي : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري - تحقيق السيد صقر - ص ٥ وما بعدها النبعة الثانية بمطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٢٢ .



ويبدو أن ذلك الاتجاه هو الذى جعل الدكتور زكى مبارك عند موازنته  
" بين الفوائد المشهورة التى جرت مجرى المصارفة والمخالطة ... " يقول : " ولهذا  
البحث أهمية كبيرة ، لأنه يمكننا من دراسة عرائس الشعر دراسة منظمة دقيقة ،  
وسيرنا كيف تتناول المقول ، وكيف تتسابق القرائح ... " (١) ولهذا كله أفردت  
بابا للموازنة بين البردة ومعارضا لها فى المصر الحديث لنرى إلى أى مدى  
استطاع الشاعر الممارض - بكسر الراء - أن يتناول فكرة الشاعر - المصملاض  
- بفتح الراء - ولنمرف أصاغها صياغة فنية أخرى يبت فيها روحه ، وطبعمها  
بطابعه لكى تتفق مع ذوقه ، وتتفق مع إحساسه ، أم قصّر فى تناولها - وعجز  
عن الإضافة إليها ؟

وهذا ما سنراه فى الباب التالى إن شاء الله ...



---

(١) الموازنة بين الشعراء ص ١٠٦ .



الموازنة

بين

البيرة ومعارضاتها

في

المصر الحديث



بعد هذا الموضع الطويل لبردة الهوصيرى  
ومعارضاتها في المصراع الحديث ، رأيت  
أن أتبع ذلك بموازنة بينهما ، حتى نمسرف  
إلى أى مدى تأثر اللاحق في معارضة بمن  
سبقه ، ولغرى أقلد سابقه دون زيادة أو نقصان  
أم قلده في بعض الأفكار ، ووجدت في أخرى .

وإذا كان للشاعر السابق فضل سبق ، فليس معنى ذلك أن يجرد  
الشاعر الذى تلاه وعارضه من كل منقبة ومأثرة ، بل يجب النظر في قصيدتى  
الشاعرين ، فإذا زاد التأخر في معانيه وأخيلته ، أو حاز شرفا بأسلوبه  
وصياغته ، كان له من الفضل مثل ما كان للشاعر المتقدم ، بل هو - كما قال  
ابن رشيق - أولى به من مبتدعه <sup>(١)</sup> ، أما إذا ساءل الشاعر المعارض أو قصر  
عنه حكم عليه بالقصور والتأخر وعدم القدرة على مجازاة الشاعر الذى سبقه .

وليس كل هدى من هذه الموازنة هو تفضيل شاعر على آخر أو تفضيل  
نص على نص ، فهذا ليس بلامر دائما ، إذ النقد الأدبى يكون توضحا كما  
يكون ترجيحا ، وربما كان التوضيح والوصف أجدى على الباحث والأدبى ، فليس  
يخلو شاعر من ميزة تفضله عن نظيره مهما تكن قيمتها .

وأعلن بآدى الأمر أننى سأوازن بين بردة الهوصيرى ومعارضتى البارودى  
وشوقى فحسب وذلك لما للبارودى وشوقى من منزلة كبيرة بين النقاد ، وفي مجالس  
الأدب ، ولأن معظم من عارض البردة بعدهما قد نظر إليهما في كثير من  
الأفكار ، وليس معنى ذلك أن غيرهما لم يزدوا شيئا عليهما ، بل قد أضافوا  
جديدا ، أشرت إليه فيما سبق <sup>(٢)</sup> .

كما أبين - أيضا - أن موازنتى ليست قاطعة في نتائجها ، إذ لكل إنسان  
وجهته ، ولكل باحث رأيه ، ومجال النقد واسع ، وقد يوافقنى القارئ وقد يخالفنى

(١) العمدة ج ٢ ص ٢٩٠ . (٢) انظر : ص ٥٨٩ ، ص ٦١٢ ، ص ٦٣٠

• ع ٦٦٢ من هذه الرسالة •

فالمشارب تختلف ، والأذواق تتنوع ، وخاصة إذا تقاربت أوجه التماثل بين  
القاصدين أو الشعراء ، إذ كثيرا ما يبلغ الكلام في الحسن مبلغا يملك  
مجامع القلوب ، وإذا حاول الناقد التعبير عن هذا المجال ، استمضى عليه  
البيان .

ولعل ما يؤكد ذلك ما روى أن إسحاق الموصلي (١) قال : " قال لى  
المنتصم : أخبرنى عن معرفة النظم وبينها لى ، فقلت : إن من الأشياء أشياء  
تحيط بها المعرفة ، ولا توجد بها الصفة " (٢) ، كما أنه قد سئل عن شعرين متقاربين  
وقيل له : اختر أحدهما ، ولما اختار أحدهما ، قيل له : من أين فضلت هذا  
على هذا ، وعما متقاربان ؟ فقال : لو تفاوتا لآمضى التبيين ، ولكهما تقاربا  
وفضلت هذا بشره تشهد به الطبيعة ولا يمر عنه اللسان (٣) .

ومن هنا يتضح أن مناج الموازنة ليس سهلا ، وأنه يستدعى كثرة الدربة  
وطول الممارسة ، حتى يكون الحكم أقرب إلى الصحة ، بعيدا عن الفئينة واللوكن  
ولعل ما يؤكد ذلك قول بعض النقاد : " إن الموازنة هى أدق ألوان النقـد  
وأدعاهما إلى التفكير ، وأحوجها إلى سلامة الذوق والسليقة ، وقوة الملاحظة . " (٤)  
كما أشار بعض النقاد - أيضا - إلى خطورها ، مبينا بعض ما يجب أن يتحلى  
به الناقد ، فقال : " إن الموازنة نوع من القضاء ، والناقد كالقاضى فكما يجب  
على الحكم أن ينزه نفسه عن جميع الأغراض حين يتقدم للحكم بين الناس ، كذلك  
يجب على الناقد أن يبرىء نفسه من جميع الأغراض حين يتقدم للموازنة بين  
الشعراء . " (٥) ثم قال : " . . . فإذا أردت أن توازن بين شاعرين ، فامتحن  
نفسك قبل ذلك ، فإن رأيت فى نفسك الميل لتفضيل أحدهما على الآخر  
لسبب لا تسيطر عليه الحاسة الفنية ، فاعلم أنك فى ترجيحك منهم ظنين . .  
وإن رأيت نصرة الأدب ، والحق تغلب على جميع ما لك من النوازع ، وأنست نفسى

- 
- (١) هو : أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلى - من أشهر ندماء الخلفاء ، وكان عالما  
بالأشعار ، توفي سنة ٢٣٥ هـ .  
(٢) الموازنة القسم الأول ج ٣ ص ٤١٤ .  
(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها بتصريف .  
(٤) على الجمبلاطى ( بالاشتراك مع غيره ) الذوق البلاغى ص ١٠٤ - مطبعة الجهاد  
بأسيوط ( غير مؤرخ ) .  
(٥) الموازنة بين الشعراء ص ٣٣ وما بعدها .

نفسك القدرة على مقاومة ما يمتزجك من التقاليد . . فتقدم إلى الموازنة ، وثق  
أن الرغبة في نصرته الحق حلقة الفوز المبين (١)

كما ذكر بعض القواعد التي يجب أن يلتزمها الناقد بالنسبة لمن سيوازن  
بينهما نقال (٢) :

- ١- يجب أن يذكر الناقد حياة من يوازن بينهما بالتفصيل ، وأن يثبت  
ما أحاط بهما من مختلف الظروف وعلى الأخص إذا مرت حياتهما  
في غمرة من الفترات الدينية أو فتنة من الفتن السياسية .
- ٢- ويجب أن يذكر الحالة الصحية لكل شاعر ، ليعرف ما قد يتعرض  
لمزاجه من الاعتدال ، وأن يقدر السن التي قبل فيها ما يرسد  
وزنه ونقده .
- ٣- ويجب أن يحدد الصفات التي اشترك فيها من يوازن بينهما والصفات  
التي انفرد بها كل واحد منهم .
- ٤- وأن يدقق النظر في تمييز المعاني المتعددة التي لم يسبق إليها  
من المعاني المسبوقة ، ويبين كيف تناول الشاعر المعنى الذي سبق  
إليه ، وكيف هداه ، وكيف بسطه .
- ٥- وأن يحدد ما برز فيه الشاعر من المطالع والمقاطع ، وما أجاده أخذه ،  
وما ابتكره ، وما انفرد به ، فقد يبتكر الشاعر المعنى ثم يخلب عليه حين  
يقصر في تأديته ، وقد يبتكر المعنى ثم ينفرد به حين يبلـغ  
الغاية في الأداء .
- ٦- وأن يبين أسباب السبق ، وأسباب التخلف ، وأن يحدد ما لكل شاعر  
من المعاني الموضوعية التي اقتضاها زمانه ومكانه ، والمعاني الإنسانية  
التي تصلح لجميع الناس ، مع تباين الأمكنة واختلاف العصور .

(١) المرجع السابق ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٢ وما بعدها يتصرف .

ولا يخفى أننى قد أشرت إلى حماة كل من الهوسيرى (١) ، والهمسارودى (٢) ، وشوقى (٣) ، وسوق أوازن بين قصائدكم من ناحية ما يأتى :

- |                      |                          |
|----------------------|--------------------------|
| (١) بناء القصيدة •   | (٢) الأفكار وترتيبها •   |
| (٣) الوحدة المضمية • | (٤) الماطقة ومدى صدقها • |
| (٥) الخمس •          | (٦) الأسلوب •            |

#### (١) بناء القصيدة :

والمراد ببناء القصيدة — كما قال بعض النقاد : " التخطيط الهندسى والنسق الفنى لتلك البنية الفنية " بحيث تبدو بناء واضح المعالم ، بارز السمات متكامل الأطراف ، وتتوالى أجزاؤها فى تسلسل طبىعى ، وتترابط ، بشكل محكم ترابطا مبنيا على التداخلى والتناسب لا على القسر والاختصاص (٤) .

وفى تلك الناحية يعرض النقاد لكثير من المسائل ومن أهمها :

- أ — مطلع القصيدة •
- ب — التخلص من المطلع إلى الفرض •
- ج — الثامنة •

وقبل الحديث عن تلك المسائل أحب أن أشير إشارة مريضة إلى مدى توفيق الهوسيرى فى اختياره وزن قصيدته البردة ، ولقد سبق أن ذكرت أن هذه القصيدة من بحر البسيط الذى وزنه ( مستعملن فاعلن ) ويدخله الخمس فىصبح ( مستعملن فعلن ) (٥) ، ويبدو أن الهوسيرى قد وثق فى اختيار هذا

- 
- (١) انظر ص ٤٤ وما بعدها من هذه الرسالة •
  - (٢) المرجع السابق ص ٣٣٧ وما بعدها •
  - (٣) المرجع السابق ص ٤٨٧ وما بعدها •
  - (٤) الدكتور عبد الرحمن شبيب : فى النقد الأدبى الحديث ص ٣٠٠ وما بعدها بتصرف — مطبعة دار التأليف بمصر سنة ١٩٦٨ •
  - (٥) انظر ص ٨٠ من هذه الرسالة •

البحر الذي يلائم حالة الشجن والحزن ، ويؤكد ذلك قول بعض النقاد : إن بحر البسيط يتفق مع الشجن والتذكر والعين .. (١) " كما أنه : " يتصف ببطايعته لظاهرة الإنشاد ، وخاصة الإنشاد الديني ، إذ وزنه يعطى التمسج والانسحاب والإيقاع الذي يعطى النفس حالة من حالات السمو والصفاء .. (٢) " ، ويبدو أن انهماك الحركات في عرضه وضربه - إذا جاز - مما ساعد على هذا .. (٣) .

وإذا كان لهذا البحر كل هذه السمات ، فلا شك في أن للبوصيري فضلا كبيرا في اختياره ، أما ما يقال (٤) من أنه قد تأثر في نظمه البردة بقصيدة ابن الفارض التي مطلعها (٥) :

همل نار ليلى بدت ليلا بذي سلم  
أم بارق لاح في الزوايا قالعظم

بحجة اشتراك الشاعرين في : إشارة إلى ( ذي سلم ) وهبوب الريح ( وإيضاح البرق .. ) وغير ذلك بالإضافة إلى تشابه الفكرة ، وكثير من الألفاظ - في قول ابن الفارض (٦) :

يا لائما لا معنى في حبهم منها  
كف الملام ، فلو أحببت لم تلم

وقول البوصيري : (٧) :

يا لائى في الهوى المذرى ممذرة

متى إليك ولو أنصفت لم تلتسم

ولكن بعض الكتاب ذكر أن ذلك من باب توارد الخواطر (٨) ، ويبدو أن ذلك

- 
- (١) مجلة الشمر العدد الثاني ص ٨٤ سنة ١٩٧٦ .
  - (٢) الدكتور محمد عبد المصنم خفاجي ( بالاشتراك مع غيره ) : من روائع الأدب العربي ص ٩٢ مطبعة الحلبي بصرى سنة ١٩٧٤ .
  - (٣) مجلة الشمر العدد الثاني ص ٨٤ .
  - (٤) المدايح النبوية ص ١٨٢ ، والمعارضة في شعر شوقي ص ٢٢٠ وما بعدها .
  - (٥) ابن الفارض : ديوانه ص ٢٤ وما بعدها .
  - (٦) المرجع السابق ص ٣٥ .
  - (٧) انظر ص ٩٣ من هذه الرسالة .
  - (٨) الإمام البوصيري ص ٥٤ وغازالبردة ج ١ ص ٤٦ .

صحيح ، لأننى وجدت أن تلك الأماكن التى قد أشار إليها كل من ابن الفارض  
والهوصيرى قد أشار إليها غيرهما ممن سبقهما من الشعراء ، وهذا يدل على  
أن هذه الإشارة كانت مألوفة عند كثير من الشعراء ، ومنهم البحرى السذى  
يقول (١) :

نشدتك الله من برق على إضـم  
لما سقيت جتوب الحزن فالملم

ويقول أيضا (٢) :

أحلتنى سلمى بكاطمة اسلمـا  
وتحلم أن الجوى ما هجتمـا

نقد أشار إلى ( إضم ، والملم ، وكاطمة ) ، كما ذكر البرق أيضا ، بل  
لقد أشار إلى لوم المذال فى قوله (٣) :

قلت للائم فى الحب: أفـتق  
ولا تهون طمم شىء لم تذق

ومعلوم أن البحرى قد سبق كلا من ابن الفارض والهوصيرى فى تلك  
الإشارة ، ولعل مثل هذا يرجع رأى من قال: إن التشابه بين مطلقى ابن الفارض  
والهوصيرى من باب توارد الخواطر ، أضف إلى ذلك أن عدد أبيات قصيدة  
ابن الفارض ثمانية عشر بيتا ، وموضوعها الحب الإلهى .

أما قصيدة الهوصيرى فأبياتها: ستون ومائة بيت ، وموضوعها المديح النبوى .  
ومهما يكن من شىء ، فإن الهوصيرى قد سبق كلا من البارودى وشوقسى  
فى اختياره بحر البسيط ، الذى نظم عليه قصيدته البردة ، وله الفضل فى  
هذا الاختيار لناسبة البحر لموضوع القصيدة كما سبق .

وأبدأ فى الحديث عن المسائل التى يحرض لها النقاد عند حديثهم عن  
بناء القصيدة وهى :

أ - مطلق القصيدة :

والمراد بمطلق القصيدة أول بيت فيها ، ولقد علق النقاد عليه أهمية

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٤٨ .

(١) ديوانه ج ٢ ص ١٦٨ .

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٢٠٨ .



كبيرة؛ إذ رأوا أن المطلع الجيد هو الضمان القوي لشدة الأسماع؛ وجذب النفوس إلى القصيدة، وربط النفس بها ربطاً محكماً، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الشاعر العربي القديم يفتح قصيدته بالفضل، لما له في النفس من أثر قوي يجعلها تهفو إليه وتتصت له (١).

وما يؤكد اهتمام النقاد بمطلع القصيدة أنهم وضعوا أمارات للمطلع الجيد، وذكروا منها: أن يكون واضحاً بيناً لا غموض فيه، ولا لبس في معناه، ولا صعوبة في فهم مرماه (٢)، وألا يكون معقد التركيب، مضطرب الأسلوب، وأن يكون متساوياً الأطراف من حيث المبنى والمعنى، فلا يكون شطره الأول مرتفعاً والآخر منخفضاً متخلفاً (٣)، كما أوجبوا فيه أن يكون بعيداً عن كل ما يهت في النفس التشاؤم والتظير ..

أضف إلى ذلك أنهم استحسنوا من المطالع ما كان مرآة تكشف الغرض الذي سبقت له القصيدة، وقد دل على التجربة التي انغلقت بها النفس، واندفعت بوحى منها، ويطلقون على ذلك براعة الاستهلال (٤)، والشاعر الحاذق يجتهد في تحمين الاستهلال والتخلص ومعدتها الخاتمة إذ هي المواقف التي تستمطف الأسماع الحضور، وتستميلهم إلى الإحفاء .. (٥).

وإذا كان هذا هو موقف بعض النقاد من (مطلع القصيدة) فسوف أذكر مطلع كل من البوصيري والهاوردي وشوقي - على ذلك الترتيب لنحلم إلى أي مدى أحسن أصحابها، ومن منهم أكثر من صاحبه حسناً فيها، وهي:

• أمن تذكر جيران بذي سلم

مزجت دمعاً جعري من مقلّة بدم

• يارائد البرق يعم دارة الملحم

واحد الضام إلى حي بذي سلم

• ريم على القاع بين الهان والطم

أحل سلك دمي في الأشهر الحمر

- 
- (١) في النقد الأدبي الحديث ص ٣٠١. (٢) المرجع السابق الصفحة نفسها.  
(٣) خزانة الأدب ص ٣. (٤) في النقد الأدبي الحديث ص ٣٠٢.  
(٥) الوساطة ص ٤٨.

لقد اشتركت تلك المطالع في الإشارة إلى بعض الأماكن المربية (ذى سلم،  
دارة العلم، الهان، العلم) وهذه الإشارة محض تقليد للمباقيين.

وإذا صح ما ذهب إليه بعض الكتاب من أن هذه الأماكن "رموز للمعاني  
الدينية" وهي عاطفة إنسانية عتيقة، صادقة، أصيلة، يعبّر بها الشاعر عن  
شوقه للنبي، وحبّه لجناح خالقه، فيرمى ببصره وقلبه إلى الأرض التي اختارها  
الباري، موطناً لبعثته ورسالته، الأرض التي جعلها الله تعالى منزلاً للشريعة والقرآن،  
منزلاً للمعدل والتسامح، والتعاطف، والمعاني الإنسانية الرفيعة (١) ... إنها الأرض  
التي يتطلع إليها الشعراء إليها ناشدين الراحة النفسية، والمتعة الروحية، إلى  
جوار بيت ربهم ونبيهم بحد أن حرموا لذة العيش، وضيقه في عصر اضطربت أموره  
وغامت سماؤه ... (٢)

أقول إذا صح هذا فإنه يكون مقبولا بالنسبة إلى البوصيري نظرا لظروف  
عصره الذي كثرت فيه الحروب، بالإضافة إلى ظروف مرضه الذي نظم السيرة  
بسببه - كما سبق - ويكون مقبولا - أيضا - بالنسبة إلى البارودي نظرا  
لظروفه القاسية مثل نفيه عن بلده وأهله، ويؤكد ذلك تنبيه زيارة الأماكن  
المقدسة في قوله: (٣)

فهل إلى زرة يحيا الفؤاد بها  
ذريعة أبتغيها قبل مفترسي  
... هذى ضاي وحسبي أن أفوز بهـ  
بنعمة الله قبل الشيب والهرم

أما شوقي فهذا بعيد كل البعد عنه، ويؤكد ذلك أنه وقت نظم القصيدة  
كان في رغبة من العيش كما أتاحت له فرصة الذهاب إلى الأماكن المقدسة مسج  
الخدوي ولكنّه غريب كما سبق - مما يشير إلى أن الذي دفعه إلى ذكر  
تلك الأماكن إنما هو تقليد البوصيري (٤) ... مما جعل بعض النقاد يقول عن

(١) الأدب في عصر صلاح الدين الأيوبي ص ٢٨٢ وما بعدها بتصرف.

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٣) كتف الغمة ص ٤٥ وما بعدها.

(٤) الإسلام في شعر شوقي ص ١٢١.

ذلك المطلق : " إنه من صميم شعر الاحتراف (١) .

ولم يكن شوقي بالتقليد بل أوغل فيه مؤثرا الإغراب في تمثيله ، فذكر  
أن محبوه ( أحل سفك دمه في الأشهر الحرم ) فهو يذكره ( الأشهر الحرم )  
يشير إلى مدى ما بلغه ذلك المحبوب من تمدد وعظم ، لأن إراقة الدم نفس  
تلك الأشهر محرمة ، وفات شوقي أن تلك الحرمة قد نسخت (٢) هذا من جهة ،  
ومن جهة ثانية فإن فهم المراد من تلك الإشارة يحتاج إلى ثقافة دينية ، قد  
لا توجد عند كثيرين .

ولقد خالف شوقي ما شرطه النقاد لحسن المطلق ، إذ جعلوا من شرطه  
- بالإغانة إلى ما سبق - المبالغة في انتقاء كلماته وجملته ، وحدها عما يشينها  
من الوجهة البلاغية - وسلامتها مما تنفر منه النفس وتتطير به ( كالقتل والصوت  
والدم (٣) ) . وفي مطلع شوقي تجد لفظ ( السفك ) يليه لفظ ( الدم ) ثم  
الثقل من الطهات بين : ( أحل ، والحرم ) .

وبعد ذلك كله يبدو أن الشاعر نظر في مطلعته إلى قول ابن الفارض (٤) :

طوبى لقاض أتى في حكمه عجباً

أنتى بسفك دمي في الحل والحرم

وأين مطلع شوقي في نهجه من مطلعته في غمزه (٥) :

ولد الهدى فالكائنات ضياء

وفهم الزمان تبسم وثناء

تأمل تلك الألفاظ الموحية الجميلة : ( الهدى ، وثناء ، وتبسم ، وثناء )

تجددها كلها ألفاظا تشوق النفس إليها ، ويملأ القلب عليها .

أما مطلع البوصيري : فقد اشتمل على استفهام يشير إلى إحساس ، ويحرك  
الوجدان ، كما عبر عن أحبابه بلفظ ( جيران ) إشارة إلى قربهم وحقوقهم ، ولذلك

(١) الدكتور محمد كامل حسين الشعر العربي والذوق المعاصر ص ٥٢ مؤسسة دار الشعب

بمصر سنة ١٩٧٦ .

(٢) انظر ص ١٨٤ من هذه الرسالة .

(٣) المتنبي وشوقي وإمارة الشعر ص ١٥٤ .

(٤) ديوانه ص ٣٥ . (٥) الشوقيات ج ١ ص ٢١ .

منج دمه بدمه لأجلهم ، ولا يخفى ما فى تعبيره من جمال ، لولا ذكره لفظ  
( الدم ) الذى تصح الأذن سماعه ، بالإضافة إلى الحشو فى كلمة ( من مقله ) .

ومع كل هذا أين مطلع البردة البوصيرى من مطلع حمزته : (١)

كيف ترقى رقيقك الأنبياء

يا ساء ما طاولتها ساء

نأمل هذا الاستفهام الدال على البعد ، بل الدال على الاستحالة  
وانظر إلى الجنس فى قوله : ( ترقى رقيقك ) تجد الرقعة وعلو الشأن ، ويؤكد  
ذلك قوله : ( يا ساء ما طاولتها ساء ) .

أما مطلع البارودى : فيبدو أنه فاق مطلع صاحبيه ، لاشتغاله على ألفاظ  
موجبة مثل : ( رائد والبرق والنمام ) ، ومعه عن الألفاظ التى تتجهبها النفس  
مثل التى ذكر بعضها البوصيرى من قبله ، وشوقى من بعده .

إن البارودى قد قلده ، ولكنه لم يقف عند التقليد وقفا تاما ، ولم يله  
قرأ قول بعض النقاد : " إن حسن الانتاج ، داعية الانشراح ، ومطهر  
النجاح .. والشمر قفل أوله مفتاحه ، وينهى للشاعر أن يجود ابتداء شمره  
فإنه أول ما يقرع السمع ، وه يستدل على ما عنده من أول ودلة .. ، وليجمله  
حلوا سهلا ، ونخا جزلا .. " (٢) . فعمل على أن يكون مطلعهم جيد المصارة  
حلوا الإشارة ، ما جعلنى أرجح حسن مطلعهم ، ولله مطلع البوصيرى ، ثم مطلع  
شوقى .

#### ب - حسن التخلّص :

ذهب بعض النقاد إلى أنه خروج الشاعر من مطلع قصيدته ، ودخوله  
فى غرضه بلفظ رفيع ، وتحايله فى ربط المطلع بالعرض ربطا لا تكلف فيه ، بحيث  
لا يشعر السامع بالانتقال المفاجئ ، أو يحس بغجوة بين الفرضين (٣) ، وهذا

(١) ديوانه ص ١ .

(٢) الصمدة ج ١ ص ٢١٧ وما بعدها .

(٣) فى النقد الأدبى الحديث ص ٤٠٤ بتصرف .

الضابط يقصر عن التخلص على الانتقال من المطلق ، ولكن الأولى أن يكون عاما يشمل كما قال بعض النقاد " الانتقال من فكرة إلى فكرة بنسبة ظاهرة ويقابله الاقتضاب <sup>(١)</sup> " ، قال ابن رشيق : " وأولى الشعر بأن يسمى تخلصا ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى <sup>(٢)</sup> " .

ولعل سر الإعجاب بالتخلص الحسن أنه نوع من دقة الحكمة ، وحسن الترابط ، حتى تسير القصيدة في تلمس إشبع العقل ، ويرضى النفس ، ولا تشمر بالانفكاث والخرابة <sup>(٣)</sup> .

وإذا نظرنا إلى البوصيري في برده وجدناه أثر حسن التخلص عندما قال في محاورة المذول <sup>(٤)</sup> بعد اعترافه بحبه الذي أنكره طويلا :

إني اتهمت نصيح الشيب في عذل  
والشيب أبعد في نصح عن التهم

فكان هذا بمثابة التمهيد للانتقال إلى الحديث عن النفس في قوله :

فإن أمارتي بالسوء ما اتمظنت  
من جهلها بنذير الشيب والهرم

وكذلك عندما أراد الانتقال من الحديث عن النفس إلى مدح الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) مهد لذلك بقوله :

ولا تزودت قبل الموت نافلة

ولم أصل سوى فرض ولم أصم

ولعل ذلك التمهيد يكون سببا في أن السامع لا يشمر بفجوة بين حديثه عن النفس ومدحه الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) بقوله :

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلسي

أن اشتكت قدساء الضر من ورم

(١) الموازنة بين الشعر ١ ص ٢٠٧ بشرف .

(٢) المحدة ج ١ ص ٢٣٢ .

(٣) في النقد الأدبي الحديث ص ٣٠٥ .

(٤) الموازنة بين الشعر ١ ص ٢٠٦ .

فالهويصيرى لم ينتقل من النسيب إلى مدح الرسول مباشرة ، بل انتقل من النسيب إلى الحديث عن النفس ، ثم انتقل من ذلك إلى مدح الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ، وهذا ما أشار إليه بعض النقاد بقوله : " إذا لاحظنا أنه - الهويصيرى - تخلص من النسيب إلى المدح ، فإن هذا التخلص غير مقبول ، أما إذا لاحظنا أنه تخلص من النسيب إلى حساب النفس ، ثم إلى مدح الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ، فإننا نخفله هذه الإطالة ، لأنها في غرض من أغراضه الأساسية ، وهو الدعوة إلى تهذيب النفس وتطهير الوجدان (١) . "

وإذا كان الهويصيرى قد آثر حسن التخلص في الانتقال من بعض أفكاره ، فإنه قد اقتضب عندما أراد الانتقال من الإشارة إلى بعض معجزات الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) إلى الحديث عن القرآن الكريم فقال :

دعنى ووصنى آيات له ظهرت

ظهر نار القرى ليلا على علم  
ويبدو أنه أراد بذلك أن ينهج نهج السابقين (٢) الذين كانوا إذا أرادوا الانتقال من فكرة إلى أخرى يقولون : ( دع ذا ) و ( دع من ذا )  
ويأخذون فيما يريدون ، أو يأتون بآيات الشددة ابتداءً للكلام الذى يقصدونه (٣)  
إلا أن جل انتقالاته كانت تقوم على أساس حسن التخلص .

وكذلك آثر البارودى حسن التخلص ، إذ عندما تحدث عن سرعة القطاسة وأراد الانتقال إلى مدح الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) قال :

ليت القطا حين سارت غدوة حطت

عن رسائل أشواقى إلى إضم

.. لا شئ يسبقها إلا إذا اعتقلت

بناتى فومديج المصطفى قلمى

فالسامع والقارى لا يشعران بالانفكاك أو الخرابة بين الفكرتين ، ولذلك قال بعض النقاد عن ذلك التخلص : " وهذا التخلص مستطع مقبول .. (٤) . "

(١) المرجع السابق ص ٢١٠ بتصرف .

(٢) انظر ص ١٥٨ من هذه الرسالة .

(٣) الصمدية ج ١ ص ٢٢٩ .

(٤) الموازنة بين الشعر ص ٢١١ .

والجدير بالذكر أن الهارودي كان يقتضب أحيانا مثل قوله عن الرسول  
( صلى الله عليه وسلم ) :

هذا الذي عصم الله الأنعام —

من كل هول من الأحوال مخترم  
ثم أشار بعد ذلك مباشرة إلى بعثته ( صلى الله عليه وسلم ) بقوله :  
وحين أدرك من الأرحمين —  
من قبله مبلغ للملم والحكم  
كما اقتضب في انتقاله من الحديث عن ليلة الإسراء والمعراج بقوله :  
فاقت جميع الليالي فهي زاهرة  
بحسنها كزهر الغار في العلم

إلى الحديث عن فرض الصلاة بقوله :

هذا وقد فرض الله الصلاة على

عباده وهذا هم واضح القسم

وأيا يظهر اقتضابه عند انتقاله من الحديث عن الوخاة بين المهاجرين  
والأنصار بقوله :

وأصبح الناس إخوانا وهم —

فضل من الله أحياءهم من المدم

إلى الحديث عن فرض الجهاد بقوله :

هذا وقد فرض الله الجهاد على

رسوله ليثبت الدين في الأمم

أما شوقي : فقد أثر الاقتضاب ، وخاصة عندما انتقل فجأة من الفسزل  
إلى الحديث عن الدنيا وفطورها ، والنفس وقيلتها ، تأمل حديثه إلى محبوبته :  
لم أغش مثناك إلا في غضون كرى

مثناك أبعد للمشتاق من إرم

ثم تأمل كيف انتقل فجأة إلى الحديث عن الدنيا بقوله :

يا نفس دنياك تخفى كل حكمة

وإن بدا لك فيها حسن متمم

ولذلك يقول بعض النقاد عنه : " إنا لنراه صدف عن التخلص وأثر  
الاقتضاب ، نانتقل فجأة من ذلك النسيب الموفق المشرق إلى الحديث عما تضرر  
الدنيا من المهيكات ، وما تجن من ظلمات الخطوب .. (١) " .

واقترض أيضا في انتقاله من حديثه عن فساد أخلاق الناس قبل بمحتله  
( صلى الله عليه وسلم ) بقوله :

والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم  
كالليث بالبهيم أو كالحيوت بالهلم  
إلى حديثه عن الإسراء والمراج مباشرة بقوله :

أسرى بك الله ليلا إذ مدئكهم  
والرسل في المسجد الأقصى على قدم  
وغير ذلك كثير في قصيدته ، مما جعل بعض النقاد يقول عنه : " وإذا كان  
هناك ما أخذ على شوقي ، فإن أشد ما يؤخذ عليه في قصيدته - نهج البردة -  
هو الاقتضاب في معانيها .. (٢) " .

#### ج - الخاصة :

وهي - كما بينهم - من لفظها لأول وحلقة : آخر القصيدة ، بل  
هو كما قال ابن رشيق : " قاعدة القصيدة ، وآخر ما يبقى منها في الأسماع (٣)  
كما أنها آخر ما يربط السامع بالقصيدة ويجذبه إليها ، وربما كان في حسنيتها ما  
يحمل الناس على تنبها والهيام بها ، ولذلك عني النقاد بها عناية كبيرة  
ووضعوا لحسنيتها بعض الإشارات ، ومن ذلك قول بعضهم : " وأحسن ما نختم  
به القصيدة ما يشمر السامع بالنهاية والختام ، بحيث لا يبقى في انتظار شئ ،  
ولا يظل مترقبا شيئا ، وما كان مع ذلك منسجما مع الفرض الذي سبقت له القصيدة  
بحيث لا يكون غريبا عنها ، أو نائرا منها .. (٤) " .

(١) المرجع السابق ص ٢١٤ .

(٢) مجلة لواء الإسلام ص ٣٩ - الممدد الثامن من السنة الثالثة سنة ١٩٥٠ م .

(٣) السبعة ج ١ ص ٢٣٩ .

(٤) في النقد الأدبي الحديث ص ٣٠٥ بتصرف .



وإذا نظرنا إلى خاتمة البردة ، وجدنا البوصري قد ختمها بالصلاة  
الدائمة على رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ، إنه قال متضرعا إلى الله  
سبحانه وتعالى :

وَأَذِّنْ لِمَحَبِّ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةً

على النبي بمنهول وضججهم

ما رنحت عذبات البان ربح صبا

وأطرب العيس حادي المهن بالنغم

وأما خاتمة كشف الخمة فقد ختمها البارودي - بعد الصلاة الدائمة على  
رسول الله - بالتضرع إلى الله سبحانه وتعالى ، وطلب مغفرته جل وعلا بقوله :

وَأُضِنْ عَلَى عَمْدِكَ الْعَانِي بِمَغْفِرَةٍ

تسحو خطاياي في بد \* ومختتم

وأما خاتمة نهج البردة ، فقد ختمها شوقي بالتضرع إلى الله سبحانه وتعالى ،  
وراجيا حسن الختام للمسلمين ببركة الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) الذي أحسن الله  
عالم المسلمين به ، فأخرجهم من الظلمات إلى النور ، فقال :

يَا رَبِّ أَحْسَنْتَ بَدَأَ الْمُسْلِمِينَ بِسَمِّهِ

نستم الفضل وأضع حسن مختتم

وأرى أن ختام شوقي أغفل من ختام صاحبيه ، لاشتغاله على ما يشتمل  
بحسن الختام في قوله : ( حسن مختتم ) ، ولا شغاله على دعاة يمم المسلمين جميعا  
ولا شارته إلى فضل الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ، وأخيرا لبدته بتلك الكلمة  
الطيبة ، والدعاة الصادق ( يارب ) كل ذلك في بيت واحد .

أما ختام البوصري فلم يشتمل على ما يشتمل به حسن الختام ، بل ولا على  
ختام القصيدة نفسها ، ولذلك سهل على من أتى بعده أن يزيد عليها أبياتا  
أولها - كما سبق - (١) :

ثم الرضا عن أبي بكر وعن عمر

وعن علي وعن عثمان ذي الكرم

(١) انظر ص ٢١٦ من هذه الرسالة .

وإذا قرأتها بحد نهاية البردة خيل للسامع أنها متصلة بها ، وأنها  
منها ، أشف إلى ذلك أن ختامه في بيتين ، والبيت الثاني قد توغلت ألفاظه  
في البداوة والتقليد .

وأما ختام البارودي فقد اشتمل على حسن الختام أيضا في قوله : ( في بدء  
وصختم ) ، كما اشتمل على ما يشمر بتواضعه لله سبحانه وتعالى في قوله : ( عبدك  
الحاني ) ، بالإضافة إلى طلبه المغفرة ، إلا أنه قد طلبها لنفسه ، فهو دعاء  
له وحده ، ولعل ظروف نظمه القصيدة هي التي دفعت به إلى ذلك .

ومهما يكن من شيء ، فإنني أرجح حسن ختام شوقي ، قاله البارودي ، فالهوسيري  
وإذا كان ابن رشيق قد قال : " وقد كره الحذاق من الشعراء ختم القصيدة  
بالدعاء ، لأنه من عمل أهل الضعف إلا للملوك ، فإنهم يشتهون ذلك " (١) .  
فأقول : إن دعاء ملك الملوك أولى وأوجب ، وهو - جل وعلا - عن دعائنا غنى .  
٢- الأفكار وترتيبها :

إذا نظرنا إلى الأفكار التي اشتملت عليها البردة ، وجدناها لم تخرج  
عن : النسب ، والتحذير من النفس وهواها ، ومدح الرسول ( صلى الله عليه  
وسلم ) ثم مولده ، ثم معجزاته ، ثم شرف القرآن الكريم ، فلا سرا ، والمعراج ، ثم  
جهاد الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) وإشادة ببطولة أصحابه ، ثم التوسل  
برسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى .

وأما قصيدة البارودي : فقد أشارت إلى ما اشتملت عليه البردة ، وزادت  
عليها بعض الأفكار الأخرى مثل : رضاع الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ورعيته  
الغنم ، واشتغاله بالتجارة ، وزواجه بالسيدة خديجة ، ووضع الحجر الأسود ،  
والهجرة إلى الحبشة ، وقصة الأراشي ، وفرض الصلاة ، وقصة سراقه ، والمؤاخاة  
بين المهاجرين والأنصار ، وبناء المسجد النبوي ، بالإضافة إلى ذكر غزوات  
الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) وسراياه كلها تقريبا .

وأما نهج البردة : فلم تشتمل على أكثر مما اشتملت عليه البردة ، إلا  
زيادتها الحديث عن قرية انتشار الإسلام بالسيف ، وإشادة بالشريعة

الإسلامية • وحضارة المسلمين •

هذا من ناحية أفكار كل قصيدة • أما من ناحية ترتيبها • فالبردة - كما قال أحد الكتاب - مستقيمة النهج • بينة المعالم • قاصدة المير • تأخذ على حسب تتابع المراحل • ووفق مواقع الأحداث في سلسلة الزمان - غالباً - وكلما خلصت من مرحلة تقدمت إلى التي تليها تبعاً • ولهذا يجد القارئ كأنه معها في رحلة شائقة ممتعة • لا يتخلل المير فيها غف ولا توقف ولا مفاجأة ولا اضطراب (١) •

وليس معنى ذلك أن البردة قد خلت من تقديم فكرة - كان حقها - التأخير - على أخرى - كان حقها التقديم - إذ وقع فيها هذا الأمر •

ولعل مما يؤكده ذلك أن البوصيري قد مدح الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) حتى وصل إلى مدح التراب الذي دفن فيه ( صلى الله عليه وسلم ) • ثم يناجتها باللعنات عن مولده • كل ذلك في قوله :

لا طيب يمدح تراباً ضم أعظمه

طوبى لمن شق منه ولتشم

أبا ن مولده عن طيب عنصره

يا طيب مبدأ منه ومختتم

وأما كشف النخبة : فتمتاز بترتيب أفكارها • وتسلسل حوادثها • حسب وقوعها • ولعل سبب ذلك الترتيب يرجع إلى تيسر الشاعر بسيرة ابن هشام كما ذكر - سابقاً - • إلا أن مزية الترتيب التي انفرد بها كانت باباً لفقد الشعر في أكرر القصيدة (٢) • وخاصة عند سرد الحوادث • ولم يخلب نبيها الشعر إلا عند الوصف • وعند مناجاة الوجدان (٣) •

وأما قصيدة : شوقي ( نهج البردة ) : فلا يبدو أن لها طريقاً مرسومة • ولا معالم مصرونة - حتى قال عنها بعض الكتاب - • • كأنها في مجموعها

(١) الدين والأخلاق في شعر شوقي ص ٣٩ •

(٢) الموازنة بين الشعراء ص ٢٠٢ وما بعدها •

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٦ بتصرف •

الاشقات الصمثرة ، يحميها بها من الخارج سياج جامع محيط ، ولكن لا يكسده  
يؤلف بين مفرداتها من الداخل نط من وحدة الفكرة ، أو تماسك المنطق  
أو تساوق الحوادث ، فإذا القارىء معها أبداً فى قلق ، وتوجس وعناء ، فما  
يكاد يعضى معها وهو يظن أن مقتماقب الحوادث ، ويسلم السابق منها إلىسى  
اللاحق ، حتى تنقلب به راجعة ، لتلم شعثاً ، أو تتم نقصاً ، أو تذكر ضياعاً  
أو تكرر ماضياً . . . (١) .

ولعل مما يؤكده ذلك حديثه عن تعبد الرسول ( صلى الله عليه وسلم )  
فى غار حراء قبل بعثته :

سائل حراء : روح القدس هل علما  
مضون سر عن الإدراك منكم  
كم جيئة وذهاب شرفت بهمـ  
بطحاء مكة فى الإصباح والقسم  
ووحشة لاهن عهد الله بينهمـ  
أشهى من الأنس بالأحباب والحشم  
يسامر الوحي فيها قبل مهبطه  
ومن يهشر بسبى الخير يتسم

ثم ينتقل إلى الحديث عن بعض معجزات الرسول ( صلى الله عليه وسلم )  
بقوله :

لما دعا الصحب يستمعون من ظمأ  
فاضت يداه من التمنيم بالمنم  
وظلله فصارت تحفظل بسـ  
غمامة جذبتها خيرة الديـ  
محبة لرسول الله أشر بهمـ  
قمائد الدير والرهبان فى القسم  
إن الشمائل إن رقت يكاد بهمـ  
يفرى الجماد ويفرى كل ذى نسـ

ثم يناجئته بمودته إلى الحديث عن نزول الوحي أول مرة بقوله تعالى :  
( اقرأ ) ، وموقف قريش من الدعوة فيقول :

نودي اقرأ تعالى الله قائلها

لم تتصل قبل من قبلت له بغم

هناك أذن للرحمن فامتسلاّت

أسماع مكة من قدسية النفس

فلا تسل عن قريش كيف حيرتها

وكيف نفرتها في السهل والعلم

ثم يمدح الرسول ( على الله عليه وسلم ) ، ويتحدث عن القرآن الكريم ، ثم  
يخود إلى مدح الرسول بالصراحة والبيان ، ثم يتحدث عن مولده وما صاحبه  
من حوادث ،

ولا يخفى أن ذلك يشير إلى أن القصيدة خلطت من المعاني ، وأشتات من  
الخواطر ، مما جعل بعض الكتاب يقول : \* وهذا يدل على اضطراب الفكرة  
العامة لدى شوقي وغرض الروية أمام فكره ، وتذبذب المشاعر والانفعالات ، كما  
يدل على انعدام التجربة لديه . . . (١) ، ويبدو أن ذلك الاضطراب هو  
الذي جعل شكيب أرسلان (٢) يقول : \* ولواستشارني شوقي في هذه الممارسة  
لهيئته عنها . . . (٣) .

ولقد ذهب بعض الكتاب إلى أن عدم ترتيب أفكارها يرجع إلى " أنها  
لم تولد في سبحة واحدة من سبحات الإلهام ، ولا نظم عقدها ، وأكل خلقها ،  
وسويت صورتها ، في لحظة واحدة من إشراقات الوحي ، ودفعات الغيظ ، بسبب  
نظمت على فترات متقطعة ، وفي لحظات متباعدة ، ففصل الزمن بين تسلسلها ،  
وقطع بين ارتباطها ، فخرمت الترتيب التاريخي ، والانتظام التسلسلي . . . (٤) .

(١) الممارسة في شعر شوقي ص ٢٢٩ يتصرف .

(٢) هو شكيب بن حمود بن حسن أرسلان ، أديب عراقي ، توفي سنة ١٩٤٦ ( الأعلام

ج ٢ ص ٢٥١ ) .

(٣) شوقي أو صداقة أرمحين سنة ص ٢٠٧ .

(٤) مجلة لواء الإسلام ص ٢٥ وما بعدها ، المجلد السابع من السنة الرابعة سنة ١٣٧٠  
هجريّة .

ومهما يكن من شيء ، فإن البارودي قد رتب أفكاره في كشف القصة ،  
أكثر من ترتيب البوصيري إياها في البردة ، وشوق في نهجها .

هذا عن ترتيب الأفكار ، أما عن طريقة معالجتها ، فلم تأخذ شكلاً واحداً  
فضلاً : تناول الشعراء الثلاثة فكرة الحديث عن هجرة الرسول ( على الله عليه  
وسلم ) ، ولكنهم لم يشيروا إلا إلى مشهد الفار والرسول بداخله وشبه الصديق  
وعلى بابه المنكوت والحمام ، فقال البوصيري :

وما حوى الفار من خير ومن كرم

وكل طرف من الكفار عنه عصى

فألصقت في الفار والصديق لم يرهما

وهم يقولون ما بالفار من أرم

ظنوا الحمام وظنوا المنكوت على

خير البرية لم تمنح ولم تحم

وقاية الله أغت عن مضاعفة

من الدروع وعن عال من الأطم

ولا يخفى أن الشاعر قد اكتفى بالمعنى الشائع ، والقصة المعروفة ، فالتبس  
وصاحبه في الفار ، والكفار عندما ذهبوا إلى الفار ، ووجدوا غيوط المنكوت  
منسوجة على بابه ، والحمام ها دي في عشه أمامه ، ظنوا أنها على باب الفار  
من زمن بعيد ، ثم أتى بقول حكم يدل على السر في نجاة الرسول وعجبه ،  
وهو عناية الله التي أغت عن الدروع القوة ، والحصون الحصينة .  
وقال البارودي :

وجاء الوحي إيدانا بهجرتيه

فبم الفار بالصديق في القسم

ثم يتحدث عن الحامتين في ثمانية أبيات تقريباً بقوله :

فما استقر به حتى تسواه

من الحمام زوج بارع الرنم

بنى به عشه وأحشاه سكا

يأوى إليه غداة الريح والرهم

إفان ما جمع المقدار بينهما  
إلا لسر يصدر الفار هكتهم  
كلاهما ديدبان فوق مرصاة  
يرعى الصالك ممن بعد ولم ينم  
إن حن هذا غراما أودعا طربا  
باسم الهديل أجابت تلك بالنخم  
يخالها من يراها وهي جاثمة  
في وكرها كرة ملساء من آدم  
إن رفرقت سكنت ظلا وإن هبطت  
روت غليل الصدى من حائر شيم  
مرقوسة الجيد من مسك وغالية  
مخضوة الساق والكين بالمنم  
كأنما شرعت في قاني سرب  
من أدمى فصدت محمرة القدم

ففي هذه الأبيات يشير البارودي إلى صوت الحماطين الجميل ، وإلى  
بنائها على باب الفار ، كما يشير إلى أن القدر هو الذي جمع بين هذين  
الإلغين لسر يوصله الله ، وشبههما بحارسين براميان الصالك من بُعد ، بالإضافة  
إلى هجرهما النوم ، ويخنيان باسم الهديل ، ثم شبه إحداهما بكرة من الجلد  
ملساء ، معلمة الجيد ، مخضوة الساق والكين باللون الأحمر ، كأنما شرعت في  
دموعه الحمراء ،

ثم انتقل إلى الحديث عن المنكوت وخيوطه فقال :

وسجف المنكوت الفار محتفيا

بخيمة حاكها من أبسودع الخيم  
قد شد أطناها فاستحكمت ورست  
بالأرض لكتها قامت ببلادهم  
كأنها سايرى حاكه لبيق  
بأرض سابور في بحرمة المعجم





وعل تثل نسج المنكوت لهم  
كالقاب والحائمات الزغب كالرخم  
فأدبروا ووجوه الأرض تلمنهم  
كباطل من جلال الحق ضهم  
لولا يد الله بالجارين ما سلمنا  
وهينه حول ركن الدين لم يقم  
تواريا بجناح الله واستسبرا  
ومن يضم جناح الله لا يضم

لقد سخر شوقي من المشركين الذين كانوا يبحثون عن الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) حول الشارف شهم بالساعة، ثم أشار إلى نفس الكلم الطيب الذي يسمونه ، والنور الوضاء الذي يرونه ، ولكنهم معجزون عن الوصول إلى مصدر هذا أو ذاك إذ يقولون إن نسج المنكوت غاب كيف ، كما أن الحمام الواحد تثل أمامهم طائرا جارحا، ولما يتسوا من الوصول إلى هدفهم ، رجسوا إلى ديارهم مهزومين كما يهزم الحق الباطل ، أضف إلى ذلك أن وجوه الأرض كانت تلمنهم ، ثم أشار شوقي إلى أن عناية الله هي التي حفظت الرسول وصحبه ، لأنها كانت مع الله ، ومن كان مع الله ، كان الله معه .

وهكذا مر شوقي على المشهد بسرعة ، لكن مروره لم يخل من روعة التشبيه الجميل ، والاستمارة اللطيفة (١) .

محمد : فلقد اضطرت إلى الوقوف مع تلك الفكرة طويلا لأوضح أن الشراء الثلاثة كانوا يتناولون فكرة واحدة ، ولكن تناولهم لها يختلف وضوحا وغفاه ، وقوة وضمفا ، وحقيقة وخيالا (٢) .

وليس معنى ذلك أن ذلك كان ديدنهم في كل الأفكار ، لا ، بل كالمسحوق أحيانا - يتناولون بعضها بغير زيادة تذكر، ومن ذلك تقربهم إلى الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) باشتراكهم معه في الاسم ، فقال البوصيري :  
فإن لي ذمة منه بشميتي

محمدًا وهو أوفى الخلق بالذم

(١) المرجع السابق ص ٣٢ وما بعدها . (٢) الموازنة بين الشراء ص ٢٠ وما بعدها .

وقال البارودي :

أم كيف يفيد لسنى من بعد تجمعتي  
باسم له نى سما\* المشرش محترم<sup>(١)</sup>

وقال شوقي :

يا أحمد الخير له جاء تسميتى  
وكيف لا يتعاض بالرسول موسى

ولا يخفى أن الموصى هو صاحب الفكرة ، وقد تيمم البارودي ، ولحقهما  
شوقي<sup>(٢)</sup> .

### ٣- الوحدة المضمومة :

يراه بالوحدة المضمومة : اندماج عناصر القصيدة ، واتحاداً جزائريها ،  
وحبكة صياغتها ، وتتمثل سماتها ، بحيث تبدو كلا مجعاً لا أجزاءً متعددة  
وحيث لا يمكن أن تحذف شيئاً موجوداً فيها أو تضيف شيئاً غير موجود ، كما  
لا يمكن أن تقدم متأخراً ، أو تؤخر مقدماً ، وتبقى القصيدة بخير خلل<sup>(٣)</sup> .

ولعل تلك التسمية تشير إلى تشبيه القصيدة بالإنسان في تلاحم أعضائه  
وتسويقها في خلقته تسقيفاً منظماً ، بديعاً ، بحيث لا يمكن أن تنقى له وساسة  
خلقته ، واعتدال تكوينه ، إن نقى أو اختل عضو من تلك الأعضاء<sup>(٤)</sup> ، وهذا ما  
أشار إليه كبير من النقاد القدامى والمحدثين<sup>(٥)</sup> ، ومن ذلك ما ذكره ابن رشيق  
عن الخاتمي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ : " فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان  
في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فتنقى انفصل واحد عن الآخر ، وبإينه في صميمه  
التركيب قادر الجسم ذاعامة تخون معانته ، وتنفى معالمه " .<sup>(٦)</sup>

(١) انظر ص ٤٥٤ من هذه الرسالة .

(٢) الموازنة بين الشعراء ص ٢٠١ .

(٣) اتجاهات النقد الأدبي المعاصر ص ٢٥٥ بتصرف .

(٤) في النقد الأدبي الحديث ص ٣٠٧ .

(٥) المرجع السابق ص ٨ ٣٠ وما بعدها .

(٦) الصفحة ٢ ص ١١٧ .

ويقول العقاد : " فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي ، يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ، ولا يفنى عنه غيره في موضوعه ، إلا كما تفنى الأذن عن المين ، أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة . . (١) " .

وإذا كان بعض النقاد قد جعل من شروط الوحدة المضمومة نفس القصيدة أن تتناول فكرة واحدة ، أو غرضاً واحداً (٢) فهل معنى ذلك أن البردة وكشف الغمة ونهج البردة قد دخلت كلها من الوحدة المضمومة ، لأنها قد اشتملت على كثير من الأفكار يجمعها غرض واحد ، وهو مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) - كما سبق - (٣) .

ويبدو أن ذلك الاتجاه ليس محل إجماع النقاد ، إذ ذهب بعضهم إلى أن تعدد أفكار القصيدة لا يتعارض مطلقاً مع وحدتها ، وترابطها . . . . . ترابطاً متيناً محكماً ، لأن وحدة القصيدة قائمة على أساس من ترابط الأجزاء فكراً بعضها ببعض . . . (٤) .

أضف إلى ذلك أن الشاعر يتصور عمله وحدة متلاحمة الأجزاء ، يعلم الواحد منها إلى صاحبه ، ويتقدم الواحد منها على أخيه لعلة نفسية ، وسبب فني (٥) .

ولعل ما يؤكد ذلك قول ابن طباطبا المتوفى سنة ٣٢٢ هـ : " . . . ويجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة ، في اشتباه أولها بآخرها : نسجاً وحمناً وفصاحة . . . ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً (٦) . . . بالطف تخلص ، وأحسن حكاية ، بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله ، بل يكون متصلاً به ، ومتزجاً معه . . (٧) .

- 
- (١) عباس العقاد والمازني : الديوان في النقد والأدب ص ٢ ص ٤٥ وما بعدها مطبعة مصر سنة ١٩٢١ . (٢) الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي : وحدة القصيدة في الشعر العربي ص ٥ ، ٢٩ مطبعة المنيرة بمصر سنة ١٩٥٢ . (٣) انظر ص ٨١ وما بعدها من هذه الرسالة . (٤) في النقد الأدبي الحديث ص ٣١١ بنصرف . (٥) المرجع السابق ص ٣١٢ . (٦) ابن طباطبا : عيار الشعر - تحقيق طه الحاجري ومحمد سلام - ص ١٢٤ المكتبة التجارية بمصر سنة ١٩٥٦ . (٧) المرجع السابق ص ٦ .

وعلى هذا تكون الوحدة المضمومة قد وجدت في البردة وكشف الخمسة  
 وضح البردة، وإن تفاوتت بقوة، وضمما، إذ هي في كشف الفحة أقوى  
 منها في البردة ونهجها، كما سبق بيان ذلك عند الحديث على ترتيب أفكار  
 تلك القصائد (١).

ولقد ذهب بعض الشعراء إلى اشتراط الوحدة الفنية في القصيدة  
 لا وحدة الفرض والموضوع، وهذا ما نسبته بعض النقاد إلى الشاعر الزهاوي  
 المتوفى سنة ١١٢٦ هـ، عندما ذكر أنه - الزهاوي - قال: " من الشعراء  
 المصريين من لا يجوز أن تشتمل القصيدة على مطالب مختلفة، كأنه يفضل  
 أن تكون الروضة قد أنهت شكلا واحدا من الزهر، ولكني لا أرى رأيه، وأى  
 لوم على من أطال قصيدته، وجعلها في مطالب مختلفة، تربط بعضها ببعض  
 مناسبات بينها... فيتمتع القارئ أو السامع بالوان مختلفة من الأدب في  
 القصيدة الواحدة، نعم إن الشاعر إذا بدأ يصف شيئا وجب عليه أن يستوفي  
 ذلك الوصف، ثم ينتقل إلى غيره، وكذلك إذا شرع يروي قصة وجب عليه ألا يخرج  
 من الموضوع إلا بعد إعطائه حقه... (٢) وذكر أنه قال أيضا: " وهنالك  
 شيء يستحبه الذين تشبعت أدمغتهم بالأدب الشرقي، هو وجوب أن تكون  
 القصيدة الواحدة خاصة بفكرة واحدة، أو رضا لشيء واحد، من غير خروج إلى  
 غير الموضوع، وهذا ليس من الشعر نفس أعلى، بل تابع للأذواق، ولطريقة  
 الشاعر في شعره، ولا ينوع الشاعر المبرز في العربية الموضوع في كل قصيدة،  
 فكثيرا ما يحصر شعره في القصيدة الواحدة في موضوع واحد، وإذا نوع الموضوع  
 فهو يتسلل إلى الثاني بناسبة وبعد فصله من الأول، مريدا بذلك أن تكون  
 قصيدته كالعرضة الفناء محتوية على مختلف الأزهار، وهذا أقرب إلى الطبيعة،  
 وليس فيه ما يؤخذ عليه غير كونه ينافي ما يفعله شعراء الغرب، ولكل أمة سياق  
 ونزعة ليست لأختها" (٣).

وأرى أن ذلك الرأي لا غار عليه ما دام الشاعر سينتقل من فكرة إلى أخرى  
 بينهما مناسبة، ويوفى كل فكرة حقها، وتتدرج هذه الأفكار كلها تحت غرض واحد،

(١) انظر ص ٦٩٦ من هذه الرسالة • (٢) وحدة القصيدة في الشعر العربي ص ٢١ •

(٣) المرجع السابق ص ٦٢ •

وهذا ما أكدّه العقاد بقوله : " إن القصيدة تكون كلا واحدا ، ذا موضوع  
تختصر فيه الأغراض ، ولا تنتهي حتى ينتهي موداعها وتفرغ جوانبها وأطرافها  
جميعا ، وذلك إذا طال نفس الشاعر ، واستقصى معناه ، واسترمل فيه . . (١) "  
كما ذكر بعض النقاد " أن الوحدة المطلوبة في الشعر إنما هي الوحدة  
الفنية لا الوحدة العضوية ، وتلك الوحدة الفنية تتكامل القصيدة ، وتدب فيها  
الحياة (٢) . "

#### ٤ - الماطقة :

والمراد بالماطقة في فن الشعر هي تلك الحالة التي تتشبع فيها  
نفس الشاعر بموضوع أو فكرة أو مشاعرة ، وتجر فيه تأثيرا يدنمه إلى التعبير  
عن مشاعره ، وإعجابها بما يجول بخواتمه (٣) .

وللماطقة أهميتها في الفن الأدبي ، إذ هي عنصر من أهم عناصره  
وهي يتميز الأدب الصادق من الأدب الزائف ، فأما الأدب الصادق فيكون  
تعبيرا عن عاطفة قوية ، تجيش بنفس الأديب ، وأما الأدب الزائف فهو أدب -  
خدمت عاطفة صاحبه ، ويحتاج إلى الصدق الشعوري (٤) .

وهذا يدفعنا إلى التساؤل عن عاطفة البوصيري وصاحبه ، أكانت  
صادقة عندما نظموا قصائدهم الثلاث أم غير صادقة ؟

لا يخفى أننا لو تأملنا حياة الشعراء الثلاثة لوجدنا أنهم يشتركون  
في صفات كثيرة منها : إيمانهم بالله ورسوله ، وإعجابهم ببطولة الرسول وأصحابه  
وكفاحهم ضد المشركين ، ولا شك في أن مثل هذه الصفات تحرك الماطقة  
وتشير الإحساس ، إلا أن عاطفتهم تفاوتت - قوة وضعفا - في قصائدهم  
لصفات انفرد بها كل واحد منهم عن الآخر .

(١) عباس العقاد : ابن الرومي - حياته من شعره ، ص ٣١٦ المطبعة التجارية

بمصر سنة ١٩٥٠ .

(٢) اتجاهات النقد الأدبي العربي ص ٢٦٦ .

(٣) الدكتور محمد خفاجي : دراسات في النقد العربي الحديث ومذاهبه ج ٢ ص ٣٤

بتصرف - دار الطباعة المحمدية بمصر ( غير مؤرخ ) .

(٤) الإسلام في شعر شوقي ص ١١٣ بتصرف .

فالبوصيرى - فى برده - أقوى من طحييه الماطقة - فى قصيدتهم -  
- ولعل مرد ذلك إلى ظروف إنشائه القصيدة ، إذ كان - كما قيل - مريضاً  
يقله الداء ، وتضيق الملة ، تنظم البردة لعلها تكون وسيلة إلى إبرايم ،  
وسببها فى شفايه (١) ، أضف إلى ذلك تأثيره بما وقع فى عصره من حروب  
صلبية ، وفتن واضطرابات ، من شأنها أن توقد الماطقة ، وتلهب الشاعر  
ولذلك يقول بعض الكتاب : " إن تتابع الهلات يوقد الماطقة الدينية ، ويجعل  
الناس يلجأون إلى رسمهم ، ويتوسلون بنبيهم ، ( صلى الله عليه وسلم ) يبتغون  
النجاة .. (٢) ..

أضف إلى ذلك حفظه القرآن التميم ، بل لقد أنشأ كتاباً - يضم  
الكاف - يحفظ فيه القرآن نظراً لشدة فقره ، كما انتسب إلى السادة  
الشاذلية على يد أبى الصباس المرسى ، ولا شك فى أن كل هذه الأمور  
كان لها أثر كبير فى صهر عاطفة البوصيرى ، وإثارة مشاعره ، ولعل مما يشير  
إلى ذلك تلك الزفرات الحارة فى قوله :

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت  
من المحارم والنم حية الندم  
وخالف النفس والشيطان وأعصهما  
وإن هما محضاك النصح فاتبهم  
ولا تطع منهما خصماً ولا حكمهما  
نأنت تعرف كبد الخصم والحكم  
أستغفر الله من قول بلا عمل  
لقد نعت به نسلاً لذى عقم

وإذا كان من مظاهر قوة الماطقة - كما قال بعض النقاد - " أنها  
تهيج فى نفوس القراء أصداء لها .. (٣) " ، فمن ذا الذى يقرأ قول البوصيرى :  
أطمنت غنى الصبا فى الحالين وما  
صلت إلا على الآثام والندم

(١) انظر ص ٦٩ من هذه الرسالة .

(٢) شوقي شعره الإصلاص ص ١٨٢ .

(٣) الإسلام فى شعر شوقي ص ١١٤ .

فياخسارة ندى فى تجارتها  
لم تشتتر الدين بالدنيا ولم تسم

أقول من ذا الذى يقرأ ذلك القول ، ولم تتأثر نفسه ، ولم تخجل  
جوارحه ، ولم يشرب الندم إلى قلبه ، ولم يقبل على طاعة ربه ، بل من ذا الذى  
يقرأ قوله :

يانفس لا تقنطى من زلّة عظمت

إن الكبائر فى الشفران كاللحم

لحم رحمة ربى حين يقسمها

تأتى على حسب العصيان فى القسم

أقول من ذا الذى يقرأ ذلك القول ، ولم يطمع فى رحمة الله ، ولم  
يأمل أن ينال مغفرته ، إن هذا كله دليل على قوة عاطفة الشاعر فى قصيدته  
ومما يؤكد ذلك هذا العدد الكبير من الناس الذى يقبل عليها قراءة وحفظا .  
والجدير بالذكر أنه لا يلزم من قوة العاطفة أن تكون ناثرة مضطربة  
كما يشمر بذلك لفظ (قوة) ، بل قد يكون الأدب هادئا رزينا . . ومع ذلك  
يحمل قارئه على الارتباط به ، وهذا ما أشار إليه بعض النقاد ، وأكد به قوله :  
" إن المقصود من قوة العاطفة . . قدرة النص على إيقاظ نفس قارئه أو سامعه (١) "  
ولعل هذا هو الذى دفع المسئولين فى وزارة الثقافة والإعلام إلى إقامة  
ما أسموه ( أسبوع البوصيرى ) إذ أنشد بعض الفنانين كثيرا من شعر البوصيرى  
فى الدوائج النبوية ، وبخاصة من البردة ، ولقد شاهد تلك الأسبوع كثيرا من الناس  
وأعجبوا بها مع اختلاف ثقافتهم (٢)

وكذلك كانت عاطفة البارودى قوية فى قصيدته ( كشف الخمة ) ، ولعل  
ذلك يرجع إلى شدة شبه الأسباب والدوافع التى دفعتها إلى إنشاء هــ  
القصيدة بالأسباب التى دفعت البوصيرى إلى إنشاء قصيدته .  
كأن البارودى - عندما نظم قصيدته - متفيا ، تساوره آلام الخربة ،

(١) فى النقد الأدبى الحديث ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٢) انظر صحيفة الأهرام المصرية الصادرة فى ٢٢/٩/٧٧ ص ٣ ، ص ١١ وصحيفة

الأخبار المصرية الصادرة فى ١٦٧٧/٩/٤ ص ١ .

ومرارة الوحشة وتحزن في نفسه قوة النفس ، وقد شاقه الأهل والأحباب ، وأخذت  
بله الديار والأوطان ، ولكن لا معين ولا نصير ، وانقطعت أسباب الأمل ،  
واضطلحت عليه الخطوب ، وتزاحمت لديه الكرب فأكب على إنشاء هذه القصيدة  
وقصد بها أن تكون ضراعة إلى ذي الجلال والإكرام ، ليكشف بها غمته ، ويزيل  
بسببها كربته ، ويذهب محنته (١) .

ولقد جرد الشاعر من ماله وألقاه ، ونفى من دياره ، وترك أهله  
وخلانه ، وماتت زوجته ، كما فقد بعض أولاده ، وبعض أصدقائه ، فحزن  
عليهم حزنا شديدا ، كان سببا في مرضه الذي اشتد به ، ولا يخفى أن كسل  
هذه الأمور من شأنها أن تقوى الماطفة ، ويؤكد ذلك بعض النقاد بقوله : "موت  
المريز ، والمرض المسنى ، والحرب الدمرة ، والمدو القالم .." والصاحب  
الضائق ، والفسارة الفادحة ، وغير ذلك مما من شأنه أن يحدث في النفس  
ندوا عميقة الغور ، تهيج المشاعر ، وتدفعها إلى القول والتنفيـس  
عن آلامها ، والتعبير عن همومها ، تعبيرا فيه من صدق الإحساس ما يهبه  
القوة ، ويضحه الخلود (٢) .

ولعل قول البارودي :

تكا بدتني خطوب لورميت بهسا  
ضالك الأرض لم تثبت على قدم  
في بلدة مثل جوف المير لست أرى  
فيها سوى أم تحنو على صفم  
لا أستقر بها إلا على قلمسني  
ولا ألد بها إلا على ألسم  
إذا تلفت حولي لم أجد أثرا  
إلا خيالي ، ولم أسمع سوى كلبي  
نمن يرد على نفسي لها نهبها  
أو من يجير غويدي من يد السقم

(١) الشعر في العصر الحاضر وأثر البارودي فيه ص ٨٠ .

(٢) في النقد الأدبي الحديث ص ١٢٧ وما بعدها بتصرف .



أقول لعل ذلك القول يوضح ما في نفس الشاعر من جراحات ، وما في قلبه من هموم ، بل إنه ليؤكد ذلك بقوله :

إني وإن مال بي دهرى وجرى بى  
ضم أشاط على جمر النوى أدنى  
لثابت المهد لم يحلل قوى أطسى  
يأس ولم تخط بى نى سلوة قدسى  
لم يترك الدهر لى ما أستعين به  
على التجمل إلا ساعدى ونصى

إن عاطفة الشاعر قوية في قصيدته بحاسة ، ولا ينافى ذلك أنها ضحفت في بعضها بحسب نظمها على نعت حيرة ابن هشام ، إذ لم تلبث أن ظهرت قوية في تضرعه إلى ربه في مثل قوله :

شكوت بشى إلى ربى لينصفنى  
من كل بساغ عتيد الجور أو همك

أضف إلى ذلك : أن استمرار - قوة - العاطفة صعب في الملاحم الطويلة <sup>(١)</sup> كما قال بعض النقاد ، مؤكداً ذلك قول بعض الكتاب : " وإذا كانت درجة حدتها - العاطفة - تختلف من مقطع إلى آخر .. فإن هذا الاختلاف لا يشمر القارىء بأن العاطفة تتوارى أو تفيض .. " <sup>(٢)</sup> .

ولعل مما ساعد على قوة عاطفة الهارودي في قصيدته أنه نظمها في كهولته وغرته بعد أن مرت فترة غيابه بما كان فيها من لهو الشمس إذا صح ما أشار إليه بعض الكتاب <sup>(٣)</sup> ، وإضافة إلى ذلك فقد كان الشاعر يخطب الجمعة في بعض مساجد صفاء ، ويعلم الناس القرآن الكريم ، واللغة العربية - كما سبق - <sup>(٤)</sup>

- 
- (١) دراسات في النقد العربي الحديث ص ٢ ج ٢ ص ٢٨ .  
(٢) الإسلام في شعر شوقي ص ١١٤ .  
(٣) مقدمة ديوان الهارودي ج ١ ص ١٨ ، والهارودي رائد الشعر الحديث ص ١٨٢ .  
(٤) انظر ص ٢٤٤ من هذه الرسالة .

أما شوقى فكان الضعف غالبا على عاطفته فى نهجه ، ولعل ذلك يرجع إلى مناسبة نظمه تلك القصيدة ، إذ نظمها كما قال : ( تذكارا لحج الخديوى ) . وهذه مناسبة طيبة ، إلا أنها لا توجب العاطفة ، ولا تلهب الإحساس ، بخلاف ما لو كان شوقى نفسه هو الذى أدى الحج ، أضف إلى كل هذا ظروف أخرى أحاطت بالشاعر من شأنها أن تقلل من قوة عاطفته ومنها : هروبه من الخديوى عندما خرج معه للحج ، ما دعا ابنه إلى أن يقول عنه : " ألم يكن أبى أنانيا عندما تخلى عن الخديوى حين سافر سموه إلى الحجاز ليؤدى فريضة الحج ؟ " (١) فمن ذا الذى تتاح له تلك الفرصة الطيبة ، ثم يهرب منها ولا ينتهزها .

أضف إلى ذلك أن الشاعر نظم تلك القصيدة وهو فى ربحان شبابه ، وكان كما قال عنه أحد أصحابه : " عرفته ولم يكن يشرب من الخمر إلا كأسجن عقب انقلابه إلى داره فى الثانية صباحا " . (٢) وكان ذلك فى آخر أيام حياته ، أما قبل ذلك فكان " يشرب ثلاثين كأسا فى اليوم الواحد " . (٣) ، ويؤكد ذلك بقوله : " ومن المستغرب أن شاعرا - شوقى - نظم كل قصائده الدينية ، ومن بينها البردة وهو فى ظل شبابه ، وفى إبان عبثه ولهوه وكلفه بالخمير ، واختلافه إلى ملاعب اللهو " . (٤)

ولعل هذا هو الذى دعا الدكتور زكى مبارك إلى أن يقول : " وأين شوقى من البوصيرى ؟ لقد كان البوصيرى من أئمة الصوفية ، أما شوقى فقد كان حين نظم قصيدته من رجال البلاط ، وكان يحسن أن يقول :  
رمضان ولّى هاتنا ياساقسى

مشتاقه تسمى إلى مشتاق (٥)

كما أشار بعض الكتاب إلى مثل ذلك مؤكدا ضعف عاطفة شوقى نفسى المدائح النبوية بصامة ، فقال : " وقد أطلت النظر فى المدائح النبوية وأطلت التفكير فى مسالك الشعراء فيها ، وقد اهتمت إلى أن هذه المدائح

(١) أبى شوقى ص ١١٠ (٢) حياة شوقى ص ٢٠

(٣) المرجع السابق ص ٢١٠ و ٢٢٣ (٤) المرجع السابق ص ١١٤

(٥) الموازنة بين الشعراء ص ٢١٥ ، والشوقيات ج ٢ ص ٦٦

ترجع إلى منبئين أساسيين :

فمنها مدائح مصدرها الماطظة الصادقة ، المشبوبة ، القوية ، الدافئة ،  
 وآية ذلك علوما تحس فيها من الطبع والصدق ، وقوة الانفعال ، وجيشان  
 المشاعر ، وترك النفس على سجيته ، ومن أمراء هذا اللون من المدائح  
 . . . البوعسيري . . .

ومنهم مدائح مصدرها العقل ، وفي هذا اللون تتجلى الصنعة  
 والتكلف ، كما نراه في مسالك الشعراء الذين اتخذوا من المديح وسيلة  
 لإظهار براعتهم في النظم . . . وأبعد من ذلك في التكلف ، وكـذب  
 الماطظة ، أن تتخذ هذه المدائح وسيلة لتسمية فنون البديع . . . ومن  
 أبطال هذا الفن صفي الدين الحلي وابن حجة الحموي .

كما أتى أحد من هذا النوع - المدائح التي مصدرها العقل - هذا  
 الشعر الذي . . . يفقد الروح الدينية الخالصة العميقة ، وكثير من قصائد  
 المديح من هذا القبيل ، ومن ذلك مدائح شوقي ، وهذا الرأي يشاركني فيه  
 كل ذواقة للشعر ، وكل ذي إحساس صادق بمواطن السدى والتزييف في المواقف  
 كما أنه يريحنا من خبط النقاد والكتاتيب ، فقد أرادوا أن يوثقوا بين انكباب شوقي  
 على الملاهي واللذات ، وأخذوا منها بالنصيف المؤثر ، وبين قوله في مدح الرسول  
 وفي الأغراض الدينية بحامة ، فقال قائل : إن ذلك من ازدهار الشخصية . . . وقال  
 آخرون : إن شوقي قال هذه القصائد بعد أن ودع طيبات الحياة ، وتقدمت  
 به السن ، وهذا فيما أعتقد جهل بالتاريخ ، فما أعرف أن الشاعر تخلى عن طيبات  
 الحياة ، وأعرف أن بعض هذه القصائد قالها وهو يخفى شاعريته بالمضمر  
 والكبير .

ولست أستبعد أن يتوب الذنب . . . ولكن شعر شوقي . . . لا يدل على  
 أن الرجل - شوقي - متدين ، وإنما كان شاعرا كبيرا يمجده بطلا عظيما . . . (١)

(١) مجلة الأزهر - المجلد ٣٢ ج ٤٠٣ سنة ١٣٨٠ ع ٢٦٦  
 بتصرف .

وليس معنى ذلك أن قصيدة شوقي - نهج البردة - قد ظلت كل أبياتها من العاطفة القوية ، كلا ، إنك تحس بتلك العاطفة القوية في نسيم الشاعر بخاعة ، ولعل ذلك نوماً أشار إليه بعض النقاد بقوله : " ومن عنا منحت له - لشوقي - الفرصة ليرفر تلك الزفرة الحارة ، ويرى بذلك النسيم الموجع الذي يذيب لنائف القلوب ، وانظر كيف يقول :

إن جل ذنبي عن الغفران لي أمل

في الله يجعلني في خير محتصم

وكان شوقي أوفر الناس إحساساً بخطر ذنبه ، وكرم ربه ، حين قال :

وإن تقدم ذو تقوى بمالحة

قدمت بسين يديه عبرة الندم (١)

#### ٥ - الشعر - سال :

ولو - كما قال بعض النقاد : " القوة التي تنفث في الأدب الحياة والحركة ، وتده بالصور الوفيرة المجسمة لإحساس الأديب ومشاعره ، والتي تساعدنا على الإحساس بالتجربة الأدبية التي مر بها الفنان .

وهو عامل مهم من عوامل الإثارة الفنية ؛ لأنه عدة الأديب في تجسيم انفعالاته وتجسيد مشاعره . . ولكنه ليس زينة كزينة الحلى والرياش ، وإن من أخطر الأشياء على الأديب أن يستعمله وشياً وتطريزاً لأدبه ، وأن يصبح كالأصداغ التي تضر البصريين بها دون أن تفضي إلى رمز أو دلالة توهدها (٢) .

وتبدو صور الخيال في النص الأدبي في التشبيه ، والاستحارة والكناية (٣) ، وغير ذلك من الفنون البيانية والهديمية التي ليست غرضاً في ذاتها ، ولكنها وسائل لتلك الإثارة النفسية ، ومدعاة لتلك الانطلاقات الفطرية ، ومظاهر مختلفة لانطباعات المواقف المختلفة في نفس الأديب . . (٤) .

(١) الموازنة بين الشعراء ص ٢١٦ .

(٢) في النقد الأدبي الحديث ص ١٧٣ وما بعدها بتصرف .

(٣) دراسات في النقد العربي الحديث ص ٤٤ ج ٣ ص ٤٤ .

(٤) في النقد الأدبي الحديث ص ١٧٨ .

ولا يخفى أن الصورة الخيالية الحية هي المظهر الصادق لانفعال الأديب وأما قدرته الفنية ، وموهبته الأدبية ، ومصدر ذلك كله نفس الأديب ، تلك النفس التي تميزت عن غيرها من النفوس بقدرتها على الحل والتركيب ، واختزان المراثيات والمسموعات وغيرها من المحسوسات (١) . . . التي تجعل الشاعر يحقق الموازنات والمقارنات والمشابهات بين الأشياء التي لا تتصور عقولنا غير الشاعرة وجود صلة بينهما (٢) . . .

وإذا تأملنا بردة البوصري وجدناها قد اشتغلت على صور متعددة للخيال الموحى ، فهو مثلا عند حديثه عن النفس وقف معها وقفة الخبير بأحوالها ، الحليم بأسرارها ، تأمل كيف أشار إلى رعنتها وشدة نفاها بقوله :

من لي بسرد جماح من غوايتها

كما يرد جماح الخيل باللجم

لقد أتى بتشبيه محسوس ، واختاره من الواقع الملموس ، ليؤكد فيه فكرته ويرسم صورة واضحة لتلك النفس الأمارة بالسوء ، ولا يخفى أن النفس كما يقول عبد القاسم : تظمن في التشبيه والتشثيل إلى الحسى والضرورى والمألوف (٣) ،

ثم تأمل كيف بين الطبري الصحيح لمعاملة تلك النفس عندما شبهها بالطفل في قوله :

والنفس كالطفل إن تهمله شبعتلى

حب الرضاع وإن تعظمه ينفضم

كما أنه عند حديثه عن مولد الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) أشار إلى السرى تصدع إيوان كسرى ، كما أشار إلى تفرق أصحاب كسرى في تشبيه جميل في قوله :

وبات إيوان كسرى وهو منصدد

كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم

والملاحظ أن تشبيهاته - غالبا - واضحة سهلة محسوسة ، مثل : تشبيه آيات القرآن وممانيتها الكثيرة بموج البحر في قوله : ( لها ممان كوج البحر في مدد ) وتشبيه الرسول في ليله الإسراء بالبدر ، في قوله : ( سريت . . . كما سرى البدر في داج

(١) المرجع السابق ص ٢٧٦ (٢) الدكتور محمد السعدى فرهود : قضايا النقد

الأدبى الحديث ص ١٤٩ مطبعة زهران بحصر سنة ١٩٦٨ .

(٣) أسرار البلاغة ج ٢ ص ١٠٢ .

من الظلم) ، وتشبيه نفسه عندما اكتسبت بعض المعاصي بالهدى في قوله :  
( كأننى بهما نددى من النعم ) وغير ذلك كثير .

ولم تقل روعة استماراته وكماياته عن روعة تشبيهاته ، تأمل مثلاً تلك  
الاستعارة اللطيفة في قوله : ( غلّمت سنة من أحيا الظلام ٠٠ ) إنه يبين  
أن من ترك سنة الرسول كان ظالماً لنفسه ، وهذا حق (١) ثم يوضح أثر قيام  
الليل ، كما يشير إلى عظمة التصك بالدين الحنيف والقرآن الكريم في قوله :  
( فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منقسم ) ، وقوله : ( لقد ظفست  
بحبل الله فاعتصم ) وهذا قليل من كثير منتشر في البردة .

وأما قصيدة البارودي - كشف الخفة - فقد امتلأت بالخيال الرائع  
والتصوير الجميل ، تأمل كيف شبه الشاعر سرعة مرور القطاة في قوله : ( ٠٠ كلمع  
البرق في الظلم ) ، وفي قوله : ( كأنها أحرف برقية نبضت ٠٠ ) ، كما بين أثر  
الحقد في قوله : ( والحد كالنار ٠٠ ) ، ولا يخفى إبداع البارودي في تصويره  
عجزة الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) وحديثه عن الحمام والمنكوت - كما سبق (٢) -  
أغف إلى ذلك هذا التشبيه الجميل الموحى ، وتلك الصورة الرائعة في قوله :

كأننا البيض بالأيدى صوالجسة

يلصن في ساحة الهيجا بالقم  
وتلك الكاية الموحية في وصفه جيش المسلمين بأنه : ( عرمم ينسف  
الأرض الفضا ٠٠ ) وقوله : ( بيض أساورة ) ، أغف إلى ذلك هذا التشبيه  
الرائع وتلك الصورة الجميلة في قوله يصف خيل المسلمين :  
كأن أنا بها في الكسر ألوية  
على سفين لأمر الريح مرتسم

وتشبيهه رماحهم بقوله :

كأنه أرقم في رأسه حمسة

يستل كيد الأعادي بابتة الرقم

( ١ ) إن حرمها من ثواب فعل السنة التي تركها .

( ٢ ) انظر ص ٢٦٣ وما بعدها من هذه الرسالة .

وكذلك شوقى فى نهج البردة قد أبدع فى خياله ، تأمل كيف أشار إلى طفيان النفس بقوله :

تطفئ إذا مكنت من لذة وهوى

طفئ الجياد إذا عضت على الشك

كما أشار إلى تحكم الأقوياء فى الضعفاء وظلمهم إياهم قبل البحثة بقوله :

والخلق يفتك أقوامهم بأضعفهم

كاللث بالبهيم أو كالحيوت بالهلم

وشبه استقبال الأنبياء رسول الله ليلة الإسراء والتفانيهم حوله

بقوله : ( كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم ) ،

ولا تخفى روعة ذلك التشبيه البليغ فى قوله : ( والجهل موت ) وتلك

الاستعارة الجميلة فى قوله : ( .. وأنت أحيت أجيالا من الرمم ) وفى قوله :

( نبت شعوب من ضيتها .. ) بالإضافة إلى خياله الرائع عند حديثه عن

شجرة الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) - كما سبق (١) -

إن كل ما ذكرته من التشبيهات والاستعارات والكنايات عند البوصيرى

والبارودى وشوقى ، ما هو إلا أمثلة فحسب ، وليست على سبيل الحصر ، والقصائد

الثلاث مليئة بالخيال - وقد أشرت إليه بالتفصيل عند تحليل كل منها - وصورة

فى الثال لبصير جزئية ، والشعراء الثلاثة متقاربون فيها .

إلا أننى أرى أن الشعراء الثلاثة قد اشتركوا فى وصف الرسول ( على

الله عليه وسلم ) ومدحه بكثير من الأوصاف المتداولة ، كتشبيهه ( صلى الله عليه

وسلم ) بالبحر ، والبدر والأسد وغير ذلك ما أشار إليه البوصيرى فى مثل

قوله :

كالزعر فى ترف والبدر فى شرف

والبحر فى كرم ، والدهر فى غم

(١) المرجع السابق ص ٥٣٢ وما بعدها .

وما ذكره البارودي في مثل قوله : ( .. أنوار غرته كالبدري في البهم )  
وقوله : ( .. كالدر في البحر أو كالشمس في الفحم ) ، وما ذكره شوقي في مثل قوله  
مخاطبا الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) :

البدري دونك في حسن وفي شرف

والبحر دونك في خير وفي كرم

نعم إن شوقي جعل حسن البدر أقل من حسن الرسول ورفعته ، كما  
جعل البحر أقل من الرسول في الكرم ، ولكن هذا لا يضر من أن هذه  
التشبيهات - التي سبق ذكرها - شائمة اللفظ والمبنى وليس فيها جديد ، وإذا  
كان بعض النقاد قد قال : " لا سبيل للاستغناء عنها ، لأنها تتضمن فضائل  
وأوصاف خالدة ، فالحجاجة والكرم ، وعلو المنزلة ، والجمال ، محاسن لا يختص  
بها جيل دون جيل ، ولا يرضى عنها قبيل دون قبيل ، فالتناس قد يمتهم وحدثهم  
في الإعجاب بها سواء ، وسيظل شأنهم كذلك فيما تقدر ، أما تشبيه أصحابها  
بالأسد والثريا والقمر وأمثالها فلا ضير فيه ، مادام نرى الأسد أشجع  
المخلوقات ، والبحر أغزر الأشياء ، مادة ، والسحاب أعما فيضا ، والنجم أعلاها  
مكانا ، والقمر أجملها - في تقديرنا - وجهها ، وأوسعها ضياء ، ولم نرشدنا  
الحياة حتى اليوم إلى ما يفوق تلك الأشياء في خصائصها ، أو ما يماثلها .. (١) "  
أقول إذا كان بعض النقاد قال ذلك ، فإنني كنت أود أن لا يقتصر الشبها  
على تلك الأوصاف ؛ لأن الاقتصاد والتجسس على تلك الألفاظ والمباني البجطة  
المشتركة قبيح ، والتزامها في أغلب المداخل .. إساءة للشاعر والشعر كما قال  
بعض النقاد (٢) .

ولعل شوقي قد فاق صاحبيه عندما جعل حسن الرسول أكثر من حسن  
البدري ، وكرمه أوسع من كرم البحر - كما سبق - فتصرف في التشبيه بعض التصرف  
الحسن الذي أخرجه من الجسود بعض الشيء .

(١) المتنبي وشوقي ص ٢٦٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٤ .



## ٦ - الأسلوب :

والمراد بالأسلوب الألفاظ والمباني وطريقة التأليف بينهما ، ليظهر بهما الأدب عن أفكاره ، ويصحح بها عما يجول في نفسه من المواقف والانفعالات ، وليست اللغة وسيلة من وسائل التعبير عن أفكار الإنسان وهو أطقسه ، فحسب بل إن اللغة الحية ، تتضمن إلى جانب ذلك خصائص جمالية ، تسترجمها النفس ، وتطمئن إليها الأذن ، ولفتنا المربية غنية بأسباب هذا الجمال (١) إذ أن التركيب المصنوع أصل من أصولها ، ولا يفصل عن تقسيم مخارجها ، ولا عن تقسيم أبواب الكلمات فيها - فأصبح لها - كما قال العقاد - : من الشعر الموزون نوع مستقل بإيقاعه عن سائر الفنون التي يستند إليها الشعر في كثير من اللغات ، فلا حاجة بالشعر العربي إلى إيقاع الرقص الذي يصاحب انشاد الشعر في اللغات الأخرى ، لأن أسمار تلك اللغات تستعير الحركة المنتظمة من دقات الأقدام وحركات الأجسام ... (٢) .

وهما يكن من شئ . فإن الحديث عن الأسلوب يتطلب البحث في الفردات ومدى صلاحيتها ونساجتها ، ومناصبتها لل مقام ، والمباني وما بهما من موسيقى وما تفضته من وفاق وانسجام ، ومدى مناسبتها للتجربة التي تعبّر عنها - وما فيها من ظلال وإيحائات تترشح لها النفس بالإشارة إلى بيان ما في الأسلوب من عنات وتصور ، أو غرض واضطراب .

ومعد دراستي قصيدة كل من البوصيري والبارودي وشوقي - فيما سبق - أستطيع أن أقول : إن ألفاظها بمعاملة جيدة ، جامعة للركة والجزالة ، والسهولة والطلاوة ، وهذا يظهر بوضوح عند الوقوف على ما وضعه بعض النقاد من مقاييس يقيسون بها الكلمة المستعملة في الأساليب الأدبية (٣) بعد مراعاة ما قررره علماء البلاغة في فصاحة الكلمة - من خلوصها من تنافر الحروف ، والفراصة ، ومخالفة القياس (٤) - ومن ذلك :

- (١) في النقد الأدبي الحديث ص ١٦٨ .
- (٢) العقاد : اللغة الشاعرة ص ٣١ وما بعدها مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٠ .
- (٣) في النقد الأدبي الحديث ص ١٩٨ .
- (٤) التلخيص ص ٢٤ وما بعدها .

## أ - الدقة :

أى دقة الكلمة فى أداء المصنف الذى يريد الشاعر ، أو الأدبى سببه وذلك لأن الكلمات برغم ما قد يبدو فيها من ترادف ، يكون بعضها لؤل على إحساس الشاعر من بعض<sup>(١)</sup> ، وهذا واضح فى أغلب الكلمات بالقصائد الثلاث ، فمثلا فى قول البوصيرى عن آيات القرآن الكريم :

ما حوريت قط إلا عاد من حورب

أعدى الأعداى إليها ملقوا السلم

نجد أن كلمة ( حوريت ) تشير إلى ما كانت تلاقينه تلك الآيات من عنيت المشركين والوقوف فى سبيلها بكل ما يمكنهم ، ولكنها سرعان ما تتمكن من شفاف قلوبهم ، فيحسون بروحيتها ، ويحترقون بجلالها وشرفها .  
ونجد مشل ذلك فى قول البارودى :

وكان ذا رمد فارتد ذا بصير

بنفثة أبرأت عينه من روم

إنه يشير إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه - عندما أعابه رمد فى غزوة خيبر ، ولما طلبه الرسول ليمطيه الراية ، قال له الصحابة : إن به رمدا فتفل الرسول فى عينه فبرئت ، وأراد البارودى أن يعين مصبرة الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) فى ذلك الأمر ، فقال : ( بنفثة ) ألا ترى أن فى ذلك اللفظ النكرة إشارة إلى سرعة الشفاء بسبب هذه النفثة الصغيرة .

وفى قصيدة شوقى أيضا ما يدل على دقة ألفاظه ومن ذلك قوله :

لا يهدم الدهر ركاما عاد عدلهم

وحائط البهى إن تلمسه ينهدم

فالشاعر يشير إلى قوة أسس الشريعة الإسلامية التى بنى عليها المسلمون حضارتهم ومنها العدل ، ثم ذكر أن البناء الذى يقوم على العدل لا يستطيع الدهر سده ، أما حائط الظلم فمهما كانت قوته ، ( إن تلمسه ينهدم ) ، ولا يخفى أن لفظ ( تلمسه ) يدل دلالة قوية على ضعف ذلك البناء ولا شك فى أن الشاعر قد أحسن فى اختياره ذلك اللفظ ليعبر عن فكرته .

(١) فى النقد الأدبى الحديث ص ٢٠٠ .

ب - الإيحاء :

وممناه قدرة الكلمة على أن تشير جملة انفعالات قوية جميلة إلى جانب ما تؤديه من معنى - ما قال بعض النقاد - لأن بعض الكلمات تتحمل شحنة عاطفية غامرة ، تستشفيها منها النفس إلى جانب ما يفهم منها الفكر<sup>(١)</sup> ، ومن ذلك قول البوصيري : ( يارب واجمل رجائي غير منكس ) وقول البارودي : ( وصل رب على المختار ) وقول شوقي : ( يارب أحسنت بعد المسلمين به ) فالشعراء الثلاثة ذكروا لفظ ( رب ) وهو يشير إلى الاعتراف بالربوبية ، وروح بالخضوع والخشوع لله ، بالإضافة إلى حسن الظن به سبحانه وتعالى ، لأنه هو الذي ربانا ، وعطف علينا ، وأحسن إلينا .

ج - التكرير :

ولا يخفى أن الكلمة إذا تكررت في البيت الواحد مثلاً تعد حشواً إذا لم يكن لذلك التكرير فائدة كالتأكيد والتشويق وغير ذلك ، وهذا ما نراه في قول البوصيري : ( ظنوا الحمام وظنوا المنكبوت ) إذ كرر لفظ ( ظنوا ) تأكيداً للمخبرية من تفكير هؤلاء الكفار والاستهزاء بهم كما كرر البارودي الفعل ( يحيى ) في قوله :

يحيى البرايا إذا حان المهاد كما

يحيى النبات بشوئوب من الديم

لبيان قدرة الله تعالى ، وتأکید وقوع البعث يوم القيامة ، كما كرر

شوقي لفظ ( النفس ) في قوله :

والنفس من خيرها في خير عافية

والنفس من شرها في مرتع وخم

ولا يخفى أن الشاعر كرر ذلك اللفظ للاهتمام بأمر النفس ، والمناية بشأنها ،

وبيان خدورها .

(١) المرجع السابق ص ٢٠١ .

## د - الكلمات غير الشعرية :

ويراد بها تلك الكلمات التي لم تجر عادة الشعراء باستعمالها ، إما لأنها مبتذلة في الشعر ، وقد خلصت قصائد الشعراء الثلاثة من هذه الكلمات إلا بعض الألفاظ القليلة في قصيدة البوصيري مثل لفظ : ( .. ضربتها ) وفي قصيدة الهارودي مثل لفظ : ( وحينما ، وحين ، حينما ) كما سبق <sup>(١)</sup> وبعض الكلمات في قصيدة شوقي مثل كلمة : ( ركوبة ، ولأجل ، والمشايخ ) .

وإما لغلظة استعمالها على السنة أخرى - غير السنة الأدبية - مثل قول البوصيري : ( .. عَدَى من النعم ) ، ومثل قول الهارودي : ( .. محمّر لنيل ما فاته بالهدى للحرم ) ، وقوله ( .. طاف بالبيت سحبا .. ) ومثل قول شوقي : ( ضحيت بالضم ) لأن مثل هذه الألفاظ يغلّب استعمالها عند الفقهاء .

وإذا كانت هذه بعض المقاييس التي وضعها بعض النقاد لقياس الكلمة المستعملة في الأساليب الأدبية ، فإنهم قد وضعوا بعض المقاييس للجمل والتراكيب بعد مراعاة فصاحة الكلام عند علماء البلاغة - من خلوصه من ضعف التأليف ، وتنافس الكلمات ، والتعقيد مع فصاحتها <sup>(٢)</sup> - ومن تلك المقاييس .

أ - الوضوح : والمراد به انكشاف المعنى وسهولة فهم المراد بغير غموض أو التواء ؛ لأن الكلام الفاضل ، يصرف الأذن عن متابعتها ، والنفس عن صليوته ، بخلاف الكلام السهل الواضح ، فإنه يبهز النفس ، ويشير خاطر ، ويحرك الفؤاد <sup>(٣)</sup> ، ولا يكون الكلام واضحا - كما قال بعض النقاد - إلا إذا كانت كلماته مختارة متقاة ، واضحة الدلالة ، مفهومة المعنى <sup>(٤)</sup> وهذا ظاهر بوضوح في قصيدة كل من

(١) انظر ص ٤٧٢ من هذه الرسالة .

(٢) التلخيص ص ٢٦ وما بعدها .

(٣) في النقد الأدبي الحديث ص ٢٠٦ بتصرف .

(٤) المرجع السابق ص ٢٠٧ .

الهمصيرى وصاحبيه ، إلا نى بعض الأبيات وهذا قليل ، مثل  
قول الهمصيرى مخاطبا الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) : ( .. ومن  
علومك علم اللوح والقلم ) ، مثل قول شوقى : ( يا قارئ اللوح  
هل يلامس القلم ) .

بـ ملاحظة الألفاظ للمعاني : والمواد من ذلك أن يكون الأسلوب مجانسا  
المعاني ، موافقا الأفكار ، بحيث تدرك منه حمادة قائله وسروره ،  
أو شقاؤه وحزته (١) ، وهذا ما يؤكد قول الهمصيرى :  
أستغفر الله من قول بلا عمل

لقد نسبت به نسلا لذى عثم  
أمرتك الخير لكن ما انتصرت به  
وما استقمتم فما قولى لك استقم  
ولا تزودت قبل الموت نافلحة  
ولم أصل سوى فرض ولم أصم

إذ هو نى معرض الندم ، ومجال الحسرة ، على عدم علمه  
بعلمه ، وتزوده لآخرته ، وألفاظه كما تراها مناسبة لفكرته . وتسمى  
مثل ذلك نى قول البارودى : ( شكوت بشى إلى ربى لينصفنى .. )  
وفى قوله : ( أبكاني الدهر .. ) وقوله : ( لم أدر غيرك فيما نابنى  
فتنى .. ) فالشاعر يتضرع إلى الله لينصفه ما آلمه ، وينجيه مما  
وقع فيه ، ولذلك اختار الألفاظ كلها ضراعة وأسى . وتسمى  
مثل ذلك نى قول شوقى :

ألق رجاى إذا عز المجير على  
مفرج الكرب فى الدارين والضم  
إذا خففت جناح الذل أسأله  
عز الشاعة لم أسأل سوى أمم

(١) المرجع السابق ص ٢٠٨ باختصار وتصرف .

وإن تقدم ذو تقوى بصالحه

قدمت بين يديه عبرة النسيم

فالشاعر يمتدح بذنبه ، ويطنح في عقوره ، وشفاعته رسوله ، ولا يخفى  
أن ألفاظه تشعشع بأسفه وندمه .

جـ - تجميل الأسلوب : والمراد بذلك تزيينه بشيء من الحلل على أن تكون  
طبيعية غير متكلفة ولا مجتلبة اجتلابا يثقل الألفاظ ، ويذهب  
جمالها ، ويجعل المعنى غامضا (١) ، كما في قول الهويزي مخاطبا  
الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) :  
خففت كل مقام بالإضافة إذ

نوديت بالريح مثل الصفر العلم

إذ أثقل بيته بالتورية التي أذهبت المعنى وجعلته غامضا  
إلا أن هذا كان نادرا في قصيدته التي كان أسلوبه غالبا به  
معتما فيها ، تأمل قوله :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

وينكر الفم طعم الماء من سقم

تجد التفسير الجميل ، والمناسبة الرائعة ، ولذلك كان البيت  
قولا جزلا ، يجري مجرى النثر ، وترى مثل ذلك في قول البارودي  
وتو يصف سيوف المسلمين وخيولهم :  
لمح السيوف وتضال الخيول به

كأبرق والرعد في مغدودتي حزم

تجد البيت رائعا وزاده روعة هذا اللف والنثر المرتسب ،  
وهذا قليل من كثير ظاهر في قصيدته ، كما أحسن شوقي نسي  
قوله ، وتو يتحدث عن مولد الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) :  
سرت بشائر بالهادي ومولده

في الشرق والضرب مصرى النور في الظلم

(١) المرجع السابق ص ٢١٢ بتصرف .

نهيت الشاعر جميل ، وزاده جمالا ، هذا الطباقي الذي دل على الموم والشمول ، في قوله: ( الشرق والغرب ) .

إن قصيدة كل من البوصيري والهارودي وشوقي قد اشتملت على ألفاظ قوية ، وعبارات جيدة ، وأساليب رائعة ، كما تضمنت بعض الألفاظ المقتبسة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة - وأسلوبها أبلغ الأساليب - مثل قول البوصيري : ( فإن أمارتي بالسوء ما أتمطت - أقسمت بالقمر المنشق ) ، آيات حق من الرحمن محدثة ، من قاف قوسين ، إن له قلبا إذا نامت العينان لم ينم ، وراودته الجبال الشم من ذهب ، محمد سيد الكونين (٠٠) .

ومثل قول الهارودي : ( فذاك دعوة إبراهيم خالقه ، وسر ما قاله عيسى - فاسجد له واقترِب - يا ظفر الذنب ، والبيت : ( ولاج من جسمها نور أضواءها (٠٠) ) ، والبيت : ( عوالتي الذي لولاه ما قبلت (٠٠) ) .

ومثل قول شوقي : ( ونودي اقرأ ، أسرى بك الله ليلا - نسي المسجد الأقصى - إذا خفضت جناح الذل - وصاحب الحوض - لما دعا أصحاب يستقيمون من ظمأ - يا أنصح الناطقين الضاد - محي الليالي (٠٠) ) ولا يخفى أنني قد بينت الآيات والأحاديث التي تلح إليها ههنا ، العبارات في أثناء دراسة وتحليل القصائد الثلاث .

وليس معنى ذلك أن هذه القصائد قد خلت من الهنات ، كلا ، لقد وقع فيها بعضها ولكنها قليلة ، لا تغض من شأنها ، أو تحبط من قدرها ، وقد أشرت إليها في أماكنها في أثناء تحليل تلك القصائد - أيضا - وضحا على سبيل المثال :

فك البوصيري إدغام الفعل ( كف ) عند إسناده إلى ألف الاثنين في قوله : ( فما لمينيك إن قلت القنادم ) والصحيح ( كما ) <sup>(١)</sup> وإنيان الشمرء الثلاثة بلفظ ( منكم ) على أنه مطاوع ( تم ) ، ولم يرد ذلك في سماجم اللغة الموشوق بها <sup>(٢)</sup> وذلك في قول البوصيري : ( أحصب الصب أن الحب منكم (٠٠) ) وفي

(١) المرجع السابق ص ٨٨ .

(٢) انظر ص ٨٧ من هذه الرسالة .

قول البارودي : ( ٠٠ سامع الرسل قولا غير منكم ) ، وفي قول شوقي : ( مصون  
سر عن الإدراك منكم ) .

كما اشترك البوصيري والبارودي في إدخال واو الحال على الجملة  
الفعلية التي قبلها ماض مسبق بنفسه <sup>(١)</sup> ، فقال البوصيري : ( ما سامني الدهر  
٠٠ إلا نلت ) ، وقال البارودي : ( ما مريوم إلا قلده ٠٠ ) وهذا خلاف المشهور  
عند علماء اللغة ، والمشهور : ( إلا نلت ) و ( إلا قلده ) .

ولم يأت شوقي بالفاء في جواب الشرط مع أنه جملة اسمية في قوله : ( إن  
جل ذنبي عن الشفران لي أمل ٠٠ ) والصواب ( فلي أمل ) ، كما نك إدغام كلمة  
التم - بتشديد الميم - في قوله : ( مئت ماله في ثورها التم ) .

أضف إلى ذلك أن الصواب قد جابه في قوله : ( ٠٠ وجبريل الأمين  
ظلي ) إذ الملائكة لا تأكل ولا تشرب ، وجبريل ( عليه السلام ) من أفضلهم  
فكيف يظلم ؟

إن مثل هذه الهنات لا تثقل من عظمة القصائد الثلاث ، وخاصة أنها  
ملبئة بالأقوال الجزلة التي لمحت ثوب الحكمة ، وجرت مجرى المثل ، ومن ذلك  
في البردة : ( والحب يحترق الذات بالآلم ، إن المحب عن المذال في صمم  
والشيب أبعد في نصح عن التهم ، إن الطعام يقوى شهوة النهم ، والبيت ( والنفس  
كالطفل ٠٠ ) ، إن الهوى ما تولى يصم أو يسم ، إن الضرورة لا تعدو على المصمم ،  
إن الحما ينبت الأزهار في الأكف ، إن الكباثر في الشفران كاللعم ) .

وفي كشف الغمة : ( والكف في المجد لا يستام بالقيم ، وفي الأبعاد  
ما يفتني عن الرحم ، والبيت : ( ومن أراد به الرحمن مكرمة ٠٠ ) والبيت : ( لا يعلم  
القلب ٠٠ ) ، والبيت ( والحق كالنار ٠٠ ) ، والبيت : ( لا يبصر الحق من جهل  
أحاط به ٠٠ ) ، والبيت : ( كل امرئ واجد ما قدمت يده ٠٠ ) ، والبيت : ( والخير  
والشر في الدنيا مكانة ٠٠ ) ، والبيت ( من أنكر الضيم لم يأنس بصحته ٠٠ ) وكذلك  
قوله : ( وضرة الحق شأن المرء ذي الهم ، وكم نغم تفر عن نعم ، ونعم المون



فى القحم ، وسبل بره بلا سقم ، والياس فى الفعل غير اليأس فى الكلم ، ولذة النفس لا تأتى بلا ألم ، من يلزم الصبر يستحسن عواقبه ، وهل رأيت حساما غير مثلم ، من يركب الغنى لا تحمد عواقبه ، وفى الخيانة مدعاة إلى النكم ، وعلو النفس بالهم ، والشكر فى كل حال كافل النعم .

وفى نهج البردة : ( جنى الأوبة عندى غير ذى ألم ، ورب منتصت والقلب فى صم ، والنفس إن يدعها داعى الصبا تهم ، والبيت : ( صلاح أمرك للأخلاق مرجعه )) ، والبيت : ( والنفس من غيرها )) ، ورب أصل لفرغ فى الفخار نى ، ومن يبشر بسى الخير يتسم ، وما الأمين على قول بمتهم ، وقسرة الله فوق الشك والتهم ، ومن يضم جناح الله لا يضم ، وكيف لا يتسامى بالرسول سى ، وصادق الحب بطل صادق الكلم ، وقيمة اللؤلؤ المكون فى اليتم ، إن المشقة بمقدور الذنب والجرم ، وحائط البقى إن تلمسه ينهدم ، وما مع الحب إن أخلصت من سام ) .

ولا يخفى أن هذه الحكم ، قليل من كثير قد اشتملت عليها القصائد الثلاث وإن خلا بعضها من العمق ، فإنها قد تداخلت فى نسج القصائد المذكورة وجاءت مربوطة بشكرتها ، وموصولة بموضوعها ، بحيث لا يشمر القارى بفوايتها بل يبصر بأنها جزء من الفكرة ، وهذا مكانه ، أو دليل على صدق الرأى ، وهذا بيانه ، فهى بذلك قد أنت طبعية بخير تكلف ، وإن اقتبس كل من البوصيرى والهارودى وشرقى بعضها من شعر السابقين ، فإنها قد امتزجت بأرواحهم وعواطفهم ، وبدت كأنها من تجاربهم ، ولا شك فى أن بعضها يرجع إلى التجارب التى مر بها كل منهم فى حياته .

وبعد هذه الموازنة أرى أن بردة البوصيرى قد فاقت قصيدتى الهارودى ، وشرقى ، وبخاصة فى صدق العاطفة ، ولعل شيخ المروسة (١) كان يشير إلى ذلك عندما قال : " ... وطالما عارض الناس ببردة البوصيرى فى القديم وفى الحديث ، بمئات ومئات من المنظومات ، ولكن الصيت

(١) هو : أحمد زكى ( باشا ) ، أديب مصرى توفى سنة ١٩٣٤ ( الأعلام ج١ ص ١٢٢ ) .

بقى لهذه البردة وحدها إلى الآن .. (١) ، ويؤكد ذلك قول الدكتور  
زكي مبارك (٢) : " إن البوصيري قد سما في الدائع النبوية سموا لسم  
يوفق إلى معشاره في سائر شعره ، وهذا أثر لصدق العاطفية ،  
بخلاف صاعبيه - البارودي وشوقي - فإن شعرهما في هذا السلب دون  
ما يعرف الناس لهما من الشعر البليغ ، وصدق شوقي حين قال :

المادحون وأرباب الهوى تهج  
لصاحب البردة الفجاء في القدم  
مديحه نيك حب خالص وهوى  
وصادق الحب يملأ صادق الظم

ومما شاة كل من شيخ العروبة وسبح النقاد ، وأمير الشعراء بغض  
البردة ، وصدق عاطفة ناظمها ، تنهت الموازنة بين بردة البوصيري  
ومعارضاتها في العصر الحديث ، ولم يبق من رسالتي إلا خاتمتها ، وما  
تضمنته من نتائج ومقترحات ، سأحدث عنها في الصفحات الآتية  
إن شاء الله .

---

(١) مجلة أبولو عدد ديسمبر سنة ١٩٣٢ ص ٣٨٥ .  
(٢) الموازنة بين الشعراء ص ٢٢٥ يتصرف :



وحد ...

فلقد كان خلق  
الرسول العظيم  
مصدر إلهام الشعراء  
الذين مدحوه ( صلى  
الله عليه وسلم ) ، ففى  
بدء بحثه ، وسبيل  
أبى طالب ، إلا أن  
هذه المدائح كانت  
أشبه بمدائح ملوك  
روما القبايل ،  
إذ انصبت على  
المدح بالكسرة  
والشجاعة  
والسرورة .

ولم يفض زمن طويل حتى أدخل الشمراء في مدائحهم النبوية  
الإشادة بالدين الإسلامي ، والإشارة إلى تماليمه السخية ، وكنسباب  
الله الكريم ، ومن هؤلاء الشمراء : الأغشى ، والناخبة الجصدي ، وكمب  
ابن زهير ، بالإضافة إلى حسان بن ثابت الذي زاد على سابقة دفعه  
من الدين ، كما نافع عن الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) .

ولما لحق الرسول بالرفيق الأعلى كان من الطبع أن يزداد هؤلاء الشمراء  
- على ما سبق من أفكار - رثاء الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ، وأن يشيروا  
إلى ما أصابهم من حزن بسبب فراق الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) إياهم ، ومن  
هؤلاء : حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ، وغيرهما .

وعندما قتل الإمام علي بن أبي طالب ( كرم الله وجهه ) ومن بعده  
ابنه الإمام الحسين ( رضى الله عنه ) اشتد حزن الشمراء على ما حل بآل  
بيت الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) فكانوا يمدحون الرسول وآل بيته ، ثم  
يكشفون عن مساوي أعدائهم ، مصلين سخطهم عليهم ، على الرغم مما تعرض  
له بعضهم من بطش وتحذير ، ومن هؤلاء الشمراء : الفرزدق والكهت ودعبل  
وأبي تراب والشريف الرضى ومهيار .

واستمر الحال على ذلك إلى أن شنت الحروب الصليبية على البلاد  
العربية والإسلامية ، فظهر بعض الشمراء الذين فتحوا أبواباً جديدة لنسب  
المدائح النبوية مثل الحديث عن مولد الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) وبأصاحبه  
من أحداث ، ومثل الحديث عن معجزاته ( صلى الله عليه وسلم ) ، وكان من هؤلاء  
الشمراء : المبرورى ، والبوصيرى .

وإذا كان عصر البوصيرى قد ملئ بالحروب الخارجية ، فقد ملئ أيضاً بالفتن  
الداخلية ، التي ظهر أثرها في أخلاق الناس وخاصة الموثقين ، فكانوا  
ينهبون الأموال ، ويقبلون الرشوة ، ما جعل البوصيرى يكشف عن مساوئهم .  
فكانوا له كيدا أبعد بسببه عن عمله ، وفتح كتاباً يحلم فيه الأطفال ، ثم  
انتسب إلى السادة الشاذلية على يد أبي العباس المرسى ، وترك مدح الوزراء

والأمراء ، وأخذ يمدح خاتم الأنبياء ( صلى الله عليه وسلم ) بقصائده كسيرة ،  
ومنها قصيدته البردة ، التي اشتعلت على أفكار متعددة يجمعها غرض واحد  
وهو مدح الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) إلا أن البوصيري قد أجاد فيها  
إجادة كبيرة ، جعلت لها أثرا كبيرا في كثير من النواحي كالتأليف والتصنيف  
بالإضافة إلى أثرها الكبير في الشعراء الذين عارضوها .

وإذا كانت من دوافع المصارضة في الشعر العربي بحامة : الاستحسانة  
والتحدى والإعجاب ، فإن الذي دفع بعض شعراء العصر الحديث إلى مصارضة  
البردة هو الإعجاب غالبا .

ولقد كانت مصارضات البردة في العصر الحديث مودة تتمسك عليها  
حالة الشعر في ذلك العصر ، ففي مصارضتي الدرويش والتميمية كثرت المحسنات  
الهديمية التي زادت الألفاظ ثقلا على ثقل - وخاصة في مصارضة الدرويش -  
بالإضافة إلى غرض المعاني ، وضيق الأفكار .

أما في مصارضة البارودي فقد طرأ عليها ما طرأ على الشعر في ذلك  
الوقت على يد البارودي من قوة اللفظ ، وجزالة المبالغة ، وشدة السبك ، والحلية  
الهديمية التي أنت عنها بغير تكلف ، أضف إلى ذلك كثرة أبياتها ، وتعدد  
أنكارها ، وطول نفسها ، حتى كادت تجمع ميرة الرسول ( صلى الله عليه وسلم )  
كلها نظما ، فكانت بذلك دليلا قويا على إمكان وجود الحاحم والمطولات في  
الشعر العربي ، ولم يقلل من شأنها ضعف عاطفة الشاعر في بعضها فكبارها  
إنه ظهرت قيمة في بعضها الآخر .

وأما مصارضة شوقي فتح حسن لفظها ، ورقة بيانها ، استطاع الشاعر  
أن يجدد في بعض أنكارها - بالإضافة إلى الأنكار التقليدية - إذ أشار  
إلى فرية انتشار الإسلام بالسيف وفند زيفها كما أشاد بحضارة الإسلام .  
فتفتح بذلك الباب لمن عارض البردة من بعده مثل : ( محمد عبد المطلب  
والشيخ الحلاوي ، وعلى باكثير ، وأحمد نهمي محمد ، ومحمود جبر ، والشيخ  
المخيطي ومحمد السعيد برج ) ، وإن جدد بعضهم - على تفاوت في ذلك  
التجديد - في بعض الأفكار مثل : الإشارة إلى تعدد زوجات الرسول ( صلى  
الله عليه وسلم ) وكشف زيف الأفاكين من أعداء الدين ، كما أشاروا إلى موقف

الإسلام من الرق والطلاق ، وغير ذلك من الأفكار الجديدة التي دُعيت إليها أحداث العصر ، إلى جانب إشارتهم إلى الأفكار السابقة مثل مولد الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ومعجزاته .

ولا يخفى أثر البردة في ذلك كله ، إذ كانت آية من آيات الفن ونجما بارزا في سماء الإبداع ، تفوقت كل معارضاتها ، ومن بينها معارضة البارودي وشوقي وخاصة في صدق الماطفة التي جعلتها من الأدب الحمى الذي لا يموت بموت صاحبه . بل يظل مشرقا وضاء على مـــــــر القرون والأجيال .

### النتائج :

لقد تمت رسالتي - بحمد الله تعالى - ولا أحب أن أتحدث عن احتفالي بها ، ولأني نيتها ، ولا أريد أن أطيل الحديث عنها ، فهي تتحدث عن نفسها بنفسها ويمكن أن أشير إلى بعض النتائج التي أطمح إليها قلبي وهي :

١- تكاد رسالتي تكون أول رسالة دكتوراه تتحدث عن المذائع النبوية من شأنها حتى عصرنا هذا في سلسلة متصلة الحلقات ، متواليبة المصور .

٢- تعد أول رسالة دكتوراه تعرضت للبردة بالدراسة والتحليل ، وإن سبقت ببعض الشروح فإنها لم تتبع بالتحليل .

٣- تعد أول رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر قد تعرضت للشعر الصوفي ، مثلا في البردة ومعارضاتها ، على أساس أن المذائع النبوية لون من ألوان الشعر الصوفي .

٤- أكدت أن الإسلام لا يكره الشعر لكونه شعرا ، ولكنه يكره الشعر المشتمل على الكذب أو البهانة المقوتة ، والذي يبعد عن الأخلاق

الكرينة ، وإلى هذا اللون من الشعر أشار القرآن الكريم منددا بقائله  
في قوله تعالى : " وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ  
كَلِمَةٍ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (١) " كما أشار إليه  
الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله : لأن يمتلى \* جوف أحدكم نبحا  
يؤربه - يفسده - خير له من أن يمتلى \* شعرا (٢) .

أما ذلك الشعر الذي يدعو إلى الفضائل ، وينهى عن الرذائل  
ويدافع عن الدين فالإسلام يحبه ، وآية ذلك أنه قد استثنى قائله من  
الحكم السابق بقوله تعالى : " إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا  
اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ  
يَنْقَلِبُونَ (٣) " .

وهو كذلك أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد سمع  
من حسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، ولعله هو الذي أشار إليه  
بقوله : " إن من الشعر حكمة " (٤) .

٥ - بينت رسالتى أن مسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) كانت ومازالت منها  
نفاضا للشعراء والكتاب يستجدون منها أحسن الفكر ، وأصدق المعبر .

٦ - أثبتت أن فى البردة أثر للصوفية ، وودت بذلك على من يحسم أن البردة  
لا يوجد فيها أى أثر للصوفية .

٧ - بينت إمكان رواية الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذلك بالأحاديث النبوية  
الصحيحة ، وبعض الروايات التاريخية عن بعض الصحابة ، وشهادة بعض  
العلماء الأحياء الذين شرفوا بتلك الروايات .

(١) الشعراء ٢٢٤ - ٢٢٦ .

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ١١٣ وما بعدها .

(٣) الشعراء ٢٢٧ / ٢٢٨ .

(٤) صحيح البخارى ج ٨ ص ٤٦٤ وما بعدها ، والحمد لله ج ١ ص ٢٧ وما بعدها .

٨ - نفت ما نسب إلى الإمام البوصيري من أنه عجز عن إكمال بهيست من أبيات البردة ، وأكله الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ؛ إذ لم يثبت ذلك عن الإمام البوصيري في المراجع الثقة ، ولو ثبت لقطب بعدم صحته لقوله تعالى عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) : " وَمَا عَلَّمَهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْهَى لَهُ " الآية (١) .

٩ - بينت خطأ من ذهب إلى أن البوصيري قد أخطأ في استعمال بعض الألفاظ التي لم ترد في كتب اللغة المصنوعة ، مثل لفظ ( انفضم ) ؛ إذ ورد هذا اللفظ في لسان العرب .

١٠ - بينت خطأ من زعم أن الجبال التي عرضت أن تكون ذهباً للرسول ( صلى الله عليه وسلم ) من مالفات الصوفية ؛ إذ ثبت ذلك بأحاديث صحيحة وروايات متعددة .

١١ - كشفت رسالتي - عن كثير من معارضات البردة في المصنوع الحديث .

١٢ - ترجمت لبعض الشعراء المحدثين الذين لم يترجم لهم أحد من قبل مثل : الشيخ أحمد نهمي محمد ، وشاعر آل البيت الشيخ محمود جبر ، وشاعر النبي الحبيب الشيخ محمد خليل الخطيب والشاعر محمد السعيد برج ، وغيرهم .

١٣ - بينت أن المعارضات باب كبير في الأدب العربي ساعد على نموه ، وزيادة الثروة الأدبية .

١٤ - أثبتت أن المعارضات ليست كلها مخالفة من المواطن ، وليست كلها مبنية على التقليد والجمود ، بل منها ما هو كذلك ومنها ما ظهرت فيها الحافظة الصادقة ، والأفكار الجديدة التي دعت إليها ظروف العصر وهذا واضح في معارضات البردة التي لم يكتب أصحابها بحدج الرسول

---

(١) يس / ٦٩ ، وتفسير القرآن العظيم ج ٦ ص ٥٢٤ وما بعدها .



( صلى الله عليه وسلم ) بل أضافوا إلى ذلك الدفاع عن الإسلام  
وتفنيد مزاعم المستشرقين ، ودحض أكاذيبهم وانقراطهم على  
الإسلام والرسول ( صلى الله عليه وسلم ) كذبا وزورا .

١٥- أثبتت أن البردة من الأدب العربي الحق الذي لم يمت بموت  
صاحبه ، بل شاعت وذاعت ، ويكتبها فخرا أنها ذات أصل سوي  
بلاغي عظيم على الرغم من إنشائها في عصر اتسم بالخمود والجمود ،  
ويكتبها فخرا أنها تُرجمت إلى كثير من اللغات كالفرنسية والإنجليزية  
والإيطالية وغيرها ، ويكتبها فخرا أنها انتشرت في البلاد العربية  
والإسلامية والأوروبية ، ويكتبها فخرا أنه قد حفظها كثير من الناس  
واهتموا بها اعتما ما كسيرا لم تحظ به قصيدة أخرى في  
الأدب العربي .

١٦- بينت أن وجود الطلح والمطلولات في الأدب العربي ممكن ،  
وردت بذلك على من زعم أن الأدب العربي عاجز عن مثل هذا  
اللون .

### المقترحات :

- ١- ومعد تلك النتائج التي ذكرتها أشير إلى بعض  
المقترحات التي أرجو تحقيقها وهي :  
أوجه نظر السادة الباحثين في الأدب العربي إلى أن في شمس  
أنهوسيري الاجتماعى مجالا خصبا للدراسة والبحث .
- ٢- أوصى القائمين على أمر الثقافة الأدبية ، والمهتمين بالتراث العربى ،  
بطبع معارغات البردة ، وخاصة المعارغات التي ليس لأصحابها  
دواوين شعرية تحفظ فيها ، خشية الضياع مثل معارضة الشاعر  
على باكثير ، ومعارضة الشيخ الخطيب ، كما أن معارضة الهاوودي كادت

تفرض ، وكلها - بنخير شك - تصائد قيمة تعد من التراث الأدبي  
الرفيع الذي يجب حفظه .

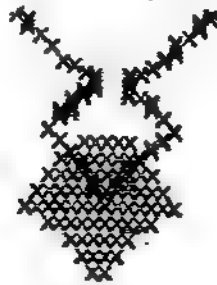
٣ - أوجه نظر مؤلفي الكتب الأدبية المقررة على المدارس والمعاهد  
إلى أن في المداخل النبوية بعامه وفي البودة ومعارضاتها نفسى  
المصر الحديث بخاصة مقطوعات قيمة تمتحق أن تقرر على الطـ  
لما استملت عليه من أساليب رفيعة ، وحكم رائحة ، ولما تدعو إليه  
من أخلاق عالية .

٤ - أوجه نظر المشرقين على وسائل الإعلام - ونحن في دولة الملـ  
والإيمان - إلى أن في البودة ومعارضاتها مقطوعات تصلح للإنشاء  
فتمكنا من التخلص من الأغاني الخليصة التي تغسد الأخلاق كما  
يلجذب الناس - بموسيقاها الرائحة ، وقصها الجميل - إلى معرفة  
سيرة الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) لتكون نبأاً يهتدى به نفسى  
تلك الحياة .

ولعن مما يؤكد ذلك بعض الأبيات التي تنشد من نهج  
البودة ، بالإضافة إلى أمسية البوصيرى التي أقامتها وزارة الثقافة  
والإعلام منذ أربعة أشهر تقريباً .

٥ - أوجه نظر المهتمين بالثقافة الأدبية إلى ضرورة إعداد  
سجل يشير إلى حياة الشعراء المحدثين - ليكون مرجعاً  
سهلاً ويسيراً أمام الباحثين والدارسين .

”نم بحمد الله ، والصلاة والسلام على خاتم أنبياء الله  
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين“



## مصادر البحث

- ١ - إبراهيم الهاجوري (الشيخ) : عاشيق الهاجوري على البردة ، المطبعة الرابطة ، مطبعة الحلبي بمصر سنة ١٩٥١ .
- ٢ - إبراهيم الهاجوري (الشيخ) : شى الهيجورى على الجوعرة ، دار مطابع الشعب بمصر سنة ١٩٦٦ .
- ٣ - إبراهيم عبده (الدكتور) : بالاشتراك مع غيره - الموسوعة الذهبية ج ١ مطابع الهنغ بمصر سنة ١٩٦٤ .
- ٤ - إبراهيم العدوي (الدكتور) : السرب والتتار ، مطابع دار القلم بمصر سنة ١٩٦٣ .
- ٥ - إبراهيم عوغيين : الصارغة فى شعر شوقى " رسالقا جستير " بمكتبة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر تحت رقم ٤٨٢ .
- ٦ - أبو بكر بن حجة الحموي : خزانة الأدب وعاية الأرب ، المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٩٠٤ م .
- ٧ - أبو الفتى رضوان (الدكتور) : بالاشتراك مع غيره - أعمون العالم الحديث مطابع مؤسسة روز الهوسا بمصر سنة ١٩٧٦ .
- ٨ - أبو حنبل السمرى : الصناعتين ، بتحقيق أبى الفضل والهجاوى دار إحياء الطب العربى بمصر سنة ١٩٦٦ .
- ٩ - أحمد الإسكندرى : بالاشتراك مع غيره - الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ، المطبعة السلفية بمصر سنة ١٩٦٤ .
- ١٠ - " " : بالاشتراك مع غيره - المناس فى تاريخ الأدب العربى ج ١ المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٩٣٦ .
- ١١ - " " : بالاشتراك مع غيره - المنتخب من أدب العرب ، ج ١ مطابع دار الشاب العربى بمصر سنة ١٩٥٤ .

- ١٢- أحمد أميس : بالاعتراك مع غيره - التوجيه الأدبي ،  
المنبعة الأميرية بمصر سنة ١٩٤٦ .
- ١٣- أحمد التاجي : أحمد سوقي ، منبعة الحلبي بمصر  
( غير مؤن ) .
- ١٤- أحمد تيمور : الآثار النبوية ، المنبعة الثانية ، مطابع  
دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٩٤٤ .
- ١٥- أحمد بن حجر المسفلاسي : الدرر الناضجة في أعيان المائة الثامنة ،  
ج١ ، ج٢ ، ج٣ ، بتحقيق الشيخ  
محمد جاد الحق ، منبعة المدني بمصر  
سنة ١٩٦٧ .
- ١٦- أحمد بن حجر الهيتمي : في الهمزية ، وبهامشه حاشية الشيخ  
محمد الحفني على الهمزية ، المنبعة  
الهيئة المصرية سنة ١٣٠٦ هـ .
- ١٧- أحمد حسن نحس ( الدكتور ) : دراسات عربية ، منبعة السعادة بمصر  
سنة ١٩٦٩ .
- ١٨- أحمد بن النسيب ( المتنبى ) : ديوانه بتسليق الدكتور : عبد الوهاب  
عزام ، منبعة لجنة التأليف والترجمة  
بمصر سنة ١٩٤٤ ، وطبعة ثانية  
بمصر ، دار الطباعة بمصر  
سنة ١٩٨٢ هـ .
- ١٩- أحمد العموي ( الشيخ ) : ديوان الشاعر العالم ج١ ، بتحقيق  
مصطفى الحقا منبعة الحلبي بمصر  
سنة ١٩٤٢ .
- ٢٠- " " ( الشيخ ) : زهر الربيع في المعاني والبيان والبدع  
الطبعة السابعة منبعة الحلبي بمصر  
سنة ١٩٧١ .
- ٢١- " " " : شدا العرف في فن العرف - الطبعة  
التاسعة عشرة ، منبعة الحلبي بمصر  
سنة ١٩٧٢ .

- ٢٢- أحمد بن حنبل (الإمام) : المصنف ج ١ ، ج ٢ ، بتحقيق الدكتور :  
محمد عاصم طه دار الاعتماد بمصر  
سنة ١٤١٦ هـ ، ج ١ ، سبي الشيخ أحمد  
عاصر طهعة دار المعارف بمصر سنة  
١٩٤٦ هـ
- ٢٣- أحمد الحوفي (الدكتور) : الفطحة في الأدب ج ١ مكتبة نهضة مصر  
سنة ١٩٥١ هـ
- ٢٤- " " " : الإلهام في سائر شوقي ، مطابع شرقية  
الإصدارات الشرقية بمصر سنة ١٩٦٢ هـ
- ٢٥- " " " : سماحة الإلهام ، مطابع شرقية الإصدارات  
الشرقية بمصر سنة ١٩٦٢ هـ
- ٢٦- " " " : لباد أعدت النبي زوجاته ، مطابع الأسرام  
التجارية بمصر سنة ١٩٦٤ هـ
- ٢٧- أحمد بن شبلان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، بتحقيق  
الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد  
مطبعة المصانف بمصر سنة ١٩٤٨ هـ
- ٢٨- أحمد الشاهب : تاريخ النقائز في العصر العربي مطبعة  
النهضة المصرية ، غير مؤرخ
- ٢٩- " " : أسون النقد الأدبي ، المطبعة الثانية  
مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٩٤٢ هـ
- ٣٠- أحمد الشرباصي (الدكتور) : رشيد رضا صاحب المنار ، مطابع الأسرام  
التجارية بمصر سنة ١٩٦٠ هـ
- ٣١- " " " : الدين والمجتمع : المصنوعة العربية بمصر  
سنة ١٩٦٠ هـ
- ٣٢- " " " : الشاعر طه حسين ، لم يدون عليه اسم  
المصنوعة وهي سنة ١٩٦٢ هـ
- ٣٣- أحمد شوقي : دول العرب وعلماء الإلهام ، مطبعة  
مصر سنة ١٩٤٢ هـ

- ٢٤ - أحمد سولس : ديوانه " السوفيات " ج ١ ، ج ٢ ، ج ٣  
المنشأة التجارية الكبرى بمصر سنة  
١٩٤٨ .
- ٢٥ - أحمد بن عبد الحلوم الخرناسي ( ابن تيمية ) : عقيدة أسس السنة والجماعة بتعليق عبد  
الرزاق عفيفي دار المطبعة المحمدية بمصر  
غير مؤرخ .
- ٢٦ - أحمد بن عبد الله الأصبهاني ( أبو نسيم ) : دلائل النبوة ، الطبعة الثانية ، حيدر  
آباد الدكن ، من منشورات وزارة المعارف  
العثمانية سنة ١٩٥٠ .
- ٢٧ - أحمد بن عبد الوهاب النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، المفسر  
الثامن الطبعة الأولى ، مطبعة دار الكتب  
المصرية سنة ١٩٣٩ .
- ٣٨ - أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في عصر محمد علي ج ١ ،  
مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٢٨ .
- ٢٩ - أحمد عليمة الله : القاموس الإلهامي ، المجلد الأول ، مكتبة  
النهضة المصرية سنة ١٩١٢ .
- ٤٠ - " " " " : دائرة المعارف الحديثة ، مكتبة الأنجلو  
المصرية سنة ١٩٥١ .
- ٤١ - أحمد بن علي المقرئ : العلقى ج ١ ، مخطوط بدار الكتب المصرية  
تحت رقم ٤٢٢٢ تاريخ
- ٤٢ - " " " " : السلوك لمعركة دول الملوك ج ١ القسم  
الأول والثاني بتحقيق محمد مصطفى زيادة  
منشأة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٤  
سنة ١٩٢٦ ، والقسم الثالث ، مطبعة لجنة  
التأليف والترجمة والنشر بمصر سنة ١٩٣٦ .
- ٤٣ - " " " " : إعانة الأمة بنسختها الفخمة ( أو تاريخ  
الجماعات في مصر ) منشأة دار ابن الوليد  
بمصر سنة ١٩٥١ .

- ٤٦ - أحمد بن علي المقرئ : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : دار التحرير للطباعة والنشر بمصر سنة ١٩٦٧ .
- ٤٥ - " " " " : فضل آل البيت ، تحقيق محمد عاشور : دار الاعتصام بمصر سنة ١٩٧٣ .
- ٤٦ - أحمد عوف ( الدكتور ) : الأزهر في الفعاليات ، مطبعة الأزهر بمصر سنة ١٩٧٠ .
- ٤٧ - أحمد فهمي محمد ( الشيخ ) : النفحة الأحمدية في مدح خير البرية : مطبعة حجازي بمصر سنة ١٣٦٨ هـ .
- ٤٨ - " " " " : الزهراء في مدح خاتم الأنبياء ، مطبعة حجازي بمصر سنة ١٣٧٠ هـ .
- ٤٩ - " " " " : كريمة الدارين ، مطبعة حجازي بمصر سنة ١٣٧١ هـ .
- ٥٠ - أحمد محفوظ : حياة شوقي ، مطبعة مصر - غير مؤرخ .
- ٥١ - أحمد حجاب ( الشيخ ) : العظة والاعتبار ، مطابع الأهرام التجارية بمصر سنة ١٩٦٩ .
- ٥٢ - أحمد بن محمد القسري : الصباح النير ، الطبعة العاشرة : الطبعة الأميرية بمصر سنة ١٩٢٨ .
- ٥٣ - أحمد محمد موسى ( الدكتور ) : الصبح البديع ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بمصر سنة ١٩٦٩ .
- ٥٤ - أحمد محرم : ديوان مجد الإسلام ، ( أو الإلياذة الإسلامية ) بتصحیح محمد الجيوشي : مكتبة دار المروية بمصر سنة ١٩٦٣ .
- ٥٥ - إسماعيل بن عمر بن كثير ( الإمام ) : البداية والنهاية ج ١٣ ، مطبعة دار الصحادة بمصر سنة ١٣٥٨ هـ .
- ٥٦ - " " " " : السيرة النبوية ج ١ بتحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة الحلبي بمصر سنة ١٩٦٤ .

- ٥٧ - إسحاق بن عمر بن كثير ( الإمام ) : قصص الأنبياء بتحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة دار التأليف بمصر  
سنة ١٩٦٨ .
- ٥٨ - " " " " : تفسير القرآن العظيم ، بتحقيق عبد المنير غنيم بالاشتراك مع غيره ، مطبعة دار الشعب بمصر سنة ١٩٧١ .
- ٥٩ - إسحاق بن القاسم القبالي : الآمال ج ١ الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر سنة ١٩٧٥ .
- ٦٠ - أمين محمود خطاب : الإتحافات الإلهية ، لم يدون عليه اسم المطبعة وطبع سنة ١٢٧٢ هـ
- ٦١ - أوس بن حجير : ديوانه ، بتحقيق الدكتور محمد نجيم ، دار صادر ببيروت سنة ١٩٦٥ .
- ٦٢ - بدوي طبانة ( الدكتور ) : المرقاة الأدبية ، مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٥٦ .
- ٦٣ - " " " : دراسات في نقد الأدب العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٥ .
- ٦٤ - توفيق الراقصي : كرمة ابن هاني ، مطبعة الماعز بمصر سنة ١٩٦٣ .
- ٦٥ - جرجي زيدان : تاريخ مصر الحديث ج ١ مطبعة مؤسسة القططاف بمصر سنة ١٨٨٩ .
- ٦٦ - " " : تاريخ التمدن الإسلامي ج ١ مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٠٢ .
- ٦٧ - " " : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ، ج ٢ مطبعة دار الهلال بمصر سنة ١٩٣٦ وج ٣ طبعة سنة ١٩٣٥ .
- ٦٨ - جمال الدين الشيال ( الدكتور ) : تاريخ مصر الإسلامية ج ٢ دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٧ .
- ٦٩ - حاجي خليفة : كشف الظنون ، مطبعة العالم بمصر سنة ١٣١١ هـ .



- ٧٠ - الحارث بن سعيد الحداني ( أبو فراس ) : ديوانه بشرح نخلة قلفاظ مكتبة الشروق  
بيروت سنة ١٩١٠ .
- ٧١ - حافظ إبراهيم : ديوانه بتحقيق أحمد أمين بالاشتراك مع غيره ، مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٧ .
- ٧٢ - حامد الأشقر : شرف الدين البوصيري ( الشاعر المصري ) مطبعة  
النيرة بمصر سنة ١٣٧٥ هـ .
- ٧٣ - حامد حفني داود ( الدكتور ) : تاريخ الأدب الحديث ، دار الطباعة المحمدية  
بمصر سنة ١٩٦٧ .
- ٧٤ - حامد محمد الغواص ( الدكتور ) : بين الطب والإسلام ، دار الكاتب العربي للطباعة  
والنشر بمصر سنة ١٩٦٧ .
- ٧٥ - هسان بن ثابت : ديوانه بشرح عبد الرحمن البرقوقي ، المطبعة  
الرحمانية ، بمصر سنة ١٩٢٩ .
- ٧٦ - الحسن بن بشر الآمدي : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، بتحقيق  
الميد صقر ، الطبعة الثانية - دار المعارف  
بمصر سنة ١٩٧٢ .
- ٧٧ - حسن الحمزاوي ( الشيخ ) : النفحات الشاذلية بشرح البردة البوصيري  
ج ٣ ، لم يدون عليه اسم المطبعة وطبع سنة ١٢٩٧ هـ .
- ٧٨ - الحسن بن رشيق : المدة بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين حسن  
عبد الحميد ، طبعة دار الجيل بيروت سنة ١٩٧٢ .
- ٧٩ - الحسن بن محمد الكوهن : جامع الكرامات العلية في طبقات المسادات  
الشاذلية المكتبة الفاسية بمصر سنة ١٣٤٧ هـ .
- ٨٠ - حسن المرصفي ( الشيخ ) : الوسيلة الأدبية للملوك العربية ج ٢ ، مطبعة  
المدارس الملكية بمصر سنة ١٢٩٢ هـ .
- ٨١ - حسنين محمد مخلوف ( الشيخ ) : غزوات من معجزات وخصائص الرسول مطابع  
الأهرام التجارية بمصر سنة ١٩٧٠ .

- ٨٢ - حسين شوقي : أبي شوقي ، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٧ .
- ٨٣ - حسين مظلوم : رياض البردة ، المطبعة المحمودية بمصر غير مؤرخ
- ٨٤ - حلمي علي مرزوق ( الدكتور ) : شوقي وقضايا مصر والحضارة ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٦ .
- ٨٥ - خندج بن حجر ( امروء القيس ) : ديوانه بشرح الهندوس ، مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٩٣٠ .
- ٨٦ - خالد الأزهرى ( الشيخ ) : شرح التصريح على التوضيح ، دار إحياء الكتب العربية بمصر غير مؤرخ .
- ٨٧ - خليل بن أيك الصفدى : الوافى بالوفيات ج ٣ المطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٥٣ .
- ٨٨ - خير الدين الزركلى : الأعلام الطبعة الأولى المطبعة العربية بمصر سنة ١٩٢٧ . والطبعة الثانية مطبعة كوستانسوفا وشركاه بمصر سنة ١٩٥٤ .
- ٨٩ - زكى مبارك ( الدكتور ) : الموازنة بين الشعراء ، مطبعة الحلبي بمصر سنة ١٩٣٦ .
- ٩٠ - " " " : المدايح النبوية ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بمصر سنة ١٩٦٢ .
- ٩١ - زهير بن أبى سلمى : ديوانه بشرح أحمد الشيبانى مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤ .
- ٩٢ - زهير بن محمد المهبلى ( المهاء زهير ) : ديوانه المطبعة المحمودية بمصر سنة ١٣١٥ هـ .
- ٩٣ - زينب فسواز : الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور ، المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٣١٣ هـ .
- ٩٤ - سعد الدين الجيزاوى : أصداء الدين فى الشعر الحديث ، مكتبة النهضة مصر سنة ١٩٥٦ .

- ٩٥ - سعد الدين الجيزاوى (الدكتور) : الملحمة فى الشعر العربى ، دار الكاتب العربى ، للطباعة والنشر بمصر سنة ١٩٦٧ .
- ٩٦ - سعيد الخورى الشرتونى : أقرب الموارد فى فصيح العربية والشوارد ج ٢ مطبعة مرسلى اليسوعية بيروت سنة ١٨٨٩ .
- ٩٧ - سعيد عاشور (الدكتور) : الحركة الصليبية ، ج ١ مطبعة لجنة البيان العربى بمصر سنة ١٩٦٣ .
- ٩٨ - " " " : ثورة شعب دار النهضة العربية بمصر سنة ١٩٦٤ .
- ٩٩ - " " " : السيد البدوى ، مطبعة دار مصر للطباعة سنة ١٩٦٦ .
- ١٠٠ - سليم البشرى (الشيخ) : توضيح النهج غير مؤمن ولم يدون عليه اسم المطبعة .
- ١٠١ - سليمان بن الأشعث (الإمام أبو داود) : سننه ج ٢ بتحقيق الشيخ أحمد محمد على مطبعة الحلبي بمصر سنة ١٩٥٢ .
- ١٠٢ - سليمان الأغايسى (الدكتور) : الأدب المعاصر فى العالم العربى مطبعة الكتاب الحديث بمصر ، غير مؤمن .
- ١٠٣ - السيد إبراهيم حقى : تفسير الشدة فى تخمين البردة ، مطبعة الحرية بمخمساد سنة ١٩٦٨ .
- ١٠٤ - سيد سابق (الشيخ) : فقه السنة ج ١ مطبعة النموذجية بمصر غير مؤمن .
- ١٠٥ - السيد على الدرويش : ديوانه بإشراف مصطفى النجارى طبع سنة ١٢٧١ هـ ولم يدون عليه اسم المطبعة .
- ١٠٦ - السيد مرتضى الحسينى : تاج المروى ج ٣ ، ج ٥ ، ج ٨ ، ج ٩ : مطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ .

- ١٠٧- شعبان محمد إسماعيل (الدكتور) : من خصائص الرسول وشماله ج ١ ،  
مطبعة الحسين الجديدة بمصر سنة  
١٣٩٧ هـ .
- ١٠٨- شبيب أرسلان : شوقي (أو عداقة أربعين سنة) مطبعة  
القاهرة سنة ١٩٣٦ .
- ١٠٩- شوقي ضيف (الدكتور) : شوقي شاعر العصر الحديث دار المعارف  
بمصر سنة ١٩٥٣ .
- ١١٠- " " " : الأدب العربي المعاصر في مصر ، دار  
المعارف بمصر سنة ١٩٦١ .
- ١١١- " " " : تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي دار  
المعارف بمصر سنة ١٩٦٣ .
- ١١٢- " " " : البارودي رائد الشعر الحديث دار المعارف  
بمصر سنة ١٩٦٤ .
- ١١٣- " " " : البلاغة تطور وتاريخ دار المعارف بمصر  
سنة ١٩٦٥ .
- ١١٤- " " " : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي  
دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ .
- ١١٥- " " " : التطور والتجديد في الشعر الأيوبي مطبعة  
دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣ .
- ١١٦- " " " : تاريخ الأدب العربي العصر المماليكي الأول  
دار المعارف بمصر فيرمونج .
- ١١٧- صادق خطاب (الدكتور) : الشعر في العصر الحاضر وأثر البارودي فيه ،  
رسالة دكتوراه مكتبة كلية اللغة العربية بجامعة  
الأزهر تحت رقم ٨١٦٤ .
- ١١٨- طاهر الطناحي : عور وظلال من حياة شوقي وحافظ ، مطبعة  
دار الهلال بمصر سنة ١٩٦٧ .
- ١١٩- طه حسين (الدكتور) : من حديث الشعر والنثر مطبعة الصباوي  
بمصر سنة ١٩٣٦ .

- ١٢٠ - طبعه حسين ( الدكتور ) : في الأدب الجاهلي ، دار المعارف  
بمصر سنة ١٩٤٧
- ١٢١ - " " " : بالاشتراك مع غيره - التوجيه الأدبي  
مطابع دار الكتاب العربي بمصر سنة  
١٩٥٣ .
- ١٢٢ - طبعه وادي ( الدكتور ) : مختارات من شعر أمير الشعراء أحمد  
شوقي ، الهيئة المصرية العامة  
للكتاب . سنة ١٩٧٢ .
- ١٢٣ - ظالم بن عمرو الدؤلي ( أبو الأسود ) : ديوانه بتحقيق عبد الكريم الديلمي  
شركة النشر والطباعة بهنداد . سنة  
١٩٥٤ .
- ١٢٤ - عائشة الباعونية : مولد النبي - المطبعة الحنفية بدمشق  
سنة ١٢٠١ هـ .
- ١٢٥ - عائشة التيمورية : ديوانها حلية الطراز ، المطبعة العامة  
الشرفية بمصر سنة ١٢٠٢ هـ وطبعة  
دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٩٥٢
- ١٢٦ - المباس بن الأحنف : ديوانه مطبعة الجوائب بالقسطنطينية  
سنة ١٢٩٨ هـ .
- ١٢٧ - عباس حسن : العتبي وشوقي وإمارة الشعر ، دار المعارف  
بمصر سنة ١٩٧٣ .
- ١٢٨ - عباس المقداد : ابن الرومي ، المطبعة التجارية بمصر  
سنة ١٩٥٠ .
- ١٢٩ - " " : اللثة الشاعرة ، مكتبة الأنجلو المصرية  
سنة ١٩٦٠ .
- ١٣٠ - " " : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، دار  
القلم بمصر سنة ١٩٦٦ .
- ١٣١ - " " : ما يقال عن الإسلام ، دار الهلال  
بمصر سنة ١٩٦٦ .

- ١٢٢- عباس الصفاد : شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ،  
دار الهلال بمصر سنة ١٩٧٢ .
- ١٢٣- عبد الحسيب علم ( الدكتور ) : النصوص الأدبية في العصر الحديث ، مطبعة  
المحادة بمصر سنة ١٩٧١ .
- ١٢٤- عبد الحكيم حسان ( الدكتور ) : التصوف في العصر الحديث ، مكتبة  
الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٤ .
- ١٢٥- عبد الحليم الجندي : أحمد بن حنبل ، مطابع الأهواام التجارية  
بمصر سنة ١٩٧٠ .
- ١٢٦- عبد الحليم المصري : بكرة المصري ، مطبعة مدرسة بني سيف  
الصناعية سنة ١٩١١ .
- ١٢٧- عبد الحميد يونس ( الدكتور ) : بالاشتراك من غيره - دائرة المعارف  
الإسلامية ج٤ ، ج٥ ، ج٧ طبعة دار  
الشعب بمصر سنة ١٩٧١ .
- ١٢٨- عبد الحى بن المصا : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٥ ،  
ج٧ مكتبة القدسي بمصر سنة ١٣٥١ هـ .
- ١٢٩- عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، طبعة دار الشعب  
بمصر سنة ١٩٧٠ .
- ١٤٠- عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد علي مكتبة النهضة المصرية  
سنة ١٩٥١ .
- ١٤١- عبد الرحمن السيوطي : حسن العاضرة في أخبار مصر والقاهرة ج١  
مطبعة إدارة الوطن بمصر سنة ١٢٩٩ هـ .
- ١٤٢- " " " : الزهور ج١ ، مطبعة المحادة بمصر  
سنة ١٣٢٥ هـ .
- ١٤٣- عبد الرحمن شبيب ( الدكتور ) : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة دار  
التأليف بمصر سنة ١٩٦٨ .
- ١٤٤- عبد الرحمن الشيباني : تمييز الطبيب من الشبهت فيما يدور على  
السنة الناصر من الحديث مطبعة صبيح  
بمصر سنة ١٩٦٣ .

- ١٤٥ - عبد الرحمن عبد الله السهيلى : الرغز الأنفجاء ، ج ٢ مطبعة البجالية  
بمصر سنة ١٩١٤ .
- ١٤٦ - عبد السلام مرحان (الدكتور) : قطوف من ثمار الأدب فى الجاعلية  
والإسلام ، القسم الثانى دار القومية  
المصرية للطباعة بمصر سنة ١٩٧٢ .
- ١٤٨ - عبد الميز محمد : تشطير البردة ، مطبعة دار الكتب المصرية  
سنة ١٩٣٤ .
- ١٤٩ - عبد الحليم القبانى : الهوى حياه وشعره ، دار المعارف بمصر  
سنة ١٩٦٨ .
- ١٥٠ - عبد القادر البندادى : خزانة الأدب وللبها لسان العرب ج ١  
المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٢٩٩ هـ .
- ١٥١ - عبد القادر الرافعى : نهل المراد فى تشطير الهزمية والسبيرة  
وبانت سعاد مطبعة الشرف بمصر سنة  
١٣٢٤ هـ .
- ١٥٢ - عبد القاهر الجرجانى (الإمام) : دلائل الإعجاز ، بتعليق الدكتور محمد  
خفاجى مكتبة القاهرة سنة ١٩٦٩ .
- ١٥٣ - " " " " : أسرار البلاغة بشرح الدكتور محمد خفاجى  
دار الطباعة المحمدية بمصر سنة ١٩٧٢ .
- ١٥٤ - عبد الكريم الخطيب : الأدب الموشى فى مفهوم جديد ، طبعة  
دار الثقافة المصرية بمصر سنة ١٩٦٥ .
- ١٥٥ - " " " " : الجانب الإنسانى فى الأدب الصوفى ،  
طبعة دار الثقافة المصرية بمصر سنة  
١٩٦٦ .
- ١٥٦ - عبد الله بن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، الشركة  
المصرية للطباعة والنشر بمصر سنة ١٩٧٦ .
- ١٥٧ - عبد الملك بن هشام : سيرة النبى بتحقيق الشيخ محمد محبى الدين  
عبد الحيد ، طبعة دار التحرير بمصر  
سنة ١٣٨٣ هـ .

- ١٥٨- عبد الوهاب السبكي : معبد النعم ومهد النعم ، دار الكتاب  
العرسى بمصر سنة ١٣٦٢ هـ .
- ١٥٩- على بن أبي طالب (الإمام) : نهج الهدى ، بشن الإمام محمّد  
عبد ، وتحقيق محمد عاشور ومحمد  
الهنّا ، طبعة دار الشعب بمصر  
سنة ١٩٦٨ .
- ١٦٠- على أحمد باكثير : نظام البردة ، طبعة الشباب بمصر  
سنة ١٣٥٢ هـ .
- ١٦١- " " " : فن السرحة من خلال تجارب الشخصية  
طبعة المعرفة بمصر سنة ١٩٦٤ .
- ١٦٢- على بن أحمد بن حزم : طوق الحمامة في الألفة والألاف بتحقيق  
محمد عبد اللطيف بالاشتراك مع  
غيره ، طبعة الدنى بمصر سنة  
١٩٧٥ .
- ١٦٣- على بن برهان الحلبي : إنسان الميرون في سيرة الأئمين المؤمن  
( السيرة الحلبيّة ) ج ١ ومباشرة سيرة  
( دحلان ) المكتبة الثقافية بمصر .
- ١٦٤- على بن الجندى (الدكتور) : غير مؤرخ : تاريخ الأدب الجاهلي ج ١ مكتبة الأنجلو  
المصرية سنة ١٩٦٩ .
- ١٦٥- على الجبلاطي : بالاشتراك مع غيره - الذوق البلاغي ، طبعة  
الجهاد بأسبوط غير مؤرخ .
- ١٦٦- " " : من أدباء الإسلام المعاصرين - مطابع  
الأحرار التجارية بمصر سنة ١٩٧٠ .
- ١٦٧- على بن الحسن السمودي : مرجع الذهب بتحقيق الشيخ محمد محيي  
الدين عبد الحميد طبعة دار النهر  
للطباعة والنشر بمصر سنة ١٩٦٦ .



- ١٦٨- علي بن الحسين الأعفهانى : الأغاني ج ٥ ، ج ٨ ، ج ٩ طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومى بمصر سنة ١٩٦٣ .
- ١٦٩- علي عاتى حسين (الدكتور) : الأدب الصوفى فى مصر فى القرن السابع الهجرى دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤
- ١٧٠- " " " " : المديح النبوى فى القرن الأول الهجرى مطابع الأهرام التجارية بمصر سنة ١٩٦٨ .
- ١٧١- على عبد العزيز الجرجاني (القاضى) : الوساطة بين المتبى وخصومه بتحقيق أبى الفضل والهجارى - مطبعة الحلبسى بمصر سنة ١٩٦٦ .
- ١٧٢- على مبارك : النقط التوفيقية ج ٧ ، ج ٩ ، ج ١٠ المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٣٠٥ هـ .
- ١٧٣- على بن محمد بن الأثير : الكامل ج ٣ ، ج ٤ المطبعة الأزهرية ، بمصر سنة ١٣٠١ هـ .
- ١٧٤- " " " " : أسد الغابة فى معرفة الصحابة بتحقيق محمد الهنا - بالاشتراك مع فيرو مدار الشعب بمصر سنة ١٩٧٥ .
- ١٧٥- على محمد الحديدى (الدكتور) : محمود سامى البارودى ، دار الكائنات العربى للطباعة والنشر بمصر سنة ١٩٦٧ .
- ١٧٦- على النجدى ناصف : الدين والأخلاق فى شعر شوقى : مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٦٤ .
- ١٧٧- عمر بن أبى ربيعة : ديوانه بشرح محمد المنانى مطبعة السمادة بمصر سنة ١٣٣٠ هـ .
- ١٧٨- عمر الدسوقي : فى الأدب الحديث ج ١ مطبعة الرسالة بمصر سنة ١٩٤٨ فى ٢ مطبعة دار الفكر العربى بمصر سنة ١٩٦١ .

- ١٧٩- عمر الدوقسى : محمود سالى البارودى ، دار المصارف  
بمصر سنة ١٩٥٢ .
- ١٨٠- عمر حسن الفارغى : ديوانه مطبعة الحلى بمصر سنة ١٩٥٢
- ١٨١- عيسى اسكندر المملوف : محارفات ( يا ليل الصب ) مطبعة الهلال  
بمصر سنة ١٩٦١ .
- ١٨٢- فاروق خورشيد : بالاشتراك مع غيره - محمد فى الأدب  
الماصر ، المكتب الفنى للنشر بمصر  
سنة ١٩٥٩ .
- ١٨٣- فتحى عثمان : الإمام الهوصيرى ، مطابع الأهرام التجارية  
بمصر سنة ١٩٧٥ .
- ١٨٤- قيس بن المسحج : ديوانه ، المطبعة المارة العشانية بمصر  
سنة ١٣٠٩ هـ .
- ١٨٥- كامل السيد شامس : اللباب فى المروض والقافية ، مطابع سجل  
المرب بمصر سنة ١٩٧٦ .
- ١٨٦- كعب بن زهير : ديوانه بشرح المكى ، مطبعة دار الكتب  
المصرية سنة ١٩٥٠ .
- ١٨٧- الكويت بن زيد الأسدى : القصائد الباشميات ، ضبط محمد شاكسر  
الخياط ، مطبعة الموسوعات بمصر سنة  
١٣٢١ هـ .
- ١٨٨- لجنة من العلماء : المنتخب من السنة ج ١ مطابع الأهرام  
التجارية بمصر سنة ١٩٧١ .
- ١٨٩- ماهر حسن فهمى (الدكتور) : أحمد شوقى مطبعة دار الكاتب المرسى  
بمصر سنة ١٩٦٩ .
- ١٩٠- " " " " : شوقى : شعراء الإسلام ، دار المصارف  
بمصر سنة ١٩٥٢ .
- ١٩١- محمد بن أحمد بن إياس : تاريخ مصر ( بدائع الزهور فى وقائع الدهور )  
ج ١ المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٣١١ هـ .
- ١٩٢- محمد بن أحمد بن طياغيا : عيار الشعر بتحقيق الحاجى وسلام ، المكتبة  
التجارية بمصر سنة ١٩٥٦ .

- ١٩٣- محمد إسماعيل إبراهيم : الأحاديث النبوية والمحدثون ، دار الفكر العربي بمصر سنة ١٩٧٣ •
- ١٩٤- محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري طبعة دار الشعب بمصر سنة ١٩٦٨ •
- ١٩٥- محمد أمين : جغرافية مصر ، مطبعة وادي النيل بمصر سنة ١٢٩٦ هـ •
- ١٩٦- محمد بن بكر بن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدي خير المباد ج ١ ، ج ٢ ، ج ٣ الطبعة المصرية غير مؤرخ •
- ١٩٧- محمد بن الحسين الرضوي : ديوان الشريف الرضي ، مؤسسة الأعلى للطبعات ببيروت ، غير مؤرخ •
- ١٩٨- محمد حسين هوكسل (الدكتور) : حياة محمد ، الطبعة الخامسة مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٢ •
- ١٩٩- محمد حمودة عبد الرحمن : الدائع النبوية في مصر الحاضر وأثرها في الأدب ، رسالة ماجستير بمكتبة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر تحت رقم / ٤٣٤
- ٢٠٠- محمد الخضصري : نور اليقين في سيرة سيد المرسلين مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٩٣٥ •
- ٢٠١- " " : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ج ١ مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٣٢٠ هـ
- ٢٠٢- محمد بن الخطاب القرشي : جمهرة أشعار العرب ، الطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٣٠ هـ
- ٢٠٣- محمد خليل الخطيب (الشيخ) : غاية الطالب في شرح ديوان أبي طالب مطبعة الشعراوي بطنطا سنة ١٩٥٠
- ٢٠٤- " " " " : بشرى الماشقين ببلوغ سيد المرسلين مطبعة الشعراوي بطنطا سنة ١٣٧٧ هـ •
- ٢٠٥- " " " " : وحى الحديث مطبعة الشعراوي بطنطا سنة ١٩٥٩ •

- ٢٠٦- محمد رشيد رضا ( الشيخ ) : تاريخ الأستاذ الإمام بآ مطبعة المنار  
بمصر سنة ١٣٤٤ هـ .
- ٢٠٧- محمد رفعت : بالاشتراك مع غيره - تاريخ الإسلام ومصر  
الإسلامية • دار القاهرة للطباعة بمصر  
سنة ١٩٥٧ .
- ٢٠٨- محمد زغلول سلام ( الدكتور ) : الأدب في مصر صلاح الدين الأيوبي •  
مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية  
سنة ١٩٥٩ .
- ٢٠٩- محمد حسن محمد : الطبقات الكبرى ج ١ ، ج ٢ ، ج ٣ دار  
التحريم بمصر سنة ١٩٦٨ .
- ٢١٠- محمد السعدى فرعون ( الدكتور ) : قضايا النقد الأدبي الحديث مطبعة  
زهوان بمصر سنة ١٩٦٨ .
- ٢١١- " " " " : اتجاهات النقد الأدبي المصري • دار  
الطباعة الحديثة بمصر سنة ١٩٧٠ .
- ٢١٢- محمد الصمود بسن : الحميدية في مدح خير البرية مطبعة  
المنار الكبرى بطنطا سنة ١٩٧٠ .
- ٢١٣- محمد بن سعيد البوصيري : ديوانه بتحقيق محمد سيد الكيلاني مطبعة  
العلوي بمصر سنة ١٩٥٥ .
- ٢١٤- " " " " : فن البردة عن طبعات ومنها طبعة  
الشمري بمصر • غير مؤرخة .
- ٢١٥- محمد بن سلام : طبقات فحول الشعراء • المطبعة السعودية  
بمصر غير مؤرخ .
- ٢١٦- محمد بن سليمان الجزولي : دلائل الخيرات • مكتبة القاهرة بمصر  
سنة ١٣٦٩ هـ .
- ٢١٧- محمد سيد الكينى : الجروب الطليبية وأثرها في الأدب المصري  
في مصر والشام مكتبة مصر سنة ١٩٤٩ .
- ٢١٨- " " " : مختار الشعر الجاهلي ج ١ مطبعة الحلبي  
بمصر سنة ١٩٧٠ .

- ٢١٩- محمد بن شاكس : قوات الوفيات ج٢ بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة بمصر سنة ١٩٥٤ .
- ٢٢٠- محمد شفيق غريسان : بالاشتراك مع غيره - الموسوعة الهندسية - موسوعة فرانتلين بمصر سنة ١٩٦٥ .
- ٢٢١- محمد صبرى (الدكتور) : الشوفيات المجهولة مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٦١ .
- ٢٢٢- محمد طلعت حرب : تربية المرأة والحجاب ، مطبعة الترقى بمصر سنة ١٨٩٩ .
- ٢٢٣- محمد بن الطبيب الباقى دنى : إعجاز القرآن ، المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٩ هـ .
- ٢٢٤- محمد بن عبد الباقي الزرقانى : شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ج١ ، ج٥ المطبعة الأزهرية بمصر سنة ١٣٢٥ هـ .
- ٢٢٥- محمد بن عبد الرحمن القزوينى : التلخيص فى علوم البلاغة بشرح البرقوقى ، المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٣٢ .
- ٢٢٦- محمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر الحديث المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٩٤٦ .
- ٢٢٧- محمد عبد العزيز النجار : منار السالك إلى أوضح المسالك ، مطبعة الفجالة بمصر ، غير مؤرخ .
- ٢٢٨- محمد عبد الننى حسن : أعلام من الشرق والغرب ، دار الفكر المرسى بمصر سنة ١٩٤٩ .
- ٢٢٩- محمد بن عبد الكريم النهر ستانى : الملل والنحل على هامش كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج١ ، ج٢ مطبعة عبيدسج بمصر سنة ١٣٤٧ هـ .
- ٢٣٠- محمد عبد المطلب : ديوانه بتحقيق إلبيارى بالاشتراك مع غيره مطبعة الاعتماد بمصر غير مؤرخ .
- ٢٣١- محمد عبد الصنع خفاجى (الدكتور) : وحدة القصيدة فى الشعر العربى ، مطبعة المنيرة بمصر سنة ١٩٥٦ .



- ٢٤٤- محمد محمد حسين (الدكتور) : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر  
مكتبة الآداب بمصر سنة ١٣٨٢هـ
- ٢٤٥- محمد محمد الخزالي (الإمام) : منهاج المابدين بتعليق الشيخ محمد  
جابر مكتبة الجندی بمصر سنة ١٩٥٤
- ٢٤٦- " " " " : إحياء علوم الدين ج ١٢، ج ١٥ مطبعة  
دار الشعب بمصر سنة ١٩٦٨.
- ٢٤٧- " " " " : معارج القدر في مدارج معرفة النفس  
مطبعة الاستقامة بمصر فيرم مؤرخ .
- ٢٤٨- محمد مختار : التوفيقات الإلهامية . المطبعة الأميرية  
بمصر سنة ١٣١١ هـ .
- ٢٤٩- محمد مصطفى حلمي (الدكتور) : الحب الإلهي في التصوف الإسلامي  
دار القلم بمصر سنة ١٩٦٠ .
- ٢٥٠- محمد بن مكرم بن منظور : لسان العرب ج ٤، ج ٩، ج ١٥ المطبعة  
الأميرية بمصر سنة ١٣٠٠ هـ
- ٢٥١- محمد بن موسى الديلمي : حياة الحيوان الكبرى ج ١ دار التحرير  
بمصر سنة ١٩٦٥ .
- ٢٥٢- محمد ناصر الدرعي : النور المهدى طبع سنة ١٩٧٦ ولسم  
يدون عليه اسم الطبعة .
- ٢٥٣- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : القاموس المحيط ج ٤ المطبعة الميمنية بمصر  
سنة ١٣١٩ هـ
- ٢٥٤- محمود جبر : قريش (أونيج جديد للبردة) مطابع دار  
الكتاب العربي بمصر سنة ١٩٤٢ .
- ٢٥٥- " " : ديوان شاعر آل البيت مطبعة دار الطباعة  
القومية بمصر سنة ١٩٥٩ .
- ٢٥٦- محمود حمدي الفلكي : المولد النبوي مطبعة الأزهر بمصر سنة  
١٩٦٩ .
- ٢٥٧- محمود رزق سليم : الأدب العربي من عهد الفاطميين إلى  
اليوم مطبعة صلاح الدين بالإسكندرية  
سنة ١٩٣٨ .

- ٢٥٨- محمود سامي البارودي : كشف الغمة في مدح سيد الأمة ، مطبعة  
الجريدة بمصر سنة ١٢٢٧ هـ .
- ٢٥٩- " " " : ديوانه ج ١ ، ج ٢ بتعليق على الجارم  
ومحمد معروف دار المعارف بمصر سنة  
١٩٧١ هـ ج ٣ بتعليق محمد معروف دار  
المعارف بمصر سنة ١٩٧٢ هـ .
- ٢٦٠- محمود شلتوت (الشيخ) : الفتاوى دار الشروق بمصر سنة ١٩٧٤ هـ .
- ٢٦١- محمود صفوت الساعاتي : ديوانه مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩١١ هـ .
- ٢٦٢- مسلم بن الحجاج القشيري (الإمام) صحيح مسلم ، بشرح النووي ، وتحقيق  
عبد الله أبو زينة دار الشعب بمصر  
سنة ١٩٧١ هـ .
- ٢٦٣- مصطفى صادق الرافعي : وحى القلم ج ٣ بنهض محمد سعيد المريان  
مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٩٥١ هـ .
- ٢٦٤- منازي عامر : انترفاق الصدى بتحقيق محمد النجاشي سنة  
١٩٧٦ هـ ولم يدون عليه اسم المطبعة .
- ٢٦٥- مهيار الديلمي : ديوانه ج ١ ، ج ٢ مطبعة دار الكتب المصرية  
سنة ١٩٣١ هـ .
- ٢٦٦- ميمون بن قيس : ديوان الأعشى الكبير بشرح الدكتور : محمد  
حسين ، مكتبة الآداب بمصر سنة ١٩٥٠ هـ .
- ٢٦٧- نجيب المفيقي : المستشرقون ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٧ هـ .
- ٢٦٨- نجيب محمد البهبهني : تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث  
الهجري مطبعة دار الكتب المصرية سنة  
١٩٥٠ هـ .
- ٢٦٩- الهذليسون : ديوان الهذليين ، دار القومية للطباعة  
والنشر بمصر سنة ١٩٦٥ هـ .
- ٢٧٠- عظام بن غالب : ديوان الفرزدق ج ١ بتعليق عبد الله الصاوي  
مطبعة الصاوي بمصر سنة ١٩٣٦ هـ .



- ٢٧١ - ول ديورانت ( الدكتور ) : قصة الحضارة ج٢ المجلد الرابع ترجمته  
محمد بدران ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة  
والنشر بمصر سنة ١٩٥٥ .
- ٢٧٢ - الوليد بن عبيد : ديوان البحترى مطبعة الجوائب بالقسطنطينية  
سنة ١٣٠٠ هـ .
- ٢٧٣ - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مطبعة السعادة بمصر  
سنة ١٩٠٦ .
- ٢٧٤ - " " : معجم الأدباء ج١١ مطبعة دار التأمين بمصر  
سنة ١٩٣٧ .
- ٢٧٥ - يحيى بن يوسف المصري : ديوان مخطوط بمكتبة الجامع الأزهر تحت رقم  
٢٤٨١ المسماة .
- ٢٧٦ - يوسف الهمدي : عمدة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام ، بتحقيق  
محمود مصطفى مطبعة القاهرة سنة ١٩٣٤ .
- ٢٧٧ - يوسف بن تغري بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج٢ ،  
ج٦ ، ج٧ مطبعة دار الكتب المصرية  
سنة ١٩٣٦ .
- ٢٧٨ - " " " " : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ج١  
ج٢ بتحقيق أحمد نجاتي ، مطبعة دار الكتب  
المصرية سنة ١٩٥٦ .
- ٢٧٩ - يوسف النبهاني : المجموعة النبهانية ج٣ ، ج٤ المطبعة الأدبية  
ببيروت سنة ١٣٦٠ هـ .
- ٢٨٠ - " " : الشرف الموبد لآل محمد مطبعة الحلبي بمصر  
سنة ١٩٦١ .

بالإضافة إلى القرآن الكريم ، ومصرى الدوريات مثل : مجلة الأزهر ،  
ومجلة منبر الإسلام ، ومجلة الشبان المسلمين ، ومجلة الرسالة ، ومجلة الثقافة  
ومجلة أبولو ، ومجلة أدبي ، ومجلة لواء الإسلام ، وصحيفة دار العلوم ، ومجلة  
الشعر ، وصحيفة الأخبار المصرية ، وصحيفة الأهرام المصرية .

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وتقدير

مقدمة : ( ١ - ٥ )

تصميم : المداخل النبوية قبل بردة البوصيري ( ١ - ٢٥ )

عادة الأمم في تكريم عظمائها - حالة الناصر قبيل بعثة الرسول (١)  
بعثة الرسول ووقف الناس فيها (٢) نشأة المداخل النبوية (٣)  
أبو طالب يمدح الرسول (٤-٥) ، قصيدة الأفعى ، وموقف  
النقاد فيها (٥-٨) ، قصيدة كعب بن زهير وأثرها (٨-١٠)  
مدائح حسان بن ثابت وأقسامها (١٠-١٣) ، قصيدة النابغة  
الجعدي (١٤) مدائح : المباسم بن عبد المطلب ، عبد الله ابن  
رواحنة ، كعب بن مالك وغيرهم (١٥-١٧) ، شعراء مدحوا آل  
البيت : الفرزدق (١٨) الكمي (١٩) ، دعلج ، أبو فراس الحمداني  
(٢١) ، الشريف الرضي ، مهيار (٢٢) ، وفاة البرقي (٢٣) مدائح  
الضرعي (٢٤) مدائح الرسول من يوم نشأتها إلى القرون  
السابع الهجري (٢٤-٢٥)

الباب الأول

بسرده البوصيري (٢٦-٢٤٣)

الفصل الأول : البوصيري من مبدء إلى لحدده (٢٧-٦٧)

أثر الإنسان في بيئته (٢٧) الحالة الميامية في عصر الشاعسر ،  
الحروب الصليبية ، موقعة حطين ، حالة مصر والشام قبل صلاح الدين  
ومعه (٢٨) ، البوصيري يشير إلى أسرار لحيات التاسع (٣٠) نهاية  
الدولة الأيوبية وبداية الدولة المملوكية (٣١) موقعة عين جالوت  
(٣٢) البوصيري يشير إلى بعض منشآت قلاوون (٣٣) إشارة  
البوصيري إلى انتصار المسلمين في عكا (٣٤) الحالة الاقتصادية  
(٣٤) سوء الحالة الاقتصادية ، فرس الضرائب ، انتشار

الرسوة (٣٥) إشارة الهوسيري إلى سوء حالة الموظفين • الحالة الاجتماعية :  
 تألف المجتمع من عناصر شتى • طبقة الحكام (٣٦) طبقة الرعية • طبقة  
 أهل الذمة ، إشارة الهوسيري إلى جدان المسلمين وغيرهم (٣٧) إشارة  
 الهوسيري إلى ظلم بعض القضاة • وظلم أهل أسوان (٣٨) انتشار بعض  
 الأمراغ الاجتماعية (٣٩) الحالة الثقافية : عوامل نهضة الثقافة  
 (٣٩-٤١) • بعض الشعراء المهجرون الشعر (٤٢) نسب الهوسيري  
 (٤٣) مولده (٤٤-٤٦) أسرته (٤٧) نشأته وتعليمه (٤٨) من  
 هو الهوسيري الذي عرف بالتمسك في علم الحديث • نصيب الهوسيري  
 من العلوم العربية والدينية والميراث النبوية (٥٠) شيوخه  
 وتلاميذه • علمه : كتابته شواهد القبور (٥١) مباشر فسي  
 بليدي • هجاءه الموظفين لسوء خلقهم (٥٢) فضله من علمه •  
 فتحه كتابا في القاعة • شدة فقره (٥٣) • رفضه وظيفة الحسبة •  
 علمه مباشرة بالحلة الكبرى • هجاءه الموظفين • نقله إلى سجن (٥٤)  
 تركه العمل في سجن • وفاته الكتاب مرة ثانية في القاعة • انتخابه إلى  
 السادة الشاذلية (٥٥) وفاته والاختلاف في زمانها ومكانها •  
 (٥٦-٥٨) صفاته وأخلاقه (٥٨) كثرة شكواه (٥٩) هجاءه  
 (٦٠-٦١) شاعريته بأقسام مدائح • مدحه الأمراء (٦٢) مدحه  
 الرسول • سبب تفوقه في المدائح النبوية (٦٣-٦٥) بعض مدائحه  
 • (٦٦)

### الفصل الثاني : دراسة البردة وتحليلها (٦٨ - ٦١٧)

أصل تلمذة البردة • أول قعيدة سميت البردة (٦٨) إطلاق لفظ البردة  
 على قعيدة الهوسيري • وسبب ذلك (٦٩) روى الهوسيري رسول الله  
 وموقف بعض الكتاب منها : إنكار ثم إقرار (٧١) إنكار وإقرار - الرد  
 على محقق الديوان (٧٢) تفويضي (٧٤) رأى الباحث • حكم رويته  
 الرسول شرعا (٧٥) بعض من رأى الرسول من الصحابة وغيرهم (٧٦)  
 حكم الملاح بالماديات والمعنويات (٧٧) حكم محقق الديوان (٧٩)

أسماء أخرى للجيرة ، وزنها - رويها عدد أبياتها (٨٠) اختلاف رأى  
 محقق الديوان وسببه ، أهم أفكار الجردة (٨١) مطلقها ، نكتة  
 الاستفهام بالهمزة (٨٣) من علامات الحب (٨٦) خطأ لقوى ،  
 علامات أخرى للحب (٨٧) خطأ لقوى (٨٨) من لوازم الحب (٨٩)  
 لوم واعتذار (٩٣) إرضاء وإعراض (٩٥) النفس الأمانة (٩٦)  
 أقسام النفس عند الصوفية (٩٩) البحث عن مطلع (١٠٠) ، داء  
 النفس ودواؤه (١٠٢) خطأ لقوى (١٠٤) ملاحظة النفس  
 عند الحمل الصالح (١٠٥) التحذير من الجوع والشبع المفرطين (١٠٨)  
 التوبة (١٠٩) عيبان النفس والشيطان (١١٠) - القول بسلا  
 عمل وأثره (١١٢) مدح الرسول (١١٤) من معجزات الرسول  
 يوم الفتن (١١٦) - الرسول يرفق بأن تكون الجبال له ذهباً  
 من عوامل الإغراء في هذه الدنيا ، الرد على من زعم أن قصة الجبال  
 التي عرضت على الرسول من مبالغات المتصوفة (١١٧) زهد الرسول  
 (١١٨) ، موقف بعض الكتاب من قائل أن الرسول هو سبب ذلك الوجود  
 (١١٩) ، شفاعة الرسول ، حسب الرسول (١٢١) أثر التمسك  
 بالدين ، فضل الرسول (١٢٢) - النور المحدث (١٢٤) حكم  
 تفصيل بعض الأنبياء على بعض (١٢٥) المدح الشبهى عنه (١٢٧)  
 خطأ لقوى ١٢٨ - الرد على من زعم أن الرسول أكمل للبوعبيري بيتاً  
 من الشعر (١٢٩) - مولد الرسول ١٣٤ - طهارة الرسول من سفاح  
 الجاهلية - ١٣٥ - أحداث وقعت عند مولد الرسول ١٣٦ - الصورى  
 وسببه البوعبيري في الإشارة إلى تلك الأحداث ١٣٨ ، قصة أبرهة  
 (١٤١) غزوة حنين ١٤٢ - بعض معجزات الرسول (١٤٤) - شوق  
 الصدر وانشقاق القصر ، هجرة الرسول (١٤٥) النهي عن سب الدهر ،  
 حكم التوسل (١٥٠) ، مقدمات الوحي (١٥١) الرويا الصالحة ١٥٢  
 تنام عين الرسول ولا ينام قلبه ، النبوة لا تنال بالاحتساب (١٥٣)  
 بعض معجزات الرسول (١٥٥) - القرآن الكريم (١٥٧) الرد على  
 من يقول القرآن مصجز بالصرفة (١٦٥) ، وصف الرسول للقرآن (١٦٨)

فضل تلاوة القرآن (١٦٨) - الإسراء والمعراج (١٧٢) ، مسج  
المعراج (١٧٥) من أصحاب المعراج (١٧٧) بشرى للمسلمين (١٧٩)  
جهاد الرسول (١٨٠) أثر بعثته (١٨١) شجاعة الرسول  
وأصحابه (١٨٣) وصف جيش المسلمين (١٨٥) مدح الصحابة  
(١٨٨) موازنة (١٩٠) أثر نصرة الرسول (١٩٦) من فضل  
الله على رسوله (١٩٨) مدح الرسول (١٩٩) ندم وأمل (٢٠٠)  
خسارة من يفضل الدنيا على الدين (٢٠٢) الأمل في شفاعة الرسول  
(٢٠٣) في مدح الرسول غنى (٢٠٦) وجاء ودعاء (٢٠٨) عدم  
اليأس من رحمة الله (٢١١) تنصر إلى الله (٢١٢) الصلاة على  
رسول الله (٢١٤) أبيات زائدة (٢١٦)

أثر السيرة (٢١٨ - ٢٤٣)

الفصل الثالث:

فرق بين البردة وبانت سعاد (٢١٨) أثر البردة في الجماهير الشعبية  
(٢١٩) في القاهرة - قراحتها أمام الجنازات ، ومخالفة ذلك لهدى  
الرسول (٢٢٠) في الإسكندرية ، في طنطا ، في الإذاعة ، المصلاة  
في الحفاوة بالبردة (٢٢١) أثر البردة في الدرس، أثرها في التأليف  
(٢٢٢) الرد على من أنكروا أن في البردة أثرا للصوفية ، أساس الحسب  
الصوفي (٢٢٤) أهم أغراض الأدب الصوفي وسماته (٢٢٦) بيان  
سمات الأدب الصوفي في البردة (٢٢٨) الإمام الفزالي سبط البوصيري  
في العناية بأمر النفس (٢٣١) أثر البردة في البديعيات (٢٣٣)  
بعض البديعيات (٢٣٥) قيمتها (٢٣٩) أثر البردة في الشعر  
والشعراء (٢٤٠) .

الباب الثاني

معارضة البردة في العصر الحديث - قبل شوقي (٢٤٤ - ٢٢٥)

المعارضة ودوافعها (٢٤٥ - ٢٦٠)

الفصل الأول :

معنى المعارضة (٢٤٥) ، نشأتها وانتشارها في الشعر العربي - في

المصر الجاهلي (٢٤٦) في عصر صدر الإسلام (٢٥٠) في العصر  
الأموي (٢٥٢) في العصر المباسي، في العصر المملوكي (٢٥٣) في  
العصر المملوكي (٢٥٤)، دوافع المعارضة: الإعجاب (٢٥٥) -  
التصدي (٢٥٧) - الاستعانة (٢٥٨) التولية (٢٦٠) .

### الفصل الثاني : العصر الحديث وأهم معالمه ( ٢٦١ - ٢٨٠ )

بدء العصر الحديث (٢٦١) المعالم السياسية : عزل مصر عن العالم،  
الحملة الفرنسية (٢٦٣) حكم محمد علي وأولاده (٢٦٤) الثورة  
المصرية (٢٦٦) بعض المناضلين، ثورة ١٩١٩ (٢٦٧) شوقي  
يشير إلى اختلاف الأحزاب، ثورة ١٩٥٢ (٢٦٨) المعالم الاقتصادية :  
نكسة الزراعة والصناعة والتجارة (٢٧٠) إنشاء بعض المصانع والشركات  
وغير ذلك (٢٧١) المعالم الاجتماعية : طبقات المجتمع (٢٧٢) فرض  
النزاع (٢٧٣) المرأة عند رفاعة الطهطاوي وقاسم أمين وبعض  
الشعراء (٢٧٥) المعالم الثقافية : الأزهر - البحوث (٢٧٦)  
التعليم في عصر محمد علي وأبنائه، ظهور بعض الصحف (٢٧٧) حركة  
إحياء القديم، إنشاء بعض الجمعيات العلمية (٢٧٨) محاربة اللغة  
العربية، ظهور بعض المدارس الأدبية (٢٧٩) .

### الفصل الثالث : معارضة الدرويش والتمورية وأثرهما ( ٢٨١ - ٣٣٥ )

أ - معارضة الدرويش، نسب الشاعر، مولده، نشأته ٢٨١، شعره  
وفاته، آثاره (٢٨٢)، إعجابه بالبردة (٢٨٣) أعظم أنكار  
معارضته، عدد أبياتهما (٢٨٤) مدح الرسول (٢٨٦) معارضة  
(٢٨٩)، مولده (٢٩١) نصائح لليهود والنصارى (٢٩٣) محمد  
وعيسى أنصوان (٢٩٥) هجرة الرسول (٢٩٦) بعض أصحاب الرسول  
(٢٩٨) آل البيت (٣٠٠) مدح عباس الأول (٣٠٢)، مدح الرسول  
(٣٠٣) فضل البوصيري ومولده (٣٠٤) الختام (٣٠٦) .  
ب - معارضة التيمورية، نسبها - مولدها (٣٠٧) - نشأتها  
زواجها (٣٠٨) آثارها، شعرها (٣٠٩) شعرها الديني (٣١١)

ممارستها ، عدد أبياتها ، ملخصها ( ٣١٥ ) مدح الرسول ، فضل  
القرآن ( ٣١٧ ) من أسماء الرسول ( ٣١٨ ) ندمها ( ٣٢١ )  
بعض منجزات الرسول ( ٣٢٣ ) اعتذارها لتقصيرها في مدح الرسول  
( ٣٢٤ ) النفس من هذجهما ( ٣٢٥ ) ريشاء ودعاء ( ٣٢٨ ) ختام  
( ٣٢٩ ) أثر ممارستي التدريس والتدوية ( ٣٣٠ - ٣٣٤ )

### الباب الثالث

معارضة البارودي ( ٣٣٦ - ٤٨٥ )

### الفصل الأول : حياة البارودي : ( ٣٣٧ - ٣٤٨ )

نسب البارودي ، مولده ، نشأته ( ٣٣٧ ) ، دراسته المنزلية وغيرها  
( ٣٣٨ ) سفره إلى الآستانة ، عودته إلى مصر ( ٣٤١ ) اشتراكه  
في بعض الحروب ، بمغزواته ، عزله ( ٣٤٢ ) عودته إلى العمل  
نفيه إلى سرنديب ، وفاة زوجته ( ٣٤٣ ) وفاة بعض أصحابه ، مرضه ،  
عودته إلى مصر ( ٣٤٤ ) وفاته ، آثاره ( ٣٤٥ ) شاعريته  
 وأسباب قوتها ( ٣٤٦ ) شعره الديني ( ٣٤٧ )

### الفصل الثاني : دراسة وتحليل " كشف الخمة في مدح سيد الأمة ( ٣٤٩ - ٤٦٥ )

مدائح البارودي النبوية ، عدد أبيات كشف الخمة ، مقدمتها ( ٣٤٩ )  
رسالة محقق الديوان إلى الباحث ، مطلع القصيدة ( ٣٥٠ ) زمن الشباب  
ولس ( ٣٥٣ ) الشاعر يشير إلى ما يكابده في منفاه ( ٣٥٤ ) وصف  
القطاة ( ٣٥٥ ) مدح الرسول ( ٣٥٦ ) دعوة إبراهيم وشريهمس  
( ٣٥٧ ) نسب الرسول ( ٣٥٨ ) زواج عبد الله بآمنة ( ٣٦٠ )  
حمل آمنة بالرسول وولادته ( ٣٦١ ) مولده ، رعايته وأثرها  
( ٣٦٢ ) شمس المدر ( ٣٦٥ ) قصة بحيرى ( ٣٦٦ ) الصناديق  
الأمسين ، عمله في تجارة خديجة ( ٣٦٨ ) ما رآه منيرة ( ٣٦٩ )  
زواج الرسول بالسيدة خديجة ( ٣٧٠ ) بناء الكعبة ( ٣٧١ ) وضع  
الحجر الأسود ( ٣٧٢ ) مقدمات البعثة ( ٣٧٥ ) بدء البعثة

بعض من أسلم (٣٧٦) الهجرة الأولى إلى الحبشة (٣٧٩) مقاطعة  
 قريش (٣٨١) قصة الطفيل بن عمرو قصة الأراشى (٣٨٢)  
 بعض معجزات الرسول (٣٨٣) الإسراء والمصراع (٣٨٤) فسر  
 الصلاة (٣٨٦) إسلام بعض الأنصار (٣٨٧) موقف قريش من  
 بيعة الأنصار (٣٨٨) الرسول يأمر أصحابه بالهجرة إلى  
 المدينة (٣٨٩) مواسرة قريش (٣٩٠) جبريل يكشف المومنة  
 الأمر بالهجرة في الفار (٣٩٣) الرسول يخرج من النصار  
 (٣٩٦) قصة أم مهند (٣٩٧) قصة سراقمة (٣٩٨) وصول  
 الرسول إلى المدينة (٤٠٠) بناء المسجد النبوي المؤاخاة  
 بين المهاجرين والأنصار (٤٠١) فزع الجهاد (٤٠٤) بعض  
 السرايا والغزوات (٤٠٥) تحويل القبلة (٤٠٦) غزوة بدر وأثرها  
 (٤٠٧) بعض الغزوات (٤١٠) بعض السرايا غزوة أحد وأثرها  
 (٤١٢) رد عين قتادة (٤١٦) بعض الغزوات والسرايا (٤١٧) غزوة  
 الخندق (٤١٩) الأحزاب (٤٢٠) بعض الغزوات (٤٢٢) غزوة  
 تبوك (٤٢٣) الراية لملئى (٤٢٤) عودة بعض مهاجري  
 الحبشة (٤٢٧) عمرة القضاء غزوة مؤتة (٤٢٨) فتح  
 مكة (٤٢٩) جيش المسلمين (٤٣٠) غزو الرسول (٤٣٤) الرسول  
 يشكر الله (٤٣٧) حنين (٤٣٨) الطائف تهوك (٤٣٩) بقية  
 السرايا وسبب نظمها (٤٤١) البارودي وروايات الرسول (٤٤٦)  
 النفس الأمار (٤٤٧) الطمع في غزو الله (٤٥٠) مدح الرسول  
 وأثره (٤٥٣) من نفعات الرسول (٤٥٥) إهداء القصيدة إلى  
 الرسول (٤٥٧) سبب النصيب (٤٥٨) تبنى حج البيت وزيارة  
 الرسول (٤٦٠) التضرع إلى الله وطلب شفاعة رسول الله  
 الختتام (٤٦١ - ٤٦٤)

(٤٦٦ - ٤٨٥)

الفصل الثالث: أثر ممارسة البارودي

أقيمت البارودي ممارسة للبردة أم لا ؟ (٤٦٦) ما يثبت الممارسة  
 (٤٦٧) زمن نظم تلك القصيدة (٤٦٩) آثار البارودي بممارسة



الدرويش والشمس ( ٤٧١ ) ، مأخذ على الشاعر ، البارودي لسم  
يقتصر على سيرة ابن هشام ( ٤٧٣ ) ، البارودي ترك أفكارا وردت  
في سيرة ابن هشام ولم يشتر إليها ( ٤٧٤ ) وقصر في اقتار ذكرها  
( ٤٧٨ ) في القصيدة دليل على التقليد والتجديد ( ٤٨٢ ) ، مميزات  
الملحمة ( ٤٨٣ ) أثر قصيدة البارودي في ظهور بعض الطرقات  
( ٤٨٥ ) .

### المسار الرابع

معارضة شوقي ( ٤٨٦ - ٥٧٥ )

الفصل الأول : شوقي من مولده إلى وفاته ( ٤٨٧ - ٤٩٦ )

نسب الشاعر ، مولده ، نشأته ( ٤٨٧ ) ، تعليمه ، سفره إلى  
فرنسا ، عودته إلى مصر ، عمله ٤٨٨ - نفيه ٤٨٩ ، عودته  
إلى مصر ( ٤٩٠ ) ، تكريم شوقي ، وفاته ، آثاره ( ٤٩٢ ) ،  
شاعريته ، عوامل نبوغه فيها ( ٤٩٣ ) ، شعره الديني ( ٤٩٤ )

الفصل الثاني : دراسة وتحليل نهج البردة ( ٤٩٧ - ٥٦٣ )

عدد أبيات نهج البردة ، سبب نظمها ( ٤٩٧ ) ، وتاريخه ، مطلعها  
( ٤٩٦ ) ، صفات محبوبته ( ٥٠٣ ) ، النفس والدينا ( ٥٠٧ ) ، نسيم  
الشاعر على ما فرض منه ( ٥١٠ ) ، علاج النفس ( ٥١١ ) ، مفسرة  
اللمسة وشفاعة رسوله ( ٥١٦ ) ، مدح الرسول وأثره ( ٥١٤ ) ، خطأ  
معنوي ( ٥١٦ ) ، نسب الرسول ( ٥١٧ ) ، الرسول في فطر حسره  
قبل البعثة ( ٥١٨ ) ، بعض مميزات الرسول ( ٥١٩ ) ، نزول الوحي  
أول مرة ( ٥٢١ ) ، المغربة من قريش ( ٥٢٢ ) ، القرآن الكريم ( ٥٢٣ )  
بلاغة الرسول وأثرها ( ٥٢٤ ) ، مولد الرسول ( ٥٢٦ ) ، حالة المالم  
قبل بعثته ( ٥٢٧ ) ، الإسراء والمعراج ( ٥٢٩ ) ، تكريم الرسول ( ٥٣٠ )  
شجرة الرسول ، التقصير حول القطار ( ٥٣٢ ) ، توسل الشاعر بالرسول  
فض البوسيري وردته ( ٥٣٤ ) ، مدح الرسول ( ٥٣٦ ) ، الحروب فسي

الإسلام ، واضعوا المستشرقين ( ٥٤٠ ) الحرب في المسيحية ( ٥٤٢ )  
مدح الرسول ( ٥٤٤ ) العريضة الإسلامية وأثرها ( ٥٤٨ ) الحضارة  
الإسلامية وغيرها ( ٥٥٢ ) الخلفاء المسلمون وأثرهم ( ٥٥٥ ) الصلاة  
والسلام على رسول الله ( ٥٥٩ ) التضرع إلى الله ( ٥٦١ )  
الكتاب ( ٥٦٢ ) .

### الفصل الثالث: قيمة معارضة شوقي ( ٥٦٤ - ٥٧٥ )

أشوقى بنفسى المعارضة مطلقاً أم لا ( ٥٦٤ ) ، نظره إلى التيمورية  
والبارودي ( ٥٦٦ ) شخصية شوقي في قصيدته ( ٥٦٨ ) سبب  
عدم ترتيب أفكاره في القصيدة ( ٥٧٠ ) ، ما في نهج البردة من الطائف  
( ٥٧١ - ٥٧٥ ) .

### الكتاب الخامس

#### معارضات البردة بعد شوقي ( ٥٧٦ - ٦٧٩ )

### الفصل الأول: عرض موجز لمعارضات البردة بعد شوقي ( ٥٧٧ - ٦٧٠ )

أساس ترتيب تلك المعارضات: المعارضة الأولى : ( ظل البردة  
لمبعد المطلب ) نسب الشاعر ، مولده ، نشأته ( ٥٧٧ ) تعليمه  
علمه ، وفاته ، آثاره ( ٥٧٨ ) شاعريته ، شعره الديني ، عدد  
أبيات معارضته ، نظره إلى نهج البردة ( ٥٧٩ ) مظهرها ( ٥٨٠ )  
أسفه على تغرب العرب ( ٥٨١ ) أثر الرسول ، الناس قبل الهمة  
( ٥٨٢ ) ، قرين وأثرها ( ٥٨٤ ) نظره إلى من سبقه من أصحاب  
معارضات البردة ( ٥٨٥ ) نزول الوحى ، حلم الرسول مع التشاير  
( ٥٨٦ ) بمصر من أسلم ( ٥٨٧ ) جهاد الرسول وأعجابه ، يوم بدر  
( ٥٨٨ ) ما فى ظل البردة من تقليد وتجديد ( ٥٨٩ )  
المعارضة الثانية : ( معارضة الحملاوى ) نسب الشاعر ، مولده ، نشأته  
تعليمه ، علمه ، وفاته ، آثاره ( ٥٩٠ ) شاعريته ، شعره الديني  
( ٥٩١ ) اسم المعارضة ، زمن نظمها ، عدد أبياتها ، تجديد

مطلبها (٥٩٢) التضرع إلى الله ، وطلب شفاعته رسول الله  
(٥٩٣) المصراع (٥٩٤) حب الرسول ، الناصرة قبل البعثة  
(٥٩٥) نظره إلى من سبقه من أصحاب معارضات البردة ، مدح  
الرسول (٥٩٦) ، النور المحمدي ، الاعتراف بالتقدير (٥٩٧) .

المعارضة الثالثة : ( النفحة الأحمدية في مدح خير البرية ) نسب  
ناظمها ، مولده ، نشأته ، (٥٩٨) وفاته ، آثاره (٥٩٩)  
عدد أبيات النفحة الأحمدية ، وتاريخ نظمها ، نظره إلى البردة  
ونهجها (٦٠٠) النفس وهوامها ، فساد الأخلاق (٦٠١)  
تشرق بلاد الشرق ، التقار يوعزون الرسول ، إيذاء الأنبياء  
السابقين (٦٠٢) مولد الرسول ، نظره إلى البارودي ، في غار  
سرا (٦٠٤) نظره إلى عبد المطلب وهو قسي (٦٠٥) مع ورقة  
ابن نوفل والسيدة خديجة (٦٠٦) القرآن الكريم ، حالة الناص  
قبل البعثة ، أثر رسالة الرسول ، هجرة الرسول (٦٠٧)  
الدعوة إلى الله بالحسن (٦٠٨) بيان سبب الحرب ، شجاعة  
الصحاب (٦٠٩) حضارة الإسلام ، فائدة الدين (٦١٠) توسله  
بالرسول ، فضل البوصيري وبردته (٦١١) دعاء ورجاء ، ختمه  
قيمة تلك المعارضة (٦١٢) -

المعارضة الرابعة : ( نظام البردة أو ذكرى محمد ) ناظمها ، مولده  
نشأته ، تعلمه ، علمه ، وفاته ، آثاره (٦١٤) شاعريته ،  
عدد أبيات معارضته (٦١٥) تاريخ نظمها ، مطلبها ، أسلفه لتفرق  
المرب ، الندم على شبابيه (٦١٦) توجيهه إلى المسجد النبوي  
(٦١٧) أطام الروضة الشريفة ، أثر المسجد النبوي (٦١٨)  
مولد الرسول (٦١٩) الإسلام وتعليم المرأة (٦٢٠) تمسده  
زوجات الرسول (٦٢١) الحرب في الإسلام ، بمنزلة أركان الدين  
(٦٢٢) الناص سيواسية حقوق المرأة ، وظيقتها الفطرية (٦٢٣)  
الروي في الإسلام (٦٢٤) حديث إلفك (٦٢٥) براءة السيدة  
عائشة ، حديث السحر (٦٢٦) حال الأمة الإسلامية (٦٢٧)  
التضرع إلى الله ، إشارته إلى البردة ونهجها ، ختام أثرها (٦٢٩)

المعارضة الخامسة: (قرئى) ناظمها ، مولده ، نشأته ، تحلمه ،  
علمه .. شاعريته ، نشاطه (٦٣٠) ، عدد أبياتها ، تاريخها  
نظمها ، مطلعها (٦٣١) مولد الرسول ، ذهبه إلى الطائف  
(٦٣٢) الرد على منكرى الحجاج ، استبعاد الذرة في الدمار  
(٦٣٤) الصبر عن مدح الرسول (٦٣٥) حب الرسول (٦٣٦)  
وفاته ، وأثرها (٦٣٧) فضل البوصيري وبرده ، ختام أثرها  
(٦٣٨) .

المعارضة السادسة: (بشرى الماشقين ببلوغ سيد المرسلين)  
نسب الشيخ الخطيب ، مولده ، نشأته ، تحلمه ، علمه  
شاعريته ، مؤلفاته (٦٣٩) عدد أبيات معارضته ، تاريخ  
نظمها ، (٦٤٠) مطلعها ، فضل الصلاة على رسول الله  
(٦٤١) حالة العالم قبل البعثة ، نظره إلى شوقي (٦٤٢)  
مولد الرسول ، وفاة والده ، ووالدته (٦٤٣) كفاية جدة عبد  
الطلب وعمه أبى طالب ، الإسراء والمعراج والرد على من  
أنكرها (٦٤٤) الهجرة إلى المدينة (٦٤٥) فضل الصحابة  
والتحذير من الخوض فيهم ، فضل القرآن (٦٤٦) فصاحة الرسول ،  
فضل الفريضة الإسلامية (٦٤٧) المواشاة (٦٤٨) الحديث  
عن اليهود والربا (٦٤٩) ، تعدد زوجات الرسول ، بيان حكمه  
التعدد ، حرمة زواج أزواج الرسول من بعده (٦٥٠) جواز التعدد  
مع المدل إلى أربع (٦٥٤) الطلاق ، الرق ، الحرب ، فسي  
الإسلام (٦٥٦) الطريق إلى الاستفادة العلم والإحسان  
(٦٥٧) مخالفة النفس ، والحذر من الدنيا ، نظره إلى  
البوصيري (٦٥٨) شفاعته الرسول وحوضه ، المحب الحقيقي  
يحافظ ، على الفروض والنوازل (٦٥٩) التوصل بالرسول وتسمية  
بحر أولاده به عن أسماء الرسول (٦٦١) ختام أثرها  
(٦٦٢)

المعارضة الصائبة : ( السعيدية في مدح خير البرية ) ناظمها ،  
 مولده ، نحاته ، تعلمه ، علمه ، شاعريته ، عدد أبيهات  
 معارضته ، تاريخ نظمها ، فضل الشيخ الخطيب في تسميتها  
 ( ٦٦٣ ) مولد الرسول ، في صدره ( ٦٦٤ ) نظره إلى من  
 سبقه من أصحاب معارضات البردة ( ٦٦٥ ) مدح الرسول ( ٦٦٧ )  
 القرآن الكريم ، فصاحة الرسول ( ٦٦٨ ) طلب شفاعته الرسول ، تضع  
 إلى الله ، ختام ، أثرها ( ٦٦٩ ) .

#### الفصل الثاني : أثر معارضات البردة بمحمد شوقي ( ٦٧١ - ٦٧٩ )

ففيها دلالة على إمكان وجود الملحمة في الشعر العربي ( ٦٧١ )  
 فيها ردود قوية على مزاعم المستشرقين . ( ٦٧٢ ) ساعدت على  
 البحث في كتب اللغة ، أفادت الأدب العربي نوا ( ٦٧٣ ) دلت  
 على أن المعارضة ليست كلها تقليدا ( ٦٧٤ ) دلت على أن  
 المعارضة في ذاتها لا تتنافى مع الأصالة ( ٦٧٥ ) آراء بعض  
 النقاد في الصلة بين المعارضة والحركة ( ٦٧٦ ) تساعد على  
 تحقيق المدل في الموازنة ( ٦٧٨ ) .

#### المساب السداد من

الموازنة بين البردة ومعارضاتها في العصر الحديث ( ٦٨٠ - ٧٨٨ )

الهدف من الموازنة ، الاقتصار على الموازنة بين البردة ومعارضتي  
 الهارودي وشوقي ، وسبب ذلك ( ٦٨١ ) لكل كاتب نزعة ( ٦٨٢ )  
 صعوبة منهج الموازنة ، بعض شروط الموازنة ( ٦٨٣ ) بعض  
 نقساط الموازنة ، ملامة بحر البسيط ( ٦٨٤ ) آثار البوسيري باين  
 الفارض أم لا ، الآراء في ذلك ( ٦٨٥ ) مطلع القصيدة : معناة  
 أهميته ( ٦٨٧ ) الموازنة بين مطالع الشعراء الثلاثة ( ٦٨٨ )  
 حسن التخلص : معناه ، ( ٦٩٠ ) أهميته ( ٦٩١ ) نهج  
 القدماء في الانتقال من فقرة إلى أخرى ( ٦٩٢ ) بيان حسن

- التخلص عند الشعراء الثلاثة (٦٩٣) الخاتمة : منهاجها  
أهميتها (٦٩٤) بيان حسن الخاتمة في القصائد الثلاث ،  
الأنكار وترتيبها (٦٩٦) الوحدة المضمومة : منهاجها ،  
أهميتها ، آراء الدقائد (٧٠٤)  
أبني القصائد الثلاث وحدة عضوية أم وحدة فنية (٧٠٥)  
المطابقة : منهاجها ، أهميتها (٧٠٧) عاطفة البوصيري  
(٧٠٨) عاطفة البارودي (٧٠٩) عاطفة شوقي (٧١٢)  
الخيال : منهاجها ، أهميتها ، صورته (٧١٤) خيال البوصيري  
(٧١٥) خيال البارودي (٧١٦) خيال شوقي (٧١٧) -  
الأسلوب : منهاجها : بعض مقاييس الثلاثة (٧١٩) الدقيسة ،  
الإيجاز - التكرير (٧٢٠) الكلمات غير الشعرية  
(٧٢٢) بعض مقاييس الجمل والتراكيب ، الوضع (٧٢٢) ملائمة  
الالفاظ للمعاني (٧٢٣) جمال الأسلوب ، أثر اقتباس الشعراء  
الثلاثة بعض الأساليب من القرآن والعنسة (٧٢٥) بعض  
الأخطاء ، بعض الحكم (٧٢٦) الحكم بتفضيل البردة على  
ممارضاتها بمائة وممارضتي البارودي وشوقي بخاتمة (٧٢٧) .

الخاتمة : (٧٢٩)

النتائج : (٧٣٢)

المقترحات : (٧٣٥)

مصادر البحث : (٧٣٧ - ٧٥٩)

فهرس الموشوعات : (٧٦٠)

#### تصويب

| سطر | صفحة | الخطأ         | الصواب             |
|-----|------|---------------|--------------------|
| ٦٤  | ٤    | طبقات الشعراء | طبقات فحول الشعراء |